

دكتور محمد نصر مهنا


مكتبة

فلسطين

إمام الشافعي

١٩٩٧ - ١٩٩٥

دار المعارف


0035850
Bibliotheca Alexandrina

مشكلة فلسطين

أمام الرأي العام العالمي

١٩٤٥ - ١٩٦٧

تأليف

دكتور محمد نصر مرشنا

مدرس العلوم السياسية
كلية التجارة - جامعة أمسيوط

١٩٧٩



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - ج ٢٠٠٠ ع.

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . »

(الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الحج)

« قرآن كريم »

إهداء

إلى الشعب الفلسطيني الشقيق والعريق والذي تحمل أعباء القضية الفلسطينية
باعتبارها مشكلة القرن العشرين الفلدة -
أقدم هذه الدراسة

المؤلف

مقدمة

يعالج هذا البحث مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي خلال الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٦٧ ، وتعتبر هذه الفترة من أخصب وأصعب فترات تاريخ المشكلة الفلسطينية الفدّة التي شغلت ليس فقط الكتّاب والمعلقين والساسة وإنما وأيضا الرأي العام العالمي عموما والرأي العام العربي على وجه الخصوص الذي لم يشغله موضوع آخر على امتداد فترة الدراسة .

وقد اخترت فترة البحث بحيث تبدأ بتكوين جامعة الدول العربية بعد فترة زمنية قصيرة من نهاية الحرب العالمية الثانية ثم تصاعد الأحداث بإعلان قيام الدولة اليهودية في فلسطين ، ومنذ ذلك التاريخ ومشكلة فلسطين لا تغيب عن بؤرة الرأي العام العالمي حيث تلاحت الأحداث التاريخية بسرعة فحدثت ثلاثة حروب في هذه الفترة الزمنية القصيرة .

وقد نتج الرأي العام تجاه مشكلة فلسطين من تفاعل آراء المجتمع الدولي واحتكاك أفكاره وبالتالي فإن دول المجموعة الدولية أو المنظمات العالمية هي المحصلة التي انعكست عليها أحداث المشكلة الفلسطينية ونتجت هذه المحصلة من الاتجاهات المتباينة للرأي العام العالمي الذي تحدّد كالاتي : -

١ - إتجاه مؤيد .

٢ - إتجاه معارض .

٣ - إتجاه محايد التزمته الدول التي لم تمسها هذه المشكلة مباشرة أو لم تؤثر على مصالحها . أو بقصد محاولة تقريب وجهات النظر ، وقد وقفت مجموعة من الدول موقف الحياد في التعبير عن آرائها نتيجة لارتباطات سياسية أو وجود مصالح مع كل من أطراف المشكلة حيث صاحبها تطورات

وتغييرات لم تكن منتظرة في اتجاهات الرأى العام العالمى منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٧ وهو ما أدى إلى اختلاف هذه الاتجاهات من مرحلة إلى أخرى من مراحل المشكلة ، يبل لقد اختلفت مواقف الدول ذاتها فى خلال هذه المراحل ،

وقد كادت مشكلة فلسطين تتحول إلى مأساة للعالم بأسره للديمومة الصراع القائم فى الشرق الأوسط الذى حمل فى ثناياه بذور حرب عالمية ، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث لتقديم الحقائق كاملة للرأى العام العالمى ومن ناحية أخرى فإن تقديم هذه الحقائق للرأى العام العربى ليوضح جلى الموقف العربى الذى استمر طوال هذه الفترة يرفض كل شئ من منطلق الضعف ثم يعود بعد ذلك ليقبل الأمر الواقع ، ومن ثم فإن أهم النتائج التى توصلت إليها : أن كافة الأنظمة العربية قد استخدمت مشكلة فلسطين فى هذه الفترة كجسر للعبور من تناقضاتها ، ولذلك فسوف أبرز فى أماكن عديدة من هذا البحث نواحى التقصير والضعف التى أصيب بها القادة العرب على الصعيدين السياسى والعسكرى ، كذلك فقد أصبح ما يزيد على مليون شخص من اللاجئين العرب الفلسطينيين وبيوت آبائهم وأجدادهم فى قبضة الإسرائيليين وهذه أقوى حجة على انزلاق العالم العربى خلال هذه الفترة من سئ إلى أسوأ .

وقد قدم الشعب الفلسطينى كثيراً من التضحيات فى معارك غير متكافئة ضده قوى عالمية — أو على حد قول أحد الباحثين الفلسطينيين فقد كانت قوته كدبرهم أمام قنطار فى مواجهته للصهيونية العالمية ، ولو أن شعباً آخر غير الشعب الفلسطينى ذاق مرارة الصهيونية (١) لأدرك الرأى العام العالمى

(١) وافقت الأمم المتحدة فى ١٨/١٠/١٩٧٥ بأغلبية ٧٠ صوتاً ضد ٢٩ وامتناع ٢٧ صوتاً عن قرار باعتبار الصهيونية من بين أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

كله أن هناك ظلما فادحا تم ارتكابه بحق ضحايا لم يترفوا شيئا يستحقون عليه مثل هذا العقاب .

وبالرغم من أن الشعب الفلسطيني لم ينس حقوقه المشروعة في فلسطين ولم يترك وسيلة إلا اتبعها لتأكيد هذه الحقوق في فترة التشرذم بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ فإن هناك مجموعة من الحقائق أكدت نظريا الانطباع الدولي للمشكلة الفلسطينية ، إذ أنه في نفس الفترة الزمنية قامت بعض الدول العربية بالمبادرة في محاولة المجابهة لإسرائيل سواء على الصعيد العربي أو على الصعيد الدولي ، وساهمت قطاعات متعددة من الرأي العام الفلسطيني بتأييد هذه المبادرة عن طريق مشاركتها للحركات السياسية العربية الهادفة إلى تحرير فلسطين ، مما ساعد على تصور الصراع بأنه في الدرجة الأولى صراع عربي إسرائيلي وليس فلسطينيا صهيونيا ، فكان هناك إنسجام كاد يكون تاما بين التصور الدولي والتصور العربي الرسمى لحقيقة مشكلة فلسطين ، ومن هنا فقد أصم الرأي العام العالمي أذنيه عن أصوات الضحايا وأعار سمعه للطرف الذي اقتراف الأثم مما أضفى على مشكلة فلسطين طابعا فذا بسبب حصول إسرائيل على عطف وتأييد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الذي أسهبت في توضيح موقفه بالتفسير والتعليل .

وقد بدأت عملي في هذا البحث بإعداد ببلوجرافيا عن المؤلفات والمراجع التي تتناول تلك الفترة وشملت هذه المراجع مراجع عربية من وثائق وكتب ودوريات وأيضاً مراجع أجنبية رئيسية وخاصة تلك التي كتبها الزعماء والباحثون الإسرائيليون ، كذلك فقد تمكنت من الإطلاع على عدد من هذه الأوراق والمذكرات الخاصة ذات الصلة الوثائقية لبعض القيادات العربية والفلسطينية الذين أتبع لهم أن يسهموا في أحداث تلك الفترة ،

كذلك فقد اعتمدت أيضاً في استخلاص مادة هذه الدراسة على عدد من المصادر منها وثائق غير منشورة رجعت إليها في جامعة الدول العربية ومعهد

البحوث والدراسات العربية ومركز تاريخ مصر المعاصر - هذا فضلا عن الوثائق المنشورة في مطبوعات مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ومركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد .

كذلك التقيت في فترة إعداد البحث بشخصيات فلسطينية وعربية عديدة من المسؤولين السياسيين والعسكريين والمطلعين على كثير من أسرار هذه المشكلة الفذة وتناقشت معهم طويلا في أحداث تلك الفترة واستوضحتهم كثيرا من النقاط الغامضة غير أن عدة صعوبات قد واجهتني في إعداد الدراسة ومنها :

أولا :

قلة الكتابات العربية العميقة في بعض النقاط فضلا عن وجود تضارب في ذكر وتفسير بعض الأحداث في الكتابات العربية المعاصرة وما يشوبها من حماسة وأفتقارها إلى النظرة الموضوعية لتحليل أحداث المشكلة الفلسطينية .

ثانيا :

أن المراجع الصهيونية تقدم أحداث المشكلة وتفسرها بطريقة تحمل في ثناياها تشويها للحقائق ، لكنني حاولت قد المستطاع توخي الحذر حتى أكون أمينا مع نفسي فيما قدمته ، بدليل أنني قد أبرزت رد فعل الرأي العام الإسرائيلي تجاه المشكلة وهو شيء جديد في الدراسات العربية ، وقد حرصت على ذلك حتى أكون محايدا في إبراز كافة الآراء - حتى المعادية منها - وهو ما يتضح من المصادر العديدة التي أطلعت عليها مؤرخين صهيانية مما كلفني جهداً خاصاً لأن مثل هذه المؤلفات كانت محظورة لدى الرأي العام

العربي في هذه الفترة وقد كان ذلك خطأ كبيراً ارتكبه العرب في معالجة مشكلة فلسطين

ثالثاً :

لعل من أصعب ما واجهني في إعداد هذا البحث هو محاولة تفسير وتعليل الموقف السوفييتي المتذبذب حيال المشكلة الفلسطينية نظراً لغياب الرواية السوفييتية : اللهم إلا باستثناء المواقف الرسمية في الأمم المتحدة أو ما نشرته وكالات الأنباء أو الصحف السوفييتية وكلها تبرز وجهة نظر السوفييت الرسمية ، والمعروف أن للسوفييت سياسة أخطر غير معلنة .

رابعاً :

إن المذكرات العربية الشخصية التي لها الصفة الوثائقية لمن عاصروا هذه الفترة ، قد اهتمت بنقد الخصوم وبالتالي فقد جاءت معالجة مشكلة فلسطين ذاتها هامشية بالنظر إلى التجريح بأقذع العبارات كتلك التي وجهها الأستاذ أحمد الشقيري للملوك والرؤساء العرب عموماً ، ومن الثابت أن الأستاذ أحمد الشقيري قد أسهم في تطور أحداث المشكلة خاصة في الفترة من ١٩٦٣ حتى ١٩٦٧ غير أن هناك نقاطاً غامضة قد واجهتني بخصوص دوره منها : لماذا تخاصم الشقيري مع الرئيس بورقيبة عام ١٩٦٥ وهل جره الاستقطاب المصري لذلك ؟ وأعتقد أنه لو كان الشقيري اتخذ جانباً مرناً حينئذ لتغير مجرى المشكلة الفلسطينية وكذلك فقد كان الشقيري مسرفاً في مواقفه مع الملوك والرؤساء العرب سواء في تودده أو في خصامه في هذه الفترة ، وأخيراً فلماذا انسحب الشقيري من مؤتمر الخرطوم في نوفمبر ١٩٦٧ ؟ وعموماً فإن مواقف الشقيري في هذه الفترة تحتاج إلى تحليل ودراسة مستفيضة من كافة جوانبها .

خامساً :

لا زالت كثير من الوثائق العربية - التي يمكن أن تشكل مصدراً هاماً آخر للمؤرخين والباحثين - لم تنشر بعد ، وما تزال محجوبة عن الرأي العام العربي ، اللهم إلا تلك القرارات التي لها أهمية ثانوية والسبب في ذلك هو أن هذه الوثائق شأنها في ذلك شأن الوثائق الرسمية التي لا تنشر إلا بعد زمن كاف على وقوع الأحداث .

وبالرغم من هذه الصعوبات فلئنني حاولت قدر المستطاع أن أواجه تلك العقبات وأن أذلها وأن أكون لأميناً مع نفسي كباحث فيما قبلته وأن أنجب مواطن الزلل فيما تحويه بعض الدراسات ، ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث أن الفلسطينيين قد تحملوا - بحق - أعباء هذه المشكلة الفذة لحما ودما وعظماً .

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى خمسة أبواب وخاتمة .

- الباب الأول وعنوانه «التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عام ١٩٤٨» وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول .

- الباب الثاني وعنوانه «تطورات مشكلة فلسطين من اتفاقيات الهدنة إلى العدوان الثلاثي» وقسمته إلى ثلاثة فصول

- الباب الثالث وعنوانه «من انسحاب قوات العدوان الثلاثي إلى حرب يونيو ١٩٦٧» وقسمته إلى فصلين ،

- الباب الرابع وعنوانه «حرب يونيو ١٩٦٧» وقسمته إلى فصلين .

وقبل أن أنهى هذه المقدمة يطيب لي أن أوجه شكرى لكل من تعاون معى بشكل أو بآخر حتى أنهت من هذه الدراسة
القاهرة في ١٥ يوليو سنة ١٩٧٩

دكتور محمد نصر مهنا

الباب الأول

التيارات الدولية ومشكلة فلسطين
بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عام ١٩٤٨

التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

أثر توتر العلاقات بين دول المعسكر الغربي ودول المعسكر الشرقي عقب الحرب العالمية الثانية على مشكلة فلسطين إلى أبعد الحدود، حيث بدأ الاتحاد السوفيتي يمارس الضغط على كل من اليونان وتركيا لانضمامهما إلى الجانب الشيوعي كما أن فرنسا وبريطانيا انسحبتا من سوريا ولبنان تماما في ١٩٤٦، وأشارت مفاوضات صدفى - بيفن إلى احتمال انسحاب بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط، وعلى هذا كانت الرغبة الجامحة من الاتحاد السوفيتي لخروج بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط كان يقابلها رغبة جامحة من بريطانيا للبقاء ولكن بريطانيا لم تكن في حالة تسمح لها بأن تقوم بدورها ونشاطها في منطقة شرق البحر المتوسط كما أن موقفها الاقتصادي الذي بلغ ذروته في شتاء ٤٦-١٩٤٧ أدى بها إلى إيقاف مساعداتها الاقتصادية والعسكرية لكل من اليونان وتركيا في مارس ١٩٤٧ وحلت محلها الولايات المتحدة الأمريكية .

كما أن بريطانيا كانت ترى أن مصالحها الاستراتيجية في كل من قواعدها البحرية في الإسكندرية والسويس مهددة مما جعل أنظارها تتجه إلى حيفا كمقاعدة جديدة لها .

وقد أدت هذه التيارات الدولية إلى مجموعة من العوامل المتشابكة والمتداخلة انعكست جميعها على عام استطاعة بريطانيا حل المشكلة الفلسطينية كما أدى ضعف بريطانيا سياسيا واقتصاديا إلى دخول الولايات المتحدة - أقوى وأغنى دولة عرفها التاريخ بعد الحرب الثانية - كقوة جديدة كان لها الأثر البالغ والعميق في الصراع الدائر حول فلسطين وأدى ذلك إلى التراجع البريطاني إلى إحالة المشكلة برمتها إلى الأمم المتحدة وطلبت في ٢ أبريل ١٩٤٧ من السكرتير العام للأمم المتحدة إدراج مشكلة فلسطين في جدول أعمال الجمعية العامة. (١)

D/B, G·M·, The Arab Block in the United Nations (١)
International Educational publication House, Amsterdam,
1956 p. 36

كذلك انعكست مجموعة العوامل المتشابكة والمتداخلة في أعقاب الحرب العالمية الثانية على خشية بريطانيا الشديدة من الخطر السوفييتي فحينما وصل حزب العمال البريطاني إلى مقاعد الحكم عقب انتخاب مايو عام ١٩٤٥ شرع رئيس الوزراء آتلي (Attlee) في شهر أغسطس في دراسة مشكلة فلسطين مع وزير خارجيته بيغن وتحقق له أن الوعود التي قطعها حزبه من قبل في هذا الصدد خبط عشواء ، فإذا كان الخطر الألماني قد زال فإن الخطر السوفييتي قد جاء ليحل محله ، ذلك أن الاتحاد السوفييتي كان يمارس ضغوطا على تركيا وعلى إيران وكان من العسير مقاومتها لو أن العرب انضموا إلى معسكره وانحازوا إليه ، وما زاد من العنت الذي تواجهه الحكومة البريطانية في هذا الصدد ما بدا من الحكومة الأمريكية التي بعد أن تدخلت تدخلًا فعليًا في المشكلة الفلسطينية ظهرت وكأنها راغبة في الإفلات من المغامرات الشرقية تحت ضغط الرأي العام الأمريكي الذي راح يطالب بالعودة سريعًا إلى حالة السلم .

وفيما يلي بيان التطورات التي حدثت في سياسة الاتحاد السوفييتي حيال الشرق :

في عام ١٩٤٥ بدأ الاتحاد السوفييتي هجومه في الشرق الأوسط بعد أن عمل على إحداث تمرد في اليونان ، وفي شهر مارس ألغى السوفييت معاهدة الصداقة والحياد المعقودة بينهم وبين تركيا منذ عام ١٩٤٥ وأخذوا يتهمون تركيا بأنها تدور في الفلك الأمريكي وفي يونيو من نفس العام قدم السفير السوفييتي في تركيا (فينوجرادوف) مذكرة من حكومته لإعادة النظر وضع المضايق .

وبالنسبة لإيران فقد رفض السوفييت سحب قواتهم من إيران والتي كانت قد جاءت طبقًا للاتفاق المبرم عام ١٩٤١ بين كل من إنجلترا والسوفييت وإيران إلا أنه في مايو ١٩٤٦ تم سحب السوفييت لقواتهم نهائيًا من إيران واحتلت القوات الإيرانية المناطق التي انسحب منها السوفييت .

وبالنسبة للعرب ، فقد كانت الصورة السوفيتية عن العرب قد تكونت

منذ سنوات من عنصرين أساسيين : تبعية الحكومات العربية . الاستعمار الغربي وضعف الحركات الشعبية عموما واليسارية منها على وجه الخصوص ، (١) ومعنى هذا أنه لا حاضر العرب أو مستقبلهم القريب كان يساوى الكثير في الحسابات السوفيتية ، وزاد الأمر سوءا ما شاع خلال الحرب الثانية وقبلها عن مشاعر عربية موالية للمحور :

ورغم مشاعر الاحترام للاتحاد السوفيتي والاعجاب وخصوصا من أوساط المثقفين العرب بعد الحرب العالمية الثانية « نتيجة ارفع الحظر الغربي » عليه في العالم العربي بعد دخوله الحرب إلى جانب الحلفاء أولا ، ثم — وهذا هو الأهم — نتيجة للدور الذي لعبه في هزيمة ألمانيا في هذه الحرب (٢) وما أدى إليه ذلك من ازدياد لقوة الحركة الشيوعية في العالم العربي في هذه الفترة . كذلك رغم ازدياد المشاعر المعادية للغرب في نفس الفترة في المنطقة العربية إلا أن الصورة السوفيتية السالبة عن العرب لم تتغير ولو كان لروسيا السوفيتية أن تهتم بمستقبل الشرق الأوسط — على حد رأى أحد الدبلوماسيين السوفيت — فمن الواضح أن اليهود التقدميين في فلسطين يمثلون تشجيعا لنا أكبر بكثير من العرب المتخلفين الذين تحكمهم عصابات اقطاعية من الملوك والأفندية (٣) .

(١) الياس مرقص : تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، بيروت : دار الطليعة

١٩٦٤ ص ٣٩

ولنشوفسكي ، جورج : الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ترجمة جعفر خياط مراجعة د/ محمود الامين د/ ابراهيم أحمد السمرائي تصدير د/ حسن علي الذنوت بغداد : دار الكشاف بدون تاريخ اصدار ج ٢ ص ٥٨٤ .

(2) Laqueur, Walter Z,

Communism and Nationalism in middle east' London :

Routledg and Kegan paul, 1956 p. 112.

(3) Karammer, Soviet Motives in partition of palestine in : Journal of palestine Studies, Vol,II, no. 2 (Winter 1973)

وانظر مقالا في هذا الموضوع .

Middle East Journal July 1944 : Communist tactics in Palestine.

(م ٢ - مشكلة فلسطين)

وذلك بالرغم من ظهور عديد من الدراسات أظهرت نوعاً من التفاؤل
بإمكانات الحركة الثورية العربية (١) وإمكانات حقيقية للحركة العربية
وبالذات الجناح اليسارى فيها وأن نسب إلى هذه الحركة الفضل دائماً
في أية بادرة إيجابية في العالم العربى وهذا يفسر أن التأييد السوفيتى
في الأمم المتحدة لمطالب العرب المتعلقة بجلاء القوات البريطانية والفرنسية
عن أراضيهم كما ظهر في ١٩٤٦ - ١٩٤٧ قد صيغ أساساً في عبارات
تتحدث عن «النضال الشعبى» وتؤيده ، وأن هذا التأييد جاء أحياناً
بمبادرة من الاتحاد السوفيتى أى دون عرض رسمى من قبل الحكومات
العربية المعنية في الأمم المتحدة ، وعلى سبيل المثال فقد أثار جروميكو في
خطابه أمام مجلس الأمن بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٤٦ مسألة انسحاب القوات
البريطانية من مصر قبل أن تقرر الحكومة المصرية عرضاً رسمياً
على المجلس بقرابة عام ، واستشهد جروميكو في هذا الصدد بتصريحات
لحافظ رمضان وتقارير صحفية عن المظاهرات الشعبية ضد الاحتلال
البريطانى .

وتحدث جروميكو أيضاً عن وجود القوات البريطانية في العراق حيث
استشهد في هذا الشأن بإذاعة بغداد وبجريدة صوت الأهالى ثم دعا مجلس
الأمن إلى بحث هذه المسائل عموماً ونساءل : «هل من الممكن أن نبقى غير
مبالين بصوت الشعوب في هذه البلدان (١) ؟

وكذلك اشتد تنديد السوفييت بالجامعة العربية عقب إنشائها ووصفها
بأنها عملية بريطانية وجهة رجعية وأداة لمحاربة معركة التحرير

(1) Dagan 'Avigdor, Moscow and Jerusalem - Twenty years
of Relations between Israel and Soviet Union' New York :
Abe Lard-Schuman 1970 .

(1) From the speech by Soviet Representative A. A.
Gromyko at U . N . security council on Presence of Armed

الوطني في الشرق الأوسط ، وعموماً فقد كان أمراً طبيعياً من وجهة
نظر السوفييت أن تعمل أية صيغة للوحدة العربية في ظل الاستعمار
والتجزئة الاستعمارية لخدمة الأهداف الرجعية للاستعمار الأمريكي
والبريطاني (٢) .

forces of U.N. Member - States on Territories of other
countries september 23'1946' in : The U.S.S.R and the Middle
East Problems of Peace and Security, 1947-1971 (Documents
and other materials, Moscow : Novosti Press Agency Publishing
house 1973 PP 34-38 .

(2) Lequeur, Walter, The Struggle for the Middle East,
The Soviet Union and the Middle East London : Routledge
and Kegan Paul, 1969 PP 154-168.

راجع أيضاً : دراسة قيمة حول : سياسة إسرائيل الخارجية تجاه الاتحاد السوفيتي ١٨٤٨-
١٩٥٦ إعداد دكتور أحمد يوسف أحمد - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة
القاهرة ١٩٧٤ .

الفصل الأول

مواقف طرفي النزاع والدول الكبرى حتى ابريل ١٩٤٧
وردود الفعل

الموقف العربي :

الأوضاع السياسية في فلسطين :

وانعكاسها على الرأي العام العربي :

منذ اندلاع الثورة الوطنية في فلسطين سنة ١٩٣٨ أو على حد قول بعض المستشرقين (١) « اندلاع الحرب الأهلية » والسلطات البريطانية تقوم بتشتيت الزعماء العرب بنفيهم أو ترحيلهم أو جعلهم تحت الرقابة الدقيقة في فلسطين ومنعهم من القيام بأي نشاط سياسي ، ولم تبذل الحكومة البريطانية « دولة الانتداب » أي محاولة لمصادقة أولئك الفلسطينيين البارزين والفوز بتأييدهم الأمر الذي أدى إلى ازدياد كراهية السكان العرب للإنجليز وتعاطفهم المتزايد للألمان ، وقد أدى قيام الحرب الثانية وانشغال بريطانيا بها إلى تشديد قبضة الأحكام العرفية باتجاه السكان العرب وخصوصاً

(١) Rodinson, Maxime, Israel et le Refus Arabe, 75 Ans
d'histoire, Editions de sauil, paris 1968, p. 26

ومكسيم رودنسون كاتب فرنسي من أصل يهودي يهتم بقضايا الشرق الأوسط وقد أعلن مراراً عن رغبته في الالتزام بالموضوعية في دراسة المشكلة الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي دون التحيز لاسرائيل ، كذلك عرف عنه اشتراكه في ندوات عديدة من الشرق الأوسط حاول خلالها التقريب بين وجهات نظر كل من اليهود والعرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة وتتميز كتاباته بالطبع الفلسفي العميق المستند إلى الوثائق والأحداث التاريخية .

بعد أن عملت الصهيونية إبراز الحركة الوطنية العربية وكأنها حليف لألمانيا النازية .

واستمرت الصهيونية تضرب على هذه النغمة حتى بعد نهاية الحرب حيث كان مفت فلسطين الحاج أمين الحسيني قد فر من طهران إلى ألمانيا النازية عند بداية الحرب وصار يعمل هناك مع زعماء النازي ضد « الامبريالية البريطانية » (١) والذي يروى بعد مقابلة مع أدولف هتلر في ٢١ نوفمبر ١٩٤١ في مذكراته قول هتلر :

« أن خطط كفاحي واضحة وهي أولاً : أني أكافح اليهود بدون هوادة ويدخل في هذا الكفاح أما يقال له الوطن القومي اليهودي بفلسطين لأن اليهود إنما يريدون أن يؤسسوا دولة مركزية لأجل مقاصدهم التدميرية ونشاطهم الهدام ازاء دول العالم وشعوبه ... وسأستمر في كفاحي إلى أن تدمر الصهيونية الدولية تماماً ... وان ألمانيا ليس لها في البلاد العربية أي مطامع إلا القضاء على القوى التي تحمي الصهيونية (٢) .

كذلك أصدرت ألمانيا تصريحاً رسمياً في ٢٨ فبراير ١٩٤٢ بموافقتها مع إيطاليا على تقديم كل ما تستطيعانه من مساعدة للأقطار العربية ... الراححة تحت نير الإضطهاد البريطاني وأن تعترف بسيادتها واستغلالها وتوافق على وحدتها وعلى القضاء على الوطن اليهودي في فلسطين (٣) .

وقد كان العرب في تلك الفترة يميلون إلى التريت والأناة آمليين في البداية هزيمة الحلفاء التي قد تفتح أمامهم إمكانية التخلص من الوصاية الإنجليزية

Lenczawski, George, the Middle East in World Affairs, (١)
New York 1957 pp 272-273.

(٢) انظر مذكرات مفتي فلسطين : أخبار اليوم - القاهرة ١٢/٢٨/١٩٥٧ و يرجع في تفصيل ذلك إلى : الدكتور / محمد أنيس و الدكتور / السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث -- دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٣٥ - ٥٩١ .
(٣) المرجع السابق .

والفرنسية، وفشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد بريطانيا (لأبريل - مايو ١٩٤١) التي قامت نتيجة لعدة أسباب ومنها عدم رضا العراق عن سياسة إنجلترا العربية في فلسطين أكثر منها لحب العراقيين لدول المحور، وأدى ذلك إلى لجوء مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني الذي كان مشتركاً فيها إلى ألمانيا واشتراكه في الدعاية للنازية، وهذا ما جعل الصهيونية تستشهد بهذا المسلك حتى أن أحدهم ادعى أيضاً أن وزير الحربية المصري سلم خطة الدفاع عن مصر إلى إيطاليا سنة ١٩٤١ (١) وقد برر فريق من المؤرخين العرب المعاصرين (٢). موقف عرب فلسطين من الحرب الثانية بأنه لا يمثل اتجاه الرأي العام العربي وليس له أي أساس في تشابه أيديولوجي بين الوطنية العربية والنازية، ومن هنا حاولت بريطانيا استعادة الصداقة العربية، ففي مايو ١٩٤١ أعلن أنتوني إيدن تعاطف بريطانيا من أجل تحقيق الوحدة العربية وكانت بريطانيا تقدم مساعدات كبيرة من أجل القضاء على الإنتداب الفرنسي في لبنان (عام ١٩٤٣) وفي سوريا (عام ١٩٤٥) وكذلك من أجل التحرر الكامل لهذه الدول تحت رعاية بريطانيا وهو ماتم في ٢٢ مارس ١٩٤٥ بتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية، ولذلك ظلت بريطانيا هي القوة السائدة في المنطقة خلال هذه الفترة وكان من نتيجة ذلك أن خرج العرب من الحرب وقد افتقدوا زعامة محددة يلتفون حولها، ولعل هذا الوضع هو الذي ساعد على انتقال المشكلة الفلسطينية إلى أروقة الجامعة العربية بدل أن تستند على النضال المسلح من جانب الشعب الفلسطيني وفوق أرض فلسطين.

وقد شعرت بريطانيا قبل ذلك بتنظيمات العرب ورأت استحالة إهمال الرأي العام العربي، ومن هنا استحوذت المشكلة الفلسطينية باهتمام بريطانيا

(١) Sacher, Israel, Establishment of a State, London 1949, (١)

p. 21

(٢) الدكتور جلال يحيى، العالم العربي الحديث، الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين -

دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٦٧-٤٧٢

الدكتور صلاح العقاد، العرب والحرب العالمية الثانية، إصدار معهد البحوث والدراسات

العربية - القاهرة، ١٩٦٨ ص ١٢٣ - ١٤٢

حيث خشيت من أن تتأثر سياستها التي كانت في حاجة إلى تأمين الاستقرار في وجه حركة صاعدة من القومية العربية التي أخذ صوتها يزداد ارتفاعاً حيث دعت الدول العربية إلى عقد مؤتمر لندن منذ سنوات لبحث المشكلة الفلسطينية ، كما شغلت المشكلة المفكرين في الوحدة العربية :

أن حيوية القومية العربية في هذه الفترة ومطالبها في إنشاء دولة فلسطينية مستقلة قد أسئ تقديرها من جانب البريطانيين والصهيونيين على السواء ، والواقع أن كثيرين من الصهيونيين رأوا في الوجود البريطاني ذلك المحرك الرئيسي للقومية العربية ، فالدول المستقلة التي انبثقت في النهاية عن الانتدابات في الشرق العربي نظراً إليها الكثير من الصهيونيين على أنها تواف إلى حد كبير صنائع للدول الغربية لاسيما فرنسا وبريطانيا (١) وقد أيد بعض الساسة العرب في هذه الفترة التفسير القائل بأن القومية العربية كانت في الدرجة الأولى حركة مناوئة للاستعمار « وتأتى معادتها للصهيونية في المقام الثاني فقط » (٢) . وكان هؤلاء الساسة العرب الذين أسماهم البريطانيون بالسياسيين المعتدلين مثل نوري السعيد ، يرون في مشروع الحلال الخصب فعالاً وسيلة لحل المشكلة الفلسطينية حلاً وسطاً ، وأن إقامة دولة اتحادية كبيرة تشمل العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ولن تتأثر هذه الدولة بوجود أقلية يهودية داخل أراضيها حتى ولو تمتعت هذه الأقلية باستقلال ذاتي في إدارة شؤنها الداخلية ، إلا أن الرأي العام العربي آنئذ كان يتهم أصحاب مثل هذه

(١) تحدث أبا إيبان عن الاستقلال العربي معتبراً حدوثه قد جاء « أقل منه ثمرة » لتضحياتهم وجهودهم مما جاء نتيجة لتنفيذ الدول في حريين عالميتين « وذلك أمام معهد اللاهوت اليهودي بنيويورك في ٢٩ فبراير ١٩٥٢ : أنظر كتابه .

Eban, Abba, Voice of Israel, New York Horizon Press

1957. Weizmann, Chaim, 'Trail and Error: The

Autobiography of Chaim Weizmann, Philadelphia 1949, P 235.

(٢) جانيس تيري : سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية ، : في تهويد فلسطين إعداد وتحرير دكتور / إبراهيم أبو لغد ترجمة دكتور / أسعد مرزوق ، إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت .

الأراء بالخيانة العظمى (١) ويأبى إلا أن يحل المشكلة الفلسطينية حلا جذريا بقيام دولة عربية موحده في فلسطين وعدم الاعتراف بأى حق للمهاجرين اليهود ، اللهم إلا إمكانية استخدام لغتهم العبرية في التعليم وذلك على أساس تحديد عددهم بحيث لا يؤثر على كيان الدولة العربية .

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين - المرحلة الحرجة (١٩٤٥ - ١٩٥٦)
إصدار معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩ - ١١ .

أوضاع الأحزاب العربية في فلسطين في هذه الفترة :

انتقل زمام المبادرة في مشكلة فلسطين إلى خارج البلاد تاركا هوة تزايد بين الشعب ومركز السلطة السياسية والزعامات الحزبية الفلسطينية وكان مرد هذا إلى الحاج أمين الحسيني الذي اتجهت أنظاره - كما سبق أن أشرنا - صوب ألمانيا طلبا للمساعدة في محاولة مبدولة بقصد إزاحة التحديات - ومنها الزعامات السياسية للأحزاب الأخرى - من أمام توجيهه الشخصي لشئون فلسطين (١)، ولعل أهم الأحزاب العربية التي كانت موجودة في فلسطين حتى منتصف الثلاثينات (٢) هي الحزب العربي الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني وبرنامجه هو الاستقلال التام لفلسطين والاحتفاظ بصفتها العربية دون منازع ، ثم حزب الدفاع الوطني الذي تزعمه راغب النشاشيبي وهو يعطى الأولوية للقضايا الاجتماعية ويرى أن مقاومة السكان العرب للهجرة اليهودية هو سبب ضعفهم ، وقد تشكك الرأي العام لعرب فلسطين في تنفيذ هذا البرنامج بل وارتاب في أخلاقيات أعضائه نظر لآثارهم عن طريق السمسة في عمليات نقل الأراضي من الملكية العربية إلى اليهودية ، وانعكس الصراع الأسرى الاقطاعي بين زعماء الحزبين على المشكلة الفلسطينية فبينما كان حزب الاستقلال - الذي تزعم الحركة العربية في فلسطين بعد نفى أفراد أسرة الحسيني وزوال سطوة أفراد أسرة النشاشيبي - يطالب بتنفيذ الكتاب الأبيض تنفيذا كاملا كان الحزب العربي الفلسطيني (الحسيني) بعد أن قرر استرداد مافاته - مستخدما في ذلك طريق المزايدات - يطالب بالاستقلال داخل نطاق اتحاد عربي مع تصفية الوطن القومي اليهودي (٣)

(١) دكتور إبراهيم أبو لعد - تهويد فلسطين ، مراجع سابق ص ٤١ .

(٢) توحيد مؤلفات عربية كثيرة في ذلك ولكننا نرى أن من أفضلها كتاب

الدكتور جلال يحيى - العالم العربي الحديث - الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين - دار المعارف بمصر - مرجع سابق ص ٤٦٧ - ٤٨٦ حيث تعرض سيادته تفصيلا لفلسطين وتكالب كل من بريطانيا والصهيونية العالمية عليها .

(٣) Aleum, Jean pierrer Juifs et Arabes, 3000 Ans

d, historie, paris 1971 pp 350 - 540

ولما كان حزب الاستقلال هو الحزب الثالث في فلسطين آنذ يرأسه عوفى عبد الهادي وهو من أعوان فيصل الأول ، ولذلك كان يعتقد بأن إدماح فلسطين مع الأردن أو العراق من شأنه أن يحفظ لفلسطين عروبته ، وكانت الأحزاب (١) الأخرى أقل أهمية من الأحزاب الثلاثة السابقة ونذكر منها حزب الإصلاح ورئيسه / حسين الخالدي والكتلة الوطنية وقد أسسها محام من نابلس يدعى عبد الله لطيف ثم الشبيبة الوطنية وكانت برامج هذه الأحزاب متشابهة تقريبا وتضمنت مع الأحزاب الفلسطينية الأخرى (حزب الاستقلال العربي وحزب الدفاع الوطني والحزب العربي وحزب الإصلاح وحزب الكتلة الوطنية) تضمنت الأهداف ذاتها مع تأكيد الدعوة لمنع بيع الأراضي للصهيونيين (٢) :

وكان الأمر الحيوى هو التمزق الذى ساد بين الأحزاب الكبرى عن طريق القضاء على الخلافات الشخصية بين زعمائها وذلك لمواجهة اتساع الهجرة بعد قيام السارية في ألمانيا مما أشعر عرب فلسطين بمدى الخطورة التى تهدد كياناتهم والمثلث تغلبوا مؤقتاً على خلافاتهم وكونوا اللجنة العربية العليا (٣) بقيادة الحاج أمين الحسينى إلا أنها اصطدمت بسلطات الإنتداب أكثر مما اصطدمت مع المستعمرات اليهودية وكانت النتيجة هى فرار معظم الزعماء

= ويبالغ هذا المؤلف اليهودى - كزورح - في تمجيد اليهود ويهون من شأن العرب ويدافع باستمرار عن إسرائيل حتى أنه يبرز اعتداءاتهم المتحرره بأنها دفاع عن النفس .

Hure Weitz, The Struggle for Palestine, New Aork, (١)

1951 p, 2.

(٢) أنظر قرارات مؤتمر الشباب العربى الفلسطينى الثانى الذى عقد فى حيفا فى ١٠ مايو ١٩٣٥ فى كتاب مؤسسة ايسكو لفلسطين ، دراسة لسياسة اليهود والبريطانيين والعرب ، ١٣ نيويهاقين ، مطبعة جامعة بيل ١٩٤٨ ص ٤٣ ، بالإنجليزية وذلك فقللا عن : سقرى ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ، مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة ص ٣٤ - ٤٨ .

(٣) يرجع إلى دكتورو جلال يحيى ، العالم العربى الحديث ، الفترة الواقعة بين الحربين

العالميتين - مرجع سابق ص ٤٧٥ - ٤٨٠ .

الفلسطينيين خارج فلسطين ثم نوقف الحياة السياسية أثناء الحرب ، وحينما خفت القبضة عن العرب تجددت الخلافات مرة أخرى بينهم وآتهم الحسينيون حزب الاستقلال ورجال عوني عبد الهادي وأحمد حلمي باشا لأنهم قبلوا الكتاب الأبيض كحد أقصى للتنازلات .

إن الزعماء الفلسطينيين في هذه الفترة لم يستطيعوا ردع الأطماع الصهيونية عن طريق تعبئة الشعب الفلسطيني ، وإن هؤلاء الزعماء بالتالي يعتبرون مسئولين إلى حد ما عن ذلك التبع المضطرد من جانب الشعب الفلسطيني عن التسليم بالمصير الذي هيأته لهم الحركة الصهيونية .

ومن الانصاف لهذه الزعامات أن نذكر لها الدور الجوهرى الذى لعبته فى الحركة الوطنية العربية قبل الحرب العالمية الثانية عندما أداروا دفة العمل الوطنى فى بعض العواصم العربية (فى بغداد بالدرجة الأول وفى دمشق والقاهرة بدرجة أقل) ، وقد انعكس ذلك بالتالى على المشكلة الفلسطينية التى تعتبر السبب الرئيسى فى الحركات والثورات العربية القومية فى المنطقة العربية آنذاك ، ويذهب أحد المهتمين بدراسة المشكلة الفلسطينية (٢) إلى القول بأن تلك الثورات والحركات كانت انعكاسا مباشرا ونتيجة ضرورية لأحداث فلسطين .

الهيئة العربية العليا :

استرد أنصار الحاج أمين الحسينى زعامة الحركة الوطنية الفلسطينية بأحيائهم للحزب العربى الفلسطينى ومطالبتهم بالاستقلال داخل اتحاد عربى وقد تدخلت الجامعة العربية للتوفيق بين جميع الشخصيات المتطلعة للزعامة وأوفدت جميل مردم عام ١٩٤٥ للوساطة بينها ، وقد تمكن فى النهاية من تكوين هيئة موحدة عرفت باسم الهيئة العربية العليا من ١٢ عضوا تمثل مختلف

(١) الدكتور / أنيس صايغ ، فلسطين والقومية العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٦ . ص ٤٦ .

اتجاهات الرأى العام للشعب الفلسطينى ولكن الانقسام استمر ، والخلاف تفاقم حول اختيار رئيس الهيئة ، وهل يترك الاختيار للفلسطينيين ؟ ، وبالفعل تركت الجامعة العربية أمر اختيار رئيس الهيئة للفلسطينيين الذين لم يتفقوا على شخص معين ، ومن هنا قررت الجامعة العربية أن ترشح الهيئة عدة أسماء وتختار الجامعة أحدهم لرئاستها ، ومما يؤكد هذا الانقسام ترك منصب رئيس الهيئة العربية العليا شاغرا احتراما للحاج أمين الحسينى الذى كان ما يزال مختفياً فى أوروبا لاتهمه بالتعاون مع النازى .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية والأمم المتحدة بالهيئة العربية العليا كممثلة للشعب الفلسطينى إلا أن الحكومة البريطانية والمنظمة الدولية نظرتا إليها كطرف على قدم المساواة مع الوكالة اليهودية وذلك انطلاقاً من مبدأ خاطئ وضعه الإنتداب البريطانى وهو أن لليهود حقوقاً فى فلسطين مثل العرب ، وقد اقتضى هذا المطلق الوقوف موقف الحكم بين الطرفين وكأنهما على قدم المساواة ، ولعل ما يوجه من انتقادات لهذه الهيئة اتباعها سياسة المقاطعة والوقوف موقفاً سلبياً أمام الميجان الدولية - وهو ما سيتضح تفصيلاً فيما بعد - الأمر الذى أتاح لليهود فرصة أعظم لإظهار وجهة نظرهم ، «ومهما قيل فى انتقاد الهيئة العربية العليا فقد سدت فراغاً فى حينها» على حد قول أحد المؤرخين (١) المعاصرين .

جامعة الدول العربية ومشكلة فلسطين :

انتهت مشاورات الدول العربية بالتوقيع على بروتوكول الاسكندرية فى ٧ أكتوبر عام ١٩٤٤ ووقع عليه ممثلون عن الحكومات المصرية والعراقية

(١) الدكتور صلاح العقاد « قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) » مرجع سابق

والسعودية والسورية واللبنانية وقد أُلحق بهذا البروتوكول (١) قرار خاص
بفلسطين جاء فيه :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق
العرب لا يمكن أن تمس من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي » ،
وقد كانت أمنية منشئ الجامعة العربية أن يضم محيطها جميع العالم العربي ،
ولما كانت فلسطين حينئذ لا تستطيع بحكم مركزها السياسي أن تشترك رسمياً
كعضو فيها فقد رُوي أن يكون اتصالها بالجامعة عن طريق اشتراكها في
اللجان الخاصة .

وعندما نشأت الجامعة العربية جاء في الملحق الثاني للميثاق الذي وضع في
٢ مارس عام ١٩٤٥ (٢) :

« ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة في المجلس يندبى له أن يرعاها
وأن يعمل على تحقيقها ، فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة يعينها بوجه
خاص أن توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشتراك تلك البلاد في اللجان
المشار إليها في الميثاق بأن يذهب في التعاون معها إلى أبعد مدى » .

وهكذا استأثرت مشكلة فلسطين باهتمام الجامعة العربية منذ نشأتها
وانعكس ذلك على الملحق الخاص بفلسطين حيث اعتبرت فلسطين من الأقاليم
العربية التي لها حق الانضمام لجامعة الدول العربية بعد أن تصبح دولة مستقلة ،

ويرى أحد المؤرخين المعاصرين (٣) : « أن هذا الموقف من الدول

(١) ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية القاهرة
وزارة الإرشاد القومي - الهيئة العامة للاستعلامات - بدون تاريخ إصدار ، ج ١
ص ٧٥١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - دار المعارف
القاهرة ١٩٦٧ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

العربية التي دخلت الجامعة . يعتبر موقفنا صريحاً من ناحية القانون الدولي ، ولكن هذا الموقف القانوني لم يكن له من القوة المادية ما يسمح بفرضه على دولة الانتداب أو بفرضه على القوى المادية الموجودة داخل فلسطين نفسها في ذلك الوقت وكان المبدأ والقانون في حاجة إلى قوة لتدعيمه وذلك لمواجهة الصهيونية السياسية باعتبارها قوة توسعية مفرقة ١ وهو ما رآه فريق آخر (١) من المؤرخين .

لقد كان عمر المشكلة الفلسطينية عندما نشأت الجامعة العربية ثمانية وثلاثين عاماً وكان الاستعمار العالمي بقيادة بريطانيا قد عمل طوال تلك الإعوام على تطوير هذه المشكلة ووضع الوطن العربي عامة وفلسطين بشكل خاص في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الملائمة لتنفيذ مخطط إقامة الدولة الصهيونية في قلب الوطن العربي على أنقاض الشعب العربي الفلسطيني والتضياء على عروبة فلسطين ، ولم يكن أمام الجامعة العربية منذ اليوم الأول لقيامها الا أن تعطى اهتمامها لهذه القضية المصيرية فقد كانت الحرب العالمية الثانية في أيامها الأخيرة تقرب بسرعة من نهايتها وكانت زعامة الاستعمار العالمي بفعل هذه الحروب قد غدت للولايات المتحدة الامريكية صاحبة المصالح الهائلة في الوطن العربي ، وكانت الصهيونية العالمية بتخطيط مع القيادة الاستعمارية الجديدة قد بدأت في تفجير وتصعيد الصراع الدموي في فلسطين الأمر الذي أدى إلى انشغال الرأي العام العربي بالأحداث الخطيرة التي كانت بوادرها الدموية قد بدأت في الظهور والتفاقم ، وهكذا ولدت الجامعة العربية لتواجه منذ اللحظة الأولى مسئولية الحكومات العربية تجاه المشكلة الفلسطينية بما يعنيه ذلك من التصدي للقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية التي خرجت من الحرب الثانية أقوى وأغنى دولة عرفها التاريخ .

(1) Hitte, Philip : A History of Syria, Macmillan Company, New York, 1951 pp 300-354.

ولا بد أن نضع في الاعتبار كافة الظروف التي سادت الواقع العربي (١) الرسمي آنئذ عند تقييم دور الجامعة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية في هذه الفترة ، فمن جهة قامت الجامعة العربية أيام كان الوطن العربي كله تحت السيطرة الاستعمارية أو غير المباشرة ، ومن جهة أخرى لم تكن في الوطن العربي قوة نضالية قادرة على التأثير في سير الأحداث والارتفاع إلى مستواها المتطور بسرعة كبيرة ، ومن جهة ثالثة كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترمي بكل ثقلها لتنفيذ آخر مراحل السياسة الاستعمارية التي تولتها بريطانيا على مدى ثمانية وثلاثين عاما - قبل انشاء الجامعة العربية - لاقامة الدولة الصهيونية في فلسطين ، وفي هذا الواقع العربي والدولي - خاصة وأن جميع القوى العالمية كانت قد بدأت تلتقي على مبدأ إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين - أنشئت الجامعة العربية وتولت التصدي لأكبر وأبشع مؤامرة لا انسانية عرفها التاريخ تنفذها أقوى القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية بامكانات هائلة أكبر بكثير من طاقة الواقع العربي .

وقد احتوت الجامعة العربية الواقع العربي بكل مافيه ومثلت انعكاسا لهذا الواقع العربي الرسمي فلم تكن قوة تنفيذية ولم تتوافر لها الامكانات التنفيذية وبالتالي فلا يجوز تحميلها مسؤولية عدم تنفيذ أية قرارات أو توصيات اتخذت في نطاقها ، فهذه المسؤولية يتحملها الواقع العربي الرسمي ، ولقد حاولت الجامعة العربية بما تعنيه من اطار ومحتوى أن تكون في مستوى المشكلة الفلسطينية وقد كانت المشكلة الأولى (٢) التي واجهتها الجامعة العربية هي التوفيق بين مختلف الزعماء والأحزاب العربية في فلسطين حيث كانت هذه الانقسامات معروفة منذ الثلاثينات ، وكذلك التوفيق بين التنافس

(١) عوده بطرس عوده ، الجامعة العربية والقضية الفلسطينية أفي : المجلة المصرية للعلوم السياسية ، عدد خاص عن جامعة الدول العربية بمناسبة مرور ٢٥ عاما على انشائها - العدد ٦٧ يونيو ١٩٧٠ ص ١٤١ .

(٢) الدكتور / صلاح العفاد : قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ١٠ - ١٢ .

الواضح (١) بين القمادات العربية الهاشمية والسعودية والمصرية والسورية في وقت تكتلت فيه قوى اليهود ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية لها هزيمة العرب .

ويدعم أحد المؤرخين اليهود (٢) آراء فريق من المؤرخين العرب المعاصرين (٣) ، فيذكر « أن حالة التمزق في الوطن العربي كانت واضحة للغاية حينئذ حيث كان العالم العربي مسرحا لكثير من الأزمات والمنازعات والتمردات التي اعتملت في الأفق في كل مكان » . ورغم أن الظروف كانت ملائمة وتساعد على تقديم دفاع مفيد عن مشكلة فلسطين ورغم أنه قد أتيحت أمام كل من العراق ومصر وسوريا والعربية والسعودية ولبنان - وهم الذين أعلنوا الحرب على دول المحور - الأولى منها في سنة ١٩٤٣ والأنحريات في سنة ١٩٤٥ - رغم ذلك فقد أتيحت أمام هذه الدول الفرصة لاسماع صونها أثناء مفاوضات الصلح .

وبخصوص دور الجامعة العربية في المشكلة الفلسطينية آنئذ ، فقد كانت أقوى أداة سياسية أمكن للحرب الحصول عليها نذ أن تحرروا وقد تكررت بذلك عقب مارس عام ١٩٤٥ مجموعة من الدول الأعضاء في أعلى المنظمات الدولية وتولت الدفاع عن فلسطين بدلا من « الجاليات » (٤) الفلسطينية المحلية ولكن كان على تلك الدول أن تتفق فيما بينها على ما تدافع عنه ولم يكن هذا الاتفاق موجودا ، وكثرت الخلافات والمنازعات بين عرب فلسطين أنفسهم

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحدث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٤٠ - ٦٣ .

Aleum, op. cit, P 239.

(٢)

(٣) الدكتور / جلال يحيى - العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق

ص ٥٠ - ٦٣ .

الدكتور / صلاح العقاد : قضية فلسطين (المرحلة الحرة) مرجع سابق

ص ١١ - ١٢ .

Aleum op, cit. P 237.

(٤)

(م ٣ - مشكلة فلسطين)

في الوقت الذي كان فيه الإنجليز والأمريكيون يعملون ثم يخلفون ما وعدوا به ، فقد اقترح موسى العلمي مندوب الفلسطينيين لدى الجامعة العربية مشروعا مفيدا لحماية الأراضي العربية ضد المحاولات التي يبذلها اليهود لشراؤها ووافقت الجامعة العربية على الاقتراح و وعدت بتدبير الأموال اللازمة اوضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، وإذ فشل حزب الاستقلال في الحصول انفسه دون سواه على سلطة الإشراف على تنفيذ هذا المشروع ، بادر إلى سحب الوكالة التي كان قد أعطها لموسى العلمي وبذلك ترك الموضوع تماما .

كذلك فإن أشد الأعمال فعالية قامت بها الجامعة العربية هي مقاطعة المنتجات اليهودية اقتصاديا وقد بدأت هذه المقاطعة في شهر ديسمبر ١٩٤٥ لمحيلولة دون التهريب اليهودي إلى فلسطين تحت الانتداب حيث صدر قرار الجامعة العربية (١) في ٢ ديسمبر ١٩٤٥ بأنه « من غير المرغوب فيه أدخال المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين إلى بقية البلاد العربية خشية تحقيق الأهداف السياسية للصهيونية » .

ولعل أكبر ما حققته الجامعة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية في ذلك الحين أنها أعتبرت المسؤولية تجاه فلسطين هي مسؤولية الأمة العربية كلها وليست مسؤولية الشعب العربي الفلسطيني وحده - وتأكد ذلك عندما غدت الجامعة العربية طرفا أساسيا في المشكلة الفلسطينية فصارت منذ عام ١٩٤٥ تشارك في كافة النشاطات التي تقضيها تطورت المشكلة بإمكانات وظروف الواقع العربي ، بما عمله الواقع العربي من انقسامات بين القادة العرب الذين استقوا جميعاً المشكلة الفلسطينية لاهبور من مناقضاتهم .

وكان أول ما فعلته الجامعة العربية على نطاق الرأى العام العالمى

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - مرجع سابق ص ١٧١ - ٨١ حيث عرض سيادته عرضاً ممتازاً لدور الرأى العام العربى في إنشاء الجامعة العربية .

الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الأولى (١٩٥١ - ١٩٤٦) نشر الأمانة العامة للجامعة العربية - القاهرة ١٩٥٧ .

أتمها طرحت الموقف العربى أو بالأحرى موقف الحكومات العربية من مشكلة فلسطين على لجان التحقيق التى تشكلت بعد قيامها وكان أهمها لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية ولجنة التحقيق الدولية التى انبثقت عن الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٦ هذا بالإضافة إلى مشاركتها مؤتمر لندن فى ذلك العام الذى تقدمت فيه بريطانيا بمشروع موريسون الذى اقترح استقلالا لإقليميا لفلسطين على أن يودى إلى دولة ثنائية القومية أو إلى التقسيم وكان ما طرحته الجامعة العربية فى هذه المجالات يقوم على أساس التمسك بعروبة فلسطين ورفض أى مشروع يمكن أن يودى إلى إقامة دولة صهيونية فيها ، ولم يكن فى وسع الواقع العربى أن يفعل أكثر من ذلك لأن ترجمة هذا الموقف إلى عمل كانت تحتاج إلى واقع عربى آخر (١) .

وقد كان نقل الاهتمام بشئون فلسطين سياسيا إلى الجامعة العربية فيه لإنجاز سياسى على حد رأى أحد المؤرخين اليهود المعاصرين (٢) ولكن هذا الانجاز كان خياليا من نواحى عديدة أدى إلى أضعاف نشاط عرب فلسطين السياسى المستقل ، ويبدو أن الخسارة فى النهاية كانت أكثر من

(١) عوده بطرس عوده ، الجامعة العربية والقضية الفلسطينية فى : المجلة المصرية للعلوم السياسية - مرجع سابق ص ١٤٤ - ١٤٥ .
الدكتور / جلال يحيى / العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٤٦ .

(٢) وهو البروفيسر بن تسيون ديلور (دنيبورج) فى كتابه تايف الهاجاناه و سفير تولدوت هاهجاناه - تل أبيب عام عوفيد ١٩٧٣ القسم الثالث باللغة العبرية .
أنظر : مراجعات مجلة دراسات فلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت .
مارس ١٩٧٤ ص ١٥٠ - ٦ والبروفيسر بن تسيون دينور هو عديد قسم التاريخ اليهودى المعاصر فى الجامعة العبرية بالقدس سابقاً ومن واضعى المؤلفات العديدة فى مجال تخصصه وقد توفى فى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٤ ويعالج كتابه النشاط الصهيونى فى فلسطين منذ خطواته الأولى خلال الثلاث الأول من القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٩٤٨ ويقع القسم الثالث من الكتاب ضمن مجموعة من ٨ مجلدات تقع فى ٤٥٣٦ صفحة من القطع الكبير منها ٤٦٥ صفحة من المصادر والهامش .

الريح فنفى نفس الوقت الذى حدث فيه تطور حاسم داخل الحركة القومية اليهودية أدى إلى نقل مركز العمل السياسى من الحركة الصهيونية العالمية إلى اليسوف (المستوطنين اليهود) في فلسطين مما منحهم قدرة وحيوية لم يعرفوا مثلها خلال كل السنوات السابقة ، وحدث بين الجماهير العربية في فلسطين تطور عكسى فانتقل مركز نشاطهم السياسى واتخاذ القرارات السياسية الرئيسية بشأن الأماليب المستخدمة ضد الانتداب إلى هيئة سياسية موجودة خارج فلسطين (الجامعة العربية) ومما لا ريب فيه أن هذا التطور قد أعطى للفلسطينيين منفذا هاما كى تصل من خلاله آراؤهم إلى المجتمع الدولى والرأى العام العالمى ، لكنه لم يأت بشئ ملموس على صعيد تقوية المجتمع العربى الفلسطينى أو جعله أشد تماسكا حيث تميزت هذه السنوات الأخيرة من الانتداب بالتدويل التام لمشكلة فلسطين . فالفلسطينيون توجهوا صوب المجتمع الدولى عن طريق الجامعة العربية والصهيونيون سلكوا الطريق ذاتها عبر حكومة الولايات المتحدة (١) .

الجامعة العربية وتمثيل فلسطين فيها :

عند بداية أعمال اللجنة التحضيرية المنعقدة في الاسكندرية أثيرت مشكلة فلسطين وضرورة تمثيلها واشترك ممثلها في مجلس الجامعة وناشد عبد الرحمن عزام (٢) اللجنة ألا تقفل باب الأمل والرجاء في وجه العناصر العربية الأخرى غير المستقلة في الجامعة لأن هذا الميثاق يعمل لأمة آتية وأنه ليس هناك معنى

(١) أن دراسة ممتازة للنشاطات الدبلوماسية الصهيونية في الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية توجد في الكتاب التالى :

Stevens, S, Richard. American Zionism and U. S Foreign policy 1942 - 1947 New York 1962

(٢) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - مرجع شابق ص ١٤٩ - ١٥٠ .
محمود كامل المحامى : الدولة العربية الكبرى ، دار المعارف القاهرة ص ٥٦١ .

لحرمان ثلاثين مليوناً من هذه الشعوب من الاشتراك فيها ، واستقر الرأي على وضع نصوص خاصة بفلسطين . وكان اجتماع اللجنة التحضيرية في شكل مؤتمر جلسات علنية لتوقيع الميثاق في يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ :

وفي الاسكندرية تم اختيار موسى العلمي بواسطة جميع الأحزاب العربية في فلسطين للاشتراك في أعمال اللجنة باعتباره عضواً يمثل فلسطين وقد ألقى بياناً مطولاً في الجلسة السابقة يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٤ حيث اقترح في هذه الخطاب تأسيس صندوق قومي عربي تشترك فيه جميع البلدان العربية وتشرف على إدارته كى تصون للعرب أراضي فلسطين ، واقترح إرسال وفد يمثل جميع الدول العربية إلى لندن وواشنطن ووسكو لبيان أخطاء السياسة المزعم انتهاجها بشأن فلسطين وهى أما تقسيم فلسطين أو فتح باب الهجرة الواسعة أمام اليهود في حالة إبقاء فلسطين وحدة كاملة .

وقد وافقت اللجنة التحضيرية على اقتراح قدمه ينص على أن اللجنة ترى أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي (١) .

وبالطبع كان هذا كلاماً منمقاً ومجرد خطب وأحاديث ولكن عند نظر اللجنة في الأوضاع الفعلية نجد أنها قد أحالت موضوع الصندوق العربى لانقاذ أراضي فلسطين إلى أحد اللجان ، ولم ير هذا الاقتراح النور إلا قبل دخول القوات العربية فلسطين في سنة ١٩٤٨ مما أفقده قيمته وحقيقته .

أما اقتراح تأليف وفد عربى لشرح المشكلة الفلسطينية في الخارج فلم توافق عليه اللجنة بحجة « أن هذا ليس من المصلحة » وهكذا ظهر عدم فعاليتها أو قدرة الجامعة العربية على مواجهة المشكلة منذ البداية .

(١) أنظر الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الأولى (١٩١٥-١٩٤٦) نشر الأمانة العامة بجامعة الدول العربية - مرجع سابق .

وعند انعقاد اللجنة الفرعية الخاصة بوضع ميثاق جامعة الدول العربية بمحور موضوع دعوة موسى العلمي مندوب فلسطين لحضور اجتماعاتها وقد اعترف هنري فرعون مندوب لبنان على ذلك بأن وجود دولة غير مستقلة يدعي حجة مكونة الجامعة وأخيرا تم الرأي على دعوة موسى العلمي بحيث تكون له صفة استشارية فقط ولا يكون له حق التصويت لأن ذلك يترتب على التزام لا يستطيع تنفيذه ، ثم ناقش المجتمعون ماذا يقال بشأن الدعوة ، يطلق عليه مندوب فلسطين أو مندوب عرب فلسطين ؟ وأخيرا تقرر دعوة إلى حضور الاجتماعات بدون الإشارة إلى صفته وكان هذا الوضع هو أعلامات الميزة للجامعة العربية « فكثيرا ما تدفن رأسها في الرمال وتهرب مواجهة المشكلات بالتغاضى وأغماض العين عنها » ، ثم أثبت مشاء اشتراك مندوب فلسطين في مجلس الجامعة وقد اقترح عبد الرحمن عز في الجلسة الرابعة عشر اللجنة الفرعية في أول مارس ١٩٤٥ أن تطلب اللجنة الفرعية من اللجنة التحضيرية الاعتراف بحق فلسطين في الاشتراك في جوار الدول العربية على قدم المساواة مع الدول المستقلة ؛ على أنه لما كان فلسطين لأسباب قاهرة لم تمارس فعلا حقوقها في الاستقلال المعترف له طبقا للمادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وكان الاعتراف بهذا الحق مايز قائما من الناحية الشرعية . . لذلك تقترح اللجنة أن يتولى مجلس الجامعة اختيار مندوب عربى عن فلسطين لتمثيلها في مجلس الجامعة إلى أن يتمتع القطر بممارسة استقلاله ، وقد أخذت اللجنة التحضيرية بهذا الرأي وأفرد لفلسطين ملحقا خاصا (١) .

وعندما اجتمع مجلس الجامعة في ١٢ نوفمبر ١٩٤٦ ناقش موضوع الطر التي ينتخب بها العضو الذى يمثل فلسطين في مجلس الجامعة وموعد ان مدته وكيف تنهى ، فالحكومات العربية هي التي تمثل في المجلس وهي ال

(١) المرجع السابق .

تعيين ممثليها وتغيرهم، أما فلسطين فمركزه مختلف إذ سيعينه المجلس ولذلك يجب تحديد هذا المركز .

وتكونت لجنة من حافظ رمضان ونورى السعيد وعبد الرزاق السنهوري وحبيب أبو شهلا ومحمد الشريفي وعبد الرحمن عزام للبحث في موضوع تمثيل فلسطين في مجلس الجامعة . وقد اقترحت اللجنة ووافق المجلس على اقتراحها في ٤ ديسمبر ١٩٤٥ على أن تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد الفلسطينيين عن ثلاثة ويشترك الوفد في جميع أعمال المجلس . . ويكون مفهوما أن اشتراك الوفد الفلسطيني معناه أن يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الأمور التي يستطيع أن يلزم فلسطين بتنفيذها وطريقة اختيار المندوبين تتم بترشيحهم من قبل اللجنة العربية العليا ثم بتعيينهم من قبل مجلس الجامعة وإذا تعذر الترشيح يرد الأمر كله للمجلس ، وقد نوقش هذا القرار مرة أخرى في الجلسة الثانية لمجلس الجامعة التي عقدت في ٢٨ مارس ١٩٤٦ وانتهى الرأي إلى أن يكون تمثيل فلسطين في مجلس الجامعة بمندوب عربي واحد وأن لا يشترك إلا في المسائل الخاصة بفلسطين وقرر المجلس أنه يعهد إلى الأمانة العامة بوضع الأسس التي تراها مناسبة للتصويت .

موقف الصهيونية :

بدء الأرهااب :

رأى الصهيوينيون أن من واجبهم الاشتراك بقدر المستطاع في الكفاح ضد هتلر ، وقد لعب الكثيرون منهم دورا هاما في الجيش البريطاني في الشرق الأدنى ولكن ذلك لم يمنعهم من مواصلة احتجاجهم على الكتاب الأبيض الذي صدر في مايو ١٩٣٩ نظرا لما تضمنه من بقاء فلسطين تحت حكم بريطانيا ومناقشة فكرة الدستور خلال خمسة أعوام وأن حصول فلسطين على استقلالها سيتم خلال عشرة أعوام ومن الممكن أن يهاجر ٧٥٠٠٠ يهودي خلال الأعوام الخمسة التالية ثم تصبح الهجرة خاضعة لموافقة الأغلبية العربية كما نص على أن فلسطين لن تكون دولة عربية ولا دولة يهودية .

وفي الواقع سوف يبقى اليهود طبقا لهذا الكتاب في الدولة ذات القوميتين طبقا لأراء أحد المؤرخين الغربيين (١) - يتراوح في حدود ثلث المواطنين ، وبلغ غضب الصهيوينيين قمته لاسيا وأن مئات الألوف من المهاجرين اليهود اتجهوا بأنظارهم إلى فلسطين أثر اجتياح القوات الألمانية لأوربا مما جعل المهاجرين اليهود يزاولون الهجرة الخفية مستخدمين في ذلك الحيازات التي انتهت بالكوارث أحيانا مثل ما حدث عندما فرقت الباخرة شتروما في البحر الأسود الذي راح فيه ٧٦٨ غريقا حسب الرواية الصهيونية (٢) .

وخطى الصهيوينيون خطوات واسعة سريعة للامام في أعقاب الحرب وكان بينهم أقليات عاملة تنتمي للمجموعات اليمينية المتطرفة وقررت أن تبدأ العمليات الأرهاابية ضد بريطانيا التي كانوا يعتبرونها بمثابة دولة مستعمرة وكانت منظمة « آرجون » (٣) هي الأولى الرائدة في

(1) Rodinson, Op. cit, PP 27 -30.

(2) Aleum op, cit, pp 223 - 225.

(٣) منظمة آرجون هي منظمة عسكرية وطنية حسب مفهوم الصهيونية .

ميدان النشاط الإرهابي وهي المتفرعة من الحزب الذي انفصلت عنه مجموعة «اشترن» (١) ولم توافق هذه الأخيرة على الهدنة التي قررتها «آرجون» للانجليز في بداية الحرب ولكن المجموعة توقفت بموت زعيمها (أولا بالأصح إغتياله) .

واستؤنف القتال بصورة جدية في بداية عام ١٩٤٤ الذي استنكرته الوكالة اليهودية والهاجاناه ، وكانت الهاجاناه قد أدت بعض العمليات العسكرية الهامة إلى جانب الحلفاء خاصة في الحملة على سوريا ولبنان ، إذ قامت فرقة بقيادة موسى ديان بأعمال التجسس والاستطلاع قبل قيام الحملة في ٨ يونيو عام ١٩٤١ وكان ديان من المشاغبين للسلطات البريطانية قبل الحرب وقد اعتقل في عام ١٩٣٩ ثم أطلق سراحه مثل كثيرين من المشاغبين اليهود الذين أبدوا استعداداً لمحاربة الألمان كمرحلة فقط في سبيل بناء الدولة اليهودية .

وقد استنكرت الوكالة اليهودية أيضاً أعمال العنف من جانب المتطرفين في الآرجون والذين عبروا عنه بواسطة الحركات السرية ؛ وبذلك ساندت الوكالة اليهودية الرأي العام اليهودي الذي كان مستاءاً من رفض بريطانيا التصريح بحرية دخول يهود أوروبا الهاربين من الهتلرية إلى فلسطين الأمر الذي أكسب الوكالة اليهودية ميزات عدة وسيطرت العناصر المتطرفة ممثلة في يهود فلسطين والولايات المتحدة على الحركة الصهيونية حيث انتقل ثقل الصهيونية إلى الولايات المتحدة .

تحول الصهيونية إلى الولايات المتحدة :

حينما لم تف الحكومة البريطانية بوعدها للصهيانية بأنشاء القوة المقاتلة اليهودية حتى لا تغضب العرب في أواخر عام ١٩٤٠ وأوائل عام ١٩٤١ اندفع بن جوريون بناء على نصائح أصدقائه من البريطانيين وعلى رأسهم

(١) واسمها : المناضلين من أجل حرية اسرائيل حسب المفهوم الصهيوني .

أورد وينجيت للتوجه إلى الولايات المتحدة للاستعانة بالأمريكين في المطالبة بإنشاء القوة المقاتلة اليهودية (١) ، وقد عكف بن جوريون - باعتباره رئيساً للجنة التنفيذية الصهيونية - على وضع مخطط لنشاطة المقبل في الولايات المتحدة والذي أدى إلى ظهور ما يسمى «برنامج بلتيمور عام ١٩٤٢» كما سيأتى ذكر ذلك . وكان الهدف الأساسى للمخططة الصهيونية الجديدة هو «الإعداد لإقامة الدولة اليهودية» وفي اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ، شرح بن جوريون أبعاد المخطط الصهيونى فى سلسلة من الاجتماعات الحربية التى عقدها خلال شهر مارس ١٩٤١ وحدد خلالها عدة نقاط (٢) بارزة منها العمل على إقامة حكم يهودى فى فلسطين بواسطة تعبئة القوى اليهودية العالمية وخاصة فى بريطانيا والولايات المتحدة وتكوين الجيش اليهودى بإستغلال حالة الحرب تكون مهمة الأولى الدفاع عن فلسطين وتنظيم الهجرة بحيث يمكن نقل عدة ملايين من يهود أوروبا إلى فلسطين بعد الحرب وتحويل فلسطين إلى كومنولث يهودى (٣) وتفرغ فلسطين من سكانها العرب .

وقد حمل بن جوريون خطته وتوجه فى مستهل عام ١٩٤١ إلى الولايات المتحدة بدلا من بريطانيا ، إذ قدرت المنظمة الصهيونية أن بريطانيا لن تتمكن من الاحتفاظ بالانتداب بعد الحرب لأنها وإن كانت

Sykes Christopher, Order Wingat - London. Collins, (١)
1959 pp 222 - 234.

(٢) مذكرات بن جوريون «جوش أوبزرفر» عددى ١١ فبراير و ٦ مارس سنة ١٩٦٤ .

(٣) عرف بن جوريون كلمة «كومنولث يهودى» فى مذكراته بقوله :
«أن كلمة كومنولث الانجليزية تعنى جمهورية ويمكن استخدامها بالنسبة لدولة مستقلة ذات سيادة أو بالنسبة لدولة ضمن اتحاد فيدرالى يضم دول أخرى بل ويمكن أن نطلقها على ما يسميه البريطانيون «بملكيات» أن كل ما نريد هو تعريف يشمل هذه الاحتمالات الثلاث
«أنظر مذكرات بن جوريون - المرجع السابق .

ستخرج منحصرة إلا أنها ستخرج وقد أضعفها الصراع بما لا يمكنها من الاستمرار في القيام بأعباء الانتداب أو المناداة بمشروع التقسيم مرة أخرى ويقول بن جوريون :

« لم أعد أشك في أن مركز ثقل عملنا السياسي في حلبيه الصراع الدولي يجب أن يتحول من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي أمسكت بالزعامة الدولية بقوة ، وبها أقوى حشد لليهود خارج أرض فلسطين وأكثر اليهود نفوذاً : كما أن : غرب ستضعف من قوة أوروبا وبالتالي سيتوقف وجودها لسنوات كثيرة قادمة على المهونات الأمريكية الاقتصادية وبذلك يتحول أي قرار للمشكلة السياسية إلى الجانب الأمريكي الإيجابي النشاط في القتال وفي التسوية للسلام » (١) .

وقد جاءت الحرب العالمية الثانية لتوقف نشاط المؤتمرات العالمية التي كان يعقدها اليهود من حين لآخر لبحث موضوع الوطن القومي وحلت محل هذه المؤتمرات لجنة تنفيذية تخضع للعناصر المتطرفة ، وهذه اللجنة هي التي دعت في ذكرى مضي ربع قرن على وعد بلفور إلى مؤتمر بليتيمور التاريخي ، ونظراً لأهمية هذا المؤتمر في صياغة الأهداف النهائية للحركة الصهيونية واستقطابه للرأي العام اليهودي قبل نهاية الحرب فسوف نتعرض للظروف التي صدرت فيها قرارات هذا المؤتمر والتي أطلق عليها :

« برنامج بليتيمور » .

(١) شرح بن جوريون أبعاد هذا البرنامج في سلسلة الاجتماعات التالية :

١ - اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في ٩ مارس ١٩٤١ .

٢ - اجتماع حزب « يو على صهيون » في ١٧ مارس ١٩٤١ .

٣ - اجتماع اللجنة التنفيذية للمهاجرين الألمان في ٢٠ مارس ١٩٤١ .

أنظر في تفصيل ذلك : العسكرية الصهيونية - المجلد الأول (المؤسسة العسكرية الاسرائيلية) - النشأة والتطور - (١٨٧٧ - ١٩٧٧) إصدار مؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢٥ وبعدها .

وأنظر أيضاً :

Ben - Gurion, David: Israel Years of challenge N. Y. Holt, Rinehart Winston, 1963.

بورنامج بلتمور : Biltmore

في سنة ١٩٤١ جاءت الأنباء الأولى التي تواترت عن أعمال الاضطهاد التي يتعرض لها اليهود في ألمانيا حافزة للمسؤولين الصهيونيين بأن يتجهوا بتفكيرهم إلى النصر الذي سوف يحققه الحلفاء ، والذي لم يكن موضع شك لديهم قط ، لن يأتي بالحل النهائي للمشكلة اليهودية . وقد قوى الاعتقاد لدى الرأي العام اليهودي أن اليهود لن يكونوا في مأمن إلا داخل بلد يكون لهم وحدهم برمته ، يستطيعون في داخله أن ينظموا وسائل حمايتهم في ظل سلطان كامل ، وعلى ذلك لم يكن الوطن القومي بالشئ الذي يكفي لتحقيق هذا الغرض الملح دائماً كان لابد للأمة اليهودية من دولة يهودية وكان ذلك مجالا جديداً للتفكير فحتى هذه الفترة كان هناك فريق اليهود يطلق عليهم التعديليون هم وحدهم الذين طالبوا بإقامة الدولة اليهودية ، وكان هناك فريق آخر من غير الصهيونيين - فكانوا يعارضون هذا الاتجاه وكانت الغالبية من الصهيونيين على استعداد للاكتفاء بالوطن القومي ، ويؤكد بعض المؤرخين الغربيين (١) أن الاحتمالات التي أقامها مشروع التقسيم في عام ١٩٣٧ كانت قد أغرتهم بما فيها من آمال ولكن العدول عن مشروع التقسيم هذا لم يكن العامل الرئيسي فيما يضررونه من حقد على إنجلترا .

ففي نهاية عام ١٩٤١ صدر عن وايزمان تحديد صريح لما يطالب به الصهيونيون كان فيه الدليل على بدء التحول الذي حدث في الصهيونية فقد قال : (٢) :

« يجب أن يقال بوضوح للعرب أن اليهود سوف يلاقون كل تشجيع من أجل استقرارهم في فلسطين وأنهم سوف يتولون هم أنفسهم الرقابة على هجرتهم ، ويجب أن يقال لهم في وضوح أن من شاء من اليهود القدوم

(1) Aleum, op. cit, pp 225 - 227.

(2) Weizmann, chaim, Naissance d'Israel paris 1957.

إلى فلسطين سيكون فيها حراً وسيباشر الحكم فيها داخل دولة خاصة باليهود ولذلك ينتهى العهد الذى كان فيه اليهود أقلية خاضعين لمشيئة الأمم الأخرى .

وكان من شأن هذا التعريف الجديد للصهيونية أن يلقى التأييد والموافقة من قبل اليهود الغربيين وبينهم أغنى المصرفيين قاطبة بين يهود العالم ، وتمت هذه الموافقة وصدر هذا التأييد قبل عرض فكرة هذا التحول فى معنى الصهيونية على الجمعية العمومية فى القدس ، وكان هذا هو الغرض الذى من أجله اجتمعت « لجنة الطوارئ الأمريكية للشئون الصهيونية » وهى منبثقة عن الوكالة اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية وكان اجتماعها هذا فى مدينة نيويورك فى خلال شهر مايو عام ١٩٤٢ وتكون من الاجتماع مؤتمر صهيونى ضم ٦٠٠ عضو . وكانت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ممثلة فى هذا المؤتمر بشخص وايزمان وبن جوريون .

وأصدر المؤتمر قراراته (١) التى أطلق عليها « برنامج بلتيمور » ووجد المؤتمر أن الحل الكامل للمسألة اليهودية يتطلب نقل نسبة كبرى من يهود أوروبا ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بمنح الوطن القومى اليهودى استقلاله اللازم كدولة يهودية (٢) وتكليف الوكالة اليهودية بممارسة الرقابة على الهجرة اليهودية وأصبح بن جوريون بطل برنامج بلتيمور الذى أصدرت هيئة « القاعاد اليومى » (٣) موافقتها عليه فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأغلبية ٢١ صوتاً ضد أربعة أصوات ، ومن نافلة القول أن أحد الأصوات المعارضة وهو حايم كالفارىسكى رئيس مؤسسة الرابطة من أجل التقارب والتعاون بين اليهود والعرب ومن أنصار القومية المزدوجة . الذى يرى أفرادها إقامة دولة عربية صرح بقوله (٤) :

(١) أنظر النص الأصل فى : Zionist Review, May 25, 1942 .

(٢) أنظر : Cohen, Israel: A Short History of Zionism .

London Eredreich Muller 1957.

(٣) هيئة القاعاد اليومى هى الهيئة الحكومية اليهودية فى فلسطين .

« لو أننا خصصنا فقط جزءاً من الموارد التي اقتنيناها في السعي وراء الحصول على العطف من قبل الأمم والأفراد البعيدين عنا .. ووجهناه لكسب عطف الأمة العربية ... عن طريق إنشاء روابط اقتصادية وسياسية وأخلاقية وثقافية معها لكان وضعنا الحالي في كل من فلسطين وأوروبا غير ما هو عليه الآن »

كذلك فقد نشطت الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة فتأسس منذ عام ١٩٤٣ المجلس الصهيوني الأمريكي للطوارئ^(١) وكان يشمل جميع التنظيمات الصهيونية وتركزت وظيفة هذا المجلس على تنسيق العمل والجهود في كافة المجالات والعلاقات الأمريكية لصالح الحركة الصهيونية .

(1) Snetsinger John, Truman, The jewish Vote and the Creation of Israel, Hoover Institution studies "١٩" London 1974.

٤٧ إيجاد القوة العسكرية الصهيونية في فلسطين :

جاء تركيز الصهيونية - حتى قبل بداية الحرب العالمية الثانية - على ضرورة إنشاء « قوة مقاتلة يهودية » بصفة رسمية وبتأييد كامل من الحكومة البريطانية وقد توجه بن جوريون إلى إنجلترا في مايو ١٩٤٠ لمعاونة حاييم وايزمان في مساعاه « لإنشاء الجيش اليهودي » وما أن وصل إلى لندن حتى عكف على وضع خطة صهيونية اشتملت على نقاط أهمها :

١ - عدم تعرض القوات البريطانية في فلسطين لقوات الهجاناه السرية وإصدار التعليمات اللازمة بذلك .

٢ - الإسراع بإنشاء قوتين مقاتلتين من اليهود إحداهما من يهود فلسطين والأخرى من يهود الدياسبورا .

٣ - إنشاء مصنع للأسلحة في فلسطين .

٤ - إعداد مائتي يهودي فلسطيني (من الضباط وضباط الصف) ليشكلوا كادر القيادة للارم للجيش اليهودي (١) .

وفي ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية برئاسة ونستون تشرشل على إنشاء « القوة المقاتلة اليهودية » من عشرة آلاف رجل ، على أن يجند منهم ثلاثة أو أربعة آلاف رجل من يهود فلسطين « وفي هذا اليوم، صرح وايزمان (٢) :

« أنه ليوم عظيم ، لا يقل عن يوم وعد بلفور »

غير أن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها حتى لا تغضب العرب مما دفع بن جوريون بناء على نصائح أصدقائه من البريطانيين وعلى رأسهم أورد - وبينجيت ، أن يتوجه إلى الولايات المتحدة للاستعانة بالأمريكيين

(1) Cohen, Israel, A short History of Zionism, op, cit, The jewish chronicle, Friday, May, 15, 1942.

(2) Sykes, Christopher, Order Wingate, op. cit, pp 221-230.

في المطالبة بإنشاء القوة المقاتلة اليهودية (١) ويقول بن جوريون (٢) بهذا الخصوص :

« لم أعد أشك في أن مركز ثقل عملنا السياسي في حلبة الصراع الدولي يجب أن يتحول من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية . »
وقد أقر برنامج بلمور - كما سبق أن اشرنا - العمل على انشاء الجيش اليهودي ولم تتوقف جهود وايزمان - الذي بقي في لندن - المتابعة لتحقيق الأمل الصهيوني بإنشاء القوة اليهودية وبعد أشهر من المطالبة المستمرة بإنشاء قوة يهودية أعلنت الحكومة البريطانية في أغسطس ١٩٤٢ موافقتها ؛ إلا أن القيادة الصهيونية لم تقتنع بذلك وواصلت مسعاها لتشكل وحدات يهودية مقاتلة تشترك في العمليات الحربية حتى يمكن توفير الجيش الصهيوني النظامي المدرب والمطعم بالخبرة القتالية الواقعية ، وبعد مضي ثلاث سنوات من التسويف أعلنت الحكومة البريطانية في ١٩ سبتمبر ١٩٤٤ موافقتها على انشاء « لواء يهودي » للإشتراك في العمليات الحربية بعد أن اطمأنت على الموقف في الشرق الأوسط وانتهى القتال بهزيمة القوات الألمانية في شمال أفريقيا وضمعت الحاجة إلى تأييد الشعوب العربية .

ويعترف بن جوريون بفضل ونستون تشرشل فيقول : (٣)
« ان اقتراح لإنشاء جيش يهودي كان قد تأجل عدة مرات ، إلا أن حكومة تشرشل هي التي تبنته في النهاية ، وأشك في إمكان حدوث ذلك في ظل رئيس وزراء آخر غير تشرشل » .
وقد وقف تشرشل في مجلس العموم يدافع عن قراره بشأن إنشاء قوة يهودية محاربة تشارك في النصر الذي لاحت بوادره قائلا (٤) :

(1) Ibid p. 231.

(2) Ibid p. 235.

Ben Garion, David, Israel Years of challenge op, cit.

(3) Ben. Gurion, David, Looks back, in talks with Moshé Pearman. N.Y. Simon and Schuster, 1965.

(4) Cohen, Israel, A short History of Zionism, op. cit.

« لقد قررت حكومة صاحبة الجلالة أن توافق على الطلب الذي تقدمت به الوكالة اليهودية لإنشاء لواء يهودى يشترك فى القتال .. ويبدو لى أنه من المناسب أن تشكل وحدة يهودية خاصة تمثل ذلك الجنس الذى قاسى من اضطهادات النازى بلدرجة لا توصف ، وتكون كتشكيل متميز بين القوات التى حشدت لتحقيق النصر النهائى ، ولا يساورنى الشك فى أنهم لن يشتركوا فى هذا النضال فحسب ، ولكن كذلك فى احتلال أرض العدو فيما بعد » .

وتم تشكيل القوة اليهودية المعترف بها رسمياً التى ترفع العلم اليهودى ويضع أفرادها شريطاً من اللونين الأبيض والأزرق على أكتافهم يتوسطه درع داود ، كما عين البريجادير أرست بنيامين قائد اللواء اليهودى وقد اشترك هذا اللواء فى القتال على الجبهة الإيطالية وفى النمسا وبلجيكا .

وهكذا تم للقيادة الصهيونية ما أرادت حيث اعتبرت ذلك بمثابة مناسبة لتدريب الآلاف من شباننا (١) على حساب الامبراطورية البريطانية .

ثم لجأت القيادة الصهيونية إلى تنظيم عمليات التطوع موعزة للكثيرين من أعضاء الهاجاناه للقيام بذلك . ولقد ثبت فيما بعد أن هذه الخطوة كانت من الخطوات الهامة التى أقدمت عليها الصهيونية خلال الحرب ، إذ انضج بعد نهاية الحرب وتسريح الجيوش أن ٢٦٦٢٠ يهودياً فى فلسطين كانوا قد خدموا فى الجيش البريطانى أثناء الحرب (منهم ٤٨٦٧ جندياً فى سلاح المشاة و ٤٣٢٠ جندياً فى سلاح المهندسين ، ١٨٦٣ فى السلاح الجوى ، ١١٠٥ فى السلاح البحرى ، ٦٧٠ فى المدفعية) وذلك بالإضافة إلى ٨٠٠ شخص من تجندوا للفرقة اليهودية رأساً ، ستة آلاف من الخفراء (نوتريم) كانوا يعملون فى فلسطين . (٢) وبعبارة أخرى تم خلال الحرب تدريب ما يقارب

(١) بن - تسيون دينور ، تاريخ الهاجاناه فى مجلة دراسات فلسطينية العدد ٣١ مارس

١٩٧٤ مرجع سابق ص ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

(م ٤ - مشكلة فلسطين)

من ٣٠ ألف يهودى فى فلسطين على استعمال السلاح بكافة أنواعه بفضل تعاون الصهيوينيين مع بريطانيا ، ولقد كانت تلك القوى البشرية خير نواة للجيش الإسرائيلى الذى أقيم بعد حوالى السنتين من تسريح الدفعات الأخيرة من أولئك المجندين .

وعلى أرض فلسطين ذاتها استفادت الهاجاناه (١) من ظروف الحرب العالمية الثانية حيث نشأ تعاون أوثق بينها وبين السلطات العسكرية البريطانية كما سبق أن أشرنا - وفى نهاية الحرب كانت الهاجاناه لديها : (٢) .

١٠٠٧٣ بندتية عادية ، ١٩٠٠ بندتية أوتوماتيكية ، ١٨٦ مدفع رشاش و ٩٢٩ مدفع رشاش خفيف ، ٦٧٢ مدفع مورتر عيار بوصتين ، ٩٦ مدفع غيار ٣٠ بوصة .

وتذكر مصادر أخرى (٣) أن الهاجاناه قد دربت ستين ألف رجل على أحدث أساليب القتال لتكون نواة للجيش الإسرائيلى فيما بعد .

وعند نهاية الحرب طرح موضوع إعادة فتح باب الهجرة دون قيد إلى فلسطين ولما لم تستجب بريطانيا لهذا الطلب مال كثيرون من أعضاء الوكالة اليهودية إلى التعاون مع العناصر المتطرفة من التنظيمات العسكرية السرية لليهود

(١) الهاجاناه كلمة عبرية تعنى الدفاع وقد تحولت إلى منظمة عسكرية تتبع الوكالة اليهودية المعترف بها من بريطانيا ويقول بن جوريون أن نواتها الأولى نشأت فى العصر العثماني بقصد حماية المستعمرات الأولى من غارات البدو ثم اتسع شأنها حيث أصبح اليهود الروس يشكلون العنصر الفعال فى الهاجاناه وقد درب بن جوريون فى صفوف تلك المنظمة واشترك فى حملة الإنجليز لغزو فلسطين سنة ١٩١٧ وفى بداية عهد الانتداب سحبت السلطات البريطانية السلاح من أيدي الهاجاناه رمالبت أن ردت إليها مع مزيد من المعونات بسبب ثورات العرب المتكررة والتي ترجع إلى سنة ١٩٢١ . أنظر :

Ben Gurion, David : Israel Years of challenge, op, cit, p 195.

(2) Aleum, op. cit p. 227.

(٣) أنظر : أحمد بهاء الدين - إسرائيليات - دار الهلال - القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ١١٢ .

وهي أرجون زفاى ليومي واشترن ، ومما مهد لهذا التعاون تولى قائد جديد للهاجاناه يدعى سنيخ وكان ميالا لعصابة الأرجون (١) وهكذا عينت الوكالة في لجنة للتنسيق مسئول خاص للاتصال بتلك العصابات ، ويعترف ساشر الكاتب الصهيوني الذي وضع مؤلفاً عن قيام إسرائيل بأن سنيخ كان على علم بحادث تدمير فندق الملك داود بالقدس (٢) وهو مقر مكاتب الإدارة البريطانية في فلسطين ، وقد وقع الحادث في ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ - كما ستأتي الإشارة إليه - وتنص مكاتب الوكالة اليهودية من المسئولية .

وحقيقة الأمر (٣) أن الخلاف بين الهاجاناه وبين الأرجون لم يكن على حادث نسف الفندق بل على توقيته فأرادت الهاجاناه أن يتم التدمير وقت غياب الموظفين واستخدمت الأرجون بهذه الدعوة لأنها كانت واثقة من أن الهاجاناه تستر على أعمالها ، وعلى أي حال فإن الوكالة نفسها وافقت على مبدأ الاصطدام بالإنجليز منذ أكتوبر ١٩٤٥ ، وقد أحدثت هذه الأعمال كثيراً من الآثار التي توقعها الصهيونية وكانوا يهدفون - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - إلى تدعيم اشتراك الولايات المتحدة في المشكلة الفلسطينية ، وكانت الولايات المتحدة بالفعل قد ظهر اهتمامها بالمشكلة الفلسطينية لأسباب أخرى أيضاً لها حيويتها وهي البترول العربي والهجرة اليهودية وذلك بالإضافة إلى انتقال ثقل الصهيونية إليها .

(١) الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر - دار النهضة العربية ص ٥٥٩ - ٥٦٢ وقد كانت الأرجون هي المنظمة العسكرية الأولى في ميدان النشاط الإرهابي وهي المنفرغة عن الحزب الذي انفصلت عنه مجموعة أشترن « المناضلين من أجل حرية إسرائيل » كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المتن :
Rodinson, Maxime, op, cit. p 27.

(2) Sacher, Israel. Establishment of a State, London, 1940 p. 290.

(٣) الدكتور صلاح العقاد ، قصية فلسطين « المرحلة الحرجة » مرجع سابق ص ١٨ - ١٩ .

الدكتور جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع

سابق .

طبيعة الاستعمار الصهيوني في فلسطين

في الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٧ :

الضغط لفرض الدولة :

لم يتخل زعماء الحركة الصهيونية عن اعتقادهم بأن سياسة الدولة اليهودية المستقبلية لن تلق معارضة تستحق الذكر من جانب الشعوب العربية متى تم وضعها موضع التنفيذ بحزم ، فلا تزال حدود الانتداب في عرفهم تشمل فلسطين التاريخية على ضفتي الأردن : الشرقية والغربية ، لذلك كان مطالبهم الذي جاء في تصريح زعماء الحركة الصهيونية في يوليو ١٩٤٥ ما يلي :

« أن مطلبنا من بريطانيا هو أقدامها بالاشتراك مع الدول الكبرى على إعلان عزمها على الاعتراف بفلسطين الانتداب كدولة يهودية تحكم نفسها بنفسها - ويجب أن تقوم حكومة يهودية مؤقتة تتمتع بسلطات تخولها تنفيذ شتى الاجراءات التي تتيح المجال أمام إعلان الدولة اليهودية في أقرب فرصة ممكنة ٠٠٠ وتنظيم عملية نقل اليهود طوعا من أوروبا وغيرها إلى فلسطين » . (١)

كذلك كانت الوكالة اليهودية قد قدمت مذكرة لمؤتمر سان فرانسيسكو في مطلع مايو عام ١٩٤٥ ضمنها برنامجا من خمس نقاط يقصد « الحفاظ على الحقوق القومية اليهودية في فلسطين وعرض موقع المذكرة - حايم وايزمان - ضرورة اتخاذ الخطوات الخمس التالية لتحقيق غايات الانتداب وسد حاجات الشعب اليهودي :

أولا : أن تعلن الدول الكبرى في الحال قرارها القاضي بجعل فلسطين كومنولثا يهوديا حرا وديموقراطيا .

ثانيا ٠ أن تلغى بسرعة جميع القيود على الهجرة وبيع الأراضي وتوظيف اليهود بفلسطين .

ثالثا : أن تناط بالوكالة اليهودية سلطات للإشراف على الهجرة إلى فلسطين وبناء البلاد وتطوير الأراضي المتروكة .

رابعا: أن تمد الوكالة اليهودية بمساعدات مالية وفنية من الحكومات لكي تؤمن الهجرة اليهودية على نطاق واسع .

خامسا : أن تمنح الوكالة اليهودية حق الاستشارة والتمثيل في المحافل والهيئات الدولية شئنا ما متعلقة بفلسطين . (١)

وقد ظهرت بين اليهود في فلسطين في هذه الفترة اتجاهات متباينة اختلفت آراؤها حول مستقبل اليهود في فلسطين ، فقد كانت هناك جماعة حايم جالفيرسكى التى تعتنق الماركسية رسميا وجماعة هاشومير هاتساير والحارس الشاب اليسارية ، وكلتاهما تعتنقان فكرة دولة ثنائية في فلسطين تشترك في تأسيسها العناصر التقدمية من العرب واليهود ، ومما يدعو للدهشة أن فريقا من الكتاب الصهاينة يدعون أن هذا ، الأفكار لم يتسع نطاقها لأنها لم تجد أية استجابة لدى العرب ربما من قبيل التأثير والدعاية والظهور أمام الدولة الاشتراكية بمظهر المتسامح ، وقد خدع بعض الشيوعيين العرب فاستجابوا لهذه الفكرة وأعترضوا على الحرب ضد إسرائيل في ذلك الوقت ، كذلك ظهرت بين اليهود أحزاب دينية بعضها اتخذت من الدين منطلقا إلى المساومة واتهم الوكالة اليهودية بالإلحاد ، بينما كان الدين بالنسبة الآخرين دافعا إلى التعصب والتطرف ، وعلى أى حال فإن هذه الجماعات لم ترق إلى مركز القيادة في الحركة الصهيونية (٢) .

وكان يعقوب شمعونى (٣) أحد المستشرقين اليهود البارزين في نهاية

(١) The Jewish standar- May, 11, 1945.

(٢) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين « المرحلة الحرجة » مرجع سابق

ص ١٩ .

(٣) يعقوب شمعونى هو مؤلف كتاب « عرب فلسطين » - تل أبيب عام عوفيد ١٩٤٧ وقد

تولى رئاسة الدائرة العربية في الهاجاناه التى افتتحت عام ١٩٤٠ .

الثلاثينات وأوائل الأربعينات قد كلف بتأسيس أرشيف للمعلومات عن التركيب الاجتماعي المدن والقرى العربية في «فلسطين واستمر نشاطه في جمع المواد «ملفات القرى» وبعد ذلك كلفت وحدات الاستطلاع التابعة للمالماخ (١) بالاهتمام بالنواحي الطبوغرافية لتلك القرى (٢) وبالإضافة إلى ذلك أقيم أرشيف عربي منظم مع بطاقات جمعت فيه التفاصيل الشخصية عن الزعماء العرب القطريين والمحليين ، قادة العصابات ، المحرضين وما شابه ذلك ، كذلك فتحت ملفات مماثلة للمدن وتم القيام بأعمال استخبارات واسعة بشأن بعض الأشخاص الذين ظهر أنهم سيكونون زعماء المستقبل بما في ذلك جميع التفاصيل عن أماكن سكنهم وتسليحتهم وتحركاتهم وأماكن عملهم «وحتى طريقة الوصول إلى أماكن نومهم» (٣) .

ومع نهاية سنوات الحرب الثانية وصات الدائرة العربية بصورة أو بأخرى لأهم متطلبات (٤) الهاجاناه ، ثم ابتداء زعماء الصهيونية يوزعون نشاطهم بين العمل السياسي في الخارج الذي تولاه وايزمان وشرتوك (شاريت) والعمل العسكري في الداخل والخارج وقد تفرغ له بن جوريون تماماً (٥).

(١) المالماخ هي القوة الضاربة النظامية التابعة للهاجاناه وهي اختصار لعبارة بلوجوت ماسار ومعناها «فرقة الهجوم» وقد انشئت في عام ١٩٤٢ بموافقة البريطانيين في الفترة التي كان فيها روميل يتقدم في هجومه على مصر بغرض الحرب في مؤخرة العدو في حالة ما إذا احتل هذا العدو فلسطين وكان على جنود المالماخ أن يؤدي كل منهم مستين في الخدمة نصفها تحت السلاح والنصف الآخر في الزراعة وهي الصورة التي عليها الناحل في إسرائيل اليوم . أنظر

وانظر أيضاً
Perlmutter, Amos : Military and Politics
in Israel nations building, role expansion. London Frande Cass,
1969 p 33.

(٢) مجلة دراسات فلسطينية - العدد ٣١ - مرجع سابق ص ١٥٠-١٥٦

(٣) المرجع السابق .

(٤) بن تسبون دينور ، تاريخ الهاجاناه في : مجلة دراسات فلسطينية - العدد ٣١ -

مرجع سابق ص. ١٥-١٦

(٥) العسكرية الصهيونية - المجلد الأول (المؤسسة العسكرية الإسرائيلية) (النشأة والتطور

ومن كتائب البالمخ شكلت الوحدات التي قامت « باصطياد » أعضاء اتسل « المنظمة المناوئة للهاجاناه » وتسليم العديد منهم للسلطات البريطانية (١) ضمن ماعرف بخطة السترون « في أواخر عام ١٩٤٤ وأوائل عام ١٩٤٥ وذلك بعد أن فاق ارباب اتسل بقيادة مناحم بيجن الحد المسموح التي أسفرت عن أضعاف اتسل عسكرياً واقتصادياً بعد اعتقال العديد من أعضائها ومنع التبرعات عنها وكان من بين كتائب البالمخ أيضاً الوحدات التي شنت الهجوم عدة ممرات على القوات البريطانية في فلسطين ومرافقها الحيوية .

وتوجد عادة أدلة تشير إلى حدوث ثلاث عمليات من العنف الرئيسية وقعت في ٣١ أكتوبر ، ١ نوفمبر ١٩٤٥ - ٢٠ : ٢٥ فبراير ١٩٤٦ وقد اشتركت فيها المنظمات الشبه عسكرية الثلاثة ، والتي لم يؤد فقط إلى تدمير كبير . بل إلى خسارة في الأرواح (٢) واشتركت اتسل أيضاً فيها وهو مسمى « بحركة العصيان العبرى » التي نشطت بهدف العمل على حمل

١٨٨٧ - ١٩٧٧ ، إصدار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٧٢ ص ص ١٢٦ - ١٢٩ .

(١) بن تسيون دينور ، تاريخ الهاجاناه في مجلة دراسات فلسطينية - العدد ٣١ - مرجع سابق .

(٢) بيان اعلامي بشأن أعمال العنف رقم ٦٧٧٣ (- إصدار الحكومة البريطانية - وزارة المستعمرات بعنوان « فلسطين » يوليو ١٩٤٦ ص ٣ والادلة التي تستند اليها هي المصادر الثلاثة الآتية :

(١) سمعة بريات تيودل بين لندن والقدس في الفترة ما بين ١٣ سبتمبر ١٩٤٥ ، ٣ نوفمبر ١٩٤٥ وبرقية أخرى في ١٢ مايو ١٩٤٦ .

(ب) إذاعات متعددة لصوت اسرائيل « كول اسرائيل » في الفترة ما بين ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ ، ٢٣ يونيو ١٩٤٦ تشير إلى أعمال العنف والتخريب .

(ج) مملوحت في توارين منفردة من نشرة حماس (نشرة اشترن) وجودت (نشرة الارجون) وعشتاف (نشرة حركة المقاومة اليهودية) .

ويؤخذ من الوثائق السابقة ان ارتكاب جميع جرائم الإرهاب والإغتيالات التي سوف ير د ذكرها بالمتن كانت بالتواطؤ مع جميع التنظيمات الشبه عسكرية الشهوية حيث تدلنا أن از عماء الصيونييين كانوا يطلبون الحصول على تصريحات بارنكاب جرائم الإرهاب والإغتيالات

بريطانيا عنوة على تغيير سياستها تجاه المستوطنين اليهود في فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والاستجابة لطلبات الحركة الصهيونية ، وقد جاءت عملية العنف السابقة في الفترة من ٢٠ - ٢٥ فبراير ١٩٤٥ رداً على التصريح الثامن لـ ليفن حول شرقي الأردن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٧ يناير ١٩٤٦ حيث ثارت تأثرة الصهيوينيين « لسلخ (١) ذلك الجزء من فلسطين إلى الشرق من نهر الأردن » وجعله دولة مستقلة ذات سيادة ، فأعلنوا وقوفهم صفاً واحداً خلف الوكالة اليهودية في قيادتها لمعركة الكفاح في سبيل « الحقوق القومية اليهودية » ونقل القضية إلى الأمم المتحدة .

وكتب أحد المعلقين الصهيوينيين حول الناحية القانونية لمسألة فصل شرقي الأردن ليعلم أن السيد الأوحده على فلسطين التاريخية هو الشعب اليهودي بلامنازع ، واعتبر إنشاء شرقي الأردن كدولة مستقلة (٢) دون الحصول على موافقة الشعب اليهودي خرقاً للقانون الدولي .

بينما راحت صحيفة خلفاء جابوتنسكي تتحدث في افتتاحيتها عن أردنا Our Jordan مستخفة بدولة شرقي الأردن ومؤكدة أن وعد بلفور اعتبر نهر الأردن بمثابة « النهر الفلسطيني » وليس حدود دولة يرسمها البريطانيون لإرضاء رغبات أصدقائهم من العرب وناشد البروفيسور كلاوسنر (Klausner)

(1) The Jewish Standard, Friday, January, 25, 1946.

(٢) يذكر الدكتور / فيليب حتى أنه في سنة ١٩٢١ اقتطعت من فلسطين الإنتدابية المنطقة التي عرفت في التوراة بشرقي الأردن والتي لم تكن حتى آنذاك واقعا تاريخيا ، وولى عبدالله ابن الحسين أميراً عليها ثم نصب ملكاً سنة ١٩٤٦ وكان في ذلك الحين يهدد بالانتقام لأخيه فيصل إذ أزيل عن عرش سوريا بعد ولاية قصيره قبل أن يتسلم عرش العراق وقد كانت هذه الإمارة - على حد قوله - بمثابة دولة حاضرة ما بين منطقة الإنتداب البريطاني وربعه القبائل البدوية الدائرة .

أنظر تفصيلاً Hitti K. Philip, History of Syria, op, cit, p, 110 وكذا : Kohn, Hans : Nationalism and Imperialism in the Hither East, London 1932 pp. 162-164, 167-178.

اليهود أن لا ينسوا هذه الذممة الأثيمة وانضم حزب مزراحى والصهيونيون
العامون إلى المنظمة الصهيونية فى الموافقة على إتخاذ القرار التالى :

« أن الأمة اليهودية لن توافق مطلقاً على سلاح شرقى الأردن عن فلسطين
الذى تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية، ولا يستطيع أى تصريح
أن يغير من اعتقاد كل فرد يهودى بأن الأرض الواقعة شرقى نهر الأردن
تؤلف جزءاً لا يتجزأ من وطنه الأمم ودولة المستقبل » (١).

وجرى توزيع عشرات آلاف النسخ من قصيدة جابوتنسكى بعنوان
« شمال الأردن (Samal Hagardon) فقد تضافر الشعور الدينى وتناسى
الصهيونيون خلافاتهم فى سبيل الإعراب عن رفض اليهود أجمعين لفصل
« فلسطين الشرقية » عن جسد الأرض التى يطعمون بالامتلاء عليها تحت راية
مزاعم الثورة والتاريخ والتراث والوطن القومى اليهودى، وأخذت الصحافة
الصهيونية تتحدث صراحة عن « حركة المقاومة اليهودية » التى تتألف من
الهاجاناه والآرجون زفاى ليومى واشترنأ؛ فأندرت بريطانيا لكى تعتبر كل
يهودى فى فلسطين ينتمى إلى « حركة المقاومة » بينما كان الجنرال دارسى
قائد القوات البريطانية فى فلسطين يادى بالشهادة التالية (٢) أمام لجنة التحقيق
الانجليزية الأمريكية :

وفى حال خروج القوات البريطانية من البلاد سوف تتمكن الهاجاناه
التي يقدر عدد أفرادها بسبعين ألف جندي من اختلال فلسطين والحفاظ
على مكاسبها لثلاث سنوات دون الحصول على أية مساعدة خارجية وإذا
حصلت الهاجاناه على الدخيرة من الخارج ؛ استطاعت البقاء فى مراكزها
المحتلة إلى الأبد .

وكانت قوات البالماخ قد نفذت سلسلة من العمليات الارهابية

(1) The Jewish Standard, Friday, January 25, 1946.

(2) The Jewish Standard, Friday, January 25, 1946.

بالاشتراك مع الهاجاناه ، اشترن ، الأرجون وآخرها ما قامت به ليلية ١٦/٦/١٩٤٦ من نسف الجسور الرئيسية التي كانت بين فلسطين والدول المجاورة وخطوط السكك الحديدية والمطارات وشبكات الرادار هي العمليات التي أثارت حقن السلطات البريطانية ودفعتها إلى إتخاذ إجراءات مضادة فقامت يوم ٢٩/٦/١٩٤٦ وهو ما سمي فيها بعد « السبت الأسود » باعتقال زعماء الحركة اليهودية مع بعض الزعماء الآخرين من بين المستوطنين اليهود في فلسطين والزج بهم في السجن ، وقد كانت تلك الإجراءات سبباً في قيام فتسل بنسف فندق الملك داود في القدس حيث كانت المكاتب الرئيسية للحكومة الانتداب يوم ٢٢/٤/١٩٤٦ مما أسفر عن مقتل ٨٠ شخصاً (١) من كبار الموظفين وأصدرت عصابة الأرجون بياناً اعترفت فيه بمسؤوليتها عن الاعتداء .

وحاولت الوكالة اليهودية ومنظمتها العسكرية الهاجاناه التنصل من هذا العمل الإرهابي ، غير أن الحكومة البريطانية أعلنت اتهامها لعصابتها « الأرجون واشترن » بالتعاون مع الهاجاناه ، وأصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض عن الإرهاب الصهيوني في فلسطين باسم « تقرير اعلامي حول أعمال العنف » (٢) وقد تضمن هذا الكتاب من التفاصيل عن أعمال الإرهاب الصهيوني في فلسطين ، وقدم الأدلة القاطعة على التعاون الكامل بين جميع المنظمات الصهيونية واشتراكيها في أعمال العنف والتخريب في فلسطين ، وقد أيد منحهم بيجن رئيس عصابة الأرجون القول الذي ذهب إليه السلطات البريطانية في هذا الصدد :

وجاء حادث تدمير فندق الملك داود مذكراً بالنتائج الرهيبة التي يوشك أن ينتهي إليها الاستمرار في هذا الخلاف وأراد الانجليز الخروج من هذا الموقف فقرروا في نهاية (شهر يوليو) الأخذ باجراءين : من جهة أعلنوا التزامهم عقد مائدة مستديرة يدعون إليها ممثلي اليهود وعرب

(١) تخلف عن هذا الانفجار - طبقاً لمصادر أخرى - ١١٠ من القتلى ، أربعون من الجرحى

Aleum, op, cit, pp. 245-246

أنظر

(٢) بيان اعلامي بشأن أعمال العنف وقم ٦٨٧٣ - اصدار الحكومة البريطانية مرجع سابق

فلسطين والدول العربية ومن جهة أخرى أعلنوا مشروعاً جديداً من إعداد الخبراء الأمريكيين والإنجليز في لندن باسم « مشروع موريسون جرادى - كما سيأتى مناقشة ذلك تفصيلاً .

كذلك اتخذ الاستعمار الصهيونى فى فلسطين فى هذه الفترة إجراءات عديدة لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتشجيعها سواء الشرعية أو غير الشرعية ، واستمر تدفق الأفواج اليهودية على فلسطين سواء برضاها أو الانتداب وموافقتها أو بدون موافقتها وبدون رضاها (١) وقد قام اللواء اليهودى الذى حارب فى إيطاليا بتقديم معاونة فعالة إلى جميع المهاجرين اليهود من أوروبا وترحيابهم إلى فلسطين حتى بلغ عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال سنوات الحرب خمسين ألف يهودى ، وامتد التعاون بين القوات البريطانية والصهيونية فى فلسطين فشمّل عدة مجالات مدنية وعسكرية إذ استخدمت معامل الجامعة العربية وغيرها فى الأبحاث اللازمة للقوات البريطانية كما أنشئت الورش والمصانع اليهودية للإصلاح والتصنيع . وبذلك تكون السلطات البريطانية قد أسهمت ليس فقط فى تنمية القوة المسلحة الصهيونية وزيادتها عدة وعدداً ، بل أنها أتاحت الفرصة كذلك لتطوير وتنمية الإمكانيات الحربية الصهيونية فى مجالات الأبحاث العلمية والصناعات الكيماوية والاصلاحات العملية وغيرها من النواحي التى تعكس تأثيراً مباشراً على القوى العسكرية .

غير أن الحكومة البريطانية أعلنت فى أغسطس ١٩٤٦ أنها لن تسمح فى المستقبل بدخول المهاجرين الجدد ، وأنشأت فى قبرص معسكرات لجمع المهاجرين الذين يضبطون أثناء دخولهم فلسطين وقد واجهت الصهيونية ذلك فيما بعد بتحويلها هذه المعسكرات إلى مراكز لتدريب اليهود سرّاً على استخدام الأسلحة استعداداً للحرب المقبلة .

(1) Ben Gurion, David : Israel Years of challenge N. Y. Holt Rinehart Winston and Schuster p. 16,

وفي نفس الوقت دعت الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر لندن لمناقشة المشكلة كما سيأتي مناقشة ذلك - واشترطت اللجنة التنفيذية الصهيونية لخصور المؤتمر موافقة الحكومة البريطانية على دخول مائتي ألف مهاجر والسماح بمناقشة مشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين (١).

وفي أواخر سبتمبر عام ١٩٤٦ عقد المؤتمر مع مندوبي الدول العربية فقط ، ولكن العرب رفضوا مناقشة أى مشروعات خاصة بالهجرة أو التقسيم وتأجل الاجتماع حتى يوافق اليهود على حضور المؤتمر وينتهي الصراع الذى نشب بين فئات الرأى العام اليهودى فى المنظمة الصهيونية العالمية حول هذا الموضوع .

وقد قام هذا الصراع أساساً بين وايزمان الذى كان يدعو إلى التفاوض مع بريطانيا على أساس مشروع « بيل للتقسيم » وبن جوريون الذى كان ينادى بالاستيلاء على كل فلسطين منذ مؤتمر « بلتمور » وقد انتقل الصراع إلى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين الذى عقد فى بال (ديسمبر ١٩٤٦) حيث أعلن بن جوريون أن تخليص اليهود الألمان وإعادة اسكانهم فى فلسطين يتطلب هجرة غير مقيدة وهذه لن يضمها إلا دولة يهودية . كما هاجم وايزمان بقوله أن تغيير بريطانيا لسياساتها إنما يحرر وايزمان من أن يبقى سجين اعتداله وولائه لها . (٢)

ومع اشتداد الصراع ترك وايزمان المؤتمر ورفض أن يعود إلى رئاسة المنظمة ما لم يؤخذ برأيه ، وهكذا انفرد بن جوريون بالزعامة وفرض على المؤتمر رأيه بضرورة اعتبار الحرب هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الدولة . وعلى ذلك وافق المؤتمر على إنشاء منصب وزارى جديد للدفاع وتعيين بن جوريون فيه بالإضافة لرئاسته للجنة التنفيذية .

(1) Cohen Israel, A short History of Zionism, op. cit,

(2) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, London Arther Barker L.t.d., 1959 p 93.

وكان واجب بن جوريون الأول : العمل على انشاء الجيش اليهودى وتدعيم القدرة القتالية للهجاناه لاماكان مواجهة «التحدى الذى لا مفر منه» (١) وانتهى المؤتمر بإعلان برنامج يدعو إلى تكوين دولة يهودية فى فلسطين . وفى يناير ١٩٤٧ عاد مندوبو الدول العربية للإجتماع فى لندن—ورفض الصهيونيون حضور المؤتمر ، ولكنهم فى الوقت نفسه قاموا بمباحثات جانبية خارج المؤتمر مع الحكومة البريطانية، ومثل المنظمة بن جوريون ، كما مثل الحكومة البريطانية بيفن الذى عقد اقتراحا يعقد اتفاقية مدتها خمس سنوات يصدق عليها مجلس الوصايا فى الأمم المتحدة وسوف نتعرض لهذه النقاط تفصيلا فى موضع لاحق من هذه الدراسة إلا أنه يمكن تجاوزها فى النقاط التالية (٢) .

١ - إنشاء نظام للإدارة المحلية للمناطق العربية والمناطق اليهودية .

٢ - تكوين مجلس استشارى عربى يهودى يساعد المندوب السامى فى الإدارة .

٣ - السماح بالهجرة اليهودية بمعدل ٤٠٠٠ مهاجر شهرياً لمدة سنتين (أى ٩٦ ألف مهاجر على أن يتفق العرب واليهود فيما بينهم على مبدأ الهجرة خلال هذه المدة .

٤ - التمهيد لإنشاء دولة فلسطينية ثنائية مستقلة .

وقد رفض الرأى العام العربى هذه الاقتراحات كما رفضها اليهود وأصر العرب على اعلان استقلال فلسطين وإيقاف الهجرة اليهودية واتخاذ تدابير حماية الأراضى العربية ، أما اليهود فقد تمسكوا بالدولة اليهودية وازاء ذلك أعلنت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٤٧ أنها قد اتخذت قراراً نهائياً بعرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة .

(1) Ben, Gurion. David, Israel Years of Challenge, op. cit. p 21.

(2) Jewih Standard, March 15, 1946.

وهكذا جاء عام ١٩٤٧ ليشهد تضافر الجهود الصهيونية ووقوفها صفها واحداً في سبيل تحقيق حلم هرتزل ونوردو ونقل تعاليم جابوتنسكى إلى صعيد الواقع العملي وجمعت بين الصهيونيين على اختلاف فئاتهم « وحدة الكفاح » في سبيل نصره الصهيونية وعادوا إلى حظيرة المؤتمر الصهيونى وفى نيتهم تحويله إلى « برلمان للشعب اليهودى سجرى انتخاب أعضائه ديمقراطياً بالتصويت العام والحر لجميع اليهود الراغبين فى ذلك (١) »

وهكذا تميزت هذه السنوات خصوصاً من فترة الانتداب باصرار ثابت من المنظمة الصهيونية على متابعة السعى فى سبيل الوطن القومى اليهودى وفرض الدولة اليهودية المستقبلية . .

(١) سوف نتعرض لهذه النقاط تفصيلاً عند التعرض للمرحلة الثانية من مؤتمر لندن وذلك لتوضيح استئناف مؤتمر لندن وظروف فشله وانفضاضة ثم ردود فعله.

الصهيونية ونخبة اليهود المشردين :

أدلى زعماء الحركة الصهيونية في يوليو ١٩٤٥ بتصريح رسمي يتضمن قواعد السياسة التي قرروا المضي بها حتى النهاية ومن جملة مطالبهم التي كانت منظمة الآرجون أداة تنفيذها على الصعيد العسكري والارهابي : السعي لحمل بريطانيا على إحداث تغيير كلي في سياستها الكبرى نحو الصهيونية ، كى لا تسو العلاقات البريطانية-اليهودية وتختفى آثار الماراة من النفوس ، تحذير الدول الكبرى الثلاث من عاقبة ترك مشكلة التشرّد اليهودى بلا حل دائم ودعوة بريطانيا لاستخدام نفوذها في « العالم العربى المزعوم » وتنفيذ سياسة إقامة الدولة اليهودية بفلسطين بغض النظر عن « خرافة المعارضة العربية » (١).

وقد اتجهت الحركة الصهيونية في أعقاب الحرب إلى طلب فتح باب الهجرة دون قيد وأعطت للملك الأولوية على طلب إنهاء الانتداب البريطانى لأن خططها هى إيجاد مبرر للمطالبة بقسم أكبر من فلسطين أو كلها باعتبار أن اليهود سيصبحون في وقت ما أغلبية واتخذوا من وجود بعض اللاجئين اليهود في أوروبا نتيجة للحكم النازى مبررا لهذا المطلب وبالغوا في تقرير عدم هؤلاء المشردين فادعوا أنه يصل إلى ستة ملايين بينما لم يزد في حقيقة الأمر عن مليون وربع.

واتخذت الحركة الصهيونية من جرائم هتار ضد اليهود ذريعة لكسب عطف الرأى العام العالمى تجاه « المشكلة اليهودية في أوروبا » خصوصا وأن « دولة هتلر وهملر وهيدر نج قد أجهزت على ملايين اليهود وأذاقوهم الموت جوعا وعطشا وأطلقوا عليهم المدافع الرشاشة وقتلوا بفعل الطلقات النارية وبالنخق والغاز وأشعلت فيهم النيران » على حد قول أحد المسؤولين الصهيونيين المعاصرين (٢).

(١) The Jewish Standard, July 20, 1945.

(٢) Andics, Hellmut : Histoire de L'Antisémitisme.

ويعتبر هذا الكتاب أحد صور الوسائل الدعائية الصهيونية التى تستهدف عطف الرأى العام العالمى على المنصر اليهودى بصفة عامة وقد حرص المؤلف هلموت أندكس أن يضمهم =

الا أنه في مطلع عام ١٩٤٦ كشف الجنرال السير فردريك مورجان رئيس منظمة الامم المتحدة لآغاثة اللاجئين النقيب عن «عصابة يهودية سرية» تمارس شتى النشاطات الارهابية لحمل اليهود البولنديين على الهرب بصورة جماعية إلى منطقة الاحتلال الأمريكي في ألمانيا وأكد أن مظهر الذين يعبرون الحدود والمال الذي يحملونه لا يدل على ترحيل أو طرد بل يؤكد أن الدافع لمغادرة بولونيه يرجع إلى منظمة سرية تعمل على اخراج اليهود من أوروبا وتهجيرهم إلى فلسطين (١) .

وبالرغم من هذه الشهادة الرسمية التي تهلم أسس ادعاءات الصهيونية حول اليهود المشردين لكسب عطف الرأي العام العالمي ، الا أن قصة اليهود المشردين ظلت هي النغمة المفضلة للصهاينة ، وكلمة فكر أحد من رجال الاعلام الغربيين في تقرير هذه الحقيقة كانت تثار حوله ضجة من الاتهامات كما حدث لمراسل اسوشيتد برس الذي حاول أن ينفى نغمته التشريد ، فاذا به يتهم بالنازية

كذلك فقد ذكر أحد أصدقاء اليهود - جارسيا جرانادوس - (٢) . رئيس لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والذي عمل كثيراً من أجل إصدار قرار التقسيم - ذكر أن اليهود الذين تدفقوا من شرق أوروبا إلى المناطق التي احتلها الحلفاء الغربيون في ألمانيا كانوا يرتدون ملابس أنيقة ويحملون معهم ما أمكن حمله من الثروات المنقولة وفيهم كثيرون من مقاولي رومانيا الذين

= من مواقف عديدة عن مدى ما تحمله الشعب اليهودي من اضطهاد . ومنها تلك العبارة التي اقتبسناها في المتن - كذلك فهو يستهدف تأييد العقيدة الصهيونية باعتبارها مخرجاً لحل المشكلة اليهودية في أوروبا في ضوء تكرار صورة اليهودي الذي ظل مكروهاً من مواطنيه على مر العصور وإدارته إلى أن ذلك اليهودي لم يشعر في أي مكان وجد فيه باحساس وطني وينتهي الباحث المذكور إلى القول بضرورة وضع حد لما تقضى اليه ما أملاه بمعاداة السامية الحديثة من نتائج مروعة مما يستدعي إنشاء دولة يتجمع فيها يهود المضي من جميع أنحاء العالم على أرض فلسطين باعتبارها أرض الميعاد .

(1) The Jewish Standard, January 4 : 1946.

(2) Granddos, Gracia : The Establishment of Israel, New York, 1948 pp. 225-226.

نزحوا فراراً من الزحف الشيوعي خوفاً على ثرواتهم ، وإذن لم يكن هؤلاء من ضحايا النازية ، بل أنهم يمثلون الطبقة البورجوازية التي كانت تستغل أوروبا الشرقية وكان فرارها بسبب الخوف على ثروتها من الأنظمة الاشتراكية التي أقيمت هناك .

وهنا يتسائل أحد المؤرخين العرب المعاصرين (١) : هل كان هؤلاء اليهود الذين انتقلوا من أوروبا الشرقية الاشتراكية إلى أوروبا الغربية الرأسمالية يريدون حقاً الهجرة إلى فلسطين ، لقد كان لدى الكثيرين منهم أمنية الهجرة إلى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية حيث يوجد مجال أوسع لاستثمار الأموال ولكن بنى دينهم في تلك الأقطار خشوا من أن يزداد عدد المهاجرين اليهود فيثير عليهم مخطط البلاد التي يقيمون فيها ، والمالك ارتبطت مصالح يهود الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية بالحركة الصهيونية ،

ومن جهة أخرى نشأت في أوروبا الغربية نفسها حكومات جديدة على أنقاض النازيين شارك بعض اليهود في تشكيلها ، وتهيأ الجو لكي يعيشوا فيها عيشة رغدة لاشك أن اقتصاديات أوروبا أقدر على امتصاص هذا العدد البسيط من فلسطين ، غير أن بن جوريون يبرز العامل القومي فيدعى بأن المسألة لا تتعلق بعوامل اقتصادية بل بمبدأ قومي ، فاليهود يريدون الهجرة إلى فلسطين لأنهم يرون فيها وطنهم القومي (٢) بحكم العوامل التاريخية والدينية ولا حاجة إلى البحث في صحة أو خطأ تقرير لودرميلك ، واحتج بن جوريون لجرد أن اللجنة الانجليزية الأمر بكية - كما سيأتي مناقشة ذلك - تخير اليهود بين فلسطين وبين غيرها من الأقطار حينما توجه إليهم أسئلة التحقيق .

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٢٠

Ben-Gurion, David, Rebirth and Densting of Israel (٢)
New York 1954 pp 141-143.

وهكذا استغلّت الصهيونية فترة الحكم النازي استغلالاً بشعاً واستندوا على المجازر التي ارتكبت ضد اليهود في ألمانيا في سبيل كسب عطف الرأى العام العالمى وتأبيده في هجرة اليهود إلى فلسطين .

أنه لمأساة من مآسى البشرية ووصمة عار في تاريخها أن يصار إلى تصحيح الظلم بظلم أكبر ورفع الاضطهاد باضطهاد شعب آخر خاصة وأن هذا شعب لم يكن أبداً طرفاً في اضطهاد إنسان لا بسبب دينه ولا عرقه ولا لونه .

لقد كانت قضية الاضطهاد واليهود المشردين أوربية بحته ولقرط الأسى أن الشعب الفلسطينى هو الذى دفع ثمن هذا الاضطهاد . . . وكان الثمن غالياً حقاً .

مواقف الدول الكبرى

١ - موقف بريطانيا

التخلص من تحمل مسؤولية المشاركة الفلسطينية :

ما أن لاحظت بشائر انتهاء الحرب العالمية الثانية في أفق الشعوب الممكن المتحاربة حتى أصبح واضحاً في نظر الجميع أن حل مشكلة فلسطين لم يعد من الممكن أن يجاوزه طويلاً بعد حلول السلم وكان مقدراً لهذا السلم أن يصطحب باقرار المبادئ التحررية ، وأن يؤدي تبعاً لذلك إلى بلوغ الشعوب الموضوعه تحت الوصاية سن الرشد ، ولم يعد من المتصور إمكان استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين ونتج عن ذلك على حد قول أحد المؤرخين الغربيين (١) « هبوب دوامة سياسية تلاطمت فيها طوال فترة أربع سنوات المناورات والمحاولات والمناقشات والبيانات من قبل أطراف أربعة متقابلة هم اليهود والعرب والإنجليز ثم فريق القادمين الجدد على مسرح الأحداث الفلسطينية وهم الأمريكيون » .

أن تاريخ هذه الفترة من مشكلة فلسطين هو تاريخ معقد أشد التعقيد حيث الطابع المميز لها هو العنف المنظم من قبل اليهود والحلافات المتواترة في صفوف العرب وحالات التردد والتحول المتكررة من جانب الإنجليز والأمريكيين .

ومن المفيد أن نذكر أن إنجلترا قد عمدت عندما اقترب وقوع الحرب إلى التخلي عن مشروع التقسيم وإلى إصدار الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ وكان هدفها من ذلك هو الحرص على أن ترضى العرب ، أما في عام ١٩٤٣ فقد كانت الحرب في حكم المكسوبة عملاً وأصبحت معاونة العرب (٢) لإنجلترا أمراً لا تدعو إليه حاجة ، عندئذ عادت إنجلترا إلى مشروع التقسيم ،

Aleum, op. cit. pp. 220-231.

(1)

Monroe Elizabeth, Britain's in the Middle East 1914-

(2)

1956 chatto and Windus, London 1963 p 178.

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ بينما كان الأرهاط يسود أرجاء فلسطين ، قام تشرشل بإبلاغ وايزمان قرار حكومته بمنح اليهود السيادة الكاملة على جزء من فلسطين .

وفي شهر إبريل عام ١٩٤٤ ، اتخذ المجلس التنفيذي لحزب العمال قرارا صدار تأييده من قبل مؤتمر بلاكبول ؛ ما كان ليصدر خيرا منه لو أن أشد الصهيونيين تطرفا أرادوا اتخاذ قرار ، فقد جاء فيه ما يأتي : (١)

« رغبة في تحقيق استعمار مستقر في فلسطين ، نرى واجبا علينا أن نوصى بوضع اتفاق دائم ينص فيه على هجرة السكان وأن نشجع ذهاب العرب وقنوم اليهود ، ويجب تعويض العرب تعويضا واسعا ثم توجيههم بعناية وتحويل استقرارهم في أماكن أخرى تحويلا سخييا ؛ أن لدى العرب مساحات واسعة من الأرض ويجب عليهم ألا يطلبوا طرد اليهود من تلك المنطقة التي تقل مساحتها عن مساحة ويلز (مقاطعة إنجليزية) ، بل ويجب في الحقيقة النظر مرة أخرى في إمكان توسيع الحدود الفلسطينية عن طريق الاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن »

أما المذكرة التي قدمتها الوكالة اليهودية في شهر أكتوبر عام ١٩٤٤ فلم تبلغ مثل هذا الحد من الطموح وإنما اقتصرت على المطالبة بفلسطين وحدها وإذا كان قد ورد فيها ذكر لعملية إجلاء العرب عن مواطنهم فقد جاء ذلك في حذر شديد وتحفظ إذ قالت المذكرة في شأن ذلك : (٢)

« لن يترتب على تنفيذ المشروع اليهودي حرمان العرب من المكان الذي هو حق لهم لأنهم يمتلكون الآن عددا من الدول التي بها ثروات ضخمة لم تمس بعد »

أما عن الهيئة الحكومية اليهودية - اليشوف - فقد بدا عليها الحرج

Ben-Gurion, David, Israel Years of Challenge, op. (١)
cit, pp. 16-17.

Aleum, op. cit. pp 228-229.

(٢)

الشديد من جراء الإعلان المغالى فيه الذى أصدره حزب العمال ، حتى أن بن جوريون رأى من الضرورى الإفصاح عن أن الخططات اليهودية لا تتضمن إجلاء عربى واحد من مكانه ، وأن كان قد أضاف إلى ذلك فى الحقيقة قوله : (١)

« أما إذا شاء العرب أن يهاجروا فهذا من شأنهم »

وفى أثناء الحملة الانتخابية التى جرت فى شهر مايو عام ١٩٤٥ عاد حزب العمال يؤكد موقفه الموالى لليهود والذى سبق أن أفصحوا عنه العام الماضى ، وبذا صار حزب العمال أكثر تحيزا للصهيونيين من حزب المحافظين بالرغم من أن تشرشل كان صديقا شخصيا لزعماء الحركة الصهيونية .

كذلك اعترض حزب العمال بشدة على الكتاب الذى أصدرته حكومة المحافظين عام ١٩٣٩ فقال موريسون النائب العمالى إننا ننظر إلى الكتاب الأبيض على أنه نكث مخجل للوعود التى قطعها بريطانيا على نفسها ، وقد استعرضنا كيف أن حزب العمال قد غالى أثناء المعركة الانتخابية فى تعميده لليهود غير مبال بعرب فلسطين حيث نص على أن (٢) « يشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون »

ومن الناحية الرسمية كانت بريطانيا حتى عام ١٩٤٥ ما تزال ملتزمة بالكتاب الأبيض وإذن فقد كان عليها أن توقف الهجرة خصوصا وأن الهجرة غير الشرعية انتشرت أثناء الحرب وتجاوزت العدد المقرر فى هذا الكتاب ويعالج البعض (٣) هذه النقطة من زاوية المصالح البريطانية لدى العرب فى هذه الفترة حيث خرج « الاقتصاد البريطانى من الحرب فى حالة

(١) ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع

سابق ص ص ٧٤٠ - ٧٤٢ .

(٢) Monroe, Elizabeth, op. cit. pp. 73-75.

(٣) Aleum (pp. cit). pp 231-234.

ضعف شديد ولم تكن بريطانيا في حالة تسمح لها «بمواجهة سياسة رقد تؤدي إلى الإضرار بمصالح كبيرة لها في السوق» .

وليس التزام بريطانيا رسمياً بما جاء في الكتاب الأبيض - كما يرى فريق من المؤرخين (١) العرب - وهو الذي حملها على نسيان تصريحاتها التي صدرت خلال الحملة الانتخابية والعودة بسياسة من سبقوها في الحكم بحيث تظل الأحكام الواردة في الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ تطبق كما كانت وإنما المصالح الشخصية لبريطانيا هي التي تجعلها تحمل نفسها من الوعد الخاص بالهجرة التي لا حدود لها إلى إعطاء تصريح يبيح معدل الهجرة بـ ١٥٠٠ يهودي فقط في الشهر إلى فلسطين ، وعادت أعمال القمع ضد الهجرة الخفية تمارس في عنف متجدد ، وكان من آثار هذه السياسة التي زاد من مضاعفتها سلوك كل من الأمريكيين والعرب واليهود أن منيت المحاولات البريطانية بالفشل وكان مظهر هذا الفشل وفقاً للأسلوب الذي أصبح عادياً معروفاً ؛ أنفجار الأعمال الإرهابية ، وتعيين لجنة للتحقيق وهو مأسوف نتعرض له بعد قليل :

أما عن اتجاهات الرأي العام البريطاني في ذلك الوقت عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين فليس أدل على ذلك ما أعلنه هارولد لاسكن الفيلسوف الاشتراكي لحزب العمال البريطاني عن أشادته بفكرة الوطن القومي على أنها نشر للعنصر التقدمي الديمقراطي في الشرق الأوسط وتأييده رأي أحد الخبراء الأمريكيين باقتراح تهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين فوراً .

ولم ينظر حزب العمال إلى المشكلة من خلال مبادئ العدل والحق ، بل كان ما يعنيه هو النتائج المالية قد تترتب على تهجير هذا العدد ، وقد قدر ييفن وزير الخارجية ما قد تخسره بريطانيا من أجل المحافظة على النظام

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق .

الدكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين (المرحلة الخرجة) مرجع سابق ص ٢٣

بنحو ٢٠٠ مليون دولار ، أما ما سيخسره العرب (١) نتيجة تهجير هذا العدد الهائل دفعة واحدة ، فلم يكن موضع بحث حزب العمال البريطاني ، وحتى هارولد رسلكي فقد عبر عن رأيه بأن الإنسانية لا تستطيع أن تقف جامدة أمام مائة ألف من اليهود المشردين .

وكانت وزارة المستعمرات هي المختصة بمعالجة المشكلة الفلسطينية ومن حسن حظ الصهيونية أن حل كرتشي جونز الأكثر تحيزاً محل هول في تلك الوزارة ، غير أن وزارة الخارجية أصبح لها دور أساسي في مشكلة فلسطين منذ أن حاولت بريطانيا إشراك الولايات المتحدة في المسئولية ، وقد صار أرنست بيغن وزيراً للخارجية في حكومة العمال الجديدة وأثارت الصهيونية عاصفة حول هذه الشخصية فادعت بأنه خصم لليهود وأنه عرقل كثيراً من مخططات الصهيونية فرغم تشجيعه المستندوت حينما كان وزير عمل في الحكومة الائتلافية أثناء الحرب ، إلا أنه كان برفض الرضوخ لسياسة الصهيونية دون مناقشة ، يدل على ذلك قبول لوايزمان (١) :

« إذا كنتم تريدون إجبارنا على الدخول في صراع فنحن مستعدين له » كما أن بيغن حذر الصهيونية من أن سياستها ستؤدي باليهود إلى العيش كجماعات منفصلة في الأقطار المختلفة ، ولم يوافق على رفع قيود الهجرة لأنه لم يقتنع بصحة ما جاء في تقرير لودرميلك عن أُمكانيات استيعاب المهاجرين في فلسطين .

على أن إشراك الولايات المتحدة في لجنة التحقيق التي أعلن عن قيامها في ١٣ نوفمبر يعد في حد ذاته خطوة جديدة لتأييد الصهيونية ففي الماضي كانت بريطانيا تشكل لجاناً ملكية أثر وقوع أية اضطرابات في فلسطين أما في هذه المرة فقد تكونت اللجنة الإنجليزية الأمريكية على أثر قرار الهاجاناه باللاجوء إلى العنف بالإشتراك مع الأرجون - وسنناقش فيما بعد

(1) Weizmann, Chaim, Naissance d'Israel, Paris 1957, pp

أعمال اللجنة وتوصياتها - ويكفي الإشارة الآن إلى أن بيغن (١) صرح بأنه « سيلتزم بقرار اللجنة إذا كان إجماعيا » .

واسترسل بيغن في بيانه الذي أعلنه في ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ قرار حكومته بدعوة الولايات المتحدة إلى المشاركة في لجنة تحقيق يعهد إليها بتحرى أوضاع اليهود الأوربيين وبحث إمكانية إيواء جانب منهم في فلسطين .

وكان ذلك منعظا حاسما في السياسة البريطانية ، فبعد خمس وعشرين سنة قضتها دولة الانتداب في جهود لا طائل منها ، قبلت النزول عن تمسكها بتحمل مسئولية المشاركة الفلسطينية وحدها وإخضاع عناصر هذا النزاع لحكم الهيئة الدولية التي سبق لها أن ضاعفت هي نفسها مكونات العسيرة وهو ما اتضح في إعلان بيغن عما تنوى حكومته أن تقوم به وهو :

أولا : الاحتفاظ للهجرة بمعدلها الحالي في انتظار ما تسفر عنه أعمال لجنة التحقيق .

ثانياً : بعد دراسة النتائج التي تنهى إليها تلك اللجنة يتم إعداد اتفاق مؤقت في ظل نظام للصاية .

ثالثاً : اقتراح حل نهائي على الأمم المتحدة على أن يفوز هذا الحل بموافقة جميع الأطراف المعنية في النزاع إذا أمكن الحصول على تلك الموافقة .

وهكذا أشار بيغن إشارة واضحة إلى نوع الحل النهائي الذي يقصد إليه وهو تحويل فلسطين إلى بلد مشاع للطائفتين تسوده الديمقراطية ، ولما كان في ذلك التصريح ما يعنى ضمنا القضاء على فكرة الدولة اليهودية المستقبلية فقد جاء الرد سريعا من جانب طوائف الرأي العام الصهيوني على هيئة سيل من الاحتجاجات وأعقب ذلك وقوف بن جوريون أمام الجمعية العمومية للهيئة

(1) Kirk, George, The Middle East 1945-1950 London, 1954.
pp. 1985-1988.

الحكومية اليهودية (اليبشوف) ليعلم (١) :

« نحن على استعداد للموت فى سبيل حق المحبىء إلى فلسطين وإقامة
وطنتنا فيها » .

كذلك أصدرت الوكالة اليهودية بياناً أعلنت فيه .

« لن يترك الشعب اليهودى كفاحه فى سبيل الحصول على مرتبة الأمة
ذات السيادة ، وفى سبيل أن يحقق لنفسه حياة جديدة من الحرية والكرامة
فى بلده الخاص ، وهو لن يوفر جهداً ولا تضحية حتى يتم انشاء الدولة
اليهودية فى فلسطين » .

وتعهدت جميع السلطات اليهودية - حتى أكثرها اعتدالا - بتيسير
سبل الهجرة غير الشرعية ، وفى تل أبيب نشبت اضطرابات اسفرت عن عدة قتلى
ونشرات من الجرحى وقامت حملات نظمتهها عصاةة الآرجون بمهاجمة
مراكز الشرطة فى القدس وفى يافا وقتلت وجرحت عشرات من رجال
الشرطة البريطانيين .

وقد أثار تصريح بيفن لدى الرأى العام العربى مزيدا من الاحتجاجات
فقد جاء البيان الذى أعلنه بيفن مناقضا لما نص عليه فى الكتاب الأبيض الذى
تقرر فيه أن تخضع الهجرة اليهودية بعد أول أبريل عام ١٩٤٥ لموافقة العرب
ولكن البيان فى مجموعة كان مقبولا على حد رأى البعض (٢) ٥

وانصرف هم العرب أساسا إلى تنظيم أنفسهم للتقدم بمجبهة متحدة إلى
لجنة التحقيق ، فarsلوا إلى القدس واحدا من أمهر رجال السياسة السوريين
هو جميل مردم بك رئيس مجلس الجامعة والملقب « بالثعلب » واستطاع هذا
الرجل أن ينجح خلال بضعة أيام فى الوساطة التى استغرقت محاولاتها قبل
ذلك عبثا بضع سنوات فكون لجنة عربية عليها من اثنى عشر عضواً ، يمثلون

(1) Ben, Gurion, David, Israel, Years of challenge, op. cit, p 20-22.

(2) Aleum, op. cit, pp 240-241.

السكان الفلسطينيين العرب في مجموعهم ، وكان أعضاء تلك اللجنة هم خمسة من الحزب الفلسطيني العربي (حزب الحسيني) إلى جانب رؤساء الأجزاء الأخرى ومعهم شخصيتان محايدتان من بينهما موسى العلمي .

موقف الهيئة العربية العليا من بيفن :

عندما أعيد تشكيل اللجنة العربية العليا باسم الهيئة العربية العليا ، دعت لعقد مؤتمر عربي في فلسطين ، وفندت بيان بيفن وشرحت أنه مناقض لسياسة بريطانيا التي أعلنتها سلفا بالألا تستأنف الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلا بموافقة السكان العرب ، وأظهرت الهيئة العليا أن استمرار الهجرة فيه اجحاف واضح بحقوق العرب ومصالحهم « والعرب يعتبرون أن قضية فلسطين قضية قائمة بينهم وبين بريطانيا ولا يعترفون لأي فريق بحق التدخل في هذه القضية » .

وقد ظل الحاج أمين الحسيني رئيسا للهيئة العربية العليا واجتمعت في شخصه صفات ثلاثة (١) : رئاسة اللجنة والهيئة العربية العليا ورئاسة المجلس الإسلامي والأعلى والانتقاء ولكنه ظل بالقاهرة ولم يتمكن من دخول فلسطين بسبب منع الإنجليز له من دخولها ، وهو ما أضعف موقف عرب فلسطين نظرًا لوجود معظم أعضاء الهيئة العربية العليا خارج فلسطين - حيث لم يبق بها سوى عضوان فقط هما أحمد حلمي باشا والدكتور حسين فخري الخالدي مما أضعف من موقف المجاهدين العرب في فلسطين ، وذلك بعكس القيادة اليهودية التي كانت داخل ميدان المعركة تشترك فيها إلى أقرب

(١) مقابلة شخصية مع الاستاذ / أحمد فراج طايح في ٨/١٠/١٩٧٤ بالقاهرة وقد عمل سيادته خلال هذه الفترة قنصلا عاما لمصر بفلسطين حتى أكتوبر ١٩٤٨ ، ويرجع في تفصيل ذلك إلى كتابه :

« صفحات مطوية عن فلسطين » - دار مطابع الشعب - بدون تاريخ إصدار ص ص ٥٢ - ٥٣ .

محمد فيصل عبد المنعم - فلسطين والغزوالصهيوني - مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .

مدى ونشعر بتطوراتها إلى أقصى حد فأخذوا يمارسون الهجرة غير الشرعية ،
ثم لجأوا كعادتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ورأت بريطانيا اهتماما
من أمريكا فدعتها إلى أن تتعاون معها في تشكيل لجنة انجليزية أمريكية .

لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية :

تكونت (١) اللجنة الانجليزية الأمريكية برئاسة مشتركة بين الانجليزى
سنجلتن والأمريكى هيتشون وعقدت اجتماعها الأول في واشنطن في
شهر يناير ١٩٤٦ وقامت بتحقيقها في أوروبا في البلاد العربية وانتقلت
في شهر مارس من تلك السنة إلى فلسطين ، ومن فلسطين توجهت إلى لوزان
ثم سلمت تقريرها في اليوم الأول من شهر مايو ١٩٤٦ إلى الحكومتين
اللتين عهدتا إليها بعملية التحقيق .

ومن الأهمية بمكان - في هذه الدراسة - مناقشة الظروف التي عملت
فيها هذه اللجنة في البلدان المختلفة قبل مناقشة تقريرها .

فقد كان التقاء أعضاء اللجنة في نيويورك وواشنطن بداية غير عادلة
لأنها تمت في أكثر مدن العالم تأثراً بالصهيونية ومن الطبيعي أن يستحوذ اليهود
في أمريكا على اهتمام هذه اللجنة حيث استمعت اللجنة في أمريكا إلى شهادة
اليهود وخاصة أولئك الذين يطالبون بفتح باب الهجرة إلى فلسطين وإنشاء
دولة يهودية ، ومن ناحية أخرى جاءت آراء متفرقة من بعض عرب المهجر

(١) يذكر عبد الله التل أن أربعة من ممثلي الولايات المتحدة في اللجنة من اليهود والباقيين
يعطفون على اليهود كذلك اعترف مناحم بيغن بأنه التقى بعدد من أعضاء اللجنة وأنهم شاركوه
آرائه ، أما عن الأعضاء الانجليزى فيذكر الدكتور صلاح العقاد أنه ظهر بينهم أحد النواب
العالميين الذين اشتهروا بالتمسك للصهيونية وهو ريتشارد كروسمان الذى كان استاذاً في الجامعة
ثم استقال ورشح نفسه في مجلس العموم كى يتسنى له الدفاع بصورة أفضل عن تحقيق الوطن
القومى اليهودى في فلسطين أنظر :

عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، القاهرة دار القلم ١٩٦٤

ص ص ٢٨٨ - ٢٩١ .

الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٣٠ - ٣٢ .

الذين فنلوا مزاعم اليهود وأثبتوا شرعية حقرق العرب ولكن هذه الآراء
المثناة غابت أمام الاستحواذ الصهيوني على نيويورك .

ومن نيويورك انتقلت اللجنة إلى أوروبا لكي تدرس أحوال اليهود
المشردين فاستمعت اللجنة - بعد انقسامها إلى لجان فرعية تعمل في ألمانيا
وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان - إلى أحوال اليهود
المشردين وكذلك كانت اللجنة قد استمعت في لندن إلى ممثلي الحكومات
العربية لدى الأمم المتحدة التي اجتمعت في هذا العام هناك ، كذلك سمعت
اللجنة آراء عدد من العرب ومن الشخصيات اليهودية أى أن اللجنة جاءت
إلى أقطار الشرق ، وهى واقعة تحت تأثير الدعاية الصهيونية التي أحسن
استخدامها على حد قول فريق من المؤرخين المعاصرين (١).

وفي الشرق العربي استمعت اللجنة إلى تصريحات الأمين العام للجامعة
العربية في القاهرة وإلى غيره من رجالات العرب سواء كانوا من المسؤولين
في الحكومات أو بعض الهيئات غير المسؤولة وواجه بعض الساسة العرب
اللجنة بمنطق سليم ، فقالوا إن أوروبا هى المسؤولة عن تشريد اليهود فلماذا
يسأل العرب عن إيجاد حل للمشكلة ؟ (٢) وفضلت الهيئة العربية العليا وهى
المعنى الأول بالمشكلة الفلسطينية ، مقاطعة اللجنة ، أما عبد الله أمير شرق
الأردن فأخذ يسرد للجنة حقه في عرش سوريا الكبرى وكيف أن إيجاد
دولة كبيرة في المنطقة يمكن أن يساعد على التوفير بين مبدأ الوطن القومي وبين
حق العرب في فلسطين ، أى أنه ابتعد عن الموضوع الأصلي للقضية ، كذلك
اتصلت اللجنة باليهود الذين يعيشون في البلاد العربية وسجلت إجماعهم
تقريباً على معارضة قيام دولة يهودية في فلسطين : والواقع أنهم لم يتخذوا
هذا الموقف نتيجة ضغط أو خوف من الحكومات العربية وإنما كانوا بالفعل

(١) المرجع السابق .

(٢) سايكس - كريستوفر . مفارق الطرق إلى إسرائيل ترجمة خيرى حماد - بيروت

يلدركون خطورة قيام هذه الدولة على مصالحهم الاقتصادية الهائلة التي حققوها في الدول العربية واتصلت اللجنة أيضاً بزعماء اليهود في فلسطين وكانت حريصة على التعرف على حقيقة البلخيوش غير الرسمية وقد راوغ بن جوريون بحيث لم يكشف لها طبيعة العلاقات بين الوكالة اليهودية والهاجاناه .

وكان تقرير اللجنة محتويًا على توصيات عشرة تتعلق بالمشكلة الأوروبية لهجرة اللاجئين إلى فلسطين وبمبادئ الحكم في هذا الإقليم وبالانتداب ووصاية الأمم المتحدة وبالمساواة في مستوى المعيشة بين العرب واليهود وبسياسة الهجرة المستقبلية وبسياسة الأراضي وبالتطور الاقتصادي والتعليم وأخيراً بالحاجة إلى استتباب السلم في فلسطين وظاهر من ذلك أنها تتعهد بالمشكلة الأوروبية « كمدخل » (١) للوصول إلى فلسطين وأنها تربط بين المشكلتين وفي صالح اليهود بشكل مستمر في وضع فلسطين في خدمة الصهيونية وكأقليم يخدم إنشاء الدولة اليهودية .

وهكذا جاء هذا التقرير عادياً فارغاً محتويًا على توصيات أهم ما فيها كان معروفًا سلفاً من الجميع ، فقد كان ترومان يطالب بهجرة مائة ألف من اليهود بينما كان ينفذ يطالب بفلسطين بلداً عاماً مشاعاً غير مقسم وقد أخذت اللجنة بهاتين الرغبةين وذكرت فيما يتعلق بالرغبة الأولى أن فلسطين بمفردها لا تستجيب لما يقتضيه تهجير الضحايا اليهود الذين أصابهم اضطهاد النازية والفاشية ، كما ذكرت فيما يتعلق بالرغبة الثانية أن فلسطين يجب ألا تصبح دولة يهودية ولا دولة عربية بل يجب أن تضمن الهيئة الحاكمة فيها تحت الرقابة الدولية الحماية في الأراضي المقدسة للديانات الثلاث .

وطالبت اللجنة بإلغاء مانص عليه في الكتاب الأبيض والتصريح بالهجرة بالمعدل المناسب وأخيراً - فيما يخص بريطانيا - قالت اللجنة أنه يجب على

(١) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربي منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص

ص ١٩٢ - ١٩٣ وقد تعرض تفصيلاً بعد ذلك لمناقشة توصيات اللجنة

وانظر أيضاً Report of the Anglo - American committee of enquiry Department of state U. S. 1946.

الدولة صاحبة الانتداب أن تحتفظ لنفسها بالرقابة على الحكومة طالما حالت المنازعات الناشئة بين اليهود والعرب دون إبرام اتفاق خاص بالوصاية مع الأمم المتحدة »

رد الفعل لدى الرأي العام العربي :

ما أن أذيعت هذه التوصيات التي أوردتها اللجنة في تقريرها حتى ساد الغليان في أرجاء العالم العربي وساد السخط العلني والنفقة فأضربت المدن في فلسطين وفي غيرها من البلاد العربية وأعربت اللجنة العربية العليا عن خشيتها وقلقها في برقية منها أرسلتها إلى ستالين (١) في حين بعث الكاثوليك برسالة في هذا المعنى إلى البابا، وأخذت البرلمانات العربية تندد بهذا التقرير وتطالب الحكومات بموقف حازم واضطرت هذه الحكومات إلى الاحتجاج لدى بريطانيا والولايات المتحدة وأبرق الملوك والرؤساء العرب باستنكارهم الشديد إلى ملك الانجليز وإلى ترومان .

واجتمع رؤساء الدول العربية في أنشاص بناء على مبادرة من جانب الملك فاروق في أواخر شهر مايو وتدارس المجتمعون المشكلة الفلسطينية وأبلغوا نتائج مباحثاتهم إلى مجلس جامعة الدول العربية الذي عقد اجتماعا غير عادي في بلودان ببلبنان من ٨ إلى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ .

وقد وافق مجلس جامعة الدول العربية على المقترحات التي وضعت في انشاص واتخذ عدة قرارات (٢) ظل جانب منها سريا، أما القرارات التي أعلنت فكانت تتعلق بتنسيق العمل العربي في مختلف الميادين عن طريق تكوين «لجنة فلسطين» تمثل فيها جميع الدول العربية مع انشاء صندوق خاص لذلك وطلب تسريح القوات اليهودية ونزع سلاح الارهابيين .

(١) Aleun, p. cit, pp. 242 - 245.

(٢) أنظر : ملاحظات وتعليقات مجلس جامعة الدول العربية على توصية اللجنة الانجليزية الأمريكية التي أقرها المجلس في ١٢ / ٦ / ١٩٤٦ .
في : ملف وثائق فلسطين - مرجع سابق ص ص ٧٨١ - ٧٨٨ .

كذلك أرسلت الجامعة العربية مذكرتين (١) إلى كل من الولايات المتحدة وانجلترا ، جاء في المذكرة الأولى أنه ليس للأمريكيين أى حق في التدخل في المشكلة الفلسطينية ، أما المذكرة الثانية فقد طالبت بوقف الهجرة اليهودية ثم تلتهذا مذكرات أخرى من الدول الأعضاء في الجامعة العربية تقترح فيها على انجلترا أن تقوم بمفاوضات مباشرة للوصول إلى اتفاق قبل حلول ميعاد الدورة التالية للأمم المتحدة ،

وقد شد من أزر العرب قدوم المفتي الحاج أمين الحسيني إلى القاهرة بعد أن تمكن من الهرب من فرنسا في شهر مايو من تلك السنة ، وظهر المفتي أمام الجمهور في شهر يونيو ، وقررت الجامعة العربية في الحال تصفية اللجان الفلسطينية (اللجنة العليا والجهة العربية) وتكونت الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي الذي أكسبته تسع سنوات من الاضطهاد البريطاني العنيف نفوذا لا يذانيه نفوذ ،

وأجتمعت في شخصية رئاسة اللجنة والهيئة العربية العليا ورئاسة المجلس الاسلامي والائتفاء « الا أن مكوثه بالقاهرة (٢) أضعف من موقف عرب فلسطين » .

« وفي تقييم دور الجامعة العربية آنشد نسوق العبارات التالية من دراسة للأستاذ الدكتور / جلال يحيى قوله : (٣)
أن هذا النشاط الفوار في الكلمات ، لم يكن الا من الأسلحة السياسية التي أوح العرب باستخدامها في وجه الغرب المستعمر ، وكانت إهناك صهوبات

(١) أنظر نص المذكرة التي أرسلتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى الحكومة الأمريكية عملاً بقرار مجلس الجامعة في ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ في : الدكتور / عبد العزيز محمد الشناوى والدكتور / جلال يحيى ، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣٧١
(٢) أحمد فراج طايح ، مقابلة شخصية مع سيادته ٨ / ١٠ / ١٩٧٤ بالقاهرة وأنظر كتابه : صفحات مطوية عن فلسطين - مرجع سابق ص ص ٣٥ - ٣٧ .
(٣) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - مرجع سابق ص ص ٢١٢ - ٢١٣ .

كبيرة من أجل تطبيق الاجراءات المادية الحاسمة - الأمر الذى أضعف من موقف العرب في الوقت الذى عملت فيه مشكلة فلسطين على تجميع آرائهم وتقريب بين مصالح ملوكهم ورؤسائهم والآن كانت تشتمل على كثير من التناقضات والمناقضات أضعف إلى ذلك سوء التنظيم وعدم التنسيق بين السياسات العربية مما لم يجعل هذه اللجنة تعبر الاهتمام الكافى بالنقاط الأساسية الخاصة بالموقف في فلسطين ، كذلك لم تلتفت اللجنة إلى حركة نشوء اليومية العربية وحقتها في الحياة والازدهار ولم تهتم على الإطلاق بالجامعة العربية كمنظمة اقليمية لها دورها في تنظيم العلاقات والمصالح الاقليمية لدولها ، وثبت ذلك من أن اللجنة قد تقدمت بتوصياتها « وهى تعلم أنها تتعاضد (١) ومصالحة كل دولة من دول الجامعة العربية » .

رد الفعل لدى الصهيونية :

رحب اليهود بتقرير اللجنة وطالبوا بسرعة تنفيذه، وخاصة التوصيات المتعلقة يالهجرة بالأراضي ، الا أن أحد المؤرخين الغربيين (٢) يرى أن اليهود قد توجسوا القلق من جراء توصيات لجنة التحقيق وخشوا من امتداد الانتداب لمدة طويلة وكان رد الفعل الذى صدر عن البيشوف (الهيئة الحكومية اليهودية في فلسطين) عنيفا ، فبعد الاغتيالات التى وقعت يوم ٣١ من أكتوبر عام ١٩٤٥ قامت عصاة الهاجاناه والأرجون واشترن في يوم ٢ من فبراير ١٩٤٦ بعملية مشتركة جديدة ضد المعسكرات الحربية الانجليزية والمطارات . وبعد إعلان النتائج التى أنهت اليها لجنة التحقيق في تقريرها وجه اليهود الانجليز أنذارا وقامت عصابه الهاجاناه في المدة من (٢) ١٦ إلى

(١) المرجع السابق .

(2) Aileum, p. cit. p 243.

(٢) أنظر في تفصيل ذلك : Cohen, Israel, A short History of Zionism, Loudon, Fredrick Muller, 1951

حيث اتحدت المنظمات العسكرية الإرهابية في عمل مشترك لأول مرة في تاريخ البيشوف في فلسطين على هيئة تكوين قوة عسكرية مشتركة من الهاجاناه والأرجون واشترن لشن حرب العصابات ضد البريطانيين ووزعت الادوار فيما بينها وتولت كل منها عملية معينة . =

التسبيل هجرة مائة ألف يهودى أوروبى إلى فلسطين والحكومة البريطانية
تطلب من الحكومة الأمريكية عوناً مالياً أو مساعدة عسكرية (١) لتنفيذ
ذلك الإجراء ، وجاء حادث تدمير فندق الملك داود فى مدينة القدس فى
يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٦ وكان فيه مقر أركان حرب الجيش البريطانى ومقر
مكرتارية الحكومة وما تخلف عنه من مائة وعشرة من القتلى وسبعة وأربعين
من الجرحى واعتراف عصاة الأرجون فى بيان رسمى عن مسئوليتها عن
الاعتداء - جاء هذا الحادث مذكراً بالنتائج الرهيبة التى يوشك أن ينتهى
لها الاستمرار فى هذا الخلاف بين البريطانيين والأمريكيين ، وأراد
البريطانيون الخروج من هذا الموقف الصعب فقرروا فى نهاية شهر يوليو
الآخذ بإجراءين : من جهة ، أعلنوا عن اعتزامهم عقد مؤتمر مائة
مستديرة يدعون إليها ممثلى اليهود وعرب فلسطين والدول العربية ومن جهة
أخرى أعلنوا مشروعاً جديداً من إعداد الخبراء الإنجليز والأمريكيين فى
لندن عرف باسم مشروع « موريسون جرادى » .

مشروع موريسون جرادى : (٢) Plan Morrison Grady

يعزى هذا المشروع إلى هربرت موريسون وقد قام على فكرة اقتراح
تحويل فلسطين إلى محمية بريطانية ذات كيان فيدرالى تشتمل على إقليم عربى
وإقليم يهودى مع بقاء القدس والنقب تحت إدارة مباشرة يتولاها المندوب
السامى . على أن تستقبل البلاد مائة ألف من اليهود بمعاونة مالية من الولايات
المتحدة وعلى أن تحصل فلسطين فيما بعد على الاستقلال الكامل فى الشكل
الذى تتيحه الظروف ، فلما أصبحت دولة فيدرالية ، ولما انقسمت إلى
دولتين منفصلتين إحداهما يهودية والأخرى عربية ، واشتمل المشروع
على ما يأتى :

(١) أنظر كتاب « وثائق القضية الفلسطينية » إصدار جامعة الدول العربية ملف وثائق

وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ص ٧٩٥ - ٨٠١

(٢) قدم هذا المشروع للبرلمان اللورد هربرت موريسون - رئيس الوزراء فى ٣١ يوليو

عام ١٩٤٦ .

يتكون الإقليم العربي من ٤٠ ٪ من مساحة الأرض ويضم ٨٠٠.٠٠٠ عربي و ١٥٠.٠٠٠ يهودي . ويتكون الإقليم اليهودي من ١٧ ٪ من مساحة الأرض ويضم ٣٠٠.٠٠٠ عربي ، ٤٨٥.٠٠٠ يهودي ، أما الأقاليم الخاضعة مباشرة لإدارة المندوب السامي فتتكون من ٤٣ ٪ من مساحة الأرض وبها ١٧٠.٠٠٠ عربي و ١٠٠.٠٠٠ يهودي ويتمتع كل إقليم من هذه الأقاليم بالحكم الذاتي الداخلي وينتخب لنفسه جمعية التشريعية وعلى أن يكون تعيين رئيس الجمعيتين من حق المندوب السامي ولمدة خمس سنوات ، وعلى ألا تكون قرارات الجمعيتين نافذة إلا بموافقة المندوب السامي أيضاً « وتختص الحكومة المركزية وحدها بشئون الدفاع والعلاقات الخارجية والجمارك ، كما أنه يكون الاختصاص لها كذلك لفترة مرحلية في مسائل العدل والشرطة والمواصلات والآثار .

رد الفعل العربي :

يقال (١) أن أصدقاء الإنجليز من العرب من أمثال نوري السعيد كانوا وراء هذا المشروع الذي رفضه العرب لأنهم وجدوا في مقترحات موريسون اتجاهها نحو فكرة التقسيم وكان احتجاج العرب مبنياً على أساس بقاء الانتداب يلدون أجلاً ، وهو ما عبر عنه رئيس الوفد المصري عبد الرزاق السنهوري ورئيس الوفد العراقي الدكتور فاضل الجمالي ورئيس الوفد اللبناني كميل شمعون ورئيس وفد المملكة الأردنية الهاشمية سمير الرفاعي والأمراء عادل أرسلان وفيصل آل سعود وكذا سيف الإسلام عبد الله مندوب اليمن ، وأيضاً عبد الرحمن عزام مندوب الجامعة العربية (٢) .

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) موجع سابق ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) أنظر : خطاب عبد الرزاق السنهوري . انا في مؤتمر فلسطين بلندن في ١٢ سبتمبر ١٩٤٦ في :

دكتور/ عبد العزيز محمد الشناوي ، دكتور/ جلال يحيى : وثائق ونصوص =

ويشرح الدكتور / جلال يحيى أثر هذا الإجماع العربي على موقف بريطانيا آنذاك قائلا (١):

« وكان لموقف الوفود العربية تأثير على البريطانيين إذ أنهم وجدوا أنهم مهددون بالاصطدام بالشرق العربي كله نتيجة لتعصيدهم مشروع موريسون ، فأعلن الإنجليز أنهم لا يتمسكون بهذا المشروع وإن كانوا يرونه حلاً عملياً للمشكلة » .

= التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ٣٨٧-٣٩٤ .

وانظر بقية خطابات رؤساء الوفود العربية في :

ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالفضية الفلسطينية مرجع سابق

ص ٨١٩ - ٨٤٩ .

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية - مرجع

سابق ص ٢٣٣ .

رد الفعل الأمريكي :

رفضت الحكومة الأمريكية التصديق على هذا المشروع في شهر أغسطس واقترح الرئيس ترومان وهو يبلغ الرفض إلى لندن تسوية أخرى فيها مزايا أكثر لليهود ، هذه التسوية هي مشروع « أنسون » (١) وكان هذا المشروع الذي أعده دين أنشون - نائب وزير الخارجية الأمريكية يرمى إلى إيجاد إقليم يهودى يشتمل منطقة الجليل ويمتد على المجرى الأوسط لنهر الأردن ، وفى مقابل ذلك يأخذ العرب حيفا على أن يتولى المشرفون على الإقليم اليهودى وعلى الدولة اليهودية فيما بعد تنظيم مسألة الهجرة بحرية كاملة ، وعلى أن يتم بموجبه معاهدة تأمين استخدام بريطانيا لبعض القواعد .

على أنه بحكم التردد الذى كان طابع السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية آنئذ ، عاد ترومان فى شهر سبتمبر - كما سيتضح ذلك تفصيلا عند التعرض لدور الولايات المتحدة الأمريكية - يعلن أنه إذا كان يفضل الأخذ بمشروع « أنشون » فهو لا يرفض مشروع « موريسون » كله .

رد الفعل الصهيونى :

بدأ مشروع موريسون جراوى وكأنه تأكيد لنية الإنجليز البقاء فى فلسطين ومن هنا أحس المسئولون الصهيونيون بالتوجس عندما أعلن المشروع البريطانى ، وقد انقلب الأسلوب القائم على وسائل الإرهاب على الصهيونيين أنفسهم حيث أثار حادث فندق الملك داود موجة من الحنق والاستنكار فى أرجاء إنجلترا كلها وأدت هذه المخاوف بالمسئولين اليهود إلى اتخاذ بعض القرارات التى وصفها وايزمان (٢) بأنها « قرارات تدعو إلى التمزق لثقل

(١) أنظر جريدة لوموقد بتاريخ ١٣ من أغسطس عام ١٩٤٦ وكذا كتاب جيمس مكدونالد بالانجليزية بعنوان « مهمتى فى إسرائيل » ص ١٠ .

(2) Aleum, op. cit. pp 248 - 243.

وقعها على قلوب زعماء الصهيونية « فقد اجتمعت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وعقدت اجتماعها في باريس نظراً لأن رئيسها بن جوريون كان ما زال مهدهاً بأمر القبض الصادر ضده من السلطات البريطانية واتخذت اللجنة في هذا الاجتماع قراراً سرياً يقضى بترك برنامج بلمتور وإنشاء دولة يهودية في جزء فقط من فلسطين وطلبت أن تكون الدولة قادرة - على الأقل - على الحياة ، وإذن فإن الصهيونية ظهرت بمظهر المستعد للتنازل وذلك بعد أن وقفت موقفاً متشدداً في بلمتور ، ومن المؤكد - على حد قول بعض المؤرخين المعاصرين - (١) أنها تعمدت هذا الأسلوب للظهور أمام العالم بمظهر المستعد للتفاوض » .

ونحن هنا نؤيد هذا التحليل بدليل ما قاله وإيزمان وهو يبلغ هذه المقترحات إلى حكومتى لندن وواشنطن : « ما من ممثل يهودى يستطيع أن يقدم على ما هو أبعد من ذلك إلا وتعرض لإنكار شعبه له » .

المرحلة الأولى لمؤتمر المائدة المستديرة في لندن وردود فعله :

تجابت الحكومة البريطانية طلب الدول العربية ببدء المفاوضات لحل مشكلة فلسطين وحددت يوم ١٠ سبتمبر ١٩٤٦ موعداً لانعقاد المؤتمر . ولكن المجتمعين حول المائدة المستديرة لم يكونوا غير ممثلي بريطانيا وممثلي الدول السبع أعضاء الجامعة العربية ، أما عرب فلسطين واليهود فقد رفضوا قبول الدعوة الموجهة إليهم ، فقد رفضها العرب بسبب رفض الحكومة البريطانية لوجود المفتى الحاج أمين الحسيني من ناحية ، ولامتناعهم أن يجلسوا (٢) مع ممثلي اليهود على مائدة واحدة من ناحية أخرى ، ورفضها اليهود بسبب أبعاد المسؤولين عن شؤون الوكالة اليهودية وكان قد القى القبض عليهم قبل ذلك

(١) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ص

٢٧-٢٩ .

(٢) إحمد فراج طابع ، صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٣٨ - ٣٩ .

بشهرين ، كما رفضوها لسبب آخر أهم من ذلك هو رغبتهم في أن يكون أساس المناقشة مقصوراً على مشروع التقسيم (١) الذي أعدته لجنّتهم التنفيذية في حين رفض (٢) رئيس الوزراء البريطاني آتلي هذا الطلب وأصر على أن يبدأ المؤتمر بنظر مشروع موريسون .

على أن ممثلي الوكالة اليهودية توجهوا إلى لندن وأجروا مع البريطانيين محادثات جانبية ولم يحضر أحد من الأمريكيين بعد أن كانت الآمال معلقة على حضورهم .

وهكذا تولى الإنجليز عرض مشروع موريسون في غيبة الأطراف الأساسية المعنية في النزاع ، وأيد ممثلوا الدول العربية - رفضهم للمشروع وتقدموا باقتراحات مضادة لهذا المشروع تقضي بأن يعين المندوب السامي حكومة مؤقتة من عشرة أعضاء ، سبعة منهم من العرب وثلاثة من اليهود مع إجراء انتخابات عن طريق التصويت العام لاختيار جمعية تأسيسية تضطلع بإعداد دستور ديمقراطي على أن توقف الهجرة ويستمر العمل باللوائح المنظمة لبيع الأراضي ويتم الاعتراف باليهودية باعتبارها ديناً من الأديان ، وعلى أن يتم إعلان الدولة العربية المستقلة فيتسلم رئيس الدولة الفلسطينية لمقاليد منصبه في تاريخ أقصاه ٣١ من ديسمبر ١٩٤٨ (٣) .

(١) Sacher. Israel, Establishment of a State, op., cit., pp 68-69.

(٢) أنظر تلخيصاً لخطاب آتلي عند بدء المؤتمر في دكتور / جلال يحيى العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٧٠١ - ٨٠٤ .
ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ٨٠١ - ٨٠٤ .

(٣) أنظر نص مقترحات الوفود العربية في مؤتمر فلسطين بلندن عام ١٩٤٦ في :
ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ٨٤٩ - ٨٥١ .

وقد أعلن الإنجليز تأجيل المؤتمر بحجة دراسة المقترحات العربية وكانوا بذلك في الواقع ينتحلون الأعداء وينتهزون فرصة توقف اجتماعات المؤتمر للسعى وراء تحقيق أهداف أخرى ، فقد كانوا ينتظرون من جهة قرب حلول نهاية الدورة العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويحولون بذلك بين العرب وبين عرض المشكلة الفلسطينية على الهيئة الدولية وفقاً لما سبق لهم أن أعلنوه هم أنفسهم ووفقاً لما كان قد طالب به الاتحاد السوفيتي - كما كانوا من جهة أخرى يأملون في أن يجلدوا بعد الانتخابات الأمريكية الخاصة بالمجالس النيابية وبالرياسة حكومة أمريكية تحررت من الاهتمامات الانتخابية وفيما يتعلق بالنقطة الأولى من هذه التوقعات تحقق ما كان يرمى إليه البريطانيون على العكس من ذلك إلى وقوع حادث التصريح العلني من الرئيس ترومان لتهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين ، مما كان له أسوأ الأثر على خطط سير المفاوضات التي كانت دائرة في لندن ؛

وهكذا أنفض المؤتمر بدون الوصول إلى اتفاق وأعلن بيفن أنه سيضطر إلى رفع المشكلة إلى الأمم المتحدة حيث لن تفرض بريطانيا التقسيم بالقوة ، وقد اعتبر الصهيونيون هذا الموقف تحيزاً من جانب بريطانيا للعرب وكان العرب يقبلون بالتقسيم وهو مخالفة تامة للوقائع ، ويجمع الباحثون العرب (١) المهتمون بالمشكلة الفلسطينية أن هذا يعتبر تلمصاً من المسؤولية من جانب بريطانيا لإزاء عرب فلسطين .

(١) أنظر على سبيل المثال :

الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ٢٢٤ - ٢٥٥ .

وأكرم زعيتو ، القضية الفلسطينية ، القاهرة ١٠٥٥ ص ١١١ - ١١٢ .

دكتور / محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي - إصدار معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٩٦ - ٩٧ .

دكتور نجيب صدقة ، قضية فلسطين ، بيروت ١٩٥٣ ص ١٩٢ - ٢٠١ .

وعند هذا المنعطف كان النفوذ البريطاني آخذ في الأفول وهو ما أدركته المنظمة الصهيونية العالمية وأن هذا الانخفاض يقابله على الجانب الآخر ارتفاع في النفوذ الأمريكي .

وهكذا غدت الولايات المتحدة الأمريكية أفضل من يدعم التطلعات الصهيونية نحو إقامة دولة مستقلة وبالجهة التي بمقدورها - إذا أمكن - انتزاع قبول العرب بمثل هذه الدولة .

دور الولايات المتحدة

موقف روزفلت :

أبتداء من عام ١٩٤٣ وجدت أمريكا نفسها مشتركة في المشكلة الفلسطينية على أثر ما أعرب عنه الصهيونيون طلبات ملحة ، وما صدر عن العرب من أعمال مضادة وعلى أثر تطور المصالح الاستراتيجية والاقتصادية الأمريكية في الشرق الأوسط وهو ما جعلها تساهم ماليا في خطط أنابيب ينفق الدول العربية ليصل ما بين حقول البترول في شبه الجزيرة العربية والبحر المتوسط وهكذا كان اهتمامها ببترول العرب كى تدعم احتياطات البترول في الولايات المتحدة خوفا من الرأى المتشائم للفنيين الأمريكيين في نهاية الحرب الثانية (١)

ولم تكن هذه العوامل كلها تعمل في اتجاه واحد أو تؤثر بنفس القوة على مختلف فئات الرأى العام الأمريكى ، فلقد كان الكونجرس منغمسا في تأييده للصهيونية (٢) ، أما وزارة الحرب فكانت ترى ضرورة مراعاة جانب العرب وكان الديموقراطيون بوجه عام أميل إلى مساندة قضية اليهود على الجمهوريين ولكن كان في استطاعة الاستراتيجية الانتخابية دائما أن تعكس هذه الأوضاع ،

وكان الرئيس روزفلت بتأرجح بين تيارات مختلفة ففي شهر مايو ١٩٤٣

(1) Aleun, p, cit, pp, 131 - 233.

Monroe, Elizebeth, Britain's in the Middle East, 1914-1956, Chutto and windus. London 1963 pp 95-116.

أنظر :

(٢) دكتور /جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق

حرصاً منه على حماية المصالح البترولية الأمريكية في العربية السعودية في وقت بلغت فيه هذه المصالح حداً كبيراً ، أرسل روزفلت (١) إلى الملك سعود رسالة سرية يطمئنه فيها أن قراراً ما يتعلق بالوضع السياسي في فلسطين لن يتخذ إلا بعد استشارة عامة لدى العرب واليهود على السواء

وفي سنة ١٩٤٤ راح يؤكد للصهيونيين عدم موافقة أمريكا على الكتاب الأبيض الصادر في سنة ١٩٣٩ ، وبأن العدل والانصاف سوف يقدمان لأولئك الذين يسعون إلى تشييد وطن قومي لهم ، وفي أثناء الحملة من أجل انتخابات الرئاسة أدت به الحاجة إلى اكتساب ماشتهر باسم «أصوات اليهود Vote Jiweif» إلى جانبه إلى اتخاؤ موقف أكثر من هذا ميلاً نحو الصهيونيين فراح يلقى الوعود بأنه إذا ما أعيد انتخابه فإنه سوف يعمل جاهداً على الإسراع بتنفيذ البرنامج الديمقراطي الخاص بفلسطين ، وكان هذا البرنامج يرمي إلى تحويل تلك البلاد إلى دولة حرة ، وديمقراطية ويهودية، ولكن بعد أن تم انتخابه للمرة الثانية ، وفي شهر فبراير من عام ١٩٤٥ عند عودته من يالطا ، تقابل مع الملك سعود عاهل العربية السعودية على ظهر الطائرة كونسى في المنطقة الشرقية من البحر المتوسط ، وأظهر تأثره العميق بما دار من حديث بينه وبين هذا الرجل السياسي العربي الكبير ، وعندما عاد إلى واشنطن أخبر الصهيونيين أن موقفه منهم لم يطرأ عليه أى تغيير وذلك في الوقت الذى راح فيه يعلن أمام الكونجرس الأمريكى أن « خمس دقائق من الحديث مع ابن سعود قد أمدته بمعلومات عن المشكلة العربية اليهودية تفوق كثيراً من المعلومات التى تتحصل من تبادل سنتين أو ثلاث من الرسائل » على أن الرسائل بين روزفلت وابن سعود جاءت على أثر الحديث بينهما مباشرة ومنها الرسالة التى وجهها الملك ابن سعود إلى روزفلت يوم ١٠ من مارس

(١) نصوص الخطابات المتبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس روزفلت عليه .

في ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق .
ص ٧٤٥ - ٧٤٨ ، ٧٤٩ - ٧٥١ .

١٩٤٥ والى تعتبر « عرضاً رائعاً لوجهات النظر العربية » على حد قول أحد المؤرخين الغربيين (١) ثم رد روزفلت على هذه الرسالة بتاريخ ٦ من إبريل ١٩٤٥؛ قبل موت روزفلت بأسبوع واحد وفيه أخذ للرئيس الأمريكى يؤكد ما جاء فى مايو ١٩٤٣ ويضيف إلى ذلك أن حكومته « لن تؤيد أى عمل قد تبلى معادياً للشعب العربى » .

موقف ترومان :

انقطع تبادل وجهات النظر بين الملك سعود ورئيس الولايات المتحدة بسبب وفاة روزفلت وجاء خليفته ترومان منحازاً كل الانحياز إلى جانب الصهيونية وكان عهد حكومة ترومان هو الذى ثارت فيه مشكلة «الأشخاص المطرودون من أوطانهم» التى سوف تزيد المشكلة الفلسطينية تعقيداً ، وذلك أن هاريسون الممثل الأمريكى فى اللجنة الحكومية الخاصة بشئون اللاجئين الأوربيين الذين شردتهم الحرب ، بعث بتقرير إلى الرئيس ترومان يعرض عليه أوضاع اللاجئين الأوربيين القاسية ، وفيما يتعلق باليهود قال التقرير أن حالتهم تتحسن كثيراً لو أن مائة ألف منهم تلقوا التصريح بالهجرة وأن غالبيتهم تمنى الاستقرار فى فلسطين .

على أن ليلنتال (٢) يرى أن الغالبية العظمى من هؤلاء اليهود كانوا على العكس من ذلك يأملون فى الذهاب إلى الولايات المتحدة وإن طلبات الهجرة إلى فلسطين لم تأت إلا نتيجة للضغط الأدبية والاجتماعية والمادية التى مارسها عليهم الوكالة اليهودية حيث معهد « سونيورم » هو الذى يمول

(1) Aleum, op. cit., PP 233-235 .

وأنظر أيضاً نص الكتاب الذى وجهه الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس روزفلت فى ١٠ مارس ١٩٤٥ ونص الرد فى إبريل ١٩٤٥ .
الدكتور عبد العزيز الشناوى ؛ الدكتور جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر - مرجع سابق ص ٣٣٣ - ٣٣٨ .

(2) Lilienthal, Alfred, what price Israel ? chicayo: Henry

Regnery 1953..

الوكالة اليهودية وكان يضم نخبة من رجال الأعمال اليهود ممن كرسوا حياتهم لصالح الصهيونية وتولوا مهمة تزويد اليهود على أرض فلسطين بكل ما يحتاجون إليه من معونة مدنية وعسكرية .

وبؤكده « جون سنترنجر » (١) أن العوامل التي ساعدت على نجاح الأهداف الصهيونية أن الرأي العام الأمريكي كان يعيش في جهل بأبسط الظروف المتعلقة بفلسطين مما سهل على الحركة الصهيونية تطويع هذا الجهل إلى تأييد لتحقيق أغراضها .

وترجع أولى اتصالات ترومان بالحركة الصهيونية إلى الفترة التي كان فيها عضواً في مجلس الشيوخ أي فيما بين ١٩٢٥ ، ١٩٣٥ حيث شارك مع أغلبية أعضاء الكونجرس تأييدهم لفكرة إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ولكن سرعان ما حذر قدام الحرب العالمية الثانية من هذا الحماس ، حيث امتنعت الولايات المتحدة عن اتخاذ موقف رسمي ، ففي عام ١٩٤٤

(١) جون سنترنجر John Senteringer هو مؤلف كتاب ترومان ، أصوات اليهود وقيام إسرائيل .

Truman, The Jewish Vote and the creation of Israel الذي أصدرته مؤسسة هوفر للحرب والثورة والسلام وهي مؤسسة قامت منذ ١٩٤٩ في جامعة ستانفورد لتكون مركزاً متفرغاً للأبحاث والدراسات المتعلقة بالشؤون والقضايا الدولية المعاصرة ، ويرى هذا الكاتب أن الأسطورة التي تصور ترومان في دور المناصر الكبير والمتبنى لقضية إسرائيل ليست لها أساس من الصحة ، فقد كان الرئيس الأمريكي رجلاً سياسياً قبل كل شيء ولم تكن لديه في بادئ الأمر أية معتقدات ثابتة عن الصهيونية ولا عن مشكلة فلسطين ولكنه وجد نفسه حبساً لاتجاهين كانا يتنازعا - عندما تولى الرئاسة - السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط كان التيار الأول نابعا عن اعتبارات اقتصادية واستراتيجية ويمثله مسئولون عديدون في أوساط وزارتي الخارجية والدفاع وكانوا يحذرون الرئيس من التخلي عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ، أما الثاني فكانت تبرة اعتبارات انتخابية ويمثله أعضاء اللجنة القومية للحزب الديمقراطي ومسؤولون محيطون به في البيت الأبيض وكانوا يحذرونه على نلبية مطالب الصهيونية للحصول على أصوات تتيح له إعادة انتخابه أنظر : السياسة الدولية العدد ٣٨ - أكتوبر ١٩٧٤ مكتبة السياسة الدولية ص ١٩٢ - ١٩٦ .

تقدم بعض الشيوخ في الكونجرس باقتراح لإصدار تصريح بأن الولايات المتحدة تؤيد فكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين فاعترض جورج مارشال وزير الحربية بأن ذلك يعطل المجهود الحربي للحلفاء في الشرق الأوسط ، ولأن فقد زال هذا الحاجز بانتهاء الحرب وقد سبق أن تردد ترومان بالفعل في مؤتمر بوتسدام في إتخاذ موقف صريح يؤيد الصهيونية لأن الحرب لم تكن قد انتهت بعد مع اليابان ، وقد قرر ترومان الالتفات إلى المصالح الولايات المتحدة فرأى تأجيل هذا الحل إلى أن يتحقق النصر للحلفاء . وقد صرح في ذلك الوقت : « بأننا نريد أن تساعد اليهود ، ولكننا لن نفعل ذلك على حساب تحركاتنا العسكرية » ، وبعد مرور ما يقرب من عام أدلى ترومان بتصريح آخر مفاده أن موضوع إقامة دولة يهودية لا تعدله أولوية قصوى بالنسبة لبلاده وأنه يرغب في معاونة الذين يناضلون في سبيل إقامة وطن يهودي في فلسطين ولكن عندما يحين الوقت المناسب .

كذلك فإن من العوامل التي ساعدت ترومان على إتخاذ هذا الموقف المتردد إزاء اليهود هو الوقت المبهم الذي اتخذه سلفه الرئيس السابق تيودور روزفلت ، الذي كان قد مجده علنا الصهيونية وتبنى هدفهم (١) بإقامة دولة يهودية ولكنه في الوقت نفسه أكد للزعماء العرب أنه لن يكون هناك أى تغيير في الوضع الأساسي في فلسطين دون استشاره كاملة مع اليهود والعرب على السواء ، ولهذا امثل ترومان لنصيحة وزارة الخارجية خلال الأشهر الأولى من توليه الرئاسة وكرر ما أعلنه روزفلت ، ولكن خلال صيف عام ١٩٤٥ بدأ يسأل وزارته عما إذا كان لديها أى تقدير للعواقب الإنسانية الناتجة عن هذه السياسة ومصير اللاجئين اليهود في أوروبا الذين كانوا يتطلعون إلى حياة جديدة ، وصرح ترومان بأن السياسة الأمريكية تعمل على إتاحة الفرصة

(١) أنظر : تصريح صحفي رسمي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين د. روزفلت

صدر في واشنطن يوم ١٦ مارس ١٩٤٤ في: ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ٧٣٥.

لأكبر عدد من اليهود لإمكان نزوحهم إلى فلسطين ، وعلى الجانب الآخر كان الصهيونيون قد وضعوا برنامجاً يتيح لعدد آخر من اليهود (مائة ألف) للهجرة إلى فلسطين ، لهذا رأى ترومان أن الوسيلة في إقناع بريطانيا بهذا الطلب عندما اقترحت هذه الأخيرة تشكيل لجنة بريطانية أمريكية لبحث في مشاكل فلسطين ومن بينها موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وكما سبق أن أشرنا فقد تضمن تقرير اللجنة الصادر في ٢٠ إبريل ١٩٤٦ اجماع أعضائها على « التصريح (١) مباشرة بقبول مائة ألف يهودي في فلسطين » .

أن الأمر الذي يشير الدهشة الحيرة حقاً هو ما أقدم عليه الرئيس ترومان من توجيه النداءات الملحة إلى الرأي العام ليضع حداً للآلام التي يعاني منها اليهود عن طريق تهجير مائة ألف منهم إلى فلسطين ، من غير أن تشير هذه النداءات لحظة واحدة إلى قبول هؤلاء البؤساء في بلاد أصحاب تلك النداءات لقد كانت فلسطين في نظر ترومان تستطيع بمساحتها التي لا تتجاوز ... ٢٦ كيلومتر مربع من الأراضي الفقيرة وبسكانها البالغ عددهم مليونين ، وبكثافتها السكانية التي تبلغ ١٢٣ فرداً في الكيلومتر المربع ، وبالعداوة الدائمة التي تفرق ما بين الطائفتين فيها بسبب المشكلة الفلسطينية ، أن تقبل بسهولة مائة ألف من اللاجئين اليهود ، في حين لم يكن يبدو في نظر ترومان ، أن العملاق الأمريكي قادر على هذا الجهد - ففي عام ١٩٤٣ قبلت الولايات المتحدة التي يبلغ عدد سكانها ١٤٠ مليون نسمة وتبلغ مساحتها ٧٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع ٢٣٧٢٥ من المهاجرين منهم ٤٧٠٥ فقط من اليهود ، وفي سنة ١٩٤٥ بلغ عدد المهاجرين إلى داخل الولايات المتحدة ٣٨١١٩ نسمة فقط من اليهود (٢) .

(١) انظر : توصيات وتعليقات لجنة التحقيق الانجليزية - الأمريكية بشأن مشاكل اليهود في أوروبا وقضية فلسطين سنة ١٩٤٦ في : ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ص ٧٦٥ - ٧٨٠ .

(2) Aleum Op., cit pp 332-33.

ولقد أشارت الصحف البريطانية إلى هذه المقارنة حيث كتبت تقول أن ما تطالب أمريكا العالم به قد يكون أكثر إقناعاً لو أن تلك الدولة فتحت هي نفسها قليلاً أبوابها أمام ضحايا هتلر ، كذلك أشار إلى هذا التضارب أحد السياسيين العرب الذي قال في تهكم مريب ، « ربما كان السبب في أن يطالب إلى فلسطين بذلك هذا الجهد الاستيعابي هو عدم إمكان طلبه من الولايات المتحدة أو من كندا أو من إستراليا خوفاً من اختلال للتوازن داخل حدود هذه الأمم الرقيقة » (١) .

ومن جهة أخرى رأت بريطانيا أن تعلن رسمياً أمام المسؤولين العرب أنه ليست لديها أية نية في التصريح بالهجرة لهذا العدد الجديد من اليهود فكانت النتيجة تصاعد أعمال الارهاب التي قادتها القوات المسلحة اليهودية في فلسطين ضد سلطات الانتداب ، وفي ظل هذه الظروف المتأزمة اجتمعت لجنة ثلاثية أمريكية تابعة للحكومة بالمسؤولين البريطانيين لإيجاد تسوية للمشكلة الفلسطينية ولكن مضي أسبوع تفرقت بعده اللجنة دون التوصل إلى نتيجة فيما يختص بالتصريح بالهجرة اليهودية .

وحدث في ٢١ يونيو ١٩٤٦ أن أعلنت اللجنة مقترحاتها (٢) ، وكان ترومان قد تنبه إلى أن تبنيه مقترحات اللجنة سيؤدي إلى نفوذ الناصحين اليهود ضده وضد حزبه مما يعني نهاية حكم الديموقراطيين في الولايات المتحدة لهذا

Ibid, pp 333-334.

(١)

وأنظر أيضاً: دكتور جلال نجى : مشكلة فلسطين والاتجاهات للدولية منشأة المعارف - الاسكندرية ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٢) انظر المقترحات المقدمة على أثر المناقشات بين مندوبي الحكومة البريطانية والولايات المتحدة في يوليو عام ١٩٤٦ ، مذكرة المملكة المتحدة في : الدكتور / عبد العزيز محمد الشاويح والدكتور / جلال يحيى وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر مرجع سابق ص ٣٧٦ - ٣٨٦ .

أبلغ ترومان المسئولين البريطانيين في ١٢ أغسطس ١٩٤٦ رفضه لهذه المقترحات .

وعند هذا الحد يمكن أن نقول بأن سياسة ترومان خلال هذه المرحلة الأولى من حكمه قد أدت بالعرب واليهود وبريطانيا إلى معاداته ، وهكذا وصلت معالجة ترومان للمشكلة الفلسطينية إلى مأزق .

انهياز ترومان للجانب الصهيوني :

عهد الرئيس ترومان ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٦ رغبة منه في اكتساب أصوات اليهود إلى جانب حزبه ، وخصوصاً أصوات اليهود في ولاية نيويورك إذ ذات الأهمية الكبرى ، ورغبة منه في الوصول بهذا الطريق إلى ضمان انتخاب رئيس لهذه الولاية يكون من الديمقراطيين ، بدلاً من الحاكم الجمهوري ديوى ، - عهد ترومان إلى إصدار تصريح علني أعاد فيه التأكيد بالجهود التي بذلتها حكومته من أجل قبول تهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين ، وراح يكرر مطالباته الأولى بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية ويؤكد لسامعيه أن مشروع التقسيم الذي وضعته الوكالة اليهودية سوف يحظى بالتأييد من قبل الرأي العام الأمريكي بفضل استمرار الصهيونية في ممارسة ضغوطها على الرئيس الأمريكي للحصول على تأييده ، فلم تترك مجالاً إلا وطريقة (١) وكانت تشتري الاعلانات من الصحف وتنصب منها مبرزاً للدفاع عن أهدافها ، يتسنى لها - من خلالها - الحصول على مساندة الرأي العام وتوجيهه بالتالي للضغط على البيت الأبيض .

وفي صفوف الكونجرس ضاعف الصهاينة جهودهم ، ولكن أهم ورقة في يد الصهيونية كانت تتمثل في وجود مناصر لها في شخص عضو من مكتب الرئيس هو : دافيد ك. نايلز الذي لجأ إلى نفوذه الكبير داخل البيت الأبيض للتوسع في المساندة العامة لترومان باسم البرنامج الصهيوني .

وكان خبراء البيت الأبيض وخبراء وزارة الخارجية قد نصحو الرئيس ترومان بعدم إصدار مثل هذا التصريح في ذلك الوقت ، وقالوا ان كلمات كهذه المقصود بها التوجه إلى الرأي العام الأمريكي وحده يحتمل أن تحدث في خارج البلاد رد فعل يؤسف له ، نظراً لحالة التوتر التي تحدثها تلك المفاوضات

Senteringer, John : Truman. The Jewish Vote and (١)
the Creation of Israel, op. cit.,

مع ما قد تسفر عنه هذه من نتائج حاسمة ، ولكن الرئيس ترومان لم يلتفت إلى تلك النصائح .

ويرى فريق من المؤرخين الغربيين والعرب المعاصرين (١) - على السواء - أن ترومان كان يختلف في سياسته المتحيزة للصهيونية عن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية وخبراء البيت الأبيض الذين كانوا يتأثرون بمصالح الولايات المتحدة النفطية في العالم العربي .

وقد علق وايزمان (٢) على ذلك بأنه قد قدم خبرته العلمية لكى يوجد للعالم بديلا عن البترول في توليد الطاقة ، وبالتالي يقضى على التردد الذى تواجهه السياسة الأمريكية وغيرها من دول أوروبا الغربية عند معالجة المشكلة الفلسطينية - هذا على افتراض أن البترول كان في وقت ما سلاحا فعالا في أيدي العرب .

والواقع أن عدة عوامل تدخلت لكى تحول ترومان إلى سياسة التحيز التى اشتهر بها ومنها :

أولا :

اجتماع ثمانية وثلاثون حاكما من حكام الولايات ومطالبهم بفتح باب

Aleum op. cit., pp 251-253.

(١)

حيث وصف آراء هؤلاء الخبراء بأن « الظروف قد أثبتت فيما بعد مقدار ما احتوت عليه نصائحهم من حكمة وتبصر بعواقب الأمور ، وكذا الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ص ١٨١ - ١٨٣ حيث يشرح سيادته دور ترومان في تحيز أمريكا تماما إلى جانب اليهود ، وكذا الدكتور / صلاح العقاد ، قضيه فلسطين (المرحلة الخرجية) مرجع سابق ص ص ٣٠ - ٣٣ حيث يقول « والشائع أن - ترومان كان يختلف في سياسته هذه مع وزارة الخارجية الأمريكية » وقد فهمنا أن ذلك يعنى تأييده للخلاف بين ترومان وخبرائه في وزارة الخارجية .

(٢) عبر وايزمان عن ذلك بفضل عنوانه (خدمة الصهيونية عن طريق العلم) أنظر تفصيل

ذلك في :

Weizmann, chaim, Naissance d'Israel, Paris 1957 p. 500,

الهجرة لليهود وليس من المألوف أن ينعقد مؤتمر لحكام الولايات بقصد البحث في قضية من قضايا السياسة الخارجية . (١)

ثانيا :

وصل ترومان إلى السلطة لا عن طريق الانتخاب بل لأنه كان نائب رئيس ولذلك كان يسعى للحصول على شعبية وهو يعترف بأنه أراد أن يسبق منافسة ديوى إلى إصدار تصريح مماثل لليهود في ٤ من أكتوبر ١٩٤٦ - (٢) وهو التصريح الذي أشرنا إليه آنفاً - والذي تضمن رفض مشروع موريسون ، وقد صدر هذا التصريح قبل إجراء انتخاب مجلس النواب والتجديد الجزئي لمجلس الشيوخ ، يضاف إلى ذلك أن الحزب الديمقراطي بصفة عامة يمتص الأقليات الدينية والعنصرية وكثيراً ما قدم اليهود له مساعدات في الحملات الانتخابية .

ثالثا :

خلال سبتمبر عام ١٩٤٦ عندما بدأت الولايات المتحدة تستعد لخوض الانتخابات التي ستجرى بعد شهرين لاختيار أعضاء الكونجرس ساد الاعتقاد في صفوف الحزب الديمقراطي بأن بقاء الديموقراطيين في الحكم يتوقف على ضرورة إحداث تقارب مع الجماعة اليهودية وكان ترومان يتعرض للضغوط الصهيونية التي كانت تزداد عليه ، وهنا جاء العمل الحاسم الذي رجح كفة الميزان لصالح الصهيونية وهو فشل مؤتمر لندن بعد أن عاد إلى الانعقاد بناء على دعوة بريطانيا لجميع أطراف المشكلة الفلسطينية في يوم

(١) Lilienthal, Alfred, The other side of the coin, (١)
New York, Devin-Adair 1955.

(٢) أنظر : نص تصريح رئيس الولايات المتحدة (مستر ترومان) في ٤ أكتوبر ١٩٤٦
في : ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ج ١ مرجع سابق
ص ص ٨٥٢ - ٨٥٥ .

٢٧ من يناير عام ١٩٤٧ تم فشله وانفضاضه ففشل المؤتمر في التوفيق بين أطراف المشكلة الفلسطينية، وهنا أخذت العناصر الصهيونية تلوح لترومان بأن هذا الفشل يجعله خالي المسؤولية إذا اتخذ الإجراءات التي تطلبها مئة الجماعة اليهودية، وكان ترومان يبحث عن مبرر ما لبلى بمطالب الصهيونية، ولما جاء تصريحه الشهير في ٤ أكتوبر ١٩٤٦ (١) -الذي دعا فيه إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.

ردود فعل التصريح المشؤم لترومان :

رد الفعل العربي :

ما إن صدر تصريح ترومان في يوم ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٦ حتى سارعت كل من سوريا والعراق إلى ترك المناقشة حول الاتفاقيات الجديدة التي كانت الولايات المتحدة قد عرضتها على الدولتين ، ورفضت سوريا منح شركة A.R.A.M.C.O. الأمريكية حق استخدام أراضيها في مرور خط أنابيب البترول العظيم الذي يخترق البلاد العربية .

كذلك بعث الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس ترومان في ١٥ أكتوبر يعرب عن دهشته لهذا التصريح والذي « يتناقض مع البيان الأمريكي السابق لحل مشكلة فلسطين بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية والفريق الثالث » .

وذكر الملك عبد العزيز آل سعود في خطابه كذلك بأن هذا البيان يعني ظلماً يمكن أن يحقق بالعرب .

ومن الغريب أن يرد الرئيس ترومان (١) على الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ وهو يصبر على تشجيع حكومة الولايات المتحدة بدخول هذا العدد الهام من اليهود إلى فلسطين « ليتحكموا من المساهمة في تشييد الوطن القومي اليهودي » .

رد الفعل البريطاني :

أحدث هذا التصريح رد فعل عنيف سواء في البرلمان أو لدى الحكومة

(١) أنظر كتاب الملك عبد العزيز آل سعود إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ وكذا رد الرئيس ترومان إلى الملك في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ في :
ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق
ص ٨٥٧ - ٨٦٢ .

البريطانية التي بلّغت إلى استخدام عبارات غير مألوقة في وصف هذا العمل الصادر عن رئيس إحدى الدول الصديقة فقالت إن تصريح ترومان «مسيء الحظ جداً» Most Unfortunate وأضافت إلى ذلك قولها إن هذا التصريح قد يؤدي إلى إفساد تسوية المشكلة الفلسطينية العويصة .

وقد أبدى بعض المؤلفين موافقتهم على هذا الرأي من جانب الحكومة البريطانية وكتبوا يقولون أن ذلك الخريف من تلك السنة كان من المحتمل أن يشهد وضع أسس للاتفاق لولا هذا التدخل من جانب ترومان ، وهم يقيمون رأيهم هذا على تصريح أدلى به عزام باشا - الأمين العام للجامعة العربية جاء فيه أن الحل كان في تلك الفترة قريب المنال .

غير أن هناك من (١) يرى أن كلمات عزام باشا في هذا الصدد إما كانت تشير فقط إلى اتفاق قد ظن هو - إن خطأ أو صوابا - أنه كان من الممكن الوصول إليه بين العرب والبريطانيين ، ذلك أن مشروع التقسيم المقدم من قبل الوكالة اليهودية والمشروع المقدم من العرب والذي عرضا في لندن بينهما من الفوارق والبعد مالا يمكن معه أن يتجه تفكير هذا الرجل السياسي المصري إلى اتفاق مما يعقد بين العرب واليهود وهو وحده الاتفاق الذي له في نهاية الأمر كل القيمة .

رد الفعل الصهيوني :

أفتتح المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين في شهر ديسمبر ١٩٤٦ في مدينة بال بسويسرا ومنذ لحظاته الأولى ووايزمان يناشد المسئولين الصهيونيين أن يقبلوا المشاركة في مؤتمر لندن من أجل التفاوض هناك في إقامة دولة يهودية على جزء مناسب من الأرض الفلسطينية ، وقد انهال بالوم والتوقيع على حركة الإرهاب التي أطلق عليها وصف « ذلك السرطان المتفشى في جسم

(١) Aleum op. cit. pp 252-253,

اليشوف» واتهمها بأنها توشك أن تقضى على كل ما قامت الصهيونية بتشييده طوال تسع وعشرين سنة ، وأنذر المؤتمر أنه على استعداد إلى التخلي عن رئاسة العالم اليهودي وحركته إذا ما اتبعت سياسة لا يمكن تطبيقها .

وعلى الرغم من سطوة وايزمان (١) ونفوذه ، وعلى الرغم من التحذير الذى أعلنه ؛ فقد انتصرت وجهة النظر الخاصة بالمتطرفين وكان يقودهم بن جوريون وقويت صفوفهم لذلك وطالب المؤتمر بفتح أبواب فلسطين على مصاريعها أمام هجرة يهودية لا يكون عليها رقيب إلا من الوكالة اليهودية وحملها ، وقرر بأغلبية ١٧١ صوتاً ضد ١٥٤ رفض فكرة المساهمة فى اجتماعات مؤتمر لندن ، وير وايزمان بما وعد به وتنحى عن رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية واعيد انتخاب بن جوريون رئيساً للجنة التنفيذية .

ثم تقرر فى هذا المؤتمر الصهيونى أنه من الممكن النظر فى أمر المشاركة فى اجتماعات مؤتمر لندن فى حالة ما إذا طرأ تغير فى الأوضاع ، وأخيراً قرر المؤتمر موافقته على مشروع التقسيم الذى أعدته الوكالة اليهودية فى شهر أغسطس السابق ، ولكن تلاشت منذ شهر يناير عام ١٩٤٧ هذه الآمال فقد أعلن موشى شرتوك - موشى شاريت فيما بعد - رئيس القسم السياسى لدى الوكالة اليهودية أمام مؤتمر صحفى عقده لهذا الغرض أنه مادامت الحكومة البريطانية لم تستجب لمعارضته الوكالة من اقتراح تصالحى فإن تلك الوكالة لن ترضى منذ تلك اللحظة إلا بدولة مستقلة فى فلسطين كلها وتحقيق أغلبية يهودية فى البلاد بادخال سبع مائة ألف مهاجر إليها .

وفى الوقت نفسه راح الارهابيون يمارسون نشاطهم من جديد والذى كانوه قد توقفوه أثناء فترة إنعقاد المؤتمر الصهيونى ، وعمدوا فى يوم ٢٩ من ديسمبر عام ١٩٤٦ انتقاماً منهم لضرب أحد الشبان الإرهابيين اليهودى إلى

Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, op., cit., (١)
pp 93 - 95.

خطف عشرة من الضباط الإنجليز وثلاثة من صف ضباطهم بوساطة عصاة
الآرجون التي أوسعهم أفرادها ضرباً بالسياط ، وفي يوم ١٢ من يناير عمدت
عصاة أشترن إلى نسف مباني الشرطة في حيفا مما تسبب عنه قتل خمسة من
رجال الشرطة وجرح ثلاثة وأربعين منهم . (١).

(١) Ben-Gurion, David, Israel Years of challenge op., cit, pp 21 - 25.

وانظر مقاله 31, 1947 Jewish Standard October
وفي تفصيلي الارهاب الصهيوني في فلسطين في هذه الفترة أنظر :
دكتور/ أسعد رزق، اسرائيلي الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني سلسلة كتب فلسطينية
(١١٣ - اصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث بيروت ، يوليو ١٩٦٨ ص
ص ٥٢٦ - ٥٢٨ .

بريطانيا ونهاية الانتداب

المرحلة الثانية لمؤتمر لندن :

استئناف المؤتمر ثم فشله وانفضاضه :

وهكذا استؤنف مؤتمر لندن في ٢٧ يناير عام ١٩٤٧ في ظروف (١) سيئة فلم تشترك فيه الوكالة اليهودية لأن العرب رفضوا أن يجلسوا معها على مائدة واحدة ، وقبلت اللجنة العربية العليا حضور اجتماعاته لاستجابة منها إلى طلب ملح من قبل الملكين سعود وعبد الله ، وتقديم وزير المستعمرات البريطاني إلى المندوبين بمشروع إنجليزي جديد مستوحى من مشروع موريسون بعد إدخال تعديلات في أجزاء كثيرة منه بناء على رغبة العرب وكانت خطوط هذا المشروع الجديد على الوجه الآتي :

تظل فلسطين مقسمة إلى إقليم عربي وإقليم يهودي وإقليم خاضع خضوعاً مباشراً لسلطة المندوب السامي ، ولكن من الواضح أن هذه الأقاليم لا تتكون منها دول ، فهي بذلك تقبل عدم الاتصال بين أجزائها - بمعنى أن تتكون كل منها من أجزاء متعددة - وفي ذلك ما يسمح بضبط وتنسيق حدود كل دولة وفقاً لمناطق السكنى ، سواء أكانت عربية أو يهودية ، وكان الظاهر أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يؤدي إلى الحل النهائي أو أن يعد للوصول إلى هذا الحل النهائي القائم على فكرة الدولة الفيدرالية لا على فكرة التقسيم .

وقد نص هذا المشروع أيضاً على تحديد فترة الانتداب البريطاني بمدة خمس سنوات يقوم خلالها بأعداد البلاد للاستقلال ، ويعاون المندوب السامي مجلس تنفيذي يزاد فيه تلماريحياً عدد الوظائف التي تسند إلى الفلسطينيين

(١) أحمد فراج طابع ، صفحات مطلوبة عن فلسطين ، مرجع سابق ص ٤٢ - ٤٣

ومجلس تشريعي يتكون من ممثلين عن العرب وعن اليهود وعن النقباءات وعن المنظمات الاقتصادية .

كذلك تضمن المشروع تحديد الهجرة اليهودية بعدد أربعة آلاف - مهاجر كل شهر ولمدة سنتين . وفي نهاية هذه المدة يتولى المندوب السامي تنظيمها بعد استشارة مجلسه الاستشاري على أن يبنى قراره على إمكانية الاستيعاب الاقتصادية للبلاد ، وفي حالة قيام نزاع حول هذا الموضوع يعرض الأمر على هيئة تحكيم تعيينها الأمم المتحدة .

وفي نهاية أربع سنوات يجري انتخاب جمعية تأسيسية ، فإذا أمكن التوصل إلى تفاهم بين القطاعين العربي واليهودي اتخذ المندوب السامي الإجراءات اللازمة من أجل تطبيق النظم التي يتم اختيارها ويتم إعلان الاستقلال في السنة الخامسة فإذا تعذر بلوغ الاتفاق في داخل الجمعية التأسيسية عرضت القضية برمتها على مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة .

وجاء رد الفعل العربي والصهيوني برفض هذا المشروع بغير شروط ، وكان رد الفعل العربي (١) متوقفا ، أما بالنسبة لليهود فقد كانت التعديلات السابقة لمصلحتهم إذ ضمت لمنطقتهم بعض أقسام النقب ، وكان الصهيونيون يقومون في نفس الوقت بمباحثات جانبية خارج المؤتمر مع الحكومة البريطانية (٢) « فضلا عن أن كلاما من العرب واليهود كانوا يتفاوضون فيما بينهم على هامش المؤتمر » (٣) ، وأصر العرب على إعلان استقلال فلسطين وإيقاف الهجرة اليهودية واتخاذ تدابير حماية الأراضي العربية ،

(١) دكتور / جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص

٢٣٠ - ٢٤٢ .

(٢) دكتور محمد طلعت الغنيمي ، قضية فلسطين أمام القضاء الدولي ، مرجع سابق ص ص ١٢٥ - ١٤٢ وانظر أيضا : العسكرية الصهيونية المجلد الأول ، المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (النشأة والتطور ١٨٨٧ - ١٩٧٧ ، ١ مرجع سابق ص ص ١٣١ - ١٣٤ .

Alcum Op. cit pp 253-255

(٣)

أما اليهود فقد تمسكوا بالدولة اليهودية (١)

عندئذ اقترح بيفن وزير الخارجية البريطانية على المندوبين العرب الدخول في مفاوضات مباشرة مع الوكالة اليهودية ولكن اقترحه هذا رفض وعلى ذلك أعلن الوزير البريطاني في ١٤ فبراير عام ١٩٤٧ أن حكومة صاحب الجلالة قد قررت عرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة .

وحينما أعلن وزير المستعمرات السير كيرك جونز هذا القوار الذي اتخذته حكومته حرص على أن يقول (٢): « نحن لا نذهب إلى هيئة الأمم لكي نرد إليها توكيل الانتداب وإنما نذهب إلى هناك لكي نثير أمامها المشكلة ونتلمس رأيها في كيفية مباشرة هذا الانتداب ، فإذا كانت الصيغة الحالية غير جذيرة بالحياة طلبنا تعديلها »

وهكذا وضع مستقبل فلسطين في مهب الريح (٣) حينما تقرر رفع القضية أمام الأمم المتحدة ذلك لأنه يادل على أن مبدأ تقرير المصير بدل أن يطبق على الشعب العربي الفلسطيني وهو الحل المنطقي لإنهاء الانتداب البريطاني ، ترك هذا المستقبل لأهواء منسوبي النول الذين لا يعرفون عن حقيقة مشكلة فلسطين شيئاً يذكر ، لاسيما وأن العرب لم يصلوا إلى درجة اليهود في التغلغل بأجهزة الدعاية في مختلف أنحاء العالم بل وفي الأجهزة الإدارية التابعة للأمم المتحدة ذاتها ، وقد سبق لليهود أن تسلموا إلى أجهزة عصبة الأمم وورثت هذه المنظمة الدولية الجديدة كثيراً من تلك الأجهزة .

(١) Ibid pp 255-257.

Kirk, George, The Middle East 1945-1950. London (٢)

1959. pp 235-236.

(٣) الدكتور محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق .

وقد كانت الحجة التي برر بها ييفن نقل المشكلة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة أن الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ يعتبر وثيقة دولية ولا يستطيع إلغاؤه إلا بواسطة هيئة دولية وهو ما ذكره ييفن ضمن خطاب ألقاه في مجلس العموم البريطاني في ٢٣ فبراير عام ١٩٤٧ ومما جاء فيه (١) :

« لقد عجزت بريطانيا عن التوفيق بين السماح لليهود بغزو فلسطين وبين مراعاة صك الانتداب في عدم الإضرار بمصالح سكانها الآخرين . وقد أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذي حدد الهجرة إلى فلسطين ليوقفها فيما بعد ، وأقر المجلس الموقر هذا الكتاب الذي أثار معارضة اليهود وتشدد العرب وإصرارهم على الاستقلال الناجز ، ومما زاد من تعقيد المشكلة أن أمريكا زجت بنفسها فيها وأخذ الرئيس ترومان يوالى تصريحاته عنها ، ولو وقف أمر هذا التدخل الأمريكي عند حد إدخال مائة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين لكان في الإمكان معالجته ، ولكن الحديث يلور حول المحيئ بالملايين ، وليس من العدل المساواة بين مصالح العرب أصحاب البلاد وبين اليهود الطارئین على فلسطين إلا أن بريطانيا لا تستطيع أن تفرض حللاً نهائياً بالقوة لأنها دولة منتدبة ولذا فقد أصبح من واجبها أن ترفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذي تراه » .

أما وقد اتجهت سياسة بريطانيا إلى التقسيم كحل لمشكلة فلسطين فإنه يثور هنا تساؤل جوهری عن مدى مشروعية ذلك الاتجاه وهل تسند قواعد القانون الدولي والرأى العام العالمی هذا الرأى .

Aleum, op. cit. p 257.

(١)

Kirk, George op. cit. p 257.

Kirk George A short History of the Middle East:

الترجمة العربية لعمر الاسكندراني بعنوان موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الاسلام إلى الوقت الحاضر مجموعة الألف كتاب (١١٤) اصدار مركز كتب الشرق الأوسط بدون تاويل اصدار .

يرى فريق من الباحثين أن فكرة التقسيم والمشروعات التي عرضت لتحقيقها باطلة جميعها لأن القائلين بالتقسيم برروا فكرتهم بأنه من المتعذر جمع العرب واليهود في دولة موحدة بسبب ما يكنه الفريقان بعضهما البعض من عداوة وبغضاء ، والحقيقة أن العداوة بين العرب واليهود لا ترجع إلى أن هؤلاء عرباً وأولئك يهوداً بل سببها مشكلة فلسطين بالذات ، فضلاً عن أن مشروعات التقسيم لم تنجح في فصل العرب عن اليهود ، وكانت بريطانيا على علم منذ البداية بمدى كراهية العرب للصهيونية ولفكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وقد سبقت التصديق على صك الانتداب ثورات عربية ضده وبالتالي لم يكن خفياً على بريطانيا أن تنفيذ البرنامج الصهيوني في فلسطين ليس له من أثر إلا ترايد المقت فضلاً عن أن بريطانيا قد اتخذت من عداوة العرب واليهود سبباً لتقسيم فلسطين ، وهو تصرف مبنى على الغش ، والغش في حكم القانون الدولي مبطل لسائر التصرفات (١) وينعكس هذا على التصرف البريطاني في نهاية سبتمبر ١٩٤٧ حين أعلن وزير المستعمرات البريطاني أن بلاده تقبل التوصية الخاصة بوضع حد للانتداب التي أشارت بها اللجنة من قبل الأمم المتحدة بإجراء التحقيق في فلسطين - ولكن وزير المستعمرات البريطانية أضف « لن نقدم حتى حلول ذلك الميعاد على أى عمل من شأنه فرض حل لم يحظ بالقبول من قبل اليهود ومن قبل العرب معا » كما رفض

(١) الدكتور /محمد طلعت الغنيمي ، قضية فلسطين أمام القضاء الدولي مرجع سابق ص ١٥١ - ١٥٣ حيث أوضح أن الحجة القانونية « الغش يبطل سائر التصرفات ».

Fraus omnis corrumpit.

تعتبر من الأسس العامة الجهورية لدى مختلف القوانين المتمدينة ، وتبعاً فهي قاعدة من قواعد القانون الدولي وكذلك تتفق مع الرأى الهام العالمى .

في الوقت ذاته تحديد موعد لإنهاء الانتداب وسحب القوات البريطانية من فلسطين .

وحين اقترعت الأمم المتحدة على مشروع التقسيم في يوم ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٤٧ وتكونت لجنة جديدة هي اللجنة الخماسية للعمل على تنفيذ هذا القرار رفضت دولة الانتداب التعاون مع هذه اللجنة كما رفضت أن تنقل إليها اختصاصاتها تدريجياً ، كما كان مطلوباً منها في القرار ، كذلك امتنعت القوات البريطانية عن الفصل بين اليهود والعرب عندما نشبت الحرب الحقيقية بين الطائفتين .

وفي شهر يناير عام ١٩٤٨ أعلنت بريطانيا أنها سوف تضيع حداً للانتداب في منتصف ليلة ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ وكان هذا اليوم هو الذي أبحر فيه آلان كينجهم من غير أن يخلف وراءه لا سلطة ولا إدارة تاركاً البلاد فريسة للحقد والفوضى وكان آلان كينجهم قد لعب دوراً هاماً في القضاء على المقاومة الثورية التي أظهرها شعب فلسطين (١) أثناء توليه منصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين في الفترة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ وكانت مهمته تهدئة ثورة العرب من الناحية العسكرية وهو واضح من رتبته العسكرية « جنرال » كذلك ففي فترة توليه هذا المنصب جاءت اللجنة الإنجليزية الأمريكية .

وقد غادر آلان كينجهم ميناء حيفا معلناً نهاية الانتداب البريطاني بعد أن كانت المنطقة المخصصة لليهود في التقسيم وقسم كبير من المخصص للعرب (مثل يافا) قد أصبح تحت سيطرة اليهود .

وهكذا تخلت بريطانيا عن مسؤولية الانتداب دون أن تقيم حكومة وطنية وتسلم مقاليد الأمور ودون أن تحصل على موافقة بذلك من الأمم المتحدة وكأن

(١) دكتور / اسحق الحسيني ، مذكرات عن المشكلة الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٥ - ٤٨ .

فلسطين وشعب فلسطين كالأ مباح ودم مباح لا قيمة له ولا اعتبار ، وكأن الانتداب كان لعبة تلهو بها (١) بريطانيا كما تشاء ، فبعد انقضاء ثلاثين عاماً على انتصار النبي في موقعة مجيد وعمدت بريطانيا إلى إنهاء مغامرتها الفلسطينية من غير مجد أو كرامة وقليل ما صادف التاريخ مثل كهذا المثل للدولة عظمى تفكر لمسؤوليتها في مثل هذا الاستهتار واللامبالاة .

ومما يثير العجب أيضاً كون بريطانيا قد أظهرت اعتزازاً خاصاً بانتدابها على فلسطين وكانت قد درست مشكلات هذا الانتداب في دأب وعناية فما الذي حملها إذن على اتخاذ هذا القرار الجاف الذي يتنافى مع ما التزمت به من تعهدات عندما أسندت إليها مهمة الانتداب ؟

لقد قيل أحياناً أن هذا الانسحاب المفاجئ المتعجل من قبل بريطانيا كان بغرض الاستقرار في فلسطين ، وهو قول مبنى على التناقض ، ولكن أصحاب هذا الرأي يبرزونه بأن بريطانيا وقد تعلم عليها البقاء في تلك البلاد بسبب المشكلات الداخلية والدولية التي يثيرها العداء المستحكم بين العرب واليهود ، قد أقبلت عمداً على ترك البلاد للفوضى اقتناعاً منها بأن أعمال الاضطرابات والذبح سوف تنشر بعد رحيلها وتبلغ حداً يحمل العرب واليهود معاً كما يحمل الأمم المتحدة على دعوتها إلى العودة ثانية ، وفي هذه الحالة تستطيع في ظل الظروف الجديدة أن تمارس سلطانها ليعارضها فيه أحد وأن تفرض الحل الذي يروق لها .

والأخذ بهذا القول من شأنه أن ينسب إلى بريطانيا سياسة مكيفيلية الأمر الذي ربما يصدق عليها في ظروف أخرى غير تلك الظروف ، ففي أثناء قيام الانتداب افترض الكثيرون من الزعماء العرب والصهيونيين

(١) دكتور محمد طلعت الغنيمي ، قضية فلسطين أما القضاء الدولي مرجع سابق ص

١٥٤ - ١٥٥ .

محمد رفعت ، التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ص

ص ٤٠٠ - ٤٠٢ .

افتراضات من هذا القبيل ، زاعمين أن الدولة المنتدبة إنما تعمل على إثارة الحقد والعداوة بين العرب اليهود بغرض تهيمته الظروف التي تساعدها على زيادة تثبيت سلطتها على فلسطين (١) .

ومما يؤيد هذا الرأي ما عمد إليه بعض الضباط أو الموظفين البريطانيين من تصرفات غريبة عند مغادرتهم البلاد ، فقد عمد البعض منهم إلى زيادة نار الحقد بارتكابهم أعمال الاستثارة التي لا مبرر لها ، وقد ذكرت حالات بعض الضباط الإنجليز الذين كانوا يحاربون في الصباح في صفوف العرب ويحاربون في المساء في صفوف اليهود ضد العرب (٢) .

على أن هناك رأياً آخر (٣) يرى أن الإنجليز قد تخلوا عن مهمتهم في فلسطين بسبب ما صادفوه من أعباء وما قاسوه من مرارة فاستسلموا فجأة إلى اليأس ودفعهم إلى ذلك كثرة ما بذلوه من جهد في سبيل الوصول إلى حل لمشكلة فلسطين ، فلقد كلفوا بوكالة تضاربت أحكامها وتناقضت شروطها وحاولوا عبثاً عرض مختلف صور التوفيق التي تخطر على البال لهذا الفريق وللآخر تارة أخرى وكانوا في كل يوم يتعرضون للهجمات من قبل اليهود وللإهانات الجارحة من قبل العرب ، ثم جاء دور الأمريكيين فأشبعوهم نصائح وأثقلوهم باللوم والانتقاد ثم تركوهم بغير سند ، وفي الأمم المتحدة أعلن الاتحاد السوفييتي أن الفشل الذي مضى به الإنجليز في فلسطين قد زال عنهم كل صلاحية للاستمرار في تلك المهمة ، ثم جاءت لجنة التحكيم تشير عليهم بسرعة الانسحاب ، كل ذلك بغير

(١) أكرم زعير ، القضية الفلسطينية ، القاهرة ١٩٥٥ ص ١٩٥ - ١٩٧ .
الداكتور / أحمد سويلم العمرى ، الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين القاهرة ١٩٥٤ ص

٢٠٤ - ٢٠٦

محمد عزه دروزه - حول الحركة العربية الحديثة ٣ القاهرة ١٩٥١ ص ١٠ - ١٢

(٢) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، مذكرات - القاهرة ١٩٥٩

(٣) Aleum, Op. cit., pP 260-261

(٨ - مشكلة فلسطين)

شك يدعم هذا الرأي (١) الذى ذهب إلى حد أن استسلام الحكومة البريطانية جاء نتيجة لأسباب اليأس وخيبة الآمال مما جعلها تستجيب إلى مطالب الرأي العام فى بلادها وقد راح منذ زمن طويل يلح فى طلب لإنهاء المغامرة الفلسطينية حتى أنه اتخذ لنفسه شعارا يردده هو « أعيذوا إلينا أبنائنا »

Brings the boys home

وأخيرا يتعين أن نضيف إلى تلك الأسباب سببا آخر يرجع إلى اعتقاد راسخ فى ذهن الحكومة البريطانية ، هو أن قرار مجلس الأمن قد أدخل - فى صالح اليهود - بالتوازن الذى طالما أجهدت الدولة المنتدبة نفسها فى الاحتفاظ به بين كل من العرب واليهود ، ولم يكن من شأن اندلاع أعمال الإرهاب المحبونة التى يرتكبها الصهيونيون والتى أوشكت أن تنتشر داخل إنجلترا نفسها محدثة فيها مظاهرة المعاداة للسامية ، لم يكن من شأن ذلك أن يمهّد السبيل أمام عملى إنجلترا فى فلسطين لإعادة النظر فيما وقر فى أذهانهم حيال قضية الصهيونية ليصبحوا أكثر ميلا نحوها ، فلقد اقترن هذا الخصام العاطفى بين الانجليز والصهيونية بنخس سياسي ، وانصرف الصهيونيون محولين وجوههم ناحية الدولة التى بدت وكأن مصيرها يقودها إلى سيادة العالم كله ، فعهّدوا إلى أميركا بأمانهم ورجائهم وقرروا أن لا يشركوا غيرها من الدول بعد الآن فى أقدارهم ، ومصائرهم ، فكانت جميع التنظيمات الصهيونية قد رتبت فى ذلك الوقت هيئات لتمثيلها فى الولايات المتحدة ، ولم يقتصر فى ذلك على المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية وإنما شمل أيضا مختلف الأحزاب الصهيونية والهستدروت وعصابتى الأرجون وأشترون وكانت الأموال التى تجمع فى الولايات المتحدة من أجل تصعيد أعمال الإرهاب تعفى من الضرائب باعتبارها إعانات مدفوعة لأعمال البر (٢) وشرح بن جوريون هذا الاتجاه الجديد الذى ظهر فى السياسة الصهيونية شرحا وافيا حيث قال : (٣)

(1) ibid p 261-262.

(2) ibid p 254.

(3) Ben-Gurion, David, Israel, Years of challenge

Op., cit., p 23.

فما يتعلق بى لم يكن قد بقي لدى شك فى أن مركز الثقل لنشاطنا السياسى كان قد انتقل من بريطانيا إلى أمريكا التى ضمننت لنفسها المكان الأول فى العالم » .

كذلك ينبغى أن نشيرون نحن بصدد تقييم دور الدول الكبرى عموماً وبريطانيا على وجه الخصوص فى هذه الفترة أن بريطانيا (١) هى التى انصرفت إلى رعاية الخطوات الأولى التى راحت تخطوها الدول العربية وعنيت بمشروعها الخاص بسوريا الكبرى وربما كان ذلك يعنى أن مصالحها أصبحت لا تدفع بها فى اتجاه الجانب اليهودى وإنما فى اتجاه الجانب العربى ، ومن المعلوم أن المصالح وحدها هى التى تخطط اتجاهات الضمير فى عالم السياسة ، وربما يكون تقييمنا هذا أقرب إلى الصواب بدليل ما أشار إليه ممثل بريطانيا فى الأمم المتحدة حينما قام ليشرح الأسباب التى حملت بلاده على الانسحاب من فلسطين قال :

« أننا نرفض مسئولية فرض العمل الذى لا يرضى به الطرفان والذى لا يرضى عنه ضميرنا »

كذلك فإننا نجد أن حكم الصهيونيين فيما بعد جاء قاسياً على ما قامت به دولة الانتداب فى فلسطين ، واستغل الصهيونيون حادث السفينة اكسودس (Exodus) فى يوليو ١٩٤٧ والتى كان الصهيونيون قد جمعوا على ظهرها أربعة آلاف وخمسمائة من المهاجرين بغرض لفت نظر اللجنة المكلفة من قبل الأمم المتحدة بإجراء التحقيق فى فلسطين عن طريق إحدى العمليات التى لم يسبق لها مثيل من حيث الخطورة والجسامة ، وهو الحادث الذى استغلته الصهيونية ضد بريطانيا من حيث أن دولة الانتداب قد اعترضت فى السنوات الأخيرة من مهمتها سبيل التطور أمام الوطن القومى اليهودى ومنعت

(١) جالينا تيكيتيا ، دولة إسرائيل ، خصائص التطور السياسى والاقتصادى دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار ص ص ٣٢-٣٨ .

دائماً المهجرة الخفية ولم تتردد في إعادة الناجين من سفينة أكسودس الغارقة إلى ألمانيا بعد أن أصبحوا ذات صباح وهم على مرمى النظر من فلسطين .

إلا أننا في النهاية ندين بريطانيا بدون تردد ، فهي التي أشرفت على مولد الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وهي التي سهرت على بعثه وهي التي أحاطت برأعه الأولى بعنايتها ورعايتها الواعية التي انعكست على تعيين سبعة مندوبين ساميين (١) تعاقبوا منذ أبريل ١٩٢٠ حتى مايو ١٩٤٨ على حكم فلسطين حكماً مباشراً وساندوا في إقامة الدولة اليهودية من حيث الإدارة والتنظيم بدليل زيادة عدد المهاجرين من اليهود في عهد الانتداب فارتفع من ٨٠,٠٠٠ إلى ٦٤٠,٠٠٠ نسمة ، وعندما تخلصت بريطانيا من مسئوليتها في فلسطين كان هذا الوطن القومي ذا مدن خاصة به ، يمتلك أراضيها ، ويمتلك صناعته ، وله جيشه الخاص .

ولم يعرف تاريخ الانتداب حالة واحدة أخرى - عدا حالة فلسطين ، تنكرت فيها دولة الانتداب للمدنية كما فعلت بريطانيا في فلسطين ، ففي مواجهة عرب فلسطين الذين لم يلحقوا قط الأذى لأرواح البريطانيين ولا بأموالهم ، لم تتردد الدولة المنتدبة في استخدام العمليات العسكرية التي أسفرت عن ألوف القتلى منهم ، أما في مواجهة اليهود الذين نسفوا مبانيها وقتلوا جنودها (٢) وشرطيها بالمئات والذين ضربوا ضباطها بالسياط والذين

(١) وهؤلاء المندوبون هم ، هربرت ، صمويل ، والفيلد مارشال لورد بلومر والسير جون تشنسلور والفتاننت جنرال آرثر واكهورب والسير هارولد مكمايكل ، والفيلد مارشال فيكونب جوزت والجنرال سير آلان كينجهام . ويرى الدكتور اسحق الحسني - أحد الخبراء الفلسطينيين المعاصرين - للمشكلة الفلسطينية - أن هربرت صمويل كان أبرز هؤلاء المندوبين بل إنه أتم ما بدأ هرتزل ووايزمان - انظر في تفصيل ذلك : الدكتور اسحق موسى الحسني ، مذكرات في المشكلة الفلسطينية ، مرجع سابق صص ٣٠-٣٩ .

(٢) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى تاريخ ٢٠ من أكتوبر عام ١٩٤٧ فقد الجيش البريطاني ١٢٧ قتيلاً ، ٣٣١ جريحاً بسبب أعمال الارهاب التي قام بها اليهود أنظر في تفصيل ذلك :

Kirk Gbeorge, Thd Middle East 1945-1950 Op., cit

شنتقوا الرهائن من رجالها ، فقد اكتفت سلطة الانتداب بإصدار بعض أحكام الإعدام التي لم يشهد منها غير سبعة فقط .

والأمو الذي يشير مزيداً من العجب هو ما أشار إليه ألسير آلان كننجهام آخر مندوب ساعي بريطاني - في اللحظة التي غادر فيها فلسطين وكانت حراستها مسندة إليه قوله : (١) »

« لقد كان من اليسير القضاء على الإرهاب اليهودي في فلسطين في بضع ساعات لو أن قواتنا تلقت التصريح باستخدام طاقة أسلحتها ضد الجالية اليهودية في مجموعها ، ولكن إجراء كهذا لم يخطر قط على بال حكومة صاحبة الجلالة ، كما أن جيشنا لم يرغب قط فيه ولم يرض به أبداً . وما من قوات أخرى في العالم تستطيع أن تحتفظ بمثل هذا التحكم في حسابها وبمثل هذا الاعتدال والتسامح أمام تلك التحديات المستمرة . »

الموقف السوفيتي :

تعتبر الصورة السوفيتية تجاه المشكلة الفلسطينية سواء في الفترة من دخول الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية أو في الفترة التي تلت الحرب - تعتبر مسألة بالغة التعقيد إن لم تكن من أعقد الأمور - بصدد هذا البحث - فليس ثمة دراسة جادة تعرضت لهذه النقطة إلا وأحجمت عن تقديم تقييم علمي عن الصورة السوفيتية تجاه المشكلة الفلسطينية فضلاً عن تضارب هذه الصورة كما يتضح مما يلي :

أولاً : قبل الحرب العالمية الثانية :

أوضح ستالين في دراسته المشهورة (٢) التي ظهرت عام ١٩١٣ حول الماركسية والمسألة القومية حيث أوضح ستالين أن اليهود لا يؤلفون أمة

(1) Aleum, OP. cit., pp 268-269.

(2) Stalin, Joseph, Marxism and the National and Colonial Question «Moscow, Co-operative Publishing society, 1935, pp 4-10.

وكذلك هاجم ستالين الحركة الصهيونية واتهمها بالشوفينية ، إلا أنه من ناحية أخرى اتخذت العقيدة الشيوعية موقفاً فكرياً معيناً من المسألة اليهودية الناجمة عن التمييز العنصري والديني واضطهاد اليهود في أوروبا - والذي له تاريخ حافل طويل - وهو ما لا يتفق بموضوع هذا البحث - ففي البداية صدر عام ١٩١٨ بيان عن مجلس مفوض الشعب ونشر في الأزفستيا بتاريخ ٢٧ يوليو عام ١٩١٨ بضرورة اتخاذ الإجراءات التي من شأنها أن تقضي بصورة فعالة عن الحركة اللاسامية في جندرها وملاحقة من يقومون بالمذابح ضد اليهود ويثيرون الناس للقيام بها (١) .

إلا أنه حدث في يونيو عام ١٩١٩ أن اتخذ الحزب الشيوعي السوفيتي قراراً نص فيه على وقف نشاطات الحزب الصهيوني في الاتحاد السوفيتي لقيامه بدور مضاد للثورة الشيوعية وحل النوادي والمنظمات الصهيونية في الاتحاد السوفيتي واعتقال الكثيرين، من زعماء الحركة الصهيونية في تيراوجراد وكيف وموسكو ، وتغالى المصادر الصهيونية (٢) في عدد المعتقلين من هؤلاء الزعماء .

وفي عام ١٩٢٧ وصل مبعوثان صهيونيان من فلسطين سرّاً إلى الاتحاد السوفيتي بهدف الاتصال بالعناصر الصهيونية وتنظيمها ولكنهما اعتقلا (٣) .

(1) Schwarz, Solomon, The Jews in the Soviet Union Syracuse University Press 1951, pp 247-257. Goldberg B. Z., The Jewish problem in the Soviet Union, New York. Crown Publishers, 1961 pp 357-358.

(2) West, Benjamin : Struggles of a Generation. Tel Aviv, Masadah publishing. Co. 1959- pp 50-5.

(3) Teller, Judd, The Kremlin, the jews and the Middle East New York, Thomas Yasehoff, 1957 p 15.

ثانيا : موقف الرأى العام اليهودى السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية :

فى يونيو/ ١٩٣٧ أعدم ستالين (١) بعض الزعماء اليهود العسكريين فى الاتحاد السوفييتى ومنهم توخاتشفسكى وياكوف وفيلامان وايدمان وحيجارتلك ويوننا اللتوانى والبولندى بوبورفتش وبريماكوف الروسى ، ولم يبق على قيد الحياة سوى جريجورى شيسهنى من بين الزعماء العسكريين اليهود ، وعند عودته من أسبانيا عين رئيساً لمستشارى الجيش الجمهورى عام ١٩٣٧ ثم فى أقصى الشرق عين كرئيس أركان للمارشال فاسيلى بلوخر وعندما قرر اليابانيون عام ١٩٣٨ اختبار مدى تصميم الكرملين على مقاومة العدوان على بلدهم واحتلال المرتفعات الهامة على الجانب السوفييتى من بحيرة قازان فوض بلوخر شترن فى قيادة قوات الجيش الأحمر لمواجهة العدو حيث أنه كان مدركاً تماماً لأهمية هذه العملية ، كذلك أرسل ستالين لازار فليس نائب قوميسار الدفاع اليهودى ليعمل مشرفاً على اشترن ، وفى أغسطس ١٩٣٨ أخرج اشترن اليابانيين ومنح وسام اللواء الأحمر ورقى إلى رتبة قائد جيش حديث .

ومن ناحية أخرى فقد ظهر الحلف السوفييتى - الألمانى فى لحظة حرجية للغاية من تاريخ اليهود السوفيت . ولا شك أن أغلبية الروس والأكرانيين والبييلورسيوين وافقوا على سياسة ستالين والى تجعل من بلدهم خارج الحرب الأوروبية واعتبروا أن الحلف له ما يبرره تماماً إزاء السياسات التى تنتهجها كل من الحكومات البريطانية والفرنسية لأنه بصرف النظر عن ذكرياتهم الشخصية تجاه العرب كانوا متأثرين كذلك بشعور دفين من أنه فى كل تلك الحروب التى مرت بالتاريخ الروسى كانت أداة نافعة ضمن تخطيط غربى ثنائى ، وبقا ، أدى الحلف الروسى - الألمانى إلى الإساءة إلى ضمائر الأقلية

(1) Kochan, Lionel, The Jews in Soviet Russia since 1917
London Oxford University press 1970 pp 270-271.

الماركسية المثالية ولكن لم يحدث نفس الشيء لأغلبية أعضاء الحزب وللبلوكة ككل .

أما بخصوص مشاعر وردود الفعل عند اليهود السوفيت ، فلا زال هذا بعيداً عن تناول المؤرخ المعاصر لعدم وجود مصدر دقيق يروى ذلك، ولكن من الواضح أن كثيراً من اليهود كانوا مفتقدين للحلف ذاته وآثاره على الحياة السوفيتية ولم يسعهم إلا الإنزعاج عندما قرىء مثلاً في جريسانة Bez Lozhnick الصادرة في ٥ مايو ١٩٤٠ مقالة كتبها مراسل كان قد زار ألمانيا وقد ذكر هذا المراسل أن الهجوم النازي على الديانة اليهودية كان الإنجاز الأساسي للتاريخ الثالث ، ومن ثم كان على السوفيت الملحدون مساعدة حلفائهم السياسيين الجدد في حربهم على الأديان (١) .

وقد انقضت الشهور الإثني والعشرين في الساعات الأولى من الثاني والعشرين من يونيو ١٩٤١، وحسب تعبير التاريخ السوفيتي الرسمي الحرب «إن الشعب السوفيتي لا يستطيع أن ينسى في الحال أو مستقبلاً مأساة اليوم الأول في الحرب ، وسوف لا ينسوها لأنه في فجر ذلك اليوم حدث عمل من أعمال الخيانة لم يسبق له مثيل ضد بلدنا المحب للسلام بالإضافة إلى نتائج الهجوم المفاجيء والتي كانت سيئة للغاية » (٢) وذلك نتيجة لغزو جيوش هتلر الأراضي السوفيتية وأصبح اليهود على حد ادعاء نفس المصادر هم الهدف الأساسي للوحشية النازية فقتل مئات الألوف وأثناء سنوات الحرب كان الدمر الألماني مصحوباً بالاضطهاد السوفيتي المتواصل والشديد أحياناً للصهيونية والصهيونيين .

وكائنات النتائج طبقاً للبيانات السوفيتية الرسمية فقدان ما يزيد على

(1) Goldberg B. Z. The Jewish problem in the Soviet Union op., cit, PP 309 -- 306.

(2) Kochan, Lionel, iThe Jews in Soviet Russia since 1917 op. cit., PP 271 -- 272,.

٢٠ مليون نسمة نتيجة للتطهير الذي قام به ستالين إلى جانب تقديراته السيئة وتحت تأثير الهزائم الرهيبة التي حدثت في المراحل الأولى للحرب سمح ستالين لليهود السوفييت برفع صوتهم كشعب مرة ثانية ، وفي نفس الوقت فبواسطة السياسة المضادة للصهيونية في الجبهة الداخلية بذلت الحكومة السوفيتية جهداً كبيراً لكي تدرج تعاطفا وتعزیزا لليهود العالم في جهودهم للحرب بندهاتهم للتضامن اليهودي ، وفي ٢٤ من أغسطس عام ١٩٤١ سمع نداء اليهود في العالم للمرة الأولى في صوت راديو موسكو يخاطبهم على أنهم الأخوة اليهود. Briden Yiden-Brother Jews وفي هذه الإداعة قال الشاعر بيرتس ماركش : « إن كل اليهود أصبحوا الآن شعبا واحداً وجيشاً واحداً وأن المحيط لن يعده يقسمهم »

All Jews were now one people and one army and no longer would the ocean divide them,

وفي نفس اليوم أعلن كل من سولومون مايككز وبيرتز ماركش ودافيد برجلين ورجل الجيش الأحمر جيروم كوزننسوف والعالم بيترا كابينزا وسيرجي أفشتين بفخر انتسابهم إلى الشعب اليهودي والذي اختاره النازي كهدف رئيسي لكراهيتهم وللمرة الأولى منذ عام ١٩١٨ عاد صوت جميع اليهود الروس إلى التردد والظهور تحت عنوان « مع كل إخواننا اليهود في كل بقاع الأرض » .

وفي إبريل ١٩٤٢ جاء في موسكو إعلان تكوين لجنة اليهودية المناوئة للفاشية وكان الهدف الرئيسي للجنة هو تكوين رأي عام في صالح السوفييت برئاسة شلومون منجلوز الممثل وأنزى فيفر الكولونيل بالجيش الأحمر وأمير الشعراء الاشتراكي والذي مجده أشعار حركة « الرعب » (١) للمفتي

(1) Kochan, Lionel, the jews in Soviet Russia since

1917 op. cit p. 272

Istoriya valikoi Otechestvennoi Vainity Sovetokvovo 1945-1945

6 vols. Moscow 1961-1965

الحسيني ضد يهود فلسطين ، لكن الحقيقة ذاتها التي تكمن وراء نشأة اللجنة كانت في حد ذاتها تأكيداً للتضامن الوطني اليهودي ، وكان لقصيدة فيفر التي نظمها في وقت الحرب بعنوان «أنا يهودي كان لها رنة النظم الصهيوني وتظهر بوضوح المكابيين كأبطال ورموز للتمرد الوطني واليهودي .

وفي عام ١٩٤٢ ذهب كل من فيمولوز وفيفر تصحبهما «البركات» (٢) الشخصية «لستالين إلى الولايات المتحدة وانجلترا للمطالبة الدائمة «للمعم اليهودي الفعال لجمهور الحرب السوفييتية وكان منهما أنهم شغوفون بأن يؤكدا التفاهم والعطف الصهيوني ، وفي لندن صرح فيمولوز أن الصهيونية كانت فكرة عظيمة رغم أنها لم تكن تصلح للتطبيق على حركة يهود الاتحاد السوفييتي بجنودها العميقة في روسيا . وعند عودته إلى موسكو هو وفيفر في ديسمبر ١٩٤٤ أرسلتا تحياتهما بمناسبة عيد ميلاد وايزمان السبعين (١) وقد أظهر إيفان مايسكي إهتمامه بفلسطين والصهيونية وكان هو المبعوث السوفييتي السابق إلى لندن الذي زار فلسطين في أكتوبر ١٩٤٣ وأرسل تقريراً ملتهباً glawing إلى موسكو .

وفي يناير ١٩٤٤ أعطى إذن لعرض منتجات زراعية في موسكو من المستوطنين الزراعيين اليهود في فلسطين ، وفي أبريل التالي كان الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي لاحظ أثناء الثورات الدائمة المناهضة لليهودية في أعوام ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ لاحظت توجهات الكرملين ومجد الطبيعة الثورية القومية لرجال المفتي ، وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني قد تلقى تعليمات جديدة وأعلن استعدادة للتعاون مع المستعمرات في النضال من أجل تنفيذ الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩ .

VOOSS .

(1) Ibid, p. 114.

(2) West, Benjamin, (ed) Struggle of a generation, the Jews under Soviet Bule, op., cit, PP 23 - 24.

وفي نوفمبر ١٩٤٤ كتب شاشانا ايفستين - سكرتير اللجنة اليهودية المناوئة للفاشية كتب في فرع اللجنة المسدي ايتيكايث أن « الشعب اليهودي له الحق في الاستقلال السياسي في فلسطين » وأنه (لا يمكن لأي شخص ذو حس مرهف ومحب للحرية أن يكون له أي اعتراض على استمرار اليهود هناك في فلسطين أن يتطوروا في الحرية ويطوروا وطنهم الذي أقاموه من خلال العمل الشاق على أساس الحكم الذاتي) .

وفي مؤتمر نقابات العمال العالمي في لندن (فبراير ١٩٤٥) وافق الوفد السوفيتي على قرار ينص على أن (الشعب اليهودي يجب أن يمكن من مواصلة إعادة بناء فلسطين كوطن قومي) وقد لوحظ باغتياب أن صحيفة النجم الأحمر لموسكو - وهي عضو من الجيش الأحمر أصدرت مقالة صحفية تنتقد بدرجة عالية الجامعة العربية في ١٣ يوليو ١٩٤٥ وبعد ذلك يومين أذيعت محتوياتها من راديو موسكو باللغة العربية .

الحركة الصهيونية والمصالح السوفيتية في العالم العربي في الأربعينات :

يجب أن نسلّم منذ البداية بأن الصورة السوفيتية عن الحركة الصهيونية قد تأثرت بالتقييم الأيديولوجي الماركسي المعادي لها . (١)
وتشير كل الشواهد إلى استمرار الصورة السلبية تجاه الحركة الصهيونية بعد بداية الثورة البلشفية وحتى الحرب العالمية الثانية على الأقل (٢)، حيث لم يكن تقييم الحركة الصهيونية بأنها « من أشد الحركات رجعية » سائدا فحسب ، بل ساد أيضا اتجاه ينظر إلى الانتفاضات العربية في فلسطين في ١٩٢٩، ١٩٣٦

(1) Laqueur, Walter, Communism and Nationalism in the Middle East, London, Routledge and Kegan Paul, 1956.

وأنظر أيضا
Laqueur, Walter, The Struggle for the Middle East. The Soviet Union and the Middle East 1965 - 1968 London 1969.

(٢) راجع دراسة الدكتور أحمد يوسف أحمد حول سياسة إسرائيل الخارجية ١٩٤٨ -

١٩٥٦ - مرجع سابق .

على أنها حركات ثورية تقدمية بحكم أنها جزء من حركة التحرير الوطني (١) ويدعم هذا التقييم التكامل العضوي بين الحركة الصهيونية وبريطانيا منذ صمود وعد بلفور ١٩١٧ ، والنص في وثيقة الانتداب في ١٩٢١ على تنفيذ بريطانيا لهذا الوعد باعتبارها الدولة المنتدبة ويلاحظ أن بعض آراء الأقلية التي تحدثت عن صهيونية تقدمية وثورية وبروليتارية في مقابل أنظمة الحكم الرجعية في الشرق العربي (١) وعن إعجاب بمنجزات الرواد الصهيونية الأوائل في فلسطين والتي ترددت داخل الكومنترن صهرت عن مصادر غير سوفيتية وبصورة نادرة ومتقطعة وغير منسجمة مع الاتجاه السوفيتي العام وإن كان السماح بنشرها يعتبر دليلاً يمكننا على عدم الاهتمام بالمشكلة الفلسطينية على مستوى سياسي رفيع (٢).

وتعتبر الصورة السوفيتية عن الحركة الصهيونية في الفترة من دخول الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية وحتى إنشاء دولة إسرائيل مسألة معقدة وهناك من الآراء (٣) ما يرى بتغير هذه الصورة نتيجة لعدة عوامل يمكن أن تلخص أساساً على مجموعتين :

المجموعة الأولى :

يمكن أن توصف بالعوامل الداخلية في بنية الحركة الصهيونية ، وهي التي تشير إلى فكرة الصهيونية الاشتراكية ومؤداها أن المجتمع اليهودي الذي كانت الحركة الصهيونية تجلبه إلى فلسطين كان يحمل في تنظيمه ملامح

(١) Pertez, Don. Isreal and the Palestine Arabes, (١) Washington : The Middle East Institute 1958, p. 130.

(٢) والتر لاكور : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، أغسطس ١٩٥٩ ص ٥٢ - ٥٣ ،

١١٧ - ١٤٩ - ١٥٠

وأنظر أيضاً

Martin, don: Communist Tactics in Palestine in Foreign Affairs, Vol 26, July 1948 p. 217.

والتر لاكور : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ٥٣ : ١٥٠ .

اشتراكية تتمثل أساسا في الأسس الجماعية للإنتاج الزراعي اليهودي في فلسطين ، ووجود جناح يساري قوى داخل الحركة الصهيونية .
المجموعة الثانية :

يمكن أن توصف بالعوامل الخارجية وتعتمد على الدور الذي لعبته الصهيونية ضد النازية أولا ثم ضد بريطانيا في فلسطين ثانيا والآفاق المحتملة لعلاقات الصهيونية مع الاتحاد السوفيتي فيما لو قامت دولة يهودية على أساس أن هذه العلاقات ستكون امتدادا لكل ماسبق من عوامل ١٥

ومن المتوقع بداية أن يكون السوفييت هم أكثر الناس تطرفا في الوصول إلى أحكام قاسية على فكرة الصهيونية الاشتراكية أو اليسار الصهيوني بحكم الدور الذي تقوم به الأيديولوجية الماركسية ذات الموقف المحدد من الصهيونية في تشكيل الإدراك السوفيتي لها .

وإذا كان لا تسكي (١) قد تأسى بهذا الصدد من تأييد الدوائر السياسية في الغرب (الرجعية العسكرية كما وصفها) للأمانى الصهيونية (٢) فكيف تنصور أن يعرض الاتحاد السوفيتي نفسه لمثل هذا النقد بتبصيقه لفكرة الصهيونية الاشتراكية (٣) ؟

أما مجموعة العوامل الخارجية وبعبارة أخرى انتفاءات الصهيونية على خريطة القوى الدولية ، فليس ثمة تصريح سوفييتي واحد يمكن أن يتيح لنا التقييم السوفيتي لدور الصهيونية في مقاومة النازية (٤) .

ويذكر « لاکور » : (ولما التأم المؤتمر الصهيوني في سويسرا عشية الحرب العالمية الثانية كانت تعليقات السوفييت عليه ودية ولأول مرة تقريرا ،

(١) لا تسكي هو أحد الخبراء السوفييت البارزين في شئون الشرق الأوسط وهو يهودي غادر أوكرانيا إلى فلسطين في مطلع العقد الثالث ، ولكنه عاد إلى موسكو بعد سنوات والتحق لوقت بوزارة الخارجية ثم طرد منها في عام ١٩٤٩ .

(٢) والتر لاکور : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط - مرجع سابق ص ١٧٣ .

(٣) راجع دراسة الدكتور أحمد يوسف أحمد - مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع .

وامتدح اليهود لمحاولتهم إقامة جبهة متحدة ضد هتلر من أجل الدفاع عن الديمقراطية بشتى الطرق والعمل على هزيمة الفاشية العسكرية ولكن هذا الموقف لاودى ما لبث أن تغير بعد أن عقد الاتحاد السوفييتى معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ، ثم عاد فتغير مرة أخرى بعد الهجوم الألمانى عليه ، وثمة افتراض مبرر لدى لاكور بأن الاتحاد السوفييتى لم يكن مهتماً فى ذلك الوقت بالحركة الصهيونية إلى الحد الذى يجعلنا نتوقع منه أن يعيد بين فترة وأخرى تقييمه للحركة الصهيونية (١).

ويلاحظ من ناحية أخرى أن بعض المصادر السوفييتية الحديثة (٢) تتحدث عن تعاون صهيونى نازى فى فترة الحرب الثانية ، غير أنه ليس ثمة إشارة واحدة إلى أن هذه المسألة كانت معلومة فى حينها للسوفييت ومن ثم لا يمكن اعتبارها مؤثرة على الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت.

وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن السوفييت كانوا يضعون التناقضات الصهيونية البريطانية فى فلسطين فى إطار التناقضات الثانوية التى لا تلغى عمالة الحركة الصهيونية للإمبريالية البريطانية ، وتشير إحدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية إلى أن الصهيونية كان ينظر إليها فى الاتحاد السوفييتى حتى عام ١٩٤٤ كأداة الإمبريالية البريطانية ، كما يحدثنا لاكور عن نشرة سوفييتية صدرت عام ١٩٤٦ يقول : إنها النشرة الوحيدة فى هذا الموضوع فى فترة ما بعد الحرب ، فقد جاء فيها : « أن ما تريده الصهيونية حقاً ليس الاستقلال وإنما ديمومة الانتداب الأجنبي » (٣).

(١) المرجع السابق ص ٥١-٦١ .

(٢) بولشاكوف ، ف. معاداة الشيوعية مهنة الصهاينة - موسكو : مطبوعات وكالة أنباء نوفوستى للنشرة ١٩٧٢ ص ٢٣-٤٤ .
 أيفانوف ، يورى : احلروا الصهيونية ، ترجمة أحمد داود ، دمشق منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارتداد القوى ١٩٦٩ - سلسلة من أدب المعركة - ٧ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ١٧٣ .

وهكذا كانت استمرارية الصبورة السوفيتية عن الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية بافترض أنها حركة رجعية في الداخل مرتبطة بالإمبريالية الغربية في الخارج وهذا الافتراض وإن اتسق مع التقييم الإيدلوجي السوفيتي للصهيونية إلا أن الشواهد العملية على صحتها قليلة وغير قاطعة ، كما أنها — وهذا هو الأهم — تقف بنا عند عام ١٩٤٦ ولا تستطيع تقديم أى — تحديد للصورة السوفيتية عن الحركة الصهيونية في السنتين الحاسمتين ١٩٤٧—١٩٤٨ (١) **الاتصالات بين الاتحاد السوفيتي والحركة الصهيونية أثناء الحرب وأثرها على مشكلة فلسطين :**

حدثت اتصالات متبادلة بين الاتحاد السوفيتي والحركة الصهيونية في تلك الفترة ؛ فقد استقبل السفراء والممثلون الدبلوماسيون السوفييت في منتصف عام ١٩٤١ في واشنطن ولندن وأنقرة وطهران قادة صهيانية حاولوا كسب التأييد السوفيتي للأهداف اليهودية في فلسطين حوالى ذلك الوقت وحتى أوائل ١٩٤٢ . وفي صيف ١٩٤٢ أرسل دبلوماسيان سوفيتيان من أنقرة إلى فلسطين لزيارة المجتمع اليهودى هناك بمناسبة تأسيس عصبة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي ، وفي الجزء الأخير من ١٩٤٣ بدأ السوفييت يبادرون بهذه الاتصالات ، فقد قام إيفان مايسكى — السفير السوفيتي في لندن بزيارة فلسطين وتم اختياره نائباً مفوضاً للشئون الخارجية السوفيتية وقد تمت الزيارة في الفترة من ٢ — ٤ أكتوبر ١٩٤٣ وكانت أول زيارة يقوم بها مسئول سوفيتي لفلسطين (٢) .

ويقال أن مايسكى أصر على زيارة الصناعات اليهودية ، تفقد عدداً المستعمرات اليهودية والمستوطنات الجماعية وعاد إلى موسكو متأثراً بالإنجازات الصهيونية وإمكاناتهم وقدم بذلك تقريراً شاهلاً .

(١) دكتور أحمد يوسف أحمد — مرجع سابق .

(2) Yacov. Ro'. Soviet Israeli Relations 1947-1954. in: M. Confino: S. Shamir(eds), The USSR and the Middle East, Jerusalem Israel Universities prens 1973. p. 123.

كذلك يقال أن دبلوماسياً سوفيتياً كبيراً قد أدلى في نفس السنة بالملاحظات التالية: (١) « فيما مضى في العشرينات لم يكن بمقدورنا سوى أن نعتبر الصهيونية عملية للامبريالية الغربية ، وكان لزاماً أن نعاملكم تبعاً لذلك ، وعلى أية حال فقد تغير الموقف برمته الآن ، إذ لا يبدو أن بريطانيا والصهيونية في خلاف دائم فحسب ، بل إن نظرتنا أيضاً قد مرت بتطور شديد ولو كان لروسيا السوفيتية أن تهتم بمستقبل الشرق الأوسط فمن الواضح أن اليهود المتقدمين والتقدميين في فلسطين يمثلون تشجيعاً لنا أكبر بكثير من العرب المتخلفين الذين تحكمهم عصابات إقطاعية من الملوك والأفندية .

وقد حرص الصهاينة « اليساريون » وغير اليساريين في الواقع — إتصلااتهم مع الاتحاد السوفيتي أن يقدموا مجموعة من الوعود والتنبؤات الشخصية فيما يتعلق بالاتجاه السياسي للدولة لليهودية المستقبلية ، ومؤدى هذه الوعود والتنبؤات أن عدداً من اليساريين قد يصل إلى المواقع البارزة في الحكومة المستقبلية لهذه الدولة (٢) .

وفي منتصف ١٩٤٧ صرح موشى سنيه — وهو بولندي الأصل (٣) وشخصية

(١) Karammer, Soviet Motives in Partition of palestine, Journal of palestine Studies, Vol. II. no. 2, (Winter 1973) p. 206.

(٢) دكتور أحمد يوسف أحمد نقلا من المرجع السابق ص ١٠٣ - ١٩٤ .

(٣) ترك موشى سنيه بولندا بعد الغزو الألماني في ١٩٣٩ إلى فلسطين بعد أن تطوع لفترة معينة في الجيش البولندي وبعد ثلاثة شهور من وصوله إلى فلسطين احتير قائداً للهاجاناه واحتفظ بهذه الوظيفة ست سنوات وفي عام ١٩٤٦ أصبح مديراً للوكالة اليهودية في باريس وعمله الأساسي تمثيل الوكالة اليهودية في أوروبا سعيًا وراء تأييد تقسيم فلسطين وقدر في ذلك الوقت أنه الشخصية الثالثة من حيث الأهمية في الحركة الصهيونية ، وانظر :

Ebon Martin : Comunist Tacties in Palestine , in : Foreign Affairs, Vol. 26., July 1948 p. 266.

صهيونية قيادية منذ شبابه (١) بعد أن زار بولندا في ظل النظام الشيوعي بأن « الدولة اليهودية الصغرى تستطيع أن تحقق بالتوجيه نحو الاتحاد السوفيتي أكثر مما تحققه بالارتباط بلندن » .

وأحد الشخصيات الهامة أيضا في هذه الاتصالات هو موردخاي أورين ممثل حركة هاشومير هاتزير اليسارية الذي قضى معظم حياته منذ هجرته إلى فلسطين يطوف العالم لحشد التأييد للحركة الصهيونية حيث يقول : « كان نشاطي منذ عام ١٩٤٥ ذا طبيعة رائدة في المجالين السياسي والدبلوماسي وإن يكن بصفة غير رسمية ، بل وحتى في مجال الدعاية الجماهيرية في الصحافة والإذاعة ، وقد قمت بعمل بالنيابة عن هاشومير هاتزير . . . وقد يكون السبب في أن عملي كان أكثر فعالية من الرسميين هو أنني كنت أتحدث باللغة الايديولوجية والسياسية لتلك النظم » (٢) . . . يقصد نظم أوروبا الشرقية .

ولم يكن موشيه سنه وموردخاي أورين هما الوحيدان بهذا الصدد فهناك مثلا وفد آخر أرسل للتأثير على الوفد السوفيتي في الأمم المتحدة في بدايه عام ١٩٤٧ وقد ذكر ناتان بلدرئيس هذا الوفد فيما بعد أنه افتعل صداقة مع أعضاء الوفد السوفيتي مما مكنه من عقد اجتماعات معه ومع زملاء له

(1) Karamer, Soviet Motives in Partition of Palestine op., cit, PP 104 - 105.

وذلك في رسالة بعث بها أورين في ٧ مارس ١٩٦٩ الموضحة بالمتن ، ومن المثير أن موردخاي أورين قد أنهم في محاكمات براج الشهيرة في عام ١٩٥٢ بأنه جاسوس أنجلو أمريكي ونال حكما بالسجن لمدة ١٥ سنة وأفرج عنه فيما بعد عام ١٩٥٦ .

(2) Laqueur, Walter, Communism and Nationalism in the Middle East op. cit., P 115 .

(م ٩ - مشكلة فلسطين)

كانوا يسألون فيها عن معلومات حول مسائل محدودة قليلة كالنموذج الاجتماعي للاشيطان اليهودي في فلسطين والأحزاب والمشروعات الاقتصادية . . . الخ ، لما كان بلد - كما ذكر - يعلم أن هذه المعلومات كانت تذهب إلى موسكو ، فمن المؤكد دائماً أنه تحدث باللغة التي يفضلها السوفييت ، وكذلك عقد الممثلون الرسميون للوكالة اليهودية في الأمم المتحدة - موسى (١) شرتوك والياهو ايشتين وافيد هورويتز سلسلة محادثات مع بعض أعضاء هذا الوفد لنفس الغرض وحوالي نفس الوقت (٢) .

هناك من الشواهد أذن ما يشير إلى أن الاتحاد السوفيتي قد تعرض من أكثر من طريق لمحاولات مثابرة للتأثير عليه من جانب مجموعة من الصهاينة الرسميين وغير الرسميين الذين لاشك أن عرضهم للدولة اليهودية المستقلة قد تم بحيث بدأ في صورة موالية للمصالح السوفيتية .

وعموماً فإنه لا يوجد رأى قاطع بأن هذه المحاولات قد أثمرت في تغيير الصورة السوفيتية عن الحركة الصهيونية ومن ثم عن دولة يهودية مستقبلية وذلك بالرغم من أن هذه النتيجة تختلف مع آراء فريق من المؤرخين العرب المعاصرين (٣) وأن كنا نتفق معهم في تصورهم - أن هذه الاتصالات المكثفة قد أثرت على الإدراك - السوفيتي خصوصاً تلك التي تتعلق بالصورة الصهيونية في مواجهة الصورة العربية بحيث

(١) موسى شاريت - كان وزير خارجية إسرائيل ورئيس وزرائها فيما بعد

(2) Karammer, Soviet Motives in Partion of Palestine op. cit, 105 - 106 .

(٣) الدكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٥٠ حيث يقول « وهناك عامل ثالث يجب أن يؤخذ في الاعتبار وهو أن الاتحاد السوفيتي لابد وأن يكون قد قارن بين المجتمع اليهودي الذي يؤسس المزارع الجماعية وبين الحكومات الرجعية العربية في ذلك الحين التي يرتبط بعضها بمعاهدات تحالف مع بريطانيا ، ولاحظ أن المجتمع اليهودي يمكن أن يكون حقلاً أسهل لنشاط الشيوعية في بلدان الشرق العربي الأخرى .

تكون الأولى أفضل من الثانية وتكون الدولة اليهودية المستقبلية من ثم بديلاً للوجود البريطاني في فلسطين أفضل من دولة عربية ترث حكومتها العمالة لبريطانيا واضطهاد الشيوعيين الخ ؛ كذلك يمكن أن نتصور تأثير الإدراك السوفيتي بالفكرة الماركسية التقليدية عن الظروف الموضوعية للثورة ، فمن الممكن أن يكون المجتمع اليهودي المتقدم اقتصادياً وصناعياً عن المجتمع الفلسطيني قد نظر إليه باعتباره أكثر ملائمة من الثاني لنمو حركة عمالية يسارية بالإضافة إلى أن المنطقة العربية كلها كانت منطقة زراعية مختلفة وكانت إسرائيل - في حالة قيامها - تبشر بنهضة صناعية تؤدي إلى انتشار الشيوعية (١) .

كذلك يمكن القول أن تحليل موقف الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة لا يزال بعيداً عن تناول المؤرخ وذلك بالنظر إلى الغياب الكامل للرواية السوفيتية عنها ، فمن الطبيعي أن يميل الصهاينة إلى تضخيم أعمالهم والتأكيد على أحوالهم فيما يتعلق بتغيير نظرة السوفييت إلى الصهيونية (٢) .

ولحو ما يمكن القول ، فإن القادة السوفييت الذين هم على مستوى صنع القرار ليسوا بهذا القدر من السذاجة الذي يتضمن تغيير خبرة تاريخية ذات جذور ضاربة في أعماق إيديولوجيتهم عن حركة كالحركة الصهيونية لمجرد أن موسى سنيه قد أثار إلى إتجاه نحو الاتحاد السوفيتي

(١) ناجي علوش : الماركسية والمسألة اليهودية (١٨٤٤ - ١٩٦٨) بيروت دار الطليعة للطباعة فبراير ١٩٦٩ ص ٨٩ .

(٢) كما أنه مما ينافي التسييب أن نستدل على نجاح هذه الاتصالات بقرار سياسي لحقها كقرار تأييد السوفييت لإنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨ فقل هذا الاستدلال يفترض أن قراراً كهذا دالة في متغير واحد فقط :
only one Variable.

راجع في تفصيل ذلك دكتور / أحمد يوسف أحمد - مرجع سابق .

وأن موردخاي أورين قد تحدث للنظم الشيوعية باغتها الايديولوجية
والسياسية أو أن ناتان بلد قد لقن أعضاء الوفد السوفييتي في الأمم المتحدة
دروسا عن الحركة الصهيونية في فلسطين (١) بعد أن افتعل صداقة مع أحد
أعضاء الوفد السوفييتي أو أن إيفان ما يسكي قد تأثر بانجازات اليهود في
فلسطين عقب زيارته لمدة يومين فقط خلال أكتوبر عام ١٩٤٣ .

(١) نفس المرجع السابق .

التسلسل للتاريخي لأهم أحداث مشكلة فلسطين

أمام الرأي العام العالمي

كما وردت في الفصل الأول

- | | |
|---|----------------|
| انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادى والعشرين في جنيف . | أغسطس ١٩٣٩ |
| موافقة الحكومة البريطانية على إنشاء القوة المقاتلة اليهودية .. | ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ |
| إيدن يعان تحاطف بريطانيا من أجل تحقيق وحدة عربية . | مايو ١٩٤١ |
| الحاج أمين الحسينى - مفتى فلسطين يقابل أدولف هتلر . | ٢١ نوفمبر ١٩٤١ |
| ألمانيا وإيطاليا يعلنان تقديم كل ما يستطيعانه من مساعدة للأقطار العربية في مواجهة الصهيونية . | ٢٨ فبراير ١٩٤٢ |
| انعقاد مؤتمر بلتمور في نيويورك و صدور قراراته .. | مايو ١٩٤٢ |
| نهاية الانتداب الفرنسى على لبنان . | ١٩٤٣ |
| الرئيس روزفلت يبحث برسالة للملك عبد العزيز آل سعود يطمئنه على الوضع السياسى في فلسطين ٥ | مايو ١٩٤٣ |
| الإرهاب الصهيونى يسود فلسطين . | سبتمبر ١٩٤٣ |
| إعلان الحكومة البريطانية موافقتها على إنشاء لواء يهودى للاشتراك في العمليات الحربية . | ١٩ سبتمبر ١٩٤٤ |
| بجوار الحلفاء .. | |

- الرئيس روزفلت يؤكد للصهيونيين عدم
موافقة أمريكا على الكتاب الأبيض الصادر
في عام ١٩٣٩ وأن أمريكا تؤيد لإنشاء وطن
قومي لليهود في فلسطين ؟
- ٧ أكتوبر ١٩٤٤ توقيع بروتوكول الاسكندرية بشأن جامعة
الدول العربية وبه ملحق خاص عن فلسطين،
نهاية الانتداب على سوريا .
- ١٠ مارس ١٩٤٥ الملك عبد العزيز آل سعود يبحث للرئيس
روزفلت ويعرض وجهة النظر العربية
بخصوص فلسطين .
- ٢٢ مارس ١٩٤٥ توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .
- ٦ أبريل ١٩٤٥ الرئيس روزفلت يرسل للملك عبد العزيز
آل سعود بعدم تأييده لأي عمل معادي للعرب
وايزمان يقدم مذكرة إلى رئيس وزراء
بريطانيا لإصدار قرار سريع بحل فلسطين
وطنا قوميا لليهود .
- يوليو ١٩٤٥ حزب العمال يتولى الحكم في بريطانيا ؟
- أغسطس ١٩٤٥ انعقاد أول مؤتمر صهيوني بعد الحرب في
لندن .
- ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ إعلان بيفن .
- ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ الأحزاب الفلسطينية الستة تكون لجنة عربية
وتتخب الحاج أمين الحسيني رئيسا لها بعد
توسط جميل مردم والجامعة العربية للتوفيق
بين الشخصيات الفلسطينية المتطاحة للزعامة ؟

- نوفمبر ١٩٤٥ اتفاق بريطانيا والولايات المتحدة على إيفاد لجنة تحقيق مشتركة لدراسة مشكلة فلسطين
- ٢ ديسمبر ١٩٤٥ الجامعة العربية تصدر قرارا بعدم إدخال المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين
- يناير - مايو ١٩٤٦ لجنة التحقيق المشتركة من الإنجليز والأمريكيين تحاول عملها وتصدر توصياتها العشر .
- فبراير ١٩٤٦ الهاجاناه وأشترن والآرجون يشتركون في عمليات أرمائية ضد المعسكرات البريطانية في فلسطين .
- يوليو ١٩٤٦ الآرجون تنسف فندق الملك داود بالقدس .
- يوليو ١٩٤٦ الحكومة البريطانية تصدر تقريرا إعلاميا عن أعمال العنف الصهيونية .
- سبتمبر ١٩٤٦ مؤتمر المائدة المستديرة في لندن (مؤتمر فلسطين في لندن) المرحلة الأولى .
- ٤ أكتوبر ١٩٤٦ التصريح المشؤم للرئيس ترومان بفتح فلسطين فورا أمام الهجرة اليهودية وإنشاء الدولة اليهودية .
- ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ الملك عبد العزيز آل سعود يرسل خطاب احتجاج إلى الرئيس ترومان على تصريحه المشؤم .
- ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ الرئيس ترومان يرد على الملك عبد العزيز آل سعود ويشجع الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

العصابات الصهيونية تصعد من أعمال العنف تجاه الضباط والجنود البريطانيين في فلسطين،	١٩٤٦	٢٩ ديسمبر
مؤتمر المائدة المستديرة في لندن (مؤتمر فلسطين في لندن) المرحلة الثانية .	١٩٤٧	يناير - فبراير
إعلان الحكومة البريطانية قرارها بعرض مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة .	١٩٤٧	فبراير
دورة خاصة في الأمم المتحدة مخصصة لمشكلة فلسطين	١٩٤٧	أبريل - مايو
الاقتراح في الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين	١٩٤٧	٢٩ نوفمبر
بدء طرد العرب من فلسطين .	١٩٤٧	ديسمبر
بدء الحرب بين العرب واليهود .	١٩٤٨	مارس
نهاية الانتداب البريطاني .	١٩٤٨	١٥ مايو

الفصل الثاني

مشكلة فلسطين أمام الأمم المتحدة

كانت بريطانيا قد سارت بمشكلة فلسطين خطوة بعد خطوة حتى وصلت بها إلى ما يسمى «عنق الزجاجة» حيث تطورت المشكلة الفلسطينية إلى أن وصلت إلى تبلور الاتجاه اليهودي في موقف مغاير تماما لموقف العرب ومعارض معه سواء في الاتجاه أو المصالح.

وهكذا جاء قرار بريطانيا في عرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذي تراه وذلك في مذكرة مرسلة إلى الأمين العام للأمم المتحدة من جانب بريطانيا بتاريخ ١٩٤٧/٤/١ تطلب عقد دورة خاصة لانتخاب لجنة تحقيق جديدة ، وفعلا عقدت الجمعية العامة دورتها غير العادية في ١٩٤٧/٤/٢٨ ولم تتعمق في مناقشة الموضوع ذاته إبان تلك الجلسة وإن ظهرت منذ البداية عطف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على فكرة التقسيم .

وبالرغم من أن مشكلة فلسطين بالذات كانت المشكلة المعروضة عليها للنظر، إلا أن المشكلة اليهودية في أوروبا بالاسيا والمذابح الهتلرية كانت مازالت قريبة

(١) دكتور/حسن صبرى الحولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، رسالة دكتوراة مقدمة إلى جامعة الأزهر - القاهرة مايو

العها، وكانت آثارها من الضخامة بحيث لم يكن من المستطاع إلا أن تفرض المشكلة اليهودية نفسها فرضاً على عقول أعضاء المنظمة الدولية ، وكان من أثر الإرهاب الصهيوني في فلسطين الذي أيد المبدأ الذي نادى به كل من بنسكر وهزترل ومؤداه أن تشتت اليهود في أرجاء المعمورة هو العامل المؤثر في أرجاء المعمورة هو العامل المؤثر في نشأة النزعة المعادية للسامية مع ما ترتب على ذلك لدى الرأي العام من إعادة جمع شمل اليهود من الشتات .

وهكذا وقع الضغط على أعضاء المنظمة الدولية أثناء نظر هذا الموضوع لإبداء رأيهم فيه ، فعينت الجمعية العامة لجنها الأولى التي عهدت إليها بمهمة تحديد نطاق المشكلة ، وقامت تلك اللجنة بزيارة فلسطين واستمعت إلى ممثلي الوكالة اليهودية الذين طالبوا بالعودة فوراً إلى التصريح بالهجرة وأعربوا عن أملهم في أن يصبح الشعب اليهودي بعد قليل ممثلاً في الأمم المتحدة ، كذلك استمعت اللجنة إلى ممثلي الهيئة العربية العليا الذين طالبوا بوضع حد للانتداب فوراً وإقامة حكومة ديمقراطية ذات سيادة في فلسطين وبعد أن تمت هذه الاتصالات قررت اللجنة الأولى أن تقترح على الجمعية العامة إنشاء لجنة تحقيق خاصة توضع تحت تصرفها جميع الوسائل اللازمة وتكلف بتقديم المقترحات التي تراها صالحة لحل المشكلة الفلسطينية .

وقد وافقت الجمعية العامة على هذا العرض واقرعت يوم ١٥ من مايو على تكوين لجنة تحقيق خاصة تابعة للأمم المتحدة وعرفت بالحروف

الأولى لاسيما باللغة الإنجليزية U. N, S. C. O. P.

United Nations Special Committee on Palestine,

وشكلت اللجنة (١) من ١١ دولة ليست لها مصالح خاصة في فلسطين وبعد استبعاد الدول الكبرى والدول العربية ، وقد حاز هذا الحل المحاييد التفصيل على الحل الآخر الذي اقترحه الاتحاد السوفيتي

(١) كانت هذه الدول هي : استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتمالا والهند وإيران وهولندا وبيرو والسويد وأورجواي ويوجوسلافيا .

وكان يرمى إلى إدخال أعضاء مجلس الأمن ضمن نطاق تلك اللجنة .

وكان هذا التصويت الأول من قبل الأمم المتحدة دليلاً على ما اعتزمته الولايات المتحدة وأكده بعد ذلك دائماً من الرغبة في أبعاد الاتحاد السوفيتي عن الهيئات التي تدعى إلى العمل في الأرض الفلسطينية والتي قد تقوم بدور جوهري في تقرير مصير فلسطين .

حلول مشكلة فلسطين طبقاً لدراسة لجنة (١) U.N.S.C.O.P.

وجدت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة والمكلفة بمشكلة فلسطين - نفسها أمام أنواع أربعة من الحلول عليها أن تختار الصالح من بينهما وهذه الحلول هي :

أما الاحتفاظ بفلسطين في ظل الوصاية - وإقامة دولة موحدة في فلسطين - وأما إقامة دولة اتحادية فيها - وأما تقسيم فلسطين . وكانت أمام اللجنة حقيقتان هما في حكم المسلم بهما وأن نوجها قرارها الوجهة المفيدة :

تقول الحقيقة الأولى أن مد أجل الانتداب البريطاني على فلسطين قد أصبح أمراً مستحيلاً .

وتقول الحقيقة الثانية أن الأوضاع بين العرب واليهود قد أصبحت بحالاً يمكن التوفيق بينهما ، وكان المقابل لهذه الحقيقة الثانية حقيقة أخرى مؤداها ضرورة النظر في مشكلة فلسطين لا على أساس الاعتبارات القانونية ، ولكن على أساس الاعتبارات القومية :

(1) Report of the general Assembly: by the U.N.S.CO.p.
(United Nations Special Committee on palestine. Official
Records of the 3rd Session 1947 - 1948 Supplement N. 11.

ولذلك اقتصر اختيار أعضاء اللجنة رغم ما يبدو من تعدد الحلول أمامهم الأخذ حل من حلين لا ثالث لهما :

الحل في صالح العرب أو في صالح اليهود ... ولكن المشكلة في ذلك الوقت لم تكن واضحة بالقدر الذي عليه أماننا الآن . وعلى ذلك يتعين علينا القيام بتحليل الحلول حسب أنواعها الأربعة التي سبقت الإشارة إليها إذ أنها تعكس اتجاهات الرأي العام العالمي آتشد .

الحل الأول : مد أجل الانتداب البريطاني :

رفض العرب كما رفض اليهود على السواء هذا الحل ، وكان الاتحاد السوفيتي يحاربه بحاربة عنيفة ، إذ انصرفت الدولة السوفيتية منذ بداية نظر الموضوع إلى التنديد بفشل هذا النظام فشلاً ذريعاً وإلى المطالبة بإقامة دولة موحدة في البلاد وعند استحالة ذلك إلى تقسيمها .

ومن ناحية أخرى كان هذا الحل مستحيلاً باعتراف الجميع حيث لم تكن بريطانيا نفسها على استعداد لقبوله إلا إذا منحت الحرية الكاملة في ممارسته وأطلقت يدها في فلسطين — على حد بعض الآراء (١) ، وما أن وضع أن هذا الشرط مرفوض حتى سارعت بريطانيا بإعلان قرارها بالانسحاب نهائياً من فلسطين .

الحل القائم على فكرة الوصاية الدولية :

ولم يكن من شأن الأخذ به غير رفض وضع حل للمشكلة ، هذا فضلاً عن أن حلاً هكذا كان يعني أن تتحمل الأمم المتحدة أو أن يتحمل بعض أعضاء هذه المنظمة أثقال فلسطين ، ولم يكن من بين أعضاء المنظمة الدولية من يقبل في الظروف التي كانت سائدة وقتئذ تحمل مثل هذه المسؤولية منفرداً أو مشتركاً مع غيره .

(١) Aleum, op. cit, pp 267-268.

الحل العربي :

قدمت الدول العربية مذكرة إلى اللجنة في بيروت واشتمل الحل العربي على فكرة إقامة دولة وحيدة في فلسطين ، يتمتع فيها كل من العرب واليهود بحقوق متساوية ، وكان هذا الحل هو الوحيد الذي يتصف فعلا بالديموقراطية ويتفق مع مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بأنفسها ، خصوصا ، وأن هذا الحل جاء معبرا عن مطلب ٦٧ (١) من عدد السكان في فلسطين .

وقد أهمل الحل العربي فكرة الوطن القومي اليهودي الذي وعد به اليهود في إعلان بلفور ومن قبل عصبة الأمم (٢) عندما أقامت الانتداب البريطاني على فلسطين ، وقد جاء ذكر المشكلة الخاصة بالأقلية اليهودية في الفقرة التالية من المذكرة العربية (٣) ونصها : « لن يكون من نتائج الأخذ بهذا الحل - كما يزعم بعض الزعماء الصهيونيين - أن يحرم اليهود في فلسطين

(١) بلغ عدد السكان العرب وقتئذ ١١٤٣٠٠٠ مسلم أيضا ف إليهم ١٤٥٠٠٠ مسيحي فتكون اجملة ١٢٢٧٠٠٠ نسمة ، وبلغ عدد السكان الإجمالي : ١٩١٢٠٠٠ منهم ١٢٨٨٠٠٠ : ١٩١٢٠٠٠ = ٦٨ ٪ انظر بالانجليزية : التقديرات الرسمية البريطانية في يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٤٦ ، ملحق البيانات المساحية الخاصة بفلسطين - ملاحظات مجمعة - إفادة لجنة الأمم المتحدة للتحقيق في فلسطين ، القدس ، يونيو ١٩٤٧ ص ١٩ - ١١ .

(٢) الدكتور حسن صبري الخولي مرجع سابق ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٣) أنظر : قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٥ مايو سنة ١٩٤٧ باختيار لجنة تحقيق في :

ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية - وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة بدون تاريخ إصدار . ص ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .

من التمتع بكامل حقوقهم بسبب بقائهم في وضع الأقلية (١) . ذلك أن الأقليات اليهودية المقيمة في البلاد العربية لم تتعرض قط للأذى ، بل هي على العكس من ذلك تعيش في وئام تام مع الأغلبية ويتمتعون بنفس الحقوق التي تتمتع بها تلك الأغلبية ، فبند أقدم عصور التاريخ لم يعرف العرب قط التفريق بين المواطنين مهما كانت الأجناس ، ومهما كانت الديانات التي ينتمون إليها ؟ وقد احتفظ العرب دائماً للمجالية اليهودية بوجه خاص بمعاملة عادلة قائمة على مبادئ الانصاف والمساواة ، ولم يتعرض اليهود للاضطهاد في البلاد العربية ، وإنما فتحت البلاد أبوابها أمام الذين فروا منهم من وجه أعمال القسوة والاضطهاد في البلاد الأخرى ، وقد وصل البعض منهم في رحاب نظام الحرية والمساواة الذي أتيح لهم إلى أرقى المناصب في ميادين السياسة والإدارة والمال والعلوم .

الحل الصهيوني :

جاء الحل الصهيوني متفقاً مع الحل العربي من حيث النص على إقامة دولة موحدة ولكنها دولة يهودية وقد رأى أصحاب هذا الاقتراح ، ومنهم بوجه خاص بن جتور يون (٢) ، من أجل القضاء على ما يوجد من تناقض في فكرة إقامة دولة يهودية لا يمثل اليهود فيها غير ثلث السكان فقط ، أن يؤخذ بالأحكام الآتية :

(١) من الحقوق التي كفل بالقانون الدولي للأقليات انظرو :

دكتور محمد حافظ غانم - الأصول الجديدة للقانون الدولي العام - القاهرة ، ١٩٥٤ ص ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

دكتور / محمد طلعت الفتيس - قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ص ٤٥ - ٤٦ .

Raul Guggen hcin : Fraite de Droit International Public
Paris 1953 P 287 - 288 .

(2) Ben-Gurion, David : Israel, years of challenge N. Y,
Holt Rienhart & Winston, 1963. PP 21 - 22

النص على تحديد فترة انتقال بقدر ما يلزم لاتمام تهجير مليون من اليهود إلى داخل فلسطين فتتوفر بذلك الأغلبية اليهودية ، وفي خلال تلك الفترة التي لم تكن لتزيد في رأى بن جوريون على سنتين أو ثلاث سنوات ، يكون الاشراف على إدارة البلاد مسنداً للأمم المتحدة . وتمنح الوكالة اليهودية في خلال تلك الفترة أيضا حق التمتع بالسلطة الكاملة في مجال التنمية والتطوير .

ولم يكن من اليسير الدفاع عن هذا الحل فقد كان مرفوضا بالطبع ومعيا تماما فضلا عن أنه يمنح الأمم المتحدة في خلال الفترة - فترة انتقال - وصاية لا تريد هي نفسها أن تتحمل عبئها . وكان ، من عيوبه أيضا أنه يقوم على المقامرة بأن الهجرة سوف تكفي لتحقيق الأغلبية اليهودية في زمن معقول ! ومن عيوبه أخيرا أن من آثاره في الحال اخضاع الأغلبية للأقلية وهو وضع معيب وشاذ حقا ، ويزيد من شذوذه كون الأغلبية العربية الحالية موعوده هي الأخرى بنظام أدنى مما وعدت به الأغلبية اليهودية الاحتمالية التي لم تتحقق بعد ، ومن العجيب أن الصهيونيين كانوا يؤكدون القول بتوافر المساواة بين جميع المواطنين في الدولة المستقبلية ، ولكن المرء للتساؤل كيف يمكن الملائمة بين هذه الوعود وبين الرغبة التي أكدها الصهيونيون دائما في جعل فلسطين دولة يهودية - يهودية بقدر ما تعتبر انجلترا دولة انجليزية - دولة قائمة على مبادئ الدين اليهودي ولها اتجاهات يهودية صرفه ومرتبطة أساسا بالتشتت اليهودي في العالم الخارجي .

وقد أحسن بن جوريون وزملاؤه بضعف هذه النظرية التي ينادون بها لذلك نراهم يعلنون إلى جانب ذلك استعدادهم لمناقشة الحل الأدنى المتواضع الذي ينادى به وايزمان والذي يقوم على فكرة إقامة دولة يهودية « في جزء ملائم من فلسطين » - وهو في الواقع الحل القائم على التقسيم .

أما فكرة القومية المزدوجة التي كانت تعطى كلا من العرب واليهود حقوقا متساوية فهي في حاجة إلى التعريف بها في وضوح . فقد كان البون شاسعا في الواقع بين القومية المزدوجة الضيقة التي ابتكرها الكتاب الأبيض

الصادر في عام ١٩٣٩ والتي تستتبع تبلور الوطن القومي والقومية المزدوجة
الانجائية التي نادى بها الدكتور/ ماجنس ، او القومية المزدوجة التي قالت
بها منظمة (١) هاشوميرها تزعير .

وكان الغرض من القومية المزدوجة هو إحلال حل مستحدث وكانت
الحلول التي استخدمت حتى ذلك الوقت من أجل حماية الاقليات والتي كان
نصيبها كلها تقريراً الفشل ، وقد ورد شرح المبدأ الذي تقوم عليه فكرة هذا
النظام في تقرير للدكتور ماجنس نشره تحت عنوان : وحدة العرب واليهود
وقد جاء فيه قوله (٢) :

تتمتع الأمتان في داخل الدولة ذات القومية المزدوجة بقدر متساو من
الحرية والاستقلال ، وبقدر متساو في الحكم ، وبقدر متساو في التمثيل ،
بحيث لا يكون أى شعب أقوى من الشعب الآخر ، وانما يتحتم على
الشعبين أن يعملوا معاً في إقامة بلد متعدد القوميات ، وهو أمر يختلف كل
الاختلاف عن البلاد ذات القومية الواحدة . ولكي يتحقق لهذا النظام التوازن
والانسجام يجب أن تكون الجاليتان على قدر متساو من الأهمية . وقد أعتمد
كل من الدكتور ماجنس والهاشوميرها تزعير لتحقيق هذا الشرط على
الهجرة اليهودية وإلى أن يتحقق هذا التساوى في العدد ، بحيث تستطيع
التنظيمات القومية أن تعمل على الوجه المنشود ، نص في الاقتراح على وضع
فلسطين تحت الوصاية الدولية في أشكال متنوعة .

(١) كان عام ١٩٠٧ هو العام الذي استقرت فيه الصهيونية على أن العمل هو أساس
الاستيطان وأن يكون النقاء اليهودي هو جوهر المجتمع وتجسداً لهذه الأفكار خلقت نواة
المؤسسة العسكرية الصهيونية في فلسطين تحت اسم منظمة «هاشومير» أى الحارس وتمثل هذه
المنظمة أداة التخويف والارهاب ووسيلة لخلق اليهودي العنيف واستمرت هذه المنظمة حتى
نهاية الحرب العالمية الأولى وأعلن وعد بلفور ووقعت فلسطين فريسة يتقاسمها الانتداب البريطاني
والوجود الصهيوني ، فلما قاومها العرب في فلسطين كانت منظمة (الهاجاناه) العسكرية هي
الرد الذي أعدته الصهيونية للتصدي لهذا التحدي .

(2) Aleum, op. cit, pp. 265-266.

وقد لاقى هذا الحل - الذى تقدمت به أقلية من اليهود - معارضة شديدة من الإغلبية اليهودية ومن إجماع الرأى العام العربى على السواء .

كذلك كان هناك الحل القائم على تقسيم فلسطين إلى أقاليم بمعنى تجزئتها ، وقد أخذ أنصار هذا الحل يستشهدون بما حدث فى سويسرا ، ولكن الكانتونات فى سويسرا قد تحالفت فيما بينها بمحض إرادتها المتبادلة وبدافع من المصالح المشتركة بينها أما فى فلسطين فهذا الوضع إنما هو نتاج قرار خارجى غريب على فلسطين والمنطقة العربية كلها ،

أما الحل القائم على تقسيم فلسطين إلى دولتين ، فقد بدأ أمام الرأى العام العربى وكأنه الحل الذى يوفر قدراً نسبياً من بساطة الشكل وثبات الصورة . ولكن كان من المستحيل أن تُرسم خط فى فلسطين يفصل ما بين اليهود جميعهم والعرب جميعهم فكانت النتيجة المترتبة على الأخذ بهذا الحل هى إنشاء دولتين ، أو على الأقل إحداهما فى حالة من التنافر السكانى الخطير فضلاً عن ذلك كان من الضرورى أن تكون الدولة اليهودية من الاتساع بحيث تنوافرها أسباب الحياة ومن الصغر بحيث تكون يهودية كاملة ، أى أن تحتوى على الأقل على ٥٠٪ من اليهود (١) .

التحقيق الذى قامت به اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة :

إنجازات أعضاء اللجنة :

حققت لجنة التحقيق التى تكونت بموجب الاقتراح الذى أجرته الجمعية

(1) Ibid, p. 269.

- Davis, John, h., The Evasive Peace, A study of Zionist Arab Problem, London 1968. pp. 40-42.

- Colloque de juristes Arabes sur la Palestine, la Question Palestinienne - Alger 22-27 Juillet 1967 pp. 152-255.

نجيب صدقة - قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٣ ص ص ٢١١ - ٢١٨

(م ١٠ - مشكلة فلسطين)

العامّة للأمم المتحدة يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ إجتماعاً لها في مدينة ليك سكس في يوم ٢ يونيو لانتخاب رئيس لها ، وقد برزت إلى الوجود منذ هذه المرحلة الأولى الاتجاهات المتباينة التي تفرق ما بين أعضائها ، والمؤثرات القوية التي تحاول أن تفعل فعلها من خلال هؤلاء الأعضاء .

وبالرغم من وجود عضوين من ممثلي اللجنة من المسلمين وهما عبد الرحمن ونصر الله انتظام ممثلي الهند وإيران ، إلا أن الكثير من بين الدول التي شكلت منها اللجنة لم يكن لها مصالح تربطها بمصالح العرب وبالتالي فقد كان تشكيلها بهذا الوضع لا يخدم مصالح العرب في فلسطين ، فضلاً عن عجز الدول العربية الأعضاء في الأمم المتحدة في إتخاذ موقف واضح ضد هذه اللجنة .

ولم يخف عضوان آخران من اللجنة مشاعرهما الصهيونية الواضحة وهما فابريجات ممثل أوروغواي ، وجارسيا جرانندوس ممثل جواتيمالا ، وكان سبب إختيار فابريجات إلى الصهيونية هو النفوذ الضخم للجالية اليهودية في بلاده فضلاً عن كبر هذه الجالية ، أما موقف جارسيا جرانندوس فيرجع إلى عضويته في الوكالة اليهودية .

أما سند ستروم ممثل السويد في هذه اللجنة — وهو عضو في محكمة العدل الدولية — فقد ساندته كل من بريطانيا والولايات المتحدة على السواء مما انعكس على إنتخابه رئيساً للجنة في ١٩٤٧/٦/٢ وكان في ذلك تحقيق لآمال زميلة جارسيا جرانندوس .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الاتحاد السوفيتي قد منع من الاشتراك في اللجنة (١)

(١) تكونت اللجنة المذكورة من إيران وبيرو والسويد وأوروغواي وهولندا والهند وجواتيمالا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وأستراليا وكندا .

بناءً على رأى أغليبيتها وأن دول أوروبا الشرقية كانت فى ذلك الحين أميل إلى الصهيونية علاوة على وجود كندا واستراليا وهولندا المنغمسة تحت تأثير الصهيونية العالمية - لتبين لنا أن كفة المتحيزين للصهاينة كانت أرجح .
النهجقيق ورد الفعل العربى :

وفى أوائل يوليو انتقلت اللجنة إلى فلسطين لتبدأ فيها تحقيقها وأمضت بها أكثر من شهر ثم قابلت رؤساء الحكومات العربية وأمين الجامعة العربية ، وأعلنت الهيئة العربية العليا مقاطعتها للجنة ولم ترسل ممثلاً لها ، فقد كان من البديهي أن يكون لدى عرب فلسطين مايكفيهم من الأسباب لنفاذ صبرهم بعد تعدد الهيئات واللجان التى ظلت منذ أحد عشر عاماً تأتى إلى فلسطين تلقى عليهم نفس الأسئلة وتتلقى منهم نفس الأجوبة .

وقد قدم وزير الخارجية اللبنانية فى ٢٢ يوليو مذكرة جماعية باسم ممثلى الدول العربية واستنكرت المذكرة العودة إلى اجراء تحقيق بعد أن كانت المشكلة قد قُتلت تحقيقاً ودرساً ومبحثاً واستندت هذه المذكرة أساساً على مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها (١) .

أما شرق الأردن فقد رفضت لإرسال من يمثلها أمام اللجنة بحجة امتناعها عن حضور مؤتمر تم تنظيمه بناء على طلب لجنة من قبل الأمم المتحدة التى ليست هى عضواً فيها ، ولكن الأمير (الملك فيما بعد) عبد الله دعا أعضاء اللجنة إلى عمان حيث كان يهدف إلى الاحتفاظ لنفسه بحرية العمل نظراً لاطماعه الخاصة فى فلسطين ولأن مشروعة الخصاص بسوريا الكبرى كان قد أثار ضده معظم الدول العربية المجاورة له .

ولما توجه رئيس اللجنة ساند ستورم ومعه فريق من زملائه فيها إلى عمان استجابة لدعوة الملك عبد الله ، أبدى هذا أمامهم من الآراء ما يتفق مع آراء غيره من رجال السياسة العرب .

(١) انظر تفصيل هذه المذكرة فى : دكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث ، مرجع

وكان ممثلوا الدول العربية الست يقسمون اليهود المقيمين في فلسطين إلى طائفتين من ناحية جنسيتهما ، فمنهم من يتمتع بالجنسية الفلسطينية ومنهم من لم يحصلوا على تلك الجنسية بعد ، رغم وصولهم فلسطين بطريقة قانونية والآخرين دخلوا فلسطين بطريقة غير قانونية فالفريق الأول يعتبر أفرادهم مواطنين في دولة فلسطين المستقلة والفريق الثاني سوف تبت الحكومة القادمة في أمر أفرادها ، أما الفريق الثالث فيطرد من فلسطين :

وكان من رأى الملك أن جميع اليهود الموجودين في فلسطين سواء منهم من دخل فلسطين بطريقة قانونية أو من دخل إليها بطريقة غير قانونية يعتبرون من مواطني الدولة الجديدة (١) .

عموماً - وبالرغم من مواقف العرب هذه - فإن هذا لا ينفي أن الموقف العربي آنئذ اتصف بالسلبية مما أضرب بمشكلة فلسطين أيما ضرر .

التحقيق ورد الفعل الصهيوني :

عمدت الوكالة اليهودية إلى استغلال حادث السفينة أكسودس Exodus والتي جمع الصهليون على ظهرها أربعة آلاف وخمسمائة من المهاجرين بغرض لفت نظر لجنة التحقيق عن طريق إحدى العمليات التي لم يسبق لها مثيل من حيث الخطورة والجسامة ، وبالفعل منعت السلطات البريطانية السفينة من إنزال ركابها واستغلت الصهيونية هذا الحادث (٢) ونجحت في بث الهياج لدى الرأي العام في أوروبا من ناحية ، وانساققت فرنسا هي

(١) فيما يتعلق بمناقشات لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والخاصة بفلسطين في بيروت ، وفيما يتعلق بمقابلة رئيس تلك اللجنة مع الملك عبد الله - انظر :

Granados, Gracia : The Establishment of Israel, New York
1948 pp. 201-209.

(2) Ibid pp. 233-249.

حيث اعترف جراسياجرانادوس بذلك وقرر أن بعض أعضاء اللجنة قد تأثروا بهذه الحادثة

الأخرى في تأييد الصهاينة لاعتقادها بأن قيام دولة يهودية في فلسطين معناه إنهاء الانتداب البريطاني وبذلك تشفى رغبتها في الانتقام من بريطانيا التي عملت على إخراج الفرنسيين منذ قليل من سوريا ولبنان .

كذلك عمدت الوكالة اليهودية إلى تجنيد أبرع خطبائها وأمهـر خبرائها للدفاع عن وجهة نظرها ، فقد جاء شرتوك (شاريت فيما بعد) أمام لجنة التحقيق ليعرض في خبث ودهاء — ما قام به اليهود من إنجازات في فلسطين ، وجاء بن جورين يطالب بملكية فلسطين كلها لليهود ، وراح الحناخام فشان يصور الروابط الروحية التي تربط ما بين الشعب والأراضي المقدسة ، وادعى هوريتز مستعينا بثلاثة وثلاثين رسماً بيانياً أن الهجرة اليهودية قد أحدثت آثاراً اقتصادية أفاد منها العرب ، وانبرى وايزمان يدافع عن الحل التعاقدى القائم على التقسيم .

ودافع فريق آخر من اليهود برئاسة الدكتور ما جنس عن فكرة القومية المزدوجة أمام لجنة التحقيق ، وتلاشت بعض الأفكار المعارضة التي أوضحها الحزب الشيوعي اليهودي والتي تهاجم بريطانيا والوكالة اليهودية — مطالباً بتكوين دولة موحدة من اليهود والعرب — أمام قوة الصهيونية .

لجنة التحقيق الخاصة ونغمة اليهود المشردين

بالرغم من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ قد اقتصر على أن عمل لجنة التحقيق خاص بمشكلة فلسطين وحدها ، إلا أن اللجنة كانت أميل إلى الصهيونية بدليل أنها رأت توسيع نطاق مهمتها ليشمل أحوال اليهود المشردين في أوروبا استناداً على فقرة واردة في القرار السابق تنص على : « أن (١) للجنة أن تباشر تحقيقاتها في فلسطين وفي جميع المناطق الأخرى التي ترى فائدة من التحقيق فيها » .

(١) انظر : قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٥ إيمايو عام ١٩٤٧ باختيار لجنة تحقيق في : ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ص ٨٩٥-٦ .

وقد راحت — سدى — معارضة العضوين المسلمين في اللجنة أمام أصرار ونفوذ العضوين الصهيونيين جارسباجر انا دوس وفابرجات اللذين نجحا في اقناع بقية أعضاء اللجنة بالاستماع إلى مندوبي المنظمة الدولية للاجئين ، حيث قرر هؤلاء المندوبون إرسال لجنة فرعية إلى معسكرات اليهود المشردين في أوروبا ، وكان عدد اليهود المقيمين في معسكرات النازحين في أوروبا عام ١٩٤٧ — ٤٦٣٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠٠٠٠ في ألمانيا ، ٤٣٠٠٠ في النمسا .

ويعترف أحد المؤرخين (١) الغربيين أنه من العسير معرفة أن هؤلاء اليهود كانوا راغبين في الذهاب إلى فلسطين دون سواها ، فقد جاء في شهادة الجنرال لوسيو سكلاي حاكم منطقة الاحتلال الأمريكي في ألمانيا أمام اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والخاصة بفلسطين قوله : (٢) :

لست أدري بطبيعة الحال كيف تصبح رغبة الذين يريدون الذهاب إلى فلسطين إذا ما فتحت بلاد أخرى أبوابها للهجرة .

ويذكر الفريد ليمنتال أنه في منطقة الاحتلال الأمريكي لألمانيا وحدها طلب ٥٥٠٠٠ يهودي في عام ١٩٤٧ الهجرة إلى الولايات المتحدة (٣) .

وقد نشطت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة داخل هذه المعسكرات من أجل حمل هؤلاء النازحين على الهجرة إلى فلسطين وكان الراضون منهم يعرضون للتشهير بهم ويسامون بالعذاب ، كذلك عمد الصهاينة في الولايات المتحدة إلى غلق الأبواب تماماً أمام هؤلاء المهاجرين مع إقناعهم بأن الولايات المتحدة لها قدرة عظيمة على امتصاص هؤلاء اللاجئين ، ونستدل على ذلك مما صرخ به الدكتور لويس فنكلشتاين عالم اللاهوت اليهودي الأمريكي في عام ١٩٥١ حين قال :

(1) Aleum, op. cit, pp. 277-278.

(2) Ibid.

(3) Lelienthal, Alfred : What price Israël ? Chicago, 1953 pp. 32-37.

لو أن اليهود الأمريكيين بدّلوا من الجهد لادخال الاشخاص النازحين إلى هذه البلاد قدر ما بدّلوه لنصرة الصهيونية ، إذن لكان جميع اللاجئين اليهود في أوروبا قد أوجدوا سبيلهم إلى الاستقرار في العالم الجديد .

كذلك صرح الصحفي اليهودي سولز برجر قبل ذلك بقوله :
أن اليهود البؤساء المقيمين في المعسكرات الأوربية هم رهائن لاحول لهم ولا قوة ، ولا قدرة لهم غير المنهاب إلى الدولة اليهودية .

ويذكر الفريد ليلنتال أن الصهيوونيون الأمريكيين لم يكتفوا فقط باتخاذ موقف سلبي حيال مشكلات النازحين في أوروبا ولكنهم عملوا أكثر من ذلك على أفساد المشروعات التي وضعها الرئيس روزفلت والتي كانت ترمي إلى إعادة توطين ٥٠٠,٠٠٠ من اللاجئين . (١)

كذلك يوجه هذا الكاتب اتهاماً إلى الخاخام فلورنز بأنه كتب في أحد تقاريره إلى المؤتمر اليهودي الأمريكي يقول : (٢) .

« من أجل حسن تنفيذ هذا البرنامج — أي برنامج تهجير اليهود المطرودين من أوروبا إلى فلسطين — يجب على الجالية اليهودية كلها أن تقلب عملها رأساً على عقب بحيث يؤدي إلى جعل الوضع بالنسبة لهؤلاء اللاجئين أسوأ ما يكون بدلاً من مساعدتهم وبدل العون لهم » .

اللجنة تهمي عملها وتقدم تقريرها :

غادرت لجنة التحقيق لبنان إلى جنيف حيث وضعت تقريرها بناء على طلب الجمعية العامة للأمم المتحدة بموافقتها بما ينهي إليها رأيها قبل يوم أول سبتمبر عام ١٩٤٧ ، وبالفعل قدمت اللجنة تقريرها من ستة أبواب وتضمن الباب الخامس توصياتها التي انتهت إليها لحل مشكلة فلسطين ، وتناول الباب

(1) Lilienthal, Alfred : « What Price Israel » op. cit., p. 195-196.

(2) Ibid p, 196.

السادس من التقرير الحين المدين وصلت إليهما اللجنة ، وعموماً — « جاء هذا التقرير مخيباً لكل آمال العرب في وجود عدالة حتى في الأمم المتحدة (١) .

وقد أثبتت تلك الوثيقة الخلاف الذى نشب بين أعضاء اللجنة عندما أخذوا النتائج من التحقيق الذى قاموا به ، ولذا كانت النتيجة مشروعين وليس مشروعاً واحداً ؛ أحدهما وهو مشروع الأغلبية وقد أعده سبعة من أعضاء اللجنة ينصح بتقسيم فلسطين إلى دولتين — دولة عربية وأخرى يهودية — مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها عامين تبدأ من سبتمبر ١٩٤٧ ويوضع خلالها دستور لكل دولة تقبله الأمم المتحدة قبل الاعتراف باستقلالها كما يتم توقيع معاهدة بتوحيد الاقتصاد في فلسطين ، مع تكليف بريطانيا بإدارة شؤون فلسطين تحت رعاية الأمم المتحدة خلال فترة الانتقال ، أما بالنسبة للقدس فتوضع بعد فترة الانتقال تحت نظام الوصاية للأمم المتحدة باعتبارها السلطة الإدارية .

أما مشروع الأقلية فقد أوصى به ممثل الهند المسلم ، وكان من الطبيعي بالنسبة للهند وهى تحس مرارة تجربة التقسيم في ذلك الوقت أن تعارض تقسيم فلسطين (٢) .

وانضم إلى ممثل الهند ممثل إيران وهو مسلم أيضاً ، وممثل بلد به أقلية من المسلمين — آند — هو يوغسلافيا : وقد استوحى هذا المشروع من مشروع موريسون ، جرادى وهو ينص على إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية مستقلة بعد نهاية فترة لا تزيد عن ثلاث سنوات تكون خلالها مسئولية إدارة فلسطين وإعدادها للاستقلال في يد هيئة تقرها الجمعية العامة للأمم المتحدة وتشمل

(1) Dranath, Dewan Berin: War and Peace in West Asia, New Delhi, India 1969 pp. 34-35.

(2) Ibid .

«الدولة الفيدرالية المستقلة على «إقليم عربي» وآخر «يهودي» على أن تكون القدس العاصمة ، ويكون للحكومة الفيدرالية السلطة الكاملة فيما يختص بشئون الدفاع ، ويتمتع كل من الإقليمين العربي واليهودي بالحكم الذاتي مع كفالة وجود قومية فلسطينية واحدة للمواطنين .

وقد عدل المشروعان بصدد الحدود فأدخل مشروع الأغلبية النقب ويافا في الدولة اليهودية بينما وضع مشروع الأقلية معظم النقب ويافا ضمن القسم العربي .

ورغم اتفاق الجميع على تأمين الزيارة والمرور للأماكن المقدسة ، فقد اختلف حول الوضع القانوني لمنطقة القدس ، فطالب مشروع الأغلبية بتدويل منطقة القدس كجزء قائم بذاته منفصل تماماً عن الدولتين - أى أن تكون قطاعاً دولياً - بينما نرى الأقلية أن تكون القدس هي عاصمة الدولة الفيدرالية .

رد الفعل العربي :

ما أن نشر تقرير اللجنة الدولية حتى أقامت الهيئة العربية العليا برفضه واستنكاره وتكاثرت الجموع في الشوارع وأخذت شكل المظاهرات وهتافات المعارضة لهذه السياسة الاستعمارية ، وارتفعت الهتافات بحياة فلسطين العربية وبضرورة العمل على انقاذها والاحتفاظ بها وإرغام الحكومات العربية على السير في هذا الطريق وإعطاء الحق العربي قوة مادية ودولية تعمل على حمايته وتدعم كيانه .

وانعقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية في صوفر بلبنان في ١٦ سبتمبر ١٩٤٧ حيث انتهت إلى ضرورة مكاشفة الرأي العام العربي بحقيقة الإخطار التي أصبحت تهدد فلسطين ودعوة العرب إلى تقديم كل ما في وسعهم من المعونة والتضحية إلى فلسطين .

ويرى الدكتور جلال يحيى (١): « أن هذا الموقف من جانب اللجنة السياسية كان يعتبر تهديداً بأشراك « الشعوب » في المعركة ، وكان معنى ذلك أن حكومات جامعة الدول العربية لم تكن حتى ذلك الوقت قد قررت إشراك « الشعوب » العربية في هذه المعركة ، وكانت تأخذ موقفاً « رسمياً » يعتمد على القانون الدولي أكثر من اعتماده على القوة المادية الموجودة في الميدان » .

كذلك قررت اللجنة السياسية في اجتماع صوفيا إرسال مذكرة احتجاج إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا « لتبصيرهما (٢) بالخطر المحدق بالأمن والسلم في الشرق الأوسط وتحملهما مسؤولية كل ما يمكن أن يتمخض عنه من أحداث إذا ما اتخذ أى قرار من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة » .

رد الفعل الصهيوني :

أظهر الصهاينة اغتباطهم الممتزج بنوع من الأسف لقرارات اللجنة الدولية فقد اغتبطوا لقرارها إنشاء دولة يهودية في فلسطين وأسفوا لعدم توصيتها بأن تشمل هذه الدولة اليهودية كل فلسطين، ولكنهم وجدوا في هذه القرارات مكسباً جديداً لهم فعملوا على مجازاة الأمم المتحدة في هذا الميدان وحتى يظهروا الدول العربية بمظهر العاصي لسلطة المنظمة الدولية .

ومن ناحية أخرى جاءت موافقة الصهاينة على مشروع الأغلبية باعتباره الحد الأدنى لمطالبهم إذ كانوا يأملون أن تنفذ قرارات بليتيمور التي تضع فلسطين كلها تحت سلطتهم ، ومن هنا استمرت عصابات الهاجاناه واشترن في عملياتهما الارهابية لإجبار سلطات الانتداب على تنفيذ هذه القرارات وبشكل يكون في صالح اليهود .

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ٢٥١-٢٥٣ .

(٢) أنظر نص هذه المذكرة في ،

أكرم زعتر : القضية الفلسطينية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ ص ١٩٥-١٩٧ .

رد الفعل البريطاني :

وجدت بريطانيا في قرارات لجنة التحقيق الدولية هذه ستاراً وغطاء تنسحب من ورائه من المشكلة الفلسطينية ، وبدعوى خضوعها لما تقرره الأمم « الحرة » وأعلن وكيل وزارة المستعمرات في ٢٦ سبتمبر ١٩٤٧ بأن حكومته توافق بدون أى تحفظ على إنهاء الإنتداب البريطاني وانها آخذة بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين في أسرع وقت ممكن . وتعللت بريطانيا بأن أى مشروع لا يقبله الطرفان فسوف لا تشترك في تنفيذه وبذا تكون بريطانيا قد ساعدت بطريق غير مباشر على التقسيم .

مشروع تقسيم فلسطين :

اللجنة الخاصة . Le Comite adhoc .

ثم عرضت مشكلة فلسطين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في مستهل دور اجتماعها العاды الذى بدأ في ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٧ فقررت إنشاء لجنة خاصة للمشكلة الفلسطينية تشتمل على ممثل لكل من الأعضاء السبعة والجمسين الذين تتكون منهم الهيئة الدولية .

وقد اقتضت مهمة هذه اللجنة على دراسة تقرير لجنة التحقيق وتحديد شروط إعلان الإستقلال في فلسطين بناء على اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق وسوريا بإنهاء الإنتداب على فلسطين والإعتراف باستقلالها دولة واحدة (١) .

وفي الواقع فقد قامت هذه اللجنة بنفس المهمة التى قامت بها لجنة التحقيق مع ما أحاط بها من مؤامرات ومناورات وما داخلها من ضغوط دبلوماسية . وقد وقع التدخل الأول بعد ثلاثة أيام فقط من تكوين اللجنة الخاصة حيث صرح كريك جوننس وكيل وزارة المستعمرات البريطانية - كما سبق أن

(١) أحمد فراج طايح : صفحات مطوية عن فلسطين ، للقاهرة ، دار مطابع الشعب
ص ٤١-٤٢ .

أشرفنا - يوم ٢٦ من سبتمبر ١٩٤٧ بأن حكومة لندن توافق بدون أى تحفظ على إنهاء الإنتداب البريطانى وأن بريطانيا آخذه بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين فى أسرع وقت ممكن ، وتعللت بريطانيا بأن أى مشروع لا يقبله الطرفان فسوف لا تشترك فى تنفيذه .

ويمكن أن نلمس الحرج الذى وضعت فيه اللجنة لما إتصف به الإعلان من اللبس الذى حير اللجنة فى الوقت ذاته ، فهو يبدو فى الجزء الأول منه وكأنه يعد بالموافقة من جانب بريطانيا ، ولكنه علق هذه المعاونة على شرط متعذر تحقيقه هو الإتفاق بين العرب واليهود .

واجتمعت اللجنة الخاصة وقررت دعوة ممثلى الهيئة العليا لفلسطين والوكالة اليهودية لحضور جلساتها والإدلاء بالمعلومات التى قد تحتاج إليها اللجنة ، وقد لبث الهيئتان الدعوة ولم تقاطع الهيئة العربية العليا اللجنة كما فعلنا من قبل فى مقاطعة لجنة التحقيق الدولية .

معارضة العرب :

حضر جمال الحسنى مذنباً عن الهيئة العربية العليا وفند مزاعم الصهيونية وأعلن أن العرب سيقاومون أى مشروع للتقسيم بالدم وأنهم يرفضون لجنة التحقيق بتوصيته ، لأن توصية الأقلية كانت تدور فى نطاق التقسيم وتنتهى إليه وإن كانت أقل ظلماً من اقتراح الأكثرية ، ثم أعلن ان الحل الوحيد الذى يقبله العرب هو دولة ديمقراطية مستقلة تنشأ فى كل فلسطين ، وكان معنى هذا - على حد رأى أحد المؤرخين العرب المعاصرين (١) - « ان العرب قد رفضوا أنصاف الحلول ، أى رفضوا التفاهم والتنازل عن حقوقهم » ، وهكذا رفض العرب الحلين اللذين عرضتهما لجنة التحقيق التابعة للأمم

(١) الدكتور / جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية - الاسكندرية ،

منشأة المعارف ١٩٦٥ ، ص ٢٣٣-٢٣٤ .

المتحدة ثم طالبت الدول العربية بإحالة الموضوع إلى محكمة العدل الدولية بعد أن دافع ممثلوها عن وجهة نظرهم آتين بالحجة وكأنهم يحاولون إقناع الأمم المتحدة ، وكان الأمر كان في حاجة إلى إقناع أو إثبات .

ومن الثابت ان « المصالح (١) السياسية والاقتصادية وعلاقات الدول بعضها ببعض هي التي تتحكم في الأمر بغض النظر عن الحق وخاصة إذا ما تعارض مع المصلحة الفعلية لهذه الدولة أو تلك » ،

الوكالة اليهودية تتظاهر بالقبول :

أعلن ممثلوا الوكالة اليهودية قبولهم للتقسيم « رغم ما يترتب عليه من تضحيات جسيمة » ، وهكذا كان اليهود يرغبون في كل حالة ، فرغم إعلان الوكالة اليهودية قبولها لتوصية التقسيم ، إلا أنها اعترضت في نفس الوقت على ترك الخليل الغربي والقدس خارج الدولة اليهودية ، وبذلك فتحت الوكالة اليهودية الباب لتضحيات جديدة أو لمطالب أخرى تضمن لهم الحصول على ما أوصت به لجنة التحقيق لليهود .

مناورات الدول الكبرى :

أيد مندوب الولايات المتحدة الأمريكية مشروع الأغلبية الخاص بتقسيم فلسطين . وان كان قد طالب بإجراء بعض تعديلات كالحاق يافا العربية بالقسم العربي ، وكان يحاول بذلك أن يظهر وكأنه يدافع عن بعض مصالح العرب حتى لا يظهر تحيز بلاده كاملا ضد العرب .

وفي نفس الوقت جاء إتفاق كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي

على هذه النقطة « أمراً مثيراً للعجب » إذ أن المراقبين السياسيين كانوا يعتقدون أن تصويت الولايات المتحدة مع المشروع سيجعل الاتحاد السوفيتي يصوت ضده ، « ولكن الحقيقة هي أن مصالح كل من الدولتين الكبيرتين كانت في هذه المرحلة تتمشى مع أطماع اليهود وتعارض بالتالي مع مصالح العرب » وإن كانت الولايات المتحدة تحاول كسب الرأى العام اليهودى الذى يسيطر على الأسواق المالية والتجارية فيها ، وتحاول بذلك كسب العناصر الأكثر عداء للنازية ، أما الاتحاد السوفيتى فكان يرى فى النظام الموجود فى البلاد العربية بقايا نظام إقطاعى متحالف مع الاستعمار وكان من الصعب ان يذانسى مجهود العناصر الاشتراكية والشيوعية من بين اليهود فى حركات المقاومة ضد الحكم النازى لأوروبا .

وإذا كانت الولايات المتحدة تحاول كسب اليهود الرأسماليين فإن الاتحاد السوفيتى كان يحاول تدعيم اليهود الاشتراكيين ضد اليهود الرأسماليين وضد نظم الحكم الإقطاعية والمتحالفة مع الاستعمار فى العالم العربى .

ورغم تحمس الولايات المتحدة لفكرة تقسيم فلسطين ، فقد رفضت النظر فى أمر إرسال قواتها إلى فلسطين فى حالة تدخل قوة أجنبية لفرضه على العرب وبالتالي فهى ترفض بأشد من ذلك إستخدام القوات السوفيتية فى تلك المنطقة ، أما فرنسا فلم يكن فى الإمكان الإعتماد عليها وقد بدا واضحاً حرصها على عدم التدخل فى المشكلة الفلسطينية .

اللجنة الخاصة والتيارات الدولية :

ثم اتبعت اللجنة الخاصة هي الأخرى من المناورات ما سارت عليه الهيئات الدولية عادة حيال المشكلات التى تبدو معقدة وغير قابلة للحل ، فعينت لها بلحانا فرعية ، تكونت اللجنة الفرعية الأولى من تسعة أعضاء ممن يميلون إلى فكرة التقسيم ، أما اللجنة الثانية فقد تكونت من تسعة أعضاء أيضاً ولكنهم يعارضون فكرة التقسيم ، وكانت مهمتها اقتراح الوسائل المؤدية إلى خلق الدولة المستقبلية

الموحدة التي يطالب بها العرب ولقد كان من العناصر الجوهرية في أعمال اللجنة الفرعية الأولى تحديد تاريخ لإنهاء الإنتداب البريطاني في فلسطين . وكان الأمريكيون يأملون أن يكون هذا التاريخ بعيداً بالقدر الكافي لوضع فترة إنتقال ، أما الروس فكانوا على العكس من ذلك يطالبون بأن تحديد نهاية الإنتداب البريطاني بيوم أول يناير عام ١٩٤٨ ، ولكن القرار في هذا الشأن كان من إختصاص البريطانيين الذين إلتخلوا موقفاً حاسماً في ذلك رغم أن ممثلهم في الأمم المتحدة الكسندر كادوجان قد اكتفى بتقديم ردود مبهمه على الأسئلة التي توجهها إليه اللجنة الخاصة حول هذا الموضوع قائلاً :

« ان نهاية الإنتداب سوف تتم في الوقت المناسب » .

وفي نهاية الأمر ، حينما تأكد الأمريكيون من أن البريطانيين لم يعودوا يرغبون في تحمل أية مسئولية في فلسطين ، اقترحت اللجنة الفرعية وضع حد للإنتداب ، على أن تسحب القوات البريطانية من فلسطين يوم أول مايو ١٩٤٨ وعلى أن يعلن استقلال الدولتين اليهودية والعربية في يوم أول يوليو التالي ، وهكذا انخفضت إلى شهرين فقط فترة الانتقال التي حددتها لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة وقدرت لها سنتين .

ولهذا الغرض اقترحت اللجنة الفرعية إنشاء لجنة دولية يشركها البريطانيون فوراً معهم في مسئولياتهم في فلسطين تحل محلهم فيما بعد عند رحيلهم ، غير أن طريقة تكوين تلك الهيئة أثارت مناقشات عنيفة من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على السواء — وسيأتي تفصيل ذلك مناقشة عند موقف الاتحاد السوفيتي — وعموماً فقد اقترح الاتحاد السوفيتي أن يتولى مجلس الأمن تعيين أعضاء تلك اللجنة ومراقبة أعمالها .

ويتمشى هذا الاقتراح مع السياسة السياسية السوفيتية العامة في ذلك الحين وهي التي تستهدف إعطاء مزيد من السلطة لمجلس الأمن دون

الجمعية العامة ، وذلك لأن الاتحاد السوفيتي يتمتع فيه بحق الفيتو ، وفي أكثر من مناسبة ، أراد الاتحاد السوفيتي في هذه الجمعية أن يتخذ من سلطات مجلس الأمن أداة لإيصال نفوده لمناطق كانت محظورة عليه مثل الشرق الأوسط (١) ،

أما الولايات المتحدة التي كانت راغبة في الحد إلى أقل قدر ممكن من تدخل مجلس الأمن في هذه المسألة فقد ألححت في المطالبة بأن تحتفظ اللجنة الخاصة بحقوقها في أعضاء الهيئة المقترحة ، وفي النهاية استقر الرأي على حل وسط وتقرر أن تتكون اللجنة من خمسة أعضاء تعيينهم الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولكن عمل هذه اللجنة يوضع تحت إشراف مجلس الأمن ومراقبته .

ثم أصبحت هذه اللجنة الخاصة بكامل هيئتها في يوم ٢٥ نوفمبر وطرح مشروع الدولة الموحدة فرفضته الأكثرية ، فقام العرب عندئذ بتقديم اقتراحهم لنقل المشكلة إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي ولكن اقتراحهم لم ينفذ ، فاقترحوا استشارة هذه المحكمة في صلاحية هيئة الأمم المتحدة لتنفيذ أي نوع من التقسيم بدون موافقة السكان ولكن إقتراحهم الثاني سقط كذلك ،

« وأصبح العرب أمام أكبر هيئة سياسية في العالم ، تتخذ لنفسها تطوير وتغيير القانون الدولي ، وتنظر إلى محكمة العدل الدولية وعلى أنها تطبق ما تضعه هي من تشريع .

وقد سمح للمندوبين المنظمة الصهيونية العالمية بحضور اجتماعات هذه

(1) Sachar : Israel, Establishment of a state, London 1949 pp. 92-96 .

اللجنة وتقديم المقترحات التي يرونها ، وترجح أن يكون تأثير ذلك قد انعكس عند التصويت على مقترحات التقسيم ، فقد اعتمدت اللجنة التقرير المقدم عن اللجنة الفرعية الأولى بأغلبية ٢٥ صوتاً ضد ١٣ وامتناع ١٧ عن التصويت ، وقد قضى هذا التقرير بالموافقة على مقترحات التقسيم التي أيدتها غالبية أصوات لجنة التحقق التابعة للأمم المتحدة .

ونشط مندوبوا الدول العربية في هذه المعركة السياسية في الأمم المتحدة وقاموا بجولات واضحة لاقتناع الأعضاء بظلم وضرر قرار التقسيم وبطلانه من الناحية القانونية لتعارضه مع القانون والعدالة ومبادئ الديمقراطية ؛ وأنه سوف يضيع حقوقهم أضف إلى ذلك أن وصل بهم الأمر إلى التساؤل عن فاعلية سلطة الأمم المتحدة في التوصية بتقسيم وطنهم إلى دولتين ومن ثم تدمير الولاء الوطني والقومي ،

ولكن جهود العرب لم تجد شيئاً ، فرغم أن المشروعات البديلة التي تقدموا بها كانت معقولة وعادلة (١) ، إلا أنها رفضت تماماً ، ففى المشروع الأول مثلاً وافقوا على إقامة دولة فيدالية موحدة في فلسطين يتمتع فيها السكان اليهود بكل الحقوق والحماية ، وفي المشروع الثاني اقترحوا حل المشكلة عن طريق إجراء استفتاء في فلسطين ثم طلبوا عرض مشروع التقسيم على محكمة العدل الدولية كي تقرر مدى شرعيته ،

وتعلق إحدى الدراسات آنئذ على مسئولية الهيئة العربية العليا خاصة عن هذه الأوضاع قائلة (٢) :

٢ « وهنا يبرز لنا دليل ساطع على خطأ القرار المرتجل الذي أصدرته الهيئة العليا في عام ١٩٣٩ برفض ما عرضته بريطانيا في كتابها الأبيض

(١) Dranath, op. cit, pp. 33-34.

(٢) وهو ما أكده أحمد فراج طابع في مقابلة شخصية مع سيادته خلال شهر أكتوبر ١٩٧٤ بالقاهرة وانظر أيضاً كتابه : صفحات مطوية عن فلسطين ؛ مرجع سابق ص ٤٢-٤٣ .
(م ١١ - مشكلة فلسطين)

في تلك السنة من إنشاء دولة موحدة ، فبعد ثمانى سنوات من الرفض عادت البلاد العربية تطلب تنفيذ مافضته الهيئة العربية العليا ، ذلك أن ثلاث دول منها - وبموافقة باقيا وبالطبع - تقدمت للجمعية العامة للأمم المتحدة بإقتراح إنشاء دولة واحدة في فلسطين تمثل حكومتها جميع المواطنين على أساس نسبتهم العددية . مع فارق هام هو أن عدد اليهود كان في عام ١٩٣٩ أقل بكثير من عددهم في عام ١٩٤٧ ، وهكذا أضاعت الهيئة العربية العليا فرصة ثمينة برفضها الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ لأسباب لا تبرر هذا الرفض .

الاقتراح على تقسيم فلسطين : المناورات وردود فعلها داخل الأمم المتحدة :

حصل التقرير المقدم من اللجنة الفرعية الأولى والذي يقترح الأخذ بفكرة التقسيم على أصوات أغلبية أعضاء اللجنة الخاصة ولكن هذه الأغلبية لم تصل إلى مقدار الثلثين وهي النسبة اللازمة لحمل الجمعية العامة للأمم المتحدة على اعتماد هذا التقرير ، وكان يكفي الحصول على صوت واحد آخر لتتوفر نسبة الأغلبية المطلوبة :

ونستطيع أن نتخيل في سهولة مقدار ما جرى من مناورات نشيطة في دهايز الأمم المتحدة ، خاصة تلك التي مارسها الصهاينة على أعضاء المنظمة الدولية .

فلقد اشتد الضغط الصهيوني داخل أروقة الأمم المتحدة وخارجها أيضاً حيث تقرب الصهاينة من الرأي العام الأمريكي عن طريق التوراه وآلام اليهود الأوروبيين ، ومن جهة أخرى تعرضت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وغيرها بسبب معارضة التقسيم للتهديد أو الإرهاب أو الإبتزاز ، فعلى سبيل المثال نجد أن مندوب ليبيا - الذي أيد مشروع التقسيم - عند التصويت عليه في الجمعية العامة يوم ٢٦/١١/١٩٤٧ بعد أن

كان ممتنعاً عن التصويت يوم ١٥/١١/٤٧ ولم يكن قرر موقفه في الجلسة السابقة ١٩٤٧/١١/٢٢ - نجد أن هذا المندوب قد قدم تقريراً إلى وزارة الخارجية الأمريكية ذكر فيه أن الطريقة التي حاول بها بعضهم اقناعه بتأييد التقسيم إنما تشكل « محاولة إرهابية (١) » ، كذلك ذكر آرثر سولز برجر صاحب صحيفة نيويورك تايمز سياق وصفه للأساليب الصهيونية العلنية :

« أنى أمقت أساليب الإكراه التي يتبعها الصهيوينيون الذين لم يتورعوا في هذه البلاد عن استخدام وسائل اقتصادية لاسكات الأشخاص الذين يخالفونهم الرأي ، إننى أعارض محاولة الاغتيال الخلفى التي يطبقونها على الذين لا يوافقون معهم » .

وكتب عمامويل نيومان وهو صهيوينى بارز ، يوجز النشاط الصهيوينى في ذلك الحين يقول (٢) :

« لم نترك بارقة أمل واحدة دون تمحيصها وملاحقتها ، ولم نترك دولة صغيرة أو نائية دون أن يتم الاتصال بها لخطب ودها ، ونخلصه القول أنه لم يترك شئ للأقدار والظروف » .

كذلك كتب المؤرخ جون كيرك في هذا العدد قوله (٣) :

« أن التقسيم ما كان ليتم التصويت عليه أبداً في أى مكان آخر غير نيويورك ، تلك المدينة التي تمارس فيها اليهودية سلطتها الكامل » .
ويتفق المؤرخ جان بيير آلين مع المؤرخ جون كيرك في هذا الصدد بقوله (٤) : « وربما كان هذا القول صحيحاً » .

(1) Lilenthal, What Price Israel ? op. cit, pp. 63-64.

(2) Ibid p. 123.

(3) Ibid p. 124.

(4) Kirk, George · The Middle East 1945-1950 London 1954. . pp. 240-241.

على أن الواجب يقتضى منا ألا نغفل من - جهة أخرى - أن الصهيونيين لم يكن لهم تمثيل رسمى داخل الأمم المتحدة، ومما يؤسف له أن العرب كان لديهم سبعة أصوات بالإضافة إلى عشرة من المسلمين عملوا تلقائياً على مساندة وجهة النظر العربية إلا أن جهودهم جميعاً لم تجد شيئاً أمام الأغلبية العنيدة التى كانت تسيطر عايتها الولايات المتحدة - كما سننشر إلى ذلك -

ومن الثابت أن العمل الدبلوماسى قد قام فى الاقتراع على تقسيم فلسطين بدور يفوق من حيث أهميته عدالة المشكلة الفلسطينية ذاتها وقد استطاع الصهيونيون أن ينالوا قصب السبق فى هذا الميدان فاستخدموا جميع الإمكانيات التى أتاحت لهم فيه ، « وغالوا فى أحيان كثيرة من هذا الاستخدام بما دسوه من غش (١) ».

الموقف الأمريكى أثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين :

عندما طرح مشروع تقسيم فلسطين للتصويت أمام الجمعية العامة للمرة الأولى فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ لم ينل أغلبية الثلثين المطلوبة وحينئذ تحركت الدبلوماسية الأمريكية بكل ثقلها للضغط على الدول التى يمكن أن تحولها عن موقفها سواء إلى التأييد أم على الأقل إلى الامتناع ، واستخدمت أساليب لم يسبق لها مثيل فى الأمم المتحدة .

وخير من يكشف عن هذه الأساليب التى اتبعت للضغط على هذه الدول هم بعض المتحدثين الأمريكين الذين لعبوا دوراً كبيراً فى انجاح مشروع التقسيم ، فعلى سبيل المثال قال (٢) لورانس هـ، سميت

(1) Aleum, op. cit, pp. 285-286.

(2) Dranath, op. cit, pp. 35-36.

وذلك نقلاً عن : محاضر جلسات الكونجرس الأمريكى بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٧
ص ١٧٦-١٧٧ .

الخبير الأمريكى فى الشئون الخارجية وعضو مجلس الشيوخ فى شهادته
أمام الكونجرس :

« لنلق نظرة أياها الرئيس على المحاضر ونرى ما حدث فى اجتماع الجمعية العامة قبيل التصويت على مشروع قرار التقسيم ، لقد كان المشروع فى حاجة إلى ثلثي الأصوات لإقراره ، ولقد تأجل التصويت مرتين ، وكان واضحا أن التأجيل ضرورى لأن الدولتين صاحبتى المشروع - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - لم يكن لديهما الأصوات الكافية ، وفى هذه الأثناء كانت الولايات المتحدة تمارس على أعلى المستويات فى واشنطن ضغطا مركزا على مندوبى ثلاث دول صغيرة » .

كذلك عندما أثير موضوع صحة أوراق مندوب سيام أو « تايلاند » الذى اعترض على التقسيم ، وأيد تريجفى لى الأمين العام للأمم المتحدة آنشد هذه المناورة ، مما جعل مندوب سيام يمتنع عن التصويت يوم ٢٩ نوفمبر ، وهكذا - أبدى الأمين العام للأمم المتحدة هو الآخر تحيزه للصهيانية وطوال فترة خدمته (١) :

واتجه الضغط الأمريكى بعد ذلك إلى ست دول هى هايتى وليبيريا والفلبين والحبشة والصين الوطنية واليونان ، وكانت هايتى هى الدولة الوحيدة من بين دول أمريكا اللاتينية التى عارضت المشروع مراعاة لوجود جالية سورية كبيرة بها فهددتها الولايات المتحدة بمنع المعونة عنها وبنفس التهديد اتجهت إلى الحبشة والصين الوطنية فتحوالتا إلى موقف الإمتناع بدلا من المعارضة بينما لم تفلح محاولات الضغط هذه مع اليونان التى استمرت على موقف المعارضة ، وربما يرجع موقف اليونان

(1) Middle East Journal Year, 1948-1949 New York
January 1948.

أنشد في اعتقادنا إلى وجود . ليات يونانية كبيرة في الدول العربية في هذه الفترة واقتناعهم بالتالى بوجهة النظر العربية ٥

وعلى العكس لم تستطع [الفلبين] المقاومة لأنها تخضع للنموذ السياسى والاقتصادى الأمريكى وهى لم تستقل عن الولايات المتحدة إلا منذ قليل كذلك وضخت ليبريا عندما استدعى رئيس شركة فايرستون للمطاط ، وهى أكبر شركة احتكارية أمريكية تستغل موارد البلاد — إلى واشنطن وصدرت إليه الأوامر لحمل حكومة ليبريا على تبديل موقفها ، فسارع يتصل بممثلى الشركة فى مونروفيا ، وكانت حكومة ليبريا هى الدولة الأفريقية الوحيدة التى وافقت على التقسيم ، وقد استخدم البيت الأبيض نفوذه مباشرة للضغط على الدول دون المرور بوزارة الخارجية ، ويعزى هذا المجهود الرئيسى إلى ترومان نفسه حيث أثر على الأعضاء لصالح التقسيم وكان يوم ٢٦ نوفمبر هو يوم التصويت واقترح الوفد الأمريكى تأجيل التصويت نتيجة أن هناك عيداً فى الولايات المتحدة . هذا اليوم يسمى عيد الشكر ، ومن المعروف أن الأمم المتحدة غير مقيدة بالأعياد الأمريكية الخاصة ، ومع ذلك فقد منحت عطلة يومين لإنساح المجال أمام البيت الأبيض لإجراء هذه الاتصالات ، وعبثاً حاول العرب طرح المشروع للتصويت توافلم يوفقوا ، ومرة ثانية ساعد تريجنفى لى أغراض الولايات المتحدة بالتصريح بهذه الأجازة بعد أن أقرها رئيس الجلسة أوكان برازيليا ، وقد سمح ذلك للرئيس ترومان أن يزيد من الضغط على الدول الصغيرة لتبديل موقفها وكسبها إلى جانب التقسيم ٥

ويذكر لوريس هسميث أنه « عندما (١) طرح المشروع للتصويت يوم ٢٩ نوفمبر — ماذا حدث ؟ . لقد كانت الأصوات الحاسمة التى أنجحت المشروع هى أصوات هايتى وليبريا والفلبين ، فقد كانت هذه الأصوات

كافية لإكمال أغلبية الثلثين ، وكانت هذه الدول الثلاث قبل ذلك تعارض المشروع وإن الضغط الذي مارسه مندوبيونا ومسؤولونا والمواطنون الأمريكيون يشكل سلوكاً شائناً بهم وبنا » .

كذلك وصف جيمس فورستال وزير الدفاع حينئذ الوسائل التي اتبعت لإرغام الدول في الجمعية العامة على طاعة الولايات المتحدة بأنها تكاد تكون فضيحة (١) .

ولقد اعترف حايم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية وأول رئيس للدولة اليهودية التي قامت في فلسطين بعد ذلك - اعترف في مذكراته التي نشرت فيما بعد بأن قرار التقسيم قد مر في الجمعية العامة بعد تدخل شخصي قوى من الرئيس ترومان نفسه .

كذلك كان ترومان نفسه صريحاً لدرجة أنه قال في مذكراته :

« ليس لدى ناخبون من العرب » ، ومن هذا التصريح يتضح بجلاء أن أصوات اليهود الأمريكيين كانت تهم ترومان أكثر من حقوق الأغلبية العربية في فلسطين (٢) .

وكمحاولة أخيرة أثار العرب إشكالا قانونيا (٣) وهو أنه ليس من حق الجمعية العامة اتخاذ القرارات وأنها بالبيت في مصير فلسطين تناقش مبدأ هاما من مبادئ الميثاق الذي نص على حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ولذلك

(١) Ibid, pp. 61-62.

(٢) أنظر : دكتور / محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) دكتور / محمد طلعت الغنيمي ، قضية فلسطين أمام القانون الدولي الإسكندرية ١٩٦١ .

دكتور / حامد سلطان ، دكتور / عبد الله العريان . أصول القانون الدولي القاهرة ١٩٥٣ .

لابد من رفع الموضوع أمام محكمة العدل الدولية لتفصل فيما إذا كان من اختصاصات الجمعية العامة اتخاذ مثل هذا القرار،

وأجرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اقتراعها يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وأسفر هذا الاقتراع عن الموافقة على مشروع التقسيم الذي اقترحت له اللجنة الخاصة Le comite adhoc وقد جاء قرار الجمعية العامة في هذا الصدد بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ وامتنع ١٠ أعضاء عن التصويت ، وكانت الدول التي أيدت القرار :

الولايات المتحدة - فرنسا ثم كندا ، استراليا ، جنوب إفريقيا ، نيوزيلندا من مجموعة الشعوب البريطانية ، وفنزويلا وباراجواي وبوليفيا والبرازيل واكوادروهايتي وجواتيمالا والدومينيكان ونيكاراجوا وبنما وبيرو من مجموعة دول أمريكا اللاتينية ، وبلجيكا ولوكسمبورج وهولندا والسويد والنرويج والدانمارك من الدول الأفريقية ، والاتحاد السوفيتي ، وروسيا البيضاء وتشيكوسلوفاكيا وأوكرانيا وبولندا من دول الكتلة الشرقية ، ثم الفلبين ، والملاحظ أن دولة أسبوية واحدة لم توافق على التقسيم ،

كذلك فإنه يلاحظ أنه قد تم اتخاذ قرار تقسيم فلسطين نتيجة اتفاق الدول الغربية والشرقية معاً على مبدأ التقسيم وبالإضافة إلى ١١ صوتاً لمن أمريكا اللاتينية ، وكانت حينذاك أكبر مجموعة في الجمعية العامة ، بعكس الدول الأفريقية والآسيوية آنئذ ، وإذا أضفنا دول الكومنولث فلنأخذ نجد أن قرار التقسيم قد حصل على الثلثين (١) .

(١) حول اتجاهات هذه الدول في الثلاث جلسات التصويت على مشروع تقسيم فلسطين وهي الجلسات بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٢ ؛ ١٩٤٧/١١/٢٥ ؛ ١٩٤٧/١١/٢٩ وكيف انعكس الضغط الأمريكي السافر على نتيجة التصويت النهائي : انظر :

United Nation : Officials Records of First Special Session of general Assembly, Vol. 1. Resolution 181 (11) of 29 November 1947.

وهكذا اتضح بما لا يدع مجالاً للشك تحيز الولايات المتحدة للصهيونية تحيزاً تاماً حيث وقفت إلى جانب الصهيونية تماماً ، وهناك رأى يضيف (١) إلى أسباب تحيزها هذا سبباً آخر هو خشيتها إن هي لم تؤيد الصهيونية التأييد الكافي فربما تتحول هذه الأخيرة إلى المعسكر الشرقي خصوصاً وأن أمريكا كانت ترى في الدولة اليهودية المستقبلية أنها سوف تعتمد كلياً على المعونات التي سيقدمها يهود أمريكا مما سيجعلها حليفاً قويا لها في منطقة الشرق الأوسط .

أما موقف الاتحاد السوفيتي قبل وخلال مناقشة تقسيم فلسطين فيحتاج منا إلى وقفة خاصة للتفسير والتعليل حيث بدأ الاتحاد السوفيتي هو الآخر أشد تحمسا من الولايات المتحدة كما يدل على ذلك موقفه الآتي :

الموقف السوفيتي قبل وأثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين :

تتحدث بعض الدراسات عن أن أولى بوادر الموقف السوفيتي من تأييد إنشاء دولة يهودية في فلسطين قد ظهرت في عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، فقد أخبر ستالين أحد أعضاء الحكومة البولندية الموقفة في يوليو ١٩٤٤ بأن الاتحاد السوفيتي يزمع تأييد حل أولى للمشكلة اليهودية في نهاية الحرب وأعلن مالمينكوف في نفس المناسبة أن المطالب الإقليمية للشعب اليهودي في فلسطين يجب أن تلبي وتشير إحدى هذه الدراسات أيضاً أن ستالين قد وافق في فبراير ١٩٤٥ على تقرير الوطن القومي اليهودي في فلسطين وعلى فتح أبواب البلاد للهجرة اليهودية في المستقبل القريب (٢) .

(1) DIB, The Arab Block in the United Nation pp. 53-84.

(2) Yaacov Ra'i, Soviet Israeli Relations, 1947-1954 in : M. Coufino and S. Shamir (eds), The USSR and the Middle East, Jerusalem, Israel Universities, Press 1973 p. 123.

وتذكر دراسة أخرى لموردخاي أورين قوله (١) أنه عرف اتجاه الاتحاد السوفيتي لإزاء مشكلة فلسطين في عام ١٩٤٤ من السفير السوفيتي في لندن ، وإن كانت تستبعد حتى أن يكون الاتحاد السوفيتي مهتما في ذلك الوقت بالمشكلة الفلسطينية .

وهكذا يمكن ملاحظة أن المشكلة الفلسطينية لم تتضمن موقفاً موحداً من القادة السوفيت وإن بدا واضحاً — أن الاتجاه العام يتفق ووجهة النظر اليهودية (٢) .

وفي الفترة التي أعقبت ذلك واستمرت حتى ربيع ١٩٤٧ لم يصدر الاتحاد السوفيتي أى تصريح رسمي بشأن مستقبل فلسطين وإن كانت لغة الإعلام السوفيتي والدبلوماسية السوفيتية في البلاد العربية قد أعطت انطباعاً بتأييد السوفيت لحل مشكلة فلسطين وفقاً للخطوط العامة المؤيدة من العرب ، وكان موقف الأحزاب الشيوعية العربية عموماً يؤيد مثل هذا النوع من الانطباعات ومع ذلك فقد سمح الاتحاد السوفيتي بالهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية — خاصة بولندا — مع علمهم الكامل بأن المهاجرين ينوون السفر إلى فلسطين مباشرة .

وقد عبر الاتحاد السوفيتي عن موقفه الرسمي المعان من مشكلة فلسطين في إبريل ١٩٤٧ حينما عرضت المشكلة على الأمم المتحدة .

وتذكر بعض المصادر الصهيونية — مما يستحيل القطع بصحتها — أنه اعتباراً من هذا التاريخ — حدثت اجتماعات بعضها « بهيج » للغاية بين صهاينة يساريين وغير يساريين ، رسميين وغير رسميين من ناحية وبين المسئولين السوفيت في الأمم المتحدة من ناحية أخرى عبر فيها هؤلاء عن تأييدهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة لإنشاء دولة يهودية في فلسطين (٣) .

(1) Karammer, op. cit. pp. 105-106.

(٢) دكتور أحمد يوسف أحمد . المرجع السابق .

(3) Karammer, op. cit, pp. 105-106.

وتظهر وثائق (١) الأمم المتحدة أن المندوب السوفيتي عندما أعرب في ٩ مايو ١٩٤٧ في اللجنة الأولى للجمعية العامة عن رأيه في نطاق صلاحية اللجنة الخاصة المزمع تشكيلها للإعداد لبحث مشكلة فلسطين في الدورة العادية الثانية للجمعية ، قد ذكر في البند الثالث بين مهام هذه اللجنة ، تقديم المقترحات بشأن حل مشكلة فلسطين وتشمل اقتراحاً بإنشاء دولة « مستقلة » دون إبطاء في فلسطين ، وقد ظهر هذا الرأي في تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة الأولى والمكلفة ببحث المشكلة في ١٠ مايو كاقترح سوفيتي هندي .

حيث كان واضحاً معارضة الهند (٢) لتقسيم فلسطين لأنها تحس بمرارة تجربة التقسيم - وفي مناقشة التقرير سالف الذكر في اللجنة الأولى في ١٢ مايو أعاد المندوبان السوفيتي والهندي تأكيد اقتراحهما ، ولم تكن ثمة إشارة لاذن حتى ١٢ مايو إلى فكرة الدولتين - اليهودية والعربية في فلسطين - من جانب الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة ،

غير أنه في ١٤ مايو ، وأثناء مناقشة الجمعية العامة لتقرر اللجنة الأولى أدلى اندريه جروميكو بخطابه المشهور الذي فتح الباب لاحتمال التأييد السوفيتي لتقسيم فلسطين ، ومن ثم لإنشاء دولة يهودية ، وقد بدأ جروميكو خطابه بهجوم على الانتداب والدولة المنتدبة ثم أوضح أن حل مشكلة فلسطين يجب أن يأخذ في اعتباره المصالح المشروعة لكل من الشعبين العربي واليهودي فكلاهما - على حد ما ذكره جروميكو - له جذور تاريخية في فلسطين ومن غير المعقول أن ينكر على الشعب اليهودي حقه في تحقيق آماله في إنشاء دولته الخاصة به وفي تصوره لكيفية التوفيق بين هذه المصالح المشروعة استعرض

(1) Year Book of the United Nations 1946-1947 New York United Nations, Department of public Information 1947 pp. 295-299.

(2) Dranath op' cit. pp. 34-35.

جروميكو الحلول الممكنة للمشكلة الفلسطينية وهي تكوين دولة واحدة عربية يهودية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية أو تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية أو إنشاء دولة عربية صرفة في فلسطين بدون اعتبار لحقوق السكان اليهود أو العكس ، وقد رفض جروميكو الحلين الآخرين باعتبارهما حلين غير عادلين لا يأخذ أيهما في اعتباره المصالح المشروعة لشعبي فلسطين ولا يؤدي إلى استقرار العلاقات بينهما ، ثم أن الاتحاد السوفيتي يفضل الحل الأول :

« تكوين دولة واحدة يهودية عربية مستقلة ديمقراطية يكون لليهود والعرب فيها حقوق متساوية باعتباره الحل الذي يكفل حماية مصالح الشعبين »
غير أن جروميكو قد أضاف أنه في حالة عدم إمكان تحقيق هذا الحل بسبب سوء العلاقات بين العرب واليهود فسوف يكون من الضروري بحث الحل البديل المتمثل في التقسيم ، وأكد جروميكو مرة أخرى تفضيله للحل الأول بقوله :

« إنني أكرر أن هذا الحل لمسألة مستقبل فلسطين سوف يكون مبرراً فقط إذا كانت العلاقات بين السكان اليهود والسكان العرب الفلسطينيين سيئة في الواقع لدرجة يصبح معها من المستحيل التوفيق بينهما وتأمين التعايش السلمي للشعبين في تلك البلاد (١) . »

(١) Dagan, Avigdor : : Moscow and Jerusalem - twenty Years of Relations between Israel and the Soviet Union, New York, Abelard - Schuman, 1970 pp. 24-25 and Ebou, Martin, Communist tactics in Palestine in : Foreign Affairs, 26 July 1948 pp. 61-62.

أديب، ديمري : الماركسية والدولة الصهيونية (الوجود والكيان) - بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، يناير ١٩٧١ ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

إلا أن السياسة السوفيتية خطت الخطوة الأهم تجاه قبول التقسيم في ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ حينما ألقى ممثل الاتحاد السوفيتي في اللجنة الخاصة بفلسطين خطاباً كرر فيه مهاجمته لنظام الانتداب ، وألقى عليه اللوم في إحداث النزاع بين العرب واليهود ، وفي بحث عن الحل الأمثل لهذا النزاع لم يعط الاتحاد السوفيتي اهتماماً كبيراً لوجهة النظر العربية القائلة بالحق التاريخي للعرب في فلسطين ، وإنما جوهر الموضوع هو لخلق تقرير المصير بالنسبة لكل من الشعبين (١) ، وأضاف إلى ذلك اعتباراً سياسياً آخر وهو معاناة اليهود أثناء الحرب الثانية خاصة وأن دولة أوروبية واحدة لم تنهض للدفاع عنهم ،

واعتبر المندوب السوفيتي أن هذا يفسر رغبة اليهود في الحصول على وطن لهم وهي الرغبة التي يجب ألا تشوبها اعتبارات تاريخية وقانونية ، ثم أعلن المندوب السوفيتي موافقته على إنهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين وذكر أن حل الدولة الواحدة وإن كانت له مزاياه وفوائده ، لم يعد حلاً أفضل من حيث التطبيق بسبب وصول العلاقات بين العرب واليهود إلى حالة من التوتر أصبح مستحيلاً معها التوفيق بين وجهات نظرهم بشأن حل المشكلة ومن ثم فقد أصبحت خطة تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين واحدة عربية والأخرى يهودية في ظل هذه الظروف هي الأفضل من حيث التطبيق ؛

(١) علق رئيس وفد مصر في خطاب له في نفس المناقشات بقوله : « أن مندوب الاتحاد السوفيتي المحترم قد أدلى هنا بنظرية مختلفت كل الاختلاف عن مساهمة فلسطين في حل مشكلة اليهود بالمهجرة فقد اقترح بأن الفروض التاريخية لا تعيننا وأن المشكلة تقتلخص في أنه يوجد اليوم في فلسطين يهود وعرب ، وأن لكلا الفريقين الحق في التصرف وفي العيش بحرية وأمان . ووصف رئيس وفد مصر هذه العبارات بأنها نظرية بالغة الخطورة سواء على فلسطين أو على للعالم كله ؟ انظر :

خطاب رئيس وفد مصر في اجتماعات اللجنة الخاصة بفلسطين :

سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٧ في : مصر في الأمم المتحدة ١٩٤٧ - تقرير عن أعمال الدورة العادية الثانية لجمعية الأمم المتحدة المعقودة بنيويورك (١٦ سبتمبر ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) القاهرة - مطبعة مصر ١٩٤٨ ص ٥٣١-٥٣٢ .

ووصف المندوب السوفيتي هذا القرار بأنه خطوة عظيمة للأمام في حل مشكلة فلسطين ، كما اعتبر المندوب السوفيتي أن هذا يشكل إطاراً للحل الملائم للمشكلة وإن كان قد أعلن بعض التحفظات على تفصيلات مشروع التقسيم تتعلق بالمناطق الداخلية في إقليم كل دولة وفترة الانتقال ونظام مدينة القدس وذكر أنه من الواجب وضع مشروع يتفادى هذه التحفظات وغيرها (١) .

وترى إحدى الدراسات أنه إذا كان خطاب ١٤ مايو ١٩٤٧ قد فتح الباب لاحتمال تأييد سوفيتي للتقسيم فقد أتى خطاب ١٣ أكتوبر بالتأييد الفعلي لهذا المشروع (٢) :

ثم ناقشت الجمعية العامة توصيات اللجنة الخاصة بفلسطين بشأن المشكلة الفلسطينية في الفترة من ٢٦ - ٢٩ سبتمبر ، وفي هذه المناقشة ألقى جروميكو خطاباً في ٢٦ نوفمبر استعرض فيه مواقف الاتحاد السوفيتي لإبتداء من الدورة الطارئة ، وأكد التزام الاتحاد السوفيتي بتأييد توصية اللجنة الخاصة بالتقسيم انساقاً مع هذه المواقف من ناحية ومع موقف الأغلبية من ناحية أخرى .

وفي هذا الخطاب أورد جروميكو تفسيراً لتأييد السوفيت للتقسيم يشبه إن لم يكن متطابق مع التفسير المقدم في خطاب ١٣ أكتوبر بقوله : « يعيش في فلسطين شعبان أحدهما عربي والآخر يهودي ، ولكل منهما جذوره التاريخية العميقة في تلك البلاد ، ولقد أثبتت دراسة اللجنة الخاصة أن اليهود والعرب في فلسطين لا يمكنهم أن يعيشوا سوياً في دولة واحدة ، ولذلك فليس ثمة بديل عملي آخر سوى إنشاء دولتين ، ويزيد من إلحاح هذا الحل الوضع الذي وجد الشعب اليهودي فيه نفسه نتيجة الحرب الأخيرة خاصة

(١) الخطاب ممثل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في اجتماعات اللجنة الخاصة بفلسطين في المرنج السابق/ص ٢٢-٢٤هـ .

(٢) راجع دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

أن دولة واحدة في أوروبا الغربية لم تكن قادرة على تقديم الحماية المناسبة للشعب اليهودي من النازية ، ويستمد هذا الحل أساسا من المبادئ والأهداف النبيلة للأمم المتحدة » .

ونفى جروميكو بشدة أن يكون هذا الحل موجها ضد الفلسطينيين أو العرب وقال أن وفود الدول العربية غير راضية بنوع خاص حول هذا الأمر لأسباب واضحة ؟ وأكد اعتقاد الوفد السوفيتي أن هذا الحل يتفق مع المصالح القومية الأساسية لكل من اليهود والعرب ، كما أكد تعاطف شعوب الاتحاد السوفيتي الدائم مع المصالح القومية لشعوب الشرق العربي ، وأكد أن الوفد السوفيتي ليثق أن الوقت الذي ينظر فيه العرب والبلاد العربية تجاه موسكو لمساعدتهم من أجل مصالحهم المشروعة - وفي نضالهم لتحرير أنفسهم من الأحقاد المتبقية للتبعية الاستعمارية - سيجي .

وأتهم جروميكو بريطانيا بالتراجع عن تأييدها للحل المحتمل لمشكلة فلسطين بسبب اصرارها على أن يجي هذا الحل مقبولا من العرب واليهود على حد سواء فكلا الأمرين يفتح الباب لاحتمال تجاهل قرار الجمعية خاصة وأن « كلنا يعنى تماما أن العرب واليهود لم يتوصلوا إلى إتفاق بينهم . كما أن النقاش في الدورة يشبث أنهم لا يستطيعون الوصول إلى إتفاق » ، وهكذا فإن وضع شرط موافقة العرب واليهود على قرار الجمعية كى تلتزم به بريطانيا « يعنى دفن القرار حتى قبل أن تتبناه الجمعية » .

وأكد جروميكو أن « هذا الموقف غير مناسب من جانب بريطانيا في ضوء تأييد الأغلبية للتقسيم ، وذلك في ضوء الكراهية المشتركة التى عبر عنها الطرفان » وخاصة اليهود « للنظام الحال في فلسطين (١) .

(1) Speech by Soviet Representative [A. A. Gromyko at Plenary Meeting of N. N. General Assembly - November 2, 1947 in : 'the USSR and the Middle Eastern Affairs, vol. IV no. 4. April 1953.

وعند إجراء التصويت في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ كانت أصوات مجموعة الدول الاشتراكية (الاتحاد السوفيتي وروسيا البيضاء واكرانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا) كلها إلى جانب التقسيم ومما زاد في الأهمية النسبية لهذه الأصوات أنها كانت تستطيع أن تغير الموقف برمته لو أنها صوتت ضد القرار حيث كانت تلتفى أغلبية الثلثين لو أن الأصوات الخمسة للمجموعة السوفيتية قد تحوات إلى الموقف المضاد للتقسيم .

تضارب الآراء حول الموقف السوفيتي :

تضاربت الآراء حول موقف السوفييت من المشكلة الفلسطينية في هذه الفترة ،

فهناك أولا التفسير السوفيتي ذاته من مسألة التقسيم والذي ينصب على أن تأييد الاتحاد السوفيتي لتقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ كان متمشيا مع دفاعه عن حقوق الشعوب في تقرير المصير وعن حق كل شعب في إقامة دولته الوطنية المستقلة (١) ،

كذلك فقد صرحت بعض المصادر السوفيتية بأن الجناح اليساري في الحركة الصهيونية قد استطاع أن يوهم الاتحاد السوفيتي بأنه يسيطر على الحكم آنئذ ويوجهه توجيهها يساريًا ليعطى أحسن القرص لاننشار الشيوعية ، هذا بجانب الموافقة الضمنية من الأحزاب الشيوعية التي ذكرت في تقاريرها إلى موسكو أن العداء الجماهيري العربي للنموذج الاشتراكي الصهيوني في فلسطين ليس إلا موجة عاطفية يذكىها الرجعيون العرب (٢) ،

(١) أنظر خطاب كيسيجين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩ يونيو ١٩٦٧ .

(2) Laquer, Walter, The struggle for the Middle East (The Soviet Union and the Middle East, 1958-1968) London: Routledge & Kagan Paul 1969 pp. 301-302.

وراجع أيضاً . دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

أما الدارسون الغربيون فيرجعون موقف الاتحاد السوفيتي إلى سببين رئيسيين ، السبب الأول : أن الاتحاد السوفيتي كان يهدف إلى إضعاف النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط وذلك ظناً منه أن إسرائيل ستكون معادية لبريطانيا ، ومن المعروف أن السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط في الفترة التالية للحرب الثانية كانت تسعى إلى تأمين الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي حتى لا تستخدم هذه المنطقة كنقطة وثوب إلى أراضيها ، وكذلك كانت تشجع كل الحركات المناهضة للاستعمار البريطاني في هذه المنطقة . ويذهب البعض إلى القول بأن تأييد ستالين لإقامة دولة يهودية كان مدفوعاً بالاتجاه المعادي لبريطانيا^(١) أكثر منه بالاعتبارات المؤيدة لإسرائيل (١) وأن هذا التأييد كان جزءاً من مجهود متناسق لضرب بريطانيا بالقوة الرئيسية في الشرق الأوسط ، وأن الذي حرك ستالين في أعوام ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ لم يكن العطف على الدولة المستقبلية بقدر ما كان الكره للغرب (٢) وأن هدف التصويت السوفيتي لصالح تقسيم فلسطين كان هو طرد البريطانيين كخطوة أولى لتحقيق الانسحاب الغربي من الشرق الأوسط ، وأن الكرملين اعتقد أن خلق الدولة اليهودية المستقبلية بقوميتها المتطرفة سيؤدي إلى إزالة الاستعمار البريطاني أكثر مما تؤديه الدولة العربية الموحدة .

السبب الثاني : أن الاتحاد السوفيتي كان يهدف إلى خلق نواة للاضطرابات في الشرق الأوسط وذريعة للتدخل في المنطقة كوسيلة لنشر الشيوعية ، وأن الاتحاد السوفيتي أراد أن يكون ذلك نواة لتدخله في المنطقة بخلق موطن له فيها (٣) .

(1) Dallin David J. Soviet Foreign Policy After Stalin, London : Methue, and Co. Lt., 1960 p. 111.

(2) Ibid pp. 75-79.

(٣) محمد السيد سليم ، الاتحاد السوفيتي والقضية الفلسطينية « السياسة الدولية » يوليو

١٩٦٩ ص ٤٣ - ٤٤ .

وهناك رأى آخر يرى أن التأييد السوفيتى للدولة اليهودية المستقبلية في فلسطين لا يرجع إلى أى تعاطف سوفيتى مع الصهيونية بل كوسيلة لقلب الأوضاع في العالم العربى الذى لم يكن للشيوعية أى أمل في الوصول إليه مباشرة في ذلك الوقت (١) .

ولابد أن يكون السوفيت قد قارنوا بين المجتمع اليهودي الذى يؤسس المزارع الجماعية وبين الحكومات الرجعية العربية في ذلك الحين التى تربط بعضها مع بريطانيا ، ولاحظ أن المجتمع اليهودي يمكن أن يكون حقلًا أسهل لنشاط الشيوعية في بلدان الشرق الأوسط الأخرى ، وقد عبر جروميكو يوم ١٤ مايو عام ١٩٤٧ فقال ، « إذا كان من المستحيل إقامة دولة موحدة فلا مناص من التقسيم إلى دولتين » وهكذا توجه الاتحاد السوفيتى نحو اليهود بالموافقة على التقسيم وقال للعرب إذا كانت بريطانيا والولايات المتحدة تمنع إقامة دولة موحدة فلننا تقبل التقسيم مضطرين .

وعموماً يعتبر الاتحاد السوفيتى - في هذه الفترة - أقوى سند للدولة اليهودية المستقبلية . فلسطين فهو لم يقترح فقط لصالح مشروع التقسيم في عام ١٩٤٧ بل إنه باذر في أثناء المناقشات التى جرت أمام الأمم المتحدة إلى الدفاع دفاعاً قوياً عن الدولة اليهودية .

(١) الدكتور/صلاح العقاد: قضية فلسطين المرحلة الحرجة ، مرجع سابق ص ٥٥ .

وانظر أيضاً :

Comunist tactics in Palestine, in : Middle East Journal
Year 1948-1949 New York.

قرار تقسيم فلسطين :

كان أهم فقرات قرار (١) تقسم فلسطين ما يلي :

١ - إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في أول أغسطس ١٩٤٨ على الأكثر .

٢ - جلاء القوات البريطانية تدريجياً قبل أول أغسطس ١٩٤٨ .

٣ - جلاء البريطانيين قبل فبراير ١٩٤٨ عن أحد الموانئ وعن ممر يربط هذا الميناء بالأراضي المخصصة للدولة اليهودية ، وذلك لتسهيل أعمال الهجرة .

٤ - ألا يتأخر قيام الدولتين المستقبليتين اليهودية والعربية وكذا النظام الدولي الخاص بمدينة القدس عن أكتوبر ١٩٤٨ .

٥ - قيام السلطات البريطانية عند جلاء قواتها بتسليم السلطة تدريجياً إلى لجنة تابعة للأمم المتحدة مكونة من خمسة أعضاء .

٦ - قيام لجنة للأمم المتحدة بتكوين حكومة مؤقتة في أسرع وقت لكل من الدولتين وإذا لم ينجح هذا الإجراء حتى أول أبريل ١٩٤٨ عليها تقديم تقرير بذلك إلى مجلس الأمن .

٧ - يكون للحكومتين المؤقتتين السلطات الكاملة لإنشاء حرس وطني مسلح .

’ وواضح أن هذا القرار ربما كان القرار الوحيد الذي عارضته جميع الدول الأفروآسيوية بينما كانت الدول الكبرى تؤيده بحماس ، وأن هذا الموقف لا ينبغي قط أن يغيب عن ناظرنا ونحن نحاول تقرير الحقيقة في المشكلة الفلسطينية .

(١) انظر تفصيلاً بالانجليزية : المحاضر الرسمية للجلسة الثانية للجمعية العامة في اجتماعها رقم

١٢٨ ص ١٤٢٤ - ١٤٢٥ ، قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ في :

Year Book of the United Nations New York United Nations, Department of Public Information 1947-1948.

كذلك فقد ارتفع عدد السكان اليهود بواسطة الهجرة إلى حوالي ٦٥٠,٠٠٠ نسمة ، وكان عدد السكان العرب حوالي ١,٣٥٠,٠٠٠ وهذا يعنى أنه فى وقت التقسيم كان العرب يكونون ٦٧,٥ ٪ من سكان فلسطين بينما كان اليهود يكونون ٣٢,٥ ٪ فقط ، وبالرغم من الضغط الذى لم يسبق له مثيل فإن الأراضي المملوكة لليهود فى فلسطين بلغت نسبتها ٦ ٪ فقط من المساحة الكلية للبلاد ، ومع هذا فقد قسم القرار القطر الفلسطينى على النحو التالى :

(أ) أعطى الدولة اليهودية أكثر من ٥٦ ٪ من المساحة الكلية — أى أكثر من عشرة أضعاف الأرض التى كان يملكها اليهود .

(ب) أعطى الدولة العربية ٤٢ ٪ فقط من مساحة فلسطين مع أن العرب كانوا يكونون ٦٧,٥ ٪ من السكان وكانوا يملكون أكثر من ٩٤ ٪ من المساحة الكلية .

(ج) وضع ٤٩٧,٠٠٠ عربى يمثلون ٣٧ ٪ من مجموع السكان العرب تحت حكم الدولة اليهودية .

(د) أنشئت منطقة دولية تضم القدس ، وخصصت لها ٦,٥ ٪ من المساحة الكلية لفلسطين .

وبناء على قرار ٢٩ نوفمبر بادر مجلس الأمن إلى تشكيل لجنة خماسية من الدول الصغرى التى وافقت على التقسيم وذلك لمتابعة تنفيذ المشروع ، وقد شكلت من بوليفيا والفلبين وتشيكوسلوفاكيا ، وأختيرت الأخيرة لرئاسة اللجنة ، وكان من أهم اختصاصاتها التمهيد للاتحاد الاقتصادى الذى لا بد من وجوده لاستمرار حياة الدولة العربية ، وأنه لمن سخرية القدر حقا أن تترك هذه الدولة العربية التى تمثل شعب فلسطين العربى والأصيل فى أرضه بحاجة مستمرة إلى مساعدة الدولية اليهودية التى تمثل الشعب الطارئ والأجنبي .

نتائج ورود فعل قرار التقسيم :

صوتت ثلاث وثلاثون دولة في صالح التقسيم - وقد رأينا أن تصويب بعض الدول لم يكن مصحوبا بالحماس ، وإنما جاء نتيجة الضغط الأمريكي ، ولقد ترددت بعض الدول بالفعل ، ولكنها - في تأنيب من الضمير - كما قال المندوب الكندي عقب صدور القرار - اختارت تلك الدول أقل الحلول سوءا من بين الحلول الأربعة المعقدة والخطيرة التي كانت معروضة عليها ، وأضاف المندوب الكندي إلى ملاحظته السابقة بقوله :

« أننا نختار التقسيم بقلوب مثقلة بالأحزان والهموم » ،

أما وزير خارجية بلجيكا فقد قال (١) : « لسنا على ثقة تماما من أن هذا الحل ينطوي على العدل كله . بل أننا لسنا على ثقة من أن هذا الحل قابل للتطبيق . . ولكن هل كان لدينا حل آخر نوجه إليه اختيارنا ؟ أن كل ما كان معروضا علينا هو أما الأخذ بهذا الحل وإلا فلا حل هناك أبدا » .

أما المندوب الأمريكي فكان على شيء من الطرافة حين قال « نحن نأمل أن تصبح الحدود الفاصلة بين هاتين الدولتين خطا يسوده من الود والصدقة قدر ما يسود الثلاثة آلاف من الأميال التي تمتد فيها بين كندا والولايات المتحدة » .

نتائج ورد الفعل الصهيوني :

الفترة من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

استقبل اليهود في فلسطين قرار الأمم المتحدة بحماس لإيداعه حماس وأخذت الصهيونية - بجهد متواصل وعمل دائب - توحد صفوفها العسكرية وتجمع قوى منظماتها الارهابية وتنسق بين أنشطتها وتضع الخطط للقضاء على عروبة فلسطين وتحدد لخططها هذه اتجاهها استراتيجيا معين هدفه اجبار

(1) Aleun, op. cit, pp. 287-289

العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وازعاجهم على النزوح عن فلسطين واتخذ الاتجاه الاستراتيجي شكل حرب « الإبادة والارهاب » كوسيلة للاستيلاء على الأرض والتخلص من الشعب العربي في فلسطين في نفس الوقت ، ثم الادعاء بعدئذ بأن العرب هم الذين غادروا البلاد بمحض إرادتهم ، ولم يجبرهم أحد على ذلك حتى قبل أن يبدأ القتال الفعلي ، بل وقبل إعلان الدولة اليهودية .

وقد ذكر (١) جلوب باشا أنه في أحد أيام شهر ديسمبر عام ١٩٤٧ كان ضابطاً بريطانيا كبيراً في الفيلق العربي يقوم بزيارة حاكم بريطاني لإحدى المناطق في فلسطين وقد حضر الزيارة ضابط يهودي يعمل تحت أمرة الحاكم البريطاني ، وفي ذلك الوقت كان قرار التقسيم قد صدر حديثاً ، وسأل الضابط البريطاني مرعوسه اليهودي عما إذا كانت الدولة اليهودية الجديدة لن تتعرض لكثير من المتاعب الداخلية نظراً لأن السكان العرب في الدولة اليهودية سيكونون مساوين لليهود عدداً ؟ وأجاب الضابط اليهودي : « أوه . لا . لا . أن هذا سيحسم ، فقليل من المذابح سيخلصنا حالاً منهم » .

وفي ٢٤ مارس ١٩٤٨ حذر مندوب الوكالة اليهودية في مجلس الأمن : « بأن الشعب اليهودي سيعارض أى اقتراح إلى منع أو تأجيل إقامة الدولة اليهودية ، وبأنه لدى انتهاء حكم الانتداب في ١٦ مايو ١٩٤٨ على أبعد تقدير ستبدأ الحكومة اليهودية المؤقتة عملها بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة في فلسطين (٢) » .

أما الشيوعيون اليهود في فلسطين فقد انقسموا إلى فريقين ، فريق صغير تغلبت عليه النزعة الوطنية فنادى بمزيد من الهجرة لتأسيس الوطن القومي ، أما الفريق الأكبر تحت زعامة ماير فلنر فقد دعا إلى تعايش الجنسين تحت

(١) Glubb: Soldier with the Arabs: hodder: London, 1958 pp. 45-46.

(2) United Nation : Documents A/595 Official Records of third session of the general Assembly pp. 5-9.

قيادة العناصر التقدمية ورفع الشعارات القائلة بأن هذه العناصر هي التي ستعمل على تحرير الشرق العربي وليس فلسطين وحدها من الاستعمار البريطاني ، وعارض هذا الحزب فكرة التقسيم

كذلك صمم الصهيينة على إحباط كل محاولة يقوم بها مجلس الأمن قد تبطل هذا التقسيم ، وذلك بأن أخذوا أولا المبادرة لمجابهة الأمم المتحدة بالأمر الواقع ، وحث بن جوريون قاداته العسكريين على العمل وتحديد الابعاد الحقيقية للصراع المقبل وكان ينادى بأن الخلاف مع بريطانيا خلاف سياسى . . بينما هو خلاف مصيرى مع العرب لا تحسمه إلا الحرب ، ثم حدد بن جوريون عوامل النصر فى هذا الحرب قائلا :

« ان العامل الوحيد الذى يمكن أن ينجىء بالنصر هو الجهد الشامل ليهود فلسطين واليهودية العالمية ، جهد شامل منسق فى المستعمرات الزراعية ، المهجرة غير الشرعية ، الكفاح المسلح ، التضال السياسى فى حلبة الصراع الدولى » .

وقد نجحت الصهيونية فى تكوين قوتها السياسية والعسكرية المهيأة للانقضاض المبيت ، وكان لها الوكالة اليهودية والاتحاد العام للعمال اليهود (الهستدروت) والمجلس الوطنى اليهودى (فئاد ليتوى) والمنظمة العسكرية السرية (الهاجاناه) ، وقد اشتركت هذه الأخيرة مع الجماعتين المنشقتين عنها وهما الآرجون زفاى ليتوى واشتركت فى شن هجمات على السكان العرب وكان الهجوم متعمدا كما صرح بذلك دووف جوزيف وزير العدل الإسرائيلى الأسبق — بهدف حمل عرب يافا وطبرية وغيرهما من المدن والمناطق التى تخصصتها الأمم المتحدة للدولة اليهودية — على مغادرة وطنهم والحقا باخوانهم فى المناطق العربية من التقسيم .

ومن أبشع الجرائم التى ارتكبت وأكثرها بربرية مذبححة قرية دير ياسين ،

ففى ٩ ابريل عام ١٩٤٨ أغارت القوات الصهيونية على القرية وأعملت القتل بلا تمييز فى الشيوخ والنساء والأطفال وبقرت بطون الحوامل وقطعت الأطفال إربا أمام أعين أمهاتهم ثم قتلهم ، وألقت الأطفال الآخرين فى أحواض المياه بعد أن انتزعتهم من صدور أمهاتهم وقتلت الآباء والأمهات أمام أطفالهم ، والقلة القليلة التى بقيت حية من النساء والأطفال جردوا من ملابسهم ووضعوا فى عربات مكشوفة طافت بهم فى الأحياء اليهودية بالقدس ثم ألقوا وطردها إلى المنطقة العربية بالمدينة ؛

وقد وصف كاتب بريطانى موالى لإسرائيل الحادث فقال (١) :

« لقد كانت المذبحة دير ياسين أسود بقعة فى سجل اليهود طوال فترة القتال ، ، ولقد بررت هذه المذبحة على أساس أنها أدت إلى فزع بقية العرب وفرارهم من مناطق الدولة اليهودية ، وقلل هذا من خسائر اليهود فى الأرواح ، ،

ومن الغريب أن الوكالة اليهودية (٢) بعثت بخطاب إلى الملك عبد الله تبنى فيها أسفها لما حدث وتعرب عن استيائها واشتمزازها من هذه التصرفات البربرية معلنة تنديد الرأى العام اليهودى بهذه المذبحة الوحشية ، ، والحقيقة أن الوكالة اليهودية تعتبر مسئولة عن أعمال هذه العصابات حيث

(١) ان الدراسات التالية ذكر فيها الروايات المتصلة بدير ياسين :

Jacques de Reynier, A Jersalem un drapeau, Paris 1958 pp. 72-213.

R. M. Graves, Experiment in Anarchy, London 1949 p. 179. Men-ahem Pegin, The Revolt : Story of the Irgun, Trans Bamuel Rats, New York, 1951, pp. 162-165.

Arther Koestler, Promise and Fulfillement;

Palestine, 1917-1949 New York 1949 p, 1٢0.

(2) Kimch, John, Seven Fallen Pillars, The middle East 1915 - 1960 New York, Praeger, 1953 p 228.

Aleum, op. cit, pp 31٥ - 319.

هذه الوكالة هدفها التأثير النفسى على الشعب الفلسطينى إلى حد كبير ، ذلك أن الصحف العربية وأجهزة الدعاية نشرت على نطاق واسع أخبار هذه المذبحة على أمل أن تحرك الرأى العام العالمى ضد اليهود ، ولكن هذا الأسلوب أتى بعكس ما كان يرجوه العرب ، وكانت نتيجته هى مغادرة السكان العرب ديارهم مما أتاح للصهاينة فرصة لم يكونوا يتوقعونها وهى وجود مناطق خالية صالحة لسكنى المهاجرين الجدد ، عند إعلان الدولة .

وبقدر المستطاع حاول العرب أن يثأروا للمذبحة دير ياسين ففى ١٣ أبريل هاجموا قافلة يهودية متجهة إلى مستشفى هاداسا على جبل سكوبس وقتلوا المسافرين فيها ومنهم عدد من الأطباء والأساتذة مما أعطى لليهود فرصة لإثارة ضجة عالمية حول هذا الحادث لأنه يتعلق بسلامة مستشفى والجامعة العبرية ، كذلك فكر العرب فى مهاجمة مستعمرة النبي يعقوب الواقعة فى طريق القدس ، وكان عبد الله التل قد استعد لهذا العمل يوم ٨ أبريل فتدخلت بريطانيا لمنعهم من ذلك مع أنها وقفت موقف الحياد حينما ارتكب اليهود فظائعهم فى دير ياسين (١) .

وما جرى فى دير ياسين جرى بعد ذلك فى قرى نصر الدين وعيلوت وسوكر وحواش وحلدسن - شيخ وغيرها ، إلا أن دير ياسين كانت - بحق - بداية الزحمة الكبرى التى ألقت خارج فلسطين بما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ عربى غادروا منازلهم ومزارعهم فى المناطق الفلسطينية التى خصصت لليهود ، وأصبح عرب فلسطين لاجئين (٢) .

وقد حاول الصهاينة إقناع الرأى العام العالمى بأن العرب قد رحلوا بمحض إرادتهم وانهم لم يطردوا ، ولعل تصريح جلوب باشا كقائد للفيلق العربى وقت هذه الأحداث يلقى ضوءا على هذا الإدعاء ، فهو يقول :

(١) عبد الله التل : كارثة فلسطين ، القاهرة ، دار القلم ١٩٥٩ ص ٥٠ - ٥٩
 (٢) المشكلة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره - المؤتمر الأول للبرلمانيين وحقوق قضية الشرق الأوسط ٢-٥ فبراير ١٩٧٠ أصدر مجلس الأمة (مجلس الشعب حاليا) فى جمهورية مصر العربية نقلا عن : فورين افيرز - العنف على الحدود الإسرائيلية الأردنية - أبريل ١٩٥٤ .

« ليس حقاً أن اللاجئين العرب رحلوا بمحض إرادتهم كما اقنعت الدعاية الأوروبية العالم بذلك في البداية ، فمن يهاجرون بمحض إرادتهم لا يتركون ديارهم وهو لا يحملون إلا ملابسهم على ظهورهم ، والذين يقررون التوجه للإقامة في مكان آخر لا يرحلون بهذه السرعة بحيث ينفصل أفراد العائلة الواحدة فيفقد الزوج زوجته أو يفقد الآباء أبنائهم ، وإنما الواقع هو أن الغالبية هربت لأنها وجدت نفسها فريسة للرعب والإرهاب ، وكانت المذابح التي تحدث من آن لآخر سبباً في طردهم إلى أماكن أبعد وأبعد وليس ذلك لأنه قد راح ضحية لهذه المذابح أعداد كبيرة من الناس في آن واحد وإنما لأن عددهم كان كافياً لدفع الآخرين على استمرار في النجاة بأنفسهم »

كذلك قام الكاتب البريطاني ارسكين تشايلدرز بالتحقق بنفسه من كذب الادعاء الصهيوني وذلك بمراجعة تسجيلات الإذاعات العربية لهذه الفترة والموجودة لدى هيئة الإذاعة البريطانية وكتب يقول (١) :

« لم يصدر أقرار واحد أو نداء أو تنويه بمغادرة فلسطين من أي محطة من محطات الاذاعات العربية في فلسطين أو خارجها . »

ويؤكد مناحم بيجن مدى الذعر الذي خاق بالعرب نتيجة لما حدث في دير ياسين بقوله (٢) :

« إن القوات اليهودية شرعت في التقدم في حيفا كالسكين في قالب الزبد بعد أن أخذ العرب يولون الأدبار » .

ولم تقتصر أعمال الارهاب الوحشي على المناطق المخصصة للدولة اليهودية، فحتى قبل يوم ١٤ مايو - أي قبل إعلان الدولة - كانت العصابات

(١) ارسكين تشايلدرز : الطريق الى السويس ترجمة خيرى حماد - القاهرة - بدون تاريخ

(2) Begin, Menahem , The Revolt, Story of the Irgun, Tel, Aviv Hadder Publishing 1964.

الصهيونية قد انتفضت على المنطقة التي خصصتها الأمم المتحدة للدولة العربية في فلسطين واحتلت أجزاء منها وضممتها إلى الأراضي اليهودية ، فمدينة يافا التي كانت جزءا من الدولة العربية الفلسطينية وفقا لخطة الأمم المتحدة احتلت يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٨ ومدينة عكا التي كانت موجودة أيضا جزءا من الدولة العربية الفلسطينية احتلت يوم ٤ مايو عام ١٩٤٨ .

نتائج ورد فعل الرأي العام العربى :

الفترة من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

رفض العرب بطبيعة الحال - قرار تقسيم فلسطين - وما انتهى الاقتراح في الجمعية العامة للأمم المتحدة حتى أعلن ممثلوا العربية السعودية وسوريا والعراق واليمن أن حكوماتهم لا تعتبر نفسها ملزمة بقرار التقسيم الذى صدر لتوه ، وبعد ذلك بأيام قليلة صدرت مقترحات رسمية تؤيد هذا الاتجاه من جانب العرب ، وفي الوقت نفسه اندلعت المظاهرات الدامية في كل من دمشق وحلب حيث أحرق ٣٠٠ منزل وأحد عشر معبدا في الحى اليهودى كما انتشرت المظاهرات في عدن وفي بغداد حيث قتل ٧٥ من اليهود ، ٣٤ من العرب .

وفي فلسطين - كان يوجد حزب شيوعى عربى يسمى نفسه العصبة العربية لتحرير الوطنى يرأسه فؤاد نصار الزعيم النقابى ، وقد قدر اتباعه بنحو ٢٠ ألفا وكان يصدر في حيفا جريدة الاتحاد ، وعندما أعلن الاتحاد السوفيتى تأييده للتقسيم ، اجتمعت الأحزاب الشيوعية في الشرق العربى لتلائم نفسها مع الأوضاع الجديدة ، واضطرت جريدة الاتحاد إلى إعلان قبولها للتقسيم قائلة أنها توافق على ذلك مرحليا حتى تمر البلاد من الاستعمار البريطانى ، ولم يقتنع أحد بهذا التبرير ، لذلك تعرض الشيوعيون العرب لهجمات شديدة أثر صدور قرار التقسيم ، فوضع الحزب الشيوعى السورى

خارج القانون وهاجمت الجماهير مراكزه في حلب ودمشق ، كما هاجمت المركز الثقافي السوفيتي في العاصمة السورية .

وناقشت برلمانات الدول العربية قرارات التقسيم وفندتها وهاجمتها وأقبل الشباب العربي في كل مكان يقدم نفسه للتطوع وهو لا يجد منظمة ثابتة واضحة تقبله وتشرف (١) عليه وانتهت كثير من هذه المظاهرات بسفك الدماء في فلسطين ذاتها ، واضطرت جامعة الدول العربية إلى عقد لجنتها السياسية في القاهرة يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧ ، وحضر رؤساء الوزارات إلى عاصمة مصر لكي يجدوها صاحبة غاضبة مليئة بالمظاهرات وأذاعوا بياناً نددوا فيه بإقامة الدولة اليهودية في قلب العالم العربي .

والحقيقة أن هذه الأوضاع تعكس الواقع العربي في هذه الفترة — كما سوف تشير إلى ذلك تفصيلاً فيما بعد — وعموماً فقد كان الواقع العربي عند وبعد إقرار مبدأ التقسيم من أهم العوامل التي ساعدت على إقامة الدولة الصهيونية واستيلائها على مساحات كبيرة خارج حدود التقسيم ، فقد كان الواقع الرسمي والشعبي أعجز من أن ينتصر في معركة الحفاظ على عروبة فلسطين ، فدول الجامعة العربية كانت في حالة يرثى لها من الفرقة والانحيار. فقد كان الحكم في مصر فاسداً وكانت قوات الاحتلال البريطاني وتقدر بـ ٨٠ ألف جندي ترابط على إمتداد قناة السويس وتتحكم بذلك في مصير الجيش المصري شرق القناة يقطع الامدادات عنه إذا تطلب الأمر ، ولم يتقرر دخول الجيش المصري شرق القناة يقطع الامدادات عنه إذا تطلب الأمر ، ولم يتقرر دخول الجيش المصري إلى فلسطين إلا قبل موعد انتهاء الانتداب

(١) دكتور جلال يحيى: العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ٢٦٧-٢٩٨ .

دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٢٤-٢٣٨ .

البريطاني. بثلاثة أيام (١). ومعنى هذا أن الجيش المصري لم يهبط للقتال في
أما الحكم الهاشمي في الأردن والعراق فكان ضليعا مع بريطانيا وأمريكا
في تنفيذ مخططاتها ، فقد كان الجنرال جلوب هو قائد الجيش الأردني وكان
جميع كبار الضباط في هذا الجيش من الانجليز ويمكن اعتبار ما اعترف به
جلوب (٢) دليلا ماديا على مدى لانعدام الإدارة الأردنية وسيطرة الإرادة
البريطانية حيث يقول جلوب : « ان إرنست بيغن وزير خارجية بريطانيا
قال لتوفيق أبو الهدي رئيس الوزارة الأردنية : لا تذهبوا لمهاجمة المناطق
المخصصة لليهود ، ورد عليه أبو الهدي : ليس عندنا القوات اللازمة لهذا
الهجوم ، حتى لو أردناه » (٢) .

وكان الحكم في العراق لا يختلف عن طبيعة الحكم الهاشمي في الأردن
وتمثل تحاذل الحكم الهاشمي العراقي الذي دخل فلسطين ليكون محورا لها .
كان مشاغل الارادة عاجزا عن الحركة ، ثم تمثل التخاذل عندما انسحب
الجيش العراقي تحت ستار عتيق من الدعاية المستندة على الامتناع عن
المشاركة في اتفاقيات ردوس الخاصة بالهدنة - فيما بعد -

وكان الحكم في السعودية يزايد على الملوك والرؤساء العرب دون أن
يحاول خدش المصالح الأمريكية .

أما سوريا فقد كانت الطبقة الحاكمة هي طبقة الاقطاعيين والرأسماليين
وكانوا أعجز من أن يضعوا امكانيات سوريا في المعركة أو أن يتجاوزوا
مع الموقف العربي ، وكذلك كان الحال في لبنان وزاد عليه تركيبتها الطائفية
العجيب ،

وقد انعكس ذلك في القرارات السرية التي اتخذتها الحكومات العربية
في نطاق الجامعة العربية وكانت صورة للواقع العربي ، فعندما عقدت اللجنة
السياسية للجامعة العربية اجتماعا سريا في القاهرة في ١٨/١٢/١٩٤٧ وبعد

(١) اعترافات الفريق عثمان مهدي رئيس أركان حرب الجيش المصري والدكتور اسكندر
الوزير في وزارة النقراشي أمام محكمة الجنائيات - الأهرام ٢٤ مايو ١٩٥٣ ، ٣٠ سبتمبر
١٩٥٣ .

ثلاثة أسابيع من إقرار التقسيم كان القرار ينص على « العمل على إحباط مشروع التقسيم والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين ، وعلى الاحتفاظ بفلسطين عربية موحدة » . أما كيف يكون العمل على تحقيق هذا فان الواقع العربي كان أعجز من أن يحدده وأصبح القرار جبرا على ورق .

الشعب الفلسطيني وجيش الانتقاذ :

شاركت مصر وسوريا في إنشاء جيش الانتقاذ وإمداده بالمتطوعين ، أما القيادات الاقليمية لفلسطين فكانت تواجهها الصعوبات في هذه المرحلة ، فالكثير منهم في المنفى وكان الحاج أمين الحسيني بعيدا عن فلسطين ، كما أن علاقة الملك عبد الله بمشكلة فلسطين لم تكن لتسمح للقيادات الفلسطينية بأخذ مسؤوليتها في المعركة ، وكان وجود الملك عبد الله بقواته العربية النظامية كعضو فعال في جامعة الدول العربية يظهر وكأنه أكثر فعالية من وجود القيادات العربية الفلسطينية المجاهدة ، أو هكذا ظهر على هذه الصورة في تلك المرحلة من مراحل المشكلة .

وبدأ عرب فلسطين - بامكانياتهم المحدودة (١) - يقاتلون اليهود في كل فرصة تسنح لهم ، ولكن علينا أن نأخذ في الاعتبار أخطاء الحاج أمين الحسيني ، فالبرغم من أنه كان راغبا حقا في منع وقوع النكبة إلا أنه كان من طراز زعماء العشرينات ، فهو لم يتطور مع الزمن ليكون قادرا على مواجهة المسؤولية الكبرى الجديدة حيث كان يعتقد أن حرب العصابات - على طراز الثورات العربية ضد الحكم البريطاني - هي المناسبة لمواجهة اليهود ، وقد أمدت الحكومة المصرية الحاج أمين الحسيني بألفى بندقية بحالة جيدة لتوزيعها على جيش الانتقاذ وثبت فيما بعد أنه لم يرسل إلى هذا الجيش

(١) عبد الله التل ، كابرثة فلسطين ، مرجع سابق ص ٣

دكتور / محمد أنيس ، الدكتور / السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر مرجع سابق ص ص ٥٨٩ - ٥٩١ .

Aleum, op. cit, pp 237 - 238.

سوى ١٢٠٠ بندقية قديمة واحتفظ بباقي الأسلحة في بيته ، وقد اكتشف هذا الأمر عندما وقع انفجار في الأسلحة المخزونة في بيته بضاحية الزيتون بالقاهرة بعد انتهاء حرب فلسطين ، وهكذا تأخذ على الحاج أمين الحسيني تقصيره بهذا الخصوص الذي يعتبر خطأ فاحشا ترتب عليه ضرر بالغ حاق بالشعب الفلسطيني .

ومن جهة أخرى فكثيرا ما كان أحمد فراج طابع قنصل مصر بالقدس حينذاك ، يبعث الرسائل الملحة التي تستحث الحكومة - على مزيد من المساعدات لتلك اللجان الفرعية التي تشكلت للدفاع عن القرى والمدن الفلسطينية ، وقد أورد استغاثة اللجنة الموكله بالدفاع عن نابلس في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٤٧ يشكو فيها من عدم وصول الأسلحة المقررة لتلك اللجنة ، ومما تضمنته هذه الرسالة عبارة لها مغزى هام فقد ذكر أنه لم تبادر الحكومة المصرية إلى مساعدة المجاهدين الفلسطينيين فانهم سيتحولون إلى الملك عبد الله يرجون منه التدخل للدفاع عنهم . وكان القنصل المصري لم يجد أسلوبا لاقناع حكومته أفضل من التهديد بأن الملك عبد الله سيحول الموقف لمصلحته الخاصة ، ثم يستطرد القنصل المصري موجه الانتقاد للهيئة العربية العليا وجيش الجهاد المقدس الذي يعتبره البعض اسما على غير مسمى وإلى مفتى فلسطين الذي يعتبره غير ملزم تماما بالأوضاع في فلسطين آنذا لأنه يقيم بعيدا عنها وهو ما أضر إما ضرر بمشكلة فلسطين ويؤكد أحمد فراج طابع ذلك بقوله (١) - نقلا عن رئيس لجنة بلدية القدس - جريفز - « إن عدم خضوع المناضلين العرب إلى قيادة منظمة كان سببا في ضياع كمية هائلة من الذخيرة التي كانت تطلق بغير داع ، وإن كثيرا من المعارك التي كانت تلور كانت تحدث بدون تصريح للمناضلين العرب » .

كذلك كان مفتى فلسطين يستمد معلوماته من الصحف

(١) أحمد فراج طابع : صفحات مدوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ٧٠ - ٨٣ والفقرات الواردة في المتن نقلا عن كتاب « تجربة في الفوضى لجريرز الذي كان رئيساً للجنة بلدية القدس في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

الفلسطينية أو المصرية ، ولذلك كان يصدر بلاغات عن نتيجة المعارك بين العرب واليهود لا تتفق مع الحقيقة .

ومما يوجه إلى الهيئة العربية العليا من انتقاد - أيضا - أنها لم تعمل على تعبئة الشعب الفلسطيني ويشترك في هذا التقصير أيضا جامعة الدول العربية لأنها لم تعمل على تجنيد الفلسطينيين في جيش الانقاذ ، ولم تبادر إلى إرسال السلاح لحماية القدس بعد ذلك وبالتالي فقد أصبحت الهيئة العربية العليا - فيما بعد - غير ذات موضوع بعد أن فشلت فشلا ذريعا في أداء واجبها نحو الشعب الفلسطيني الذي أولاها ثقته .

الموقف العربي بعد قرار التقسيم وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

حينما صرح العرب بتحديدهم لقرار التقسيم ، كان ذلك يعني ضمنا أنهم سيستخدمون القوة لمنع تنفيذه ، وإذا تتبعنا الاجتماعات الخمس التي عقدتها الجامعة العربية بشأن مشكلة فلسطين خلال العامين السابقين ، نلاحظ أنها خصصت لبحث الوسائل السياسية والاقتصادية ، والأمر الجدير بالملاحظة أن ممثلي الحكومات العربية حينما كان يلتئم شملهم في هذه الاجتماعات ، كانوا يتظاهرون بالاتفاق على الخطط الموضوعية و لذلك كانت تلك الخطط تبدو فعالة ومناسبة حينما توضع على الورق ولكن عندما تنتقل إلى التنفيذ تعود كل دولة إلى اتخاذ الموقف الذي تمليه عليها أنانية الحكام ، وهو ما أدركته الصهيونية ، وأن تصريحات الزعماء العرب لا تؤخذ مأخذ الجد بل أنها نوع من الدعاية لجوجية لإرضاء عواطف الجماهير .

وإذا استعرضنا موقف كل دولة عربية تفصلا خلال هذه الفترة نلاحظ

الآتي :

١ - موقف مصر :

ما إن تصاعدت المشكلة الفلسطينية إلى هذا المدى في أواخر ١٩٤٧ حتى اجتاحت الرأي العام المصري سخط عارم وبدأت الإضرابات والمظاهرات ، وكان أولها إضراب دعا إليه الحزب الوطني ومصر الفتان والإخوان المسلمون ،

وأعلن عن اعتبار يوم ٤ أكتوبر يوم طوارئ حيث عقدت اجتماعات لهيئات الشباب مطالبة بجلاء الإنجليز عن فلسطين وإلغاء الانتداب وأن توجه الجهود العربية ضد الصهيونية ثم تكونت «هيئة وادي النبل العليا» لإنقاذ فلسطين ونظمت حملات التبرع والدعوة لإنشاء كتائب التحرير (١).

وكان الإخوان المسلمون ومصر الفتاة على رأس التنظيمات السياسية المصرية في تأييد الكفاح المسلح ضد الصهيونية ونظر كلاهما لمشكلة فلسطين وللجهاد من أجلها على أنها حرب مقدسة وطنية ودينية ضد الصهيونية ، وكانت المظاهرات تتحول أحيانا إلى أعمال الثأر من اليهود المقيمين في مصر ، بتدمير بعض المتاجر والمحال ، ومع تصاعد الموقف ، أعلنت مصر الفتاة عن تأليف عدة أفواج للنضال ضد الصهيونية في فلسطين ومسافر أحمد حسين مع هذه الأفواج إلى سوريا باعتبارها خط الدفاع الأساسي ، كما كون الإخوان المسلمون كتائب للجهاد وإقامة معسكرات للجهاد الجنوبية بفلسطين (٢).

ومنذ أواخر ١٩٤٧ نشط الإخوان المسلمون في فتح المعسكرات ودعوة شبابهم لحمل السلاح والاتصال بالجهاديين العرب لمدهم بالسلاح وعندما رفضت حكومة النجاشي طلبهم تسلمت مجموعات منهم إلى فلسطين من سيناء وبدعوا القتال الفعلي ومهاجمة المستعمرات اليهودية في فبراير ١٩٤٨ رغم قلة عددهم وضعف أسلحتهم ، ورابطت أولى قواتهم في النقب وبدأت معاركها الأولى في كفار ديروم في ١٤ أبريل كما ذهبت قوة ثانية لهم إلى معسكر قطنة بسوريا لتستكمل تدريبها وتنضم إلى الأولى ، ثم تقدم شباب منهم للعمل تحت قيادة الجامعة العربية وشكلت منهم ثلاث كتائب أتمت تدريبها في معسكر «هاكستب» في إحدى ضواحي القاهرة ثم تسلمت إلى فلسطين ، وكان يقود الكتيبة الأولى من متطوعي الجامعة العربية الشهيد أحمد عبد العزيز وكانت القوات المتطوعة

(١) الأهرام في ١٩٤٨/١/١ والأعداد التالية .

(٢) الأهرام في الفترة من ٢ - ٢٧ يناير ١٩٤٨ .

شليطاً من الإخوان المسلمين. وغيرهم من الشباب المصرى الحر» (١) .

أما سياسة حزب الوفد، فقد كانت هى الأخرى تؤيد شعب فلسطين فى كفاحه فقد أكد الزعيم المصرى مصطفى النحاس المندوب صحيفة الأيام السورية أنه يؤيد أن تكون فلسطين لأهلها مسلمين أو نصارى أو يهود ولكنه لا يقبل بحال أن تكون وطناً قومياً للصهيونية وقال النحاس أنه أعلن ذلك فى بروتوكول الإسكندرية الذى صدر فى عام ١٩٤٤ بإنشاء الجامعة العربية (٢) ، كما عارض حزب الوفد فى وضوح تقسيم فلسطين .

وبالنسبة لموقف الحركة الماركسية فى هذه الفترة فإننا نجد أن صحيفة الفجر الجليليد ، كتبت فى ١٦ يونيو تهاجم الصهيونية وتناصر كفاح الشعب الفلسطينى ، كما أن برنامج لجنة العمال للتحرير القومى تضمن بنداً خاصاً بمكافحة الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطينى فى نضاله ، كما كتبت صحيفة صوت الأمة فى ٢٢ أبريل تندد بالدعوة الصهيونية والهجرة اليهودية من مصر مؤكدة ارتباط يهود مصر بمصالح الشعب المصرى وكفاحه الوطنى (٣) .

كذلك عارضت طليعة العمال والفلاحين تقسيم فلسطين وأيدت الدخول فى حرب ضد إقامة الدولة الصهيونية ولكنها أضافت بخصوص موقف الحركة الصهيونية عموماً « لن نوافق على التقسيم إلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية اليهودية (٤) » .

وفى تقييم رأى العام المصرى نجد أنه أهتم بمشكلة فلسطين على أساس

-
- (١) كامل اسماعيل الشريف : الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، مطبوعات كتب الإخوان المسلمين ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار ص ص ٤٣ - ٤٧ .
 (٢) صحيفة الوفد المصرى فى ١٠ فبراير ١٩٤٦ س
 (٣) أحمد محمد غنيم وأحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ، القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ص ١٧٣ - ١٧٦ .
 (٤) صحيفة الجماهير ، القاهرة ١٩ أكتوبر ١٩٤٧ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧ .

أنها مسألة إسلامية أكثر منها قضية وطنية وهذا لا يعنى على الإطلاق أنها أقل إثارة لعواطف الجماهير . ولم يكن المصريون وحدهم هم الذين ينظرون الى القضية من زاوية دينية ، فوصف الجيش الفلسطينى بأنه جيش الجهاد المقدس يدل على أن بعض الزعماء الفلسطينيين أنفسهم قد استخدموا العاطفة الدينية لمواجهة اليهود .

وقد وجدنا كيف أن حكومة النقراشى قد رضخحت في نهاية الأمر لفكرة الحرب لا عن اقتناع بل لأنها كانت تمثل حزب أقلية - حزب السعديين - يسعى لكسب شعبيته ، بدليل ما كان النقراشى نفسه يصرح به في المجالس الخاصة وهو عدم رغبته في الاشتراك في الحرب ، أضف إلى ذلك أن مشكلة فلسطين لم تكن تحتل مكانا في برامج الأحزاب السياسية المصرية ، فعندما طرح موضوع دخول القوات المصرية إلى فلسطين على البرلمان المصرى في جلسة سرية (١) في ١٢ مايو ١٩٤٨ لم يعترض سوى السياسى العجوز إسماعيل صدقى وكان معروفا بعدم اكترائه برأى الجماهير . أما حزب الوفد فقد أعلن موافقته متحفظا فقط فيما يتعلق بإعلان الأحكام العرفية ، فلفت نظر الحكومة إلى أنه لا يجب إتخاذ حرب فلسطين مبرراً للقضاء على الحريات السياسية التى كفلها الدستور .

٢ - موقف العراق :

كان رأى العام في العراق أكثر انشغالا بمشكلة فلسطين وذلك منذ لحا الحاج أمين الحسينى إلى بغداد في الحرب العالمية الثانية ، وعندما نشأت الأحزاب العراقية عام ١٩٤٦ اشتملت برامجها على بنود خاصة بمشكلة فلسطين ، إلا أن الحكومة العراقية كانت مستعدة للتعاون مع الملك عبد الله في ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته ، لذلك نسقت أعمالها الحربية مع الأردن ، وحدث بذلك من الدور الذى كان مقرراً للجيش العراقى أن يلعبه .

(١) مضابط مجلس الشيوخ المصرى - القاهرة ، ١٢ مايو ١٩٤٨ .

وكان عبد الله ونورى السعيد من المدرسة الانجائزية ولهم مطامع شخصية وأسروية فى فلسطين « وكأنهم (١) سيرثون الانتداب البريطانى فى المنطقة » ، وقد صرح نورى السعيد فى مؤتمر صحفى بالقاهرة فى منتصف ديسمبر ١٩٤٧ بأن العراق لن يوافق أبداً على مشروع التقسيم ولا على إنشاء دولة يهودية فى فلسطين العربية وقال :

أن مشروع تقسيم فلسطين خطة مخيفة لا يمكن أن ترضى هذه الأمة العربية بها . . . وأن الحكومات العربية قد أعدت ما يكفل احباط التقسيم (٢) .

ومن الغريب أن يشن نورى السعيد هجومه على الولايات المتحدة وحدها متغافلاً دور بريطانيا لأنه يعلم بالطبع أن بريطانيا هى صاحبة النفوذ السياسى فى العراق :

وهكذا كان المسئولون فى العراق مثلهم مثل المسئولين فى مصر فى جهل مطبق باستعدادات اليهود ولا أدل على ذلك من أنهم أرسلوا فيما بعد جيشاً عراقياً ليست لديه ذخيرة كافية ولا خرائط توضح جغرافية وطبوغرافية مسرح العمليات الحربية فى فلسطين (٣) .

ومن جهة أخرى فقد اتسم العراق بوجود اتجاهات مختلفة من الرأى العام وشغلته مشكلات الجنوب والوسط والشمال من البدو والمزارعين وسكان البلاد والاكراد فى الشمال ، ولكن ضغط الرأى العام قد انعكس على حكومة بغداد أن أجمع الجميع على ضرورة الاحتفاظ بعروبة فلسطين ، إلا أنه علينا ألا ننسى أن النفوذ البريطانى كان مسيطراً على العراق فى هذه الفترة ، ولذا كان من مصلحة البيت الحاكم فى بغداد أن يساير البريطانيين

(١) Aleum op. cit.

(٢) دكتور / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٢٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

Safran, Nadav, From war to war. New York 1969 po.

ومن مصلحته كذلك أن يساير الملك في شرق الأردن ، وكان بقاء القوات العراقية المحاربة خارج حدود المملكة العراقية يضعف من سلطة الحكومة ، وخاصة إذا نشبت الثورة عند الاكراد من جديد ، ولذلك سترتبط سياسة بغداد وسياسة حكومة عمان ارتباطاً وثيقاً - كما سبق أن أشرنا - وانعكس ذلك أيضاً على الاتفاقية التي وقعها رئيس الوزراء العراقي « صالح جبر » في « بورت سموت » تنص على جلاء القوات البريطانية ، ولكنها تحتفظ لبريطانيا بالحق في إعادة هذه القوات في حالة التهديد بالحرب وكذلك في استعمال المطارات الحربية وتدريب الجيوش ، وكانت الاضرابات التي أثارها هذا الخبر بدرجة كبيرة من العنف حتى أن الوصي على العرش - وهو موال تماماً لبريطانيا - ، قد اضطر إلى إعلان أنه لن يتم التصديق على هذه الاتفاقية خوفاً من الاغتيال (١) .

وعموماً فإن السياسة العراقية لم يستشيروا العسكريين عما إذا كان الجيش العراقي يستطيع أن يحارب « اللهم إلا إذا كانت نيّتهم مبيتة على أن يدخل الجيش العراقي فلسطين ويقف موقف المتفرج من المعارك بين العرب واليهود (٢) » كما حدث فيما بعد .

٣ - موقف سوريا :

كانت سوريا قد حطمت خطواتها الأولى بعد الاستقلال فلم يكن لها من القوات المحاربة مما يسمح لها بالنزول إلى ميدان المعركة وخصوصاً خارج حدود إقليمها ، وكان هناك ما يقرب من عشرة آلاف جندي في الجيش السوري في ذلك الوقت وبعضهم كان قد تمرن مع القوات الفرنسية في أثناء فترة الحرب العالمية الثانية وقبل استقلال سوريا ، ولكن تدريب بقية الجيش السوري كان لا يزال في حاجة إلى مجهود ولم تكن فرنسا قد تركت لها الكثير من الأسلحة اللازمة للميدان ،

(١) Rodinson, op. cit, pp. 42-43.

(٢) أحمد فراج طابع ، صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ١٣٠ .

ومن الثابت أن سوريا في ذلك الوقت كانت تخشى على نفسها من مشروعات « سوريا الكبرى » ومشروعات « الهلال الحبيب » والذي كان ينادى بها سيد شرق الأردن ، وبقية السادة الهاشميين في بغداد ويحاولون بها ضم سوريا إلى الكتلة الهاشمية وإرجاع الجمهورية السورية كإقليم من أقاليم مملكة هاشمية ، وبالرغم من ذلك فإن حكومة سوريا لم يكن في وسعها أن تتراجع أما هتافات الجماهير وإزدياد الحماس الشعبي خاصة وأن فلسطين كانت طوال التاريخ جزءاً من سوريا .

وعموماً فقد زاید الساسة السوريون على المشكلة الفلسطينية بقصد الدعاية في ظل الداخل أكثر من الرغبة في العمل الجدي ، فإلخيش حديث جداً ، ولم يمتضى على الاستقلال أكثر من ثلاث سنوات ثم أن هؤلاء الساسة لا يحبون الاصطدام (١) بهريطانيا والولايات المتحدة اللتين ساعدتا على هذا الاستقلال ولهما من تأثير على مسار مشكلة فلسطين في هذه الفترة .

موقف لبنان :

كانت حكومة لبنان لا تزال هي الأخرى في مرحلة إعداد الجيش اللبناني ، وأسرت تحت ضغط الرأى العام إلى إصدار قرارات بزيادة عدد الجيش اللبناني ، وبالتالي كان من الصعب أن يحصل هذا الجيش على التدريب والتسلح ، وربما انعكس ذلك على الساسة اللبنانيين الذين ساءوا هم الآخرون بالمزايدة على المشكلة الفلسطينية بقصد الدعاية في الداخل أكثر من الرغبة في العمل الجدي ، فنلاحظ مثلاً التصريحات الحماسية لرياض الصلح رئيس وزراء لبنان آنئذٍ والتي يمكن تقييمها (٢) بأنها مجرد مزايدة على مشكلة فلسطين .

(١) دكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين - المرحلة الحرجة - مرجع سابق ص

٦٠ - ٦١ .

(٢) المرجع السابق .

موقف الملك عبد الله :

كان الملك - الأمير - عبد الله يرغب في أن يقوم بالدور الأساسي في مشكلة فلسطين وعلى أساس أن غرب الأردن يكمل شرقها ، وأن له من الوسائل الحربية والقوات العسكرية في فلسطين نفسها ما يسمح له بالسيطرة على الموقف ، وكانت لتصرّيات الملك فاروق في القاهرة - بأن العرب سينزلون قريباً إلى فلسطين - تأثيراً واضحاً على الملك عبد الله الذي كان يعتبر نفسه أقدر من غيره على تسوية المشكلة الفلسطينية « فكانت مباراة (١) في الخطب والتصرّيات بين الملوك والرؤساء أكثر من كونها مباراة في الاستعداد للمعركة القادمة » ، والطريف أن الملك عبد الله حاول أن يظهر بأنه سيحارب الخطر الروسي اليهودي ، وأظهر بذلك عجزه عن فهم طبيعة الصراع القائم والموقف الدولي وإمكانية حصر الصراع بين الشرق والغرب داخل منطقة فلسطين نفسها .

وان أصدق وصف لهذه التصرّيات بأنها « مجرد (٢) نوع من التسخين السياسي والمعنوي » بدليل قوله : « وان ذئاب العرب الكثيرة ، فاذا دخلت فتكت وإذا غضبت . . ما رجعت . »

وهكذا يعتبر الملك عبد الله مسئولاً (٣) عن كثير مما حدث في فلسطين في هذه الفترة حيث كانت أفعاله تتنافى تماماً مع أقواله .

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) من الدراسات التي اعتمدنا عليها في هذا الجزء :

دكتور / أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين - منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز

البحاث - بيروت ١٩٦٦ .

أحمد فراج طايغ : صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق .

وعقب صدور قرار التقسيم أعاد الملك عبد الله - توفيق أبو الهدى إلى رئاسة الحكومة بهدف تكميم الشعب الأردني . وكانت بريطانيا تدفع للحكومة الأردن في ذلك الوقت مساعدة مالية قدرها مليون جنيه استرليني في السنة مقابل نفوذها في إقليم شرق الأردن وحاولت الحكومة الجديدة تعديل المعاهدة الأردنية البريطانية المعقودة في عام ١٩٤٦ وأرسلت وفدا أردنيا إلى لندن برئاسة توفيق أبو الهدى وكان الوفد يضم جلوب باشا الإنجليزي - بصفته مستشارا عسكريا - وقد كشف (١) جلوب فيما بعد أن رئيس الوفد الأردني كان مكلفا بمهمة سرية ظهرت في المحادثات بين أبي الهدى وبين وزير خارجية بريطانيا والتي عمل فيها جلوب بصفته مترجما ، فذكر أن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهي قريبا وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهتئوا شيئا من هذا فاليهود لهم شرطهم ومجلسهم النيابي وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات الهاجاناه بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح وليست لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وكان أبو الهدى لا يرى مانعا من دخول الجيش العربي إلى فلسطين بعد انسحاب البريطانيين ، ورد عليه بيفن بأن ذلك هو الحال الوحيد المعقول ، ولكن جلوب باشا أوضح للرئيس الأردني بأنه ليس في مقدرة الجيش العربي أن يحتل منطقة غزة والجليل في المنطقة العربية فأيد الرئيس الأردني فكرته - ثم ذكر بيفن أنه يجب على العرب أن لا يذهبوا إلى أبعد من ذلك ويحتلوا المنطقة اليهودية ورد عليه أبو الهدى بأنه ليس لديهم هذه الإمكانيات حتى لو كانوا يتمنون ذلك ،

وقد قامت المظاهرات في الأردن بسبب التعديلات التي أدخلت على هذه المعاهدة ، ولكن حكومة عمان استخدمت كل وسائل القمع لكي تكبت أصوات الأحرار ، وذلك في الوقت الذي أدعت فيه حكومة الأردن

(2) Glubb, op. cit, pp. 51-59.

بأنها أولى الحكومات العربية التي تشارك في إعادة حق عرب فلسطين
لهم (١) .

وفي نفس الوقت أرسل الملك عبد الله - عمر الدجاني إلى الولايات
المتحدة الأمريكية التي لم تكن قد اعترفت به بعد ، ونقل الدجاني إلى
حكومة الولايات المتحدة استعداد الملك عبد الله للاعتراف بالدولة اليهودية
إن هي تخلت له عن الضفة الغربية والقدس والجليل الغربي ، وكان يرجو
أيضاً أن تعترف الولايات المتحدة بالأردن الموسعة في مقابل اعتراف الملك
عبد الله بالدولة اليهودية . ولكن يبدو (٢) أن المهمة فشلت لعدم الاتفاق
حول القدس إذ رفض اليهود التخلي عنها بينما تمسك بها الملك لأن بها « قبر
جدة » .

ويتساءل أحد المؤرخين المصريين المعاصرين (٣) بهذا الخصوص عن
سبب عدم اتفاق بريطانيا مع الملك عبد الله مباشرة عندما وقعت معه معاهدة
الصداقة والتحالف في مارس عام ١٩٤٨ على تنفيذ قرار التقسيم بضم الجزء
العربي من فلسطين إلى الأردن على أن يتعهد بعدم تجاوز ذلك التقسيم ،
وتردد الإجابة على هذا التساؤل من خصوم الملك عبد الله بأنه ما كان يستطيع
ذلك حتى لو أراد لأنه سيتعرض لسخط الرأي العام العربي بأكمله ، أما
الملك عبد الله فينفي هذه التهمة ، بدليل أنه تحدى قرارات الأمم المتحدة
الخاصة بالقدس واستولى على المدينة القديمة ، ولوتركت له الفرصة لاستولى
على بقية المدينة أيضاً .

(١) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع
سابق ص ٢٩٢ .

(٢) الدكتور / أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، مرجع سابق ص ص
١٣١ - ١٢٢ .

(٣) الدكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق
ص ٦٢ .

الأسباب التي حولت الدفعة ضد العرب في الفترة

من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨

أولاً : على الجانب العربي :

تصاعدت المناوشات بين السكان العرب واليهود في فلسطين في أعقاب صدور قرار تقسيم فلسطين مؤذنة بنشوب حرب أهلية وأنفجرت الاشتباكات أولاً في منطقة يافا وتل أبيب والقدس حيث بلغ المجتمع اليهودي حمله الأقصى ، لكنها انتقلت إلى ماوراء هذه الترخوم في الشهور اللاحقة ، فمدينة يافا — الأقلية — استسلمت القوات اليهودية قبل يومين من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

والملاحظ أنه ابتداء من لاشئ في أواخر عام ١٩٤٧ أخذ المتطوعون من البلدان العربية المجاورة يتلقون تدريبهم في جيش الانقاذ — كما سبق أن أشرنا — لكن هؤلاء المتطوعين — حسب اعترافات أحد المؤرخين (١) العسكريين الإسرائيليين — لكن هؤلاء المتطوعين من البلدان العربية بلغ عددهم في أقصى حد ٤٠٠٠ رجل فقط ومنهم حوالي ٢٠٠٠ فقط لم يسبق لهم أن تلقوا حتى التدريب الأساسي ،

وفي داخل الحلبة — حتى منتصف مايو — وقف عرب فلسطين وهيئتهم العربية العليا وجها لوجها أمام جيش من المستوطنين هو من أفضل الجيوش تنظيماً وتخطيطاً وأحسنها تدريباً ويضم الأوربيين المتفوقين تقنياً .

وفي مواجهة ذلك افتقد عرب فلسطين أيضاً أساليب التجنيد المنظم حيث المقاتلون العرب هم متطوعون وينتمون إلى طبقات متفاوتة اجتماعياً وثقافياً وقادتهم من قادة الثورات القديمة في الثلاثينات الذين يصلحون للأعمال الفدائية وليس للحرب النظامية والمعارك المكشوفة التي تطايتها المرحلة الجديدة

(1) Larche, Netanel : The Edge of the Sword, Israel's War of Independence, 1947-1949. New York G. P. Putnam, 1961. p. 264.

وكانت الحشود تتجمع مع النصر ثم تنفرق عند مواجهة الصعاب ، أضف ، إلى ذلك الانقسامات العنيفة بين القوات العربية فضلاً عن عدم التنسيق وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالنسبة للسياسة العرب ،

فقد كان القواقجي شديد الحقد على الحسينيين وفي نفس الوقت حض أمين الحسيني اتباعه على عدم التعاون مع جيش الانقاذ واصفا جنوده بالاجانب ، وذكر أسماعيل صفوت ذلك في أحد تقاريره المرفوعة للجامعة العربية عن الأوضاع العسكرية في فلسطين . ولما عين عبد القادر الحسيني قائدا لقطاع القدس طالب القواقجي بأن يكون هو القائد العام للقوات العربية الفلسطينية ورفض التعاون بالرغم من أن عبد القادر الحسيني كان معروفا باخلاصه الصادق للقضية ، ورغم قلة كفاءته من الناحية العسكرية ، إلا أنه أحرز نصراً مرموقاً باستيلائه على مستعمرة كفار عصيون قرب القدس ، وكان بإمكانه أن يتابع القتال لولا أن فوزي القواقجي حقد عليه فلم يمد له يد المعونة في الوقت المناسب . ويذهب البعض إلى القول بحدوث خيانة من القواقجي لاتصاله سراً بالوكالة اليهودية مما أفسد على عبد القادر الحسيني خطته (١) .

، ومن ناحية أخرى يعد القواقجي مسئولاً إلى حد ما عن هزيمة العرب في القسطل ، فقد التقط اليهود محادثة تليفونية بينه وبين جيش المجاهدين في ٨ أبريل كان الحسيني يشكو فيها من نقص الأسلحة ويطلب بعض الإمدادات ، وأجاب القواقجي بعدم وجود أسلحة فعرف اليهود تخرج مركز الحسيني في هذا الميدان وفاجأوه بالقتال .

وبالرغم من أن هذا لايعني بالضرورة وجود خيانة ، فإن هذه الفترة الحاسمة من تاريخ المشكلة الفلسطينية قد سادتها الخيانات على حد قول أحد

(١) سايكس ، كريستوفر : مفارق الطرق إلى إسرائيل ترجمة خيرى حماد ، بيروت

الخبراء (١) في المشكلة الفلسطينية .

ورغم هذه المصاعب فقد كان موقف العرب يبدو راجحاً خلال شهرى فبراير ومارس وقد نجحوا في قطع طرق المواصلات بين المستعمرات اليهودية وتعرضت قوافل التموين اليهودية إلى المستعمرات النائية لغارات عربية متواصلة وتخرج مركز كثير من هذه المستعمرات إلا أن العرب وقفوا عاجزين أمام اقتحام المستعمرات ذاتها .

ثانياً : على الجانب الصهيوني :

استخدم الصهاينة أحدث أساليب التأثير النفسى فكانوا يتجولون بمكبرات الصوت في المدن لتحطيم الروح المعنوية وتعهدوا أحياناً بإطلاق الأسرى لنشر الأخبار الكاذبة عن قوة اليهود وذلك في الأماكن المحصنة التي يلحظون أن العرب ينزفون الصمود فيها ،

وتبين التسجيلات الملتقطة لإذاعات الراديو الصهيوني خلال تلك الفترة وجود حرب نفسية متكررة وقد صممت من أجل إضعاف ثقة العرب بزعامتهم ولنشر الرعب من الأخطار المحيطة للأمراض السارية ونقل قصص عن الجماعات العربية التي تملكها الخوف (٢) .

(١) وهو الأستاذ أحمد الشقبري في مقابلة شخصية مع سيادته في ديسمبر ١٩٧٤ بالقاهرة .
(٢) هكذا جاء في الإذاعة الملتقطة لراديو الهاجاف في الساعة الخامسة من مساء ١٩ فبراير ١٩٤٨ ، إذ راحت تلك الإذاعة تقول للعرب أنهم سوف يضيعون ولن يلتفت إليهم أحد في صراع الأطماع الدائري بين الزعماء العرب ، وفي الساعة السادسة من مساء ٢٠ مارس ١٩٤٨ ذكرت أن الدول العربية تتآمر مع بريطانيا ضد الفاسطيين كما ذكرت في ١٨ شباط ١٩٤٨ بأن جنود جيش الإنقاذ « جلبوا مرض الجدري معهم » وفي ٢٧ شباط ١٩٤٨ قالت بأن الأطباء الفلسطينيين يهربون ، وفي ١٤ آذار ١٩٤٨ جاء على لسانها أن « سكان يافا » استبد بهم الخوف إلى درجة جعلتهم يلزمون داخل منازلهم » :

Major R. D. Wilson. Cordou and Search, New York 1952-
Lorche, Edge of the Sword, op. cit.

John Kimch and David Kimch, Both Sides of the hill
London 1960 pp. 67-68 and 75.

فضلا عن قوة مخبرات الصهاينة وتمرسهم بأعمال التجسس منذ الحرب الثانية ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا يعرفون شحنات الأسلحة إلى البلاد العربية ومواعيد وصولها ، وتمكنوا من إغراق بعض السفن التي كان من المفروض أن تنزل حمولتها على شاطئ فلسطين للجيش العربي وإفساد نتائج النشاط الدبلوماسي العربي (١) ، واتخاذ خطوات فورية لإنصاج وتحقيق آمال الصهيونية في دولة يهودية مستقلة .

وهناك عديد من الصهاينة الذين لم يتأثروا بانطباعاتهم الغربية التي صورت العرب في صورة التخلف والعنف فحسب ، بل أثرت فيهم تجاربهم أو معرفتهم للأحوال التي حلت بالجماعات اليهودية في أوروبا تحت السيطرة النازية ، وكانوا يعتقدون بأن الجيوش العربية تنوى اجتياح فلسطين وشن المذابح ضد اليهود ، وقد صمم هؤلاء على أن مثل هذا الأمر لن يقع وانتعشوا إلى حد ما لمعرفة أنهم يقبضون على زمام مصائرهم في المستقبل (٢) .

ومن هنا شبت الوحدات العسكرية الصهيونية - الهاجاناه والبالماخ - غارات هجومية تخريبية ضد القوى العربية ، وجرى الإعلان مقدماعن هذه الغارات وهو ما يعتبر بمثابة انتقام من ردود الفعل العنيفة ضد الهجمات الصهيونية « غير الرسمية » (عصابتى شترن والآرجون) على المدنيين العرب حيث كان الصهيوينيون يعملون بهدوء إلى وضع عبوات متفجرة حول البيوت الحجرية ويصبون البترول على الإطارات الخشبية للنوافذ والأبواب ثم يفتتحون النار فينسفون ويحرقون السكان النائمين حتى الموت .

ويلقى المؤرخون الصهيوينيون (٣) صعوبات في معالجة هذه الفترة هي أنه بينما يقول البعض أن سياسة الهاجاناه كان تقتضى بعدم مهاجمة المناطق العربية

(١) موسى العلمي : عبرة فلسطين - بيروت ١٩٥٠ س ٣٧٠ وما بعدها .

(2) Ben-Gurion, David and Perlman Moshe : Ben Gurion looks back in the Talks with Moshe Perlman, New York 1965 p. 9.

(3) Lorhc, Edge of The sword. op. cit.

نجد البعض الآخر يصف صراحة هجمات التغلغل في العمق وأن « الذراع الطويلة للهاجناته يمكنها الوصول إلى أقصى المناطق العربية بعداً » وقد سبقت هذه الهجمات في إحداث نزوح عربي فلسطيني إنما داخل فلسطين وبعيداً عن المناطق الواقعة بقرب المستوطنين الصهيونيين (١) .

ومنذ شهر أبريل ١٩٤٨ فصاعداً ارتفع نزوح عرب فلسطين بمعدل جماعي وسوف نستشهد بما ذكره الباحثون المحايدون والصهيونيون على السواء ،

فقد أورد الوسيط الدولي الكونت برنادوت في تقريره المنشور قبل اغتياله هذين الوصفين :

« أن نزوح عرب فلسطين جاء نتيجة للرعب الذي خلفه القتال الدائر في مجتمعاتهم ، وللشائعات المتعلقة بأعمال الإرهاب الحقيقية أو المزعومة ، أن كل السكان العرب تقريباً هربوا أو طردوا من المنطقة الواقعة تحت الاحتلال اليهودي (٢) .

كذلك كتب أحد اليهود غير الصهيونيين إلى « رسالة الأنباء اليهودية » تصف أحوال عرب فلسطين في هذه الفترة أن : « بعضهم طردوا خارجاً بقوة السلاح ، والبعض الآخر حملوا على الخروج بواسطة الخداع والكذب والوعود الزائفة ، يكفي أن نذكر مدن يافا واللد والرملة وبئر سبع وعكا من بين المدن التي لا تحصى ، ومما يندى له الجبين خجلاً بنوع خاص تلك الظروف التي أحاطت بالهرب من القرى التالية : برعم ورباتصيا وبطباط ومجدل - جاد (٣) » .

ولم يكذب يعضى الأسبوع الأول لإعلان قيام إسرائيل حتى كان أوبري

(1) Kimche, john: Seven Fallen Pillars op. cit p. 226.

(2) U. N. Prugress Report, Sépt. 16, 1948.

وذلك في الفقرة السادسة من القسم الأول والفقرة الأولى من القسم الثالث من التقرير.

(3) The Bitter Truth About the Arab Refugees » jewish News letter, (New York) Feb. p. 1959.

إيبان (١) ينوب عن الوكالة اليهودية في إعطاء الإجابات التالية على عدد من الأسئلة التي وجهها مجلس الأمن إلى المسئولين الصهيونيين :

« إن حكومة إسرائيل المؤقتة تمارس الآن سيطرة فعلية على مساحة الدولة اليهودية ، كما حددتها قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبالإضافة إلى ما تقدم تمارس حكومة إسرائيل المؤقتة سيطرة على مدينة يافا والقسم الشمالي الغربي من الجليل ، المشتتل على عكا والزيب والبصة والمستوطنات اليهودية المحتلة حتى الحدود اللبنانية ، وتسيطر على رقعة بمحاذاة الطريق من حولده إلى القدس ، وعلى معظم القدس الجديدة والحى اليهودى داخل جدران مدينة القدس القديمة ، إن المساحات المذكورة أعلاه تقع خارج أراضي دولة إسرائيل » .

ثم اعترف إيبان صراحة بتكتيك الصهيونية الرامى إلى التوسع فقال :

« نحن نعتبر أراضي إسرائيل وحدة قائمة بذاتها وتضم أكرثية يهودية - وكما أشرنا من قبل - فإن حكومة دولة إسرائيل تعمل في أقسام من فلسطين تقع خارج أراضي دولة إسرائيل ، وهى الأقسام التي ضمننت في معظمها أكرثيات عربية ، باستثناء القدس ، غير أن هذه المناطق قد تخلى عن معظمها سكانها العرب ... ولا توجد مساحة خارج فلسطين واقعة تحت الاحتلال اليهودى ... » .

ومضى إيبان في حديثه (٢) عن القيام « بعمليات حربية » عبر حدود الدولة بين الحين والآخر وفقاً لما أملته العوامل العسكرية قائلا :

« No area outside of Palestine beyond the frontiers of the state of Israel hand occasionally been carried out by jewish forces for imperative military reasons » (3).

(١) أويرى إيبان هو نفسه أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل فيما بعد .

(2) Zionist Review, May 28, 1948.

(3) Ibid.

موقف بريطانيا منذ صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

بالرغم من أن هذه الفترة قد اتسمت بالإحساس بالتشاؤم إلا أن بريطانيا لم تعاون في تهدة هذه الأوضاع التي كانت تنذر بالخطر ، وفي ١٣ من ديسمبر ١٩٤٧ قام بينفن ليعان أمام البرلمان البريطاني القرار الذي اتخذته حكومة بوضع حد للانتداب ابتداء من يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وسحب جميع القوات البريطانية من عدم المساهمة في تنفيذ القرار الخاص بعملية التقسيم وقال :

« ليس في استطاعتنا أفراداً أو جماعات أن نتحمل مسؤولية فرض التقسيم بالقوة » واجتمعت اللجنة الخماسية المكلفة من مجلس الأمن لمتابعة تنفيذ التقسيم في ليك سكس يوم ٩ من يناير عام ١٩٤٨ وكانت قد تلقت من الكسندر كادوجان تصريحات لا يبعث على الاطمئنان حيث جاء فيها قوله :

« إن الصفة الدولية لهذه اللجنة لن تؤثر إلا قليلاً ولا كثيراً على العرب في فلسطين الذين أصبحوا اليوم لا ينظرون إلا إلى اعتبار واحد يفوق كل الاعتبارات هو : القضاء على اليهود » ،

وفي الوقت نفسه أعرب كادوجان عما تحس به الحكومة البريطانية حيال اللجنة من انعدام الثقة وقلة التقدير ، بأن فرض عليها عملاً صدم دخول فلسطين قبل تاريخ حدده يسبق نهاية الانتداب بخمسة عشر يوماً ، واستند كادوجان إلى اعتبارات تتعاق بالأمّن حيث ما زالت قواتها العسكرية ترابط فيها ، وأعلن أن بريطانيا ترفض الأخذ بالتوصيات التي أصدرتها اللجنة حول انتخابات المجلسين الوطنيين وتكوين القوات العسكرية وتحديد حدود الدولتين العربية واليهودية ، ثم حول القرار الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بإخلاء الموانئ في المنطقة اليهودية .

وقد أدت هذه التصريحات من جانب البريطانيين ، وما أظهره من عداة نحو اللجنة الخماسية إلى نشر روح القلق واليأس لدى هذه اللجنة .

وكانت خطة بريطانيا (١) - كما سبق أن أشرنا - هي تسليم كل منطقة للعرب أو اليهود حسب ما جاء في مشروع التقسيم مع فارق هام وهو أن اليهود كانوا قد أعدوا الأجهزة الإدارية للحلول محل الإدارة البريطانية ، بينما لم تكن هناك خطة عربية موحدة لاستلام السلطة في أعقاب الانجليز ، حقيقة أن الجيش الأردني حل محل الانجليز في الضفة الغربية ، ولكن بقيت بعض المناطق المخصصة للعرب مثل غزة والجليل الغربي دون سلطة متفق عليها مما أشاع الفوضى وزاد من الأمر تعقيدا سحب بريطانيا الأرصادة الاسترلينية المخصصة للبلاد علاوة على سجلات الضرائب والوثائق التي التي تثبت ملكية الأراضي .

وهكذا أدى ما أظهرته بريطانيا من عداوة تجاه اللجنة الخماسية إلى نشر روح الحقد واليأس لدى هذه اللجنة فتوجهت في يوم ١٧ من فبراير ١٩٤٨ إلى مجلس الأمن تطلب منه ، استناداً إلى الوعود التي بدها لها السكرتير العام للأمم المتحدة انشاء قوة دولية تستطيع عن طريقها وضع مشروع تقسيم فلسطين موضع التنفيذ .

ولكن عندما قدمت اللجنة هذا الاقتراح كان قد حدث تطور هام على مشكلة فلسطين في الأروقة الدوائية ، فقد حدث تحول في موقف الولايات المتحدة ، حيث تراجعت مؤقتاً عن مساندة مبدأ التقسيم (٢) .

وفي تقييم دور بريطانيا - وخصوصاً طريقة انهاءها للانتداب (٣) على فلسطين نسوق ما ذكره المؤرخ أرنولد توينبي :

Aleum, op. cit., p. 289. (١)

Year Book of The United Nations 1947-1948, New York (٢)

United Nation Department of Public Information 1949 pp. 411-414.

Dranath, op. cit. p. 62. (٣)

نقلا عن : أرنولد توينبي : دراسة للتاريخ - المجلد ٨ ص ٢٩٧-٢٩٠ . =

(م ١٤ - فلسطين)

« في خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الاحزاب والمذبي طبقته جميع الحكومات المتعاقبة هو : التعامى المقصود والحدير بالادانة » .

موقف الولايات المتحدة منذ صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

و قر في أذهان خبراء وزارة الخارجية الامريكية منذ شهر يناير ١٩٤٨ أن مشروع تقسيم فلسطين لا يمكن تطبيقه ، واستند هذا إلى أن المصالح البترولية الامريكية التي كانت إلى ما قبل هذا الوقت بقليل تقاوم الضغوط التي يمارسها الصهيونيون على البيت الأبيض قد أصبحت الآن أكثر الحاحا من أى وقت مضى حيث كان المسئولون عن الدفاع الامريكي يلمحون من أجل الاحتياط باحتياطات الغرب من البترول لتكوين احتياطات إستراتيجية ، هذا بينما اتجهت التوقعات من جهة أخرى إلى القول بأن استهلاك البترول في أوروبا الغربية سوف يزداد كثيراً بسبب تنفيذ خطة التعمير في تلك البلاد ، وكان البترول عربياً وخاصة سعودياً وكان الملك سعود يضغط بأقوى الحجة والأسانيد على السياسة الامريكية تجاه العرب رغم عدم بلوثة (١) إلى الغاء الامتيازات البترولية الامريكية :

وقد جاءت الوقائع نفسها تقدم البرهان الرسمي على أن محاولة إقامة التقسيم بالوسائل السلمية غير قابل للتنفيذ ، فضلاً عن ذلك فقد كانت الولايات المتحدة الامريكية تعارض في شدة كل حل يؤدي إلى ادخال القوات الروسية إلى فلسطين - كما سيأتى تفصيل ذلك - هذا بينما كان مستشاروا الرئيس ترومان يخطرونه باستحالة إرسال القوات الامريكية ما لم يصطحب ذلك بعملية تعبئة جزئية ، ولا شك أن الاختلافات السابقة بين جهازى البيت الأبيض

= وأرنولد توينبى مؤرخ بريطاني مشهور وقد توفي في ٢٢/١٠/١٩٧٥ وكان توينبى واحداً من الأصوات العالمية التي سارعت في عالم ١٩٦٧ إلى المطالبة بحل مشكلة الشعب الفلسطيني كشرط لتحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط .

Aleum, op. cit. pp. 293-294.

(١)

والخارجية الأمريكية أمر مبالغ (١) فيه إلى حد كبير حيث تجعل روح الدستور الأمريكي - الشؤون الخارجية من امتيازات الرئيس الأمريكي وبالتالي فإن الاختلاف - أن وجد - إنما هدفه تحقيق أغراض معينة .

وهذه الاعتبارات كلها تفسر ما أقدم عليه المندوب الأمريكي وارين أوستن حينما أثار في يوم ١٩ من مارس ١٩٤٨ انزعاج مجلس الأمن بالتصريح الذي ألقاه أمامه ، وفيه يشكك في إمكانية تنفيذ التقسيم وقال :

« أنه طالما لا توجد سلطة قادرة على تنفيذ قرار الجمعية العامة ، فمن الأفضل وضع فلسطين فترة أخرى تحت الوصاية على أن توقف اللجنة الخماسية أعمالها وتدعى الجمعية العامة الى جلسة استثنائية طارئة » .

وحدث كل من كندا وبلجيكا حللو الولايات المتحدة في إعادة النظر في موضوع التقسيم ، وكانتا قد وافقتا عليه يوم ٢٩ نوفمبر .

وقد اصطدم ذلك بمعارضة قوية أبدتها الاتحاد السوفيتي الذي راح يطالب بتنفيذ مشروع تقسيم فلسطين الذي اعتمدته الأمم المتحدة ، وعلى الرغم من هذا الاعتراض السوفيتي فقد تمت الموافقة على القرار بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة الى عقد دورة استثنائية خاصة بأغلبية تسعة أصوات ضد صوتين هما الاتحاد السوفيتي وكرانيا .

وفي ٥ ابريل أبلغ المندوب الأمريكي - وارين أوستن - المشروع الأمريكي بطريقة غير رسمية (٢) الى مجلس الأمن ، ومضمون هذا المشروع أن تظل الوصاية على فلسطين قائمة لأجل غير مسمى ، وتظل تلك الحماية سارية المفعول الى أن يتم الوصول الى اتفاق بين الجاليين ، العربية واليهودية حول موضوع الحكومة التي تحكم فلسطين في المستقبل .

(١) الدكتور صلاح العقاد : قضية فلسطين - المرحلة الحرجة ، مرجع سابق

ص ٧٧-٧٨ .

Aleum, op. cit. p. 294.

(٢)

وسارت الأمور وكأن بريطانيا قد غيرت هي الأخرى من موقفها وأصبحت متفقة مع أمريكا في تحولها عن رأيها الأول ، بل هناك من يقول أن بريطانيا هي التي دفعت أمريكا الى اتباع هذا السبيل (١) .

وفي انتظار حلول موعد انعقاد الدورة العامة للأمم المتحدة ، اكتفت الولايات المتحدة بأن استصدرت من مجلس الأمن قراراً يوصى فيه بالتزام هدنة في فلسطين وتم التصويت على هذا القرار في ١٧ من ابريل واقترن يوم ٢٣ من الشهر نفسه بقرار آخر بتكوين لجنة من قناصل فرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة في مدينة القدس تكون مهمتها مراقبة تنفيذ تلك الهدنة .

ولم تصدر هذه القرارات من مجلس الأمن الا بصعوبة بالغة بسبب معارضة المندوب السوفيتي - جروميكو - بحجة أن « القرار إنما يحايي العرب ويضر بحقوق اليهود الشرعية »

وفي النهاية انعقدت الجمعية العامة في ٢٠ من ابريل ١٩٤٨ وعرض أمامها المشروع الأمريكي وبطبيعة الحال هاجم الاتحاد السوفيتي المشروع ورفضه الصهيونيون تحت تأثير بن جوريون الذي أعلن (٢) :

« أن الأمم المتحدة لا يمكنها أن تغير الوضع في فلسطين ولن تستطيع منع تكوين دولة يهودية ٠٠٠ وأن تكوين الدولة لا يعتمد على قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ - مع ماله من قيمة معنوية وسياسية - لأن الدولة ستخلق بواسطتنا فنحن الذين نقرر مصير البلاد » .

وفي الجانب العربي تشجع الملك عبدالله بما بدأ من تردد في موقف الأمم المتحدة وأرسل إلى السكرتير العام للمنظمة الدولية مشروعاً جديداً يرمى

Ibid.

(١)

Bar Zahar, Michael : The Armed Prophet op. cit. (٢)

pp. 110-111.

إلى تقسيم فلسطين إلى أقاليم (١) . ولكن سرعان ما اتضح أن الأمم المتحدة لن تقبل هذه المشروعات ومنها المشروع الأمريكي بالوصاية على فلسطين لأجل غير مسمى ، وعندئذ تخلت بريطانيا عن حليفها أمريكيا على الرغم من الحاح هذه الأخيرة أن تؤجل بريطانيا قرارها ولو لعشرة أيام فقط ، إلا أن بريطانيا أعلنت في يوم ١٣ من مايو البلاغ المشترك الصادر من وزارتي الخارجية والمستعمرات عن التزامها نهائياً وضوح حد للانتداب البريطاني على فلسطين بعد ذلك التاريخ بيومين أى في يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وبينما كان المندوب الأمريكي وارين أوستن ومعاونوه يدافعون عن مشروع الوصاية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة - وبينما كانت الكتلة الشيوعية تعارض هذا بشدة خوفاً من أن يتخذ من الوصاية ستاراً (٢) . لإحلال النفوذ الأمريكي محل الانتداب البريطاني في فلسطين ، ونحوال احتدام المناقشة تلقى المندوبون في الأمم المتحدة إشارة عاجلة :

« في الساعة السادسة مساءً ودقيقة واحدة - التي تقابل الساعة صفر ودقيقة واحدة في تل أبيب ، أعلن المجلس القومي اليهودي استقلال إسرائيل » وفي الساعة السادسة مساءً ، ١١ دقيقة اعترف الرئيس ترومان بالدولة الجديدة (٣) .

(١) يرجع إلى نص مشروع الملك عبد الله والذي يتكون من ٢١ نقطة أهمها إنشاء مملكة متحدة من فلسطين وشرق الأردن : في مذكرات الملك عبد الله ، مرجع سابق صص ٦٩-١٠٠ .
(٢) يرجع في تفصيل ذلك إلى خطاب المندوب الأوكراني في :

U. N. General Assembly Special Session Vol. 2. p. 257-285, 1948.

(٣) عن الظروف التي تم فيها تفصيلاً اعتراف الرئيس ترومان بالدولة اليهودية - يرجع إلى :

Lelienthal, Alfred : What Price Israel, op. cit. pp 52-84.

ومن الشائع أن ترومان فعل ذلك لأن أعوانه أفهموه أن الاتحاد السوفيتي سيسبق إلى الاعتراف ، وفي تلك الحالة ستصبح إسرائيل صنيعة الكرمليين ، ولكن التايمز الأمريكية علقت اعلى هذا الاعتراف العاجل بما يفيد أن ترومان لم يكن بحاجة إلى سبق الاتحاد السوفيتي بل كان مدفوعاً بقوة الصهيونية في نيويورك ، ومن هنا يحتاج موقف الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة إلى وقفة خاصة للتفسير والتعليل .

موقف الاتحاد السوفيتي منذ قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

اتسم الموقف السوفيتي من الوجود الإسرائيلي منذ تحوله نحو تأييد تقسيم فلسطين باستمرارية مؤكدة ، فلم يراجع الاتحاد السوفيتي نفسه ولو للحظة واحدة عن هذا الموقف ، بل على العكس وقف بالمرصاد لكل من حاول مراجعة قرار التقسيم ويتضح هذا الموقف من متابعة المناقشات الخاصة بمشكلة فلسطين في الأمم المتحدة .

ففي ٥ مارس ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على قرار يدعو الأعضاء الدائمين فيه إلى التشاور بشأن الموقف في فلسطين ، ووضع التوصيات المتعلقة بالإرشادات والتعليمات التي يمكن للمجلس أن يصدرها لتنفيذ قرار التقسيم ، وفي ١٩ مارس قدم المندوب الأمريكي تقريراً عن هذه المشاورات وافقت عليه كل من الولايات المتحدة وفرنسا والصين ولم تشترك بريطانيا في هذه المشاورات وكانت قد امتنعت عن التصويت على القرار الداعي لها كذلك .

وفي تعليق ممثل الاتحاد السوفيتي على هذا التقرير ذكر أن المندوب الأمريكي قد اقترح في الاجتماع الأول لهذه المشاورات أن يعقد الأعضاء الدائمون مفاوضات أخرى مع العرب واليهود وسلطات الانتداب تدور حول ما إذا كان من الواجب أن تنفذ خطة التقسيم كما هي أم تعدل ، وأكد أن وفد الاتحاد السوفيتي يعارض مثل هذه

المفاوضات على أساس اصراره على أن قرار الجمعية العامة يجب أن يواجه لهذه الغاية ..

ومما يجدر ذكره أن المندوب المصري قد انتقد المندوب السوفيتي لإصراره على التنفيذ الفوري لخطة تقسيم فلسطين وقال :

« إن المجلس لا ينبغي أن ينفذ طلب الجمعية العامة دون مناقشة كاملة » ..

وأشار المندوب السوفيتي إلى أن لجنة فلسطين وسلطة الانتداب والوكالة اليهودية قد أشارت إلى أن خطة التقسيم لا يمكن تنفيذها بالوسائل السلمية ، كذلك اعترض المندوب السوفيتي على مقترحات المندوب الأمريكي بوضع فلسطين تحت نظام الوصاية - كما سبقته الإشارة إلى ذلك - وكان المندوب الأمريكي قد استند في اقتراحه إلى عدم إمكان تنفيذ مشروع التقسيم من الناحية العملية بالطرق السامية ومن ثم فإن انتهاء الانتداب في ١٥ مايو كان سيعني حلول الفوضى والقتال والخسائر في الأرواح (١) .

وفي ٣٠ مارس ١٩٥٨ قدم المندوب الأمريكي في اجتماع مجلس الأمن مشروع قرار يطالب الأمين العام بالدعوة إلى دورة طارئة للجمعية العامة لمزيد من البحث لمسألة الحكومة المستقبلية في فلسطين .

وفي مناقشته لمشروع القرار الأمريكي قرر المندوب السوفيتي أن حكومته مازالت تعتبر أن قرار التقسيم قرار عادل ، وهاجم الولايات المتحدة التي أبدت بفاعلية قرار التقسيم بل وأمنت قبول الأغلبية المطلوبة له ثم عادت الآن لا ترفض القرار فحسب بل وتثير مسألة الغائبة بمقترحات

(١) Year Book of the United Nations, 1947-1948, New York
United Nations, Department of Public Information, 1949,
pp. 407-410.

كهنه ، وألقى عليها المسئولية كاملة عن « تحطيم » قرار التقسيم ، وأتهمتها بعدم الاهتمام بتسوية عادلة لمسألة مستقبل فلسطين والعلاقات بين العرب واليهود كاهتمامها بمصالحها البترولية ووضعها الاستراتيجي في الشرق الأوسط ، ولذلك كان من الطبيعي أن يعارض المندوب السوفيتي دعوة دورة طارئة للجمعية العامة لمراجعة قرار التقسيم ، واعتبر أيضاً أنه سوف يكون من الخطأ أن يأمر مجلس الأمن بلجنة فلسطين ترجيء عملها الخاص بتنفيذ قرار التقسيم طالما أن قرار الجمعية العامة نافذ المفعول .

ونخصص المندوب السوفيتي جزءاً من خطابه بهذه المناسبة لتكرار مهاجمة الاقتراح الأمريكي بالوصاية على أساس أن هذا الاقتراح سوف يترك كلا من اليهود والعرب في فلسطين دون دولة خاصة بأي منهم وسوف يعمل فقط لصالح الدوائر ذات النفوذ لبعض الدول الكبرى صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية مع الولايات المتحدة (١) .

وفي ٢٠ أبريل ١٩٤٨ دعا الأمين العام للأمم المتحدة متابعة الطلب الذي كان قد قدم لمجلس الأمن الى عقد الدورة الطارئة الثانية للجمعية العامة في ١٦ أبريل لمزيد من البحث حول مستقبل حكومة فلسطين ، وفي مناقشته جدول الأعمال في اللجنة العامة قرر المندوب السوفيتي انه لا يرى حاجة لمثل هذه الدورة ولمثل هذا العرض ، ومن ثم فقد عارض دخول البند المتعلق بحث الحكومة المستقبلية لفلسطين في جدول الأعمال (٢) .

وهكذا بدأت اللجنة الأولى في ٢٠ أبريل مناقشتها ، وفي هذه المناقشات أكد المندوب السوفيتي أن قرار التقسيم وإن لم يكن كافياً إلا أنه أكثر القرارات ملاءمة وانصافاً فيما يتعلق بمشكلة فلسطين ، واعترف بوجود عقبات

Ibid p. 417.

(١)

(٢) دكتور / أحمد يوسف أحمد . مرجع سابق

تعرض تنفيذ القرار إلا أنه أكد وجوب بقائه نافذ المفعول كلياً وأن تركز الأمم المتحدة على تدبير وسائل تنفيذه ، وكرر مهاجمته لبريطانيا والولايات المتحدة وأتاهما بأنهما تسعيان لتحطيم القرار واضعبن مصالحهما الانانية فوق مصالح سكان فلسطين والأمم المتحدة (١).

وفي ٢١ أبريل ١٩٤٨ كرر المندوب السوفيتي أمام اللجنة الأولى معارضته لفكرة وضع فلسطين تحت الوصاية في تعليقه على مشروع القرار الأمريكي الذي يدعو إلى إحالة ورقة العمل الأمريكية بشأن مشروع اتفاقية وصاية على فلسطين إلى اللجنة الرابعة (لجنة الوصاية) للدراسة وتقديم التوصيات للجمعية العامة ، وذكر المندوب السوفيتي أن المسألة لم تكن ما إذا كان اقترح الولايات المتحدة الخاص بالوصاية يجب أن يبحث في اللجنة الرابعة أو الأولى أو لجنة مشتركة بينهما ، ولكن هل يجب أن يبحث أصلاً طالما أن قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مازال ساري المفعول (٢).

وفي ٣ مايو وصف المندوب السوفيتي استعداد الدول العربية لبحث مسألة الوصاية باعتبارها « مجرد مناورة سياسية من جانب دوائر معينة في الدول العربية كان هدفها أن تخلص نفسها من قرار ٢٩ نوفمبر لإرضاء بعض المطالب الإقليمية والسياسية بعد ذلك » .

وفي ٤ مايو أعلن جروميكو - قبل عشرة أيام من الإعلان للدولة لإسرائيل - أنه توجد دولة يهودية بالرغم من محاولات بلاد معينة لإعاقة تنفيذ التقسيم (٣) .

وفي يوم إعلان دولة إسرائيل وأثناء مناقشة الجمعية العامة للإقترح

Year Book of the United Nations 1947-1948 op. cit. (١)
pp 257-263, Dagan, op. cit. p. 29.

Year Book of the United Nations 1947-1948 op. cit p.273. (٢)

Dagan, op. cit, p. 29.

(٣)

الأمريكي باختيار وسيط للأمم المتحدة استخدم جروميكو وجود إسرائيل كحجة ضد تعيين وسيط دولي في فلسطين، فقد ذكر أنه بالنظر إلى الموقف الراهن في فلسطين، لم يكن ثمة سبب لتعيين وسيط، وأحد ملامح ذلك الموقف هو وجود واحد من الدولتين اللتين مضى عليهما قرار الجمعية العامة في نوفمبر وهي الدولة اليهودية.

وأكد أن الموافقة على مشروع القرار بتعيين وسيط لا يمكن أن تؤثر على قرار التقسيم الذي يبقى شرعياً بصورة كاملة، وأعلن أن الاتحاد السوفيتي سيصوت ضد المشروع لأنه يخشى أن يستفيد منه معارضو خطة التقسيم، وكرر إيمانه بتعبير قرار التقسيم، عن مصالح سكان فلسطين وهجومه على بريطانيا والولايات المتحدة لمحاوتهما إعاقة تنفيذ القرار وامتدح سياسة بلاده المنسقة والتي تضع في اعتبارها الأول مصالح شعب فلسطين (١).

وفي ١٧ مايو قدم الاتحاد السوفيتي اعترافه بالقانوني بالدولة اليهودية التي أعلنت في منتصف ليلة ١٤ مايو، وأصبح أول دولة تعترف بإسرائيل اعترافاً كاملاً وقانونياً إذ لم يسبق الاتحاد السوفيتي في الاعتراف بإسرائيل سوى الولايات المتحدة الأمريكية التي كان اعترافها اعتراف بالأمر الواقع (١)

الفصل الثالث

النكبة عام ١٩٤٨ ونتائجها

الوضع العربي في مطلع عام ١٩٤٨ :

يتبين خلال الأشهر القليلة التي تلت تقسيم فلسطين ، استحالة تنفيذ خطط الحكومات العربية في ترك عرب فلسطين يواجهون بأنفسهم تقسيم فلسطين وبالتالي قيام الدولة اليهودية ، واكد اسماعيل صفوت عضو اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية أن الأمر لا يحتاج إلى تدخل الجيوش العربية النظامية فحسب ، بل لابد من وضع جميع ثقل هذه الجيوش في معركة فلسطين ، « وإلا فمن الأفضل مفاوضة اليهود (١) » ، والاسف لم تلتفت الحكومات العربية إلى هذا التقرير بل أخذت تنصرف كل في نطاق المصاحبة الخاصة للحكام .

فالملك فاروق في مصر هو الذي اتخذ شخصيا قرار التدخل ؛ ولكنه اكتفى بإرسال عشرة الاف جندي حيث كان يعتبر الجيش المصري من أعمدة حكمة .

أما الملك عبد الله فحاول تجنب الحرب حتى آخر لحظة ، وفي سبيل ذلك أجرى محادثات سرية مع اليهود خلال شهرى أبريل ومايو حيث عرضت عليه جولدا مايرسون (جولدا مائير فيما بعد) عقد صلح بينة وبين اليهود في مقابل الاعتراف بضم الضفة العربية ولم يكن الملك عبد الله يستطيع مواجهة الرأي العام العربي بمثل هذه الفكرة حتى وإن مال إليها ولذلك قدم تعهدا إلى مندوبة الوكالة اليهودية ألا تتعدى جيوشه

(١) الدكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٨١ .

العمل في المنطقة المخصصة للعرب في مقابل الاعتراف مستقبلا بهذا الضم وفي الخطوة الأخيرة رجا الملك عبد الله جولدا مائير تأجيل إعلان الدولة حتى تبدأ العواصف، فلما لم يجب هذا الرجاء اقتنع عبد الله بأنه لا مناص من القتال حتى لا يظهر أمام الرأي العام العربي بمظهر الخارج على الاجتماع .

وفي العراق شغلت مشكلة فلسطين الرأي العام العراقي حتى أنها تحكمت في الأوضاع الداخلية ، وكانت المشاركة في الحرب حتمية بالرغم من عدم وجود حدود مشتركة للعراق مع فلسطين .

أما الجيشان السوري واللبناني فقد تحملا قطاعا صعبا من الجبهة بالرغم من أنهما كانا في دور النشئ ، وقلما وضع لبنان أرضه تحت تصرف جيش الانقاذ وهي سياسة فريدة لانشهد لها نظيرا فيما بعد حيث تجنب لبنان الصدام بإسرائيل بعد ذلك وعقب عقد اتفاقيات الهدنة .

الوضع العام وتعيين الوسيط الدولي :

انتهى الحوار الدائر حول النظام الخاص بفلسطين اثر اعلان دولة اسرائيل حيث جاء انشاؤها مؤيدا للحل الخاص بالتقسيم ، وكان من شأن استيلاء الصهيونية على مزيد من الأراضي الفلسطينية ، كما كان من شأن الاعتراف الفوري بالدولة اليهودية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على السواء أن يجعل من الدولة الجديدة حقيقة قائمة واقعا وقانونا (١).

وعلى الجانب العربي التهب حماس الرأي العام العربي واستعد للتضحية وقام بالضغط على الحكومات العربية التي قررت بالاشتراك مع الجامعة العربية - دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بمجرد انتهاء الانتداب البريطاني عليها بهدف منع الصهيونية من استكمال الاستيلاء على فلسطين (٢) .

(١) عبد الله التل - كارثة فلسطين : مرجع سابق ص ٦٥-٦٧ .

الدكتور محمد أنيس - السيد / رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ،

مرجع سابق ص ٥٩٢ .

Aleum op. cit, pd. 224-225.

(٢)

وقد سبق أن استعرضنا الأوضاع في الدول العربية في الفترة السابقة على اعلان الدولة اليهودية ، وعلينا أن نذكر أن بعض قادة العرب في ذلك الوقت كانوا يذكرون ان ١٥ ألف جندي عربي تكفى لتحرير فلسطين وانها اليهود منها والقائم في البحر ، وكانوا من رجال العرب المسئولين ، وكانهم تناسوا أن الوحدات المنظمة والمسلحة في الهاجاناه - وهي وحدات البالمخ - بالاضافة إلى قوات عصابتى الأرجون واشترن كانت تزيد على ٩٠ ألف مقاتل ويمكن زيادة عددها إلى ضعف هذا العدد بسهولة ، وعن طريق التعبئة السريعة (١) ، هذا علاوة على أنها كانت تحارب في أرض استولت عليها وحصنتها وسلحتها بأحدث الأسلحة وأهم من ذلك - وعلى عكس أوضاع الحكام العرب - فقد كان أسلوب المؤسسة الصهيونية الحاكمة في القيادة هو الهيمنة تماما على مقاليد الأمور - وخصوصا فور انشاء الدولة - من ناحية ممارسة الضبط الاجتماعى (٢) والوسائل التى تستعين بها لتأكيد سيطرتها ولتأمين رؤيتها للمذهبية من الاستمرار في الحاضر والمستقبل -

رقد كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة في حالة انعقاد مستمر وفي اللحظة التى بلغت فيها المشكلة الفلسطينية أرج مأساتها ، ففى يوم ١٥ من مايو ، ولما تنقضى بعد بضع ساعات على انتهاء الانتداب وعلى اجتياز الجيوش العربية للحدود الفلسطينية ، عملت الأمم المتحدة إلى الغاء اللجنة الخماسية وإلى اتخاذ قرار بتعيين وسيط دولى تكون مهمته « تصفية الوضع بالطرق السلمية » .

وتقرر أن يتولى تعيين هذا الوسيط الدولى الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن ، فوقع اختيار هؤلاء الاعضاء بالإجماع على البكونت فولك

(١) الدكتور / جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) الدكتور / سعد الدين ابراهيم : في سوسيولوجية الصراع العربى الابرائيلى - بيروت - دار الطليعة - دواير ١٩٧٣ ص ص ١١٣-١١٨ .

بنادوت رئيس جمعية الصليب الأحمر السويدية ، وكانت مهمته الملحة الأولى هي التفاوض مع كل من العرب واليهود من أجل قبول هدنة قدرها أربعة أسابيع ، كان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٩ من مايو فرضها على الطرفين ونجح برنادوت في حمل كل من الطرفين على قبول وقف إطلاق النار ابتداء من ١١ يونيو ١٩٤٨ وراح يراقب تنفيذ هذا القرار عن طريق هيئة من المراقبين من الفرنسيين والأمريكيين والبلجيكيين وضمهم مجلس الأمن تحت تصرفه .

ردود فعل اقتراحات الوسيط الدولي :

اتخذ الوسيط الدولي مقرا عاما له في جزيرة رودس بعد قيامة بالمهمة الأولى والملاحه ونجح في حمل الطرفين على قبول وقف إطلاق النار - ثم دعا الدول العربية وأسرائيل إلى حضور مؤتمر اعتزم عقده للنظر في المشكلة بأكملها - وهذا شيء غريب حقا - لأنه يعنى إعادة النقاش ثانيا ومن البداية في قرار تقسيم فلسطين - وهو لم يزل حيا في الأذهان ، ولكن موقف الأمم المتحدة المزدرد ازاء المشكلة الفلسطينية فضلا عن موقف الدول التي اقترعت على التقسيم وهي في وجل ، وفرار عرب فلسطين الذين قدر عددهم في الفترة من أول أبريل ١٩٤٨ حتى ١٥ مايو بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، كل ذلك عجل بتقديم اقتراحات برنادوت عن السلام حيث دعى في هذه المرحلة الأولى إلى توحيد فلسطين وشرق الأردن في وحدة واحدة مكونة من جزئين أحدهما عربي والآخر يهودي مع تخصيص النقب كله أو معظمه للقسم العربي والجليل كله أو معظمه للقسم اليهودي ، اما القدس فتبقى ضمن القسم العربي مع توفير حكم ذاتي بلدي للجالية اليهودية فيها (١) .

وقد علق المندوب السوفيتي في ٧ يوليو ١٩٤٨ في مجلس الأمن على

(١) أنظر ملف الخرائط في ملحق الداسة .

(٢) أنظر ملف الخرائط في ملحق الدواة .

مقترحات برنادوت هذه فاحتبرها خرقاً لقرار التقسيم لتدخلها في انشاء دولتين مستقلتين في فلسطين (١) ، وشرح المندوب السوفيتي وجهة النظر هذه بقوله عن مقترحات الوسيط .

أن هذا يكشف ان واضح هذه المقترحات مستعدان يسلم كل الاقليم المخصص للدولة العربية إلى الاردن التي يحكمها ملك دمية لحساب الخزنة البريطانية بالرغم من أن الاردن لا تملك الحق في بوصة واحدة من ذلك الاقليم (٢) .

وفي ١٤ يوليو اعترض المندوب السوفيتي أيضا على فقره في مشروع قرار أمريكي مقدم إلى المجلس يتضمن النص على استمرار الهدنة « حتى يتم التوصل إلى تسوية سلمية لمستقبل فلسطين » لأنها تعهد الطرفين لاعادة بحث مشكلة فلسطين بأكملها في حين أن عملة مجلس الأمن - طبقاً لرأى المندوب السوفيتي - هو تنفيذ القرارات الماضية (٣) .

وفي ١٩ يوليو فرضت الهدنة الثانية دون تحديد مدة لها وأستأنف برنادوت محاولاته النشطة لايجاد حل سلمي وقضى عدة أسابيع في جهد متواصل لتحقيقه ، ثم قدم تقريره إلى الأمم المتحدة قبل أن يغتاله الصهيونيون في ١٠ سبتمبر ١٩٤٨ وسوف نذكر تفصيلاً ظروف اغتيال الوسيط الدولي فيما بعد . وكان تقرير برنادوت شاملاً لمشكلة فلسطين ، وقد عرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة في نهاية سبتمبر عام ١٩٤٨ وتضمن اقتراحات محددة للتسوية مع تعديل بعض المناطق لاسباب جغرافية ، وعلاج مشكلة اللاجئين وعودتهم إلى أراضيهم وأن تبقى القدس تحت أشرف الأمم المتحدة .

Year Book of the United Nations 1947 - 48, op. cit, (١)
p. 433-434.

Dagan, op. cit, p. 32.

(٢)

Year Book of the United Nation 1947-49, New York, (٣)
United Nations Department of Public Information, November-
1950. pp. 169. 172-174.

وقد وافقت بريطانيا والولايات المتحدة على اقتراحات برنادوت ، أما اليهود فقد رفضوا هذه الاقتراحات ، « وان لم يكن الرفض الذي أبدوه رفضاً نهائياً » ، كما يقول برنادوت نفسه حيث أن شرتوك - موسى شاريت فيما بعد - كان قد قبل القبول إلى رودس إذا ما قبل العرب حضور المؤتمر (١) ولكن بعد أن تم تقديم المقترحات اصطدم الكونت برنادوت في تل أبيب برفض من قبل الحكومة الاسرائيلية ولم تشأ تلك الحكومة ان تعبر عنه برفضها صراحة حيث قالت في صيغة المجاملة :

« لاحظت الحكومة المؤقتة ، وهي مندهشة ، ان مقترحاتكم وكأنها تجاهلت القرار الذي أصدرته الجمعية العامة في يوم ٢٩ نوفمبر ، وهو القرار الدولي الوحيد الذي له قوته فيما يتعلق بموضوع الحكومة المستقبلية في فلسطين (٢) » .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد طالبت إسرائيل بتعديل الحدود التي وضعها قرار نوفمبر ١٩٤٧ بإضافة مزيد من الأراضي بحجة تسهيل الدفاع عن حدود إسرائيل كما رفضت ان يكون النقب عربياً في مقابل الجليل الغربي ، كذلك طالبت بالحصول على ممر أرض يربط بين القدس ودولة إسرائيل لإمكان الدفاع عن المدينة .

ولم يكن حظ برنادوت أسعد من ذلك في القاهرة حيث راح العرب يقررون على مسامحة أقوالهم القديمة حول الدولة الموحدة .

وعلى الجانب الاسرائيلي لم يحافظ الاسرائيليون على الهدنة الثانية ، وحتى قبل ذلك عندما استؤنف القتال في ٩ يوليو فقد تمكنت إسرائيل بعد إعادة تنظيم قواتها واعداد القوة الجوية المقاتلة لها - من شن هجماتها ضد أجزاء أخرى من المناطق التي سبق تخصيصها للدولة العربية والسيطرة على ١٤ مدينة ، ٢٠٠ قرية عربية واستمرار القتال لمدة عشر أيام بدأ خلالها

Bernadotte, Folke : To Jerusalem, London, 1950 p. 126 (١)

Ibid, p. 149.

(٢)

الموقف العسكري العربي يتعرض للاهتزاز خاصة بعد إخلاء الجيش الأردني لمدينتي اللد والرملة واستيلاء الصهيونيين عليهما وقد كان هذا نتيجة لمؤامرة محكمة بين بريطانيا- في شخص جلوب باشا قائد الجيش الأردني- والصهيونية طبقاً لما قرأه بعض الدراسات .

واستمر الإسرائيليون حتى بعد الهدنة الثانية في خرقها بعمليات (١) عسكرية مختلفة لتحسين أوضاعهم العسكرية وإضافة المزيد من الأراضي ولإضعاف الدفاعات العربية بفتح الثغرات فيها بينها تمهيداً لشن هجوم شامل واسع النطاق .

وفي منتصف أكتوبر ١٩٤٨ اشتعل الموقف نتيجة لتطور الهجمات الإسرائيلية التي انتهت بسقوط بير سبع في ٢١ أكتوبر ثم توقف القتال مرة أخرى في ٢٢ أكتوبر وكان من نتيجة هذه العمليات (٢) العسكرية أن حاصرت منطقة الفالوجا كما اضطرت القوات المصرية إلى إخلاء أسلحتها والمجمل في أوائل نوفمبر ١٩٤٨ .

وفي أواخر ديسمبر شنت القوات الإسرائيلية هجوماً عاماً ضد الجبهة المصرية وتوغلت عناصرها داخل سيناء في اتجاه بئر الحسنة كما وصلت إلى جنوب العريش ثم انسحبت مرة أخرى إلى أراضي فلسطين .

رد فعل العمليات العسكرية الأولى في الأمم المتحدة :

حاولت الحكومات العربية المشتركة إعطاء صيغة قانونية لتدخلها في فلسطين أمام مجلس الأمن ، وكانت الوكالة اليهودية قد بادرت منذ الأول

(١) العسكرية الصهيونية - إصدار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الأهرام،

القاهرة ١٩٧٢ ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) بالنسبة للعمليات العسكرية ومعارك الحرب النظامية عام ١٩٤٨ بين العرب واليهود فإننا نرى أن ذلك قد يكون من الأجدي له أن يعالج عن طريق النخبة الدفينة في التاريخ العسكري وأن ما تعرضنا له في المتن من وجهة النظر العسكرية هو ما يخدم موضوع البحث بمعنى تفسير موقف الرأي العام من الحدث .

من مايو ١٩٤٨ إلى تقديم شكوى أمام مجلس الأمن ضد تسليح القوات العربية
الآتية من خارج فلسطين .

فقلت المذكرة المصرية (١) بأن قوانينها دخلت للحيلولة دون وقوع
الفوضى التي نشأت عن إنهاء الانتداب البريطاني ، وأضافت هذه المذكرة
أن اليهود لا يشكلون دولة معترف بها ومن ثم فإن تدخل الجيش المصري لا يعد
عملاً حربياً بل يعتبر من الأعمال البوليسية ، يؤيد ذلك ما ذكره مندوب
الهيئة العربية العليا من أن الجيوش العربية دخلت فلسطين بناء على طلبها .
و صرح (٢) وزير الخارجية المصري آنئذ بأن الغرض من دخول القوات
المصرية فلسطين ليس التمييز بالصهيونيين انتقاماً منهم مقابل ما اقترفوه من
جرائم فإن تعاليم القرآن الكريم وتقاليد المصريين معروفة منذ أبعد العصور
تنهى عن ذلك ولكن الغرض هو منع جرائم الصهيونيين وإعادة النظام إلى
البلاد .

أما سوريا فقد قال مندوبها أن اليهود قد أصبحوا أقلية عاصية على السلطة
الشريعة مادام الانتداب البريطاني قد انتهى على فلسطين .
واستنكر الأردن تعنت الولايات المتحدة التي اعترفت بإسرائيل فور
قيامها بينما ترفض الاعتراف ببلد قديم له جذوره التاريخية وهو شرق
الأردن .

وبررت لبنان تدخل الجيش اللبناني بأنه يستهدف منع تسليح الشيوعية إلى
الشرق الأوسط .

Year Book of the United Nations 1948-1949, New York (١)
United Nations, Department of Public Information 1959 p. 252.
والظر نص مذكرة مصر إلى ممثل الدول عن أسباب دخول القوات المصرية فلسطين في :
الأهرام ١٦/٥/١٩٤٨ .
(٢) تصريح خشبة بلشا وزير الخارجية في الأهرام ١٦/٥/١٩٤٨ ، المصري
١٩٤٨/٦/٨ .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي التي بادرت إلى طرح المشكلة الفلسطينية على مجلس الأمن على أساس أن تدخل الجيوش العربية بعد عملاء عدوانيا ، أما إسرائيل فليست مسئولة عن الحرب في نظر الولايات المتحدة لأنها أعلنت قيامها ضمن حدود التقسيم الواردة في قرار الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ؛ ومن الثابت أن زعماء إسرائيل فعلوا ذلك تمشيا مع سياسة المراحل ، فقد كانوا هم أيضاً - كما سبق أن أوضحنا - يعولون على استخدام القوة لتوسيع رقعتهم ، بيد أنهم تظاهروا بقبول التقسيم عند إعلان قيام الدولة ليكسبوا الرأي العام العالمي ، وعندما يتجاوزون حدود التقسيم - كما سبق أن أشرنا - خلال شهر يوليو سيندكرون بأن العرب قد رفضوه فلماذا يتمسكون هم به ؟

وقد طرحت الولايات المتحدة الموضوع بناء على المادة ٢٩ التي تشير إلى أن على مجلس الأمن أن يقرر ما إذا كان قد وقع تهديد للسلام أو إخلال به أو كان ما وقع يعد عملاً من أعمال العدوان .

وقد وافق مندوبو كولومبيا وأستراليا والاتحاد السوفيتي على الاقتراح الأمريكي بينما امتنعت بريطانيا وسوريا وكندا وبلجيكا والأرجنتين والصين على تأييد الاقتراح على أساس أن الأعمال العسكرية الجارية في فلسطين لا تشكل تهديدا للسلام ، ولذلك عادت الولايات المتحدة فطرح الموضوع أما المجلس على أساس استخدام المواد ٤١ ، ٤٢ التي تشير إلى توقيع العقوبات على المعتدي و طلبت إلى المجلس توجيه أسئلة استفسار إلى الطرفين المتحاربين لكي تخرج منها بأن العرب هم المسئولون عن العدوان .

ومن أمثلة هذه الأسئلة :

- هل تعمل الجيوش العربية في المنطقة المخصصة لليهود ؟
- وهل توجد سلطة عربية معترف بها ؟ وما هي حدودها ؟
- وما هو حجم القوات العربية ؟

ولماذا تدخلت القوات العربية ؟

ولكن اقتراح الأمريكى لم يظفر بتأييد الأغلبية ، ومن الملاحظ هنا أن كلام من الاتحاد السوفيتى وأكرانيا صوتا باستمرار مع الولايات المتحدة ، ومما يدعو للدهشة أن بريطانيا قد تعرضت لنقد شديد من الولايات المتحدة ووصفتها الأخيرة بأنها متعجزة للعرب ، وذهب بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى إلى حد اقتراح قطع المعونة الاقتصادية عن بريطانيا ، لذلك تقدمت بريطانيا بمشروع حل وسط بين موقف اليهود الذى يصطنع الموافقة على التقسيم وعدم اللجوء إلى القوة وبين موقف العرب الذى يعتبر قيام إسرائيل عملا غير شرعى ويرفض بالتالى إيقاف القتال ، فاقترحت هدنة مؤقتة لمدة أربعة أسابيع يمتنع خلالها الطرفان عن إرسال تعزيزات إلى مواقعهم أو الحصول على أية ميزات عسكرية ، ولما كان الموقف العسكرى فى هذه الفترة من مراحل القتال ما يزال فى صالح العرب حتى تقديم هذا الاقتراح فمن المؤكد أن هذا الإجراء جاء ضارا بالمصالح العربية .

ومع ذلك فقد نال هذا الاقتراح البريطانى تأييد الأغلبية وصدر قرار بهذا المعنى يوم ٢٩ مايو ١٩٤٨ ، وأثار موضوع الهدنة المؤقتة جدلا طويلا سواء فى أروقة مجلس الأمن أم فى جامعة الدول العربية .

ففى مجلس الأمن أجمع العرب بأنه فى الوقت الذى يفرض عليهم عدم إرسال تعزيزات إلى قواتهم أو تغيير مواقعها يترك باب الهجرة مفتوحا لليهود لتدعيم قدرتهم وجلب المتطوعين الأجانب على إسرائيل فى إخلال فاضح باتفاقية وقف لإطلاق النار فضلا عن تدفق كميات ضخمة من الأسلحة (١) الحديثة مما أتاح للصهاينة كسب ميزات عسكرية أفضل من العرب .

وردت الدول المتآمرة للصهيونية بأن ترك المشردين من اليهود على

حالمهم وفيهم كثير من احتجزتهم اللطات البريطانية في قبرص ينتظرون الرحيل إلى فلسطين ، لا يتمشى مع الإنسانية ، وكان الحل الوسط الذى اتفق عليه هو السماح بهجرة الأشخاص غير الصالحين للقتال ، وهذه عبارة مرنة لا يمكن وضعها موضع التنفيذ ، وبالفعل فقد استغلت إسرائيل فترة الهدنة المؤقتة وضاعفت من مقدراتها القتالية في هذه الفترة أكثر من ضعفين فضلا عن أنه صار لها موانئ تهيمن عليها ، وقد أبعد أيضاً الأسطول المصرى عن سواحلها ، واستقدمت مهاجرين من الشباب الذين تم تدريبهم من قبل وقد جاء معظمهم من ألمانيا والنمسا ولم يكن لهم علاقة بهؤلاء المحتجزين في المعسكرات في قبرص ، واستوعبت إسرائيل خلال هذه الفترة الأسلحة الثقيلة التى جاءتها من تشيكوسلوفاكيا ،

وعلى الجانب العربى فقد اجتمع رؤساء الحكومات العربية وتناقشوا طويلا حول موضوع قبول الهدنة ، وكان الملك عبد الله هو أكثر الزعماء العرب تحمسا لقبولها لأنه حصل تقريبا على القسم الذى يريد ضمه إلى مملكته ، وكانت بريطانيا ترى أن بقاء القدس منقسمة بين إدارتين عربية ويهودية يساعد كثيراً على الوصول إلى نوع من الإشراف الدولى ، بينما لو استأثرت بها دولة واحدة فان ذلك يعرقل السير فى هذا الاتجاه ، وما زالت بريطانيا هى صاحبة النفوذ الأقوى لدى الملك عبد الله ، وهو يفضل أن يستمد جيشه موارده منها على أن يتركه معتمداً على معونة عربية تهدد كيانه مملكته بالخطر ، وبالفعل تأخر القسطنطينى المقرر تسلمه يوم ٩ يوليو لأن الملك عبد الله اضطر إلى مسايرة الدول العربية الأخرى عندما قررت استئناف القتال ،

وفي مصر فقد لأن الرئيس المصرى النقر اشى إلى قبول الهدنة المؤقتة لأنه لم يكن منذ البداية مقتنعا بالحرب ، وقد اتخذ العراق موقفا مطابقا للأردن ، وعلى ذلك صارت الأغلبية موافقة على قرار الهدنة المؤقتة ، ويقول عبد الله التل فى

في مذكراته أن الملك عبد الله باذر إلى التنفيذ قبل الموعد المحدد لبدء الهدنة المؤقتة وهو يوم ١١ يونيو ، وحينما أوشكت الهدنة على الانتهاء ، قام الملك عبد الله بجولة في البلاد العربية لكي يدعو إلى عدم استئناف القتال مبرراً موقفه بأنه يعلم بقوة اليهود العسكرية وأن هدفه أن يتجنب الكارثة ، كذلك أورد في مذكراته (١) الفقرة التالية .

« إن مصر كانت مقصرة في تقديم المساعدة له بقطاع القدس » .

إلا أنه من الثابت أن الملك عبد الله كان على عام في ذلك الحين بمشروع الكونت فولك برنادوت — الذي سبق أن تعرضنا له تفصيلاً — والذي تضمن في مجمله ضم هذا القسم العربي إلى الأردن ، وإذن فلم يكن من مصلحة الملك عبد الله المغامرة باستئناف القتال ، إلا أن هذا المشروع زاد من خصوم الملك عبد الله الذين صمموا أيضاً على القتال ، « ولو كانوا غير مقتنعين به » على حد قول المؤرخين المعاصرين .

وهذه الخلافات لم تكن معروفة للرأي العام العربي بل حاول الحكام العرب المحافظة — ظاهرياً — على شكل الوحدة ، فتحدثت الصحف عن زيارة الملك لأخويه فاروق وابن سعود ولم يكن قد التقى بالآخر منذ خمسة وعشرين عاماً حينما تحارب الرجال في الحجاز حيث انتصر ابن سعود على عبد الله .

كذلك احتفى بالملك الهاشمي في القاهرة وطلب عبد الله إلى « أخيه الفاروق » أن يصحبه في زيارة للجهة فاعتذر فاروق خوفاً على حياة صاحبه ، والراجح أنه كان يخشى أن يطلع قائد عام القوات العربية على أوضاع الجهة المصرية لقللة الثقة به .

ولم تثمر جهود الملك عبد الله لاقتناع إخوانه بعدم استئناف القتال وكان

(١) مذكرات الملك عبد الله — مرجع سابق ص ١٠٥-١٠٩ .

المسؤولون في سوريا ولبنان هم أكثر العرب تحمساً للحرب مع ملاحظة أن قواتهم العسكرية كانت أقل شأنًا من الدول الأخرى .

وفي مصر لم يكن النقرارشي مقتنعاً بالحرب ولكنه صار سجيناً لأقوال الصحف التي نشرت أنباء كاذبة عن انتصارات العرب ، فكيف لا يستأنفون القتال وهم قاب قوسين أو أدنى من النصر وتوقعت الجماهير أنه يكفي أسبوع واحد للانتهاء من إسرائيل ، ولذلك كانت خيبة أمل هائلة عند استئناف القتال فكانت معظم المكاسب التي حققها اليهود هي على حساب الجبهة الأردنية والسورية وكسب الصهاينة في خلال أسبوع واحد ثلاثة أضعاف ما نالوه في الجولة الأولى ، كذلك استطاع (١) الصهاينة أن يحملوا الجيش البريطاني على تسليم حيفا لهم وهكذا بدأت سلسلة من النكسات التي مني بها المحسكر العربي وفي مقدمتها احتلال بيسان وطبريا وصفد وعكا والجاونة وسمح .

وفي ١٥ يوليو ١٩٤٨ صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال لأجل غير مسمى وبطبيعة الحال قبل العرب القرار دون مقاومة وقال اليهود أنهم قبلوه رغم تحول القتال لصالحهم ، ورغم أن العرب ما زالوا يحتلون بعض المناطق المخصصة لهم .

وكان على الزعماء العرب أن يبرروا الهزيمة بعد أن خدعوا الرأي العام العربي ، وتبادل الحكام العرب التهم فألقوا التبعة على الاستعمار تارة وعلى بعضهم تارة أخرى ، فالمصريون ذكروا أن الملك عبد الله قد خان المشكلة الفلسطينية ورد عليهم الملك عبد الله متنصلاً من المسؤولية قائلاً بأن المصريين لم يقدموا له المساعدة اللازمة في تلك الجولة ، وحتى الصهاينة أخذوا يبررون هزيمة - الجيوش العربية بأنها كانت انعكاساً للأوضاع الطبقية المسيطرة على العالم العربي - وعلى حد قول الزعيم الصهيوني وايزمان (٢) فإن « الضباط المفرطون في السمته والجنود غاية في النحافة » .

(١) الزمان ١٢/٦/١٩٤٨ .

(٢) Ben-Gurion, David Years of challenge, op, cit. p. 244.

وهكذا كان لا بد من انتظار وقت طويل حتى يعم الإحساس العميق بأن مشكلة فلسطين هي مشكلة كل عربي ولا بد للاقتناع بهذه الفكرة من تصور وطن عربي واحد متجانس تقوم فيه إسرائيل كجسم غريب لا علاقة له بالمنطقة المحيطة به (١) ،

وبينما كانت العمليات العسكرية ما تزال دائرة ، فقد توالى اعتراف عدة دول بإسرائيل بالرغم من عدم اكتساب حدودها لأوضاع ثابتة ويبدو أن تلك الدول قد اعترفت بإسرائيل على أساس الالتزام بحدود التقسيم .

وحتى وسيط الأمم المتحدة كونت برنادوت اضطر إلى أن يحذر مجلس الأمن قائلا (٢) :

« إنه لا يمكن أن نتجاهل أن الهجرة غير المحدودة إلى المنطقة اليهودية من فلسطين قد خلقت ضغوطاً واضطرابات اقتصادية وسياسية الأمر الذى سيحقق مخاوف العرب من التوسع اليهودى الشرق الأوسط فى المستقبل » .

كذلك ذكر برنادوت فى تقاريره لإخلال الإسرائيليين المستمر باتفاقية وقف إطلاق النار ولكن هذا لم يحرك الدول التى كانت قد أصرت على تشجيع إسرائيل وحمايتها لها ولخططاتها .

كذلك أدرك برنادوت خرق إسرائيل المستمر للسلام وهو ما جعله يتقدم لمجلس الأمن ببعض المقترحات لحل المشكلة الفلسطينية ووجد الإسرائيليون هذه المقترحات غير مناسبة لهم فكان رد فعلهم عنيفاً حقاً .

(١) الأستاذ أحمد الشقيرى مقابلة شخصية .

(٢) Barnadotte, Folke, To Jerusalem. op. cit, pp. 156-158.

الاغتيال الوسيط الدولي برنادوت :

ظروف الاغتيال ورد فعله :

بعد عقد الهدنة الثانية حدثت مبادرتان إحداهما من قبل إسرائيل التي تقدمت في يوم ٦ من أغسطس ١٩٤٨ إلى الوسيط الدولي بطلب (١) مهده أن يعرض على العرب فكرة عقد مؤتمر للصالح .

أما المبادرة الثانية فكانت من قبل فارس الخوري الذي قدم إلى مجلس الأمن طلباً يقضي بعرض مشكلة فلسطين على محكمة العدل الدولية ،

وفشلت المبادرتان معاً، فالأولى اصطدمت برفض قاطع من جانب العرب واصطدمت الثانية برفض مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

أما الوسيط الدولي فقد جدد محاولاته لإيجاد حل لأخطر مشكلتين وجدهما العمليات العسكرية : مشكلة القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

ففيما يتعلق بالقدس حاول برنادوت أن يحمل الطرفين المتنازعين على قبول مبدأ الهدنة الدائمة واعتبرها الخطوة الأولى نحو نزع السلاح في المدينة المقدسة ، وقبل العرب هذا المبدأ رغم معارضة المفتي الحاج أمين الحسيني ، أما الإسرائيليون فقد اتخذوا موقفاً غير صريح في أول الأمر ثم رفض شروتوك - شاريت فيما بعد - رفضاً تاماً اقتراحات الوسيط الدولي .

وكانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لا تقل خطراً عن مشكلة القدس فقد استمر فرار عرب فلسطين خصوصاً أثناء تقدم اليهود المنتصرين خلال شهر يوليو ، وفي شهر أغسطس قدر عدد هؤلاء البؤساء بمعرفة المكتب الفلسطيني في عمان بـ ٧٠٠,٠٠٠ نسمة وكان العدد الأكبر منهم موجوداً في المناطق الفلسطينية التي ما زالت تحت إشراف الجيوش العربية، في حين بلأت أقلية منهم إلى البلاد العربية المجاورة ، ولكن ظروف أولئك هؤلاء كانت

^١ Aleum, op. cit, pp. 335-537.

في نفس القدر من البؤس والسوء ، وقد طلب الوسيط الدولي إلى حكومة إسرائيل السماح لهؤلاء اللاجئين بالعودة إلى مواطنهم ولكنه اصطدم برفض قاطع من قبل شرتوك الذي أثار نظرية أن عودة اللاجئين تعتبر مسألة سياسية لا يمكن التعرض لها ولا إثارتها إلا في نطاق مفاوضات عامة من أجل الصالح وهي النظرية التي ظلت إسرائيل تتمسك بها باستمرار فيما بعد .

وفي تقريره الذي أرسله إلى السكرتير العام للأمم المتحدة والذي أتمه في رودس ليلة ١٦/٩/١٩٤٨ - راح برنادوت يحدد ما سبق أن أوصى به وهو تنظيم التقسيم باعطاء الجليل الغربي إلى اليهود والنقب إلى العرب ، إلا أنه عاد فاقترح تدويل القدس ولكنه أضاف بنداً يدعو إلى حق اللاجئين في العودة إلى منازلهم إذا رغبوا وضرورة بذل المساعدة الفورية لهم من جانب الأمم المتحدة .

وفي الخطاب الذي أرسل بموجبه تقريره هذا - أبدى الوسيط الدولي ملاحظة تقول أن عرب فلسطين هم سكان (١) إقليم ورثت الأمم المتحدة المسؤولية الخاصة به عن الدولة المنتدبة وأنهم بناء على ذلك ، وإلى أن يتم الأخذ بالحل النهائي يظلون على عاتق المنظمة الدولية .

وقال أيضاً :

« يتعين على المنظمة الدولية الاختيار فوراً بين العمل الآن على إنقاذ حياة آلاف عديدة من البشر وبين ترك هؤلاء الناس للموت » .

والملاحظ أنه منذ البداية اصطدمت مقترحات برنادوت بمعارضة شديدة من الكتلة الشرقية أيضاً والتي اتهمته بمماثلة الإنجليز وعملاتهم مثل الملك عبد الله ، وألح المندوب السوفيتي على إخلاء فلسطين من أية قوة دولية أو بلحان أجنبية وقال (٢) :

« إن هذه المقترحات تنافي قرار التقسيم الذي سبق للجمعية العامة إن وافقت عليه » .

(١) Bernadotte, Folke ; To Jerusalem, op. cit, p. 159.

الدكتور/ جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ٢٤٦ .

(٢) Year Book of the United Nations-1948-1949 op. cit, p. 167.

كذلك أثارت مقترحات برنادوت هذه غضب الإسرائيليين الذين اختلفوا مع الوسيط الدولي على مسائل ثلاث هي : القدس ، النقب ، اللاجئين ، وذلك بالرغم من أن هذه المقترحات قد اعترفت بنشأة دولة يهودية تسمى لإسرائيل وراح الإسرائيليون يحاولون استبعاد ممثل الأمم المتحدة بأن أعلنوا للعرب أنهم على استعداد لالتزام جانب أكثر اعتدالا في المفاوضات المباشرة إذا جرت تلك المفاوضات بغير وساطة رجل الأمم المتحدة ، ولما أن رفض هذا العرض من جانب العرب أخذ الإسرائيليون يهاجمون الوسيط الدولي هجوماً عنيفاً في صحفهم ، وتدرج بهم الهجوم عليه من الشتائم والإهانات إلى التهديد الصريح حتى أن النشرة اليومية لعصاية « المحاربين من أجل حرية إسرائيل » التي حلت محل عصاية اشترن كتبت بتاريخ ٦ من سبتمبر عام ١٩٤٨ تقول :

«إن الواجب الآن يفرض علينا طرد برنادوت ومن معه من المراقبين...»
مباركة اليد التي تعمل على تحقيق ذلك»

ثم تطور بهم الأمر فانقلبوا من التهديد إلى التنفيذ الفعلي ، ففي يوم ١٧ من سبتمبر عام ١٩٤٨ ، بينما كان الوسيط الدولي يغادر مبنى الحكومة بعد زيارته - وهو المبنى الذي كان من قبل مقراً للمندوب السامي البريطاني - متخذاً طريقه إلى منزل الدكتور جوزيف ، الحاكم العسكري للجزء اليهودي من مدينة القدس ، تقدم أحد أفراد عصاية اشترن من سيارته فأوقفها وأفرغ فيه رصاصات مسدسه ، وامتد هذا القتل العمد أيضاً إلى الكولونيل الفرنسي أندريه سيرو أحد مراقبي هيئة الأمم المتحدة وكان جالساً إلى جواره في العربة ،

وربما لم تكن عصاية اشترن تعلم بالمقترحات المعدلة التي رفعت إلى الأمم المتحدة في ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ وذلك حينما عمدت إلى افتراض أنها كانت تعلم بها فان مبدأ التدويل لم يكن ليهدي من سخط هؤلاء المنتظرين : وبالطبع لم تكن اشترن أو الآرجون لتتصرف دون تنسيق مع الهيئات الرسمية ، ويؤكد ذلك تساهل السلطات الإسرائيلية في البحث عن قتلة برنادوت ، وكذلك فقد

كانت الأحكام الصادرة ضد من اعتبرتهم السلطات الإسرائيلية مسؤولين عن الجريمة - مدعاة للسخرية والزراية ، ولم تلبث السلطات الإسرائيلية ان منحت العفو عن المجرمين بعد فترة وجيزة وأطلقت سراحهما (١) .

وفي تقييم للكونت برنادوت ومشروعه فاننا نجد انه قد أثر تأثيراً بالغاً على الموقف الدولي وعلى المشكلة الفلسطينية (٢) على السواء .

ومما يجدر ذكره ان برنادوت قد قام في مدة الحرب العالمية الثانية بصفته مندوباً عن هيئة الصليب الأحمر في ألمانيا بانقاذ حياة عشرات الآلاف من البشر كان معظمهم من اتباع الدين اليهودي ، وكانت هيئة الأمم المتحدة قد اختارته وسيطا عنها في فلسطين بعد أن تيقنت انه لم يعد في استطاعتها تطبيق قرارها الذي أصدرته في يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ ، وكان أملها في تعيينه أن يأتي لها بحل جديد لمشكلة فلسطين ، وقد قام الكونت برنادوت بمهمته مستوحيا الاعتبارات الإنسانية ولم تكن مقترحاته التي أبداهها صادرة إلا من هذه الاعتبارات الإنسانية ، أما اتهامات الاتحاد السوفيتي التي تجعل منه عميلا للإنجليز فلا أساس لها .

ومما يدعو للدهشة أن الأمم المتحدة استقبلت مقتل خادميها الأمن في استسلام ، وقد اجتمع مجلس الأمن يوم ١٨ من سبتمبر واكتفى الدكتور والف باننش ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة لدى لجنة فلسطين بالسير في مهمة الوسيط التي كلف بها الكونت برنادوت من قبل وذلك بصفته نائبا للوسيط .

(١) وهما ناتالي فريدمان يلين : وماتتياجوشمولفتش وقد قدما للمحاكمة في شهر ديسمبر ١٩٤٨ أمام محكمة عكا الاسرائيلية رحكم على الأول منهما بالسجن لمدة ثماني سنوات ، والثاني بالسجن لمدة خمس سنوات . وبعد إطلاق سراحهما استطاع فريدمان يلين أن يشغل منصباً رسمياً كمضو في الكنيسة على أثر إنشائه .

Aleum, op. cit, pp. 335-336.

(٢) الدكتور / جلال بجي ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٤٦ .

وعن مسئولية الصهيونية في تصعيد الهجوم ضد برنادوت ومهمة الأمم المتحدة - كتب رالف باننش في تقريره الذي أرسله إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ من سبتمبر عام ١٩٤٨ يقول :

« أخبرني الحكومة الإسرائيلية في رسالة منها تاريخها ١٩ من سبتمبر أنها تكاد أن تكون على يقين من أن الجماعة التي تطلق على نفسها اسم هازيت هاموليديت والتي اعترفت بمسئوليتها عن الجريمة إنما هي نوع من المنظمة المنشقة المسماة لوهامى هيروت لإسرائيل - وهي عصاة اشترن » .

وأضاف

« . . . وحتى يوم ٢٠ من سبتمبر ، ظلت هذه المنظمات الإرهابية سادرة في نشاطها علنا ومن غير أى قيد فعلي عليها ، ومن غير أن تطبق الجزاءات المنصوص عليها في القانون على من يعمل من تلك المنظمات في الجزء من مدينة القدس الواقع تحت الإشراف اليهودي » .

ويستمر الدكتور رالف باننش قائلا :

« كانت الصحف المحلية اليهودية قد دأبت في خلال الأسابيع السابقة ، على تصعيد الهجوم الموجه ضد الوسيط متهمه إياه بأنه إنما يعارض المطالب اليهودية في تعنت ، ولم تعمل الحكومة المؤقتة في إسرائيل أى شيء في تصريحاتها للرحمة من أجل تكذيب الاتهامات التي لا أساس لها بل على العكس من ذلك كانت التصريحات السابقة والصادرة عن الموظفين المسؤولين تثير أسباب التحقير بوجه خاص حول المنظمة المكلفة بالرقابة على الهدنة ، وفي مناسبات عديدة تقدمت بمطالب باسم الوسيط إلى موظفي الحكومة المؤقتة بشأن الأوضاع المليئة بالمخاطر التي نشأت بسبب ذلك » -

ردود فعل العمليات العسكرية في العالم العربي :

وفي العالم العربي صار من المستحيل المحافظة على شكل الاتحاد بعد حلول الهزيمة في الجولة الثانية ، وكما سبق أن أوضحنا فقد أخذت كل من مصر والأردن تلقى التبعة على الأخرى ، غير أن الوقائع والوثائق تدین الملك عبدالله بشكل أوضح فهو لم يعن بتحسين اللد والرملة التي اكتظت بالعرب الوافدين من جهات أخرى ، وقد قيل أن الملك عبد الله ترك في اللد سرية واحدة وكان على علم بأن اليهود سيتجهون نحوها بمجرد استئناف القتال ، بل أن جلوب سحب كتيبة من اللد ووجهها إلى الغور قائلا أن المنطقة مهددة مع أنها تقع في القطاع المكلف به الجيش العراقي (١) .

وقد سبقنا الإشارة إلى أن التحليل العسكري الدقيق لهذا الحادث ، ودراسة أوضاع وحجم قوات الطرفين وتبع سير القتال . . كل هذا يبين أن سقوط اللد والرملة كان نتيجة لمؤامرة محكمة بين بريطانيا - في شخص جلوب - والصهيونية .

ومما يؤكد هذه النتيجة ، الأهمية الخاصة لهاتين المدينتين بالنسبة لسير العمليات العسكرية ، فهما تقعان على بعد ١٥ كم من تل أبيب وتعتبران من معاقل أنصار الحسينيين ، وخلاهما يمكن توسيع الطريق بين القدس وتل أبيب ثم أن الانسحاب منهما يكشف ميمته الجيش المصري ، والأهم من ذلك أن الملك عبد الله صار يحقد على وجود المصريين في النقب بعد أن فتح له برنادوت باب الأمل في ضمه إلى مملكته وكان يصرح لأصدقائه بأن

(١) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، موجع سابق ص ص ٢٤٣-٢٦٧ .

الدكتور / جلال يحيى : العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ص ٣٦٦-٣٧٣ .

العميد / محمد فايز القصري ، مأساة العالم العربي - المطبعة التعاونية ، دمشق ، بدون تاريخ إصدار ، ص ص ٢٤٦-٢٦٠ .

استغلال النقب من اليهود أسهل من أخذها من المصريين ، بل يروى أنه كان يتمنى لو استولى اليهود على غزة وفي تلك الحالة يمكن التفاهم معهم على جعلها ميناء حراً يستخدمه الأردن .

وقد دعى الملك عبد الله صديقه رياض الصلح إلى عمان وحاول أن يبرر موقفه بأن المصريين قصروا في مده بالمدخيرة ولم يقدموا له الأموال التي وعدوا بها وبخصوص الضباط الإنجليز الذين يعملون في فرقته فقد دافع عنهم قائلاً بأنهم لم يقصروا ثم إن إخراجهم بناء على رغبة الضباط العرب يشجع إشتغال الجيش بالسياسة وهذا هو الخطر الذي وقع فيه الجيش العراقي من قبل .

وأضاف :

« الآن يثورون على جلوب وغدا على » .

ومن الغريب أن اليهود قد اعتبروا وجود الضباط الإنجليز في الفرقة العربية ميزة للأردن واحتجوا عليها كدليل على عدم حياد بريطانيا في النزاع وقد أجاب الصلح بأن الشرط الذي كان مقتنعا عليه لتقديم الأموال لم يتوفر وهو إستمرار القتال ، واستغل هذه الفرصة لكي ينشر بيانا على الأمة (١) العربية في أول أغسطس يهيب فيها بضرورة إستئناف القتال لأنه إذا لم يفعل ذلك، فإن اليهود سيبدأون بانتهاك الهدنة ،

فهل مبعث هذه الدعوة هو الجهل أم المزايدة ؟ — لاشك أن هذه الدعوة تصبح صائبة إذا كانت الحكومات العربية في ذلك الحين مصممة على وضع قواتها في خدمة المشكلة الفلسطينية (١) ، ولكن تبين أن الجيش العراقي يفقد المدخيرة وهو لا يحارب بدون الأردن :

وحينما اجتمع مجلس جامعة الدول العربية في القاهرة ليقدر ما إذا كان

(١) أحمد فراج طايح : صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ١٣١-١٣٧ .

القتال يعود أو لا يعود ، أصدر الملك عبد الله تعليماته إلى رئيس وزرائه توفيق أبو الهادي بأن يكون رده بالنفي القاطع ، ومما قوى لديه الأمل في أن تفوز وجهة نظره هذه بالقبول كون الإسرائيليين أنفسهم كانوا قد قبلوا استمرار الهدنة وكون المصريين قد أبدوا موافقتهم على ذلك بعد أن حققوا أثناء المرحلة الأولى من القتال عملية منها جانب كبير لمصلحتهم ، ولكن حينما عاد توفيق أبو الهادي من القاهرة ، علم الملك عبد الله بدهشة وإستغراب أن رئيس وزرائه قد اقترح إلى جانب زملائه العرب في صالح العودة إلى القتال ، وذلك رغبة منه في عدم عزل شرق الأردن من الدول العربية الأخرى .

وهكذا عادت الدول العربية تخشى من ردود الفعل لدى جماهير شعوبها فلقد أكدت من قبل لشعوبها أن مسألة القضاء على إسرائيل ليست سوى لون من اللعب ، فلم يعد في استطاعة الشعوب العربية أن تدرك أسباب الفشل التي حالت دون الوصول إلى هذا الغرض ، وكان النقرارشي باشا رئيس الوزراء المصري هو الذي تحول هذه المرة أيضا ليجهل من نفسه البطل المخوار في نظر الدعاجية العربية .

وقد كتب جلوب حول هذا الموضوع قائلا (١) :

« لست أعرف على مدى التاريخ عملا في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم . . . لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية للسياسة المصرية » .

وعن الاحتكاك الأردني المصري يقول جلوب (٢) :

Aleum, op. cit. pp. 304-432.

(١)

Glubb, Sir, John Bagat : A Soldier with the Arabs, (٢)
New York, Happer, 1957 pp. 243-243.

« الواقع الحقيقى هو أن الحكومة المصرية جرت جامعة الدول العربية إلى الحرب في مايو ١٩٤٨ ضد المشورة التي أسداها الأردن ، فالقيادة المصرية انتهت إلى الإخفاق التام ، بينما استطاع الجيش العربى أن يكتسب سمعة حسنة ، وتمكن بالفعل من إنقاذ جزء لا يستهان به من فلسطين ، كان من الضروري لمصر أن تجد ذريعة لفشلها هي ، ومما زاد من التوكيد على هذين العاملين كون الملك فاروق يضمم الحسد من الملك عبد الله ، بالإضافة إلى الاتجاه العام المعادى لبريطانيا في السياسة المصرية ، لأن الجيش الذى تألق على جيش مصر كان جيش الملك عبد الله ، وهذا الجيش تلقى تدريباً وأوامره على يد ضباط بريطانيين (١) . »

وفي تقرير الموقف المصرى يرى أحد الباحثين (٢) في المشكلة الفلسطينية أن المصريين من جهتهم كانوا يشكون في أن شرق الأردن هي أداة بيد السياسة البريطانية وأن نصائح الملك عبد الله في « الاعتدال » و « الواقعية » كانت تشكل خيانة لمشكلة فلسطين ، وفضلاً عن ذلك ، فقد تولد استياء في صفوف الضباط المصريين لأن الجيش العربى لم يوزع قواته ويستعملها على النحو الهجوى الممكن أثناء القتال في معركة القدس ، واللد والرملة ، كما أن عبد الناصر بالذات — وكان يقاتل حينئذ في فلسطين — قد ساورته الشكوك بأمر الأردنيين ونقلت عنه (٣) الملاحظة التالية :

« قبل مغادرتنا غزة تلقينا بعض التعليمات الغربية ، لقد طالب إلينا التحرك بسرعة لنجدة الجيش الأردنى الذى كان يواجه ظروفاً صعبة بالقرب من باب الواد . . . وحسبنا الأمر ينطوى على غرابة في

(١) Ibid, p. 243.

(٢) دكتور / ابراهيم أبو الغد ، تهويل فلسطين ، مرجع سابق صص ٣٤٨-٣٤٩.

(٣) Lacouture Jean, and Lacouture Simone, Egyptin Trad- nsision London, 1958 pp. 138-139.

(١٦ م - مشكلة فلسطين)

تجريدنا من ربع قواتنا المقاتلة للإلقاء بها في وكر الزناير عند باب الواد» .

وعموماً فقد وضعت استراتيجيتها (١) قوات الملك عبد الله حيث بدت كما لو كانت تسير على أساس اتفاق ضمني مع بن جوريون فما كاد يستأنف القتال وتنهزم قواته في اللد والرملة - أو يسحبها متعمداً - في مؤامرة محكمة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن .

كذلك ألزم العراق بموقف الملك عبد الله ، ومع ذلك لم تلبث الحكومة العراقية أن أعلنت للرأى العام العراقي ، رفضها للهدنة ، مما يؤكد أن المقصود بذلك هو إحراج مصر وإظهارها بمظهر الدولة المتخاذلة لأنها فضلت العمل منفردة وقبلت الهدنة .

ويقال في سبب قبول مصر للهدنة أن بريطانيا استناداً منها إلى معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا كانت قد أرسلت إلى إسرائيل عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية إنذار تطالبها فيه بالانسحاب ، فبعد أن وصلت قواتها إلى مطار الهريش الذي كان قاعدة من أقوى القواعد المصرية ، وأعقبته بريطانيا بإنذار آخر إلى إسرائيل تطالبها فيه باخلاء تلال رفح وأنزلت قوات بريطانية في ميناء العقبة ، وعندئذ طلبت مصر إبرام الهدنة التعاقدية في ٦ يناير ١٩٤٩ (٢) .

موقف الملك عبد الله تجاه حكومة عموم فلسطين وردود فعا

وفضلاً عن هذه الانقسامات الناشئة عن الأوضاع العسكرية فقد جاءت قضية تمثيل عرب فلسطين لتزيد من شدة الخلافات العربية ، ففي يناير ١٩٤٨ كانت جامعة الدول العربية قد اتخذت قراراً بضم أي جزء من فلسطين

Rodinson, op, cit, pp. 40-41.

(١)

Aleum, op. cit, p. 355.

(٢)

للدولة من الدول العربية القائمة وإنما يختار الفلسطينيون بعد تحريرهم ، الحكومة التي تمثلهم .

وبعد نشر تقرير برنادوت تعجلت الحكومة المصرية تقديم اقتراح إلى الجامعة العربية في سبتمبر يقضى بإنشاء حكومة أسمتها حكومة عموم فلسطين ، وقد وافقت الجامعة العربية على تشكيل الحكومة لتمثيل عرب فلسطين ولتكون رمزاً لكفاح بقايا هذا الشعب في سبيل البقاء ، ولإنقاذ البلاد من خطر اليهود .

ولاشك أن وصول الجامعة العربية إلى هذا القرار كان يعنى أولاً محاولة لإظهار تشكيل سياسى عربى يقف في وجه الدولة الصهيونية ، وكان يعنى ثانياً وصول العرب إلى نصف حل مع الملك عبد الله بشأن أطماعه الواضحة في فلسطين.

إن قضية تمثيل عرب فلسطين في الجامعة العربية لتوضح كيفية سلوك الوفود العربية وعدم شعورهم بالمسئولية لإزاء المشكلة الفلسطينية ، فعلى سبيل المثال كان وفد الأردن ممثلاً بواسطة فوزى الملقى وسعيد المفتى ، وأعلن الوفد الأردنى موافقته على الفكرة ، ولما وصلت الأنباء إلى الملك عبد الله اشتط غضباً وسأل مندوبيه : كيف تمت الموافقة ؟ فكان الجواب : هو أنه لا بأس من الظهور بمظهر الإجماع طالما أن الحكومة ولدت ميتة ولم تعتمد لها الأموال الكافية .

ومن ناحية أخرى ، لم يسمح الملك عبد الله بامتداد سلطة أحمد حلمى عبد الباقي من غزه إلى كل المناطق العربية في فلسطين ، فقد رأى الملك عبد الله في حكومة عموم فلسطين حكومة في ظل الجامعة العربية ، ونشأت في القطاع المصرى في فلسطين وأنها تحد من سلطته هناك ويظهر ذلك من تعيينه أحد الأردنيين حاكماً عاماً على المناطق العربية في الضفة الغربية ، وفي العمل على عقد مؤتمر .

أريحا في ١٩٤٨/١٢/١ الذي مهد به لضم الضفة الغربية للضفة الشرقية ، ولم يلبث أن صدر في أول يونية ١٩٤٩ قرار بتسميتها بالمملكة الأردنية الهاشمية ، ووافق البرلمان الأردني في ٢٤ إبريل ١٩٥٠ على وحدة الأراضي الواقعة على ضفتي نهر الأردن — أي إدماج المنطقة التي احتلها الجيش الأردني على الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية (١) ، وقد تحقق ذلك بالفعل بالرغم من احتجاج الفلسطينيين والدول العربية الأخرى .

وقد أدانت مصر أطماع الملك عبد الله وأهمته بالاستعداد لعقد تسوية دائمة مع إسرائيل ، يتم فيها التنازل لليهود أكثر مما اهتم العرب الآخرون بالتنازل .. وسوف نرى أن الملك عبد الله قد أجرى محادثات مع المسئولين الإسرائيليين قبل الحرب حين حاول الاتفاق مع الصهيونيين من أجل تقسيم فلسطين وكان ينظر إلى أبعد من ذلك أيضاً وإذا لم تكن مقابلاته مع جو لدا مايرسون (جو لدا مائير فيما بعد) قبل وقوع الحرب مباشرة لم تثمر عن أي اتفاق صريح (٢) ، فإنه تنازل بعد الحرب للصهيونيين عن قطاع من أراضي الحدود .

وهكذا ثبتت خيانة الملك عبد الله (٣) من وجهة نظر الرأى العام المصري عندما اجتمع الوجهاء والأعيان والفلسطينيون في ديسمبر ١٩٤٨ بمؤتمر أريحا للمطالبة بالاتحاد مع شرقي الأردن — وهو ما سبق لمجلس الأعيان أن وافق عليه — ثبتت خيانة الملك عبد الله لأن عملية الضم هذه — من وجهة النظر المصرية — قد أدت إلى تقويض دعائم حكومة عموم فلسطين التي أنشئت في سبتمبر ١٩٤٨ تحت رعاية جامعة الدول العربية وتشجيع مصر .

أما الحكومة السورية فقد أدانت هي الأخرى موقف الملك عبد الله تجاه

(١) الدكتور / محمد أنيس ، الدكتور / السيد رجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ص ٩٠-٥٩٢ .

Rodison, op. cit, p. 4I. (٢)

Ibid, p. 4I. (٣)

حكومة عموم فلسطين ، لأن أطماع الملك بتنصيب نفسه على رأس دولة تشمل الهلال الخصيب كانت من المحرمات في دمشق :

أما الحكومة السعودية - التي قامت أسرتها الحاكمة بطرد الهاشميين من مكة والمدينة في عام ١٩٢٤ - فلم يكن لديها من سبب يحملها على الإبتهاج لهذه النتيجة .

وهكذا استمرت المشكلة الفلسطينية سبباً في إحداث الانقسام بين مصر والأردن طيلة فترة عديدة عقب غياب الممثلين الرئيسيين في نكبة عام ١٩٤٨ عن مسرح الأحداث بعد أن جرفتهم الاغتيالات ، وكان على حكومة عموم فلسطين أن تتحدث باسم عرب فلسطين في الوقت الذي تدرك فيه هذه الحكومة بأنها غير معترف بها على الإطلاق في عمان وأن سلطات عمان ترفض التعاون معها وذلك في الوقت الذي كانت فيه حكومة الملك عبد الله تتفاوض سرّاً مع السلطات الإسرائيلية في باريس عن طريق الياهو ساسون وذلك للوصول إلى اتفاق مبدئي بعدم تحرك الوحدات المحاربة الأردنية والإسرائيلية في فلسطين .

وقد انتهز الملك عبد الله فرصة تعيين أحمد حلمي عبد الباقي على رأس حكومة عموم فلسطين لكي يعين عبد الله التل قائد منطقة القدس [العربية بدلاً منه في منصب الحاكم العسكري للقدس ويعطيه اختصاصات مدنية ، ويبعده عن الوحدات المقاتلة ، ومهد بذلك الطريق للانفراد بوحدة الجهاد المقدس وكانت من المتطوعين والفدائيين العرب والعمل على نزع سلاحها تمهيداً لتسريحها والقضاء عليها .

ومن الثابت أن هذا التضارب بين المصالح العربية . . وفي نطاق الجامعة العربية وحول مشكلة فلسطين وفي أثناء المعركة كان يخدم مصالح اليهود وعلى

حساب العرب ، كان هذا التضارب والتناقض بين المصالح الأردنية ومصالح الشعب الفلسطيني يشجع اليهود على إختطاف تنازلات إقليمية من الأردن بعد أن تخلصوا من مصر حيث كان الإغراء شديداً لدى الصهيونيين لاحتلال فلسطين كلها حتى نهر الأردن .

وهنا عرض الملك عبد الله على المسئولين الإسرائيليين أن يرسلوا إليه وفدأ من قبلهم ليجتمع بهم في قصرة الشتوى في الشونة على ساحل البحر الميت ، وم هذا اللقاء في الأيام الأخيرة من شهر مارس ١٩٤٩ وجرت بين الطرفين مناقشات طويلة قبل الملك عبد الله على أثرها أن يتنازل للإسرائيليين عن شريط من الأرض بعرض ثلاثة كيلومترات في المتوسط وبطول تسعين كيلومتراً على حافة خط وقف إطلاق النار .

وكان من شأن هذا الاتفاق الذي ييسدو ضميلاً في مظهره أن يسمح لإسرائيل بالتحكم في الطرق الموصلة من البلاد ووادي جزريل ومنطقة الخليل ولكنه أدى إلى عزل القرى العربية عن حقولها بل وعن آبارها في بعض الأحيان . وقد صار هذا الخط سبباً في الكثير من الحوادث الدامية (١) فيما بعد ،

السياسة تجاه الفلسطينيين المشردين والقرار رقم ١٩٤ :

نرح ما يزيد على ٧٠٠,٠٠٠ فلسطيني عن ديارهم خلال الاضطرابات والاشتباكات العسكرية التي أحاطت بقيام إسرائيل في مايو ١٩٤٨ والتجأ إلى الإقامة في الضفة الغربية (التي ضمها الأردن رسمياً عام ١٩٥٠) وغزة تحت الإدارة المصرية (وسوريا ولبنان ، وشكلت العلاقات مع إسرائيل الناحية الأكثر بداهة من سياسة العرب تجاه فلسطين ولكن العلاقات مع الفلسطينيين المشردين كانت بارزة المغزى أيضاً في السياق الطويل .

وسواء كان ذلك عمداً أو عرضاً : فقد أخذت الحكومات العربية بالتسمية

Eytan, Walter : The First ten Years, London, 1958 (١)
pp. 58-72.

التي تعتبر الفلسطينيين لاجئين لهم مطالب خاصة في جوهرها (وتعود جذورها إلى الحرمان القسري من الأملاك وأسباب الرزق) وليست عامة بالأحرى وتقوم على الحق في تقرير المصير القومي والسياسي بفلسطين.

أما الحسابات الخاطئة والمزيفة العسكرية فقد وضعت الدول العربية في موقف غير ملائم بالنسبة لقضية تقرير المصير السياسي للفلسطينيين ونشأ الالتباس عما إذا كانت فلسطين كلها أو «فلسطين التقسيم» أو فلسطين الهدنة كما ستأتي الإشارة إلى ذلك تفصيلاً - هي الرقعة الفلسطينية التي يسرى عليها مفعول تقرير المصير (١).

وحيال واقع إسرائيل «المتصلية والقوية» والتي تمتعت بتأييد عالمي إلى درجة كبيرة يبدو قابلاً للفهم أن الحكومات العربية قد وجدت في صيغة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ عن اللاجئين (وهي الصيغة التي يجسدها القرار رقم ١٩٤) الإطار الأكثر واقعية لكي يجري العمل من ضمنه.

فقد قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بدراسة المشكلة الفلسطينية في اجتماعها الذي عقده في باريس ضمن دورتها العادية الثالثة خلال المدة من ٢٣ إلى ٢٩ سبتمبر، وكان أول ما قامت به النظر في التقرير الذي وضعه الوسيط الدولي، وقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة قبل اغتياله بفترة قليلة.

وكان ييفن وزير الخارجية البريطانية ميلا إلى الموافقة على هذا التقرير برمته، وذلك على العكس من فيشنسكي الذي قام نيابة عن الاتحاد السوفيتي يعارض جميع فقراته.

عندئذ أحييت المسألة أمام اللجنة الأولى التابعة للهيئة الأمم المتحدة وفي الفترة التي كانت فيها هذه اللجنة تباشر عملها وتستمع إلى أقوال ممثلي شرق الأردن وإسرائيل، عاد القتال ثانية في منطقة المتقرب بين القوات المصرية والقوات

(٢) د/إبراهيم أبو لغد، تهويد فلسطين، مرجع سابق ص ٣٥٠.

الإسرائيلية ، وبعد اشتباكات دامت أسبوعاً ، تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال تلك المنطقة بأكملها تقريباً .

وتدخل مجلس الأمن عدة مرات لوقف القتال وأخيراً قرر في يوم ١٦ من نوفمبر أنه :

« من أجل إزالة التهديد الذي يعرض السلام في فلسطين للخطر ، ومن أجل تسهيل الانتقال من حالة الهدنة المؤقتة الحالية إلى حالة السلم الدائم يتم عقد هدنة اتفاقية في جميع قطاعات فلسطين (١) » .

بعد ذلك دعا المجلس الأطراف المعنية إلى الوصول فوراً إلى اتفاق عن طريق المفاوضات إما مباشرة أو عن طريق نائب الوسيط لعقد هدنة متفق عليها في الحال ،

وفي هذه الأثناء كانت اللجنة الأولى قد أتمت أعمالها في شهر ديسمبر ، وعرضت على الجمعية العامة مشروع قرار تصالحي تقدم به الجانب البريطاني في أول الأمر ثم أدخلت عليه فيما بعد تعديلات جوهرية عديدة غيرت من معالمه الأولى تماماً ، ووافقت الجمعية العامة على هذا القرار بأغلبية (٢) ٣٥ صوتاً ضد ١٥ صوتاً وامتناع ٨ عن التصويت ، وابتداء من تاريخ ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ ظهر التعارض بين تصويت السوفييت وتصويت الأمريكيين بعد أن ظل الجانبان على وفاق فيما بينهما حتى ذلك الوقت فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية ، وقد اقترح السوفييت ضد القرار رقم ١٩٤ بينما اقترح الأمريكيون إلى جانبه ويجدر بنا هنا أن ننقل عدداً من فقرات القرار رقم ١٩٤ ، نظراً للتفسيرات المتضاربة التي دارت حول هذه الفقرات كثيراً .

(١) Year Book of the United Nation 1947-1948 op. cit.

(٢) أنظر المناقشات الخاصة بذلك في وثائق الأمم المتحدة :

General Assembly 3th Session p. 647 S. q.

تضمن القرار أول ما تضمن بناء على اقتراح من قبل الوسيط الدولي تشكيل لجنة توفيق من ثلاثة أعضاء تتخذ لها مقراً في مدينة القدس وتكون مهمتها أن تحل عند الاقتضاء محل نائب الوسيط الدولي ويتولى تنفيذ الإجراءات الواردة في صلب القرار ، وبعد ذلك ببضعة أيام تقرر أن تكون هذه اللجنة من ممثلي الولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا .

ونص في الفقرة الخامسة من القرار على ما يأتي :

« دعوة الحكومات والسلطات المعنية إلى توسيع نطاق المفاوضات المنصوص عنها في قرار مجلس الأمن الصادر في تاريخ ١٦ من نوفمبر عام ١٩٤٨ ، والسعى إلى إيجاد اتفاق عن طريق المفاوضات المباشرة أو التي تتم بوساطة لجنة التوفيق من أجل الوصول إلى تسوية نهائية لكافة المسائل التي لم تنو صل تلك الحكومات والسلطات بعد ، إلى الاتفاق بشأنها .

أما الفقرة الثانية فتضمنت تأييداً ، لموضوع فصل منطقة القدس عن المناطق الفلسطينية الأخرى ، ووضعها تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة ، وكلفت لجنة التوفيق في هذا الشأن بأن تتقدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الرابعة باقتراحات تفصيلية حول النظام الدولي الدائم الذي يطبق على هذه المدينة والمناطق المحيطة بها .

وأخيراً جاءت الفقرة الحادية عشر ، وهي الفقرة الشهيرة الخاصة باللاجئين في نفس الصياغة التي أوردها الكونت برنادوت في تقريره ، وهذا نصها :

« تقرر الجمعية العامة أنه يجب السماح لمن يشاء من اللاجئين بالعودة إلى مواطنهم في أسرع وقت ممكن ، وأن يعيشوا في سلام مع جيرانهم وأن تدفع تعويضات على سبيل المقابل لمن يقرر من بينهم عدم العودة إلى منازلهم ، وعن جميع أموالهم الضائعة أو التالفة وذلك في الحالات

التي تقضى فيها مبادئ القانون الدولي والعدالة بأن تتولى الحكومات والسلطات المسؤولة التعويض عن هذا الضياع أو عن هذا التلف (١) :

وبالرغم من أن هذا القرار لم يوضع موضع التنفيذ فما زال يرجع إليه كثير من المناسبات كذلك فإن الفقرة الأخيرة منه على وجه الخصوص مازالت تشير حتى الآن المناقشات التي لا يبدو أنها اقتربت من نهايتها .

وسوف نتوقف هنا عند قضية فرعية أصدرت الجمعية العامة حولها توصيات عديدة دون أن يكثر أحد لتنفيذها — ألا وهي مشكلة القدس .

القدس . . فشل التدويل وردود الفعل :

استفادت الصهيونية من نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) — كما سبق أن أشرنا لذلك تفصيلاً — وبالأخص عندما بالغت الدعاية الصهيونية فيما أسمته بالمذابح النازية لكسب عطف الرأي العام الغربي بهدف السماح لليهود بالمجرة إلى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية ، وهنا اتضح الخطر الذي بات يخشاه العرب من استمرار سيل الهجرة المتدفق .

وزاد الطين بلة عندما ارتبطت الولايات المتحدة بالمشكلة الفلسطينية ، وأصبحت الثور الذي يجر العرب بدلا من الحصان البريطاني ، وتمادى الرئيس ترومان إلى أبعد الحدود في دعم الصهيونية .

وهنا خطت الصهيونية خطوة أوسع عندما شكمت بلحناً في كل جنوب أفريقيا وبريطانيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة للعمل على إنقاذ قدس (٢) الأقداس من « الاحتلال الإسلامي » وإعادة بناء الهيكل في مكان المسجد الأقصى

Ibid.

(١)

(٢) عارف العارف ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٥ بيروت

المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٩٦٢ ج (١) ص ١٧٥ .

وقامت بجمع الأموال اللازمة لتنفيذ الفكرة حتى وصل الغرور بالصهيانية إلى حد تكليف عدد من أشهر مهندسيهم لوضع التصاميم ورسم المخططات لبناء الهيكل .

ولما أنس اليهود القوة في أنفسهم ، حاولوا عام ١٩٤٦ الوصول إلى ساحة الحرم للقيام بأعمال تخريبية ، ولكن عرب فلسطين بدلوا من الكفاح ماجعل الصهيانية يتوقفون عن هذه الأعمال التخريبية .

ثم ظهرت فكرة تدويل القدس مع مشروع قرار تقسيم فلسطين ، وفي ذلك الحين أعلنت الصهيونية عن موافقتها على المشروع ككل متظاهرة بقبوله معجولة إما على رفض العرب أو استغلال القوة ،

ولما نشب القتال بين الطرفين المتنازعين ولم يتوقع من كل منهما أن يكوى القدس بنيران الحرب بعكس ما فعل الترك عندما انسحبوا من القدس عام ١٩١٧ وسلموها لأعدائهم الإنجليز حتى يجنّبوها ويلات الحرب .

وقد عمد الصهيانية إلى التصريح تدريجياً بنيتهم في التسلط بالقدس ، ولما أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب في ربيع عام ١٩٤٨ انفجرت الحرب بين العرب واليهود وحاول مجلس الأمن إلغاء قرار التقسيم وإعادة فلسطين واحدة تحت إدارة مجلس وصاية ، وهنا أسرع اليهود بقبول التقسيم مقابل الاعتراف بالدولة اليهودية .

ولما تسابقت دول العالم للاعتراف بإسرائيل ، وأعلن اليهود أنهم لن يتخلوا عن القدس سواء أعطيت للعرب أو اعتبرت دولية أدخلوا إليها ٧٠٠ من الهاجاناه وغيرهم من العصائب المسلحة ، وقد رفض الملك عبد الله تدويل القدس وطلب (١) من جيشه المتمركز فيها أن يقاتل بإيمان وعقيدة في سبيل عروبة القدس ،

(١) محمود العابدی - قدسنا ، معهد البحوث والدراسات العربية : القاهرة ١٩٧٢

ولما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، حاول اليهود الاستيلاء على القدس القديمة بتطويقها بقوات هائلة والهجوم عليها من الجهات الثلاث ، ولكن الماضدين العرب وجنود الجيش الأردني صدوا الهجوم وكان اليهود قد سحبوا معظم المدنيين من حارتهم في القدس وأحلوا بدلا منهم ٧٠٠ من جنود الهاجاناه ورجال العصابات الآخرين ، ولما تغلبت عليهم القرى العربية استسلموا ، ويلدكر عبد الله للتل (١) أن المناضدين العرب وجنود الجيش الأردني قد أسروا يوم ١٩٤٨/٥/٢٧ عددا كبيرا ممن كانوا في حارة اليهود ، ولكنهم سلموهم بالحسن للصليب الأحمر وساقوا الجنود الأسرى إلى عمان وكان عددهم حوالي ٣٥٠ أسيرا ظلوا فيها حتى جرى تبادل الأسرى ، واكتشف بعد ذلك أن بعض محاربي اليهود اختفوا في داخل كنيس وظهروا فجأة ، وأخذوا بإطلاق النار ، لذلك قصف الكنيس بالمدفعية حتى دمر على رؤوسهم .

وقد استغلت الصهيونية العالمية هذا الحادث وحملت العرب مسؤولية تخريب هذا الكنيس ، وسيلكر التاريخ دوما أن البوليس البريطاني أثناء الانتداب قد اكتشف مستودع أسلحة في أرضية الكنيس الكبير في تل أبيب ، وكثيرا ما كان اليهود يلجأون إلى معابدهم في تخبة الأسلحة وإطلاق النار منها على العرب المسلمين ، وتبع ذلك المذابح التي تعرضت لها القرى العربية من قبل المنظمات العسكرية اليهودية مما أدى إلى تسرب الفرع إلى قلوب عرب فلسطين وحملهم على طلب النجاة بأنفسهم تاركين متاع الحياة خلفهم ومن هنا نشأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (٢) التي لم يكن لها سبب سوى الرعب المقصود الذي فرضه العدو على

(١) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٢٥١-٢٥٧ .

(٢) وفقاً لأحكام القانون الدولي فإن اللاجئين هو الشخص الذي يقيم خارج وطنه بسبب الخوف الذي له ما يبرره من الاضطهاد بسبب الجنس أو الدين أو اللون أو الآراء السياسية وقد اتجهت الجهود الدولية وبصفة خاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى ضرورة تقديم المساعدة للاجئين وتقريب بعض الحقوق لهم .

راجع Weiss - «International Protection of Refugees» الأمريكية للقانون الدولي عدد ٥٨ سنة ١٩٥٤ ص ١٩٦ .

النسحب الأعزل لتفريغ الأرض من سكانها الشرعيين. ومنذ ذلك الحين، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين تتميز بأنها مشكلة شعب بأكمله حرم من وطنه ومن حقه في تقرير مصيره، وبالرغم من ذلك فإن الشعب الفلسطيني النازح لا زال متمسكاً في العودة إلى وطنه وهو حق تكفله له قواعد القانون الدولي (١).

وهكذا وقبل أن ينتهي الانتداب البريطاني على فلسطين والذي كان مفروضاً فيه حماية الأرواح والممتلكات، قد خلت القوى العربية التي كانت خارج القسم اليهودي بموجب تقسيم هيئة الأمم المتحدة، والذي كان من نتيجته العدوان الإسرائيلي وتشريد اللاجئين الفلسطينيين.

وقد استطاع الصليب الأحمر اعتبار مدينة القدس القديمة كأنها مستشفى وبالفعل تحولت إلى مستشفى نتيجة لمن جرح فيها من العرب المدنيين.

وفي مشروعه الأول المنشور في نهاية يونيو ١٩٤٨ اقترح برنادوت (٢) وضع المدينة في المنطقة العربية مع منح اليهود المقيمين فيها بعض حقوق الحكم المحلي، وكانت حجة برنادوت هي أن مدينة القدس محاطة من جميع الجهات بمناطق عربية.

وعموماً، فقد ساد مبدأ الأمر الواقع في مدينة القدس حيث استولى الملك عبد الله على المدينة القديمة ووقف عاجزاً لسبب أو لآخر أمام القدس الجديدة.

(١) الدكتور / حامد سلطان، المشكلات القانونية المتفرعة على قضية فلسطين - إصدار معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٧ - ص ص ٧٥-٩١.

الدكتور / محمد حافظ غانم: المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي إصدار معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة ١٩٦٥ ص ص ١١٦-١٢٠.

(٢) ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق أوراق خاصة بالقضية الفلسطينية - مرجع سابق ص ص ٩٤٣-٩٤٤).

الدكتور / عز الدين فودة، قضية القدس في محيط العلاقات الدولية. بيروت - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٦٩ ص ص ١٠٥-١٠٩.

التي يتركز فيها اليهود ، ومنذ ذلك الوقت استقل كل فريق بإدارة المنطقة التي دخلت في حوزته وفصلت أحياء المدينة العربية عن اليهودية بالأسلاك الشائكة ،

وتذكر بعض المصادر (١) أن الملك عبد الله كان يتطلع إلى أن يعلن نفسه ملكاً في القدس بعد إكمال الاستيلاء عليها ، « فإن صح هذا فإنه لا يكون متآمراً على انقسام المدينة كما يسير إلى ذلك عبد الله التل بطريق غير مباشر وإنما أجبرته المقاومة العنيدة التي اصطدم بها في القسم اليهودي على الاكتفاء بالمدينة القديمة » .

وفي بداية الأمر استاءت إسرائيل لضم القسم العربي إلى الأردن وكانت تفضل على ذلك إقامة دولة عربية صغيرة مجاورة وحاولت إثارة الخلافات الدينية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي فقالت أنه من الأفضل تبعية الأماكن المقدسة لدولة عربية صغيرة متحدة مع إسرائيل وبذا لا تكون لها صفه إسلامية واضحة كدولة الأردن ، ومن مصلحة المسيحيين ألا يفرد أتباع دين واحد سواء مسلمين أم يهود بإدارة الأماكن المقدسة (٢) .

وقد كانت الطوائف الدينية الغربية من أكثر الفئات تحمساً لفكرة تدويل القدس ، فبعث الفرنسيون إلى البابا بتاريخ ٢٨ مايو يذكر أنهم في سبيل تكوين ميليشيا أو حرس وطني للأماكن المسيحية وكانت فرنسا قبل ذلك قد فكرت في إقامة مثل هذا الحرس .

(١) Pablo de Azcorate, Mission in Palestin, 1948 - 1952 (Washington, D. C. 1966) pp. 64-79.

(٢) عارف المعارف - نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود (١٩٤٧-١٩٥٥) الجزء الأول ، مرجع سابق ص ١٧٧ .

محمد عزة دروزة - الوحدة العربية ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر الطبعة الأولى ١٩٥٧ - صص ٤٩٥-٤٩٧ .

وعموماً فإن الطوائف المسيحية نظرت إلى التدويل على أنه وسيلة لتوسيع نفوذ الكنيسة الكاثوليكية لأن الأرثوذكس كانوا ما يزالون يتمتعون بمركز متفوق .

ومن المدهش أن يتفق الاتحاد السوفيتي مع دول أمريكا اللاتينية والعرب على مبدأ التدويل في الأمم المتحدة غير أن البواعث تختلف لدى كل فريق .

فدول أمريكا اللاتينية تحمست لأنها توقع أن يكون للكاثوليك نصيب أكبر في ظل الأمم المتحدة، والاتحاد السوفيتي رغم تجاهله للأديان فهو لا يرى بأساً من تشجيع الأرثوذكس في مثل هذه الحالات لأنه يمكن أن يرث العلاقات التقليدية التي ربطت بين روسيا وبين الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي .

أما العرب فانهم قصصوا لإخراج إسرائيل والأردن معاً بالموافقة على مبدأ التدويل خاصة بعد أن تكشف وجه السياسة الإسرائيلية الرامية إلى ضم القدس الحديدة ولم يكن الأردن قد مثل بعد في الأمم المتحدة ، لذا فإن الملك عبد الله اتخذ الإجراءات الرامية إلى ضم القدس القديمة بالتدريج متمشياً في ذلك مع نفس الخطوات التي اتبعت لضم الضفة الغربية .

وبناء على ما جاء بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ الخاص بتدويل القدس، فقد كلفت لجنة من قبل الأمم المتحدة لوضع دستور لمنطقة القدس تنص في مقدمته على سلامتها كوحدة مستقلة وتجزئتها من السلاح وتقوم الأمم المتحدة بتعيين الحاكم لمدة ٣ سنوات من غير العرب واليهود ويكون مسؤولاً أمام مجلس الوصاية ويتولى السلطة التشريعية في المنطقة الدولية مجلس من أربعين عضواً ، ١٨ منهم ينتخبهم العرب ، ١٨ من اليهود ، ٤ من الطوائف الأخرى سكان المدينة ، وللمدينة نظام قضائي مستقل ، ومن الناحية الاقتصادية تتبع مدينة القدس الاتحاد الذي كان من المفروض إقامته من الدولتين العربية واليهودية ،

وقد أغفلت مسودة الدستور (١) تحت وطأة التقسيم الفعلي الناتج من الأمر الواقع وحول نظام التدويل في الدورة الخامسة للجمعية العامة، فتقرر أن يكون المندوب السامي للأمم المتحدة مختصاً أساساً برقابة الأماكن المقدسة وحرية الوصول إليها وتنفيذ مبادئ تجريد القدس من السلاح وتأييد حقوق الأفراد والجماعات الدينية ومع احتفاظ كل فريق بجنسيته فقد أوصت الجمعية العامة في قرارها الثاني بإقامة مجالس مشتركة بين العرب واليهود لتأمين ازدهار المدينة ويتكون هذا المجلس من ١٤ عضواً - خمسة عن كل فريق بالإضافة إلى أربعة أعضاء تعيينهم الأمم المتحدة، كذلك تنشأ محكمة مختلطة للفصل في القضايا التي تقع بين رعايا جنسيتين من سكان المدينة .

وهكذا نلاحظ اختلاف نظام التدويل الذي أقرته الجمعية العامة في عام ١٩٤٧ عن القرار الثاني الذي أوصت به لجنة التوفيق ووافقت عليه الجمعية العامة في عام ١٩٤٩ (٢) فالقرار الأول يجعل من المدينة وحدة سياسية منفصلة ذات جنسية خاصة ، أما القرار الثاني فيدعو إلى إقامة أجهزة دولية مع الاعتراف بوجود جنسيتين أردنية وإسرائيلية للسكان وترك نوع الاستقلال المحلي لكل منهما مراعاة لوجود هذه الأجهزة الدولية .

كذلك فإن إسرائيل قد استولت بسبب الحرب على الجزء الغربي والأكبر من مدينة القدس واستولت الأردن على الجزء الشرقي والأصغر حجماً ولكنه يحوى معظم الأماكن المقدسة، ولم يشر في اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والأردن - كما سبى - إلى مسألة تدويل القدس . ولكن الاتجاه داخل وخارج الأمم المتحدة كان يرمي إلى تدويل القدس - وخصوصاً من جانب الدول الكاثوليكية والدول الأرثوذكسية

(١) Khouri, Fred J. The Arab-Israeli Dilemma, N. Y. University Press (Syracuse 1968) p. 109.

(٢) ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع

وإزاء الضغط الدولي المتزايد اضطرت الجمعية العامة إلى إصدار القرار رقم ١٩٤ في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ تؤكد فيه قرارها السابق بالتدويل ، ولكن اليهود وبالرغم من أنهم قد سبق وقبلوا هذا القرار لعدم رغبتهم في إثارة الشعور العالمي ضدهم عادوا وأعلنوا أن إسرائيل هي صاحبة الحق الأول في المدينة المقدسة وأنها قادرة على حماية الأماكن المقدسة .

وبالرغم من اعتراض الدول العربية وجامعة الدول العربية ورفعها هذا الاعتراض إلى الأمم المتحدة ، إلا أن إسرائيل بدأت في تحويل مصالحها الحكومية إلى القدس ، وبعد أن كان العرب يعارضون مبدأ التقسيم ومبدأ تدويل القدس عادوا بعد هزيمتهم في حرب فلسطين ووجدوا أن من صالحهم الموافقة والمطالبة بتحقيق قرار التقسيم وتدويل القدس .

وقد قررت جامعة الدول العربية ودولها ما عدا الأردن الوقوف جبهة واحدة في الأمم المتحدة للمطالبة بذلك ، إلا أن الأردن خرجت عن إجماع الدول العربية لأن حرب فلسطين كانت قد أعطت الملك عبد الله الفرصة لتحقيق أول خطوة في تكوين سوريا الكبرى التي كانت أهم أهدافه وذلك بعد أن ضم الضفة الغربية إلى الأردن ، وأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية ، وقد بين الملك عبد الله الأهمية الاستراتيجية والعسكرية والسياسية للقدس ، لذلك كان من الصعب عليه التنازل عنها وإخضاعها لمبدأ التدويل ولكن ذلك على حساب خروجه من الإجماع العربي ومعاداته لجامعة الدول العربية ، وبالطبع وقفت الجامعة العربية عاجزة ومكتوفة اليدين ولم يسعها إلا إصدار بيانات الاستنكار .

وقد ظل الوضع على ما هو عليه في القدس وفشلت الأمم المتحدة في تطبيق مبدأ التدويل (١) وأعلنت إسرائيل أن القدس هي عاصمة رسمية ونقلت إليها

Kboury, Fred J. The Arab Israeli Delemma, op. cit. (١)
p. 107.

معظم مصالحها الحكومية ووزارة الخارجية الإسرائيلية وباشير الكنيست الإسرائيلي جلساته بالقدس وقد أعلنت الجامعة العربية أن الموقف يدعو إلى عمل عربي مشترك وأن ذلك يعتبر عدواناً من إسرائيل ووقف الأمر عند هذا الحد، وذلك بعد أن استجابت بعض الدول بالفعل للإجراء الإسرائيلي ونقلت هذه الدول الأجنبية سفاراتها إلى القدس غير أن الدول الكبرى بدون استثناء احتفظت بسفاراتها في تل أبيب (١) .

اتفاقيات الهدنة :

منذ ١٨ يوليو ١٩٤٨ توقف القتال بين العرب وإسرائيل طبقاً لقرار مجلس الأمن ، إلا أن هذا الوضع لم يكن ذا صفة دائمة ، وكان باستطاعة الحكومات العربية أن تتظاهر بأنها تستعد لحولة أخرى إلى أن أجبرت على توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة بين فبراير ويوليو عام ١٩٤٩

وقد جاء توقيع هذه الاتفاقيات نتيجة للهزائم العربية العسكرية المتوالية التي منى بها العرب وخاصة مصر التي تلقت ضربات مفاجئة على خطوطها الطويلة خلال شهر ديسمبر ١٩٤٨ ، وانتهت هذه الضربات بانهيار القوات المصرية ، واكتفت مصر بعرض شكواها على مجلس الأمن ، وقد وضح أن إسرائيل كانت تبغي من وراء الضغط على الجبهة المصرية بالدات أن تضطر كبرى الحكومات العربية إلى الصلح معها أو الاعتراف بها بشكل ما (٢) .

وعاد مجلس الأمن المجتمع في باريس يأمر مرة أخرى في يوم ٢٩ من ديسمبر بوقف إطلاق النار ، وبدأ تنفيذ هذا الأمر من يوم ٧ من يناير ١٩٤٩ ، ثم جرت مفاوضات في جزيرة رودس تحت إشراف الوسيط الدولي بالنيابة ،

وقد حرصت مصر على إعطاء المحادثات صفة عسكرية محقة حتى أن الخبراء المدنيين الذين ألحقوا بوفد المباحثات ارتدوا الزي العسكري .

(١) دكتور / عز الدين فودة ، قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ١١١ .

Aleum, op. cit., p. 356.

(٢)

وتذكر المصادر الإسرائيلية أن المصريين طالبوا باستبقاء حاكم في بير سبع بحيث يكون مجرد رمز للوجود العسكري المصري على أن تستمر إسرائيل في إدارة المنطقة ، فان صح هذا الأمر فان المفاوضات المصرية - طبقاً لآراء بعض المؤرخين المصريين المعاصرين (١) - يكون مهماً باسترضاء الرأي العام في مصر أكثر من اهتمامه بإيجاد حل واقعي للمشكلة الفلسطينية ، وفي النهاية قطعت إسرائيل سبيل التباحث على المفاوضات المصرية في هذا الموضوع بأن نقلت بير سبع إلى الجبهة الشرقية ومعنى ذلك أن الموضوع يخرج من اختصاص مصر إلى الدولة العربية المجاورة لهذه الجبهة وهي الأردن ، ولما لم تجب مصر إلى هذا الطلب قالت أن تأمين حدودها يتطلب ضم منطقة العوجة وكحل وسط اخترع والف بانث فكرة تجريد المنطقة من السلاح مع ترك مسألة السيادة عليها غامضة .

وانتهت هذه المحادثات في يوم ٢٤ من فبراير عام ١٩٤٩ بالتوقيع على اتفاقية الهدنة وليس لها أى طابع سياسى فيما بين مصر وإسرائيل ، وتبعها في ذلك لبنان الذى وقع اتفاقية الهدنة في رأس الناقورة في ٢٣ من مارس ١٩٤٩ وبعد التوقيع على اتفاقية الشؤنة (٢) بين الملك عبد الله والمسؤولين الإسرائيليين وفيها قبل الملك عبد الله أن ينزل للإسرائيليين - على شريط من الأرض بعرض ثلاثة كيلو مترات في المتوسط وبطول تسعين كيلو متراً على حافة خط وقف لإطلاق النار - وبعد التوقيع على هذه الاتفاقية في الأيام الأخيرة من شهر مارس ١٩٤٩ ألقع الإسرائيليون عن إجراءات المماطلة التى بلأوا إليها في مناقشة اتفاقية الهدنة مع الأردن ، وتم التوقيع على تلك الاتفاقية في اليوم الثالث من أبريل عام ١٩٤٩ .

أما سوريا فقد تأخر توقيع اتفاق الهدنة الدائمة بينها وبين إسرائيل حتى

(١) دكتور / صلاح العقاد قضية فلسطين : المرحلة الحرجة : مرجع سابق ص ١٣٧ .

(٢) دكتور / ابراهيم أبو لقد : تهويد فلسطين ، موجع سابق ص ٣٥٥ .

٢٠ يوليو ويرجع ذلك إلى أن القوات السورية كانت ما تزال منذ وقف إطلاق النار تحتل جزءاً من فلسطين بين بحيرة طبرية والجليل .

وحسب قرار تقسيم فلسطين يدخل هذا الجزء في الأراضي المخصصة لليهود، وبالرغم من أن إسرائيل تجاوزت حدود التقسيم في مناطق كثيرة على حساب مصر والأردن فإنها جاءت هنا وتمسكت بحدود التقسيم (١) ، لكن السوريين لم يجبروا بضغط القوة العسكرية على الانسحاب فلم يكن من المتوقع أن ينسحبوا طواعية فاجتهد رالف باننش بصفة خاصة لتسوية هذه المشكلة المعقدة واقترح المبدأ الذي تحمس له في مختلف الجبهات وهو إيجاد مناطق منزوعة السلاح على الحدود ، واحتجت إسرائيل بأنه لا يجب المقارنة بين هذه المنطقة وبين العوجة فلا علاقة بين الجبهتين الشرقية والغربية، ثم أن هذه المنطقة تتحكم في قطاع توزيع المياه كما تتحكم بير سبع في طرق مواصلات النقب، واقترح باننش في بداية الأمر أن تنزع المنطقة من السلاح على أن تبقى الإدارة المدنية سورية فرفضت إسرائيل الاقتراح .

وعموماً فقد تم توقيع اتفاق الهدنة بين إسرائيل وسوريا في المرقع رقم ٢٧٢ وفي ٢٠ من يوليو، وفيما عدا الغموض الذي أحاط بالمادة الخامسة من اتفاق الهدنة السورية - إذ لا تحدد الإدارة التي ستسود في المنطقة بعد انسحاب السوريين منها - فإن اتفاقية الهدنة مع سوريا تتشابه من حيث المبادئ العامة مع اتفاقيات البلاد العربية الأخرى وهي تأخذ الحدود الدولية السابقة بين سوريا وفلسطين كأساس لخط حدود الهدنة .

أما العراق الذي لم تكن له حدود مشتركة مع إسرائيل فلم يوقع على أي اتفاق ولكنه أعلن ارتباطه بشروط اتفاقية الهدنة المعقودة بين إسرائيل والأردن :

وهذه الاتفاقيات جميعها استوحيت من قرار مجلس الأمن المؤرخ في

(١) أنظر ملف الترابط في ملحق الدراسة .

١٦ من نوفمبر عام ١٩٤٨ وقد صيغت كلها وفقا لقلب واحد وكانت تتعاقب بتصفية حالة الحرب وقد نص فيها ، بناء على طلب العرب ، وأن الذى أوحى بها هو الاعتبارات العسكرية وحدها وليست الاعتبارات السياسية ، وكان هذا هو السبب الذى من أجله لم يشر فيها إلى المشكلة الجوهرية ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ولم تذكر فيها مسألة خطوط التحدد إلا مصحوبه بكثير من التحفظ فقد ذكر فى هذه الاتفاقيات حول هذه المسألة ما يأتى :

« يجب ألا يعتبر خط التحدد الوارد فى اتفاقية الهدنة ، بحال من الأحوال حدودا سياسية أو إقليمية وقد رسم هذا الخط بغير المساس بالحقوق أو المطالبات أو الأوضاع الخاصة بأى من الطرفين فى اتفاقية الهدنة فيما يتعلق بالتسوية النهائية للمشكلة الفلسطينية » .

وهكذا جاءت اتفاقيات الهدنة بين العرب وإسرائيل تسجيلا لوضع لم يدخل عليه أى تغيير لمدة تسعة عشر عاما تالية (١) مما يعطى لهذه الاتفاقيات بالضرورة الطابع السياسى الذى رفض الموقعون عليها أن يعطوه لها — طبقا لما يراه أحد المؤرخين الغربيين (٢) — والذى انعكس بالتالى على إقامة دولة يهودية فى جزء موسع من فلسطين بعد إخلاء الجانب الأكبر من السكان للعرب بسبب تشردهم المفاجئ نتيجة لظروف الحرب .

ولم يراع فى هذا الحل شئ من القرارات التى أصدرتها هيئة الأمم المتحدة وكررتها مرارا بشأن عودة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم وبشأن تدويل مدينة القدس .

وقد كانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هى الموضوع الأساسى لبروتوكول لوزان الذى عقد فى مدينة لوزان بمعرفة لجنة التوفيق الفلسطينية المنبثقة عن

(١) أنظر ملف الخرائط فى ملحق الدراسة .

Aicum op. cit, p 397.

(٢)

٢٦٢

الأمم المتحدة والذي انتهى في شهر سبتمبر عام ١٩٤٩ بعد نقاش دام خمسة أشهر من غير الوصول إلى أى اتفاق .

وقد راعت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الفشل في دورة اجتماعها الرابعة فأصدرت قرارها رقم ٣٠٢/٤ المؤرخ في ٨ من ديسمبر عام ١٩٤٩ والذي يقضى بإنشاء منظمة تكلف برعاية شؤون اللاجئين الفلسطينيين ، هذه المنظمة هي التي أطلق عليها اسم : « وكالة الأمم المتحدة للمساعدة والعمل من أجل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى »

وعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بمشكلة القدس ، فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٣٠٣/٤ المؤرخ في ٩ ديسمبر عام ١٩٤٩ ، وفيه عادت تؤكد رغبتها في إخضاع مدينة القدس لنظام دولي دائم يتم وضع قواعده بمعرفة مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة كما سبق تفصيل ذلك .

ولكن إسرائيل ومملكة شرق الأردن — التي أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية بعد أن ضمت إليها الأجزاء التي بقيت عربية من فلسطين — كانتا قد اقتسمتا فيما بينهما المدينة المقدسة وأبدتا رغبتهما في عدم الخروج منها ، وإذا قبلت معظم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة كلاما من إسرائيل والأردن في المنظمة الدولية فقد اعترفت ضمنا بهذا الأمر الواقع :

وكان دخول إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة يوم ١١ من مايو ١٩٤٩ ودخول الأردن إليها يوم ١٥ من ديسمبر ١٩٥٥ .

وعموما فإن الأمم المتحدة لم تنته من المشكلات التي تثيرها مشكلة فلسطين وخصوصا ما تفرع عنها من مشكلات فرعية وأهمها مشكلة اللاجئين ، وقد ظلت هذه المشكلة تنتقل من دورة إلى دورة من غير طائل اللهم إلا إتاحة

الفرصة أمام الأغضاء لإلقاء الخطب في جلسات الجمعية للأمم المتحدة .
وعلى الصعيد العربي لم تذهب الحكومات العربية إلى حد إزالة الهوية
المشتركة للشعب الفلسطيني باجباره على الإندماج أو إفساح المجال أمامه لكي
يندمج وينصهر .

وكان الأمر بالنسبة لمعظم الزعماء العرب هو أن إعادة التوطين دون الخيار
في العودة إلى الديار كانت غير مقبولة من الوجهة الأخلاقية .

وهكذا عمدت الحكومات العربية والأسرة الدولية إلى ترك الفلسطينيين
في جحيم وضع اللاجئين ، فلم تزودهم سوى بالحد الأدنى من الموارد للاغثة
 وإعادة التأهيل أو على حد قول (١) أحد الباحثين في المشكلة الفلسطينية .

« لم تتجرأ أية حكومة عربية على المبادرة في مشروع لإعادة التوطين ،
فالكلمة بحد ذاتها ارتبطت في ذهن القوميين العرب بالهزيمة على يد إسرائيل
والإمبريالية الأمريكية » .

ومن وجهة النظر الإسرائيلية أيضا ، برهن الزعماء العرب على انعدام
المعقولية الذي انعكس على عدم استعداد هؤلاء الزعماء لاتخاذ خطوات حاسمة
في توطين اللاجئين الفلسطينيين .

وقد أدعى الإسرائيليون أنهم لا يتحملون المسؤولية عن اللاجئين ، وإنما
يمكن إدماج اللاجئين وتمثلهم دون أية مشقة في البلدان العربية المجاورة فيما لو
توفرت الرغبة في ذلك لدى الزعماء العرب وجرى استخدام التمثل الإسرائيلي
لآلاف المتحدرين من بيئات متفرقة كمثل على ما يمكن تحقيقه وعمله في هذا
المجال (٢) .

Peretz, Don : Israel and the Palestine Arabs: Washiugton (١)

1958, pp 21-22.

(٢) وهو خلاصة خطاب جولد مائير أمام المؤتمر الاشتراكي العالمي ، فينا ٣ يوليو

إن استمرار قيام مخيمات اللاجئين بمعدلها المرتفع في النمو السكاني فسرره
الإسرائيليون كمحاولة مدبرة من جانب الزعماء العرب لتنمية العداء ضد
إسرائيل وخلق وضع يصبح فيه قبول إسرائيل أمرا بعيد الاحتمال جدا .

وعلى العموم لم يعتبر الإسرائيليون أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هي
مشكلتهم فالإخفاق في إسكانهم وتوطينهم — فيما بعد — داخل الدول العربية
وأوفا فيه لإخفاها من جانب الدول العربية والأمم المتحدة (١) »

ولم يقيم الإسرائيليون أى تمييز بين المهاجرين اليهود الذين جاءوا عن
طيب خاطر للاستيطان بإسرائيل وخلق حياة جديدة فيها ، من جهة ، وبين
اللاجئين الفلسطينيين الذين ، مهما تكن أسباب ذلك ، تركوا منازلهم في
فلسطين ويرغبون في العودة إليها من جهة أخرى .

وتمشيا مع اعتمادها القائل بأن التهديد بالقوة هو وحده الكفيل بامتناع
الدول العربية لكى تنشده السلام وتكبح جماح النشاطات السياسية والفدائية
التي تصدر عن الفلسطينيين الموجودين داخل حدودها — عمدت إسرائيل خلال
الفترة الممتدة بعد عام ١٩٤٨ إلى تطبيق سياسات المهجمات والغارات الانتقامية
المنتظمة على خطوط الهدنة الأردنية والسورية والمصرية — كما سيأتى تفصيل
ذلك — كذلك عمد الفلسطينيون المقيمون في الأردن وقطاع غزة على نحو مماثل ،
إلى شن غارات غير رسمية بين الحين والآخر على الحدود الإسرائيلية ،

— This is our Strength (New York, 1962) p 96.

وكذلك ما جاء في بيان ليفى اشكول في الكنيست حول الوضع الاجتماعى في إسرائيل بتاريخ

٨ ديسمبر ١٩٦٤

The State Papers of Levi Eshkol (Newyork 1969) p 21.

(١) وهو ما يراه أبا إيبان وعبر عنه في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أول

ديسمبر ١٩٥٢

Eban, Abba : The Voice of Israel — London 1958 pp

108 — 110

وبشأن إسكان اللاجئين وإعادة توطينهم فان تفصيل ذلك في :

Khouri Fred, The Arab — Israeli Dilemma, op. cit,

إلا أن فشل هذه السياسة الإسرائيلية قد تبلى بشكل واضح عند مجئ عام ١٩٥٣ - كما سنشير إلى ذلك - حيث أن الحكومة الأردنية أخذت تنظر بمجدية أكثر إلى مهمة تسليح السكان الأردنيين ، ولا سيما للذين يقيمون منهم في تلك المناطق المخاضية لإسرائيل (١) .

بعض الملاحظات على نكبة ١٩٤٨ :

تمثل نكبة عام ١٩٤٨ موضوعاً للدراسة لاغنى لأى باحث يريد استيعاب تعقيدات مشكلة فلسطين ، وأول ما يلاحظ أن القادة والجنود والسياسيين والكتاب والصحفيين بالإضافة إلى المواطن العربي العادى لم يكن لهم احتكاك بالhalمية اليهودية في فلسطين ، ومن ثم كانت لديهم فكرة باهتة عن تركيبه وتنظيماته وإنجازاته وقوته ، ولقد جرت الحكومات العربية جيوشها إلى القتال دون إخطار القيادات العسكرية رسمياً بسياساتها إلا قبل التدخل العكسى الفعلى بأربعة أيام كذلك جعل التدخل السياسى المستمر العمليات العسكرية تسير دون غرض استراتيجى محدد .

وعلى الجانب الآخر أظهر الصهاينة من المزايا العسكرية الشئ الكثير ؛ فقد بذلوا جهوداً واعية في تنظيم الهاجاناه وتدريبها ووجود العديد من الضباط والجنود الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية بين صفوفهم وما أظهره من مقدرة المزج بين خبرة الضباط المحترفين وخيالات القواد الذين ساقهم الظروف إلى مراكز القيادة وقد توصلوا إلى الحصول على حاجتهم من السلاح بفضل ما توفر لديهم من مهارة وبفضل العون الضخم من يهود العالم ثم هم في النهاية قد أسندوا قيادتهم إلى بن جوريون بما له من حنكة فجاءت سياستهم كما جاءت استراتيجيتهم متماسكتين فيهما تناسق .

(١) Abo - Lughod, Ibrahim, : Israel « Arab Polciy » in the Arab - Israeli - confrontation of June 1967 : An Arab Perspective ed., Ibrahim, Abu - Lughod. (Evanston 1,11,1978) p 73.

وفي مواجهة إسرائيل بصلابتها كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام « ومتأكدون » من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع بعض المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، وقد كان ينتقص العرب الاحتكاك مع اليهود ، في حين أن اليهود كانوا أكثر احتكاكا بالدول العربية وهي ما أعطى مثالا للدول المتحاربة التي لم تكن تعرف بعضها إلا في التجارة وقت السلم وهذا الجهل المتبادل يفسره الباحثون (١) بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العرب الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجرؤوا استعدادا ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصا وخيفة ، وحتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون نفسه على حد زعم أحد الباحثين (٢) .

وأما الجيوش العربية فقد كان تكوينها أصلا على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار السيطرة المظهرية فقط وبالإضافة إلى ذلك جاءت المواجهة العسكرية أساسا في حرب ١٩٤٨ بين جيش كلاسيكي النمط وبين ميليشيا مدينة (٣) ومن ثم فمن الصعوبة

(١) Safran, Nadav, From war to war : The Arab - Israeli confrontation 1948-1967, A Pegasus Original, New York 1969 pp 28 - 29.

(٢) Aleum, op. cit pp 351-353.

(٣) Brecher, N., The Foreign Policy System of Israel, (٢) Setting, Images, Process, London : Oxford University press 1972 pp 64-66.

تقدير القوة العسكرية الإسرائيلية تقديراً دقيقاً في حرب ١٩٤٨ (١) ، وحتى إذا كانت أعداد المقاتلين متساوية - بالرغم من أن هذا الفرض غير صحيح - فهذا تناقض عجيب ، إذ أن أربعين مليوناً من العرب وسبعمائة وخمسين ألفاً من اليهود أرسلوا إلى ساحات القتال لإعدادات متساوية تقريباً من المحاربين فأين كان إذن السبعون مليوناً من العرب والاربعمائة مليون من المسلمين الذين عليهم الدفاع حتى الموت عن الأرض المقدسة في فلسطين ، ونستطيع أن نجمل النتائج المباشرة لحرب - وبالتالي نكبة - عام ١٩٤٨ فيما يلي :

أولاً : على الجانب المصرى

أن العرب الفلسطينيين - على الرغم من معداتهم وتدريبهم وتنظيماتهم البدائية - قد أقنعوا الحكومات العربية أنه تكفى قوة منظمة صغيرة لتدمير إسرائيل وهم لذلك أوكلوا المهمة للملك عبد الله الذى استغنى عن نصيحة بريطانيا ، والتي كانت تعلم أكثر منه ، وهو لذلك كان يجارى زملاءه في الجامعة العربية في حين أنه كان على اتصال بالجانب اليهودى - وذلك بهدف استرداد الأجزاء المخصصة للعرب من فلسطين طبقاً لخطة التقسيم ، وفي حالة عدم الموافقة على مشروع التقسيم المعدل مما اتضح من القرار المفاجئ للملك فاروق ضد نصيحة حكومته وذلك بإرسال القوات إلى فلسطين وعموماً فإن موقف الملك فاروق يحتاج إلى وقفة خاصة لتحليله :

فلقد وصلت مشكلة فلسطين إلى تفاقمها - عندما تقرر إنشاء الدولة رسمياً في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وقد كان النقراشى مصراً على أن لا يلدجاً إلى القوة المسلحة حتى لا يدفع الجيش المصرى إلى حيث تكون القوات البريطانية المرابطة في منطقة قناة السويس وراء ظهره ، وقد ظل النقراشى على هذا الموقف حتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨ ، ولكن بين عشية

(١) يذكر بن جوريون أن الخسائر كانت ٥٠٠٠ قتيل

وضمها تغيير هذا الرأي (١) فجأة فطلب من رئيس مجلس الشيوخ في ١٢ مايو عقد البرلمان في جلسة سريعة لطلب دخول القوات المسلحة أرض فلسطين ، وعرض الموضوع على البرلمان بيانات غير دقيقة أدت به إلى الموافقة على إعلان الحرب .

وقد رأى الملك فاروق في المشكلة الفلسطينية ما يمكنه من استرداد بعض سمعته التي كانت قد أنهارت في العامين السابقين ، وأن يدعم بدخول الحرب هيئته ومن ناحية أخرى يهدئ من الفوران الشعبي للرأي العام المصري ، وقد أمر الملك فاروق وزير الدفاع محمد حيدر كي يأمر الجيش المصري باجتياز الحدود ، وتحرك الجيش المصري بالفعل دون علم رئيس الوزراء ومن غير انتظار لقرار البرلمان أو مجلس الوزراء .

وفي ١١ مايو ذكر الملك إلى مراسل اليوناني تدبرس بحديث سياسي قال فيه أنه خرج عن حدود وظيفته الدستورية التي تلزم الملك ألا يعمل إلا بواسطة الحكومة ، وأضاف أنه سيمد الأخوان العرب بكل مساعدة عسكرية ومالية واقتصادية وأنه لن يقبل أن تقوم دولة صهيونية على مقربة من حدود مصر وأنه لا بد من استعمال القوة . (٢) .

وبدأت الحرب بحماس منقطع النظير ولكنها خلال شهور قليلة انتهت بالهزيمة وكان الرأي العام المصري — كما يذكر (٣) جون مارلو — قد أبقى جاهلاً بتطورات الحرب وتسربت إليه أخبار الهزيمة تدريجياً كما يتسرب بالتدرج خبر موت أحد الوالدين إلى طفل صغير حساس .

(١) وهو ما يذكره الدكتور محمد حسين هيكل — وكان يشغل رئيس مجلس الشيوخ المصري وزعيم حزب الأحرار المشارك في الحكم آنئذ — في مذكراته في السياسة المصرية — الجزء الثاني ص ٣٢٥-٣٣١

(٢) الأهرام — القاهرة — ١٢ مايو ١٩٤٨

(٣) Marlowe, John, Anglo - Egyptian Relations 1800 - 1850 (٣)
London 1954 pp 330 - 332.

٢٦٩

وعموماً فقد مر النظام المصرى كله بفترة كان فيها على وشك الانهيار، وقد استغلت الحكومة المصرية موجة الحماس لدى الرأى العام المصرى وفرضت الأحكام العرفية لنفرض حكم الحديد والصمت على الأحرار جميعاً من كافة الاتجاهات السياسية وأعلنت بغيز تكتم أزماعها لإنشاء معتقل فى جزء من ثكنات (١) العباسية ، وفرضت الرقابة على الصحف واستخدمت سلاحاً ضد المعارضة وشملت ما لا يتصل بأمن الجيش وعلى ماشكى منه فؤاد سراج الدين - حزب الوفد - فى مجلس الشيوخ .

كذلك فقد قويت شوكة الإخوان المسلمين لاعتبارهم الحرب دينية، ويذكر أحمد حسين (٢) أن معركة فلسطين أملتهم بفرصة ذهبية لحشد السلاح والتمرن على استعماله من أجل فلسطين وأنهم جمعوا كميات الأسلحة تحت ستار تجهيز المتطوعين إلى فلسطين وهم يعدونها لإحداث انقلاب بالقوة فى مصر ، وقد قررت الحكومة المصرية حل جماعة الإخوان المسلمين فى ٨ ديسمبر عندما استشعرت بنشاط الإخوان الأرهاى وذلك على حد قول البعض (٣) ،

ثم زاد نشاط الإخوان المسلمين خلال وبعد وقوع الهزيمة حيث قتلوا أحمد الخازندار رئيس محكمة الجنايات فى مارس ١٩٤٨ وألقوا المتفجرات على المحلات اليهودية فى القاهرة - شيكوريل واركو فى يوليو ١٩٤٨ - وبنزايون وجاتينيوف فى أغسطس ، وشركة الإعلانات الشرقية فى نوفمبر ١٩٤٨ ، واغتيال حكمدار القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٨ .

وقد أدى هذا بالحكومة إلى حل جماعة الإخوان المسلمين ، وقد ردت جماعة الإخوان على ذلك باغتيال رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ثم محاولة نفس دار محكمة الاستئناف فى ١٣ يناير

(١) الدكتور / محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، مرجع سابق

(٢) أحمد حسين : واحترقت القاهرة - القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ٣١٣ - ٣١٥

(٣) طارق البشرى - الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - الهيئة العامة للكتاب ،

١٩٤٩ ، ومع لزيادة العنف دبر الملك فاروق والحكومة اغتيال الشيخ حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩ .

ثم تصاعدت خلال حرب فلسطين أيضاً - وبعد قتل النقراشي خاصة أعمال العنف السياسي وبلجات حكومة إبراهيم عبد الهادي إلى أعمال الضغوط على الحريات والاعتقال والتعذيب ومارست سائر أنواع الإرهاب والتخويف لجميع التيارات الثورية والوطنية المعارضة ويصف لاكويتر (١) ذلك أصدق وصف قائلا « أن الحرب الفلسطينية قد شهدت بداية معسكرات التعذيب المصرية » .

كذلك فإن وزارة إبراهيم عبد الهادي قد حكمت والخوف (٢) يسيطر عليها مما أدى إلى الوقوع في أغلاط كانت عدوانا شنيعا على الحريات والحقوق وعلى الدستور ومبادئه .

ومن هنا ساد الرأي العام المصري إحساس بالتوجس من المستقبل وبدأت مصر تعيش على فوهة بركان فقد كانت حرب فلسطين لإحتكاما للسلاح في صراع سياسي رسم للحركة السياسية المصرية طريقها واضحا .

ومما يؤسف له أن مبدأ السلاح منذ ذلك الحين - وخلال فترة البحث قد حل تدريجياً محل مؤسسات الدستور وبالتالي فقد حل الصراع بواسطة العنف والسلاح وتكتميم أفواه المصريين - محل الصراع من خلال المؤسسات الدستورية ولاغربة الأمر كذلك أن يحل العنف الاجتماعي محل الصراع السلمي .

ثانيا :

حذرت الحكومات العربية الأخرى حذو مصر فاتبعت نفس الأسلوب واستخدمت خطة عمل مشتركة تهدف لتدمير إسرائيل أو تحصرها في أضيق

(١) Lacouture, Egypt in Transition, op. cit p 103.

(٢) محمد زكي عبد القادر - مجلة الدستور ، القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ٤٧

نطاق ، وظلت الحكومات العربية تحت تأثير أن هذه المهمة يمكن إنجازها بقوات صغيرة ، وقد جاء قرار الاشتراك في الحرب ليكون أكثر من دالة على شكوكهم المتبادلة والتي في غير محلها كما ثبت بعد ذلك بالإضافة إلى عدم تقدير المتطلبات العسكرية الضرورية وهذا يرجع إلى المفهوم العربي الجاهل والخطأ عن تقدير القوى الإسرائيلية ،

واعتقد الزعماء العرب أن القوات اليهودية الكاثنة في فلسطين والتي أرادوا غزوها في أبريل ١٩٤٨ هو المجموع الكلي للقوات ، وفي الحقيقة فإنه نظراً لروح الجالية اليهودية في فلسطين وبعد نظر زعمائهم الذين جمعوا كميات هائلة من الأسلحة والمعدات على السفن من موانئ أجنبية ومستعدة للتحرك بمجرد توقف السلطة البريطانية في فلسطين وقد لوحظ أن هذه القوات كانت تزايد بمعدل سريع من أسبوع لآخر .

ومن الحقائق التي لا يعرفها الكثيرون أنه عند بداية الحرب ، فلإننا نجد أن اليهود الذين كان يبلغ عددهم حوالي ٧٠٠ ألف كان لهم عدداً معبأً أزيد عما هو معبأً لدى الدول العربية والذين يبلغ عددهم ٤٠ مرة مثل إسرائيل ، ومع ذلك كان لدى العرب فرصة لكسب الحرب في الأسابيع القليلة الأولى عندما كانت القوات الإسرائيلية غير جيدة التنظيم ولم تكن قد استوعبت بعد كل المعدات التي حصلت عليها .

ثالثاً :

ولم تكن حرب فلسطين كالحروب العادية ، أي اختباراً حراً للقوة ولكنها كانت تتخللها الهدنة وإيقاف النار الذي يفرض عليها من معارج .

ومن الناحية الرسمية استمرت الحرب ثمانية شهور منذ بدء الغزو حتى طلبت مصر الهدنة ، ويلاحظ أن القتال الفعلي حدث خلال ١/٣ هذا الوقت وعلى أربع فترات تغطي كل مدة الحرب ،

ومن خلال التنازلات في الأمم المتحدة عقب ذلك — اكتشف العرب

حقيقة جديدة كانت موجهة لموقفهم بعد ذلك وهي الموافقة الضمنية ، من جانب الطرف الأقوى في الحرب وقدرته على استئنافها ، ومن ثم يستطيع أن يفرض ضرراً أكبر على الطرف الآخر ، وبالتالي اكتشفت الحكومات العربية في ذلك الوقت أنها سوف تكسب القليل وتخسر الكثير إذا عقدت سلاماً مع إسرائيل .

كذلك تضمنت (١) الحرب تعديلاً بعيد المدى لخطة التقسيم الخاصة بالأمم المتحدة ، وفشلت الدولة العربية التي تصورتها هذه الخطة في الظهور وقسمت الأرض المخصصة لها بواسطة إسرائيل والأردن ومصر ، طبقاً لإنفاقيات الهدنة وحصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٥٠٠ ميل مربع وهو ما أضافته إلى ٥٦٠٠ ميل مربع التي منحتها لها خطة التقسيم ،

كذلك تضمنت الحرب أيضاً تعديلاً كبيراً في السكان ، فلقد أزيح ما يزيد على ٧٠٠ ألف فلسطيني عربي - كانوا يعيشون في المنطقة - خلال القتال قبل وبعد ١٥ مايو ١٩٤٨ - وانتهى وضعهم إلى أن أصبحوا لاجئين موزعين كالتالي :

٦٠٪ في الأردن - ٢٠٪ في قطاع غزة - ٢٠٪ في سوريا ولبنان أصبحوا جميعاً من اللاجئين وجاء قرار الأمم المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ لينص على أن من يريد منهم العودة ويعيش في سلام مع جيرانه يجب أن يسمح له بذلك ونشأ جدال كبير عندما ترك اللاجئون الفلسطينيون أرضهم للسيطرة اليهودية تحت تهديد القوة .

رابعاً :

أن النتيجة الثالثة لحرب ١٩٤٨ هي بلورة (٢) التفرق العربي حتى

Dranath, op. cit, p 42.

(١)

Safran, op. cit., p 37.

(٢)

في مواجهة عدو مشترك - Crystallization of Arab disunity فكانت هذه التفرقة كامنة وموجودة بسبب اختلاف الأهداف للدول العربية فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكرياً كي يؤمن لنفسه أجزاء من فلسطين التي خصصت للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن - العراق بإلغاء التقسيم كلية وضمان أكبر قدر من الأرض لدولة عربية فلسطينية « عميلة » (١) .

وقد بدأت هذه الاختلافات تتضح عندما تحدت حدود التقدم العسكري العربي ثم أراد الملك عبد الله وقف القتال والاستيلاء على ما وصل إليه في حين أن مصر أرادت الاستمرار في الحرب على أمل تحقيق هدفها .

وعندما أدت المفاوضات إلى خسائر في جيش الملك عبد الله ، فقد قرر أن يبقى خارج الحلبة في الجولة القادمة تاركاً القوات المصرية تنهزم وتطرد من النقب وفي النهاية دخل القتال إلى الأرض المكشوفة في حين الحق الأردن رسمياً به الأرض التي تمت سيطرته وأقامت مصر حكومة عربية فلسطينية في غزة .

ومما هو جدير بالملاحظة أنه في أثناء فترة سريان الهدنة اجتمع أهم المسئولين المصريين في عمان عند الملك عبد الله .

وقد روى الملك عبد الله قصة هذا الاجتماع قائلاً :

« أراد النقراشي باشا رئيس الوزراء المصري أن يناقش موضوع الحكومة العربية لسائر فلسطين - حكومة عموم فلسطين - فرد عليه الملك أنه قد يبدو أكثر إلحاحاً أن تتجه الدراسة إلى الأوضاع العسكرية ، فقال النقراشي أن الأوضاع العسكرية لا تثير أى قلق لأن الجيش المصري ثابت في مواقعه جميعاً . وإذ سأله الملك عبد الله هل لديه علم بأن بترسيم قد سقطت وأن الفالوجة محاصرة ، عندئذ ثار النقراشي وذهب يتهم الدول العربية الأخرى بأنها قد تخلت عن مصر . وهنا رد السوريون واللبنايون والعراقيون قائلين

(١) يقصد Safran بلفظ « عميلة » هنا - أى تابعة لمصر والسعودية .

إنه لم يعد في استطاعتهم فعل شيء ، إذ أن الهدنة كانت قد أعلنت ، ولكنهم سوف يحرصون على التدخل في المرة القادمة و وعد جميل مردم بك بأنهم إذا ما حدث ذلك يوماً فإن الجيش السوري سوف يحتل الناصرة وصفد ، وهذه المواقف من المسؤولين العرب كانت بدون شك لحماية كرامتهم وضرورة لبقائهم السياسي ، فبعد أن أثاروا شعورهم إلى درجة كبيرة من الحماس من أجل المشكلة الفلسطينية ولتقوهم بتصريحات متوقعة للانتصارات وأخفوا عنهم التدهور في الموقف العسكري بقدر ما استطاعوا فإنهم لم يستطيعوا عقد سلام دون أن يضعوا أنفسهم في موقف حرج لأن السلام يعني حين ذلك إما تنازل عن معظم فلسطين لليهود بعد حرب حورت لمنع هذا الظلم ، وأما أن يعني السلام اعترافها بالهزيمة وهو ما يمكن أن يعزى إلى سوء إدارة الحرب المزرى من جانب الحكومات العربية .

ولقد نتج عن ذلك أيضاً أن إسرائيل كانت تأخذ بحرص وحسن نصريحات الزعماء العرب وأعتبرت أن كل هذه التصريحات التحقيقية والمنسوبة للزعماء العرب هي خطة لتدميرهم ، ومن ثم استجابوا لها ، ومن هذه التصريحات ما أعلنه عزام باشا الأمين العام للجامعة الدول العربية حينئذ في مقابلة صحفية قائلا (١) :

Safran, op. cit, p 43.

(١)

وذلك نقلاً عن :

Wolfgang Bretholz, Aufstern der Araber, Munich 1960, pp 215-216.

والنص كما جاء باللغة النص هو :

« We have a secret weapon which we can use.

Better than guns and this is time . As long as we do not make peace with the zionists, the war is not over, and as long as the war is not over there is neither victor nor vanquished as soon as we recognize [the existenco of 'the State of Israel, we advist by this act that we are vanquished».

« إننا نمتلك سلاحاً سرياً نستطيع أن نستخدمه أفضل من المدافع والمدافع
الآتوماتيكية وهو الزمن، فطالما أن الحرب لم تنته فليس هناك منتصر
أو منهزم ، وإذا أعترفنا بوجود إسرائيل فسوف نعرف بأننا هزمنا » .

وهكذا أغرقت (١) الحكومات العربية شعوبها في آمال غير معقولة لتحقيق
مستقبل لا يمكن التنبؤ به .
خامساً :

وحطمت حرب فلسطين كل إمكانية أمام السياسة البريطانية لرسم
إستراتيجية للشرق الأوسط تعتمد على التعاون مع جامعة الدول العربية (٢) ،
والذى حدث بالفعل أن الجامعة العربية قد شلت نتيجة للحرب ، كما أن
موقف الاتحاد السوفيتى كان غير متعاون مع العرب في قضيتهم ، وقد كشف
وجه الولايات المتحدة الأمريكية ضد العرب الأمر الذى ساعد على تعميق
الشعور بوجوب سياسة محايدة لإراء صراعات الدول الكبرى ، كذلك أكدت
النكبة « يلقنه » الشرق الأوسط إلى دول صغيرة ،

والخلاصة أن نكبة فلسطين قد تركت أثراً عميقاً لدى الرأى العام
العربى بأكمله — بل أن أى قدر من الدعاية لا يمكن أن يخفى ما عانته
الشعوب العربية من خزي الهزيمة كما أكدت الهزيمة للثوريين فى مصر
أن قيادة البلاد يجب أن يطاح بها بعد أن عاد الجيش المصرى باقتناع
عميق بأن قاداته قد غدروا به ، ويذكر لا كوتير أن النتيجة المباشرة والعميقة
كانت تفكك الدولة وجميع تنظيماتها ولم يبق إلا الإطار العام^١ . ولم تمر مصر
بفترة أقسى من هذه الفترة فى أعقاب النكبة نتيجة لما عاناه الجيش المصرى

(١) للاطلاع على انعكاس نكبة ١٩٤٨ على الرأى العام العربى يوجع إلى :

الدكتور / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — مرجع سابق
٤٧٥ - ٤٧٦ - دكتور / ابراهيم أبو لغد - تهويد فلسطين ، فبراير ١٩٧٢ ص ٣٥٧ حيث
تضمن بحثاً بعنوان سياسة الدول العربية تجاه إسرائيل بقلم مايكل س . هدسون

Marlo, John, op. cit, pp 331 - 332.

(٢)

من الانهيار والتدهور فضلا عن الحملة الصهيونية ضد مصر قد بلغت أوجها في صحافة العالم وذلك بالإضافة إلى تشريد الإخوان المسلمين وتدهور الحالة الاقتصادية في البلاد (١).

المراحل الزمنية لحرب ١٩٤٨ تسلسل تاريخ للأحداث :

ديسمبر عام	١٩٤٧	بدء الإضطرابات الخطيرة الأولى نتيجة لقرار تقسيم فلسطين والمواجهة بين العرب واليهود .
يناير عام	١٩٤٨	ظهور العناصر الأولى لجيش الإنقاذ العربى فى فلسطين - العرب يقطعون الطريق الموصلة بين تل أبيب والقدس .
مارس عام	١٩٤٨	اليهود يفشلون فشلا تاما فى محاولاتهم لإعادة فتح الطريق بين تل أبيب والقدس .
٩ ابريل	١٩٤٨	اليهود يستولون على القسطل جزيرة دير ياسين
٢٢ أبريل	١٩٤٨	إستيلاء اليهود على حيفا
١٠ من مايو	١٩٤٨	إستيلاء اليهود على صفد
١٤ من مايو	١٩٤٨	العرب يستولون على كفار اتزيون
١٥ من مايو	١٩٤٨	إعلان قيام دولة إسرائيل
١٦ من مايو	١٩٤٨	تدخل الجيوش العربية فى فلسطين
١٥-٢٨ مايو	١٩٤٨	القتال من أجل القدس
٢٨ مايو	١٩٤٨	إستسلام اليهود فى مدينة القدس القديمة

(٣) تفصيل ذلك فى :

Little, Tam, Egypt. p 177

محمد زكى عبد القادر - لجنة الدستور ، مرجع سابق ص ١٤٦ ، طارق البشرى - مرجع سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٤

Lacouture, op. cit, pp 103 - 104.

- ٣٦ يونيو عام ١٩٤٨ المصريون يتوقفون عند أشدود على بعد ٣٠ كيلومتراً من تل أبيب .
- السوريون يستولون على مشمار هاباردن
- ١١ يونيو - ٨ يوليو ١٩٤٨ الهدنة الأولى
- ١١-١٢ من يوليو ١٩٤٨ الإسرائيليون يستولون على اللد والرملة
- ١٩٤٨ ١٩ من يوليو الهدنة الثانية
- ١٥ من أكتوبر عام ١٩٤٨ عودة القتال بين الإسرائيليين والمصريين في النقب .
- ٢١ من أكتوبر عام ١٩٤٨ الإسرائيليون يستولون على بئر سبع - حصار المصريين في الفلوجا
- ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٤٨ توقف المعارك
- ٢٨ - ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ الإسرائيليون ينتصرون في عملياتهم في الشمال - اختراق الحدود اللبنانية .
- ٢٢ من ديسمبر ١٩٤٨ عودة المعارك بين الإسرائيليين والمصريين في الجنوب
- ٢٧ من ديسمبر ١٩٤٨ الإسرائيليون يجتازون الحدود المصرية
- ٦ من يناير ١٩٤٩ مصر تطلب عقد الهدنة

الباب الثاني

تطورات مشكلة فلسطين من اتفاقيات الهدنة ١٩٤٩

إلى العدوان الثلاثي

خلال السنوات السبع التي تلت إبرام اتفاقيات الهدنة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦ - استمرت المشكلة الفلسطينية عموماً والصراع العربي الإسرائيلي على وجه الخصوص - حياً في مجالين :

المجال الأول :

هو المجال السياسي حيث حاولت الأمم المتحدة عبثاً أن تحمل كل من العرب والإسرائيليين على قبول التسوية السلمية للخلافات الناشئة بينهما . وبعد ذلك حاولت الأمم المتحدة أن تجد المسكنات لهذه الخلافات :

المجال الثاني :

هو الأرض نفسها على طول خطوط الهدنة ، حيث تكررت الحوادث التي أخذت تزداد عنفاً يوماً بعد يوم إلى أن انتهت بالعودة إلى الحرب صراحة .

الفصل الأول

تطورات مشكلة فلسطين على الصعيدين الدولي والعربي

السياسة الإسرائيلية :

بعد إنشاء الدولة أصبحت الدولة الجديدة بمثابة جيتو كبير - كل من خارجها غريب لا يطمأن إليه ، وبالتالي نجد استمراراً لنفس العملية النفسية التي يشهرونها إليها علماء النفس بالشريط Conditioning فتصور القادة انعكس في كل سياساتهم مثل الدفاع والحرب وسياساتهم الداخلية مثل التعليم والدعاية وغسيل المخ . . . إلخ :

ولقد أرسيت قواعد هذه السياسات منذ مرحلة مبكرة في التاريخ الصهيوني بفلسطين بواسطة القادة الذين أتوا (أو أتت أسرهم) من أوروبا الشرقية ، ولم يكن بوسع من أتوا من أماكن أخرى وبخاصة يهود أوروبا الغربية على حياة الحبش وما يرتبط بها من تصورات ومشاعر إلا أنهم وأبناءهم تعرضوا لبرامج الصهيونية Zionization والمذهبة Indoctrinization وغسيل المخ من اللحظة التي وطأت فيها أقدامهم أرض فلسطين .

كذلك فإن الاعتراف بإسرائيل الدولة المستقلة من جانب دول كثيرة العدد يبنها كل الدول الغربية ، كان انتصاراً للصهيونيين ، ولكن تسوية النزاع لم تتحقق بعد النصر العسكري الإسرائيلي على الجيوش العربية المواجهة ، فرفض الفلسطينيون والحكومات العربية رفضت أيضاً الإقرار بهزيمتهم النهائية أو بنجاح إسرائيل العسكري كدولة على انتهاء النزاع :

وقد تحدت سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية بعاملين إثنين .

١ - الأهداف الإقليمية للحركة الصهيونية لم تتحقق بعد ،

٢ - الشعب الفلسطيني لم يستسلم أبداً لتشريده من وطنه ،

وقد لاحظ أحد الباحثين (١) أن سياسة إسرائيل رمت آتئذ إلى أهداف ثلاثة - هي :

أولاً : قصم الظهر لما تبقى من المقاومة الفلسطينية .

ثانياً . انذار الدول المجاورة بأن لا يواءمها لحركات المقاومة الفلسطينية في الأراضي الواقعة تحت سيادتها ، سوف يتسبب لها على الفور في تدخل القوات المسلحة لشؤونها الداخلية .

ثالثاً : الحفاظ على مستوى عال ، إنما قابل الاحتمال ، من التوتر على حدود إسرائيل بحيث يسدى هذا خدمات لأغراض السياسة الداخلية في الدولة الجديدة - أي خدمات من شأنها تعزيز الأمن التي تشد مواطنيها وتدعيم تسلطها من المؤيدين لها في الخارج .

فالقيادة الإسرائيلية ، إذ عملت بموجب هذه المقدمات ، توصلت إلى استنتاج مفاده أن البراعة العسكرية الفائقة هي وحدها الكفيلة بحمل الدول العربية على القبول بإسرائيل كما تكونت بعد عام ١٩٤٨ . ونظراً للإسرائيليون إلى المعارضة العربية بأنها بعيدة عن الواقع وغير عقلانية إلى حد كبير .

لكن إسرائيل اكتفت بالامتناع عن خوض مجابهة عسكرية واسعة النطاق مع الدول العربية المعادية طالما أن تلك الدول كانت متهمكة على نحو رئيسي بالمشاكل الداخلية ، وفي حالة انكفاء ذاتي - كما سوف يرد ذلك تفصيلاً - أضف إلى ذلك الخلافات العربية والانقسامات التي أوجدت وضعاً ساد خلاله توازن متغلغل للقوى بين إسرائيل والدول العربية ، لكن هذا الوضع أتاح الفرصة أمام إسرائيل لكي تركز جهودها على تطورها الداخلي بالذات .

(١) Abu - Lughod, Ibrahim ed. The Arab - Israeli confrontation of June 1967 : An Arab Perspective Evanston, 1970, 11. Northwestern University Press, 1970 P, 11.

كذلك - تتمين الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٤ بتطوير المؤسسات الإسرائيلية وبناء قوة عسكرية قادرة على إنزال هزيمة بالهجمات العربية المحتملة ، وغالبا ما جرى تصوير الجيش باعتباره يؤلف قوة رائعة في ميدان التأهيل الاجتماعي للمهاجرين اليهود المنحدرين من بيئات متفرقة . فقد لاحظ بن جوريون أن :

« العداء المستمر من جانب العرب قبل إنشاء الدولة أدى إلى قيام مجتمع يهودي أكثر تماسكا في البلاد ومنذ ذلك الحين ، كانت العداوة العربية المتأصلة حافزا لتطور إسرائيل (١) .

وادعت القيادة الإسرائيلية بأن العرب لا يرغبون في اقتلاع دولة إسرائيل من جنودها فحسب ، بل يريدون إبادة سكانها أيضا . ومع أن بيانات السياسة الإسرائيلية وتصريحاتها الموجهة إلى الغرب شددت على استعداد إسرائيل للعيش مع جيرانها العرب ، فقد كان الناس في إسرائيل يشهدون حالات مفرطة من التشكيك حيال الحكومات العربية ، والزعماء العرب جرى اعتبارهم فاسدين وغير ديمقراطيين ، وعلى العموم أعتقد القادة الإسرائيليون أن الدخول في مفاوضات مع العرب هو إما غير ذي جدوى أو ضرب من المحال . فالملك عبد الله كان يعتبر الشواذ الوحيد عن القاعدة : وطيلة فترة قصيرة من الزمن عقد الزعماء الإسرائيليون آمالهم على التفاوض بشأن صلح منفرد مع الملك عبد الله ، لكن اغتيال الملك عبد الله عام ١٩٥١ وضع حداً لكل مفاوضات مع هذا القبيل (٢) .

أن انعدام المعقولة لدى الزعماء العرب برهن عليه في أعين الاسرائيليين عدم استعداد هؤلاء الزعماء لاتخاذ خطوات حاسمة في توطين اللاجئين الفلسطينيين ، وكانت الدول العربية شأنها شأن إسرائيل في هذه الفترة منعكفة على علاج مشاكلها الداخلية وفي حالة انكفاء ذاتي كما سيوضح ذلك مما يأتي .

Ben - Gurion, David, Looks, Back, in talks with Moshe (١)

Pearlman, N. Y., simon & schuster, 1958 p. 125

(2) Ibid. p 157.

الانكفاء الداخلي في العالم العربي نتيجة للنكبة

تمكنت القوات الصهيونية من دحر الجيوش العربية المتحالفة ، وراح سبع مائة ألف لاجئ يقيمون الدليل البائس على الهزيمة ، وأصيب الرأي العام العربي بالصدمة العنيفة بعد أن استقر في ، الأذهان بأن الجيوش العربية تنوى اجتياح فلسطين وشن المذابح ضد اليهود (١) ، ووجدت الشعوب العربية نفسها مضطرة إلى قبول الإذلال في شكل معاهدات الهدنة ، وهزت الصدمة فيها الشعور الوطني الذي كان قائماً على الإقطاع فأصبح منذ ذلك الحين من نصيب الجيوش الشعبية تحمله وثبت فيه لوناً من ألوان الاشتراكية .

وعموماً فإن نتائج الانتصار الإسرائيلي على الرأي العام العربي كانت في غاية الأهمية ولكنها لم تبلور إلا بعد مضي وقت طويل ، لقد لحقت بالعرب إهانة لا مثيل لها نتيجة لهذه الهزيمة ، ففي الوقت الذي بدأ فيه الأمل يظهر في التخلص من السيطرة الغربية جاءت « مستعمرة غربية » (٢) لنشبت للعرب بأنهم ضعفاء ومن الممكن هزيمتهم بسهولة ، ولقد كانوا في حالة من الضعف والعجز لا تمكنهم من القتال فأخفقوا ، أضف إلى ذلك عدم خبرتهم العسكرية فحققت عليهم الهزيمة .

أما الأحزاب العربية القديمة الحاكمة آنئذ فلم تكن تعرف مزاوله سياسة أخرى غير تلك التي كانت تزاولها دائماً ، ولكن الغضب كان يثير لدى الرأي العام العربي في كل قوى جديدة تسخط على هذه السياسة ، وتكشف القناع عن العيوب الداخلية لهذه الأحزاب ، وتكشف من خلال هذه السياسة وهذه العيوب الأسباب الحقيقية للهزيمة ، وقد كان بعض العرب من ذوي التفكير الاجتماعي يبحثون بعمق عن معنى « الكارثة » طبقاً لعنوان كتاب المؤرخ اللبناني

David Ben Gurion and Moshe Pearlman, Ben Gurion (١)

looks back : in talks with Moshe Pearlman (New York 1965) : pp 9, 28

Rodinson, Maxime : op. cit, pp 28 - 39.

(٢)

« قسطنطين زريق » - من خلال عيوب المجتمع العربى وأسلوبه فى التفكير ، ولكن هذه القوى الجديدة أى هؤلاء الشبان الممتازين الذين استبعدوا من الحكم كانوا قلقين ولم يكونوا يشقون فى مزايا الإصلاح البعيد الذى يعده مخططو التعليم الطويل المدى وكيف يمكن . بالفعل أن يتم ذلك فى إطار هيكل سياسى فاسد ؟

وهكذا تكونت لدى قطاعات الرأى العام العربى فى كل مكان مجموعات من الشباب المجاهد هدفها المباشر القضاء على هذه الهياكل القديمة الضارة . حقيقة لقد ناضلت الأحزاب القديمة من أجل الاستئلال وضد الاعتداء الصهيونى ، ولكن عيوبها الداخلية كانت غاية فى الوضوح ، فقد كان أهم ما يشغل بال هذه المجموعة من الملوك والأمراء والإقطاعيين هو مصالحهم الخاصة ، ولم يستطيعوا الاتحاد مع تقديم التضحيات اللازمة ، ولم تكن لديهم خبرة « بالتكتيك » الحديث الذى يعتبر سر نجاح الحكم الحديث ، وكان ميلهم إلى ممارسة السياسة بطريقتهم الارتجالية بمنعهم من رؤية الاختبارات الاجتماعية الكبرى وتعبئة الجماهير العريضة بطريقة فعالة ، ولكنهم كانوا فاسدين وعاجزين وركنوا إلى الإيمان بمساعدة العالم الأوروبى وبصفة خاصة مساندة بريطانيا ، ولكن بريطانيا لم تستطع أن تمنع انتصار اليهود إذا افترضنا أنها كانت ترغب فى ذلك ، وقد أيد العالم الأوروبى والأمريكى على السواء هذا الانتصار ومن هنا فقد كان من الواجب البدء فى القضاء على هذه الجماعات الضارة المرتبطة بسياسة ثبت فشلها بطريقة ظاهرة .

وعموماً فقد قامت البلاد العربية منها على الأقل من يشترك مع إسرائيل فى حدود واحدة تحت تأثير الصدمة بتبديل نظام الحكم فيها أو بتغيير حكامها القدامى .

وسوف نستعرض فى تفصيل غير قليل كيف انعكست الهزيمة على الرأى العالم العربى فى الدول العربية من ناحية ، وعلى الانكفاء الداخلى لهذه الدول من ناحية أخرى .

سوريا :

كانت سوريا المركز الأول للقومية العربية التي تأثرت جداً للهزيمة لاقتها من إسرائيل، فهي الدولة الأولى التي انفجر غضب قطاعات الرأي العام علناً، وكانت سوريا لإحدى الجمهوريات ذات النظام الأكثر تفتحاً من الممالك العربية آنئذ، ولا تمسك على أرضها أية قوات أجنبية ولا تعوقها مشكلات لبنان حول التوازن بين الإسلام والمسيحية، وقد جمع المثقفون فيها بين تأثير اليسار الفرنسي والأيدولوجية القديمة العربية، ولهذا فإن الغضب الشعبي كان يمكن أن يعبر عن نفسه فيها أكثر من أى مكان آخر، ومنذ شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ اندلعت اضطرابات عنيفة ضد جماعة شكري القوتلى وبدأ الجيش الذى استدعى لحفظ النظام يشعر بقوته، وفي ٣٠ مارس سنة ١٩٤٩ تولى حسنى الزعيم مقاليد الحكم، وكان هذا أول انقلاب عربى بعد نكبة ١٩٤٨، وقد تبعته انقلابات أخرى بعد ذلك، فقد أدت المشكلات المعقدة والخاصة بالتحالف المصرى السعودى والانفتاح صوب العراق مع ما صاحبه من رغبة فى المزج بين الاتجاهات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية إلى ظهور ديكتاتوريتين عسكريتين هما ديكتاتورية «الحناوى» (أغسطس - ديسمبر ١٩٤٩)، ديكتاتورية «الشيشكلى» (ديسمبر ١٩٤٩ - فبراير ١٩٥٤) - وكان الشيشكلى قد حارب فى فلسطين، ولكن كان يجب على القادة العسكريين على حد قول أحد المستشرقين (١) - أن يعملوا حساباً للرأى العام العربى وللأحزاب السرية أو القانونية والقوى الضاغطة بأشكالها المختلفة .

ومنذ عام ١٩٥٠ كان من الواضح فى سوريا أن الاتجاه المحايد فى السياسة الخارجية قد انتصر فى ميدان الرأى، وكذلك تدعم نفوذ الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى، كذلك فقد بدأت قوة حزب البعث فى التصاعد، وحاول أن يعبر بدقة وعلى أساس علمانى عن أيدولوجية القومية العربية الوحلوية مع تدعيمها بالاشتراكية .

وفي سبتمبر عام ١٩٥٤ وفي الانتخابات الأولى التي تلت سقوط الشيشكلي تم انتخاب ٢٢ بعثياً في البرلمان وكذلك الزعيم الشيوعي خالد بكداش وكانت هذه هي المرة الأولى التي يحصل فيها اليسار على هذا النجاح في العالم العربي ولا شك أن هذه الأحداث ترجع في جانب كبير منها إلى الهزيمة في فلسطين من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أثرت هذه الأحداث في سوريا في المشكلة الفلسطينية بعد ذلك .

أما في لبنان فقد اهتزت الأمور لفترة ولكنها لم تعد إلى الاستقرار إلا بفضل التدخل الحكيم من قبل رئيس الجيش اللواء فؤاد شهاب عام ١٩٥٢

العراق :

انعكست الهزيمة على الرأي العام في العراق وحدثت اضطرابات عديدة ، ولكن السياسى المعجوز الموالى لبريطانيا والذي عاصر عهد فيصل « نوري السعيد » ملك زمام الموقف بالرغم من أنه بالإضافة إلى ولي عهد العراق - الأمير عبد الإله (١) - لم يكونا مهتمين كثيراً بإسرائيل .

ولعل أهم مظاهر الانكفاء الداخلى في العراق آنئذ هو أن موقف نوري

(١) عموماً فقد تخلى عبد الإله عما كان قد أعلنه عام ١٩٤٥ عندما أصدر في ١٧ ديسمبر بياناً يعلن فيه العزم على تأليف الأحزاب والجمعيات السياسية والاتجاه نحو حياة ديمقراطية صحيحة وقد تقدمت ست فئات سياسية بطلب الموافقة على تكوين أحزاب لها إلى حكومة السيد توفيق السويدي فأجازت خمسة منها مع أن الأحزاب الخمسة هذه لم تجد المجال الذي يمكنها من ممارسة نشاطها ولم يسمح لبعضها في إنشاء فروع لها خارج بغداد ، وقد ضيقت الحكومة العراقية الخناق عليها ووضعت أعضائها تحت رقابة الشرطة وزج البعض منهم في السجن وعطلت بعض صحفها إثر هزيمة ١٩٤٨ في فلسطين - الأمر الذي أدى إلى ضعف السلطة التشريعية وتردى الحياة البرلمانية في العراق في هذه الفترة .

عبد الناصر محمود ، ظاهرة عدم الاستقرار السياسى في العراق ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٧٣ - ص ٢١٩

السعيد (١) لم يكن غير واجهة فقط فقد بدأت أحزاب المعارضة تدفع الناس للكلام عنها كثيراً كما أن الحيايد والاشتراكية كانا يزدادان قوة ، وكذلك الشيوعية على الرغم من عمليات القمع القاسية التي كانت تواجهها (٢) . وتمخضت انتخابات يونيو عام ١٩٥٤ عن ظهور كتلة من ستة وعشرين معارضاً لسياسة « نوري السعيد » الذي خسر حزبه بعض المقاعد ، وقام بحل البرلمان وإلغاء ثمانى عشرة جريدة وأعلن قرارات قمع ضد الشيوعيين ، كما تم إغلاق مكاتب حزب المعارضة الرئيسى وبعد ذلك جاءت بالطبع نتائج انتخابات سبتمبر أفضل بكثير ولكنه كان انتصاراً كاذباً (٣) .

مصر :

اضطر الملك فاروق في يوليو سنة ١٩٤٩ إلى أن يشرك « الوفد » وهو الحزب الوطنى القديم المعارض لبريطانيا في وزارة اتحادية ، وكان الوفد قد فقد جزءاً من مكانته لأن بريطانيا هي التي فرضته على الملك أثناء الحرب العالمية الثانية لأنها كانت ترغب في وجود حكومة شعبية قادرة على حفظ النظام في الدولة وخيبت سياسته الاجتماعية - أو بالأحرى عدم وجود سياسة اجتماعية على الإطلاق - الآمال ولكن لم يكن هناك حزب آخر قادر على التعبير عن المشاعر الوطنية ، وفي يناير ١٩٥٠ أعطت الانتخابات للوفد ٢٢٨ مقعداً من مجموع عدد المقاعد البالغ ٣١٩ ، وقد استبعد هذا الانتصار الحزب الذى اتهم بأنه المسئول عن هزيمة فلسطين .

وفي أكتوبر عام ١٩٥١ ألغى « النحاس باشا » من جانب واحد المعاهدة التي كانت قد عقدت بين مصر وبريطانيا في عام ١٩٣٦ وتبع ذلك اندلاع

(١) محمد توفيق حسنين : عندما يثور العراق ، دراسة في تاريخ العراق الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .

(٢) عبد الرزاق الحسنى : تاريخ العراق السياسى الحديث ، مطبعة العرفان - حيدر إباد ١٩٥٧ - الجزء الثالث .

(٣) محمد مهدي كوه ، مذكرات من صليبي الأحداث ، منشورات دار الطليعة - بيروت

اضربات معادية لبريطانيا وقيام الفدائيين المتطوعين بالهجوم على القوات البريطانية في منطقة القناة وقد زادت عمليات البريطانيين الانتقامية آنشد من ثورة الرأي العام المصري .

وفي ٢٦ يناير ١٩٥٢ قامت مجموعات ثائرة بعمليات نهب في شوارع القاهرة ، كما تم أشعال ٢٢٧ حريقاً وتأخى البوليس والجماهير مع هذه الجماعات الثائرة ، وقام الجيش المصري باعادة النظام وطرد الملك النحاس باشا ولكن بعد مرور ستة أشهر على هذه الأحداث استولت مجموعة من الضباط تجمع بينهم الثورة ضد المسئولين والمنتفعين من وراء هزيمة فلسطين ، وكان أغلبهم قد اشترك في الحرب ، استولت على الحكم وطردت الملك فاروق ، رمز ذلك المجتمع الفاسد ، وكان ذلك في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ولم تكن الثورة المصرية تشكل آنشد خطراً بالنسبة لإسرائيل إلا على المدى البعيد ، فان الضباط الأحرار كانوا يرغبون في أن يجعلوا مصر دولة حرة وقوة تستطيع عند اللزوم ان تصفى حسابها مع أعدائها ، ولكنهم انشغلوا حتى مارس ١٩٥٤ في الكفاح داخلياً ضد قوى المجتمع القديم ومن بينها الشيوعيون والأخوان المسلمين ، وقد تجمعت وراء اللواء محمد نجيب القائد الرمزي للحركة لطلاب بعودة الحياة البرلمانية الشاملة ، ولم تكن مشكلة فلسطين هي الأولى في القائمة التي وضعها الضباط الشبان وإن كانت بدون شك قد لعبت دوراً هاماً في إظهار عمق الفساد والانحلال الذي كان يسود النظام السابق .

الأردن :

توالت في شرق الأردن أعمال العنف التي انتهت بمقتل الملك عبد الله ، وكان عبد الله التل قد بدأ لإتصالاته مع عدد من الضباط العرب محرصاً على ضرورة التخلص من القيادة الإنجليزية ، وشجعه في ذلك إنقلاب الزعيم في سوريا حيث اتصل به وطلب مساعدته لتغيير الأوضاع في الأردن ، وقد أظهر حسنى الزعيم تفهماً لذلك ، ووعدته بالمساعدة وقام باتصالات (م ١٩ - فلسطين)

مشابهة مع مصر أيضاً (١) ،

ولكن يبدو ان تحرك التل كان مكشوفاً لدى القيادة الإنجليزية ، وقدم جلوب تقريراً إلى الملك عبد الله يهيمه فيها صراحة بالسعي لتبديل إنقلاب بالتعاون مع سوريا ، فقررت الحكومة الأردنية إبعاده عن الأردن وأسندت له مهمة ملحق عسكري في واشنطن ، ولكنه رفض وفضل الإستقالة من الجيش وغادر الأردن إلى القاهرة بطريقة سرية حاملاً وثائقه الهامة التي قام بنشرها فيما بعد (٢) .

وترتبط هذه الفترة من تاريخ الأردن المعاصر عملياً بعهد الله التل الذي أكد طابع الإنكفاء الذاتي على الأردن آنئذ ، ففي الوقت الذي يذكر فيه التل أنه اتفق مع حسني الزعيم على نفي الملك عبد الله نجد أن حديثه مع الأمير طلال لم يتجاوز الإتفاق على تغيير الحكومة وإعتقال رئيسها أبو الهدى ، وحجز جلوب وضباطه الإنجليز في معسكر عمان (٣) ، ومن هنا شرع التل في إتصالات واسعة مع سوريا ومصر والأمير طلال للحصول على تأييد سياسي (٤) قبل أن يعطى لنفسه الفرصة في الاعتماد على مجموعة قوية داخل الجيش ، وجاءت إتصالاته بالضباط وهو خارج الخدمة بعد أن أقصى عن الجيش وعين حاكماً عسكرياً للقدس ، وقد منحه وظيفته العسكرية كحاكم عسكري بعض الإمتيازات على المستوى الشخصي إلا أنها أبعدته عن التماس مع العسكريين ، ويبدو أن التل قد أدرك ذلك في وقت متأخر وحاول العودة إلى الجيش في عام ١٩٤٩ إلا أن جلوب رفض طلبه (٥)

(١) عبد الله التل - كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٥٨٨ - ٥٩٠

(٢) وقد بقي التل في القاهرة مع أسرته لاجئاً سياسياً حتى أذن له الملك حسين بالعودة في

عام ١٩٦٦

(٣) عبد الله التل - كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ٥٩٢

(٤) Abidi, Aqil Hyder Hassan : Jordan A political study (٤)

1948 - 1969 London, Asial Publishing House 1965 P 94 & 188.

Glubb, J. P. A soldier with the Arabs op. cit, p 256. (٥)

ولقد شجع التأييد السياسى الواسع عبد الله التل أن يبدأ تحركاً سريعاً غير مأمون العواقب بين بعض العسكريين من أنصار جلوب ، فهو يذكر أن جلوب قدم تقريره إلى الملك بعد جولة قام بها بين الوحدات العسكرية ولم يكن التل امتداداً لحالة جماهيرية منظمة أو حزب حتى أن قراره بالسفر إلى مصر جاء مخالفاً لإرادة كثير من أصدقائه المدنيين كمجموعة جريدة البعث ٥

ومن الأهمية أن نذكر أن مذكرات التل عن كارثة فلسطين أحدثت تأثيراً قوياً في كشفه جوانب هامة عن دور الملك عبد الله والقيادة الإنجليزية في خيانة القضية العربية في فلسطين وتأمرهم مع الإسرائيليين .

وفد انتهت محاولة التل عند مغادرته الأردن في ١٩٤٩/١٠/٥ ، ولم يبرز له أى دور بعد ذلك (١) .

أما إتهام عبد الله التل في قتل الملك عبد الله ، والحكم عليه بالإعدام فليس هناك من دليل يقوم على صحة هذا الإتهام بل أن من الواضح أنه لم يضع في اعتباره قتل الملك عبد الله في خططه لإفصاء الضباط الإنجليز (٢) .

وقد تكون مذكراته المنشورة قد أوحى بهذا الإتهام ، وكذا صلاته القديمة مع رجال الهيئة العربية العليا ، وعلى أى حال فقد كان التل يشكل ظاهرة مبكرة وغير مكتملة لحالة المعارضة الوطنية التي شهدتها الجيش بعد هزيمة عام ١٩٤٨ ولكنه كان في نفس الوقت محرراً من طراز رفيع بنشره لوثائق الإدانة والخيانة للملك عبد الله .

(١) وخصوصاً خلال سيطرة مجموعة الضباط الأحرار على الأمور في الجيش سنة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ أبان فترة الحكم الوطنى ، ويوم التل في مذكراته زميله السابق عبد الله الريحاوى الوزير في عهد حكومة النابلس لعدم اتصاله به خلال زيارة قام بها للقاهرة .
عباس مراد : الدور السياسى للجيش الأردنى (١٩٦١ - ١٩٧٣) سلسلة كتب فلسطينية رقم ٤٨ إصدار منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث - بيروت - ديسمبر ١٩٧٣ ص ص ٦٧ - ٦٨ .

ومنذ بداية الخمسينيات والأردن ينعكس عليه هو الآخر فترة الإنكفاء الذاتي على الداخل ، فقد ابتدأت بعض الأحزاب نشاطاً مبكراً كالشيوعيين وحزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب وساعد ضم الضفة الغربية ونزوح عدد كبير من أهلها إلى الأردن على رفع الوعي الشعبي وتقبله بسرعة لتلك الإنجازات التقدمية ، وشكلت قطاعات السكان (١) في المخيمات خميرة نضالية جيدة بحكم ظروفها المعيشية القاسية وكذا تلك القطاعات المثقفة البورجوازية الفلسطينية التي ملكت التجربة السياسية خلال نضالها في فلسطين .

ولعل أهم مظاهر الإنكفاء الذاتي في الأردن آنذا هو ما فرضته القيادة الإنجليزية من مزيد من التسلط والهيمنة على الجيش الأردني لتبقى قابضة على زمام الأمور ، لذلك فقد قادت حركة المعارضة الوطنية في هذه المرحلة مجموعة من الأحزاب معظمها ذات نزعة ليبرالية وإصلاحية ، وكانت هذه الأحزاب غير مصرح لها بالعمل رسمياً ما عدا الحزب الوطني الاشتراكي وهو حزب محلي اعتمد أساساً على الوزن السياسي لبعض السياسيين المعارضين ، واعتمدت هذه الأحزاب في نضالاتها السياسية على الأساليب الديمقراطية والبرلمانية لإقامة حكم وطني ، والتخلص من السيطرة البرلمانية وذلك بالوصول إلى مجلس الأمة الذي يملك السلطة التشريعية مع الملك (٢) .

Harris, George : Jordan. Its people, Its society, its (١) culture, Survey of world cultures, New Haven. com : Human Relations Area files, Inc, 1958 P 9 – 11.

Aleum, Jean Pierre, en : Jordanie, L'aganie dans (٢) Royeume Orient No. 2 April 1957.

الملك حسين : قصة حياقي ، في الديلي ميل اللندنية - الترجمة العربية ، عمان ، المديرية العامة للمطبوعات ، بدون تاريخ - إصدار ص ٣٩

أقول نجم النفوذ البريطاني وصعود نجم النفوذ الأمريكي :

لم تقتصر آثار حرب فلسطين على إشاعة الاختلال في توازن الدول العربية فقط وإنما أصابت أيضاً بريطانيا التي أخذ نفوذها في الزوال من العالم العربي عموماً بعد الإصابات العميقة التي هزت أركان الأوضاع السائدة في ظل النظام البريطاني ، ولم تقتصر بريطانيا على التعخلي عن مهمة المحافظة على النظام التي اسندت إليها بوكالة من الأمم المتحدة ، وإنما عمجت أيضاً عن أن ترجع الحلول التي فضلتها علناً على غيرها ، واستسلمت طائفة لا اعتراضات الولايات المتحدة ، ولم تستطع منع الاتحاد السوفيتي من التدخل في المشكلة الفلسطينية .

وكانت مراحل أفول النفوذ البريطاني في العالم العربي هي على الترتيب التالي :

إلغاء المعاهدة الإنجليزية المصرية في عام ١٩٥١ ، وعزل جلوب من منصبه في عام ١٩٥٦ ، وفشل حلف بغداد ثم حملة السويس وأخيراً مصرع رؤساء الدولة العراقية في ١٤ من يوليو عام ١٩٥٨ .

وكانت إسرائيل تعاني في أوائل الخمسينات من أزمتا اقتصادية وسياسية لم يسبق لها مثيل ولم ينقلها من الإنهيار الاقتصادي في ذلك الحين سوى وجود إتفاق التعويضات الذي فرض على ألمانيا الغربية بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية ومن الناحية السياسية شهد عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ تحولاً في موقف الاتحاد السوفيتي من حالة الفتور إلى إتخاذ موقف مضاد ، انتهى بقطع العلاقات الدبلوماسية فترة من الوقت خلال عام ١٩٥٣ ، كما سيأتي تفصيل ذلك ، وكذلك اعتبر مجيء الجمهوريين إلى الحكم في الولايات المتحدة خسارة لإسرائيل لأن الحزب الجمهوري يقف موقفاً محايداً من النزاع العربي الإسرائيلي ، بل لأنه أقل تحيزاً للصهيونية من الحزب الديموقراطي .

وفي هذه الظروف ازدادت إسرائيل تعلقا بإيجاد تسوية ، وكان موسى شاربيت يتزعم الاتجاه القائل بإمكان تقديم تنازلات بسيطة للعرب إذا قبلوا التسوية وفي هذه الأثناء كانت مصر مشغولة بمحادثات الجلاء ، وترجو أن تستفيد من الولايات المتحدة بالضغط على بريطانيا لإتمام عقد المعاهدة بصورة مرضية ، ولذلك صدرت تلميحات مصرية تشير إلى إمكانية تسوية إذا ما استردت مصر بعض الامتيازات السابقة في النقب. ويروي Earl Berger (١) نقلا عن المصادر الإسرائيلية أن إسرائيل لم تعارض في إمتلاك مصر لخط حديدى عبر النقب يصل بينها وبين الأردن ، إلا أن مصر طالبت بممر عريض يقطع إتصال إسرائيل بخليج العقبة وإذا صح وجود مباحثات من هذا النوع فإن أحد المؤرخين المصريين يفسرها بأنها كانت مناورة من كلا الطرفين للتغلب على صعوبات داخلية ، فصر تريد كسب الأمريكيين في هذه المرحلة الدقيقة من المفاوضات مع بريطانيا ، وإسرائيل تعاني من أزمات اقتصادية وسياسية مستفحلة .

ولم تخف عن الأمريكان هذه الحقائق ، فقد قام دالاس بجولة في الشرق الأوسط لإقناع الحكومات العربية بالإنضمام إلى الأحلاف العسكرية ، وإعداد نظام دفاع إقليمي مشترك كان الجواب الجماعى من رأى العربى إن إسرائيل التى ما زالت الدول للغربية تؤيدها هى منبع خطر عاجل ، وقد عاد دالاس بعد جولته ليصرح بأن رأى العام العربى مشغول بالصراع مع إسرائيل من جهة ، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، ولذلك فإن العرب لا يدركون خطر الشيوعية (٢) ،

على أنه بحلول صيف ١٩٥٤ كانت حكومة العراق قد لحقت بتركيا والباكستان

Berger, Eerl : The government and the Sword, Arab (١)
Israeli Relations 1948 - 1956 Rout Ledge & Kegan Paul
Toronto : University of Toronto 1965 p 172.
American foreign Policy Year 1953 p 836. (٢)

في تلقي معونة عسكرية من الولايات المتحدة، كما أبدت الحكومة المصرية - على حد قول جورج كيرك (١) George Kirk - استعدادها للمفاوضة بهذا الشأن، غير أنه اشترط أن يكون هذا الميل مع الغرب مقروناً في كل دولة عربية بإتخاذ إجراءات حاسمة ضد دعاة الوطنية المتعسفين والشيوعيين المؤازرين لهم .

كذلك فقد كان هنا تسليماً ضمناً بأن الغرب هو الذي يجب عليه أن يضطلع بتقديم المال اللازم للمشروعات الإنمائية لتقوية الاقتصاد المتداعى للمنطقة العربية ، ولا غرو ، أفليس في عنق الغرب دين يلزمه باصلاح العالم العربي نظير المسلك « الاستعماري » الذي اعتاد أن يسلكه في الماضي بوجه عام ، وما ارتكبه من أخطاء في مشكلة فلسطين واللاجئين العرب .

والذي حدث هو أن الولايات المتحدة حاولت في الفترة ما بين ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ أن تسترضى العرب بتصريحات تشير إلى حل لقضية اللاجئين ، وهي قضية فرعية من المشكلة الفلسطينية ، ومن شأن هذه التصريحات أن تعطى للعرب إرضاءً جزئياً ، ومن ذلك تصريح لندالاس قال فيه :

« ان على إسرائيل أن تعتبر نفسها من دول الشرق الأوسط ، وليست موطناً لليهودية العالمية ، لأن ذلك يؤدي بطبيعة الحال إلى إلتباع سياسة توسعية » .

وقد كان من النتائج التي ترتبت على المشروعات المراد بها معونة الشرق الأوسط أمثال مكتب الشرق الأوسط الذي أنشأه « بيفن » والنقطة الرابعة للرئيس « ترومان » ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين العرب ، والمنحة الأخير للرئيس لايزنهاور وقدرها ٤٣ مليون دولار . . . كان من جراء ذلك

Kirk, George, A short History of the Middle East op. (١)
cit, pp 433-437.

إن إزداد اعتقاد العرب بأن معونة الغرب واجب لازم . . وكلما إزاداد المعونة العامة التي يقدمها الغرب للمشرق الأوسط كانت أديم أثراً في إعتقاده بأن الغرب عليه التزامات نحوه لا مفر منها (١) .

وعندما أصدرت حكومة الولايات المتحدة إنذارها بوقف معونة اللاجئين حتماً في منتصف عام ١٩٥٥ لم تتخذ لإجراء حاسمة لإعادة إسكانهم قبل ذلك الوقت ، كان في ذلك مجال لإثارة التهديدات المعتادة المضادة لذلك ، بأن الشيوعية تنتشر إنتشاراً لاسلطان لأحد عليه ، واستمرت الولايات تبذل المساعي الدبلوماسية لإغراء العرب بالاحلاف ، أو على الأقل إيقاف التقارب من الاتحاد السوفيتي .

وفيما يلي بعض فقرات من الخطاب الذي ألقاه دالاس أمام لجنة الشئون الخارجية في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٥ :

« وهناك مشكلة العرب وإسرائيل التي لم تحل بهدنة ١٩٤٩ والتي ترتب عليها ثلاث مشاكل ما زالت بحاجة ملحة إلى الحل ، فالمشكلة الأولى هي المأساة التي أحدثت بالتسعمائة ألف لاجيء الذين عاشوا سابقاً في المنطقة التي تحتلها الآن إسرائيل .

والمشكلة الثانية هي حجاب الخوف الخيم الآن على العرب وإسرائيل على السواء ، فالبلاد العربية تخشى توسع إسرائيل على حسابها ، ويخشى الإسرائيليون أن يلقي بهم في البحر ، كما أنهم يعانون من التدابير الاقتصادية المتخذة ضدهم .

والمشكلة الثالثة هي عدم وجود حدود دائمة بين إسرائيل وجيرانها وتابع دالاس حديثه قائلاً :

Froud Borrower and sky Investor

(١) من مقال بعنوان :

في مجلة **The Economist** ، المصادرة بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٣ - الصفحتان

٤٠٣ - ٤٠٤ .

« ولقد خولني الرئيس إيزنهاور سلطة القول أنه إذا توفر الحل لهذه المشاكل فإنه يوصى بأن تشترك الولايات المتحدة بالتزامات ومعااهدات رسمية لمنع أو لإحباط أية محاولة يقوم بها أى من الطرفين كى يغير بالقوة الحدود بين إسرائيل وجاراتها العربية . وإذا كان القصد إيجاد ضمان للحدود، فمن الطبيعي أن يكون هناك إتفاق على ماهية هذه الحدود » .

وبعد نحو شهرين ذهب إيدن إلى أبعد من ذلك ، ففي خطاب شهير ألقاه يوم ٩ نوفمبر في « مانش هاوس » لمح إلى إمكان إجراء تعديل في الحدود لصالح العرب ، وعرض وساطة بريطانيا في هذا الأمر . ولما كان هذا الخطاب ألقى بعد الإعلان عن صفقة الأسلحة مع الكتلة الشرقية فقد فسره الكثيرون على أنه محاولة من جانب بريطانيا لتدعيم مركز أصدقائها في الشرق العربي ، وذلك إبان إحتدام المعركة حول حلف بغداد^(١)، والدليل على ذلك هو زيارة المارشال تامبلر التي أعقبت هذا الخطاب إلى الأردن بقصد اجتذابه إلى حلف بغداد ، ولم تخف هذه الحقائق عن المسئولين في مصر أو سوريا ، ومع ذلك فقد كان هناك رأى يرى (١) أن خطاب إيدن يعد خطوة هامة تدل على تفسير نظرة الغرب إلى إسرائيل .

ويذكر البعض أنه كان من مصلحة العرب في هذه الفترة وجود معسكرين عربيين : أحدهما يجتذب الدول الغربية لتأييد القضية العربية ، والآخر يكسب صداقة الكتلة الشرقية لنفس الغرض — الأمر الذى يجعلنا نتعرض لموقف الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية في هذه الفترة .

(١) الأهرام ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٥

تذبذب الموقف السوفيتي (١) :

ترتب على إعلان دولة إسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ والمقاومة العربية لها منذ ذلك الوقت مشاكل كثيرة فيما يتعلق بفلسطين .

واحد أهم هذه المشكلات هي قضية اللاجئين الفلسطينيين والقدس وذلك على اعتبار أن هذا قد يكون المسلك المناسب للتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي من المشكلة الفلسطينية عموماً ، فباستثناء الفترة التي تحمس فيها السوفييت^(١) لقرار تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ فلما نجد عدم اهتمام الاتحاد السوفيتي بإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢ ثم بالتركيز السوفيتي على تنمية العلاقات مع العرب بعد ذلك ، وكذلك بالتركيز على الأبعاد الدولية للصراع العربي الإسرائيلي على حساب الأبعاد الإقليمية ، وهكذا كان لمنطق السوفيتي دائماً منطقاً إجرائياً يتلخص في أنه يجب أن يمتنع الغرب أولاً عن التدخل في شؤون المنطقة ، ومن ثم إيجاد تسوية ، وبعد ذلك سوف يسهل إيجاد مثل هذه التسوية سواء بالاتصال المباشر بين الأطراف أو عن طريق الأمم المتحدة .

أولاً ، موقف الاتحاد السوفيتي عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين :

أظهر السوفييت منذ البداية فهماً خاطئاً لوجهة النظر العربية بسبب نشأة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، فقد كانت مسئولية المشكلة بالنسبة لهم تقع على عاتق الدول الغربية أولاً ، والدول العربية ثانياً ، أما إسرائيل فكانت خارج نطاق المسئولية الكلية ، وقد كانت وجهة النظر السوفيتية في هذا الصدد تسير على النحو التالي :

كان السبب في مشكلة اللاجئين الفلسطينيين أساساً هم الدول الغربية والدول العربية بدرجات متفاوتة طالما أن نقض قرار التقسيم الذي لم يوضع موضع التنفيذ هو السبب حيث كان هو الطريق الوحيد لحل هذه المشكلة من وجهة

(١) يرجع في تفصيل ذلك إلى : دكتور! حمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

نظر السوفيت (١)

غير أن قرار تقسيم فلسطين لم يوضع موضع التنفيذ واستمرت المشكلة قائمة تبحثها الجمعية العامة للأمم المتحدة في كل دورة من دوراتها بعد عام ١٩٤٨ ، وقد كان النقاش بصدد اللاجئين الفلسطينيين يثور مرتبطاً بلجنة التوفيق ، وكان السوفيت يشاركون فيه مهاجمين للجنة وداعين لحلها ، ولكن عندما كان النقاش يثور متعلقاً بصليب الموضوع وهو مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذاتها كان الصمت الطبق هو موقف السوفيت عموماً (٢) .

وهكذا تبدو سمات تذبذب الموقف السوفيتي عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين خاصة ، وان الإمتناع السوفيتي الدائم عن التصويت على القرارات المتعلقة بهؤلاء اللاجئين منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٥ لم يكن يعكس موقفاً من مضمون القرارات المتعلقة باللاجئين من إشارة هذه القرارات أما إلى قرارات سابقة امتنع السوفيت عن التصويت عليها على الأقل أو إشارتها إلى لجنة التوفيق أو وكالة غوث اللاجئين التي كان للسوفيت موقفهم السلبي منها أيضاً حيث يدخل القرارات المنشئة لهذه الوكالة في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ضمن القرارات التي امتنع الاتحاد السوفيتي سواء عن المشاركة في المناقشات التي سبقت صدورها أو عن التصويت عليها في اللجنة أو في الجمعية العامة ، ولم يكن هناك بالطبع أى نوع لنفوذ سوفيتي من خلال البنيان الرسمي

(١) أنظر بصريح المندوب السوفيتي في مجلس الأمن بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٤٨ في

Year Book of the United Nations 1947 - 1948 op. cit, pp 447 - 448.

(٢) أنظر مناقشات قضية اللاجئين الفلسطينيين في الكتاب السنوي للأمم المتحدة من

١٩٤٨-١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ وأنظر أيضاً :

Gabby, Rong E., A political study of the Arab, Jewish conflict. The Arab Refugee problem ('A case study')
Geneve : Librairie E. Droz. 1959 p 379, 388, 402.

للموكالة ولم يسهم الاتحاد السوفيتي مالياً في عمليات الغوث (١) .

وإذا كان الإمتناع السوفيتي عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين لا يعنى امتناعاً بالنسبة لمضمون تلك القرارات المتعلقة بهؤلاء اللاجئين بصفة أساسية ، فهل كان السوفييت يقررون ما جاء في هذه القرارات من اعتراف اللاجئين بحق العودة أو التعويض ؟

يجيب المندوب السوفيتي في الجمعية العامة على هذا السؤال بالإيجاب في ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، ففي الثامن من هذا الشهر قدم المندوب السوري مشروع قرار إلى الجمعية العامة يطلب بموجبه الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية بصدد حق اللاجئين في العودة واستعادة ملكياتهم ومصالحهم ، وحق إسرائيل في إنكار ذلك عليهم ، وإمكان أن تصبح هذه الحقوق موضوعاً للمفاوضات بين دول ليس اللاجئين مواطنين فيها أو للاتفاق بين هذه الدول ، وعارض المندوب السوفيتي القرار السوري ، وذكر أن حقوق اللاجئين العرب معترف بها في قرارات الجمعية العامة التي لا يمكن مراجعتها أو إلغاؤها (٢) .

أى أن السوفييت كانوا يؤيدون عموماً القرارات القاضية بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم أو تعويضهم .

ومع ذلك فقد شهد شهر أبريل سنة ١٩٥٦ مناسبتين عبر السوفيت فيهما عن موقفهم من مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بطريقة تبعد كثيراً حتى عما

Forsythe, David p., UNRWA, The palestine Refugees (١) and World Politics 1949 - 1969 in : International Organization Vol. XXV, no 1- winter 1971, p. 44.

Dallin, The Soviet Union at the United Nations, op. cit, p 104.

Year Book of the United Nations 1952, op. cit, pp (٢) 250-252.

تحدث عنه قرارات الأمم المتحدة بالنسبة لهم ، فقد تحدث بيان وزارة الخارجية (١) السوفيتية في ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ عن بذل (٢) الجهود اللازمة من أجل تحسين الوضع العصيب لمئات الألوف من اللاجئين الفلسطينيين المحرومين من المأوى وسبل العيش .

ولقد كان من الطبيعي أن يصدر مصدر إسرائيلي (٣) من حسنات البيان أنه تحدث عن الحاجة إلى تحسين وضع اللاجئين وليس عن عودتهم .

وكان من المبرر أن يذكر أحد الباحثين المصريين في تعليق على البيان أنه يمحو أية اقتراحات محددة لإعادة توطين اللاجئين أو بشأن وسائل تعويضهم .

وقد تكرر نفس الموقف السوفيتي في البيان المشترك عن محادثات القمة البريطانية الفرنسية في لندن الصادر بتاريخ ٢٦ أبريل سنة ١٩٥٦ ، فقد أشار البيان إلى اعتراف الحكومتين البريطانية والسوفيتية بأهمية مشكله اللاجئين الفلسطينيين وبأنهما تؤيدان طبقاً لذلك عمل الأمم المتحدة الموجه نحو « التخفيف من شئونهم » (٣) .

طأوهكذا فإنه أيد السوفييت في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ حق يهود العالم في العودة إلى فلسطين لم يكن من الواضح حتى ١٩٥٦ أنهم متحمسون كثيراً للحديث عن حق عرب فلسطين في العودة إليها أو حق التعويض وفقاً لقرارات الأمم المتحدة بالرغم من أنه لا يمكن القول بأنهم لم يكونوا ملتزمين بهذه القرارات خاصة وأنهم صوتوا لأول مرة بالإيجاب على القرار الخاص باللاجئين

(١) أنظر بيان وزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف في الشرق الأوسط في ١٧ أبريل عام ١٩٥٦ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط - مشاكل الأمن والسلام (وثائق ومواد) ١٩٥٦ - ١٩٧١ ، موسكو : دار وكالة نوفوستي ١٩٧٢ ص ٣٢

(٢) Makled. op. cit.

(٣) Landan, Isaac, Evolution of USSR Policy in the Middle East 1950 - 1956, in Middle Eastern Affairs, Vol. VII, on. 5, May 1956 p 177.

في الدورة الحادية عشر في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٧ الذي انتقد عدم التقدم في برنامج لإعادة اللاجئين إلى أراضيهم (١) .

وعموماً فإن تذبذب الموقف السوفيتي خلال هذه الفترة واضح ، وليس ثمة سبب متاح لتفسير تغيره من الامتناع إلى الإيجاب بشأن التصويت على القرارات المتعلقة باللاجئين سوى انعكاسات العلاقات العربية السوفيتية على المواقف السوفيتية من المشكلة الفلسطينية ، والصراع العربي الإسرائيلي .

ثانياً - موقف الاتحاد السوفيتي من وضع القدس :

أكد الاتحاد السوفيتي تمسكه بوضع مدينة القدس كما جاء في قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

ففي ١٤ يوليو سنة ١٩٤٨ ضمن المندوب السوفيتي تعليقه على مشروع قرار أمريكي معروض على مجلس الأمن تعليقاً على فقرة فيه خاصة بوضع القدس كانت تتحدث عن استمرار جهود الوسيط لنزع سلاح القدس دون أن يعنى هذا إجحافاً بمستقبلها السياسي ، وقد ربط المندوب السوفيتي هذه الفقرة بمقترحات الوسيط في ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨ بضم مدينة القدس إلى إقليم الدولة العربية مع استقلال بلدي محلي للجماعة اليهودية وترتيبات خاصة لحماية الأماكن المقدسة .

ورأى المندوب السوفيتي أنها تتناقض وقرار الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بوضع القدس تحت نظام خاص ، وقدم تعديلاً لهذه الفقرة ينص على أن يقترح المجلس على كلا الطرفين أن يسحبا فوراً قواتهما المسلحة من القدس لأن الوضع الخاص الذي قرره الجمعية لهذه المدينة يجب أن يوضع موضع التنفيذ (٢) .

(١) أنظر النص في : ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ١ ص ١٩٩٧

(٢) Year Book of the United Nations, 1947-1948 op. cit, pp 407-410.

ولا شك أن التمسك السوفيتي بوضع القدس كما جاء قرار التقسيم لا يجيء باعتبار أن ذلك الوضع وضع أمثل في حد ذاته ولكن خوفاً من الاتجاه إلى جعل القدس مدينة عربية في وقت كان التأييد السوفيتي لإسرائيل في ذروته .

واستمر هذا الموقف السوفيتي في عام ١٩٤٩ ، ففي ٢٤ نوفمبر من هذا العام تقدم المندوب الاسرائيلي إلى اللجنة السياسية الخاصة بمشروع قرار يقترح أن تأمر الجمعية بلجنة التوفيق بإعادة بحث النظام الدولي الدائم للقدس وفي اليوم التالي قدم المندوب السوفيتي تعديلاً يقترح شطب الإشارة إلى لجنة التوفيق وحل اللجنة وأن يكمل مجلس الوصاية في دورته القادمة الإعداد لمشروع وضع القدس كما جاء به قرار التقسيم .

وعندما انتهت اللجنة إلى مشروع قرار يؤكد على الخطوط الرئيسية لوضع القدس كما جاء في قرار التقسيم ، أعلن المندوب السوفيتي في الجمعية العامة أثناء المناقشات تأييده له لأنه اعتقد أن تنفيذه سوف يحقق الأمن والسلام في القدس ، كما أنه سوف يتلاقى ومصالح سكان القدس ، وعند التصويت على مشروع القرار الذي تبنته الجمعية العامة (١) ، وقد اعتبر موقف الاتحاد السوفيتي هذا من مسألة القدس استثناء من موقف التأييد السوفيتي العام في ذلك الوقت (٢) ، وإذ كان بعض الباحثين لا يرى (٣) أن هذا الموقف كان موجهاً ضد إسرائيل .

وتشير إحدى الدراسات إلى دوافع المؤيدين لتحويل القدس بأن كلا منهم

Year Book of the United Nations, 1948 - 1949 op. cit, (١)
pp 190-196.

Dagan, Avigdor, Moscow and Jerusalem. Twenty Years (٢)
of Relations Between Israel and Soviet Union, New York :
Abelard - Schuman, 1970 p 46.

S Rovi, op. cit, P 138.

(٣)

كانت له أسبابه المختلفة دون أن يأتي بكلمة واحدة عن هذه الأسباب (١) .

وثمة دراسة أخرى تتحدث عن تحالف غريب بين الكرملين والفاتيكان والإسلام وتستمر في سرد دوافع كل من عناصر التحالف إلا أنه عند الوصول إلى الاتحاد السوفيتي والمجموعة السوفيتية لا تعطى هذه الدراسة إلا القول بأنه « وهذه المجموعة قد اتبعوا سياساتهم التي يستحيل حسابها » (٢) .

وعلى أية حال يجب أن يعترف لمرة أن المسألة ككل لم تكن ذات أهمية نسبية في حساب أولويات السياسة السوفيتية عموماً أو فلسطين بصفة خاصة . وربما زادت الأمور تعقيداً تراجع الاتحاد السوفيتي عن موقفه هذا في ١٩ أبريل سنة ١٩٥٠ ، ففي هذا التاريخ أرسل جاكوب مالك المندوب السوفيتي في الأمم المتحدة رسالة إلى الأمين العام يخبره فيها أن قرار الجمعية بتدويل القدس لا يرضى السكان العرب أو اليهود ، ومن ثم فإن حكومة الاتحاد السوفيتي لا تعتقد أنه من الممكن أن تواصل تأييدها لهذا القرار (٣)

ومنذ ذلك التاريخ اتخذ الاتحاد السوفيتي خاصة وقد دخل مرحلة « الإنهاء » موقفاً محايداً تماماً بالنسبة لمشكلة القدس وامتنع عن التصويت في كل الأمور المتعلقة بها (٤) .

وينسب أحد المصادر الإسرائيلية لفورشيلوف قوله لايلياشيف في المناقشة المناقشة التي جرت بينهما بعد تقديم الأخير لأوراق اعتمادة عقب عودته إلى

Shwadrان, Bengamin : Jerusalem Again, in : Middle (١)
Eastern Affairs, Vol. 1, no. 12 Decembere 1950 p 357.

Bentwich, Norman, The East and the United Nations (٢)
in Middle Eastern Affairs, Vol. 11 no. 11 November 1951
p 358.

Shwadrان, op. cit, p 359. (٣)

(٤) دكتور احمد يوسف احمد ، مرجع سابق .

موسكو في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن القدس مدينة يهودية (١) .

كذلك يروى أحد الباحثين أن السفير السوفيتي في إسرائيل قد قدم أوراق اعتماده في يوليو ١٩٥٤ بعد رفع درجة التمثيل الدبلوماسي بين البلدين إلى مستوى السفارة في القدس على أساس أنها عاصمة لإسرائيل وأن هذا قد أتاه بالكثير من المديح في إسرائيل لأن معظم الدول لم تكن قد أبدت بعد استعدادا للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل (٢) .

وهكذا تميزت المحصلة العامة لموقف الاتحاد السوفيتي من القدس من ناحية إلى وجهة النظر الإسرائيلية عموماً أكثر من ميلها لوجهة النظر العربية ، وإن كانت تنصف من ناحية أخرى بالتذبذب وعدم التحديد في هذه الفترة (٣) .

عمل لجنة التوفيق الدولية وردود الفعل :

قررت اللجنة السياسية للأمم المتحدة في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ تأليف لجنة توفيق لفلسطين تعمل على تنمية العلاقات الحسنة بين إسرائيل والعرب واتخاذ التدابير اللازمة لوضع الأماكن المقدسة تحت إشراف الأمم المتحدة وإخضاع منطقة القدس لنظام دولي . كما قررت تحديد منطقة القدس حسب قرار تقسيم فلسطين ، وقررت أخيراً السماح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة إلى ديارهم ، ودفع التعويضات للذين لا يرغبون في العودة ، ولكل من أصابه ضرر في ممتلكاته . وكان هذا تمهيداً للهدنة التي فرضت سياسياً - والتي لم تتمكن الأمم المتحدة في اثباتها من إعادة اليهود إلى خطوطهم الأصلية ، وأمام هذا الضغط اضطرت الحكومات والهيئات إلى قبول الأمر الواقع وقبول الهدنة (٤) .

Dagan, op. cit. p 75.

(١)

(٢) لاكور ، والتر : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين : بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر : أغسطس ١٩٥٩ ، ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق

(٤) دكتور ، جلال يحيى : مشكلة فلسطين والانجازات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٤٧ -

(م ٢٠ - فلسطين)

٢٣٠٦

وقد سار عمل اللجنة بالتسلسل التاريخي للتالى .
عقدت اللجنة ثلاثة مؤتمرات قبل ممثلوا إسرائيل والدول العربية
حضورها ، ولكن منفصلين بطبيعة الحال .

وفى المؤتمر الأول الذى اجتمع فى لوزان عام ١٩٤٩ أمكن الحصول على
تنازلات ضئيلة من قبل كل من الطرفين حيث اعترف العرب بمبدأ تقسيم
فلسطين وقبلوا اتخاذ قرار التقسيم أساسا للمناقشة فى هذا الموضوع (١) ، وقبل
الإسرائيليون النظر فى عودة مائة ألف من اللاجئين إلى ديارهم ، ولكن على
الرغم من ذلك لم يمكن الوصول فى هذا الأمر إلى اتفاق . وعلى الرغم من
ذلك أفاد هذا المؤتمر فى حمل لجنة التوفيق على البحث عن جانب اقتصادى
للمشكلة يمكن البدء منه ، فأوصت اللجنة بإرسال لجنة اقتصادية للتحقيق
فى الدول العربية ووافق الأمين العام للأمم المتحدة على هذه التوصية ،
واستندت رئاسة اللجنة إلى جوردون كلاب ورئيس هيئة وادى التنس

وقد نجحت لجنة جوردون كلاب فى شهر دى-مهر سنة ١٩٤٩ فى
إنشاء وكالة تابعة للأمم المتحدة تكون مهمتها تطبيق مشروعات إعادة
التصنيف ، وهى وكالة المساعدة (غوث اللاجئين) والعمل التابعة للأمم
المتحدة :

ولما عجزت وكالة الأمم المتحدة عن إيجاد الحل الفورى لمشكلة
اللاجئين ، حاولت لجنة التوفيق الاستمرار فى عملها عن طريق تنظيم

(١) وقد جاء التعبير عن هذا الموقف العام فى المحضر المؤرخ فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٩ الذى
وضعته لجنة التوفيق ، ويمكن الرجوع إلى نص هذا المحضر فى التقرير المؤرخ فى
٢١ يونيو سنة ١٩٤٩ الذى وضعته لجنة التوفيق (أنظر الوثائق الرسمية لدورة الانعقاد الرابعة
للمجموعة العامة للأمم المتحدة - اللجنة السياسية الخاصة - ملحق التقرير - المجلد الثانى عام ١٩٤٩
ص ٦) وقد جاء فى هذا التقرير نفسه فى فقرته رقم ٢٩ ذكر تصريح إسرائيل له
مغزاى يقول : « قرر الوفد الإسرائيلى إن إسرائيل ليست لها أية أطماع فى المنطقة الوسطى من
فلسطين » .

٣٠٧٠

مؤتمر ثان في جنيف في عام ١٩٥٠ ، وأسفر هذا المؤتمر الثاني عن فشل كامل حيث سحبت إسرائيل العرض الذي سبق لها أن قبلته والخاص بإعادة مائة ألف من اللاجئين إلى ديارهم .

وانعقد المؤتمر الثالث في باريس في نهاية عام ١٩٥١ لم يكن له من أثر غير اتاحة الفرصة أمام كل من العرب واليهود للإعراب عن موقف سلبى من قرارات الأمم المتحدة اتخذاه ولم يتحول عنه منذ ذلك الوقت قط .

وفي الطريق المرازى للحلول الاقتصادية اعتمدت الأمم المتحدة في عام ١٩٥٢ مشروعا وضعه بلاند فورد مدير وكالة المساعدة والعمل (غوث اللاجئين) نص فيه على أن تتعهد البلاد المضيفة للاجئين بالاضطلاع بشئون الجانب الأكبر منهم ، على أن نقدم لهذه البلاد المعاونات الفنية والمالية التي تساعد على تنفيذ برنامج عام للتنمية الاقتصادية .

تازداد مشروع بلاند فورد هذا قوة بالمبادرة الى اتخذها الرئيس ايزنهاور حينما أرسل إلى المنطقة - أريك جونسون - ليضع مشروعا للعرب والإسرائيليين معا من أجل استغلال مياه نهر الأردن بطريقة مشتركة بينهما .

ونشر هذا التقرير في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٣ ، وكان يرمى إلى رى (١) ١١٠٠٠٠ هكتار من الأرض - منها ٦٠٠٠٠ هكتار في الأردن تخصص لايواء ٢٠٠٠٠٠ من اللاجئين الفلسطينيين في هذا القطاع ، ولقى المشروع اعتراضات من كلا الطرفين . ولكن بعد فترة من المفاوضات الدائبة بدأ في شهر يوليو عام ١٩٥٤ وكان المبادرة الأمريكية سوف تؤدي إلى عمل مشترك من شأنه أن يؤثر تأثير كبير على تطورات المشكلة الفلسطينية والنزاع العربى الإسرائيلى ، ولم يتحقق من ذلك شئ البتة ، فمضى الحالين

(١) أنظر خلاصة هذا المشروع في : دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٦٦ - ٢٦٨

حالة مشروع بلانفورد وحالة مشروع جونستون - لإنهات الأمال التي بدت في وقت من الأوقات وكأنها على وشك أن تتحقق ، فشروع بلانفورد لم يحقق غير إنجازات ضئيلة أما مشروع جونستون فقد أدى رفضه نهائيا من جانب العرب إلى قيام مشروعات منفصلة لكلا الطرفين .

موقف الاتحاد السوفيتي من لجنة التوفيق :

تبدو معارضة الاتحاد السوفيتي لدور مجلس الوصاية والمهمة الوسيط برنادوت - تبدو بالنظر إلى معارضته للجنة التوفيق ، فمنذ البداية عارض الاتحاد السوفيتي القرار المنشئ لها في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وفي المناقشات الخاصة بتشكيلها في الجمعية العامة اتفقت الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن - ماعدا الاتحاد السوفيتي - على تشكيل اللجنة من الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وتركيا ، وقد طالب المندوب السوفيتي بتسجيل معارضة ورأيه الخاص بضرورة تشكيل اللجنة من خمس دول صغيرة كأعضاء تكون بولندا من بينهم .

وقد أيد المندوب الكولومبي وجهة النظر السوفيتية إلا أن رئيس الجمعية حسم النقاش بأن طريقه التشكيل محددة في القرار . وأمت الجمعية العامة بتشكيل لجنة التوفيق كما اقترحت لجنة التشكيل باستثناء الاتحاد السوفيتي (١).

وقد كان تفسير الموقف السوفيتي واضحا - فقد كان التشكيل المقترح للجنة التوفيق سيقضي من وجهة النظر السوفيتية إلى جعلها أداة طيعة في يد الولايات المتحدة ، ولذلك كان موقف الاتحاد السوفيتي من هذا التشكيل انعكاسا للسياسة السوفيتية الساعية إلى تحقيق الهدف الاستراتيجي في التقليل من النفوذ الغربي في الشرق الأوسط وإن أمكن استبعاد هذا النفوذ من المنطقة

كلية (١) .

ولذلك كان طبيعياً ألا يفوت الاتحاد السوفيتي أية فرصة للهجوم على هذه اللجنة والمطالبة بحلها ، ويعد عقد اتفاقيات الهدنة الإسرائيلية العربية عام ١٩٤٩ سارع المندوب السوفيتي في مجلس الأمن في ٨ أغسطس إلى إعلان أن لجنة التوفيق يجب أن تتخلى عن كل المسائل التي تعالجها أطراف النزاع ، وأثناء أعمال الدورة الخامسة للجمعية العامة ، قدم المندوب السوفيتي في اللجنة السياسية الخاصة في ديسمبر سنة ١٩٥٠ مشروع قرار لحل لجنة التوفيق وتعديلاً يقضى بشطب أية إشارة إليها في كل مشروعات القرارات المعروضة على اللجنة السياسية الخاصة التي كانت تشترك كلها في إعطائها دوراً رئيسياً للجنة التوفيق ، واستند المندوب السوفيتي في تفسيره لهذا المسلك إلى أن لجنة التوفيق قد أثبتت عدم قدرتها على القيام بواجبها في تسوية المنازعات بين الأطراف المعنية في فلسطين ، بل على العكس لقد أسهمت فعليا في الإساءة إلى العلاقات بينها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد تجاوزت اللجنة نطاق صلاحياتها بإنشائها بدعوى مساعدة اللاجئين ودون انتظار لرود الدول العربية وإسرائيل بعثة المسح الاقتصادي إلى استخدمت لجمع معلومات سياسية واستراتيجية للولايات المتحدة (٢) .

وتكررت معارضة الاتحاد السوفيتي بعد ذلك أيضاً للجنة التوفيق في الدورة السادسة للجمعية العامة ، ففي اجتماع اللجنة السياسية الخاصة بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٥٢ قدم المندوب السوفيتي مشروع قرار يقضى بإلغاء لجنة التوفيق وقد تقدمه لمشروع قراره صرح المندوب السوفيتي بأن تقرير لجنة

Hurewitz, J. C. The United Nations Conciliation (١)
commission for Palestine : Establishment and Definition of
Functions, in : International Organization Vol. VII no. 4,
November 1953 pp 490-491.
Gabby, Rong E, op. cit, p p 262-265. (٢)

التوفيق يظهر أنها قد عملت لصالح الولايات المتحدة وبدلاً من مساعدة الأطراف المعنية حاولت أن تفرض قراراتها عليهم متجاوزة سلطتها بذلك ، ولقد عمل أعضاؤها بموجب تعليمات من حكوماتهم ، ولذلك فقد عكست أعمال اللجنة وجهات نظر هذه الحكومات وليس تلك الخاصة بالأمم المتحدة ، ولذلك لم يكن مثيراً للدهشة أن اخفقت اللجنة في عملها ، وأكد المندوب السوفيتي أن لجنة التوفيق لن يمكنها أن تحل المشكلة الفلسطينية طبقاً لصالح شعبي فلسطين حتى توقف الولايات المتحدة والبلاد الأخرى ككتلة الأطلنطي تدخلها في شئون فلسطين وبلاد الشرفين الأدنى والأوسط .

وبعد أن لقي مشروع القرار السوفيتي في اللجنة نفس المصير الذي لقيه سابقه في الدورة الخامسة ، قدم المندوب السوفيتي في ٢٦ يناير تعديلاً إلى الجمعية العامة لمشروع القرار الموصى به من اللجنة يدعو إلى إلغاء لجنة التوفيق وعبر عن رأيه في أن إلغاء اللجنة سوف يوضح الموقف في فلسطين ويزيل كيانا مؤذياً مثل لعدد من السنوات إحدى عقبات تسوية مشكلة فلسطين ؛ وسوف يفتح الباب علاوة على هذه لتسوية المشكلة طبقاً لصالح شعبي فلسطين وليس القوى التي كانت تسعى لإخضاع هذين الشعبين وشعوب الشرق الأوسط والأدنى لقيادتها وسيطرتها .

وهكذا يمكن ملاحظة أنه بينما اتسقت معارضة الاتحاد السوفيتي لدور يلعبه مجلس الوصاية أو وسيط الأمم المتحدة في تسوية مشكلة فلسطين مع المصلحة الإسرائيلية من الناحية العملية — فإن الموقف السوفيتي من لجنة التوفيق قد انبثق بصفة مطلقة من الاعتبارات المتعلقة بصراع الغرب والشرق فضلاً عن أنه كان يحايد المضمون عموماً بالنسبة لإسرائيل (١) .

(١) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

المفاوضات السرية وردود فعلها

أولا - بين الأردن وإسرائيل :

سبق أن أوضحنا أن اللقاءات السرية قد تعددت بين الأردن وإسرائيل من قبل التوقيع على اتفاقية الهدنة بينهما ، كما سبق أن تحدثنا أيضاً عن المقابلات التي تمت بين الملك عبد الله وجولدا مايرسون (١) ، وعن مقابلة الشونة في شهر مارس ١٩٤٩ .

غير إنه سبقت هذا التاريخ وتلته أيضاً اتصالات أخرى ، فتحدثنا لإحدى الصحف بتاريخ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ عن احتمال حدوث اتصالات بين الباهوساسون وممثلين عن العرب ، وتؤكد نفس الصحيفة بتاريخ ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٨ عن اتصالات إسرائيلية عربية قد تمت بالفعل في باريس .

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ أعاد الملك عبد الله المفاوضات مع خصومة الإسرائيليين أيضاً ، ولكن هذه المفاوضات فشلت إذ وجد فيها الإسرائيليون مغالاة في طلبات الملك عبد الله الذي رفض في أن يخفف منها (٢). وبعد ذلك تكررت هذه المفاوضات على أثر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتدويل مدينة القدس في ٩ ديسمبر عام ١٩٤٩

(١) جولدا مايرسون هي نفسها جولدا مائير فيما بعد .

(٢) لقد طلب الملك عبد الله من الإسرائيليين أن ينزلوا له عن ممر الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط مع بلدتي بئر سبع وغزة ، وأن ترد إليه الأحياء العربية من القدس التي يحتلها الإسرائيليون وأن يعطى له الطريق الموصل من القدس إلى بيت لحم وأن يسمح له باستخدام ميناء حرق حيفا ؛ وفي مقابل ذلك كان يعرض على الإسرائيليين ميناء لهم في العقبة وأن يترك لهم طريق الوصول إلى مناجم البوتاس في شمال البحر الميت .

ولكنها هي الأخرى فشلت أيضاً بسبب موضوع رد الأسماء العربية من المدينة المقدسة .

ومنذ بداية عام ١٩٥٠ والاحتمالات (١). تنزايد الوصول إلى حل النزاع بين الأردن وإسرائيل حيث انصرف الأردن إلى الاستمتاع بالإضافات الإقليمية التي فاز بها والتي جعلت منه الطرف الثاني المستفيد من نكبة فلسطين ، ذلك أن الأردن أنصرف عن فكرة « حكومة عموم فلسطين » التي أقامتها الهيئة العربية العليا في غزة ، وجرى في شهر يناير ١٩٥٠ انتخابات اشترك فيها الناصريون « من الضفتين » وفي شهر أبريل من العام نفسه أعلن رسمياً ضم الضفة الغربية إليه كما سبق أن أوضحنا .

وفي هذا الجو المنفرج أمكن للمحادثات السرية بين الأردن وإسرائيل التي لم تنقطع تماماً من قبل - أن تتقدم سريعاً ، وانتهى الأمر بالوصول إلى اتفاق يقوم على مايلدو على الأسس الآتية :

تنازل الأردن عن طلبه الخاص بالوصول على ممر له وسط منطقة النقب ويحصل على منطقة حرة في حيفا وعلى حق المرور الحر إلى بيت لحم وعلى الحق لأصحاب الأملاك العرب بالعودة إلى إسرائيل لتصفية أموالهم فيها - وفي مقابل ذلك تحصل إسرائيل على ضمان بالمرور الحر إلى جبل شكويس ، وتظل الحدود مثبتة على الخطوط الوارد ذكرها في اتفاقية الهدنة ، كذلك فقد تم الاتفاق بين الطرفين على إبرام اتفاق عدم اعتداء

(١) حيث هدأت نوعاً ما في ذلك الوقت التلصصات التي اجتاحت العالم العربي بعد النكبة ومثال ذلك : ما أسفرت عنه انتخابات يناير ١٩٥٠ في مصر عن وصول حزب الوفد إلى الحكم ووصول الشيشيكلي إلى حكم سوريا بالانقلاب عسكري ثم في ديسمبر ١٩٤٩ وانفراج الأزمة الاقتصادية في العراق التي أخذت تسوى نزاعاتها مع مصر - غير أن هذا الهدوء كان على السطح فقط وظاهرياً كما سوف يرد ذلك تفصيلاً في متن البحث .

بين الأردن وإسرائيل لمدة خمس سنوات أما المسائل الاقتصادية فاتفق على أن تجرى في شأنها مفاوضات لاحقة .

ويؤخذ من الصحف التي ترجع تاريخها إلى تلك الفترة أن مشروع الاتفاق قد تم التوقيع عليه بالحروف الأولى يوم ٢٧ من فبراير سنة ١٩٥٠ ، والذي حدث فعلاً في ذلك اليوم أن كلا من الوزارتين الأردنية والإسرائيلية عقدت جلسة طارئة .

وفي أول مارس أعلن الصحفي الإسرائيلي الدائع الصيت جون كيمش أن النبأ (١) المنتظر عن عقد اتفاقية الصلح قد وصل لتوه من القدس إلى جنيف وكان هذا النبأ سابقاً لأوانه لأن الكنيست لم يوافق إلا في يوم ١٤ من مارس على مشروع المفاوضات مع الأردن ، وكانت موافقته بأغلبية ٥٤ صوتاً ضد ٢٩ (٢) . وربما كانت الحقيقة أن تلك المفاوضات كانت قد انتهت قبل ذلك التاريخ ببضعة أسابيع ، وأن الطرفين كانا قد توصلا قبل ذلك إلى إتفاق من خيث المبدأ (٣) ، فنذ شهر فبراير سنة ١٩٥٠ كان أحدهم ممثلي

(١) فيما يتعلق بهذا المبدأ أنظر ،

Gabby, Rong E. : A Political Study of the Arab jewish conflict, The Arab Refugee Problem (a case study) op. cit. p. 319.

جريدة جويش كرونيكل ٣ مارس ١٩٥٠ :

Aleum, op. cit, p. 361-363. (٢)

Kimch, John, Seven Fallen Pillars, The Middle East 1915-1950 op. cit, p. 184.

(٣) عن الاجتماعات التي عقدها مجلس الوزراء في الأردن وفي إسرائيل أنظر ،

Gabby, Rong E. : A political study of the Arab-jewish conflict, The Arab Refugee Problem (a case study) op. cit. p. 139.

الحكومة الإسرائيلية قد صرح أمام الكنيست أن محادثات قد بدأت من أجل السلام مع الأردن (١).

إلا أن الجانب العربي قام في الملاحظات الأخيرة باعترافات لم يتمكن الملك عبد الله من التغلب عليها ، ففي ٢ مارس سنة ١٩٥٠ قدم رئيس وزرائه أبو الهدى استقالته إعلاناً لعدم موافقته على سياسة الملك (٢) .

وفي يوم ٢٥ من مارس سنة ١٩٥٠ اجتمعت في القاهرة اللجنة السياسية للجامعة وقامت الدول العربية تكيل الاتهامات إلى الأردن وأراد الملك عبد الله أن يتحاشى العزلة عن الرأي العام العربي فاضطر أن يعلن تعهده ببدء إبرام أى صلح منفرد مع إسرائيل -

وفي يوم أول أبريل سنة ١٩٥٠ وقع الملك عبد الله مع زملائه الملوك والرؤساء العرب على قرار للجامعة العربية نص فيه على ما يأتي :

« تستبعد من عضوية الجامعة ، طبقاً لنص المادة ١٨ من ميثاقها ، كل دولة عربية تبادر إلى التفاوض مع إسرائيل أو إلى إبرام صلح منفرد معها ، أو أى اتفاق ذى طابع سياسى أو عسكرى أو اقتصادى » .

اغتيال الملك عبد الله :

أغتيل الملك عبد الله يوم ٢٠ من يوليو عام ١٩٥١ في مدينة القدس في

(١) ها آرتس الإسرائيلية ٢٧-٢٨ من فبراير ١٩٥٠ .

Palestine Post 26, 27, 28-2-1950, 1, 3-3-1950.

(٢) أنظر بالعربية جريدة بلستين بوست بتاريخ أول فبراير ١٩٥٠ .

جريدة ها آرتس بتاريخ ٢٨ من فبراير ١٩٥٠ ، كذلك فقد أعلنت جريدة بلستين في أول مارس ١٩٥٠ أن الطرفين أصبحا على وشك الوصول إلى اتفاق وكما أوردت في المتن فقد تم الاقتراع يوم ١٤ مارس بالكنيست وهو ما نشرته جريدة بلستين بوست في عددها الصادر في ١٥ من مارس سنة ١٩٥٠ .

اللحظة التي كان فيها يهيم بالدخول الى المسجد الأقصى ، وفي صحبته حفيده
حسين ملك الأردن الحالي .

وتتحدث إحدى الدراسات (١) أن التحقيق أثبت أن الجريمة تم تدبيرها
بواسطة المقربين من المفتي الحاج أمين الحسيني وبواسطة عبد الله التل ،
وأن هذا التدبير قد تم في القاهرة .

أما القاتل ويدعى مصطفى العشو فقد خر صريعاً في الحال برصاص
حراس الملك :

وما يهتدنا في هذا الصدد هو كيفية انعكاس اغتيال الملك عبد الله على
المشكلة الفلسطينية ، فقد أجريت على أثر اغتياله عمليات اعتقالات واسعة
في صفوف الفلسطينيين وصدرت أربعة أحكام بالإعدام عدا الحكم بالإعدام
غيابياً على عبد الله التل ، ومن الثابت أن الرأي العام العربي عموماً والفلسطيني
على وجه الخصوص قد استثيرت عواطفه وكان يعيب على الملك عبد الله
مفاوضاته السابقة مع اسرائيل واحتمال رغبة الملك في العودة إلى مفاوضاتهم
مرة أخرى ، ومن ناحية أخرى فإن الحاج أمين الحسيني كان لا يكف
عن أضمار الكراهية للملك الذي حرّمه من منطقة نفوذه في فلسطين بضم
الضفة الغربية للأردن إلى أملاكه .

وعموماً فقد كان من شأن اغتيال الملك عبد الله أن قضى أكثر مما فعل
قرار الجامعة العربية على كل أمل في إجراء محادثات فيما بعد ، بين الأردن
وبين اسرائيل ،

ثانياً - هل حدثت مفاوضات بين مصر واسرائيل ؟

تتحدث إحدى الدراسات (٢) أن الدول العربية قد نظرت بهدوء إلى

Aleum, op. cit, p. 569.

(١)

Ibid pp. 363-363.

(٢)

محاادثات الملك عبد الله مع الإسرائيليين بينما نفس هذه الدول نظرت
بغير عداوة الى محاولات مصر في هذا الإتجاه حيث قامت هذه الأخيرة ،
في الأخرى ، - طبقاً لهذه الدراسات - بقيادة مفاوضات مع
إسرائيل .

وعلى الرغم من أن هذه المحادثات كانت سرية ، وعلى الرغم أيضاً
من أنها لم تؤد الى احتمال التفكير في عقد اتعاق بين الطرفين وكونها لم تترك أى
أثر يدل عليها ، الا أنها تكاد - طبقاً لهذه الدراسات - تكون محققة ذلك
أن حزب الوفد الذى وصل الى الحكم بعد انتخابات ٣ من يناير ١٩٥٠ ،
بعد أن ظل بعيداً عن نطاق المسئولية طوال مدة حرب فلسطين : وكان
يبدو أن نفوذه في البلاد آخذ في الإنتشار . مما أشاع الكثير من الأمل في
قلوب الإسرائيليين الذين أبدوا استعداداً لقبول الاتصالات ، وقد بدأت
أولى هذه الاتصالات في شهر يناير ١٩٥٠ فور فوز الحزب في الانتخابات
وفي شهر فبراير من تلك السنة أشارت محطات الإذاعات العربية كما
نشرت الصحف الكبرى تصريحاً نسب الى مصطفى نصرت وزيراً الحربية
المصرية في ٩ من ذلك الشهر يقول فيه :

« قد يجتمع الوفدان المصرى والإسرائيلى في يوم ٢٦ من فبراير
بإشتراك ممثلى هيئة الأمم المتحدة للمناقشة في موضوع الصلح » .

غير أن المصريين والإسرائيليين على السواء قد أسرعوا يكذبون
هذا النبأ ولم يقيم بالفعل أى لقاء تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة في يوم
٢٦ فبراير المشار اليه ، ولكن الاتصالات استمرت حتى نهاية ذلك الشهر
وفشلت في نهايته بسبب رفض إسرائيل النظر في تنازلها عن الجزء
الجنوبى من النقب لمصر التى كانت تطالب به من أجل إعادة مواصلاتها مع
الدول العربية الأخرى .

التصريح الثلاثي ظروفه وردود فعله :

من الأرجح أن تكون الدول الغربية الكبرى قد نظرت بشئ من الحسد إلى المكاسب التي حققها الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط من جراء قيام إسرائيل .

وقد أفادت إسرائيل بالفعل من جلسات (١) مؤتمر لوزان الذي قامت لجنة التوفيق بحقه في بيروت لدراسة فروع مشكله فلسطين وأفادت إسرائيل من ذلك لكي تصل إلى عضوية الأمم المتحدة ، ذلك أن إسرائيل قد أعلنت استعدادها لاحترام قرارات الأمم المتحدة في هذا المؤتمر بالذات ، وبالفعل وقع مندوبوها في يوم ١٢ مايو ١٩٤٩ على اتفاق ينص على قبول التقسيم وقبول وضع نظام دولي للقدس وقبول عودة اللاجئين العرب وحقهم في التصرف في إمتلكاتهم وتعويض الذين لا يرغبون في العودة ، ولقد وقع العرب في نفس اليوم مع لجنة التوفيق على اتفاقية مماثلة وتشتمل لنفس الشروط وأفادت إسرائيل من هذه الاتفاقية لكي تحصل على موافقة أكثرية الجمعية العامة للأمم المتحدة عضوا في المنظمة ورغم احتجاج العرب على ذلك .

وكان العرب يعارضون قبول إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة على أساس أنها لم تخدم قرارات الأمم المتحدة - فضلا عن عدم قيام إسرائيل بالتحقيق اللازم في مقتل الوسيط الدولي برنادوت ، ولكن إسرائيل بادرت بإعطاء تعهدات للأمم المتحدة في هذا الشأن ، وفي نفس اليوم الذي وقعت فيه على اتفاقية أوزان أصبحت إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة .

(١) وانظر برونوكول أوزان ١٢ مايو ١٩٤٩ في ، ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق أوراق خاصة بالقضية الفلسطينية الجزء الأول ص ١٥٥ «

ولكن سرعان ما غير اليهود من موقفهم ، فبعد أن وقعوا على الاتفاقية اخذوا يطالبون بضم غزة ومنطقتها إليهم كشرط أساسي لقبول اللاجئين ، كما طالبوا بمنايع نهر الليطاني عند حدود لبنان ، وطالبوا بضرورة قصر المنطقة الدولية في القدس على المدينة القديمة التي كانت في أيدي العرب بالفعل ، حتى لا يسمحوا للإدارة الدولية بالإشراف على بقية إحياء المدينة والتي كانت في أيديهم ، وكان العرب قد تمسكوا بشروط التقسم وكذلك بمسألة تدويل القدس ، فيما عدا الأردن ، ومرة جديدة ظهرت صعوبة التوفيق بين وجهات النظر العربية وإسرائيل فاقفلت لجنة التوفيق على نفسها الباب وظهر عجزها عن فرض حل معين على الجانبين . وانتهز اليهود الفرصة وصرحوا بأن موافقتهم على اتفاقية لوزان هي اتفاقية مبدئية للبدء في المحادثات وللوصول إلى الصلح وأن الفشل في الوصول إلى هذه النتائج يعقّبهم مما تعهدوا به .

وفي ظل هذه الظروف بدأ في نهاية شهر إبريل سنة ١٩٥٠ أن جميع الجهود التي بذلت من أجل إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية قد فشلت نهائياً ، وقد سبق أن رأينا أن المفاوضات السرية التي جرت بين إسرائيل من جهة والأردن ، ومصر - فيما يقال (١) - من جهة أخرى كانت قد انتهت إلى حيث لا مخرج ، كذلك فقد أعلن ممثل مصر في مؤتمر جنيف في ١٤ من إبريل ١٩٥٠ باسم جميع الدول العربية ضرورة أن تقبل إسرائيل لما نص عليه قرار الأمم المتحدة الصادر في ١١ من ديسمبر عام ١٩٤٨ بخصوص اللاجئين .

وجاء الرافض الإسرائيلي على ذلك قاطعاً ، ومن المؤسف أن تعجز الأمم المتحدة في فرض حل وقرار معين على إسرائيل رغم أن الوسائل لم تعوز الدول - الكبرى في المنظمة الدولية لفرض شروطها وقراراتها على

العرب (١) ، وفي نفس الوقت وضح أن الدول الكبرى تحتضن إسرائيل وتعمل على تزويدها بما يلزمها من أموال وأسلحة في الوقت الذي تفرض فيه على العرب عدم التعرض لها مما أغرى إسرائيل بوضع الحراسة على أملاك العرب في المناطق التي احتلوها من فلسطين ، وأعطوا لهذه الحراسة الحق في تصفية هذه الأملاك وبيعها بعد أن قامت سلطات الأمن والعصا باب المسلحة بطرد من بقي من العرب بعيدا عن أراضيهم وإملاكهم ، وبالرغم من ذلك فإن كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية قد قامت بتأييد إسرائيل ، فقامت الأولى بالتعامل الاقتصادي مع إسرائيل و صفت مشكلات الانتداب في صلاحها ، كما قامت الثانية بتقديم القروض اللازمة لعمليات الاستغلال والتنمية الاقتصادية لإسرائيل ، وكان أولها قرضا بمبلغ ١٠٠ مليون دولار .

وفي ذكرى مرور عام على توقيع اتفاقيات الهدنة رأت ثلاث من الدول الكبرى وهي الولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا استحالة تسوية النزاع فأرادت أن تدعم أكثر وأكثر الكيان الإسرائيلي فأصدرت في يوم ٢٥ من مايو عام ١٩٥٠ إعلانا عرف باسم « الإعلان الثلاثي » ومن العوامل التي دفعت بهذه الدول إلى إصدار التصريح الثلاثي (الإعلان الثلاثي) تردد الشكوى من كلا الجانبين : العرب والإسرائيليين بأن الطرف يتلقى الأسلحة من أصدقائه في الغرب فإسرائيل تشكو من أن بريطانيا تسلم العراق والأردن والعرب يشكون من أن الولايات المتحدة تسلم إسرائيل . وخشيت هذه الدول أن يستفيد الاتحاد السوفيتي من هذا التسابق على التسليح ، فبادرت إلى إصدار التصريح .

(١) أكرم زمير : القضية الفلسطينية ، القاهرة دار المعارف ١٩٥٥ ص ٢٤٧-٢٤٩ .

ويعتبر هذا التصريح (١) بحق خطوة أخرى نحو تجميد المشكلة الفلسطينية بعد اتفاقيات الهدنة ، حيث يستنتج منه أن الدول الغربية الثلاث صارت تعتبر حدود الهدنة نهائية ، مع أنها تخالف قرار التقسيم ، كما وضع هذا التصريح حكماً ظالماً بالعرب وهو ضرورة إقامة التوازن في التسليح بين الدول العربية مجتمعة وبين إسرائيل منفردة وسيظل هذا المبدأ شائعاً منذ ذلك الوقت بين الدول الغربية وحتى الوقت الحاضر ، فإذا تلقى العرب أسلحة من جهة ما ترى الولايات المتحدة أن من العدل تقديم نفس كمية الأسلحة إلى إسرائيل .

وجاء رد الفعل العربي على هذا البيان — التصريح الثلاثي — في اجتماع (٢) الجامعة العربية من جديد وفي مناخ لا يسمح لها بالاصطدام بالدول الكبرى وقررت الدول العربية — في تعليقها على هذا التصريح — أنها تحترم ميثاق الأمم المتحدة أما مسألة استكمال تسليحها فهو راجع إلى شعورها بمسئوليتها لحفظ الأمن الداخلي في بلادها والدفاع الشرعي عن حياتها والقيام بواجب حفظ الأمن الدولي في هذه المنطقة . وأكدت الجامعة العربية أن السلاح الذي طلبته وتطلبه الدول الأعضاء فيها لا يستعمل إلا للأغراض الدفاعية ، رغم أن مسألة مستوى القوات المسلحة اللازم لكل دولة يرجع تقديره ويرتبط بعدد سكانها واتساع حدودها ، لقد طالبت الجامعة العربية بضرورة حل قضايا منطقة الشرق الأوسط على أساس الحق والعدالة والمبادرة إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين وبتعويضهم كأساس لضمان

(١) أنظر نص التصريح الثلاثي في :

ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية — الجزء الثاني ، مرجع سابق ص ١٠٧٧ «

(٢) أنظر ، رد الدول العربية على البيان الثلاثي المشترك ، بيان مجلس جامعة الدول العربية في شأن التصريح الثلاثي الأمريكي البريطاني الفرنسي في المرجع السابق ص ص ١٠٨١ — ١٠٨٤ .

السلام والاستقرار . وأخيراً فإن الجامعة العربية قد لفتت النظر إلى أن التصريح الثلاثي وطريقة تقديمه وما اشتمل عليه من شروط لا يعنى تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق نفوذ أو الاعتراف على استقلالها وسيادتها .

وفي الواقع جاء رد الدول العربية والجامعة العربية على التصريح الثلاثي رداً « خجولاً » حقاً حيث جاء فيه أيضاً بخصوص اعتزام الدول الغربية الثلاثة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ سياستها المبينة في هذا التصريح سواء في نطاق الأمم المتحدة أو خارجها : وما زال يثير بحق القلق والشكوك لدى جانب كبير من الرأي العام العربي (وليس الحكومات) « وذلك رغم تأكيدات الدول الثلاثة بأنه ليس فيه أى معانى الإشراف أو الوصاية أو تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ (١) .

وواضح من هذا الرأي أن مجلس الجامعة العربية وأن لم يستطع أن يبتلع ما جاء في التصريح أمام الرأي العام العربي إلا أنه بحكم بنيته لم يجاهر برد قوى عليه .

أما بخصوص موقف الاتحاد السوفيتي من هذا البيان الثلاثي فهناك رأى يقول « بأن الدول الكبرى لو كانت قد اشتركت جميعها في هذا الإعلان لكان إعلاناً حكيماً حقاً ولكن الأمر لم يكن كذلك حيث أن الاتحاد السوفيتي لم يكن بين الموقعين عليه وعلى ذلك فقد هذا العمل من جانب الدول الثلاث - طبقاً لهذا الرأي - كل أثر وكل فعالية » (٢) ويرتبط موقف الاتحاد السوفيتي من التصريح الثلاثي بموقفه عمومياً من الدولة الصهيونية خصوصاً في عام ١٩٥٠ الأمر الذي يجعلنا نشير إلى ذلك في تفصيل غير قليل :

(١) المرجع السابق .

Aleum, op. cit. p. 364.

(٢)

(م ٢١ - فلسطين)

موقف الاتحاد السوفيتي من التصريح الثلاثي واسرائيل عام ١٩٥٠ :

ظلت إسرائيل تتمتع بتأييد الدولتين الكبيرتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لمدة ثلاث سنوات بعد إعلان قيامها ، وبانقضائه هذه المدة ستهول إسرائيل إلى توثيق صلاتها بالغرب لظروف داخلية وخارجية.

ويرجع سكوت العرب عن تأييد الاتحاد السوفيتي لإسرائيل إلى أن سياسة السوفيت كانت تتذبذب بين شد وجذب مع العرب والإسرائيليين كما أن سياستها المعلنة لمكافحة الاستعمار حولت الأنظار عنها وجعلت العرب يركزون الانتقاد على الدول الغربية (١) ،

ومن جهة أخرى فقد اتضح الابتعاد السوفيتي عن الدولة الجديدة في جانب منه عن عدم اشتراكه في التوقيع على التصريح الثلاثي حيث شهد عام ١٩٥٠ تغيير إلى الأسوأ تجاه إسرائيل^١ من جانب السوفيت ، وبالرغم من السمعة الرئيسية للسوفيت كانت الحياة بين إسرائيل والدول العربية إلا أن عام ١٩٥٠ بالذات كان انحساراً للوهم السوفيتي تجاه الدولة الصهيونية ، فلم يبدأ عام ١٩٥٠ بداية حسنة بالنسبة للعلاقات الإسرائيلية السوفيتية فقد كانت هناك سلسلة من نقاط الخلاف الصغيرة لم تساعد بتجميعها على تنقية الجو بين البلدين .

وفي فبراير لاحظ تسارابكين المندوب السوفيتي في الأمم المتحدة في حديث لعضو في الوفد الإسرائيلي في نيويورك أن حكومة إسرائيل قد أظهرت أخيراً علامات الاتجاه نحو الغرب ، وفي نفس الشهر قدم رئيس

(١) Leshem, Moshe : Soviet Propaganda to the Middle East, in : Middle Eastern Affairs, Vol. IV. no. 1 January, 1953. p. 6.

طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥-١٩٥٢) القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ٣٣٣-٣٤٣.

البعثة الديبلوماسية السوفيتية في تل أبيب مذكورة احتجاج ضد « إزعاج المواطنين السوفيت » الذين يعيشون في إسرائيل عن طريق الاتصالات التليفونية وكذلك ضد التدخل في أمور تتعلق بملكية سوفيتية في القدس وهي الملكيات التي كانت للجمعية الدينية الروسية التي أنشئت في القرن التاسع عشر تحت اسم الجمعية الروسية (١) غير أن المؤشرات حتى ذلك الوقت لم تكن قد أصبحت كلها سلبية - ففي ٢٣ إبريل أكد نائب وزير الخارجية لافرنتييف للقائم بالأعمال الإسرائيلي نامير أن الاتحاد السوفيتي لم ينحرف أبداً عن طريق علاقات الصداقة مع إسرائيل التي ظلت طوال الوقت دون أى تغيير ، وكانت هذه الواقعة مع وقائع أخرى مشابهة ما زالت ترجع الكفة نحو استمرار علاقات الصداقة حتى حدثت التطورات الحاسمة في هذا العام بموقف إسرائيل من التصريح الثلاثي في مايو ثم موقفها من الأزمة الكورية في يوليو وما أدى إليه ذلك كله من تدهور العلاقات السوفيتية الإسرائيلية (٢) .

ويقال أن موسى شاريت قد فكر في زيارة موسكو على أمل تلطيف العلاقات بالرغم من أن ذلك لم يكن ليفرز من شعبية إسرائيل في واشنطن ، لكن فشنسكى صده وأخبره في ٣ نوفمبر أنه لم تكن هناك ثمة حاجة إلى هذه الزيارة نظراً لأنه يمكنهم أن يتقاربوا دائماً أثناء دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك .

وشهدت العلاقات السوفيتية الإسرائيلية في النصف الثاني من هذه السنة أيضاً سقوطاً إلى مستوى أدنى يعتقد على نحو مبرر أنه مستوى الحياد السلبي بعيد عن أى من الصداقة والعداء (٣) .

Dalton, David : Soviet Policy in the Middle East in (١)
Middle Eastern Affairs Vol. VI. no. 11 November 1955 p. 432.
Dagan, op. cit. pp. 47-45. (٢)

(٣) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

وعموماً فقد كان عام ١٩٥٠ هو عام انحسار الوهم السوفيتي عن إسرائيل وهو ما ينعكس هنا عن عدم توقيع الاتحاد السوفيتي على التصريح الثلاثي وذلك ضمن عوامل أخرى ، وذلك في الوقت الذي لم يكن فيه العالم العربي قد شهد بعد تطورات إيجابية يعتمد بها من وجهة نظر الاتحاد السوفيتي ولذا كان طبيعياً ألا نجد لدى السوفيت اهتماماً من أى نوع بالإتهامات المتبادلة بين مصر وإسرائيل بانتهاك اتفاقيات الهدنة والتي بحثها مجلس الأمن في أكتوبر - نوفمبر من هذا العام ، إذ لم يشترك الاتحاد السوفيتي في المناقشات بأكملها كما امتنع عن التصويت على مشروع القرار الفرنسي البريطاني الأمريكي الذي تبناه المجلس في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ الأمر الذي يفسره البعض بأنه انعكاس لعدم الانتماء السوفيتي إلى صراع الشرق الأوسط (١) .

الفصل الثاني

قصور نظام الهدنة وحوادث الحدود

هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة :

لعل من المفيد قبل سرد وقائع حوادث الحدود التي تزايدت عدداً وجساماً إلى أن انتهت إلى المعارك الصريحة مرة أخرى في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ - لعل من المفيد قبل سرد هذه الوقائع أن نبادر إلى ذكر شيء عن الهيئة التي حاولت منذ عام ١٩٤٧ المحافظة على السلم والهدوء على طول الحدود التي رسمتها اتفاقيات الهدنة والتي اختلف خطها من التوفيق في ذلك وفقاً للظروف وإن لم يخل عملها من محاولة لإيقاف هذه الحوادث في أوقات متعددة وهي : لجنة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة أو هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة .

في يوم ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراره يأمر فيه بإقامة هدنة مدتها أربعة أسابيع ، وأورد في الفقرة السابعة من هذا القرار تعليماته إلى وسيط الأمم المتحدة أن يتولى بالاتفاق مع لجنة الهدنة تطبيق الأحكام الخاصة بتلك الهدنة كما قرر المجلس أن يضع تحت تصرف الوسيط وتحت تصرف لجنة الهدنة العدد الكافي من المراقبين العسكريين .

وظهر اختلاف في الرأي بين الاتحاد السوفيتي وزملائه من أعضاء مجلس الأمن حيث طالب الاتحاد السوفيتي أن يتم اختيار المراقبين عن طريق مجلس الأمن ، الأمر الذي يصبح من الممكن بعد تعيين ضابط من السوفييت ضمن المراقبين الدوليين وعارض باقي أعضاء مجلس الأمن في ذلك ، وألحوا على أن يكون اختيار المراقبين من اختصاص الوسيط الدولي ، وكانت الغلبة في النهاية

لرأى هذا الفريق الأخير من أعضاء مجلس الأمن ، واستعان الوسيط الدولي بثلاثة وستين من الضباط ينتمون الى الدول الثلاث الممثلة في لجنة الهدنة ، وهي بلجيكا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، وقد اتسع عدد المراقبين فيها بعدد حتى وصل الى ثلاثمائة ، كما اتسع نطاق الدول التابعة لها ، وحينما صدر القرار المؤرخ في ١١ أغسطس سنة ١٩٤٩ بالغاء مهمة الوسيط الدولي نص فيه على أن يتبع كبير المراقبين الدوليين مجلس الأمن مباشرة ، وعليه أن يقدم للمجلس المذكور تقريراً عن كافة حوادث خرق الهدنة .

وتكونت اللجان المختلفة الأربع التي نص على إنشائها في اتفاقيات الهدنة من ممثلين للطرفين بأعداد متساوية من كل جانب على أن تجتمع تحت رئاسة قائد عظيم من هيئة مراقبي الأمم المتحدة يعينه رئيس هيئة أركان الحرب ، وخصصت مهمتها بوجوب تلقي جميع الشكاوى التي يتقدم بها أى من الطرفين والفصل فيها وفي المنازعات التي تثار وفقاً لقواعد الإنصاف .

وفي نطاق العمل لم تتمكن هذه اللجان إلا قليلاً من القيام بالمهمة التي وكلت إليها ، نظراً لأن كلا من الطرفين المتنازعين ، كان يسعى أساساً الى استصدار الأحكام ضد الطرف الآخر على خير وجه يسمح باستغلال هذه الأحكام في شئون دعايته فضلاً عن هذا كثيراً ما حدث أن تعطل العمل أمام هذه اللجان بسبب امتناع أحد الخصمين عن حضور جلسات اللجنة .

وقد ظل مراقبو الأمم المتحدة كما ظلت لجان الهدنة لمدة سبع سنوات الحائل الوحيد الفاصل بين الشعوب العربية وإسرائيل وكان حائلاً هشاً ضعيفاً وكان دور - المراقبين هو الدور الرئيسي في ذلك كله ، فكلما وقع حادث بين الطرفين أسرع كبيرهم يحاول فرض وقف إطلاق النار قبل أن تتحرك الأجهزة الثقيلة التي تتكون منها لجان الهدنة وكثيراً ما نجح في ذلك وعندما كان يصل أمر النزاع أمام لجان الهدنة كان المراقبون يحاولون تحديد المسؤوليات .

والحقيقة أن الدول العربية كانت ضعيفة عسكرياً لشن حرب على إسرائيل

وشديدة الضعف سياسياً لإحلال السلام، واستطاعت هيئة الرقابة أن تراقب حوادث الحدود وتوقفها عند حدودها، لكن هذه الحوادث كانت مزمنة، وتعذر على هيئة الرقابة الدولية أن تحول دون وقوعها.

وبقى هناك الألم المبرح الذي عاناه العرب نتيجة زرع إسرائيل في وسطهم وقد تعمّر تهدة السخط العربي بواسطة الهدنة، وهو ما انعكس على الجهات الثلاث حيث تكررت حوادث الحدود.

حوادث الحدود في القطاع الأردني:

في المرحلة الأولى كانت الحوادث مواجهة بين إسرائيل والأردن، وكان سببها اللاجئين المقيمون على مقربة من خط الهدنة أثناء عودتهم إلى قراهم، إما لاسترداد شيء من أموالهم التي تركوها هناك وأما للتعبير عن السخط من القادمين بالحد الذي استولوا على تلك الأموال. وكانت هذه الأعمال من قبل اللاجئين عملاً طبيعياً بل ويمكن القول أيضاً أنها عمل مشروع سليم، إذ من الطبيعي بالنسبة للفلاح العربي الذي يرى أمامه قوماً من الدخلاء الأجانب، يزرعون ويفلحون الأرض التي كانت ملكه وملك آبائه والتي طرد منها، إلا بفعل الحوب أو بفعل التهديدات السياسية كان من الطبيعي أن يجبر هذا الفلاح بالحقن العميق ضد أولئك الذين هم في نظره عن حق من الغاصبين.

على أن إسرائيل لم تبذل أي جهد للتخفيف من شدة الظلم خصوصاً وأن القرية الصغيرة كانت منقسمة إلى قسمين تفصلهما الأسلاك الشائكة وينظر العرب أحياناً من وراء هذه الأسلاك ليشاهدوا أمام أعينهم ممتلكاتهم المسلوقة، وكان وضع بعض المدن الأردنية شاذاً مثل قلقيلية التي كانت مزدهرة في الماضي ثم أخذ شأنها يضمحل بسبب انفصالها عن المزارع المحيطة بها.

وإذا كان اللاجئين يشعرون الاضطراب والفوضى من آن لآخر، بسبب الألم المبرح الذي يعانون منه، فإن إسرائيل كانت تضرب بقسوة على أيديهم، وكانت ردود الفعل الإسرائيلية عنيفة حقاً، خصوصاً وأن إسرائيل كانت

تعمل من مركز القوة ، وكان من الختمى أن تصيب أعمال الانتقام الإسرائيلية
هذه فريقاً من الأبرياء كما حدث في قرية الشرافات يوم ٧ من فبراير عام ١٩٥١
وفي بيت جالا يوم ٦ من يناير ١٩٥٢ ،

غير أنه في عام ١٩٥٢ اقتربت اسرائيل والأردن من تهدئة الحالة على الحدود
يقبول لجان مراقبة محلية مشتركة مهمتها مراقبة مناطق الحدود بين البلدين .

وكان من رأى الإسرائيليين أن يتولى الجيش وليس الإدارة العادية الإشراف
على تلك اللجان حتى تتضح المسؤولية ، وقد تشكلت بالفعل بعض لجان الحدود
في المنطقة المتاخمة لإيلات ، ولكن توقف العمل من أجل إقامة لجان جديدة بعد
اغارة اليهود على قرية .

وأخطر ما ورد في هذا الاتفاق هو انشاء محاكم لمعاقبة المتسللين . لم تستطع
حكومة الأردن وضع هذا القيد موضع التنفيذ ، حيث كانت تخشى من ثورة
العناصر الوطنية . كذلك وضع نظام خاص للمعاون في منطقة القدس ، فرفعت
اسرائيل العراقل التي كانت تضعها لتزويد المدينة القديمة بانكهرباء ، وخفت
الأردن القيود المفروضة على مرور القوافل الى جبل سكويس ، واستطاعت
إسرائيل أن تمتد خطاً حديدياً إلى القدس الجديدة (١) .

وقد عرضت إسرائيل على الأردن القيام بتوسيع الطريق الذي يصلها بالقدس
وأن ترد بدلا من ذلك بعض المزارع للعرب فرفضت الأردن إجراء أى تعديل
إقليمي ، على أن الأردن قد اعتبر العمليات التي كانت تنطلق من أراضيها ضد
اسرائيل موجهة إلى بلادهم أكثر منها إلى إسرائيل ذاتها (٢) ، وأحست السلطات
الأردنية بالقلق يساورها من جراء هذه الغارات ويقال أن هؤلاء الفدائيين هم

Hutchison, ch. : Violent Truce 1951-1955 New York (١)

1966 p. 55-57.

Aleum, op. cit. p. 367-368.

(٢)

من رجال المفتي الحاج أمين الحسيني وهم من بين اللاجئين إلى دمشق، وأن المملكة العربية السعودية هي التي تتولى تمويلهم وتسليحهم، وقال الأردنيون أن المفتي مازال يلاحق بكرهه خلفاء الملك عبد الله وأن الخلاف بين الاسرتين الهاشمية والسعودية لم يكن قد خمد حتى ذلك الحين. وقد تلقت الاردن بالفعل ردود الفعل الناتجة عن تلك العمليات التسللية إذ على أثر مقتل ثلاثة من الإسرائيليين داخل إسرائيل دبر الجيش الإسرائيلي غارة قبية، وقامت تشكيلات إسرائيلية عسكرية ما بين ١٤ و ١٥ من أكتوبر ١٩٥٣ بمهاجمة قرية قبية وبعد أن أرغم الإسرائيليون سكان القرية تحت وابل من الرصاص على الالتجاء إلى بيوتهم عمدوا إلى نسف تلك البيوت بمن فيها فقتلوا بذلك على ثلاثة وخمسين من بين رجال ونساء وأطفال، وحقت لإسرائيل هدفاً آخر (١) جوهرياً بهذه الغارة وهو تقوية الروح المعنوية للإسرائيليين الذين كانوا يعانون من سوء تدهور الأحوال الاقتصادية عام ١٩٥٣ بسبب شدة الحصار العربي عليها آنئذ.

وبالرغم من أدانة مجلس الأمن لهذا الحادث البشع واستنكار الرأي العام العالمي له - فإن إسرائيل أدعت - كعادتها دائماً - أن الحكومة الأردنية تتواطأ مع الفدائيين وطلبت أن يبعد اللاجئون من منطقة الحدود إلى مسافة عشرين ميلاً، والواقع أن الحديث لا يتردد بنقس الدرجة حول الإسرائيليين الإسرائيليين الذين كثيراً ما يعبرون الحدود من المستعمرات المحاورة لكي يمارسوا هوايتهم التي دربوا عليها منذ أعمال المقاومة في أوروبا وهي تدبير الاغتيالات والأعمال الإرهابية.

وقد سبق أن أوضحنا استحالة تواطؤ السلطات الأردنية مع الفدائيين الفلسطينيين وأن أعمال الفدائيين لم تكن بتدبير الحكومة الأردنية، ونضيف إلى ما ذكرناه تأكيد من أن جلوب القائد العام للجيش الأردني كان يعمل

Beger, Earl. The Government and the Sword, op. cit, (١)
p. 90.

طوال توليه لهذا المنصب على منع أعمال التسلل أو الفدائيين لاعتقاده (١) بعدم جدواها .

وحدث أيضاً أن جاءت الشبهة حول المتطرفين الإسرائيليين في تدبير الغارات على الحدود الإسرائيلية لكي يخرجوا الحكومات الأقل نزوعاً إلى العدوان ، ومن الراجح أن يكون ديان وبن جوريون ولافون قد اشتركوا في تدبير حادث السطو على سيارة أوتوبيس وذلك باقامة كمين نصب في ممر العقرب على الطريق بين بئر سمح وإيلات ، وقتل في هذا الكمين أحد عشر إسرائيلياً وجرح منهم اثنان ولم يتوصل التحقيق الذي قام به جلوب ذاته إلى معرفة موطن البدو الذين قاموا به ، وكان الراجح أن هذا الحادث قصد به احراج حكومة شاريت واثبات فشل سياسة الملاينة التي اتبعتها تجاه العرب وقد جر هذا الحادث شاريت إلى المشاركة في الغارات الثأرية وتدبير غارة نحالين في ٢٩ مارس ١٩٥٤ وقد حصلت الغارة على هذه القرية ليلاً مما الحق الخسائر بكلا الجانبين .

وتدل مناقشات مجلس الأمن التي دارت حول موضوع غارة قرية النحالين على أن إسرائيل أرادت أن تتخذ من إثارة القلاقل على الحدود دليلاً على فشل نظام الهدنة وضرورة تغييره إلى صالح أو على الأقل تسوية ما تعطى للعلاقات بينها وبين الدولة العربية صورة جديدة ، لذلك فضل الأردن سحب شكواه في نهاية الأمر .

ومهما قيل عن الهدوء النسبي الذي ساد الحدود الأردنية الإسرائيلية فهناك قائمة طويلة من الانتهاكات ينقلها لنا كبير المراقبين الدوليين (٢) في القطاع الأردني وذلك في المدة الواقعة من يونيو ١٩٤٩ حتى أكتوبر ١٩٥٤ ، فقد بلغت الشكاوى الإسرائيلية ١٦١٢ والأردنية ١٣٤٨ ، ولم تحقق هيئة

Glubb., A. Soldier with the Arabs, op. cit, 205. (١)

Hutchlon, op. cit, p. 90. (٢)

الرقابة الدولية إلا في الحالات الجدية وأصدرت في خلال هذه المدة خمسة وتسعين حكماً بالمخالفة على إسرائيل، وستين على الأردن ، وتتعلق الشكاوى أحياناً بعبور القوات النظامية للحدود ، وقد تفوقت إسرائيل في هذا النوع من المخالفات (٣٥٧ شكوى من إسرائيل مقابل ١٤٦ من الأردن وعلى العكس ترددت الشكاوى من عبور الفدائيين الذين لا يتبعون القوات النظامية فبلغت ٧٤٧ شكوى ضد الأردن مقابل ١٨ ضد إسرائيل .

أما حالات طرد السكان المدنيين ، فلم تصدر فيه أية شكوى ضد الأردن وعلى العكس وجهت ٦١ شكوى بهذا الخصوص ضد إسرائيل كذلك كانت حوادث الإختراق الجوي أكثر تردداً من جانب إسرائيل (٣٤٠ حالة مقابل ٤٨ عن الأردن) .

ونخلص من ذلك إلى أن الأردن كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أمام العدو الإسرائيلي منفرداً ، ولذلك لم يكن بوسع حكومة عمان أن ترد الغارات واسعة النطاق مثلها ، وخاصة غارته بقليلة التي تعتبر من أفظع الغارات الإسرائيلية وخشية على الأردن والتي تمت في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ولم نجد أدانة الأمم المتحدة في الحد من غرور الفرح الإسرائيلي الغريب المزهو بنفسه المجرد من التميز على حد قول المؤرخ « جورج كيرك » (١) ،

ومن المؤسف أيضاً أن نصف واثق الأمم المتحدة لهذه الغارات بأنها ثأرية وانتقامية ، وكأن العرب هم البادئون بالعدوان ، وأن إسرائيل إنما تلجأ إلى هذه الغارات للثأر من البادئ بها .

جوادث الحدود في القطاع السوري :

ثبت قصور الهدنة في القطاع السوري لسببين رئيسيين :

الأول : هو عسكـم إلزام إسرائيل بالتنظيم الخاص بالمنطقة منزوعة السلاح ،

الثاني . هو متاخمة منطقة الحدود للبحيرات وحوض نهر الأردن وغربه ، وما يترتب على ذلك من ضرورة اتفاق لتنظيم توزيع المياه

وقد سبق أن أشرنا إلى أن سوريا قبلت تحت الضغط الانسحاب من الأراضي التي كانت تحتلها من فلسطين شريطة أن تكون منزوعة السلاح وتشمل هذه الأراضي قطاعين غير متصلين ،

الأول : يمتد من منتصف بحيرة الحولة بمحاذاة نهر الأردن حتى الثغاة ببحيرة طبرية ويتراوح عرض المنطقة بين كيلو متر وأربعة كيلو مترات ،

والثاني : يمتد من جنوب شرق طبرية إلى مسافة أربعة كيلو مترات إلى خوسـة عند نقطة التقاء الحدود بين سوريا والأردن ،

وحسب المادة الخامسة من الهدنة السورية الإسرائيلية تستوجب إعادة الحياة المدنية في المنطقة إلى حالتها الطبيعية ، وقد فهم المراقبون الدوليون أن هذه المادة تعني أشرفهم على تطبيقها - واقترحوا أن تخصص شرطة يهودية لحماية السكان اليهود ، وأخرى عربية لحماية السكان العرب ، ثم تبين أن إسرائيل تسليح رجال الشرطة بصورة تتجاوز مهمة الأمن الداخلي فضلا عن أنها استخدمت هذه القوات لطرد السكان العرب من المنطقة حينما شرعت إسرائيل في تجفيف بحيرة الحولة عام ١٩٥١ . وكان المقصود من ذلك إقامة مزيد من المستعمرات في هذه المنطقة ، وعرضت إسرائيل شراء ما بقى للعرب من أراضي في هذا القطاع ، فرفضت سوريا السماح بالبيع . ووقعت الاشتباكات فأصدر مجلس الأمن قراراً بالسماح بتجفيف بعض أجزاء البحيرة مع عدم الإخلال بملكية السكان العرب .

وقد شجع هذا القرار إسرائيل على المضي في العدوان فوضعت العالم أمام

الأمر الواقع، وأخرجت السكان العرب وأعلنت سيادتها على المنطقة منزوعة السلاح مخالفة بذلك روح إتفاق الهدنة ونصها ،

وقد فكرت حكومة الشيشكلي آنذاك في الاستعانة بالجيش العراقي لإيقاف الاعتداءات الإسرائيلية ، إلا أن تطلع الهاشميين إلى إحياء مشروع الهلال الخصيب جعل سوريا تتوجس خيفة من بقاء القوات العراقية في أراضيها ، كما أن اشتباكاً على نطاق واسع قد يؤدي إلى جلب المزيد من القوات العراقية التي فضلت قبول الأمر الواقع وعادات القوات العراقية بعد أربعة أشهر .

ومن جهة أخرى أثارت إسرائيل مشكلات حول وضع بحيرة طبرية فادعت السيادة عليها ، لأنها كانت تدخل ضمن فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (١) ولكن سوريا تحتل الساحل من ناحية الشرق ، ومن حقها تأمين هذا الساحل وممارسة حق الصيد في البحيرة ، وأرادت إسرائيل أن تتخذ من مسألة الصيد حجة لبدء مفاوضات تستهدف تنظيمه ، فرفضت سوريا ، وانتهى الأمر بتحديد مسافة تجاه الساحل السوري تمتد ٢٥٠ متراً داخل البحيرة تعتبر مياهها سورية ، وتستطيع القوارب السورية أن تمارس فيها حق الصيد . ولكن من السهل تصور ما يترتب على مثل هذا التقسيم من مشكلات ، فليس بوسع الصيادين أن يلتزموا بخط وهمي ، كما أنه من الطبيعي أن يشك كل فريق في طبيعة وأهداف القوارب التي تنزل إلى البحيرة لذلك كانت بحيرة طبرية من أشد مناطق الهدنة توتراً .

وقد شهدت الفترة بين عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ تصاعداً مستمراً للاشتباكات المسلحة على الحدود وزاد من هذا التوتر أعمال تحويل مياه الأردن التي أخذت إسرائيل تنفذها سرا أحياناً وعلانية أحياناً أخرى .

ومتعدية قرارات مجلس الأمن الذى طلب إيقاف أعمال التحويل إلى أن يتم اتفاق بين الأطراف المعنية .

على أنه فى الوقت الذى أيدت فيه الدول الغربية إيقاف أعمال التحويل رأت أن ترضى إسرائيل من جانب آخر بالموافقة على تخفيف بقية بحيرة الحولة بعد أن صار أمراً واقعاً . وعندما طرح هذا الموضوع من جديد على مجلس الأمن فى يناير سنة ١٩٥٤ ، استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو لإيقاف القرار ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يستخدم فيها الاتحاد السوفيتى الاعتراض لصالح العرب فى نزاعهم مع إسرائيل .

وفى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة متحمسة لمشروع مشترك لتوزيع مياه الأردن ، ولذلك لم تشجع اتخاذ قرارات حاسمة لمجلس الأمن ، على أمل أن يساعد ذلك على نجاح جونستون فى مهمته .

ومن جهة أخرى نسب إلى شوكت شقير ، القائد العام السورى فى ذلك الوقت الرأى القائل بعدم جدوى الاشتباكات الجزئية ، ويدخل فى هذا الباب نشاط الفدائيين (١) ، لذلك نلاحظ هدوءاً نسبياً فى عام ١٩٥٤ .

غير أنه فى يوم ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ ألقى سوريا القبض داخل أراضيها على خمسة من الجنود الإسرائيليين أثناء انشغالهم فى عمل تحويلات سرية فى الخطوط التلغرافية لأغراض التجسس ، وبذل الاسرائيليون كل ما فى استطاعتهم لاسترداد هؤلاء إلى مضاعفة الحقد (٢) على سوريا .

ولم تلبث أحوال سوريا الداخلية والخارجية أن تبدلت فى عام ١٩٥٥ حين حدث تقارب مطرد فى العلاقات السورية المصرية انتهى بعقد معاهدة دفاع

Burns. Lt. general c. l. m. Between Arabs and (١)
Israel. New York 1962. p. 110-115.

Aleum, op. cit. p. 374. (٢)

مشارك كما بدأ استيراد الأسلحة من الكتلة الشرقية ، وانقلبت قيادة الجيش إلى ضباط من الشبان الوطنيين المتحمسين فلم يستطيعوا أن يقفوا جامدين أمام استمرار إسرائيل في تحويل مياه الأردن ، ولما كان مجلس الأمن قد أمر بإيقاف أعمال التحويل حينما تتفق الأطراف المعنية ، فلم يكن بوسع الجيش السوري سوى أن يطلق النار ، كلما اكتشف أن المهندسين الاسرائيليين يخالفون هذا القرار .

وفي بعض الأحيان كان الاسرائيليون يدعون أنهم يقومون فقط بأعمال الحفر لإنشاء مساقط المياه الخاصة بتوليد الكهرباء من بحيرة طبرية ، غير أنه ثبت أنهم كانوا يقومون ببناء خزانات لمد أنابيب المياه إلى صحراء النقب تنفيذا لوعود بن جوريون بأن ينقل المياه إلى الأراضي الجرداء في أقرب وقت ، وتلك هي الظروف التي أحاطت بأكبر غارة لإسرائيلية شنت على سوريا في الليلة ما بين ١١ و ١٢ ديسمبر ١٩٥٥ حيث هاجمت القوات الاسرائيلية المراكز الامامية السورية المقامة على الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية وفقدت سوريا في هذا الهجوم ٥٦ قتيلاً منهم ٤١ من العسكريين ، ٧ من الشرطة ، ٨ من المدنيين إلى جانب ٢٩ أسيراً (١) .

ومن الغريب أن هذه الغارة الإسرائيلية البشعة قد وقعت بينما كان بيرنز كبير المراقبين الدوليين يقيم في إسرائيل للتباحث في شأن الاعتداء على الحدود المصرية قبل ذلك بشهر واحد ، مما جعل بيرنز يعتقد (٢) أن من بين أهداف هذه الغاية اختبار معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا .

وعلى أى حال فقد أدت هذه الغارة الإسرائيلية البشعة إلى تمكيد كثير من الأعضاء بمجلس الأمن في ضرورة تغيير نظام الهدنة . وجاء همرشلد في مهمة خاصة إلى الشرق الأوسط لبحث هذا الموضوع فضلاً عن أن مجلس الأمن قد أصدر حكماً قاسياً على الاسرائيليين بسبب هذا الهجوم الغادر .

Ibid.

(١)

Burns, op. cit. p. 120.

(٢)

مصر وإسرائيل بعد اتفاقيات الهدنة :

اتخذت مصر جميع الإجراءات التي تكفل بقاء مشكلة فلسطين مطروحة سياسياً ودولياً بالرغم من أن اللجنة الدائمة قد جمدت الجبهة المصرية من الناحية العسكرية غير أن مصر أرادت تعويض هذا التجمد بتأكيد حالة الحرب مع إسرائيل فصدر القانون العسكري رقم (٥) لسنة ١٩٤٨ الذي وضع نظام التفتيش على السفن بالموانئ المصرية ، ثم تبعه القانون رقم ١٣ الذي يطبق قواعد القانون الدولي العام المتعلقة بالحرب والذي يجعل من حق الدولة المحاربة مصادرة البضائع المرسله إلى العدو والتي يسير عليها بعد التفتيش ، ونتج عن هذا إقامة محكمة للغنائم البحرية في الاسكندرية . ثم أخرى للغنائم التي يعثر عليها في الطائرات ، كما صدر قانون ثالث يحظر التعامل مع الأشخاص أو الهيئات التي لها نشاط اقتصادي مع إسرائيل (١) ومع مرور الزمن اتسع نطاق المقاطعة فشملت الشركات التي تتعاون مع إسرائيل وأدرجت هذه الشركات في قوائم سوداء ، وطبق هذا النظام في جميع الدول العربية وقد انعكس هذا على الاقتصاد الإسرائيلي ذاته فبدلاً من تصدير المصنوعات والسلع إلى الدول العربية المجاورة ، سمعت إسرائيل لى فتح أسواق جديدة لها في الشرق الأقصى وأفريقيا ومن ناحية أخرى ضطرت إسرائيل إلى تكوين جهد مضاعف للإنتاج الزراعي .

وبعد عقد الهدنة بوقت قصير ، شرعت إسرائيل في تقديم الاحتجاجات على الحصار البحري ، واتجهت أولاً إلى لجنة الهدنة ، فاعتبرت مصر بأن هذا الموضوع لا يدخل في اختصاص اللجنة ، إذ أن الحصار مسألة سياسية تمارسها السلطات المدنية ، أما لجنة الهدنة فتختص بالشئون العسكرية فقط .

(١) دكتور بطرس غالى ، الحرب بين مصر وإسرائيل في : مجلة السياسة الدولية - عدد

أكتوبر ١٩٦٧ .

غير أن رئيس لجنة الهدنة عاد فأيد إسرائيل مدعياً بأن الحصار البحري يخالف روح نظام الهدنة . وفي هذه الأثناء أخذت مصر تضيف إلى قائمة الممنوعات الاستراتيجية سلعا جديدة ؛ وقد تجنب أصحاب السفن مخالفة القوانين المصرية في أغلب الأحيان ، وبالرغم من ذلك فإن إحدى الدراسات الإسرائيلية تذكر أنها تمكنت خلال السنوات الأولى من تهريب نحو ١٠ ٪ من البضائع الواردة إليها على سفن^١ مرت بقناة السويس (١) ، ولكن بعد أن شددت الرقابة عام ١٩٥٠ كاد التهريب ينحقرى .

وقد احتجت إسرائيل لدى مجلس الأمن (٢) على الإجراءات المصرية سواء فيما يتعلق بالتفتيش ومصادرة المواد الاستراتيجية أو فيما يتعلق بحق إسرائيل في المرور بقناة السويس . وعندما طرح الموضوع للمناقشة لم تتردد الدول الغربية في تأييد إسرائيل .

واستندت إسرائيل أمام مجلس الأمن على الحجج التالية :

١ - أن الهدنة الدائمة هي حالة خاصة جدت على القانون الدولي ولا يمكن اعتبارها مجرد اتفاق لوقف إطلاق النار لأن الأجهزة التابعة للأمم المتحدة هي التي تشرف على تنفيذها .

٢ - أن الهدنة قد استطلت بحيث يصعب تشبيهها بمجرد اتفاق عسكرى لوقف إطلاق النار .

٣ - احتجت إسرائيل بمعاهدة عام ١٨٨٨ التي تكفل حرية الملاحة في قناة السويس ، حتى بين الدول المتحاربة ، ولم تأخذ إسرائيل سوى

Berger, op. cit. p. 159.

(١)

(٢) الدكتور / حامد سلطان ، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، مرجع سابق ص ٤٢ ، الدكتور محمد حافظ غانم . المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي ، مرجع سابق ص ص ٢١-٣٢ .

(م ٢٢ - فلسطين)

جانب واحد من تلك المعاهدة متجاهلة المادة العاشرة التي تعطي لمصر حق الدفاع عن نفسها في القناة ، وإذن فإن محور القضية يدور حول ما إذا كانت الهدنة الدائمة توازي حالة انتهاء الحرب أم لا .

وقد أصدر مجلس الأمن - بعد أن حاول إعادة الموضوع إلى الطرفين لتسويته ودياً - وبعد إلحاح من إسرائيل - أصدر قراراً في أول سبتمبر ١٩٥١ يدعو مصر إلى رفع إجراءات الحصار (١) ذاكرة في حيثيات القرار أن منع مرور السفن يعتبر عملاً عدوانياً منافياً لإنفاق الهدنة كما يمس حرية التجارة بالنسبة للدول التي لم تشارك في حرب فلسطين ، وإذن فقد أخذ المجلس بالنظرية القائلة بأن الهدنة تساوي إلغاء حالة الحرب (٢) .

إلا أن مصر رأت أن هذا موضوعاً قانونياً ، ومن ثم فإن محكمة العدل الدولية هي الهيئة المختصة بالبت فيه ، وليس مجلس الأمن الخاضع لمؤثرات سياسية لاسيما وأن تفسير معاهدة سنة ١٨٨٨ كمسألة قانونية تدخل في اختصاص محكمة العدل الدولية . (٣)

وبالرغم من صدور قرار مجلس الأمن بدعوة مصر إلى رفع إجراءات الحصار جاء مناصرة إسرائيل - إلا أن هذا القرار لم يصدر بالإجماع وإنما امتنعت عن التصويت ثلاث دول هي الاتحاد السوفيتي ، والهند ، والصين .

وسوف نتعرض تفصيلاً لموقف الاتحاد السوفيتي في موضع لاحق من هذه الدراسة ونكتفي أن نشير هنا إلى أن موقف الاتحاد السوفيتي هذا يعتبر ظاهرة جديدة بالنسبة للمشكلة الفلسطينية حيث يعتبر الامتناع هنا مرحلة انتقال بين التأييد السابق لإسرائيل وبين تأييد العرب وهي ليست مرحلة انحسار

(١) United Nations Records, Security Council, 1-16-8-

1951. No. 2241.

(٢) الدكتور محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي

مرجع سابق

(٣) المراجع السابق .

الوهم عن الدولة الصهيونية من جانب السوفيت فحسب ، بل أن عام ١٩٥١ يعتبر بداية الأزمات بين الدولتين ، وطوال هذا العام والسوفيت يتجاهلون المذكرة الإسرائيلية في ١٦ يناير المتعلقة بالمفاوضات من ألمانيا الشرقية (١) — إلا أن أهم الأزمات التي شهدتها عام ١٩٥١ بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل تعلقت بالتطورات التي أعقبت مشروع قيادة الشرق الأوسط التي كان موقف إسرائيل منها على أحسن الفروض غير واضح وضوح موقف دولة عربية كمصر ففي ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ ألغت الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا ثم رفضت في ١٤ أكتوبر المقترحات المتعلقة بقيادة الشرق الأوسط التي قدمت لها قبل ذلك بيوم وكان رد فعل الاتحاد السوفيتي طيبا للغاية فقد أعلن لمصر تأييده الكامل وترحيبه لعقد معاهدة عدم اعتداء معها ، كذلك حدثت حركات رفض قوية لتلك المقترحات في سوريا والأردن والعراق لم تتمتع المستوى الشعبي في البلدين الآخرين بينما أجبرت الحكومة على الاستقالة في سوريا عندما أظهرت موافقتها على المقترحات وشكل الوزارة الجديدة معروف الدواليبي الذي عرف بعداثة لمشاريع الاحلاف والذي كان يطالب بعقد معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي (٢) .

وابتداء من عام ١٩٥٤ والعلاقات السوفيتية العربية تمر بمنحنى صاعد وقد انعكس هذا التأييد السوفيتي على استخدام حق الفيتو لمنع تجديد قرار اتخذته مجلس الأمن عند منع سفينة بت جاليم الإسرائيلية من المرور في القناة .. والظاهر (٣) أن إسرائيل تعمل لإرسال السفينة بت جاليم إلى قناة السويس بقصد التأثير على المفاوضات الانجليزية المصرية .

-
- (١) وكانت إسرائيل قد أرسلت في نفس اليوم مذكرة تتعلق بالتعويضات من ألمانيا الغربية إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .
- (٢) طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) مرجع سابق ص ٤٨٦ - ٤٨٨ .
- (٣) الدكتور صلاح العقاد - قضية نا-طين - المرحلة الحرجة ، مرجع سابق ص ١٨٧ .

وعلى كل حال لم تكن إسرائيل منذ البداية تأمل في استخدام قناة السويس وهي تستطيع أن تستغنى عن هذا الممر إلى حد كبير بإيجاد ميناء على خليج العقبة وهو ما اتجهت إليه إسرائيل منذ البداية .

فبالرغم من أن العرب كانوا يسيطرون على النقب حتى نهاية عام ١٩٤٨ فلم تتمكن إسرائيل من احتلال قرية أم الرشراش على الخليج قبل ١٥ مارس سنة ١٩٤٩ - أى بعد توقيع إتفاقيات الهدنة مع مصر والأردن ، ويبدو أن هذه المنطقة كانت تامة بين الجانبين العربيتين ، فلم تحتاج إسرائيل إلى أكثر من ١٥٠ جنديا لإحتلال القرية التي صارت نواة لميناء ايلات بعد ذلك . وبادر الأردن إلى رفع شكوى إلى هيئة المراقبة على أساس أنه لم يكن من حق إسرائيل تغيير الوضع العسكرى بعد توقيع الهدنة ، حتى ولو كانت المنطقة التي احتلت حديثا داخلة في القسم اليهودى حسب قرار التقسيم ، لأن خطوط الهدنة لم تحدد طبقا للتقسيم ، وإنما رسمت حسب الأمر الواقع الناجم عن الهزائم العسكرية العربية ، ووافق بانسن كبير المراقبين الدوليين على هذا رأى وأرسل برقية إلى رئيس مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٤٩ جاء فيها ما يلى (١) :

« إننى متأكد تمام التأكيد أنه - ما عدا ما هو يتعلق بالعقبة ذاتها - فإن المراكز التي أنشأتها في هذه المنطقة القوات الأردنية والقوات الإسرائيلية ، أنشئت كلها بعد الهدنة التي دخلت في التنفيذ في ١٨ يوليو سنة ١٩٤٩ مع استثناء مراكز القوات الأردنية في « عين عبد » و « كرنوب » وبذلك تكون هذه المراكز جميعا قد أقيمت خلافا لأحكام الهدنة » .

وتمشيا مع سياسة الحصار البحري التي أخذت مصر تتوسع فيها بإطراد كان لابد من إيجاد وسيلة لاقتال الخليج في وجه الملاحة الإسرائيلية ،

(١) الدكتور محمد سلطان : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، مرجع سابق

ولا يتحقق ذلك إلا بالاتفاق مع حكومة السعودية التي تقع شواطئها على الطرف الآخر من الخليج . وفي أوائل عام ١٩٥٠ دخلت القوات المصرية جزيرتي « تيران » و « صنafir » بالاتفاق مع الحكومة السعودية وهاتان الجزيرتان تقعان في مدخل الخليج الذي يعرف بمضائق تيران . ويبلغ عرض هذه المضائق ١٢ ميلا ، ومع وجود الجزر ، تصبح الممرات المائية التي تشكل هذه المضائق داخلة في المياه الإقليمية العربية ، سواء أكانت مصرية أم سعودية ، ومعنى ذلك أنه يصبح من حق السلطات المصرية والسعودية منع سفن العدو من المرور فيها وتفتيش السفن المحايدة التي تبحر فوق تلك المياه .

وبعد أن اتخذت الاستعدادات العسكرية لمراقبة الملاحة ، رأت الحكومة المصرية أن تبلغ بريطانيا بهذه الإجراءات الجديدة ، نظراً إلى أن السفن البريطانية تردد على الخليج ، وذلك لوجود حامية بريطانية في ميناء العقبة الأردني . وجاء في المذكرة المصرية الصادرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٠ الفقرة التالية :

« ولما كان هذا الاحتلال لم توح به فكرة إعاقه المرور البري على أي وجه في المجال البحري الواقع بين الجزيرتين المذكورتين وشاطئ سبها المصري ، فمن المسلم به أن هذا الممر ، وهو الوحيد الممكن سلوكه عملياً ، سيبقى حراً كما كان في الماضي ، وذلك وفقاً للعرف الدولي ، ومبادئ القانون الدولي المقررة » ،

وفي نفس الوقت ابلغت السفارة الأمريكية بهذه الإجراءات ، ووزع منشور على شركات الملاحة والقنصليات الأجنبية في مصر حتى تكون جميع السفن الحربية والتجارية على علم بنظام المرور في مضائق تيران ٥ وتتلخص هذه الإجراءات فيما يلي :

١ - إذا حاولت (١) سفينة حربية إسرائيلية ؛ أو سفينة حربية مساعدة

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .

تابعة لإسرائيل أن تمر في المياه الإقليمية ، بما في ذلك مدخل خليج العقبة
أمكن إطلاق النيران في مواجهتها لاندازها ولمنعها من المرور ؛ على إلا
توجه القديفة إليها مباشرة بغرض أصابتها إلا إذا امتعت في مخالفتها .

٢ - إذا حاولت سفينة تجارية تابعة لإسرائيل أن تمر في المياه الإقليمية
المصرية بما في ذلك مدخل خليج العقبة الواقع بين جزيرة تيران وساحل سيناء
فيكتفى بضبط هذه السفينة وحجزها دون مصادرتها وإحالة أمرها إلى مجلس
الغنائم على أن تقوم بهذا الضبط السلطات المدنية البحرية بمساعدة الوحدات
العربية التابعة لمصلحة خفر السواحل .

٣ - قبل مرور السفن الحربية والتجارية والأجنبية المحايدة بمدخل خليج
العقبة فمن حق السفن الحربية المصرية ، وكذلك محطات الإشارات بالبر ؛
سؤالها عن أمتها وجنسياتها ووجهتها ، كما هو متبع دوليا ، على أن يكون
استعمال هذا الحق . بحيث لا يعوق حرية المرور البرية عبر مدخل خليج العقبة
شمالا أو جنوبا .

وقد أقرت بريطانيا بحق مصر في ممارسة الرقابة على الملاحة عقب احتجاز ،
السفينة البريطانية « أمبارر وش » لمخالفتها التعليمات فتبدلت الخطابات بين
السفارة البريطانية والخارجية المصرية ووعدت بريطانيا بأن تباه السلطات
المصرية في المستقبل عن جنسية السفن ووجهتها قبل أن تصل إلى نقط المراقبة
المصرية ، وبذلك تكون بريطانيا قد اعترفت بأن موقف مصر بخصوص
الملاحة في مضيق تيران وخليج العقبة مطابق لأحكام القانون الدولي

وتبع ذلك أن أحكمت مصر الحصار في عام ١٩٥٣ خاصة والمفاوضات
كانت بين إسرائيل والهند لعقد اتفاقية تجارية بينهما ، واعتراف أثيوبيا
اعترافا كاملا بإسرائيل وما يتبع ذلك من النبادل الاقتصادي بينهما ، وأن
يتم هذا بالطبع إلا باستخدام مضيق تيران .

وقد رفعت إسرائيل شكوى إلى مجلس الأمن تطالب بفتح الملاحة في

قناة السويس وخليج العقبة عام ١٩٥٤ وأبطل الاتحاد السوفيتي القرار باستخدام حق الفيتو كما سوف نشير إلى ذلك تفصيلا، ولم يظهر رد الفعل على هذا الموقف إلا في سبتمبر ١٩٥٥ ، في ذلك التاريخ صرح بن جوريون بأنه إذا لم يمكن فتح مضائق تيران للملاحة بواسطة الأمم المتحدة ، فعلى إسرائيل أن تعول على نفسها لفتح هذا الممر الدولي بالقوة ، وقدر لذلك ثلاثة عشر شهرا ؛ وقد وقع بالفعل العدوان الثلاثي في نهاية هذه المدة وأدى إلى فتح المضائق للملاحة (١) الإسرائيلية .

ومن الحجج الإسرائيلية المعروفة أن خليج العقبة هو بحر دولي نظرا لوقوع أكثر من دولة على سواحله ، ومن ثم فإن حرية الملاحة في المضائق يجب أن تكون مكفولة وبناء على هذه الحجج فإن مضائق تيران تعتبر مياهها دولية لأنها الطريق الوحيد للوصول إليه ولا يجوز بالتالي استخدام حق السيادة على المياه الإقليمية بدون قيد ، وهنا نعود إلى محور الخلاف الرئيسي وهو نظام الهدنة الدائمة ، وهل يعتبر إنهاء لحالة الحرب أم لا ، فإذا لم يكن مطابقا لإنهاء حالة الحرب ، فمن حق الدول العربية أن تمنع سفن العدوان من المرور بمياهها الإقليمية وذلك لممارسة حق الدفاع عن النفس .

من بروز عبد اثناسر إلى حوادث الخلدود :

ان تبادل الاتهامات بين الحكومات العربية وإسرائيل في القاء اللوم بسبب مشكلة فلسطين قد بلغ درجة من الحدة أدت إلى حمل الرأي العام العالمي على اعتبار مثل هذه الحجج عقيمة ، غير أنها تنطوي على مقدار كبير من الحقيقة : فالطرفان المتنازعان وجدا أنفسهما رهينين في دائرة من الرد والرد المضاد

(١) في أكتوبر عام ١٩٥٥ كانت توضع بالفعل الخطط في إسرائيل للاستيلاء على مضائق تيران بغية تأمين سلامة سفن الشحن الاسرائيلية إلى ميناء ايلات :

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinai Campaign New York
1967 p. 12.

ولم تحدث أية تحركات تستحق الذكر بالنسبة للقضايا الأساسية في المشكلة الفلسطينية في الفترة الممتدة بعد عام ١٩٤٩ اللهم إلا خلال فترة واسدة أظهر خلالها أحد الطرفين علامات تنبئ بالمرحلة - وكما يقال - فقد بدأت هذه الفترة من حركة الضباط الأحرار في يوليو سنة ١٩٥٢ وانتهت بعودة دافيد بن جوريون إلى تأليف الحكومة الإسرائيلية في فبراير عام ١٩٥٥ .

ونخبرنا أحد العملاء السابقين للمخابرات المركزية الأمريكية بأن اللواء محمد نجيب - القائد الصوري للضباط الأحرار - أبلغ الولايات المتحدة في ظرف ساعات من انقلاب يوليو سنة ١٩٥٢ أنه « ليس مهتما فلسطين » (١)

غير أن عبد الناصر عندما ظهر وبرز كقوة حقيقية في مصر ؛ أعرب أيضا عن اهتمامه بتسوية النزاع ، فعقدت الحكومة الأمريكية آمالها لفترة من الزمن على أنه سوف يبقى العرب تحت السيطرة (٢) . وهناك أنباء نقلت عن عبد الناصر اهتمامه بتشجيع الاتصالات غير المباشرة مع موسى شاريت الذي خلف بن جوريون كرئيس للوزراء في ديسمبر سنة ١٩٥٣ (٣) ، بينما يستشهد فرد خوري بتقارير صدرت في الصحف الإسرائيلية خلال عام ١٩٦١ عن حدوث لقاءات سرية في باريس بين ممثلين مصريين وإسرائيليين خلال عام ١٩٥٤ فقد سعى الممثلون نحو ترتيب تسوية غير رسمية لعلاقات الحدود وفتح الطريق أمام مفاوضات لاحقة حول غيرها من القضايا البارزة (٤) .

(١) استشهد بذلك مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم - لندن - ١٩٦٩ - ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢-٦٣ .

(٣) Lacouture, Jean, Lactoure, Simone : Egypt In Transition (London, 1958), p. 233-234.

(٤) Khouri Fred J. The Arab-Israeli Dilemma op. cit. pp. 300-301.

ولم تسفر هذه الاتصالات عن أية نتائج بارزة وسرعان ما ساء مناخ التسوية والتوفيق لدى عودة بن جوريون إلى مقاعد الحكم وتصعيد حوادث الحدود بين مصر وإسرائيل .

غير أنه حدثت تحركات كثيرة على الصعيد التكتيكي ، فالحلقة المفرغة من الاستفزاز والرد التأديبي ابقت الوضع مشتعلا - حتى خلال المراحل السلبية نسبيا من النزاع .

ومع بروز عهد الناصر كصانع ممكن للوحدة العربية ، انتقلت نقطة التركيز في سياسات إسرائيل العربية من الأردن إلى مصر التي جرى اعتبارها بمثابة الخطر الأول الذي يهدد حدود إسرائيل واستمرار وجودها فازدادت حوادث الحدود بعد عام ١٩٥٤ خاصة وكذلك المجابهات العسكرية الفعلية .

وعلى الرغم من أن الحادث الآتية وقعت في القاهرة إلا أنها تعتبر من قبيل حوادث الحدود ولها ارتباط بتسلسلها :

فلقد عاد بن جوريون يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٥ إلى الحكم بسبب قضية لافون الغامضة - وكان لافون وزيرا للدفاع وهو خصم لموشى ديان وشيمون بيريز ، وأحد الساسة المرموقين في إسرائيل ؛ وقد أدانته رفاقه بأنه المسئول عن عملية فاشلة نفذها العملاء السريون في مصر ، وقد وقعت حوادث هذه العملية في القاهرة بناء على خطة استفزازية وضعها المخابرات الإسرائيلية بهدف إجبار بريطانيا على البقاء في مصر عن طريق عمليات تخريبية ضدها تبدو في ظاهرها مصرية ولكنها في الواقع من تدبير عملاء إسرائيليين ؛ واعتبر لافون نفسه أنه ذهب ضحية لمناورات قام بها الجيش لاقتال عاتقه بمسئولية كان يجب أن يتحملها بعض قادة أجهزة المخابرات أو بيريز نفسه كما رأى أن التعليمات الصادرة بإحاطة العمليات بالسرية قد

لعبت دوراً في اتجاه واحد لتحول دون تبرئته (١) ، وقد نتج عن هذه العملية انفجار ثلاثة قنابل في القاهرة وأظهر التحقيق المصري أن القصد منها هو إفساد العلاقات بين مصر من جانب وانجلترا والولايات المتحدة (٢) من جانب آخر ، وألقت السلطات المصرية القبض على العملاء اليهود ، وكان شاريت قد وجه نداء إلى عبد الناصر بالرأفة ولكن تم تنفيذ حكم الإعدام على ثلاثة منهم الأمر الذي أثار غضب الرأي العام الإسرائيلي وكان من نتيجة نشوء حالة التوتر على الحدود .

عند هذا الوقت كان هناك انقسام في صفوف الزعماء الإسرائيليين أنفسهم ؛ فقد نادى موشيه شاريت (٣) بالإعتدال ، ويقال أنه أقام حواراً مع مصر ، وتوقع شاريت لهذا الحوار أن يسفر عن القبول بالوضع الراهن والاعتراف الفعلي بإسرائيل من جانب الدول العربية ، على أن تزعم مصر الناصرية السير في هذا الاتجاه ؛ ولكن قطاعاً من الزعماء الإسرائيليين الذين سيطر عليهم بن جوريون نظر إلى هذه التطورات بحذر ، فلما جاء بن جوريون خلفاً للافون نادى بفكرة اعتبار الأمن الإسرائيلي كقضية عن الدعامة الأساسية

(١) وعندما أصبح لافون سكرتيراً عاماً لاتحاد العمال (الهستدروت) طلب أن يرد إليه اعتباره وهاجم أجهزة الجيش أمام اللجان البرلمانية وقد عينت الحكومة بالرغم من معارضة بن جوريون لجنة مكونة من سبعة أعضاء وتولت فحص الملفات السرية وأعلنت براءة الوزير السابق - وقد ثار بن جوريون على لافون ثم قدم استقالته وفي فبراير سنة ١٩٦١ طردت اللجنة المركزية لحزب الماباي لافون من السكرتارية العامة للهستدروت سعيها للاحتفاظ برئاستها غير أن لافون كان قد اكتسب شعبية في إسرائيل بوصفه ضحية لبن جوريون .

Terence Prittie, Eshkol : The Man and The Nation, (٢)

New York 1961. p. 195.

Ben Gurion and Pearlman : Ben Gurion looks back op. cit, pp. 208-215.

(٣) موشيه شاريت كان رئيساً للوزارة الاسرائيلية في الفترة من ١٩٥٣-١٩٥٥ .

في السياسة الإسرائيلية (١) . وأعقب ذلك الغارة على غزة وذلك عقب بعض غارات الفدائيين داخل إسرائيل .

لقد كانت غزة - بحق - نقطة تحول في السياسة المصرية خصوصاً حين شعر العرب بجرح عميق وأيقنوا جدياً أن استراتيجية إسرائيل هدفها العنف والتوسع تجاه العرب ، وتتلخص تفاصيل الهجوم على غزة في قيام مصفحة إسرائيلية بهجوم على بعد ستة كيلو مترات داخل غزة ضد مركز شرطة خان يونس الذي اعتبرته إسرائيل مركزاً لتجميع الفدائيين لمزاولة نشاطهم منه وقد نتج عن هذه الغارة قتل ٣٨ جندياً مصرياً وجرح ٣١ آخرين ، وكانت إسرائيل تهدف أيضاً إلى إظهار قابلية مصر لأن تتعرض للإصابة والأذى (٢) ،

وعلى أثر ذلك الهجوم أصدر مجلس الأمن في يوم ٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ ؛ قراراً تدد فيه بأعمال العنف التي يرتكبها كلا الجانبين والتي تدمي الحدود بين مصر وإسرائيل .

كذلك كان هناك مسرح آخر توالى فيه الحوادث هو منطقة العوجة المنزوعة السلاح ؛ فقد كانت تلك المنطقة ذات أهمية استراتيجية فائقة نظراً لأنها تحيط بنقطة تجمع عمدة طرق في سيناء مع الطريق إلى بئر سبع وكان يمر بالعوجة أحد الطريقين اللذين يمكن منهما لمصر أن تغزو إسرائيل ولإسرائيل أن تغزو مصر أما الطريق الآخر فكان يمر على الساحل ..

وعلى الرغم من النصوص الواردة في اتفاقية الهدنة فقد أقامت إسرائيل

(١) Ben Gurion, David : Israel : Years of Challenge
op. cit, pp. 68-69.

(٢) صحيفة نيويورك تايمز ، ٢٤ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٦٠ ويرجع أيضاً إلى المقتطفات المنشورة في مذكرات موسى شاريت في صحيفة الجير سالم بوست بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ .

فى تلك تلك المنطقة كيبوتز كتسيوت ووضعوا فيه حامية من العسكريين (١) المتخفين فى هيئة مدنية منهم يشتغلون بعض الوقت بالزراعة وبقية الوقت فى التدريب العسكرى ، وقد مهدت إسرائيل لإقامة هذه المستعمرات بطرد السكان العرب الذين لجأوا إلى غزة ولم تعترف مصر فى وقت ما بأن العوجة جزء من إسرائيل بل كانت تطالب بأن تكون مقر الهيئة للرقابة الدولية التابعة لمجلس الأمن ، غير أن خطة إسرائيل المتبعة هى رفض مرابطة رجال الأمم المتحدة على أراضيها وبالتدريج أخذت إسرائيل تؤكد سيادتها على العوجة كما فعلت فى المنطقة المنزوعة السلاح قرب الحدود السورية .

وفى عام ١٩٥٥ أعلنت إسرائيل صراحة أن العوجة جزء من أراضيها وليس لأحد الحق فى منعها من إقامة التحصينات عليها ، وإزاء هذا النقص الصريح لإنفاقية الهدنة قدم بيرنز (٢) احتجاجات شديدة اللهجة إلى حكومة إسرائيل واقتصر الأمر على ذلك .

وقد اضطرت مصر بعد تحدى إسرائيل فى العوجة أن ترسل قوات للمرابطة فى الصباحة على الجانب المصرى من الحدود فى مواجهة العوجة ، غير أن إسرائيل قامت بشن غارتين خاطفتين فى ٢ نوفمبر عام ١٩٥٥ وصلت إحداهما إلى الكونتلا على مسافة خمسين كيلومترا داخل الحدود المصرية أما الأخرى فقد أصابت حامية الصباحة ببعض الأضرار غير أن التعزيزات المصرية تمكنت من رد غارة الصباحة، وعلى أثر هذا الاشتباك أخلت القوات المصرية هذا المركز كما كان من قبل تطبيقاً لنظام الهدنة وإذا فقد صار هذا النظام يحترم من جانب واحد . ورغم أن هذه السلسلة من الاصطدامات انتهت بالسكوت عن تسليح العوجة وبقاء المنطقة منزوعة السلاح على الجانب المصرى من الحدود على ما هى عليه فقد صدرت أجهزة الإعلام المصرية

Burns : op. cit, pp. 96-97

(١)

Ibid .

(٢)

تراجع القوات الإسرائيلية من الصابحة على أنه نصر باهر وانهاالت برقيات التهنئة من جميع أنحاء العالم العربي .

سياسات الحكومات العربية :

انتهت الاشتباكات القصيرة وغير الحاسمة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة — باقامة نظام الهدنة الذى تضمن اتفاقيات ثنائية بين إسرائيل من جهة وكل من الأردن وسوريا ومصر ولبنان من جهة ثانية .

ونتيج عن ذلك مخلفات (١) أسفرت عن قضايا مزمنة أصبحت تفض مضجع الرأى العام العالمى ، فالدول العربية ارتبطت بأواصر القربة والولاء والأمانى القومية نحو الشعب العربى فى فلسطين .

وقد كانت السياسة الإسرائيلية تجاه الدول العربية تعوق عملية التسوية للمشكلة الفلسطينية ولفض النزاع بين إسرائيل والدول العربية وهو مايشهد به الباحثون والمؤرخون الغربيون على السواء (٢) .

وسوف نرى كيف انقلبت العلاقة بين إسرائيل والفلسطينيين من جهة وإسرائيل والدول العربية من جهة ثانية من التوتر والحدس إلى اندلاع النزاع المسلح حيث شهدت المنطقة انفجار الحرب مرتين منذ عام ١٩٤٩ وأدى النزاع فى كل منهما إلى ابتلاع المزيد من البشر والتدخل الخارجى .

(١) تعرض الأستاذ الدكتور جلال يحيى تفصيلا لهذه المخلفات فى الفصل الثالث عشر من كتابه العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — بعنوان مخلفات حرب فلسطين — مرجع سابق ، ص ٤٢٧-٤٧٧ .

(٢) ومنهم عن سبيل المثال لا الحصر جاكوبس تيرى التى تشغل منصب أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فى جامعة ايسترن ميتشجان ومايكل هيدسون ويعمل أستاذ السياسة ومدير مركز الشرل الأوسط فى معهد الدراسات الدولية بجامعة جونز هوبكنز ويملك معرفة صحيحة بالعمليات السياسية العربية وأسهم بمدة مقالات حول الحركة الفلسطينية .

وقد كانت سياسات الحكومات العربية وسلوكها تجاه مشكلة فلسطين — إسرائيل خلال الفترة الممتدة بعد ١٩٤٩ — لا تمثل مرتبة عالية في مقياس تقييم السياسة الخارجية ، فإذا كان هدف الدول العربية هو القضاء على إسرائيل ، فقد منيت تلك الدول بالفشل ، وإذا كان هذا الهدف هو خنق إسرائيل اقتصادياً فقد فشل أيضاً ، وإذا كان الهدف أخيراً هو الاحتواء فالدول العربية أخفقت هنا أيضاً ، وهذه الاخفاقات جاءت نتيجة للضعف السياسى وقلة السياسات العربية أكثر منها للضعف العسكرى .

وقد عجزت التجمعات العربية التى تصنع السياسة عن الوصول إلى مجموعة متماسكة من الأهداف السياسية الملائمة لفترة بارزة من الزمن ،

فبعد حرب سنة ١٩٤٨ قام وضع جديد حيث تخطت فيه اتفاقيات الهدنة المعقودة عام ١٩٤٩ إلى حد كبير مشروع التقسيم كأساس للعلاقات العربية الاسرائيلية ، فعندما أخذت على عاتقها الدفاع عن فلسطين العربية تحملت حكومات مصر وشرق الأردن وسوريا ولبنان مسئولية المناطق المتبقية وذلك بفضل تخلفها عن أداء الواجب جزئياً وعن طريق أجرائها للحساب إلى حد ما أيضاً . وبذلك تحول الصراع بين جماعتين أو النزاع الأصلي حول فلسطين الانتداب إلى مشكلة بين دول ، فالحكومات العربية من غير ريب كانت ترغب فى الحفاظ على أكبر قدر ممكن من فلسطين لسكانها العرب ، لكن العقدين اللاحقين أظهرها بشكل مؤلم — ولا سيما لعرب فلسطين — إن هذه الحكومات لم تضع قضية إسترجاع فلسطين فوق سائر المصالح والالتزامات .

والحكومات العربية بصفتها الوصى الجديد على الميراث الفلسطينى ولكونها تمثل الطرف الأضعف فى النزاع — اعتمدت على مختلف قرارات الأمم المتحدة إلى درجة أبعد كثيراً من إسرائيل . فالاسرائيليون أكثرها من التشديد على صفة الشرعية القانونية والدولية التى أضفتها الأمم المتحدة على الدولة اليهودية الجديدة ، لكنهم مضوا بصورة مطردة فى تجاهلهم ،

أو احباطهم لتعليمات الأمم المتحدة وتوجيهاتها بشأن إعادة التوطين ومراقبة الهدنة وقضايا اللاجئين ، غير أن الحكومات العربية أدركت إلى أى مدى يمكن للرياح المواتية أن تهب داخل المجتمع الدولي ، ولم يكن هناك ثمة حافز ضئيل يدفع بإسرائيل نحو النظر في العودة إلى التقسيم (١) طالما أنها كانت مزدهرة وآمنة ضمن حدود هدنة ١٩٤٩ وطالما أن الحكومات العربية كانت ضعيفة وسلبية ، فلم يكن لديها من شىء بارز تقدمه إلى إسرائيل ومساندتها الغربيين لقاء تراجع معين لحدود إسرائيل .

وقد احتوت اتفاقيات الهدنة (٢) ضمننا على القرار العربي في عسدم الاعتراف بإسرائيل ، حتى على صعيد الأمر الواقع . واعتبرت إسرائيل بمثابة : فلسطين المحتلة ، فكان على الحدود أن تبقى مغلقة ، وحظرت العلاقات التجارية كما قطع الاتصال البري والهافى مع إسرائيل . أما الاتصال الدبلوماسى أو السياسى المباشر فلم يكن له من وجود على الإطلاق وبذلك عزلت إسرائيل عن محيطها الملاصق لها مباشرة على نحو لم يسبق له مثيل بين الأمم في العالم الحديث وكانت هذه العزلة فعالة لفترة من الزمن فأدت تقريبا إلى إحباط إسرائيل كلها في دمج نفسها تجاريا واجتماعيا أو سياسيا داخل المنطقة .

وفي نظر العرب أحرزت إسرائيل نصراً عسكرياً بقوة السلاح ، وقد حرصت الحكومات العربية على ترك المجال مفتوحاً في المستقبل للتسوية العسكرية دون تنازلها عما اعتبرته بمثابة مطالبها العادلة وقد تأثرت الحكومات العربية في موقعها بالسخط الذى عم الرأى العام العربى .

United Nations Geonrai Assembly, resolution no. 181, (١)
Session 11, november 29, 1947.

U. N. Security Couucil S/1964, Rev 1) Israel-Egypt (٢)
feb. 24, 1949, S/1296/Rev. 1 (Israel-Lebanon). March 23, 1949.
(S/1362/Rov. 1) (Israel-Jordan) April 3, 1949 and S/1063/Rev. 1
(Israel-Syria) July 20, 1949.

والدول للعربية على العموم قد قبلت وكالة هيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين وتشغيلهم وتعاونت معها كوسيلة لتزويد اللاجئين بالحد الأدنى من الضروريات الإنسانية دون المس بحقوقهم العودة .

إن الرأي العام العالمى المتقلب وبيانات الأمم المتحدة التى صدرت فى ظروف متفاوتة سياسيا وعسكريا بفلسطين . . كل ذلك صاغ موقف الدول العربية بعد ذلك فى التلميح بقبول تسوية وفق لمشروع تقسيم فلسطين غير أن الحكومات العربية مهما كانت رغبتها شديدة فى الوصول الى تسوية كانت تعوزها الدقة والمهارة لقمع الشعور المتولد عن السخط التابل للانفجار فى السياسة العربية نتيجة لزرع اسرائيل ، وقد سمحت الحكومات العربية باستخدام أسلحة الضعفاء الواهية : الامتناع عن الاعتراف أو القبول وهو ما ساوم عليه الاسرائيليون دوما قبل وبعد ١٩٥٦ حيث تعذر منحها كشرط مسبقة لأن العرب لم يكن لديهم شىء غيرها لتقديمه .

ويأتى بعد ذلك الأداة السياسية (١) فى أيدي الحكومات العربية وهى الجامعة العربية وأجهزتها المتخصصة مثل مكتب المقاطعة ، وعلى المسرح الدولى حققت الدول العربية مقدارا جوهريا من الوحدة فى التصويت داخل الأمم المتحدة على القضايا المتصلة بفلسطين ولكن جهودها الدبل ماسية للتأثير على الحكومات وعلى الرأي العام العالمى لم تكن كافية .

وبخصوص قضية اللاجئين الفلسطينيين فقد ظل موقف الجامعة العربية

Robert, W. Macdonald : The League of Arab (١)
State : A study in the Dynamics of Regional Organization
Princeton, 1965) p.p. 42-43.

وأنظر أيضاً ، أنور السادات ، سلسلة مقالات بمجلة التحرير خلال عام ١٩٥٠ حيث حذر العرب آنئذ بمثل هذه العبارات ، أيها السادة انقضوا أو انفضوا ولعل أخطر هذه المقالات مقال بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٥٤ حذر 'يه من أن الخطب الرفافة منذ عام ١٩٤٨ لن تحدى فتىلا وإذا استمرت الحال على ذلك فسوف تدق إسرائيل أبواب العريش والقنطرة والامماعيلية .

متحفظاً من نشاط الأمم المتحدة وعدم التعاون معها في مشروعاتها الخاصة باللاجئين - وذلك لخوفها من هدف هذه المشروعات الذي هو في النهاية تصفية مشكلة اللاجئين نهائياً بما ليس في صالح المشكلة الفلسطينية وأصدر مجلس الجامعة في يونيو سنة ١٩٥٠ (١) قراراً يدعو فيه الدول العربية إلى قبول المشروعات الخاصة باللاجئين وإلى التعاون مع الأمم المتحدة تضمن إن حقوق اللاجئين في العودة وفي التعويضات لن تتأثر بهذه المشروعات ،

وقد كان للعوامل السياسية في العالم العربي وفي إسرائيل نفسها أثر كبير على قضية اللاجئين ، ففي يوليو سنة ١٩٥٥ أسفرت الانتخابات في داخل إسرائيل عن فوز الأحزاب المحافظة وتبع ذلك في تشدد إسرائيل في موقفها تجاه قضية اللاجئين وكان رئيس الوزارة بن جوريون ووزير خارجيته جولدا مائير من أنصار عدم التنازل مطلقاً كما أن الأحوال السياسية الخارجية كان لها أثر أيضاً في موقف إسرائيل ، فقد حاول ايزنهاور في منتصف الخمسينات اتباع سياسة المهادنة ومحاولة التقرب من العرب بعكس السياسة التي كان يتبعها سلفه ترومان وأدى ذلك إلى تخوف إسرائيل الشديد ، وخصوصاً بعد صهيفة الأسلحة التي عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا وكذلك الإتفاقيات الثنائية العربية العسكرية التي عقدت في عامي ١٩٥٥-١٩٥٦

أما بالنسبة للدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية فقد كانت هناك عدة عوامل سياسية أثرت في موقفهم من اللاجئين فقد كان هناك تزايد في عدم الاستقرار الداخلي في الدول العربية وخلافات بين الحكومات العربية بعضها وبعض وخصوصاً في منتصف الخمسينات (٢) وقد انعكست هذه الخلافات في العالم العربي على قضية

(١) جامعة الدول العربية - تقارير الأمين العام إلى مجلة الجامعة من ١٦٤٦ إلى ١٩٦٤
القاهرة «

Khouri, The Arab Israel Dilemma, od. cit, pp, 250 etc.

Ibid, p. 301-305.

(٢)

(م ٢٣ - فلسطين)

اللاجئين فكلما زاد عدم الاستقرار كانت الحكومات العربية تخشى معارضة
الرأى العام العربى وتلجأ إلى التشدد فى موقفها ضد إسرائيل حتى تضمن تأييد
الرأى العام لها حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة اللاجئين الفعلية .

وبخصوص الدور الذى لعبته الجامعة العربية تجاه تحويل مياه نهر
الأردن فى هذه الفترة فإنه يتلخص فيما يأتى :

أبلغ وزير خارجية لبنان فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥ قرار اللجنة
السياسية للجامعة العربية بخصوص رفض المشروع ، وكان جونسون (١)
قد قام بعرض مشروعه على رؤساء الحكومات العربية فى خلال شهر
نوفمبر سنة ١٩٥٣ فعرضت القضية على اللجنة السياسية للجامعة التى وافقت
فى اجتماعها المعقود فى القاهرة فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ على تأليف لجنة عربية
فنية لدراسة المشروع ، وقد تألفت اللجنة الفنية من خبراء من كل من مصر
وسوريا ولبنان والأردن واجتمعت فى القاهرة فى شهر يناير سنة ١٩٥٤
ودرس المشروع وانتهت إلى أن مشروع جونستون خطر يهدد البلاد
العربية وأنه ليس فى القانون الدولى التزام يفرض عليهم قبول هذا المشروع
ولو من حيث المبدأ بل أن القواعد العامة فى هذا القانون تستوجب رفضه
بسبب حالة العلاقات بين العرب وإسرائيل ورأت اللجنة تقديم مشروع
عربى لاستقلال مياه نهر الأردن ، وقد رفضت إسرائيل هى الأخرى
مشروع جونستون وتقدمت بمشروع جديد أطلق عليه مشروع « كرتون »
وقد تتبعته الجامعة العربية ماتقوم به إسرائيل ، واقتصر جهدها على إبلاغ
الدول العربية الأعضاء بكل ما يصل إليها - بعد ذلك - لتكون على علم
بما يجرى فى هذا الصدد أولاً بأول .

(١) أورد الدكتور جلال يحيى فصلاً كاملاً بعنوان التغير وأهمية مشروعات المياه فى كتابه ؛
مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية - مرجع سابق ص ص ٢٦٢-٢٧١ .

غير أن أشد أعمال الجامعة العربية فعالية يخصص متابعتها لمشكلة فلسطين هو ما قامت به الجامعة من مقاطعة (١) لإسرائيل اقتصاديا وقد بدأت هذه المقاطعة - في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ للحيلولة دون التهريب اليهودي إلى فلسطين تحت الإنتداب ، وبعد قيام إسرائيل جرى توسيع المقاطعة بإنشاء مكتب كامل للمقاطعة مقره الرئيسي دمشق وانحصرت وظيفته في عدم تشجيع الشركات الأجنبية على التعامل مع إسرائيل تحت وطأة التهديد بمنعها من دخول الأسواق العربية .

وقد كان المجال الرئيسي لفعالية المقاطعة هو الإبقاء على مشكلة فلسطين حية أمام الرأي العام العالمي عموما ، والرأي العام العربي على وجه الخصوص ؛ وقد كانت المقاطعة هي إحدى المنشطات القليلة التي نجت دون أن تصاب بأذى الشقاق والتناحر بين الدول العربية وحتى في إطار الجامعة العربية ذاتها آنثذ .

غير أن العرب قد نجحوا أيضاً في الميدان الدبلوماسي في إقصاء إسرائيل عن عضوية كتلة عدم الإنحياز لدول العالم الثالث وهو نجاح جاء ثمرة للجهود التي بدأت مع بروز عبد الناصر في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، وكذلك أظهرت الدول العربية درجة عالية من وحدة العنف في أنماط تصويتها داخل الأمم المتحدة ولا سيما بالنسبة لمشكلة فلسطين وقد جاء في أحد الدراسات (٢) « أنه إلى جانب كتلة الأصوات التابعة للمعسكر

(١) وحتى عام ١٩٦٢ بلغ عدد الشركات المدرجة في القائمة السوداء حوالي ٨٠ شركة وبالرغم من ذلك فقد مثلت هذه السياسة في تعبئة المصالح التجارية الأمريكية حينئذ للضغط على حكومة الولايات المتحدة للتخفيف من موقفها المؤيد لإسرائيل ؛ إبراهيم أبو الغد - تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٣٣٠-٣٣٢ .

(٢) Hayward R. Alker, Jr., and Brunce M. Russett (٢)
World Politics in the general Assembly (New Haven, 1965)
p. 256.

السوفيتي والغربي يأتي العرب على الدوام تقريبا من أشد الكتل تماسكا ؛
لأن وحدتهم تفككت بعض الشيء منذ سنة ١٩٤٧ عندما كانت فلسطين
بالغة الأهمية - لكنها ما لبثت أن عادت جزئيا بعد ذلك » .

وفي الميدان العسكري ؛ فإن العمل الجماعي المشترك من جانب الدول
العربية أكثر منه ثمرة التحليل العقلاني للخطر الإسرائيلي ؛ وفيما يتعدى
أجهزة الجامعة العربية بالذات فإن أول مجهود رئيسي لإقامة قيادة عسكرية
مشتركة حدث قبل يومين فقط من الهجوم الإسرائيلي على شبه جزيرة
سيناء في أكتوبر سنة ١٩٥٦ وذلك عندما انضم الأردن متأخراً إلى اتفاقية
الدفاع المشترك بين مصر وسوريا المعقودة بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥
والتي جاءت بمثابة الرد على حلف بغداد الموصى به من بريطانيا . ولم يكن
هناك الوقت الكافي لتنظيم جهد عسكري ؛ مشتركا وفعالا ، كما ظهر
بوضوح من خلال النجاح العسكري السريع الذي أحرزته إسرائيل في
حملة سيناء الحاطفة التي تمكن خلالها الجيش الإسرائيلي من احتلال سيناء
عام ١٩٥٦ (١) .

سياسات الدول الغربية :

كانت هناك في إسرائيل قوى لا يمكن قهرها تدفع لإسرائيل نحو
الكتلة الغربية وقد رأى بن جوريون هذا بوضوح منذ البداية . وكانت
قوة إسرائيل تتوقف إلى حد كبير على أموال يهود أمريكا وضغطهم على
الحكومة الأمريكية .

ومنذ يناير عام ١٩٤٩ وافقت المؤسسة الحكومية - التي هي بنك

(١) إبراهيم أبو الفد - تهويد فلسطين - مرجع سابق ، ص ٣٣٣ .

الاستيراد والتصدير في واشنطن - على منح إسرائيل قرضاً يبلغ مائة مليون دولار يسلم منها ٣٥ مليوناً في الحال .

وعموماً فقد كان المعسكر الغربي متعاطفاً مع إسرائيل وانعكس ذلك خصوصاً على الاستثمارات الأجنبية والتسهيلات الائتمانية الممنوحة لإسرائيل من جانب المعسكر الغربي في هذه الفترة .

وفي عام ١٩٥١ انعكست سياسة الدول الغربية المؤيدة لإسرائيل في الزيارة الناجحة التي قام بها بن جوريون إلى الولايات المتحدة ماراً ببريطانيا عارضاً عليها تحالفاً عسكرياً ، والحق في استعمال الموانئ والمطارات الإسرائيلية وقواعد لإصلاح العتاد والمعدات وكافة المقومات الأساسية من الناحية العسكرية . كما عرض بن جوريون على الولايات المتحدة في عام ١٩٥٥ عرضاً مماثلاً غير أن كل من الدولتين - الولايات المتحدة وبريطانيا - لم توافقا على هذه العروض لشعورها بأهمية العالم العربي .

كذلك بذلت بريطانيا - عن طريق إرسالها نائبيين في مجلس العموم - هما النائبتين العماليتين ريتشارد كرددسان وموريس أورباك - جهوداً في اتصالات بن عبد الناصر وشاربت غير أن هذه الجهود قد باءت بالفشل كما أوضحنا ذلك سلفاً .

وقد فسرت انتخابات عام ١٩٥٥ التي فقد فيها حزب الماباي خمسة مقاعد على أنها استنكار لسياسة التهذية التي يطبقها شاريت ؛ وشعر عبد الناصر والسباسبون في الدول العربية بخوف من أن ينتزع منهم حلف بغداد إمكانية التصرف المستقل وأن يربطهم بقوة في ركاب الغرب الذي يملكه الرغبة في مجاملة ابنته المدللة إسرائيل ومن هنا أصر عبد الناصر على طلب أسلحة من الولايات المتحدة ولكن فوستر دالاس أراد ثمناً مرتفعاً لها في مقابل هذا : فلن تمنح أسلحة للعرب إن لم ينضموا إلى « حلف دفاع إقليمي » ؛ وإن لم ينعزلوا في النظام الغربي ضد الاتحاد السوفيتي

والتي تلت بريطانيا هي الأخرى بموقف مماثل ، أما فرنسا - وكانت تسلمح سوريا - فقد امتنعت عن إمداد العرب بالمعدات منذ بداية حرب الجزائر . وفي ٩ من نوفمبر سنة ١٩٥٥ تحدث أنطوني إيدن بعبارة أكبر من إيجاد حل وسط بين الموقف العربي المطالب بالعودة إلى خط عام ١٩٤٧ وبين الموقف الإسرائيلي المتزمت حول حدود عام ١٩٤٩ ؛ إلا أن الحكومة الإسرائيلية رفضت يوم ١٢ من نفس الشهر التنازل عن أى جزء من الأرض ،

وفي نهاية شهر نوفمبر تحدث عبد الناصر ثانية مع جان لاكوتور حول إمكانية الاعتراف بإسرائيل مقابل التفاوض على أساس مقترحات إيدن غير أن بن جوريون الذى كان آنئذ يعد خطة لمهاجمة مصر مع موسى ديان - تجاهل تماما رغبة عبد الناصر .

. وقد اتجه بن جوريون إلى فرنسا لإمداده بالأسلحة بعد أن امتنعت بريطانيا والولايات المتحدة عن ذلك آنئذ ، وأبدى جى موليه الذى تولى الحكم فى يناير ١٩٥٦ استعداد فرنسا لذلك .

وكانت مصر قد أعلنت قبل ذلك أن فرنسا قد وردت إلى إسرائيل ٧٠ طائرة مستير ومائة دبابة ؛ ١٥٠ مدفع مضاد للدبابات ومدافع أخرى ثقيلة عيار ١٥٥ مم ولسنا بحاجة إلى أن نذكر بأن فرنسا فى عهد الجمهورية الرابعة كانت مدفوعة فى هذا بعوامل خاصة بها هي الرغبة فى تحطيم الثورة الجزائرية عن طريق قلب نظام عبد الناصر الذى اعتبرته فرنسا آنئذ بأنه يزعج الثورة الجزائرية ويقودها .

وكانت بريطانيا تريد أن تقف موقفاً وسطاً بين العرب وإسرائيل وذلك على أمل تدعيم أصدقائها فى العالم العربى أو على الأقل سكوت خصوم حلف بغداد عن معارضته ، ويعتقد بعض الكتاب أنه حدث تشاور بين بريطانيا ومصر

قبل أن يصدر إيدن تصريحه المشهور في مانشن هاوس والسباق الإشارة إليه ،
إذ قابل السفير البريطاني رئيس الجمهورية المصرية أربع مرات في الأيام
القليلة التي سبقت التصريح ، كما أن صحف القاهرة علقت على التصريح قائلة
أنه جدير بالاعتبار أن الغرب بدأ يفهم حقيقة مشكلة فلسطين .

ويتساءل البعض هل كانت بريطانيا قد وعدت بتجميد حلف بغداد ثم
أخلت بوعدا بعد أن أرسلت المارشال تاملر إلى الأردن مما جعل الحكومة
المصرية تتراجع عن فكرة تنسيق العمل مع بريطانيا من أجل مشكلة فلسطين ؟
آل مصر أدركت حتى بدون التراجع البريطاني أن إسرائيل لا يمكن أن تقبل أي
تنازل ، والدليل على ذلك تصريح بن جوريون أنه غير مستعد للتنازل عن شبر
من أرض إسرائيل حتى ولو كان ذلك في مقابل الصلح ، والذي حدث هو أن
الهوة اتسعت بين مصر وبريطانيا بسبب محاولة جر الأردن إلى حلف بغداد
وأن بريطانيا عرضت مشروعا بعد ذلك على الولايات المتحدة بتأسيس قوات
مشتركة بين الدولتين يكون القصد منها منع وقوع اشتباك بين إسرائيل والعرب
في أي وقت وتقف هذه القوة على أهبة التدخل في أي مكان يصدر منه العدوان
وقد عرف الآن أن هذا العرض تم أثناء المقابلة بين إيدن وإيزنهاور في فبراير
عام ١٩٥٦ وأن إيزنهاور رفض الفكرة قائلا بأن التصريح الثلاثي يكفي لتأمين
منطقة الشرق الأوسط ، وهذا ماجاء في البيان المشترك الذي صدر في أعقاب
المحادثات الإنجليزية الأمريكية .

والراجع أن الرأي العام الأمريكي قد نظر إلى التصريح الثلاثي من زاوية
واحدة وهي تأمين حدود إسرائيل أما إذا حدث العكس واعتدت إسرائيل
للتوسع على حساب الدول العربية المجاورة فإن التصريح لا يوضع موضع التنفيذ
وعلى أي حال فإن التصريح الثلاثي كان قد سقط من الناحية العملية
لسببين - أولا : لأن إسرائيل صارت تستورد الأسلحة سرا ثم علنا عن طريق
فرنسا وهي إحدى دول التصريح وثانيا : لأن مصر وسوريا تتلقيان الأسلحة

من الاتحاد السوفيتي مما افقد الغرب احتكاره للتسلح في الشرق الأوسط .

وقد ينفى على الكثيرين أن الولايات المتحدة كانت على علم رسمي بتسليح فرنسا لإسرائيل حتى من قبل التوتر الناجم عن تأمين قناة السويس ، وانها ساعدت حليفها في الأطلسي على أداء هذه المهمة على خير وجه فحلت فرنسا من بعض التزاماتها في الحلف كي تتيح لها تزويد إسرائيل بطائرات المستير وذلك منذ شهر مايو عام ١٩٥٦ وعلاوة على ذلك سمحت لكندا بإرسال كميات أخرى من الطائرات وإن لم يتم لهذه الأخيرة وقت كاف لوضع الاتفاق مع إسرائيل موضع التنفيذ (١) .

ولاشك أن تأييد الولايات المتحدة لفرنسا في موقفها المنحاز إلى إسرائيل هو الذي شجع الحكومة الفرنسية على أن تصرح علنا بمساعداتها لإسرائيل بالأسلحة ، ومنذ أوائل هذا العام كانت الصحف الفرنسية لاتفتأ تتحدث عن اكتشاف وثائق تثبت مساعدة مصر للشوار الجزائريين وكمحاوله أخيرة قام كريستيان وزير الخارجية بزيارة للقاهرة في ابريل ١٩٥٦ وقبل أن الوزير الفرنسي عرض تأييد مصر في معارضتها لحلف بغداد ومقابل التخلي عن الثورة الجزائرية فرفض المسؤولون في مصر الفكرة ، وعلى أثر عودته أخذت الصحف تتحدث صراحة عن ضرورة اتخاذ إجراء ما ضد مصر ، فكان المستوطنون الفرنسيون في الجزائر هم أكثر العناصر عطفًا على إسرائيل لوجود شبه بين وضعهم كأقلية اجنبية وسط بيئة عربية تحيط بهم »

وفي مايو أعلنت فرنسا عن تزويد إسرائيل بدفعة جديدة من طائرات المستير أما ذلك الاتفاق السري الذي تعهد بمقتضاه فرنسا بأن تحمي إسرائيل مباشرة جوا وبحرا في حالة اشتباكها مع مصر فهناك إجماع حول توقيع

مثل هذا الاتفاق ، انما يدور خلاف حول تحديد زمنه (١) .

سياسة الاتحاد السوفيتي :

لما كانت السنوات السبع التي تلت ابرام اتفاقيات الهدنة من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٦ تتسم بتكرار الحوادث عموما على طول خطوط الهدنة حيث انتهت بالعودة إلى الحرب ، لذا كان من الأهمية أن نتعرض لسياسة الاتحاد السوفيتي تجاه المشكلة الفلسطينية من اعمال انتهاك الهدنة :

لم يكن لدى السوفييت أى اهتمام بالاتهامات المتبادلة بين مصر وإسرائيل بانتهاك اتفاقيات الهدنة والتي بحثها مجلس الأمن في اكتوبر - نوفمبر في هذه السنة ولم يشترك السوفييت في المناقشات بأكملها كما امتنعوا عن التصويت على مشروع القرار الفرنسي البريطاني الأمريكي الذي تبناه المجلس في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١ (٢) .

وقد استمر نفس الموقف السوفيتي على ما هو عليه في عام ١٩٥١ تعبيراً عن استمرارية الأوضاع في الشرق الأوسط على الجانبين العربي والإسرائيلي بصفة أساسية ففي مناقشات مجلس الأمن للاتهامات المتبادلة بين سوريا وإسرائيل بصدد انتهاك الهدنة في مارس وابريل سنة ١٩٥١ حافظ المندوب السوفيتي على موقف عدم المشاركة كذلك امتنع عن التصويت في ٨، ١٨ مايو على مشروع قرار قدمتهما في كل من فرنسا وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة ،

ولم يبحث مجلس الأمن الاتهامات بانتهاك الهدنة في عام ١٩٥٢ ، وفي عام ١٩٥٣ بحث المجلس انتهاكات الهدنة العربية الاسرائيلية في مناسبتين كانت

(١) يميل شيلدرز إلى ترجيح الرأي القائل بأنه تم قبل التأميم بأيام ، بينما يذكر آخرون أنه وقع في أغسطس أى بعد التأميم بنحو أسبوعين : شيلدرز أرسكين : الطريق إلى السويس - ترجمة خيرى حماد ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٦٣-١٦٥ .

(٢) أنظر نص القرار في ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ١٠٨٣-١٠٨٤ .
Year Book of the United Nations, 1953 od. cit. pp. 313-320.

الاولى تتعلق بالاعتداء الاسرائيلي على قرية قبية الاردنية والفانية تتعلق بشكوى سوريا ضد اسرائيل حيث عملت هذه الاخيرة على انتهاك الهدنة على الضفة الغربية لنهر الاردن في المنطقة منزوعة السلاح .

وعند التصويت على مشروع القرار الأمريكى البريطانى الفرنسى بخصوص الاعتداء الاسرائيلي على قبية امتنع المندوب السوفيتى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٣ (١) عن التصويت ولم بشرح السبب هذه المرة فى الامتناع بالرغم من تخصيص اجتماع لهذا الغرض .

وقد كان ذلك بصفة أساسية مؤشراً على أن مرحلة الانتماء السوفيتية فى المشكلة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى لازالت سائدة بالرغم من إرهابات التحول فى الفترة الزمنية التى نوقش فيها القرار ، وكانت مسألة قبية هى الأخرى قضية تتعلق بالمسكلة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى صممت فيها السوفيت فى الخمسينات .

وبحث مجلس الأمن فى سنة ١٩٥٤ خلال شهرى أبريل ومايو اتهامات متبادلة بين الأردن وإسرائيل بانتهاك الهدنة ، وفى هذه المناقشات أيد الاتحاد السوفيتى وجهة النظر العربية وقد انعكس هذا التأييد على معارضة السوفيت لوجهة النظر الغربية (٢) .

ومع مجيء عام ١٩٥٥ كان الاختبار السوفيتى يقترب من الحسم

Year Book of the United Nations, 1953, op. cit (١)
pp. 214-224.

Benjamin Shwardran, Israel-Jordan Border Tension, in middle Eastern Affairs, Vol no. 10 December 1953 p. 401.

Dagan, op. cit p. 76.

International Organizational, Vol. VII, no 3 (٢)
August 1954.

والاستقرار بالنسبة للطرفين العربى والإسرائيلى فى المشكلة الفلسطينية ومن الأمور ذات المغزى أن هذا العام قد شهد للمرة الأولى أول حديث سوفيتى عن إدانة لإسرائيل فى الأمم المتحدة سواء فى أعمال تتعلق بحوادث الحدود أو غيرها ، ففي المناقشات التى حدثت فى مجلس الأمن للشكوى المصرية ضد إسرائيل لعدوانها على غزة والشكوى الإسرائيلية المعتادة ، فقد تجاهل المندوب السوفيتى الشكوى الإسرائيلية كلية وعبر عن التعاطف مع حكومة وشعب مصر فيما يتعلق بغارة غزة والخسائر الناجمة فى الأرواح وطالب المجلس بإدانة العمل الإسرائيلى متهماً إسرائيل بأنها تخلق حالة من التوتر فى المنطقة مما يؤدى فى النهاية إلى تهديد الاستقلال وأيضاً بسبب تكوين الأحلاف العسكرية (١) .

وفى ٨ سبتمبر من نفس العام تبنى مجلس الأمن بالإجماع مشروع قرار فرنسى بريطانى أمريكى بعد مناقشة اتهامات إسرائيلية متبادلة بانتهاك جديد للهدنة (٢) ، وكان القرار متوازناً ومحايداً للغاية فى تقييم الأحداث واقتراح وسائل تفاديها (٣) ،

ويمكن تفسير التصويت السوفيتى بالتوازن الذى بدأ فى أعمال الطرفين إلى أن السوفيت قد حرصوا على تخفيف حدة التوتر خاصة وأن التوصل إلى صفقة الأسلحة فى مصر كان قد تم فى ذلك الحين كذلك كانت التقارير الصحفية الأولى عنها قد بدأت تظهر فى نفس الوقت ، وقد بدأ السوفيت أنهم يحرصون على هذا أمام رأى العام العالمى .

(١) Year Book of the United Nations, 1956 p. 25-29.

ونصوص القرارات فى ؛ ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ص ١٠٨٢ ، ١٩٨٧ ،

١١٠٥ ، ١١٠٦ .

Year Book of the United Nations, 1956, op. cit. pp. 81-34.

Perlmum, M: The Middle East in the Summer (٢)

of 1955 in : Middle Eastern Affairs, Vol. VI no. 6-0 August-September 1955 p. 599.

(٣) نص القرار فى ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ص ١١٧١ .

ومع نهاية ١٩٥٥ كانت السياسة السوفيتية قد حققت نجاحاً ضخماً في العالم العربي وفي مصر وسوريا بصفة خاصة ، وكان ازدياد التقارب السوفيتي لابلد وأن يوثق آثاره بمرور الوقت بالنسبة للموقف السوفيتي من مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ،

وجاء الموقف السوفيتي المؤيد لوجهة النظر العربية على طول الخط خلال مناقشات حادث طبرية في ديسمبر سنة ١٩٥٥ - يناير ١٩٥٦ أثر إعتداء القوات الإسرائيلية الواسع النطاق على القوات السورية في المنطقة الواقعة شرق بحيرة طبرية .

وقد تحدث المندوب السوفيتي في ٢٩ مايو سنة ١٩٥٦ عن إمكانية تجنب صراع مسلح في الشرق الأوسط وإذا التزمت الأطراف بالتعهدات التي أخذتها على عاتقها وعن استعداد السوفيت لمساعدة الأمم المتحدة في تحقيق تسوية سلمية بين الدول العربية وإسرائيل على أساس أية إجراءات سوف تتخذ لتحقيقها في منطقة فلسطين سوف تتخذ مع الاعتبار الواجب لرغبات دول المنطقة ودون تدخل في شئونها الداخلية (١) ، ويجب أن يوضع هذا الموقف المتوازن أيضاً في سياق بيان ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ (٢) لوزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف في الشرق الأوسط الذي تحدث فيه عن تسوية سلمية لمشكلة فلسطين على أساس تقبله الأطراف .

وتذكر إحدى الدراسات أن هذا البيان قصد به أن يبطل الحجة الغربية بوجوب القيام ببعض الإجراءات خارج الأمم المتحدة بالنظر إلى استخدام السوفيت لحق الاعتراض في مسائل الشرق الأوسط ، كذلك تفسر آخر لهذا المسلك لا يمكن القطع بصحته (٣) مؤداة أنه قصد به أن يدعم

(١) Year Book of the United Nation, 1956 pd. 2-11.

(٢) بيان وزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف في الشرق الأوسط ، ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط - مشاكل الأمن والسلام (وثائق ومواد) ، موسكو ، دار نشر وكالة نوفوستي ، ١٩٧٢ ص ٢٨-٣٢ .

(٣) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

محولاً في سياسة الولايات المتحدة لإزاء الشرق الأوسط نحو إسقاط التصريح الثلاثي في عام ١٩٥٠ لصالح اختصاص الأمم المتحدة وحدها بالموقف في الشرق الأوسط ، ويتكهن البعض بإمكان أن تكون مراجعة موسكو لخبطها بالنسبة لنظام عبد الناصر مسئولة عن هذا المسلك (١) .

وقد يكون ذا مغزى أن هذه الفترة شهدت المفاوضات المصرية مع الغرب لتمويل مشروع السد العالي، وبالرغم من أن هذا الموضوع وما يتصل به لا يتعلق بصلب هذا البحث مباشرة إلا أن له علاقة بالمشكلة الفلسطينية وتطورها ، ومن ذلك تأثير الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة مما دفعها في النهاية إلى سحب تمويل مشروع السد العالي ، ومن هنا كان من الضروري سرد الوقائع الأساسية التي تتصل بهذا الحادث .

(١) لاكور : والتري : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص.

الفصل الثالث

العدوان الثلاثي ونتائجه على الصراع العربي الإسرائيلي

الغرب وتمويل السد العالي :

لإتجهت الحكومة في بداية الأمر إلى دول غربية لتمويل مشروع السد العالي - فعرضت كل من بريطانيا والولايات المتحدة ٧٠ مليون دولار لتنفيذ المرحلة الأولى .

ويقال (١) أن واشنطن كانت تؤيد نسيا فكرة تمويل السد العالي - الذي يعتبر مشروعا ضروريا لإنقاذ مصر من وضعها الاقتصادي المنهار (٢) - وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ أفرج عن بعض المبالغ ، ودرست إمكانية حصول مصر على قرض من البنك الدولي ، ولكن مع فرض رقابة وضممان كبيرات الدول الغربية الرأسمالية حسب رغبة البنك لتقديم ٢٠٠ مليون دولار .

غير أن مصر أظهرت غضبا ، وكانت المباحثات مازال تحرز تقدما مطردا بالفعل حتى فوجيء العالم في ٢٦ يوليو بقرار من لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس يقضى برفض هذا الضمان ، وادعت للجنة أن الذي يدعواها إلى اتخاذ هذا القرار هو عوامل اقتصادية محضة تتعلق بعدم الثقة بالاقتصاد المصري ، غير أن التأمل في الملاحظات أحاطت بسحب الولايات المتحدة للعرض ، والتصريحات والتعليقات الأجنبية التي أعقبته تشير جميعا إلى أن الاعتبارات السياسية كانت هي العامل الحاسم ، وكان للصهيونية دورها في دوائر الكونجرس بحيث استدرجته لاتخاذ هذا القرار .

Rodinson, op. cit, pp. 54-55.

(١)

Ibid. 55.

(٢)

والسؤال الذى يطرأ على الأذهان هو : كيف كان المناخ الدولى
السائد آنئذ ؟

من الثابت أن بريطانيا قد اشتركت بقسط كبير (١) فى هذا الموضوع
غير أن معارضة متعددة الأشكال ظهرت لتحول دون إتمام عملية تمويل
السد العالى بإسوان ، فمن ناحية نجد أن الإنجليز والفرنسيين والإسرائيليين
قد سعوا إلى صرف دالاس عن منح القرض ومن ناحية أخرى فقد أعرب
الكونجرس الأمريكى عن عدم ارتياحه .

وعلى الجانب الإسرائيلى فلأننا نجد أن بن جوريون فى نفس الوقت
يواصل مضايقاته لمصر فرفض أى تنازل للأمم المتحدة حول منطقة العوجة
المنزوعة السلاح - بل وأرسل حملة عسكرية حقيقية إلى الحدود الجنوبية
وأطلق النيران على غزة ، وفى الثامن عشر من يوليو أجبر بن جوريون
شاريت الذى يعارض هذه السياسة على الاستقالة من منصب وزير الخارجية
فأصبح الطريق مفتوحاً أمامه ، ولعل بن جوريون استهدف حينذاك
استقطاب النزاع بين العرب وإسرائيل بحيث يلقى بالعرب فى كفة الكتلة
الشيوعية ويستأثر الصهاينة بتأييد الغرب .

وقد ساعدت أخطاء الدعاية فى مصر على تحقيق هذه الخطة ، ذلك أن
الصحف المصرية ذكرت خلال شهر يونيو أن شبيلوف وزير الخارجية
السوفيتية آنذاك عرض " شروطاً أفضل لتمويل السد العالى ، وربما
كان المقصود من نشر هذه الأنباء هو دفع الدول الغربية إلى تحسين شروط
القرض والضمانات اللازمة للمشروع ، إذ سيتأكد فيما بعد أن الاتحاد
السوفيتى لم يقدم عرضاً من هذا النوع .

وعندما علم دالاس أن الاتحاد السوفيتي لن يستطيع تمويل السد العالي أعلن في ١٨ يونيو - مستنداً على حيثيات مليئة بالازدراء - أن الولايات المتحدة ألغت العرض الذي تقدمت به للتمويل وتبعها بريطانيا، وهكذا لقنوا عبد الناصر درساً كبيراً فتعرضت مصر ومعها جميع الشعوب العربية للمهانة والإحراج واعتقد الغرب أن الدول العربية سوف تستسلم إلا أن الزعيم المصري لم يقبل الخزي وتمرد ، وفي ٢٦ يوليو أعلن عبد الناصر الرد في الاسكندرية بتأميم قناة السويس .

وهنا وقع الحدث الذي سيثبت لمدة طويلة صورة إسرائيل أمام الرأي العام العالمي عموماً ، والعالم الثالث على وجه الخصوص الذي كان لا يزال متردداً ، ذلك الحدث الذي عمجل بصورة حاسمة في تحويل العالم العربي إلى الراديكالية ، وهي حملة سيناء التي دبرت بعد اتفاقية سرية وقعها في سبتمبر يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل .

أما تحليل الموقف الأمريكي آنئذ فكان مختلف تماماً عن موقف الدول التي اشتركت في حملة سيناء وتفسير ذلك أن الاعتبار السياسية لدى الولايات المتحدة الأمريكية كانت لها الأولوية ، فقد ذكرت الصحف الأمريكية حينها شككت في الاقتصاد المصري أن الحكومة تبدد الأموال في شراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتي وقدرت ما أنفق في صفقة عام ١٩٥٥ بـ ٨٠ مليون جنيه ، إذن فالشكوى أساساً من الصفقة ومن ناحية أخرى فاننا نجد أنه بالرغم من عدم اشتراك الولايات المتحدة في حلف بغداد فانها لم تكن راضية عن الحملة التي شنتها مصر ضد سياسة الأحلاف عموماً ، أضف إلى ذلك أن سوء التفاهم كان قائماً بين مصر والولايات المتحدة منذ زمن طويل يرجعه البعض إلى نوفمبر عام ١٩٥٢ حينما زارت بعثة عسكرية واشنطن تطلب التزويد بالسلاح فاصطدمت بشروط لا تتناسب والاستقلال الوطني .

وكان من الواضح عند اتخاذ قرار تأميم قناة السويس أن المقصود (٢٤ م - فلسطين)

به هو تأكيد سياسة الحياد (١) التي تتبعها مصر وكثيراً من الدول الحديثة في آسيا وأفريقيا .

ومن جهة أخرى ، فإن الخطط (٢) كانت توضع في إسرائيل منذ أكتوبر سنة ١٩٥٥ للاستيلاء على مضائق تيران بغية تأمين الملاحة ومنح السلامة لسفن الشحن الإسرائيلية إلى ميناء إيلات ، وربما سنحت الفرصة — من وجهة نظر بن جوريون — إلى إحداث تغيير في حكومة مصر بعد أن أقدم عبد الناصر على تأميم شركة قناة السويس . فالبريطانيون والفرنسيون كانوا مصممين على استعادة سيطرتهم على القناة وفي الوقت نفسه لإزاحة عبد الناصر عن المسرح إذ أنهم رأوا أيضاً في عبد الناصر خطراً يهدد الهيمنة الغربية في الشرق الأوسط ، وهنا أيضاً — كما في الماضي — رأى الإسرائيليون التقاء في المصالح فكانوا الحلفاء المطيعين لكل من البريطانيين والفرنسيين في هذه المغامرة .

وهكذا اختلفت دوافع الشركاء الثلاثة : فبالنسبة لبن جوريون كان الهدف توجيه ضربة قوية تجبر العرب على الاعتراف بإسرائيل (٣) كما هي وعلى وقف حالة الحرب المدمرة وعمليات هجوم الفدائيين التي أصبحت على درجة كبيرة من الجدية فضلاً عن فك الحصار عن مضيق تيران ، وليس ثمة شك في أن فكرة المكاسب الإقليمية المحتملة قد جالت بخاطر بن جوريون ، فإن أي انقلاب قد يسفر عن تغييرات قد تكون مربحة ، وعلى كل فقد تسلط على عقوله منذ وقت طويل خوفه من حدوث انتفاضة

(١) الأهرام — عدة مقالات متوالية في شهر أبريل ١٩٦٧ بقلم محمد حسنين هيكل .

(٢) Dayan, Meshe : Dairy of the Sinai Campaign, New York 1967. p. 12-13.

(٣) Rodinson. op. cit, p. 56-57.

في العالم للعربي وكان يتساءل عما إذا كان عبد الناصر هو مصطفى كامل الذي سيخرج بذلك العالم العربي من الفوضى ، وكان يرى التحالف العربي مع الشرق وقد تجلى حين تدفقت الأسلحة والدخائر ، وفكر بن جوريون أن الوقت قد حان لتوجيه الضربة وللقضاء على القوة الصاعدة . وعلى الأقل للحصول على الاعتراف بإسرائيل وهي في مركز القوة ، بدلا من الانتظار حتى فوات الآوان ، كما أنه ينبغي استغلال الظروف القائمة والتي تدفع دولتين غريبتين مسلحتين تسليحاً قوياً للوقوف إلى جانب إسرائيل ، فقد لا تتكرر مثل هذه الفرصة قبل مرور وقت طويل .

أما الحكومة الاشتراكية الفرنسية التي انتابها غضب غريب بعد تأميم شركة رأسمالية كبيرة ، فكانت تبغى كسب حرب الجزائر في مصر حيث كانت تعتقد بأن تغيير النظام في مصر سيحرم الثوار الجزائريين من أهم العناصر المؤيدة لهم مادياً ومعنوياً . وقد كانت فرنسا بالفعل عاجزة عن الانتصار في الحرب أو لإقرار السلام في الجزائر نفسها .

أما الحكومة البريطانية المحافظة فقد رأت أنه من الضروري القضاء على عبد الناصر رأس الراديكالية المناهضة للامبريالية في العالم العربي والعدو الأول لأصدقاءهم في العالم العربي وأهمهم نوري السعيد الذي يعتبر أخلص الأوفياء لبريطانيا حيث تقوم سياسته على التحالف البريطاني ، وكان نوري السعيد قد حاول مرة أخرى يوم الثامن من أكتوبر سنة ١٩٥٦ أن يتقدم بتأييد بريطانيا باقتراح لإقرار السلام على أساس العودة من حيث المبدأ إلى خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين وبالطبع كان رد إسرائيل بالرفض القاطع المشوب بالاحتقار .

واقترع الإنجليز والفرنسيون بأن أقل فشل يتعرض له عبد الناصر سيثير ضده الشعب المصري ويفسح المجال أمام جماعات منافسة وقد رسيخ في أذهانهم هذه الفكرة بعض الأخصائيين الذين تساطت عليهم آراؤهم الخاطئة

وكانت الظروف سائجة أمام الحلفاء ، فالمخابرات الأمريكية التي كانت على علم بما سيحدث لم تخطر به ايزنهاور والاتحاد السوفيتي كان مشغولا بقمع الثورة المجرية .

وعموماً فقد أدت أحداث يوليو سنة ١٩٥٦ في المنطقة إلى تغيير الموقف برمته فقد بلغت موجة الهداء للغرب في العالم العربي ذروتها بتأميم شركة قناة السويس وبلغ التأييد السوفيتي لمصر والنظم المتقاربة معها ذروته ، وعندما تصاعد التوتر على الخطوط الأردنية الإسرائيلية وبحث مجلس الأمن في ١٩ أكتوبر اتهامات متبادلة بانتهاك الهدنة من الأردن وإسرائيل ، تجاهل المندوب السوفيتي في مناقشات المجلس الشكوى الإسرائيلية وطالب بتدخل فعال من جانب مجلس الأمن لتبني إجراءات فعالة لإنهاء حوادث الحدود وانتهاك إسرائيل للمنظم لإتفاقيات الهدنة وقرارات مجلس الأمن (١) .

وكانت انتهاكات الهدنة على الخطوط الإسرائيلية الأردنية - هي الفصل الأخير في سلسلة انتهاكات الهدنة منذ عام ١٩٥٠ . وحتى قيام إسرائيل بحملة سيناء في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كخطوة أولى في عملية التدخل البريطاني الفرنسي ضد مصر ، وبدأ أن المخاوف السوفيتية كان لها ما يبررها .

خلفية العدوان الثلاثي :

تردد الرأي العام العالمي في الأيام الأولى من شهر أغسطس أمام تهديد فرنسا وبريطانيا باستخدام العنف والشدة ضد مصر ، أما الرأي العام العربي - خصوصاً - وكذلك الدول المتحررة بوجه عام فإنها وجدت في خطاب تأميم شركة قناة السويس أكبر تعبير عن أمانها ، ووجدت بريطانيا أنها لا تحظى

بتأييد دول الكومنولث لاستخدام الشدة ضد مصر ، وأعلن نهرو أنه يخشى من أن تنتقل بريطانيا من خطأ كبير إلى خطأ أكبر وأبشع .

وفي عمان أعلن الملك حسين ضرورة مقاومة العرب للاستغلال الاستعماري وحتى نوري السعيد في بغداد اضطر إلى التصريح بأنه يؤيد موقف مصر كل التأييد ،

وأمام خوف حكومتى لندن وباريس من الانهزام في بلادها أمام الرأي العام الأوروبي عملاً على تغطيته الاستعدادات العسكرية ، وقدماً للرأي العام العالمي وسائل الضغط الاقتصادي والسياسي على مصر ، وباسم « أصحاب الحقوق » في الشركة الدولية وباسم العمل نيابة عن المنتفعين بقناة السويس ،

وفي هذا الجو المتوتر عمد البريطانيون والفرنسيون إلى الربط بين عملية تأميم الشركة وبين حرية الملاحة في قناة السويس ، وكانت هناك اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ تعترف بحرية الملاحة لسفن جميع الدول في قناة السويس وكانت مصر قد أعلنت احترامها لشروط هذه المعاهدة .

أما إسرائيل فقد كانت - هي الأخرى - تستعد للعدوان على مصر ، حتى قبل تأميم شركة قناة السويس - غير أنها كانت تنتظر اللحظة المناسبة لشن هذا العدوان ، وأنت أنسب اللحظات كأعظم ما تكون الفرصة التي تمتلأها المخطط الصهيوني بعد تأميم شركة قناة السويس .

وأصبحت المسألة تنحصر في هذا التساؤل : أي من الدول الاستعمارية يمكن الاعتماد عليها في التدخل العسكري السافر ، وهكذا جاء تضامن الصهيونية مع الاستعمار البريطاني وهو ما يعترف به موسى ديان صراحة (١) ، وقد قبلت إسرائيل دون تردد أن تشارك في المغامرة بعد توفير بعض الضمانات

Dayan, Moshe : Dairy of Sinai Compaing, op. cit, (١)
p. 63-64.

وفي نفس الوقت طلبت أن تقبض الثمن مقدما على شكل صفقة أسلحة جديدة وضخمة من فرنسا .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد فضلت - بعد تأميم القناة - الابتعاد عن هذه المغامرة والاكتفاء بأسلوب المناورة السياسية حيث وافقت على عقد مؤتمر في لندن بناء على اقتراح بريطاني فرنسي بشأن تعاون مصر مع الدول المنتفعة بالقناة لإنشاء سلطة دولية تتولى إدارتها .

وانعقد مؤتمر لندن صباح يوم ١٦ من أغسطس واشتركت فيه كل من فرنسا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا وتركيا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ، وكذلك جميع الدول المشتركة في اتفاقية ١٨٨٨ ، باستثناء مصر ، وكذلك دعيت إلى المؤتمر جميع الدول التي تهتم باستخدام القناة وهي استراليا وسيلان والاندونك واثيوبيا والهند واندونيسيا وإيران واليابان ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتغال والسويد والولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) في حين رفضت اليونان حضور المؤتمر إذ كانت على خلاف مع بريطانيا حول مشكلة قبرص .

وعلى الرغم من رفض عبد الناصر الدعوة التي وجهت لمصر لحضور مؤتمر لندن فقد أوفد (٢) على صبري ليحضر المؤتمر كعضو مراقب ، ولم يحضر على صبري جلسات المؤتمر ولكنه استطاع عن طريق السفارة المصرية في لندن ، أن يقف على كل ما يدور في هذه الجلسات وفي المناقشات الخاصة كما عقد عدة اجتماعات شخصية مع الوفود التي كان يأمل في التأثير عليها ، واستمر المؤتمر منعقدا من يوم ١٦ أغسطس إلى يوم ٢٣ من أغسطس وكانت جلساته تعقد في المساء في حين خصصت الساعات الصباحية لإجراء مناقشات أخرى قال عنها سلوين لويدي أنها تعتبر جزءا هاما جدا من المؤتمر .

(١) Finer, Herman : Dulles over Suez, The Theory and Policy of his diplomacy. pp 50-90.

وتكشف لنا سجلات المؤتمر التي تقع في ٢٤٠ صفحة عن الدوافع السياسية للولايات المتحدة حيث دعم خطاب الولايات المتحدة الذي ألقاه دالاس - المندوب الأمريكي - ثقة بريطانيا وفرنسا وأملهما في حليفتهما أمريكا التي كانت تسعى حثيثاً في إيجاد حل مع عبد الناصر.

وقد وقع أول صدام في المؤتمر بعد بدئه بقليل إذ كان كريشنا مينون المندوب الهندي ، وشبيلوف المندوب السوفيتي حريصين على تجنب كل ما قد يظهر في صورة قرار اتخذ المؤتمر فأعلننا أن جميع المسائل تقرر في الأمم المتحدة عن طريق الغالبية حيث معهم مبدأ العضوية العالمية بمعنى أن كل عضو يتمتع بصوت يتساوى مع أصوات بقية الأعضاء ، ولكن مبدأ العالمية لا ينطبق على هذا المؤتمر الذي يتكون من مجموعة مختارة فقط وهي المجموعة التي يعتبرها المندوب السوفيتي شبيلوف غير صالحة باعتبارها من الرأسماليين ، كما أن الدولة ذات المصلحة الرئيسية في تطور الأحداث وهي مصر قد تغيبت عن المؤتمر .

وكان السوفييت (١) يهدفون بذلك إلى تأخير اتخاذ قرارات في النزاع وتأييد مصر والدول العربية والإعداد لمؤتمر آخر باعتبار هذا المؤتمر هو مؤتمر تمهيدى فقط وبذلك يتسنى للاتحاد السوفيتي أن يشترك فيه مع جميع أنصاره وأتباعه في الكتلة الشرقية .

وفي الجلسة التالية ألقى المندوب الأمريكي دالاس خطابه الذي ضمنه اقتراحاً رسمياً ثم وزع على المؤتمر مشروع قرار لهذا الاقتراح ثم وضعه الوفد الأمريكي في صيغته النهائية يوم ٢٠ من أغسطس . وقد تضمن الاقتراح الأمريكي عدة مسائل رئيسية :

١ - ما إذا كان إنشاء مجلس دولي يتمتع بالسلطات التي نصت عليها اتفاقية ١٨٨٨ يتعارض مع سيادة مصر .

٢ - ما إذا كانت مصر والدول المؤيدة لها : مثل الاتحاد السوفيتي والهند تعتبر إنشاء هذا المجلس متعارضاً مع سيادتها ؛ إذا أتيحت الفرصة لتنفيذ الاقتراح من غير الالتجاء إلى أى نوع من أنواع الضغط على مصر .

وفي مصر أعلن عبد الناصر - في خلال فتره انعقاد المؤتمر - الأسباب التي دعت إلى هذا العمل فقال أن حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفضتنا تمويل البرنامج الواسع لإنشاء السد العالمى والمشروعات المتعلقة به ؛ وذكر عبد الناصر أن العمل الذى قام به لم يكن مجرد عمل ثأرى وأنه قد فكر فى هذا العمل قبل عامين ونصف عام غير أنه أجل تنفيذه إلى الاحتفال بعيد الثورة الخامس لإظهار قدرتها على العمل ، كما أعلن عبد الناصر فى الخطاب الذى ألقاه فى الاحتفال بعيد الثورة والذى كان قد أعلن فيه الاستيلاء على القناة : « إننا بإرادة الله سنسجل نصر تلو الآخر » وأوضح رغبته فى استخدام القناة لخدمة الأغراض الوطنية فى مصر - فقال أن من أهم العوامل التي تمد مصر بقوتها هو موقعها الإستراتيجى الذى يشرف على جميع الطرق العالمية وأضاف :

« أننا نكون أقوياء حينما نقدر على أى حد تكون قدرتنا على العمل »

كذلك كان عبد الناصر قد اقترح منذ أيام مشروع اتفاقية دولية جديدة لتأكيد وضمان حرية الملاحة فى قناة السويس .

كما أن الحكومة السوفيتية أعلنت فى بيان أصدرته أن هذا المؤتمر قد يتيح الفرصة لإيجاد حل بالوسائل السلمية المتعلقة بحرية الملاحة فى قناة السويس وهو الحل الذى قد يكون فى ظل الظروف الجديدة مقبولاً لدى مصر والدول الأخرى المعنية بالأمر .

وفي المؤتمر - كانت كل دولة تسعى لخدمة أغراضها ومصالحها الشخصية ولم تكن لإحداها على استعداد للتنازل عن هذه النظرة الأنانية بوحى من الضمير الذى يسعى لخدمة مصالح البشرية - تجمعا .

فألهند - مثلاً - كانت غاضبة لقيام الولايات المتحدة بتسليم باكستان باعتبارها عضواً في حلف بغداد ؛ وقد سمحت باكستان مقابل ذلك للولايات المتحدة الأمريكية باستخدام قواعدها ضد قوة السوفيت في الشمال ، كذلك فقد قام المندوب السوفيتي شبييلوف ليوضح أمام الرأي العالمي بأنه لم يعد هناك نزاع حول قانونية التأميم واعترض شبييلوف على مشروع منزيس رئيس وفد امسترايا بشأن حقوق مصر فقال إنه (١) :

« لا يمكن أن تحول السيادة الوطنية لأي دولة إلى عملية تجارية ، وأنه لا يمكن شراء سيادة الدول أو بيعها » .

وقرب نهاية المؤتمر تقدمت باكستان - بإيجاز من الولايات المتحدة - وتأييد اثيوبيا وإيران وتركيا - بتعديل للمشروع الأمريكي بأن سيادة مصر هي الاعتبار الرئيسي في المسألة ؛ واشترطت باكستان في تعديلها للمشروع الأمريكي بأن يكون تشكيل المجلس الدولي بناء على مباحثات تجرى بين مصر وجميع الدول المعنية بالأمور .

وفي يوم ٢٢ من أغسطس اقترح توماس ماكدونالد - وزير خارجية نيوزيلندا تشكيل لجنة من الدول وافقت على الاجتماع بعبد الناصر أما المندوب السوفيتي شبييلوف فقد أدرك أن الاتحاد السوفيتي على وشك أن يخسر في نهاية الصراع داخل المؤتمر فأعلن أن قرار المؤتمر لم يكن ديمقراطياً لأن تعداد شعوب الاتحاد السوفيتي والهند وأندونيسيا يفوق تعداد الشعوب في الدول الثماني عشرة الأخرى .

وبعد ذلك أثير التساؤل ضمن سيقوم بتقديم اقتراحات المؤتمر وسجلاته إلى عبد الناصر ، وبالرغم من أن أنطوني إيدن اقتنع فان دالاس رفض أن يرأس بعثة المؤتمر إلى القاهرة ، ويفسر البعض ذلك بأن تصرف دالاس هذا قد ساعد على إمداد عبد الناصر بقوة استراتيجية غير عادية .

وفي النهاية رأس منزيس البعثة إلى القاهرة ، وأعلنت كل من الحكومتين البريطانية والفرنسية أنهما تنتظران مؤتمر القاهرة قبل أن تعفى الشركة المرشدين من التزامهم في الاستمرار في الخدمة ، وقد اعتبر عبد الناصر ذلك تهديداً موجهاً إليه فقد كان عدد المرشدين ٢١٥ من بينهم ٦١ من البريطانيين ؛ ٥٣ من الفرنسيين (١) ؛ وقد تلقى المرشدون في ٢٣ من أغسطس تعليمات بمغادرة مصر وفي نفس الوقت وجهت الحكومة المصرية نداء إلى العالم كله تطلب فيه رجالاً يستطيعون إرشاد السفن وتلقّت أكثر من موافقة ، وبخاصة من المتطوعين السوفيت.

وفي يوم ٢٧ من أغسطس أشار خروشوف - في حفل دبلوماسي أقيم في موسكو - إلى السفيرين البريطانيين والفرنسيين ، فقال إنه إذا قامت الحرب في السويس فإن العرب لن يقفوا وحدهم .

وعندما صمد بيان الحكومة السوفيتية حول ضرورة حل مسألة قناة السويس بالطرق السلمية في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٦ كان من الواضح أن البيان ، وإن توقع استخدام القوة ضد مصر كان يستبعد أية مشاركة إسرائيلية في عمل كهذا (٢) ، ولذلك تبدو نغمة الدهشة من الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية التي عبرت عنها الأرفستيا في ٢١ سبتمبر ، وقد ذكرت الأرفستيا إن إسرائيل تلعب بالنار إذ تسارع في استعداداتها العسكرية الغير ضرورية لإطلاقاً لأن أحداً لا يهددها (٣) .

(١) وبالإضافة إلى هؤلاء المرشدين البريطانيين والفرنسيين كان هناك ١٤ مرشداً من الهولنديين ، ١٢ من اليونانيين ، ١١ من النرويجيين - ٣ من الدانمركيين ، ٢ من كل من إيطاليا وأمريكا وبلجيكا والسويد ؛ وواحد من كل من أسبانيا ويوغوسلافيا وبولندا - أما الباقون وعددهم ٤٠ مرشداً فكانوا من المصريين الذين أمضوا مدة عامين في رتبة رباب أعلى البحار .

(٢) بيان الحكومة السوفيتية حول ضرورة حل مسألة قناة السويس بالطرق السلمية ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٦ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط - مشاكل الأمن والسلام (وثائق ومواد) ١٩٥٦-١٩٧١ - موسكو - دار نشر وكالة نوفوستي ١٩٧٢ ص ٣٣-٣٤ .

(٣) لاكور : والت ، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ٢٦٠-٢٦١ .

وعموماً يبدو في ذلك الوقت أن الشكوك بدأت تتولد لدى القيادة السوفيتية حول احتمال مشاركة إسرائيل في تدخل غربي مسلح ضد مصر ، ففي ٢٢ سبتمبر دعا السفير الإسرائيلي لمقابلة نائب وزير الخارجية السوفيتي الذي سلمه مذكرة تضمنت الإشارة إلى ملاحظة نسبت للسفير الفرنسي في إسرائيل مؤداها أن هذه الأخيرة سوف تهاجم مصر مع الدول الغربية .

وحذرت المذكرة إسرائيل من النتائج الخطيرة لاستمرار هذه السياسة وقابلت ماثير وزيرة الخارجية الإسرائيلية السفير السوفيتي في ٢٦ سبتمبر وأعربت له عن أسفها لهذه المذكرة التي نظرت إلى حوادث الحدود من جانب واحد ، وعددت له حوادث الحدود التي أدانت فيها لجان الهدنة المشتركة الأطراف العربية

وفي مذكرة إسرائيلية تسلمت إلى وزير الخارجية السوفيتي في ٢٨ سبتمبر أُلقيت مسئولية حوادث الحدود على العرب ، وأكدت حكومة إسرائيل أنها غير مسئولة عن أية ملاحظات للسفير الفرنسي بفرض صحتها (١) .

وفي ٢٧ أكتوبر تحدثت البرافدا عن اتخاذ قرار في لندن في ٢٣ أكتوبر بتدخل عسكري وشيك في مصر ، كما تحدثت في اليوم التالي عن عملية التعبئة العامة التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية ، وبدأ أن السوفيت قد علموا بنية الهجوم على مصر (٢) وعبرت البيانات والتصريحات السوفيتية الأولى

Dagan, Avigdor, Moscow and Jerusalem :Twenty years (١) of Relations between Israel and Soviet Union, New York Abalard, Schuman, 1970. pp. 164-165.

Dallin, David, J. Soviet Foreign Policy after Stalin (٢) London : Methuen & co. Ltd. 1960 p. 412.

Dallin, Alexander, The Soviet Union at the United Nations, An Inquiry into Soviet [Motives and objectives, London, Methuen Co. Ltd 1960.

بعد الهجوم الإسرائيلي على مصر عن وجهة النظر السوفيتية بأن العمل الإسرائيلي يعتبر من أعمال العدوان المسلح وأنه يخالف ميثاق الأمم المتحدة مخالفة شديدة (١) وأنه كان ذريعة للدول الغربية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا كي تدخل قواتها إلى أراضي الدول العربية خصوصاً في منطقة السويس ، ووصم إسرائيل بالعمالة للامبريالية وحذر من أن مسلسلها هو مسلسل إجرامي وخطير عليها هي نفسها وعلى مستقبلها قبل كل شيء ودعا مجلس الأمن إلى اتخاذ الإجراءات العاجلة لإيقاف الأعمال العدوانية ضد مصر ، والحلاء الفوري لقوات الغزاة عن أراضيها (٢) .

التوتر على الحدود وردود الفعل :

كانت - مصر وفقاً لآراء بن جوريون (٣) - هي التي تنظم هذا النزاع الثاني من حوادث الحدود لأسباب تتعلق في الجانب الأكبر منها بالسياسة العربية ، وهذه الحوادث كانت طبقاً للمفهوم الإسرائيلي عمليات انتقامية مترابطة تكون دائماً دائرة مفرغة من عمليات الانتقام وعمليات الانتقام من الانتقام .

وفي خلال الشهر الواحد والعشرين التي سبقت عملية سيناء سنة ١٩٥٦ نجد ، وفقاً لما قرره رجال لجنة مراقبة الهدنة ، أن القتلى بلغوا من جانب الإسرائيليين ١٢١ ، ومن جانب العرب ٤٩٦ .

(١) ومع ذلك يذكر لاكور أن هذا الهجوم قد أخذ السوفيت على غرة : أنظر ، لاكور والت : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق : ص ص ٢٦٤-٢٦٥ .
(٢) بيان الحكومة السوفيتية حول العدوان المسلح على مصر - ٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦ الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط : مرجع سابق ، ص ص ٤٤-٤٦ .

(٣) Ben-Gurion, David : Israel, Years of Challenge, op. cit, pp. 38-39.

حيث يذكر أن هجمات الفدائيين قد أحدثت بين السكان الأصليين ١٦٢ قتيلاً وجريحاً في عام ١٩٥٣ ، ١٨٥ في عام ١٩٥٤ ، ٢٥٨ في عام ١٩٥٥ .

وفي عام ١٩٥٦ وصلت حالة التوتر بين الإسرائيليين والعرب حداً جعل الدول الغربية الكبرى تخشى من العودة إلى حالة القتال والحرب الصريحة بين الطرفين خاصة وأن مناحم بيجين (١) النائب عن حزب حيروت قد عرض في يوم ٦ من مارس سنة ١٩٥٦ على السكنيست القيام بحرب وقائية .

وكانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل في أدنى مستوى لها في عام ١٩٥٦ ، ويقال (٢) أن الدول الغربية لم تكن تريد في أوائل سنة ١٩٥٦ أن تصل الحالة المتوترة بين العرب وإسرائيل إلى هذه الدرجة من التوتر ، ذلك أن وزير الخارجية الأمريكي فوستر ودالاس ورئيس الوزراء البريطاني أنطوني إيدن كانا في شهرى أغسطس ونوفمبر سنة ١٩٥٥ قد عرضا بطريقة غير رسمية وساطتهما في النزاع . ولكن العرض الأول رفضه العرب ، والعرض الثاني رفضه الإسرائيليون ، ولم تسفر تلك المحاولات عن شيء .

وفي شهر يناير عام ١٩٥٦ وجد داج همرشلد سكرتير عام الأمم المتحدة أن الحالة قد بلغت من الخطورة حداً يتطلب منه التوجه بنفسه إلى القاهرة وإلى القدس ظناً أن خطأ أوصواباً ، أن في استطاعته أن يحصل من الطرفين على اتفاق خاص بوضع منطقة العوجة .

وبعد ذلك بهضمة أسابيع خشي مجلس الأمن حدوث انفجار في المنطقة ولكن إمكانياته كانت مقيدة بسبب المواقف المتعارضة بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي الذي وصلت علاقات إسرائيل به إلى أدنى مستوى لها ، فقرر مجلس الأمن مرة أخرى اللجوء إلى سكرتير عام الأمم المتحدة وفي اليوم التالي مباشرة للتصويت على هذا القرار قام أحمد الشهاب

(١) وهو الرئيس السابق لعصابة الارهابية .

Aleuni, op. cit, pp. 376-377

(٢)

الإسرائيليين في مبادرة من جانبه - على حد رأى أحد الباحثين (١) - بضرب مدينة غزة بالقنابل محدثاً فيها ستة وخمسين قتيلاً ومائة وثلاثة من الجرحى ومتسبباً بذلك في قيام موجات جديدة من غارات الفدائيين على طريق بئر سبع وبالقرب من الرملة حيث قتلوا مجموعة من الأطفال .

وجاء همرشاك إلى المنطقة في يوم ١٠ من نوفمبر وراح يباشر محادثات واسعة في كل من القاهرة والقدس ودمشق وعمان وبيروت ، وأثار سكرتير عام الأمم المتحدة في تلك المحادثات كل المشكلات القائمة : موضوع الفدائيين ومشكلة حظر مرور إسرائيل في قناة السويس ، ومسألة تحويل مياه نهر الأردن ، ومشكلة سكوبس وموضوع العوجة . وفي نهاية الأمر حصل السكرتير العام على وعد من جميع الأطراف ألا يبادر واحد منهم إلى البدء بإطلاق النار وأن تغلق كل من الأردن ومصر حدودها في مزيد من الأحكام أمام الفدائيين .

غير أن هذه الرحلة الثانية التي قام بها السكرتير العام للأمم المتحدة لم تكن أسعد حظاً من رحلته الأولى ، إذ لا هذه ولا تلك توصلت إلى إيجاد حالة هدوء دائمة ،

وفي شهر يونية عام ١٩٥٦ أخذت آخر الحاميات البريطانية القواعد التي كانت تشغلها في منطقة السويس ، وكانت منها تستطيع أن تقوم فاصلاً بين الإسرائيليين والمصريين .

وحينما أعلن عبد الناصر في ٢٦ مايو سنة ١٩٥٦ تأميم الشركة العالمية لقناة السويس ارتفع مقامه في العالم العربي بوجه عام وفي الأردن بوجه خاص إلى حد لم يصل إليه من قبل أبداً وراحت الحوادث على الحدود الأردنية تتضاعف وتزداد خطورة أسوأ بعد أسبوع . وبرزت ظاهرة

جديدة هي تدخل الجيش الأردني في هذه الحوادث مما تسبب عنه أن جن جنون الإسرائيليين فترتب على ذلك زيادة أعمال الانتقام من ناحية الإسرائيليين وأصبحت هذه الأعمال كثيفة في غرندل وشرفة وقلقيلية، ثم أقدم الإسرائيليون على سحب ضباطهم من لجنة اتفاقية الهدنة وعلى منع مراقبي لجنة الهدنة التابعة للأمم المتحدة من القيام بتحقيقاتهم داخل أراضيهم وأخذت الصحافة والإذاعات توجّه التهم المتبادلة . وكأنه أحد الجانبين يكتب فيقول :

« إذا انهارت الأردن ، فلن تظل إسرائيل مكتوفة الأيدي ، ولن تكون الأردن ميراثاً لمصر » .

فيرد عليه الآخر قائلاً :

يجب أن تزول إسرائيل من الوجود ، وإسرائيل إذاتها تعرف أن هذا هو الحل الذي لا مناص منه أن لدى الجيوش العربية اليوم من السلاح ما يكفي لمهاجمة إسرائيل » .

وبلغت الحالة حداً من الحرج على إثر حادثة قلقيلية جعلت السفير البريطاني في تل أبيب ينذر الحكومة الإسرائيلية ، في يوم ١٢ من أكتوبر ، أن العودة إلى القتال ضد الأردن سوف تستتبع تنفيذ الشروط الواردة في المعاهدة المبرمة بين إنجلترا والأردن ، ز

غير أن جميع النداءات التي تستهدف الحيلة والحذر بدت وكأنه قد فات أوانها ، فقد راح بن نجوريون منذ بداية شهر نوفمبر يقترح على حكومته — يؤيده في ذلك رئيس هيئة أركان الحرب الإسرائيلي موشى ديان (١) — القيام بمهاجمة مصر لفك الحصار عن مضيق تيران ولوضع

(١) نجد الدليل على الأهمية التي كانت تعلقها إسرائيل على مسألة فتح مضيق تيران وعلى الدور الذي قامت به هذه الضرورة في الهجوم الإسرائيلي على سيناء فيما كتبه : —

حدد لغارات الفدائيين التي لم تعد تكفي لمقاومتها العمليات التي من قبيل عملية قلقيلية ،

أما في الجانب العربي ، فعلى الرغم من الضغط الإسرائيلي لزيادة الموجة الناصرية في أرجاء الأردن ، وأدت الانتخابات التي أجريت يوم ٢٢ من أكتوبر إلى فوز أغلبية كبيرة من النواب الوطنيين المواليين لعبد الناصر جاءوا إلى البرلمان ، وبعد ذلك يومين وافقت الأردن على انضمامها إلى الاتفاق الثلاثي ، ووضعت جيشها تحت قيادة القائد المصري عبد الحكيم عامر .

وعلى الجانب الإسرائيلي ، لم تخف إسرائيل قط رفضها بوجود جيش عربي متحالف مع مصر على حدود الضفة الشرقية لنهر الأردن في مكان يتصل بالقدس ويقع على بعد ١٥ كيلو متراً من تل أبيب ، وأعلنت إسرائيل صراحة أن حدوث وضع كهذا سوف يترتب عليه تدخل عسكري من جانبها .

وفي الليلة ما بين ٢٩ ، ٣٠ من أكتوبر بعد أن قامت إسرائيل بمناورة للتمويه في اتجاه الأردن ، اجتاز جيشها الحدود الفاصلة بينها وبين سيناء .

وهكذا كانت إسرائيل هي البائدة بالعودة إلى القتال ، وقد أثار عملها هذا تنديداً قاسياً بها من قبل الرأي العام الحالي ، ومن الثابت أن وضع إسرائيل خلال السنوات السبع السابقة

Dayan, Moshe : Diary of the Sinai Campaign, op.cit, Ben Gurion, David, Pearlman Moshe : Ben Gurion looks back in talks with Moshe Pearlman, op. cit p. 122.

حيث جاء قول بن جوريون : « إن الشيء الذي يهمنا بالدرجة الأولى هو الشاطئ المحيط بإيلات وبالحليج . إنى أتوقع أن بعض الدول سوف تضطرنا إلى الانسحاب . . لأن الحليج لا يمثل بالنسبة لها دوراً استراتيجياً أما الدور الاستراتيجي الذي يمثله بالنسبة لنا فهو أن تتوفر لنا كامل الحرية في الملاحة حتى ولو لم نحتله » .

لم يكن فيه شيء يبرر موقفها هذا ، ومن الثابت أيضاً أن إثارة الحرب الوقائية (١) تعتبر بوجه عام من الأمور التي يلام عليها صاحبها وهي في كثير من الأحيان - ومنها حالة إسرائيل هذه - من الأمور المردودة المستهجنة .

العدوان الثلاثي :

بدأت الحوادث تتوالى في سرعة مذهلة ابتداءً من ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ واندفع الجيش الإسرائيلي (٢) في داخل سيناء في مدى مائة ساعة إلى حافة قناة السويس .

وفي يوم ٥ نوفمبر كانت شبه جزيرة سيناء كلها في قبضة إسرائيل بعد تشتيت الجيش المصري ؛ وبذلك كسب الإسرائيليون أقصر حرب في التاريخ ، غير أن تلك الحملة كانت تحيط بها حوادث ذات مدى أوسع من ذلك بكثير ، إذ كانت بريطانيا وفرنسا تسندان هما الآخران للهجوم على مصر بعد أن قامت مصر بنأميم شركة قناة السويس العالمية الذي أعلنه عبد الناصر في خطابه بتاريخ ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ .

وكان قد عقد في لندن مؤتمر من الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين ،

(١) من بين التصريحات العديدة المحتوية على التهديد من جانب العرب ضد إسرائيل نذكر ما جاء في خطاب ألقاه عبد الناصر في يوم ١٨ من يوليو عام ١٩٥٥ وقال فيه ، « إنه يحذر المسئولون الاسرائيليين القائلين - إن الجمهورية العربية المتحدة تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي نتبارى فيها للمرة الأخيرة مع إسرائيل والتي تأخذ فيها بثأرها » .

(٢) لن نتعرض في هذا البحث لتفاصيل العمليات العسكرية غير أن الأهداف التي حددت لقائد الحملة موسى ديان هي : خلق تهديد عسكري موجه إلى قناة السويس باحتلال مواقع على مقربة منها والاستيلاء على المواقع التي تتحكم في خليج العقبة ثم التوصل إلى تدمير الجيش المصري في سيناء .

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia Campaign, New York
1967, p. 250-263.

حيث تضمن.حجم القوات المصرية والاسرائيلية في سيناء آنئذ

(م ٢٥ - فلسطين)

وذلك في خلال المدة من ٢٩ من يوليو إلى ٢ من أغسطس ، وتمت الموافقة في هذا المؤتمر على مشروع تقدم به فوستر دالاس حيث تقرر عقد مؤتمر دولي يضم المستفيدين من القناة .

وقد رفضت مصر حضور هذا المؤتمر فاجتمع ممثلو ثمانى عشر دولة في لندن في الفترة من ٢٦ من أغسطس حتى ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦ ، واختار المؤتمر لجنة من خمسة أعضاء لمحاولة إيجاد أساس للتفاهم مع مصر ، غير أن مصر تمنعت عن الوصول إلى هذا التفاهم ، فاجتمع مؤتمر ثان من ثمانى عشرة دولة في لندن أيضاً في الفترة ما بين ٢٩ : ٢١ سبتمبر وتم فيه إنشاء هيئة المستفيدين من استخدام قناة السويس .

وفي يوم ٢٣ من سبتمبر أثار كل من بريطانيا وفرنسا الموضوع أمام مجلس الأمن الذى اعتمد في قراره الصادر في يوم ١٣ من أكتوبر عام ١٩٥٦ جزءاً من المقترحات البريطانية الفرنسية وهو الجزء الخاص بحرية المرور قناة السويس ولكن مع تأييد المجلس للسيادة المصرية عليها (١) .

وعموماً فقد وحدثت فرنسا وبريطانيا عملياتها مع عملية الجيش الإسرائيلي واصططعتا مهلة لتدخلهما بأن وجهتا لكل من مصر وإسرائيل في يوم ٣٠ من أكتوبر إنذاراً يأمرانها فيه بأن تسحب جنودهما في مدى إحدى عشرة ساعة على بعد عشرة أميال من جانبي قناة السويس . وكما كان متفقاً عليه قبلت إسرائيل هذا الإنذار ورفضته مصر ، كما كان متوقفاً إذ كيف لها أن تقبل وهى ضحية للعدوان ؟ أن تترك خط دفاع لها واقعاً على بعد مائتين وخمسين كيلو متراً داخل حدودها .

وفي نفس يوم ٣٠ أكتوبر هذا عارضت كل من فرنسا وبريطانيا

العظمى عن طريق الفيتو قراراً أصدره مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار فوراً على الجبهة المصرية .

وفى يوم أول نوفمبر تعالت كل من بريطانيا وفرنسا برفض مصر للإنذار الموجه منهما إليها وقامتا بضرب الأهداف العسكرية فى كل من القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والاسماعيلية مستخدمتين فى ذلك طيرانهما المتمركز فى جزيرة قبرص .

وفى يوم ٤ من نوفمبر ألقنا بالمظليين على بور سعيد وأنزلنا قواتهما التى راحت تتقدم بسرعة فى اتجاه الاسماعيلية ، ولكنهما اضطرتا فى يوم ٦ من نوفمبر إلى الامتثال لقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة وللضغط الأمريكى وللتهديد من قبل الاتحاد السوفيتى بالالتجاء إلى استخدام وسائل الردع النوى ، وكانت فرنسا لا تنوى التراجع أمام هذه المحظورات ولكنها لم تجرؤ على معارضتها منفردة وامثلت للأمم بعد نقاش مشير حول موقف شريكها بريطانيا .

وفى يوم ٧ من نوفمبر صدر قرار آخر من الجمعية العامة للأمم المتحدة يأمر المعتدين بسحب قواتهم إلى ما خلف الخطوط التى بدأوا منها زحفهم ولم يتم الامتثال لهذا الأمر يغير تلكؤ ومماطلة ، ولم يسحب البريطانيون والفرنسيون آخر قواتهم إلا يوم ٢٢ من ديسمبر بينما تم سحب القوات الإسرائيلية يوم ٧ من مارس التالى .

ثم حلت « قوة الطوارئ » الدولية التى أنشأتها هيئة الأمم المتحدة وأطلق عليها اسم « قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة » .

وحلت قوة الطوارئ محل القوات المعتدية على الحدود بين مصر وإسرائيل وفي أثناء هذه الفترة كانت مصر قد أغرقت بعض السفن في مجرى قناة السويس وراحت سوريا تنسف محطات الضخ التابعة لشركة البترول العراقية وقطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا أو بريطانيا أو معهما معاً .

قصة التواطؤ :

أصبح من المعروف أن رجالاً رسميين من الفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين قد اجتمعوا في بلدة سيفو في خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ وقد ساهم بن جوريون في هذا الاجتماع حيث توصلوا إلى اتفاقية سرية تم التوقيع عليها في سيفو يوم ٢٣ أكتوبر بين كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، وقد أوضحنا كيف تلاقت أطراف العدوان الثلاثة رغم اختلاف دوافعهم تماماً ، وعموماً فإن إسرائيل كانت تريد اقناع العرب بأنهم غير قادرين عسكرياً على النيل منها : وفرنسا تعتقد بأن تغيير النظام في مصر سيحرم الثوار الجزائريين من أهم العناصر المؤيدة لهم مادياً ومعنوياً ، أما بريطانيا فكانت ترى أن النظام المصري يعرقل خططها في المشرق العربي وهي - أى بريطانيا - غير مستعدة لإظهار تواطئها مع إسرائيل لأن الخطط البريطانية تقوم على أساس وجود أصدقاء على رأس بعض الحكومات العربية كنوري السعيد في العراق .

ولا شك أن ثبوت التواطؤ سيخرج مركز هؤلاء الأصدقاء لاء ، بينما لم يكن يعنى فرنسا أن تعرف صلاتها بإسرائيل ، وقد أخذت منذ ٧ أغسطس تمتنع عن إبلاغ شركائها في حلف الإطلنطي بصفقات السلاح خلافاً لما هو مألوف ، كذلك قامت بتزويد إسرائيل بكل ما نحتاجه من أسلحة ، وربما مأل بعض الصهاينة في هذا الوقت المبكر -

إلى القيام بعمل انفرادى يحرزون به نصراً على مصر وبذا يؤكدون قدرتهم على البقاء دون الحاجة إلى مساعدة مباشرة من الخارج ، وهذا الأسلوب - طبقاً لما يراه بعض الباحثين - يعتبر أفضل بالنسبة لإسرائيل دبلوماسياً ومعنوياً (١) .

فن الناحية الدبلوماسية ربما تلاشت المعارضة الأمريكية لعمل إسرائيل بمفردها بخلاف ما إذا اشتركت مع دولتين كبيرتين من حلفاء الولايات المتحدة في حلف الإططنطى بدون استشارتها ، بل ان المشاركة مع بريطانيا وفرنسا يضر ضرراً أشد بعلاقات إسرائيل مع الكتلة الشيوعية وهى علاقات ما تزال طبيعية إلى حد ما .

ومن الناحية المعنوية إذا اشتركت بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل فى عدوان مباشر فلن يقتنع أحد بأن إسرائيل قادرة على كسب معركة ضد العالم العربى المحيط بها فضلاً عن حماية نفسها . وبهم القادة الإسرائيليون التأثير المعنوى على يهود العالم واقناعهم بقدرة إسرائيل على البقاء والتوسع حتى يقبلوا على الهجرة ونقل أموالهم إليها .

ويمكن تفسير أسباب اتجاه إسرائيل إلى مشاركة بريطانيا وفرنسا فى العدوان بما يلى :

خشيت إسرائيل أن تقامر بحرب مع مصر قد تعجز أيضاً معها دولاً عربية أخرى وتؤدى إلى تدمير المدن الإسرائيلية ، ولم يخف بن جوريون هذه المخاوف أثناء مباحثاته مع المسئولين الفرنسيين فى نهاية أكتوبر حينما طلب إليهم غطاء جويّاً مباشراً وساعدت (٢) فرنسا بالفعل باقامة

(١) شالدرز أرسكين : الطريق إلى السويس ، مرجع سابق ص ٢٢١-٢٤٢ .

Aleum, op. cit, p. 383-384.

(٢)

المظلة الواقية فوق لإسرائيل بل وساهم الطيران الفرنسي بعد ذلك في عمليات الإمداد ثم اشترك أيضاً في الهجوم على وحدات أرضية في سيناء وعاون معاونة كبيرة في إنجاح العمليات العسكرية عن طريق القضاء على كل تهديد جوى يمكن أن يأتى من جانب مصر .

كذلك طلب بن جوريون مساعدة الأسطول الفرنسى في ذلك موقع رفع الحصى (١) ، ومن الوقائع (٢) المؤكدة أيضاً أن الأسطول الفرنسى ساهم في عملية الاستيلاء على الفرقاطة المصرية «إبراهيم الأول» ، وقد قامت إحدى الطرادات الفرنسية بضرب تحصينات رفح - تلبية لرغبة بن جوريون - قبل هجوم الإسرائيليين عليها .

ومن السخف التعلل بجهل هذه الوقائع أو محاولة التشكيك في صحتها . وبالرغم من أن فرنسا كانت قد عقدت النية على النواطئ التام مع إسرائيل . إلا أنها عمدت إلى تغيير طلاء السفن التي صارت تقطع البحر المتوسط ذهاباً وإياباً بين موانئ فرنسا الجنوبية وبين إسرائيل منعا لآثار الشبهة ، كذلك غيرت شعارات طائرات المستير التي أرسلت على عجل للتدريب وقدرت الدفعة الأخيرة بـ ٦٠ طائرة .

وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٤٦ أعلن بن جوريون ، أنه صار لبلاده حليف قوى تعتمد عليه .

(١) Azeau, Le peige de Suez, paris 1964, p. 247.

(٢) وهو ما ينفيه الكولونيل هنريك في كتابه عن السويس ، وعموماً فإن الوثائق المتعلقة بهذه الوقائع لم تنشر بعد وأن الأشخاص الذين هم على علم بها غير مصرح لهم بالتحدث عنها ، وعموماً فهناك مؤلفات تميزت بقدر من الجاذبية ومنها كتاب Azeau. المشار إليه هنا وكذا :

Berger, Brom : Les Secrets de l'expédition d'Egypte Paris,

1966.

— أسرار الحملة على مصر لمؤلفه سرج دميرى .
— السويس — سرى جداً — لمؤلفه بارز وهار .

ومن الأمور الطاريفة حقا أن يدعى أيدين في مذكراته أنه لم يتخذ استعدادا للتدخل في الشرق الأوسط قبل ٢٥ أكتوبر وأن هذه الاستعدادات تقررت في حالة وقوع نزاع لم يكن يعرف عنه شيء ثم كشفت الدراسات الإنجليزية المعتمدة على الوثائق فيما بعد كذب تلك الادعاءات ، فمنذ منتصف سبتمبر أو فدت - الخارجية البريطانية الكولونيل هنريك في مهمة أحيطة بالسرية إلى تل أبيب وقد أبلغ المسئولين هناك بأنه إذا أرادت إسرائيل أن تهاجم مصر فستغمر بريطانيا العين ، شريطة أن يعمل كل فريق منفردا وستستخدم بريطانيا نفوذها بعد ذلك لمساعدة إسرائيل على عقد صلح مع العرب ، وإذن فإن الخطوة الأولى الإنجليزية انبثت على أساس عمل انفرادي إلى أن سطت فرنسا لتعديل الخطوة على الطريقة التي ستفعلها فيما بعد .

ويقال أن بريطانيا لم توافق على خطة العدوان الثلاثي إلا في اجتماع باريس الذي تم بين رئيس حكومتى بريطانيا وفرنسا ووزيرى خارجيتهما في ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ غير أن أيدين أعلن فيما بعد أنه درس في هذا الاجتماع الخطة الجديدة التي وافقت عليها مصر يوم ١٣ أكتوبر لتنظيم الملاحة في قناة السويس . ولكى تزيد الحكومة البريطانية في إخفاء ثواطئها لم تعتمد على سحب رعاياها من مصر الذين يبلغ عددهم ١١ ألفا كما لم يستدع السفير البريطانى من القاهرة بخلاف السفير الفرنسى .

وصار من المعروف الآن أن بن جوريون قام بزيارة إلى باريس أثناء انعقاد هذا المؤتمر السرى ، وإذن فقد كانت بريطانيا على علم تام بخطة العدوان ، لكن كانت هناك اتفاقات جانبية بين فرنسا وإسرائيل حول التفاصيل ربما لم تبلغ إلى بريطانيا ،

ويعتقد البعض (١) أن اختيار يوم ٢٩ أكتوبر للبداية

بالمهجوم على سيناء جاء مفاجأة لبريطانيا التي اقترحت يوم ٢ من نوفمبر .
وكان بعض العسكريين يفكرون في تأجيل الحملة إلى الشتاء .

كذلك قام بن جوريون بزيارة خاطفة إلى باريس يوم ٢٤ أكتوبر
حيث يظن أنه وضع التفاصيل النهائية لخطة العدوان .

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٦ نفى أيدن أمام مجلس العموم البريطاني أنه
كان يدري سلفا بالمهجوم الإسرائيلي وصرح بأن الترتيبات التي اتخذت منذ
٢٥ أكتوبر كانت تستهدف فقط مواجهة احتمال نشوب حرب ، وتمادى
أيدن في التمسك به إلى حد أنه كشف معلومات عن إمكان قيام مصر بهجوم على
إسرائيل ونقل أوراقا مزيفة قال أنها اكتشفت في سيناء تدل على وجود هذه
النية .

وللأسف كان بوسع دول العدوان أن تستشهد بتصريحات الصحف
والأذاعة في مصر ، مثلا حينما شنت إسرائيل غارة قنصلية على الأردن صرح
المسؤولون في مصر باستعدادهم للدفاع عن الأردن وكان المقصود هو التأثير
على نتائج الانتخابات النيابية ، ولكن لم يكن من المعقول أن تفكر مصر في
المشاركة بجمعة بعيدة بينهما قد سحبت نصف قواتها من سيناء ووضعها غرب
القنال لمواجهة احتمال هجوم بريطاني فرنسي .

ولاذن لم يكن العقل السليم يقبل على الإطلاق احتمال هجوم مصري على
إسرائيل ، في هذا الوقت بالذات ، بالذات ، بل على العكس كتب بيرنر
في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٦ إلى داج هرشلد ليعبر عن مخاوفه من سحب نصف
القوات المصرية من سيناء وتناقضها إلى ستين ألفا مما يغري إسرائيل بشن
العدوان (١) .

Burns, L. t. general e, L. M. Between Arabs and (١)
Israel New York, 196s, p. 169.

وفضلا عن ذلك فإن تصريحات أيدن كانت تفتقد المنطق والدليل لسبب آخر وهو أن قبرص ، القاعدة البريطانية في شرق المتوسط ، صارت مكان تجمع القوات الفرنسية ومنها انطلقت كثير من المساعدات الجوية والبحرية إلى إسرائيل ، فمن المستحيل إذن أن تكون بريطانيا قد جهلت تماما هذه الاتصالات .

وهناك عدة تفسيرات تشرح أسباب تقديم بن جوريون موعد الهجوم إلى ٢٩ أكتوبر ، ومن هذه التفسيرات رغبة بن جوريون أن تكون لديه مدة أطول للانفراد بالعملية ، وفي هذه الحالة يمكن القول بأن الإنذار الإنجليزي الفرنسي جاء بأسرع مما كانت تتوقعة السلطات الإسرائيلية ومنها وهو سبب هام أيضا ، إنشغال العالم بمسألة المجر ، ومن المعروف — أن الاتحاد السوفيتي قد تدخل بالقوة لمنع ثورة داخلية في أواخر أكتوبر ، ومن الممكن «بتغلغل هذا الحادث لتبرير العدوان والرد على الولايات المتحدة إذا اعترضت على العدوان الثلاثي بأن عليها من باب أولى أن تمنع «العدوان السوفيتي على المجر» .

ويتضح من ذلك أن دول العدوان كانت تحسب حساب المعارضة الأمريكية أكثر مما تلقى بالا للمعارضة السوفيتية حتى أنه كان من أسباب اختيار يوم ٣ أواخر نوفمبر لبدء العدوان تصادف هذين اليومين مع انتخابات الرئاسة الأمريكية بحيث تكون جميع الأجهزة هناك منشغلة في هذا الموضوع عن شئون السياسة الخارجية .

ومنها خشية إسرائيل أن يحدث تحول في السياسة البريطانية في آخر لحظة وذلك بعد أن لاحظت تودد المسؤولين الإنجليز هناك وأنقسام الرأي

(١) Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia Campaign, op. cit, p. 87.

فما بينهم حول سلامة التواطؤ مع إسرائيل، وبتشجيع من فرنسا قدمت إسرائيل موعد الهجوم .

وتتعارض رواية ديان حول هذه النقطة مع معظم الشهادات البريطانية الرسمية فهو يصر على أن موعد الهجوم كان متفقا عليه بين الأطراف الثلاثة منذ اللقاء الشهير في ١٥ أكتوبر ، وكان مقدرًا أن تنفرد إسرائيل باحتلال سيناء وتتدخل القوات الإنجليزية الفرنسية المشتركة غرب القناة ابتداء من ٣١ أكتوبر .

وعموما فقد كان مقررا في الأصل أن تبدأ إسرائيل الهجوم يوم ٢ أو ٣ نوفمبر وأن يوجه الإنذار بعد ثلاثة أيام على الأقل حينما تكون القوات قد وصلت بالفعل إلى القناة أو إلى مسافة قريبة منها وقدرت أربعة أيام لقطع المسافة التي تبلغ طولها ١٥٠ ميلا ، ومن الجائز توجيه الإنذار لمجرد وصول طلائع أممية وليس لاحتلال شبه الجزيرة كلها إذا كان مقدرًا لهذا الاحتلال من سبعة إلى عشرة أيام ، إذن كيف تعجلت بريطانيا وفرنسا في توجيه الإنذار إلى مصر بعد مضي نحو أربع وعشرين ساعة على العدوان الإسرائيلي مع أن التوقيت يضر بمركز الدول الثلاثة دبلوماسيا ، وهو لا يوافق هوى زعماء الصحابة الذين يريدون أن يظهروا للعالم قدرتهم على نصر منفرد على حساب مصر ، وهو من جهة أخرى يشب التواطؤ الذي كانت بريطانيا تحاول جاهدة أن تخفيه .

وهناك دليل آخر يؤكد التواطؤ البريطاني ، فقد شاركت بريطانيا في حملة تضليل واسعة ، حيث أخذت تجمع حشودها في مالطة منذ ٢٧ أكتوبر مبررة ذلك بأنها تريد عدم توسع الصراع في الشرق الأوسط ، وبعبارة أخرى تظاهرت بريطانيا بأن الهدف من ذلك هو عدم امتداد الصراع إلى بلاد عربية أخرى غير مصر ، على أن المصادر الإسرائيلية ذاتها تكذب هذه المناورة البريطانية فهي تشكو من أن السفير البريطاني في تل أبيب هدد بتنفيذ معاهدة التحالف مع الأردن إذا تعرض للهجوم .

وظن البعض في مصر ، بعد إنزال المظليين ، في مضيق مثله أن العملية ربما تكون مجرد محاولة لصرف الأنظار عن الهدف الحقيقي وهو الاستيلاء على الضفة الغربية .

وتوالت نداءات لإيزنهاور (١) إلى بن جوريون بعدم البدء بالهجوم ، سواء على مصر أو الأردن قائلا بأنه سيعمل على تسوية كل الخلافات بعد الانتهاء من انتخابات الرئاسة ، وفي نفس الوقت استفسرت السفارة الأمر يكية في باريس عما يجري هناك من استعدادات حربية فكان الجواب بأنه لا توجد نية للقيام بعمل حربي ما ، وسوف نجد أن الولايات المتحدة قد انصب غضبها بعد ذلك على بريطانيا وفرنسا لأن موقف بريطانيا وفرنسا جاء منافيا لما تقتضيه معاهدة حلف الإطلنطي وذلك أكثر مما نال إسرائيل وهي التي ستخرج وحدها رابحة من العدوان (٢) .

وكان أيدن كما ذكرنا مترددا في الأسلوب الذي يتبعه لتنفيذ العدوان ، وعلاوة على ذلك ، فإن الرأي صار منقسما بين أعضاء الحزب ولهذا خشيت فرنسا أن تفوتها الفرصة حينما اقترحت بريطانيا تأجيل الحملة إلى الشتاء ، وأخيرا وبضغطة من الفرنسيين تقرر التعجيل بالإنذار وجعله تاليا لبدء الهجوم الإسرائيلي بأقل من يوم ، وكان الفرنسيون يتوقعون أن تنزل قوات الحلفاء المشتركة بمجرد تحطيم المطارات المصرية غير أن تردد أيدن واحتياطاته الشديدة أخرت النزول البري إلى ٥ نوفمبر ، ولذا كانت تنشأ من حين إلى آخر خلافات بين الحليين (٣) فذهب أيدن مدفوعا بتفكيره المتناقض ورغبته في

White House News statement, October 29, 1956. United (١)
states policy in the Middle East, September 1957. (Department
of state publication 6506, Near and/Middle Eastern series 25, Washington D. C. superintendent of documents, U. S.
government primary office, 1957, p. 137-138.

American Foreign Policy 1956, p. 864. (٢)

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia campaign op. cit, (٣)
p. 192.

إخفاء التواطؤ ما أمكن إلى حد أنه اقترح أن تعلن بريطانيا أولاً في مجلس الأمن استنكارها للهجوم الإسرائيلي ويجرى ذلك في نفس الوقت الذي يضرب فيه سلاح الطيران البريطاني المطارات المصرية استعداداً لغزو البلاد، فلم يوافق الفرنسيون على هذا الأسلوب وكانوا على خلاف الحكومة البريطانية أكثر منطقية مع أنفسهم في متابعة العدوان .

على أن من الملاحظ أن الطيران الإسرائيلي لم يتدخل في المعركة إلا من وراء السلاح الجوي البريطاني والفرنسي ، ولم يلعب الدور الحاسم في عام ١٩٥٦ ، والسبب هو خوف الإسرائيليين من انتقام السلاح الجوي المصري وهو ما تؤكد شهادات بعض المسؤولين الإسرائيليين أنفسهم .

والخلاصة أن دور إسرائيل الرئيسي في حملة سيناء كان هو القيام بحملة برية لاحتلال سيناء بحيث تصل فقط إلى المسافة التي قررها الإنذار الإنجليزي الفرنسي .

وبالرغم من أن التواطؤ كان واضحاً بين أطراف العدوان ، إلا أن العدوان لم يعجز دون وقوع خلافات بين أطرافه المختلفة ومن الحقائق الهامة التي كشفتها مذكرات ديان محاولة جرت لتعديل خطة الحملة على أساس أفراد فرنسا بغزو بورسعيد على أن تترك سيناء للإسرائيليين يتصرفون فيها كيف شاءوا حتى الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت المبادرة من القيادة الفرنسية ورغب ديان بالخطة — غير أن الفرنسيين تراجعوا خوفاً من التورط في مغامرة لا يستطيعون مواجهتها وحدهم .

الآزمة في الأمم المتحدة وردود الفعل :

انعقد مجلس الأمن في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بناء على طلب الولايات المتحدة، حيث تحدث المندوب السوفيتي أمام المجلس فأدان العمل الإسرائيلي وطالب بوقف العمليات الحربية وأنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المصرية ، وأعرب عن رأيه بأن عدم أمثال إسرائيل لأمر وقف الأعمال

العسكرية سوف يستلزم تطبيق المجلس لإجراءات صارمة ، بموجب الفصل السابع من الميثاق ، وربما إلى تبني مشروع القرار الأمريكي الذي كات فقراته الخاصة بإسرائيل ترى في العمل الإسرائيلي خرقاً لاتفاقية الهدنة ، وتطالب إسرائيل بسحب قواتها فوراً إلى ما وراء حدود الهدنة ، وتطالب الأعضاء بالامتناع عن تقديم أية مساعدة عسكرية أو اقتصادية أو مالية إلى إسرائيل طالما أنها لا تلتزم بهذا القرار .

وبعد الاتفاق في تبني المشروع الأمريكي لمعارضة بريطانيا وفرنسا له أعاد المندوب السوفيتي تقديم ديباجته والفقرة الخاصة بانسحاب إسرائيل كمشروع سوفيتي ، ثم عدله بناء على طلب مندوب الصين بأن يدعو المشروع إلى وقف إطلاق النار حيث لم يكن ممكناً من الناحية الفنية أن يتم الانسحاب دون وقف إطلاق النار - وبالطبع لم يتم تبني هذا المشروع أيضاً لنفس السبب (١) .

ثم تقدمت يوغوسلافيا (٢) في ٣١ أكتوبر بمشروع قرار يدعو فيه مجلس الأمن لدورة طارئة للجمعية العامة وفق قرار « الاتحاد من أجل السلام » ويعيد السلوك السوفيتي هنا مثلاً طيباً على الطبيعة السياسية للسلوك السوفيتي في الأمم المتحدة ، فيها هو الاتحاد السوفيتي الذي نشأ قرار الاتحاد من أجل السلام أصداً لمواجهة استخدامه لحق الاعتراض والذي عارض من ثم هذا القرار بصوت إلى جانب المشروع اليوغوسلافي (٣) ، وقد أصبح مجلس

(١) International Organization, Vol. XI, no. 1, winter 1957, pp. 110-112.

ومشروع القرار المقدم من الولايات المتحدة إلى مجلس الأمن بخصوص العدوان الإسرائيلي على مصر - ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ في: ملف وثائق فلسطين ج ٢ ، مرجع سابق ص ١١٩١ ، ومشروع القرار السوفيتي إلى مجلس الأمن بخصوص العدوان الإسرائيلي على مصر - ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ - في: المرجع السابق ص ١١٨٩ .

(٢) Hadlawi, Sami : Nnited Nations publication on Palestine 1947-1966.

(٣) Year Book of the United Nations, 1958, op. cit. pp. 27-28.

الأمن الآن مكانا غير موات بالنسبة لهذه المسألة بالذات وانتفى وضع الأقلية داخل الجمعية العامة بالمعارضة الأمريكية العدوان ، وكذلك المعارضة العالمية المتوقعة له داخل الجمعية العامة ، وقد تبني المجلس مشروع القرار اليوغوسلافي وفي نفس اليوم انعقدت الجمعية العامة في ١ نوفمبر وتحدث المندوب السوفيتي فكرر المواقف السوفيتية السابقة من العدوان على مصر ، ودعا في النهاية إلى تشكيل لجنة للأمم المتحدة من أجل مراقبة تنفيذ المقترحات التي سنتهي إليها الجمعية العامة (١) .

وفي ٢ نوفمبر ، ٤ نوفمبر أيد الاتحاد السوفيتي في الجمعية العامة مشروع قرار أقرتهما الجمعية - أولهما : أمريكي ، وثانيهما : أفرو آسيوي يتعلقان بوقف إطلاق النار فوراً ، وسحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة (٢) .

ولإزاء عدم امتثال المعتدين لوقف إطلاق النار اتخذ الاتحاد السوفيتي في ٥ نوفمبر مجموعة من الخطوات سارت في اتجاهين الأول يصعب في مجلس الأمن ، والثاني يتوجه إلى أطراف العدوان الثلاثة ، كما أن تلميحا مشتركا قد جمع بين الاتجاهين وهو التهديد صراحة أوضحنا بالقيام بعمل عسكري لردع العدوان .

وبالنسبة للاتجاه الأول أرسل وزير الخارجية السوفيتي برقية لرئيس مجلس الأمن لاحظ فيها اشتداد العدوان على مصر بالرغم من قرار الجمعية العامة في ٢ نوفمبر ولقت النظر إلى أن الوضع يفرض على الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات عاجلة وفعالة لاييقاف العدوان وإلا ستفقد ثقة شعوب العالم فيها وسمحت بانتهاك مثلها ومبادئها . وبناء عليه فقد تضمنت البرقية دعوة مجلس الأمن لبحث هذه المسألة وإعداد مشروع قرار بشأنها .

(١) خطاب سوبوليف مندوب الاتحاد السوفيتي في الدورة الاستثنائية الخاصة بالجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة حول مسألة عدوان افجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر أول نوفمبر عام ١٩٥٦ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) Year Book of the United Nations 1956, op. cit, p. 28.

وقد تضمن هذا المشروع مطالبة الحكومات المعتبرة بإيقاف كل الأعمال العسكرية ضد مصر خلال ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ القرار ، وسحب قواتها من مصر في خلال ثلاثة أيام . وفي حالة عدم تنفيذها لهذا القرار يقرر مجلس الأمن قيام الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وفي مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي باعتبارهما عضوين دائمين في مجلس الأمن بملكان أساطيل حربية جوية وبحرية بتقديم المساعدات الأخرى لمصر وذلك عن طريق إرسال قوات حربية وبحرية وجوية ووحدات عسكرية ومتطوعين وخبراء ومعدات عسكرية وأوجه المساعدة الأخرى وأكدت البرقية استعداد الحكومة السوفيتية للقيام بهذا العمل (١) .

ومن البديهي أن القادة السوفيت كانوا متأكدين سلفاً باستخدام حق الاعتراض البريطاني والفرنسي ضد اقتراحهم ، وقبل ذلك عن صعوبة — أن لم يكن استحالة — اشتراك الولايات المتحدة معهم في الردع العسكري — حيث لن توافق الولايات المتحدة بالطبع عن وجود قوات عسكرية سوفيتية في الشرق الأوسط عموماً .

وعلى هذا لا يخرج تفسير الموقف السوفيتي عن كونه أما تهديد قصده به أن يؤدي إلى ردع ، وأما تهديد لعمل سوفيتي منفرد يبرر نفسه باختفاق محاولة التدخل عن طريق الأمم المتحدة .

وقد اجتمع المجلس في نفس اليوم ؛ واستقط — بالطبع — تبني مشروع القرار السوفيتي ضمن جدول الأعمال ، وصوتت ضد ذلك كل من الدول الغربية الثلاثة الكبرى .

وبالنسبة للإتجاه الثاني أرسل بولخاين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي ثلاث رسائل إلى رؤساء مجالس وزراء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل

(١) برقية وزير خارجية الاتحاد السوفيتي لرئيس مجلس الأمن لهيئة الأمم المتحدة ٥ نوفمبر عام ١٩٥٦: في الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مرجع سابق ، ص ص ٤٩-٥١ .

وتعنيها هذه الرسالة الأخيرة (١) حيث كرر بولجانين فيها إدانة الاتحاد السوفيتي للعمل العسكري البريطاني الفرنسي ، ولفت النظر إلى الموقف المماثل للإغلبية الساحقة لدول العالم ، كذلك كرر الحديث عن عمالة إسرائيل للأمبريالية وإشار إلى « التأكيدات الباطلة على حبها للسلام وتطلعها للعيش في سلام مع الدول العربية المجاورة » واعتبرها مجرد تمويه للاستعدادات للهجوم على جيرانها ، كما تضمنت الرسالة أن : « حكومة إسرائيل تلعب دوراً إجرامياً دون أن تستشعر المسؤولية تجاه السلام وتجاه مصير شعبها عندما تنفذ إرادة الآخرين ، وعندما تعمل بأوامر من الخارج وأنها تزرع الكراهية للدولة إسرائيل وتجعل مسألة وجودها كدولة موضع شك وأنها نأمل في أن تفهم قل أبيب نحديرنا هذا حق الفهم وأن تستطيع تقييمة صحيحاً » .

وقد كانت هذه هي المرة الأولى على إطلاق التي تحدثت السوفيت فيها عن الوجود الإسرائيلي بهذه الطريقة (٢) .

وفي ٨ نوفمبر رد بن جوريون على الرسالة السابقة ، وقد تبريره الإسرائيلي بأنه كان عملاً من أعمال الدفاع عن النفس بسبب السياسة التي اتبعتها « حاكم مصر » منذ سنتين والتي تمثلت في تنظيم قوات فدائية خاصة حتى بدأت في مصر أولاً ثم في سوريا ولبنان والإردن لقتل الإسرائيليين ، وكذلك بسبب المقاطعة التي نظمها ضد إسرائيل ، ومنعه لها من المرور في قناة السويس ومضيق تيران بالرغم من قرار مجلس الأمن في عام ١٩٥١ المتعلق بحرية مرور السفن الإسرائيلية بالنسبة لقناة السويس وأخيراً بسبب الحلف العسكري الذي عقده مع الأردن وسوريا ضد إسرائيل ؛

(١) رسالة رئيس مجلس الاتحاد السوفيتي إلى رئيس وزراء إسرائيل ، نوفمبر عام ١٩٦٧ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، موجع سابق ، ص ٥٦-٥٩ .

(٢) راجع : كتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

وأكد بن جوريون التزامه بوقف إطلاق النار منذ أيام وعزم حكومته على الدخول في مفاوضات مباشرة دون أية شروط مسبقة ، ثم أعرب في الختام عن أسفه ودهشته لتهديد بولخاين ضد وجود إسرائيل ورفاهيتها ورفضه بأي ضغط على السيادة الخارجية لإسرائيل من الخارج (١) .

وفي ١٠ نوفمبر أضاف الاتحاد السوفيتي خطوة جديدة في التهديد بالتدخل ، ، ربما كانت أكثر تواضعا لكنها كانت أكثر تخويفا بحكم أنها بدت ممكنة للتنفيذ - فبينما أعربت وكالة ناسا في بيان لها عن رضى الأوساط القيادية السوفيتية عن تصريحات حكومات إنجلترا وفرنسا وإسرائيل الخاصة بوقف العمليات العسكرية أضافت في الوقت ذاته مخاوف هذه القيادات من أن يكون هذا المسلك مناورة لكسب الوقت ، وبررت هذه المواقف باستمرار الغارات على بورسعيد وإنزال قوات جديدة فيها بعد هذه التصريحات ورفض الأطراف المعنية للأتسحاب من الأرض المصرية ، وأشار البيان إلى (٢) « الطلبات العديدة للمواطنين السوفيت ومن بينهم عدد كبير من الطيارين ورجال الدبابات والمدفعية والضباط الموجودين في الاحتياط بالسماح لهم بالسفر إلى مصر كمتطوعين كي يناضلوا جنبها إلى جنب مع الشعب المصري في طرد المعتدين » .

وللمرة الثانية يتلقى بن جوريين رسالة من رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ رد فيها على رسالة بن جوريون بتاريخ ٨ نوفمبر ، وفي هذا الرد ذكر بولجانين أن الحكومة السوفيتية تأخذ بعين الاعتبار أن حكومة إسرائيل قد أوقفت إطلاق النار ثم أعلنت عزوها

Exchange of Notes Between Premier Bulganin and (1)
Prime Minister David Ben Gurion, in : Middle Eastern Affairs-
irs, Vol. VIII no. Janoary 1957 pp 13-15.

(٢) بيان وكالة تأسس حول عدوان إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر - ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ قى : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص ص ٦٠-٦٣ .
(م ٢٦ - فلسطين)

على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية ، وأنه من البديهي أن القوات الإسرائيلية التي يجب أن يتم سحبها من شأنها أن تستبعد احتمال حدوث استفزازات جديدة من جانب إسرائيل ضد الدول المجاورة لها .

وأشارت رسالة بولخاين إلى أن العدالة تتطلب أن تدفع إسرائيل ولانجلترا وفرنسا تعويضاً لمصر عن الخسائر التي لحقت بها نتيجة للعدوان ، كذلك بأن تعيد إسرائيل إلى مصر كل الممتلكات التي استولت عليها قواتها المسلحة (١) ولم يرد بن جوريون على رسالة بولخاين هذه المرة ، ويذكر أحد المصادر (٢) الإسرائيلية أن ذلك كان بسبب وضوح الاختناق المطلق لاية محاولة لتغيير رأي موسكو ،

ومنذ ذلك الحين وحتى أتمام إسرائيل انسحابها من الأراضي العربية في ٨ مارس ١٩٥٧ ثابر الاتحاد السوفيتي على موقفه في الأمم المتحدة وتمثل ذلك في الوقوف المطلق بجانب فكرة انسحاب إسرائيل الفوري وغير المشروط من الأراضي المصرية وبالذات معارضة تعليق انسحابها على أية مطالب بالنسبة لقطاع غزة أو خليج السويس وقناة السويس (٣) .

غير أن الأمر الجدير بالإشارة هو أنه ابتداء من يناير سنة ١٩٥٧ ، وضع السوفيت مسألة انسحاب إسرائيل في سياق المحاولة الأمريكية الجديدة

(١) رسالة رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى رئيس وزراء إسرائيل في ١٥ نوفمبر ١٩٥٦
ق : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص ٦٦-٦٧ .

(٢) Dagan, Avigdor : Moscow and Jerusalem op. cit, (٢)
p. 112.

(٣) Year Book of the United Nations, 1956 p. 60.
International Organization, Vol XI no. 1 winter 1957 p. 691,
International Organization Vol. XI No. 2 spring 1957, p. 276,
pp. 279-280.

Dagan, Avigdor : Moscow and Jerusalem op. cit p. 113.

للتدخل في الشرق الأوسط فيما سمي بمشروع أيزنهاور (١) .
وتعد كلمة المندوب السوفيتي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ فبراير خيراً نموذج يوضح هذه المسألة ، وفي هذه الكلمة ذكر أن موقف التشدد الإسرائيلي المتمثل في عدم الانسحاب من قطاع غزة والمطالبة باحتلال قوات الأمم المتحدة لمناطق استراتيجية في مصر يخدم الشكوك الخطرة في الشرق الأوسط ، و « التحقيق العملي والعاجل لمشروع أيزنهاور » ولذلك كان من الطبيعي أن يرجع هذا التشدد إلى تأييد الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة حيث الهدف الحقيقي لهم هو إرساء أقدام الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط وبالذات عن طريق أدائها بقيام دور الحاكم والضامن أو وجل البوليس الدولي في الشرق الأوسط .

و ضرب سوبوليف مثالا على هذه المسألة بإعلان الولايات المتحدة عن عزيمتها على ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة إذا ما وافقت إسرائيل على سحب قواتها من أراض مصر ، وربط ذلك بتصريح دالاس في ١٩ فبراير بأن الولايات المتحدة تنوى إدخال سفنها في خليج العقبة كى تضمن عليه صفة الملاحة الدولية .

قوة الطوارئ الدولية :

ظروف تكوينها وردود الفعل

كانت كندا منذ عدة سنوات تلح في المطالبة بإيجاد قوة دولية لمراقبة الحدود في الشرق الأوسط ، فلما جاءت أزمة السويس هيأت الموقف الملائم لتطبيق مثل هذه الخطة (٢) .

(١) رسالة أيزنهاور إلى الكونغرس الأمريكي في ٥ يناير ١٩٥٧ في : ملف وثائق

فلسطين ج ٢ ، مرجع سابق ص ص ١١٩٥-١٢٠٠ .

(٢) Wint Guy, and Peter Calvocoressi, Middle East

Crises, Aylcsbury, England : Benjamin Books, 1957 pp. 61-92.

وفي صباح يوم ٤ نوفمبر اتخذت الخطوة الأولى نحو تدعيم المشروع الكندي الأول الذي كان قد وضع في مدينة - أوتاوا - يقضى بإنشاء قوة تؤلف في أول أمرها من جنود بريطانيين وفرنسيين تحت رعاية الأمم المتحدة ثم ينضم إليهم فيما بعد غيرهم من دول أخرى لزيادة أصطباغ القوة بصفة انتمائها للأمم المتحدة (١) .

غير أن « ليستر بيرسون » المندوب الكندي ، لم يكاد يصل إلى مقر الأمم المتحدة ويتعرف على ميول الوفود ، حتى أخذ في الانصراف عن هذا المشروع الأول الذي يجعل القوة المزعم لإنشائها إنجليزية وفرنسية ، ومع ذلك بقيت فكرة إنشاء قوة ما تابعة للأمم المتحدة تسيطر على ذهنه ، وخاصة لأنها وسيلة لانقاذ مركز كل من بريطانيا وفرنسا بانتشالهما من هذه الورطة ؛ ومن ثم أخذ المندوب الكندي يفكر في إنشاء قوة للسلام تكون مؤلفة من الدول الصغيرة . وكان ذلك هو المفتاح الذي انفتح به الباب لحل أزمة السويس (٢) .

وهكذا اتخذت الخطوة الأولى نحو تنفيذ القرار الكندي عندما انعقد اجتماع غير رسمي دعا إليه السكرتير العام للأمم المتحدة داج همرشلد - حيث أبدت أربع دول موافقتها على الاشتراك في تكوين القوة الدولية وهي كندا وكولومبيا والهند والنرويج .

وفي خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة ألقى همرشلد بيانه الذي يعتبر وثيقة بفحوى ما اتخذ من الخطوات نحو إنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة .

(١) Erye, William R. A : United Nations Peace Force (١)
New York : Ocean Publications. In. 1927 pp.

(٢) فيما يتعلق تكوين قوة الطوارئ والمهام التي أسندت لإياها في أول الأول يرجع إلى :

Burns L. T. general e. L. M. : Between Arab and Israel
New York 1962. pp. ect.

وتدل نغمة الوثيقة - كما اتضح من اختيار الضمائر في عباراتها (١) - على أن السكرتير العام كان بلا تردد هو القابض على عجلة القيادة . فمن ذلك قوله : « وفي خلال دراستي للموضوع وصلت إلى ١٩٥٥ ، وقدمت ١٩٥٥ تقريرى النهائى . ١٩٥٥ » ثم جاء فى الوثيقة . « أن مواصلة المشاورات تسهل كثيراً ، لو أتيح للجمعية العامة أن تصدر قرارها على الفور بتعيين أسماء الدول التى يمكن أن يستمد منها ما تحتاجه من الجنود ١٩٥٥ » (٢) .

وكان المتكلم الثانى هو المندوب المصرى ثم تلاه مندوب النرويج الذى قدم مشروع قرار بالنيابة عن كندا وكولومبيا والنرويج (٣) يتضمن معالم الخطة التى وضعت فى مكتب هيرشلد منذ ساعات ، وينادى مشروع القرار بإنشاء « هيئة قيادة تابعة للأمم المتحدة لقوة طوارئ دولية تقوم بوقف الأعمال الحربية والإشراف على ذلك : وقد تضمن مشروع القرار افتراضين آخرين للسكرتير العام بشأن رئيس القيادة وتعيين الضباط ، ومع أن قوة الطوارئ التى يطالب بها القرار قد بنى ، على توصيات السكرتير العام دون غيره ، فإن الجمعية سارت فى طريق الاقتراع على منحه السلطة فى إنشاء القوة المطلوبة وتركت لحسن تقديره معظم ما يتعلق بطبيعتها وواجباتها .

وقد تكلم تسعة عشر عضواً فى موضوع مشروع القرار ، وكانت إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى وجهت أسئلة عن المشروع ، فمن ذلك سؤال قانونى لها عن « سيادة الدول المشار إليها فى نص صيغة الموافقة المطلوبة لتنفيذ

(١) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد . مرجع سابق

(٢) ORGA. First Emergency special session. 1-18 November

1956 Plenary 565 the meeting, November 4, 1956 p. 5.

ORGA. First Emergency special Session, Annexes, (٣)

Agenda Item 5. « Canada, Colombia and Norway, Draft resolution » Document A/2399/Subsequently became resolution 1000 (FS-1) November 4, 1956 p. 15.

المشروع (١) ، وقد أجبَ هـرشلد بأن الوثيقة التي ستُنشأ بمقتضاها القوة قد وضعت على أساس الوضع القانوني الذي كان نتيجة للاقتراع الذي أجري في الجمعية العامة في نفس اليوم (٢) .

ثم قام مندوب الولايات المتحدة واقترح إقفال باب المناقشة ، وأخذ الأصوات على المشروع في الحال . وأضاف بأنه :

« يجب وقف القتال في الحال وبدون أي شرط » . د : وأن إسكات المدافع هو المقدمة اللازمة لحل أي مشكلة » (٣) .

وقد حاول مندوب بريطانيا وفرنسا تأجيل الاقتراع لحين وصول التعليمات من حكومتيهما ، ولكن بلا جدوى ، فإن معظم المندوبين اعتبروا أن هذه المحاولات من جانب بريطانيا وفرنسا إنما يقصد بها تعطيل الإجراءات ريثما يتم إنزال جنودهما في منطقة القناة (٤) .

ثم أجري الاقتراع على مشروع القرار ، ففاز بأغلبية ٥٧ صوتاً ضد لا شيء مع امتناع ١٩ عضواً عن التصويت .

وفي اليوم التالي صدر التقرير الأخير للسكرتير العام للأمم المتحدة عن الخطة اللازمة للقوة التي ستُنشأها الأمم المتحدة ، وكان صدوره في حدود مهلة الثماني والأربعين ساعة التي حددت له في قرار ٤ نوفمبر وقد جعل التقرير أساساً لمشروع قرار في اليوم التالي للجمعية العامة .

وفي الشرق العربي - عزت الصحف إلى المذكرات السوفيتية الحافة

ORGA. 595 the meeting op. cit, p. 86. (١)

Ibid. p. 83. (٢)

Ibid. p. 88. (٣)

(٤) وهو ما حدث بالفعل في ٥ نوفمبر ١٩٥٦ حيث نُزلت جنود المظلات البريطانية والفرنسية في منطقة القناة .

٤٠٧

الفضل في حمل بريطانيا وفرنسا على وقف إطلاق النار، أما في بريطانيا فقد سادتها مظاهرات عامة وعنيفة، وفي الولايات المتحدة كانت المعارضة الشديدة واضحة ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، أما الدول الأفروآسيوية فقد سادها هي الأخرى الاستنكار العام من موقف دول العدوان.

أما في إسرائيل، فلأن «الكنيست» قد وقف بجانب رئيس الوزراء بن جوريون يويده في الموقف المتعنت الذي وقفه حين قال (١): «أن اتفاقية الهدنة مع مصر لعام ١٩٤٩ قد ماتت وتم دفنها ولا يمكن أعادتها إلى الحياة».

ثم لإضاف الزعيم الإسرائيلي:
«وبناء على ذلك لم بعد لخطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل كيان فعلي ما».

وأعلن بن جوريون فوق ذلك أن إسرائيل لن تقوم بسحب قواتها من الأراضي المحتلة ما لم تدخل مصر معها في مفاوضات مباشرة للصالح، وكانت نغمة بن جوريون وهو يساوم بهذه الشروط الابتدائية نغمة إملاء.

وقد أرسل الرئيس أيزنهاور في اليوم نفسه إلى بن جوريون برقية تمسك فيها بمطالبة إسرائيل بالأذعان للقرار الذي أصدرته الجمعية العامة.

كذلك فإن التدخل الإنجليزي الفرنسي المسلح كان يعول على إشعال الثورة ضد عبد الماصر؛ ووضع مقاليد الحكم في أيدي غيره ممن يسلكون

U. N. Police Force Barred by Israel, 3 New York Times, November 7, 1956. (١)

Lacoutour and Iucation. Egypt in transition, op. cit, pp. 462 etc. (٢)

حيث يستعرض الكاتبان تفصيلا رد فعل الشعب المصري اتجاه الحرب النفسية الموجه إليه من كل من بريطانيا وفرنسا على السواء.

في حل مشاكل القناة طرقا تكون أكثر تمشيا مع وجهة النظر الإنجليزية الفرنسية ، على أن النظرية التي عول عليها بشأن نفسية الشعب المصري كانت قائمة على أساس فاسد تماما : وهو أن المصريين في عهد عبد الناصر هم بعينهم تلك الجموع التي كان يحكمها الانجليز فقد تكشفت الحال عن عدم وقوع الشعب المصري في شئ من الذعر بل على العكس لزداد التفافه حول حكومته سواء في أوقات الغارات الجوية أو خلال عمليات الغزو .

وهكذا تم تكوين هيكل قوة الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة وذلك في الساعات الأولى من مساء ٧ نوفمبر ونزلت الدفعة الأولى من جنودها في مصر بالقرب من مدينة الأسماعيلية بعد ثمانية أيام فكان ذلك أسرع عمل حربي دولي في التاريخ ؟

وكانت إسرائيل قد وافقت على سحب قواتها من الأراضي المصرية بمجرد إتمام « الترتيبات المرضية » لوصول قوة الأمم المتحدة المزعم قدومها ، وكان أشق الأعمال على زعماء إسرائيل أن يواجهوا شعبهم الشمل بفرحة الهجوم على مصر ، بضرورة انسحاب جيشهم من تلك الأراضي التي تبلغ رقعتها ثلاثة أمثال حجم إسرائيل والتي اجتازتها في ٩٣ ساعة فضلا عن أن رئيس الوزراء « بن جوريون » كان قد صرح أمام البرلمان الإسرائيلي منذ يومين اثنين فقط بأن اتفاقية الهدنة مع مصر لعام ١٩٤٩ « قد ماتت وتم دفنها » .

وكان قرار إسرائيل بالانسحاب نتيجة للضغط السياسي من جانب هرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وللموقف الحازم الذي وقفته الولايات المتحدة ضد اتوسع الإسرائيليين الدائم . وكان التهديد الخاص بالعقوبات الاقتصادية مثلا من أمثلة الضغط الذي ضغطت به الولايات المتحدة ، كما أنه كان في اعتقاد كل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة أن عودة السلام إلى هذه الأرجاء متوقف على التخلي في الحال عن الأراضي التي شملها الغزو الحربي .

كذلك فقد كان القرار القاضى بإنشاء (١) قوة الطوارئ للأمم المتحدة ينص على أنه لا يجوز للقوة دخول مصر إلا « بموافقة الحكومة المصرية » وقد وقفت مصر في ذلك موقف الحذر ويعزى ذلك أولاً إلى أن قوة الطوارئ، من حيث طبيعتها وأعمالها ، كانت جديدة لا يعلم عنها شئ وإلى رغبة مصر في تقوية مركزها للمساومة ، فضلاً عما كانت تقصده من أظهار استقلالها وسلطانها ، إذ أن وقوف الأمم المتحدة بعض الوقت قبل دخولها أرض مصر مآخذ يحمل الدول العربية الأخرى على تفسيره بأنه من الأدلة على نجاح عبد الناصر ،

وقد كانت الظروف جد ملائمة لاتخاذ مصر موقف التردد ، فإنه يحتمل (٢) من جهة أن يكون عبد الناصر قد نظر نظرة جدية في موضوع استخدام المتطوعين السوفيت في مصر - وقد وردت الأنباء بأن عدد من سجلوا أسماءهم من المتطوعين من أجل مصر بلغ ٥٠٠٠٠ في الاتحاد السوفيتي ، ٢٨٠٠٠٠ في الصين الشعبية .

ومن جهة أخرى كانت مصر تعمل على تأخير دخول قوة الطوارئ للأمم المتحدة إلى أن يتم انسحاب القوات الإسرائيلية من مصر أو يكون على الأقل جارياً بالفعل ، إذ أن وصول قوة الطوارئ قبل ذلك يضعف من مركز مصر في المساومة حيث كانت مصر تريد المزيد من التفصيلات بشأن التسهيلات التي طلبها السكرتير العام (٣) ؛

وفي يوم ١٠ نوفمبر أصدر الاتحاد السوفيتي تحذيراً آخر بأن المتطوعين السوفيت سوف يسمح لهم بمعاونة مصر إذا امتنعت الدول الثلاث عن سحب

(١) Burns, Lt. general e. L. M. Between Arabs and Israel
op. cit, pp. 186

(٢) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد "مرجع سابق

(٣) « Cairo is Cautious About U. N. Corps » in : New York Times, November 10, 1956.

قواتها (١) ، على أن أكبر خبز مزعج في ذلك اليوم أتى من جانب وزيرة خارجية إسرائيل « جولدا مائير » إذ قالت أن قطاع غزة ليس من الأراضي المصرية ، وإنما هو جزء لا يتجزأ من إسرائيل ولن يعاد إلى مصر وذلك بعد أن كان بن جوريون قد صرح قبل ذلك بيوم واحد بقبوله مبدأ الانسحاب من الأراضي المصرية ، ولم يكن هذا التناقض الظاهري في الحقيقة سوى تحايل دبلوماسي من جانب إسرائيل ، فمن جهة ذكر بن جوريون أن القوات الإسرائيلية ستسحب من جميع الأراضي المصرية وكان في هذا التصريح ما أَرْضَى حكومة الولايات المتحدة وكثيراً من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، ومن ناحية أخرى نجد أن بيان جولدا مائير قد أكتفى بمجرد التصريح بأن قطاع غزة ليس بمصري ، ولذلك لا ينطبق إليه ما صرح به رئيس الوزراء منذ يومين ، فكان قصده جولدا مائير في الواقع هو تزويد إسرائيل بمادة للمساومة يمكن التلذذ بها للتموز ببعض مطالبها من مصر .

موقف بريطانيا وفرنسا :

أما فرنسا وبريطانيا فقد انصهتا لهما الآخران إلى إسرائيل في المطالبة بموافاتهم بالمزيد من الإيضاح عن مهمة « القوة البوليسية » أو الغرض النهائي منها ، قبل أن تشرع في سحب قواتها ،

وقد كان قراره نوفمبر نقطة هامة لم تفصح عباراته عن المقصود منها تماماً ، وهي : هل قوة الأمم المتحدة ستبقى في مصر لحين الوصول إلى اتفاق أساسي بشأن مشكلتي قناة السويس وفلسطين ، أو أنها ستقتصر على النظام في المنطقة بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية إلى أن تقوم الحكومة المصرية بمطالبتها هي أيضاً بالانسحاب ؟ فان القرار الأصلي كانت صيغته قد وضعت في سرعة هائلة كي يحقق ما يرجى منه أزاء موقف

(١) « Soviet Statement on Egypt » in : New York Times November 11, 1956.

يهدد بالانفجار ، وكان نخلو عباراته من التوضيحات مدعاة لتيسير قبوله لدى جهات كثيرة . أما وقد مضى على ذلك أسبوع خفت فيه حدة التوتر وزالت دوافع الشعور بالعجلة ، فقد أخذت بعض الدول تلقى على القرار نظرة ثانية .

وكانت معظم العوامل في هذه النظرة الثانية ترجع إلى اهتمام الدول المعنية بالأمر مباشرة بمصالحها الخاصة وكان شعور كل من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل أنه يجب ألا يترتب على إجراءات الأمم المتحدة خلق حالة لا تخرج عن كونها عودة بالأمور إلى ما كانت عليه بما فيها من الأضرار بمصالحهم .

وكانت الدول الثلاث مصممة على اتخاذ كل موقف ممكن لكي تستخلص من مصر ثمنا سياسيا ، في مقابل انسحابها ، ولذلك كانت رغبة رجال الحكومتين الإنجليزية والفرنسية أن يعملوا على تأخير نزول قوة الطوارئ إلى أن ينالوا من مصر تعهدات أو مزايا أكثر وضوحا وتحديدا مما سبق إعلانه ،

وقد قام رؤساء تسع دول عربية بعقد اجتماع خاص في بيروت كان في الواقع (١) ثاني اجتماع لرؤساء الدول العربية منذ إنشاء جامعة الدول العربية وقد كان جدول أعمال جلساتها يشمل المناقشة في موضوعات أزمة السويس ، وتزايد النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط ، وضرورة الزيادة من التعاون بين الدول العربية ، وقد فسرت هذه النقطة الأخيرة بأنها لوم مستتر على ما قام به عبد الناصر من تأميم قناة السويس دون تشاور سابق مع الدول العربية الأخرى .

(١) Miller, Richard J., Oag Hammarshjold and crires
Dipomacy, Published by the Ocean Publications Inc. 1961
pp. 184-185. |

موقف الولايات المتحدة :

عقد أيزنهاور مؤتمرا صحفيا في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ قال فيه أن أزمة السويس هي « أول حدث في التاريخ تعرضت فيه الأمم المتحدة لاختبار حقيقي وشامل » ،

وكان بعض رجال حكومة الولايات المتحدة بحثون أيزنهاور على إبلاغ الاتحاد السوفيتي بأوضح عبارة أن « واشنطن » تعد استقلال الشرق الأوسط أمرا حيويا لسلامة الولايات المتحدة .

ولم يذكر أيزنهاور في مؤتمره شيئا عن مخاوفه من قيام الاتحاد السوفيتي باتخاذ إجراء منفرد من جانبه ؛ بل جعل معظم اتجاهه لتأكيد أهمية الرجوع إلى الأمم المتحدة « لحل مشاكنا » ، على أن يتحدثنا بلسان « البيت الأبيض » قال فيما بعد أن أيزنهاور كان يقصد بكلامه في الحقيقة تأكيد الدور الذي تضطلع به الولايات المتحدة لمقاومة ما قد يحدث من التدخل السوفيتي أكثر مما كان يقصد به الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة في هذا الصدد (١) .

وعموما فقد نظرت الولايات المتحدة إلى التدخل الإنجليزي الفرنسي على أنه مشروع لغزو منطقة الشرق الأوسط واغتصاب السلطة الفعلية فيها ، غير أن الولايات المتحدة من ناحية أخرى تعطف على الموقف الحرج لبريطانيا وفرنسا بعد أن قام كل من وزيرى خارجية الدولتين برحلة خاصة إلى واشنطن ، وبالرغم من ذلك فقد استمرت الولايات المتحدة في تأييدها للموقف الذى وقفته الغالبية الساحقة لأعضاء الأمم المتحدة ، وقد انعكس ذلك بالأخص على الضغوط التى مارستها الولايات المتحدة على إسرائيل لكى ، تنسحب من سيناء حيث سار الضغط الأمريكى فى طريقين متوازيين :

Reston, James, « Eisenhower Says U. S. will oppose (١) in U. N. Soviet move into Middle East » in : New York Times, November 15, 1965.

طريق غير مباشر من خلال الأمم المتحدة ، وطريق مباشر تمثل في الرسائل الشفوية والخطابات المكتوبة التي بعث بها أيزنهاور إلى المسؤولين الإسرائيليين ، وقد كشف النقاب عن بعض هذه الخطابات في الكتب الخاصة التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية .

وكان عمل الولايات المتحدة ، من خلال المنظمات الدولية أبرز خلال المراحل الأولى من الانسحاب . ولعل ذلك راجع إلى اهتمام الرئيس الأمريكي في تلك الحقبة ، لتقوية المؤسسات الدولية ، وقد رأى كيف شل مجلس الأمن عن العمل نتيجة استخدام كل من بريطانيا وفرنسا لحق الفيتو ، ولذا أبدت الولايات المتحدة دعوة الجمعية إلى دورة طارئة .

وازاء جمود الموقف الإسرائيلي بعد إتمام مراحل الانسحاب الأولى التي انتهت بمغادرة العريش ظهر اتجاه جديد في الأمم المتحدة وهو فرض عقوبة ما على إسرائيل وفقا لما هو منصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة ، وذلك لإجبارها على الانسحاب (١) من غزة وشرم الشيخ ، وقد سئل فوستر دالاس أثناء مؤتمر صحفي عقد في ٥ فبراير سنة ١٩٥٧ عن موقف الولايات المتحدة في حالة اتخاذ الجمعية العامة قرارا بانزال العقوبة بإسرائيل فأعلن أن بلاده ستأخذ هذا القرار مأخذ الجد ، والواقع أن مشاركة الولايات المتحدة في عقوبة تقرررها الجمعية العامة كان يبدو أيسر إلى حد كبير ، مما لو فكرت الحكومة الأمريكية في أن تتخذ إجراء ما من جانبها للضغط على إسرائيل : ولكن الأمور لم تصل إلى هذا الحد ، وبدلا من العقوبات على اختلاف أشكالها اتجهت السياسة الأمريكية خلال شهر فبراير إلى المزاوجة

« Text of Eisenhower's Address to the Nation on (١)

Situation in Middle East» New York Times, February 21, 1957

بين أسلوبين : الضغط غير المباشر على إسرائيل ، وفي نفس الوقت إعطاؤها الضمانات اللازمة لتأمين حرية الملاحة في مضائق تيران .

في هذه الأثناء أرسل أيزنهاور كتابا آخر إلى بن جوريين في ٨ فبراير استخدم فيه أسلوبا شديد اللهجة لحث إسرائيل على الانسحاب ، ويصادف تاريخ هذا الكتاب ، إعلانا مشتركا أصدره أيزنهاور والملك سعود أبان زيارته لواشنطن جاء فيه أن الولايات المتحدة تعتبر أى اعتداء على السلامة الإقليمية لاية دولة من دول الشرق الأوسط هو تهديد السلام العالمى وللبداى الأمم المتحدة وستعارضه الحكومتان بشدة ،

وفي رده على الرئيس الأمريكى ، احتج بن جوريون قائلا أنه لم يسبق للولايات المتحدة أن استخدمت أسلوبا كهذا مع إسرائيل . وأضاف أن مراحل الانسحاب التى تمت حتى ذلك الوقت إنما جاءت لتلبية لنداء الرئيس أيزنهاور في ٧ نوفمبر .

وشهدت إسرائيل في تلك الأيام عدة مظاهرات معادية للضغط الأمريكى غير أن الحكومة الإسرائيلية لم تنشأ ، أو على الأصح ، لم تستطع تنفيذ سياسة التحدى ، ورأت أن تكتل الجهود من أجل الحصول على ضمانات : أما دولية تشترك فيها الولايات المتحدة وإما ضمانات أمريكية منفردة على الأقل لحرية الملاحة في مضائق تيران ، وتدويل قطاع غزة ، وبعبارة أخرى أصبحت خطة إسرائيل هى مقاومة الضغط بقدر المستطاع وعدم إقفال الباب مع الولايات المتحدة ،

ولم تعترض الحكومة الأمريكية على مبدأ الضمان بالنسبة لحربة الملاحة في مضائق تيران ، ولكنها كانت تود لو تم الانسحاب الإسرائيلى دون شرط مسبق ، وتلخص مذكرة فوستر دالاس المؤرخة في ١١ فبراير (١) والموجهة

إلى أبا أيان مندوب إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة - سياسته الحكومة الأمريكية على النحو التالي .

« أن الأمم المتحدة لا تستطيع أن تدخل تعديلات أساسية على نظام الهدنة الذي يدار بوساطته قطاع غزة ، ولكنها تؤيد تدعيم وجود دولي في القطاع تحدد اختصاصاته فيما بعد ، أما فيما يتعلق بمضايق تيران ، فالحكومة الأمريكية تعد بالاتفاق مع الأمم المتحدة والسكرتير العام للمنظمة تأييد الخطة الرامية إلى انتشار قوات الطوارئ في النقاط المشرفة على المضائق ، كما أن الحكومة الأمريكية مستعدة لتأمين حرية الملاحة والاتفاق على ذلك مع أطراف أخرى » .

غير أن هذه المذكرة لم ترض الحكومة الإسرائيلية ، وأن وجدت فيها عنصرا جديدا يمكن أن يؤدي إلى تخفيف تصالها . وفي حين رحب بن جوربون بالضمانات الأمريكية لحرية الملاحة ، فإنه استمر يساوم على قطاع غزة ، وكتب في ١٥ فبراير أن إسرائيل تود الاحتفاظ بقطاع غزة لدواعي الأمن من جهة وتحسين حالة السكان وذلك بإعادة توطين جزء منهم ، وتعويض الجزء الآخر من جهة أخرى . ولم يحدد أرقاما بهذا الشأن كما لم يذكر أين يحاد توطين الفلسطينيين ، ومع ترحيبه بالضمان الأمريكي ، فقد ألح بن جوربون على ضرورة التمسك بإبقاء القوات الدولية إلى أن يتم صلح مع مصر ، أو تتخذ ترتيبات أخرى لحرية الملاحة ، كما أثار بن جوربون في خطابه موضوع الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس فقال أنه ليس من المعقول أن تفتح القناة بوساطة الأمم المتحدة ، ثم تبقى مغلقة في وجه السفن التابعة لأحد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة .

وقد اعتبر أيزنهاور الرد الإسرائيلي محاولة جديدة للمراوغة ، ولذلك دعى إلى اجتماع وزاري لبحث احتمال اتخاذ إجراء ما ضد إسرائيل . وقد ضم

هذا الاجتماع دالاس وزير الخارجية ، وهمفري وزير المالية وأوضح (١) دالاس أنه توجد في الأمم المتحدة أصوات كافية لتقرير عقوبة على إسرائيل حسب الميثاق وأنه إذا عارضت الولايات المتحدة هذا الاتجاه العام في المنظمة الدولية فسوف يسود اعتقاد لدى العرب بأن الاتحاد السوفيتي هو راعيهم الوحيد، وتدمر مبادئ أيزنهاور قبل أن يعلن عنها ، وأوضح الرئيس الأمريكي في الاجتماع أن إيقاف الإعانات الحكومية قائم بالفعل بالنسبة لكل من مصر وإسرائيل، وقدر همفري الإعانات الخاصة بأربعين مليون من الدولارات وأن قيمة السندات التي تباع لصالح إسرائيل تتراوح بين خمسين وستين مليوناً من الدولارات .

غير أن أيزنهاور تعرض لحملة من الفريق المتحس للصفهيوينية في الكونجرس وكان لندون جونسون يتزعم هذا الفريق ، بل أن أحد الشيوخ الجمهوريين وهو السناتور وليم بولاند انضم إلى هذا الفريق ، وهدد بالانسحاب من الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة ، إذا وافقت الجمعية العامة على تطبيق العقوبة على إسرائيل ، لذلك قرر أيزنهاور دعوة أعضاء الكونجرس إلى اجتماع خاص لمناقشة السياسة التي تتبعها أزاء إسرائيل ، وكانت الحجة التي استخدمها أيزنهاور أمام أعضاء الكونجرس هي عدم انسحاب إسرائيل من بقية الأراضي الأمر الذي تمثل في تبني الجمعية العامة في ٤ نوفمبر لمشروع القرار الكندي الخاص بتكوين قوة طوارئ للإشراف على وقف الأعمال الحربية طبقاً لقرار الجمعية الصادر في ٢ نوفمبر - ثم أعقب ذلك تبني الجمعية العامة في الفترة من نوفمبر ١٩٥٦ إلى فبراير ١٩٥٧ لمجموعة أخرى من مشروعات القرارات الخاصة بإنشاء القوة وتنظيمها ووظائفها وتمويلها .

(١) Lilienthal Alfred M., There goes the Middle East
New York : The Davin-Adair Company, 1927, p. 199.

وقد نظر الاتحاد السوفيتي الى ممثلي الأمم المتحدة في هذه العمليات (مراقبي الهدنة في سنة ١٩٤٨ ، قوات الطوارئ عام ١٩٥٦) باعتبارهم أداة للنفوذ الغربي ، وفي هذه المدة كان السوفيت أكثر صراحة بكثير حيث ذكر سوبوليف في كلمته في ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٧ في معرض الحديث عن إرساء الولايات المتحدة لأقدامها في منطقة الشرق الأوسط أن ذلك سوف يتم بطريقة مباشرة أو في بداية الأمر تحت راية هيئة الأمم (١) .

ومنذ البداية لم يجد المندوب السوفيتي حاجة لمثل هذه القوات ، فقبل التصويت على مشروع القرار النرويجي الكندي الكولومبي في ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ والذي كان ينشئ قوات طوارئ دولية لتأمين الإشراف على وقف الأعمال للحربية طبقا لقرار الجمعية في ٢ نوفمبر صرح المندوب السوفيتي بأنه ليست هناك حاجة من وجهة نظره لقوة الأمم المتحدة أو أية أداة أخرى طالما أنه لم يكن من الصعب ملاحظة ما إذا كان وقف إطلاق النار يراعى أم لا (٢) .

وبغض النظر عن الحاجة إل قوة طوارئ دولية من عدمها ، عبر المندوب السوفيتي عن جانب آخر من جوانب معارضته لإنشائها في شرحه لتصويته على مشروع قرار الدول السبعة (٣) في ٧ نوفمبر الذي أقر الخطوط العريضة لتقرير السكرتير للعام للأمم المتحدة الذي لن يؤدي إلى إزدياد النفوذ السوفيتي فقط ، بل أن منع تدفق النفط على غرب أوروبا ، وإذا كان النفط قد استخدم للضغط على بريطانيا وفرنسا في الانسحاب ، فلماذا

(١) من كلمة سوبوليف مندوب الاتحاد السوفيتي في الاجتماع العام للدورة الحادية عشر الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة حول مسألة انسحاب القوات الإسرائيلية من مصر - ٢٦ فبراير عام ١٩٥٧ ، مرجع سابق من ص ٨٨-٩٤ .

(٣) International Orgauization, Vol, XI no. 1 Wntner

1957 p. 79.

(٣) وهي ، الدانمرك - الأرجنتين - بورما - سيلان - اكوادور - اثيوبيا - السويد .

(م ٢٧ - فلسطين)

للاستخدام وسائل الضغط ضد إسرائيل (١) .

غير أن أعضاء الكونجرس قد أصرروا على موقفهم ووضعوا موقف الحكومة بأنه غير شعبي وكان لقاؤهم مع الرئيس أيزنهاور عاصفا حيث اكتسبت هذه القضية أهمية لدى الرأي العام الأمريكي لدرجة أن أيزنهاور احتاج إلى توجيه خطاب لاقتناع الشعب الأمريكي بسياسته في الشرق الأوسط ، وقد تجنب أيزنهاور في خطابه كلمة عقوبة ، ولكنه ذكر أن موقف إسرائيل يعتبر تحديا للامم المتحدة في غزة كما تضمن انتشار قوات الطوارئ في شرم الشيخ ، فاذا أصررت إسرائيل على موقفها بعد ذلك فلا بد أن تمارس عليها الضغط وأن مصلحتها الحقيقية هي في الانسحاب (٢) .

وفي إسرائيل - ظهر رد الفعل من خلال خطاب لقاه بن جوريين في الكنيست - قال فيه أنه يشعر بالأسى لذلك الأسلوب الجارح الذي استخدمه الرئيس الأمريكي ، وأن كان لا يستطيع أن ينكر جميل الولايات المتحدة على إسرائيل وكرره مطالبه بالضمانات وأوصى للمرة الأولى بإمكان أن تكون هذه الضمانات من جانب الولايات المتحدة منفردة ، وليس بالضرورة منبثقة عن الأمم المتحدة ، كما كانت تصر إسرائيل في بداية الأمر ، وفي هذه الأثناء لم تنقطع الضغوط الأمريكية غير المباشرة ، ومن بين الوسائل الجديدة - دعوة وزير الخارجية الأمريكي ثمانية من زعماء اليهود غير الصهيونيين للاجتماع به :

الموقف السوفيتي :

في حين استخدمت الولايات المتحدة أسلوب الضغط على إسرائيل حتى تنفذ

Walid Abi Marshid ؛ Israel Withdrawal from Sinai (١)

Lebanon, Centre of Palestinian studies.

A Text of Eisenhower's Address to the Nation (٢)

Situation in Middle East, op. cit.

الانسحاب ، بلأ الاتحاد السوفيتى إلى استخدام عبارات شديدة اللهجة للتنديد بالعدوان الاسرائيلى ، وذهب بولخاين فى رسالته الموجهة إلى بن جوريون إلى حد القول بأن إسرائيل تخاطر بكيانها إذا استمرت فى العدوان .

وهذه المبالغة فى الوعيد ، تفقد - فى رأى بعض الباحثين (١) - وزن الرسالة السوفيتية بعض الشيء . فهل كان الاتحاد السوفيتى يعنى بالفعل إزالة الكيان الاسرائيلى ، أم أنه قصد الدعاية ، فى البلاد العربية ، بعد أن اتضح له موقف الولايات المتحدة من العدوان (٢) ؟

لقد اختلفت الآراء كثيرا داخل العالم العربى حول قيمة الضغط السوفيتى فى عام ١٩٥٦ وكانت دمشق من أكثر العواصم العربية مبالغة فى تصوير الأثر الذى تركه الأنداز السوفيتى ، وتجاهلا للموقف الأمريكى . أما فى مصر ، فقد أبرز الأنداز السوفيتى ولكن دون أنكار لقيمة التدخل الأمريكى دوايا فى هذه الأزمة .

وحدث أن شكا السفير الأمريكى بالقاهرة من أن أجهزة الاعلام العربية تفعل دور الولايات المتحدة فى الأزمة ، فأجابه عبد الناصر بأن مصر لا تقبل سيطرة أية دولة كبرى وهى لم تكافح للتخلص من النفوذ البريطانى لكى تقع تحت نفوذ دولة أخرى ، وأضاف عبد الناصر قائلا أنه بعد اشتراك بريطانيا وفرنسا فى العدوان فإن الولايات المتحدة تبقى الصديق الوحيد للمصريين الدول الغربية . وفى الخطاب الذى ألقاه فى الازهر يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ نوه عبد الناصر بمساندة كلتا الدولتين العظيمين ووقوفهما بجانب مصر ، وقد حدا ذلك لفريق من المؤرخين (٣) المعاصرين أن يعطوا

(١) دكتور صلاح العقاد : الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عام ١٩٥٦ ، فى السياسة الدولية ، مرجع سابق ص ٣٤-٤٨ .

(٢) Dagan, op. cit, pp. 117-113.

(٣) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ، ص ٦٥٩-٦١٠ .

ثقلاً خاصاً للإنذار السوفيتي بالتهديد بضرب لندن وباريس بالصواريخ حيث وضعت روسيا الغرب أما مسئولياته ، ويدعم هذا الفريق من المؤرخين المعاصرين (١) آراءهم بالنظر إلى أنه :

« مادام الغرب يهدد مركز الحركات التحررية في العالم العربي وفي أفريقيا فإن ذلك يعني أن الحرب قد تصبح عالمية ، وكان تكتيك الغرب قد قام أساساً على الإسراع في العملية وإنهائها قبل أن يفيق العالم من دهشته ، ولكن الحرب طالت في مصر ، وتمكنت روسيا من العودة لمواجهة الموقف الدولي »

وقد تناولت المذكرة التي وجهتها وزارة الخارجية إلى السفراء المعتمدين في القاهرة ، تحديد موقف مصر من الاتحاد السوفيتي ، فذكرت أن مصر لا تقبل الماركسية ملءها ، وأن سياستها تتبع من مبادئ : الحياد ، واعتناق القومية العربية .

وعموماً فمهما اختلفت آراء المؤرخين العرب المعاصرين حول أهمية الدور السوفيتي في ردع العدوان عام ١٩٥٦ ، فمما لا شك فيه أن هذا الموقف كان له أثر بعيد من جهتين : الأولى يتمثل في زيادة التأثير النفسي على إسرائيل ، فقد كان الانجاء العام حتى ذلك الوقت هو تجنب الاعتماد على معسكر واحد ، إذ مما يخشى معه التحول إلى تبعية هذا المعسكر ، ولذلك حرصت الحكومة الإسرائيلية على تحييد الاتحاد السوفيتي ، كما يتضح من الردود التي بعث بها بن جوريين على رسالة بولجانين ، فلم تخل هذه الردود من التذكير بالعلاقات الحسنة التي ظلت تربط بين البلدين (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٦١٠ .

(٢) U. S. Department of State : U. S. Policy in the Middle East Sept. 1956 - June 1957.

ثانيا : أن اتفاق الدولتين العظميين على موقف واحد في الجمعية العامة كان له أكبر الأثر في الحصول على شبه اجماع من الأعضاء لاتخاذ موقف مضاد للعدوان ،

وتبقى مسألتين جديدتين بالتحليل هما : أولا : موقف الاتحاد السوفيتي من قوات الطوارئ الدولية ، فممنذ أن بدأ العمل للتوصل إلى وقف إطلاق النار ارتبط بذلك عمل مماثل يتعلق بالضمانات المطلوبة لذلك قدم في نفس الاجتماع من الخطوط العامة لتنظيم القوة ووظائفها ، وتناول الخطوات العملية لتكوينها وتمويلها ، إذ ذكر المندوب السوفيتي أن القوة كانت تنشأ أنها كالميثاق مشيرا إلى أن الفصل السابع يخول مجلس الأمن فقط وليس الجمعية العامة لإنشاء قوة دولية مسلحة واتخاذ التدابير اللازمة (١) .

ومن ناحية أخرى كان المندوب السوفيتي يرى في القوة الدولية انتهاكا للسيادة المصرية بقدر ما يستعمل على نزع القناة من هذه السيادة (٢) .

كذلك اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا من تمويل قوة الطوارئ مؤداه أن كل النفقات المادية لعمل القوة يجب أن تتحملها الحكومات المعتدية ، ومن ثم فإن الأقتسام الجماعي لهذه النفقات لم يكن صوابا أو مناسبا ، وعليه لن يعتبر الاتحاد السوفيتي نفسه ملتزما بأي قرار ينص على تحمل الأمم المتحدة لنفقات قوات الطوارئ (٣) .

Year Book of the United Nations 1956 op. cit, p. 33. (١)
Mona Harrington Canon, Peace Forces and the Veto the Re-
Relevance of cousent in: International Organization, Vols XXI,
Autumau 1967, p. 818.

Dallin ; Soviet Foreign Policy after Stalin, op. cit. (٢)
p. 418.

Leland M. Goodrich aud Gabriella E. Rooner, (٣)
The United Nation Emurgecy Force, in : Iuteruational Or-
gauization, Vol. XI, no. 3, Summer 1957 pp. 427-428.

وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٧ أوضح المندوب السوفيتي أمام الجمعية العامة وجهة نظر بلاده في مستقبل قوة الطوارئ الدوائية ، وقد أكد أنه لن تكون هناك وظيفة أخرى للقوة تؤديها في مصر بعد انسحاب القوات الأجنبية (١).

ثانيا : موقف الاتحاد السوفيتي من المرور في قناة السويس بعد العدوان :

عندما أمت مصر شركة قناة السويس اعتبرت إسرائيل ذلك الإجراء مدعما للممارسة المصرية بالنسبة لمرور السفن الإسرائيلية في القناة ، وفي غمرة التأييد السوفيتي للموقف المصري لم يكن السوفيت معينين كثيرا بما إذا كان الإجراء المصري سيؤثر على إسرائيل أم لا ، وجاء في مذكرة سلمها السوفيت إلى السفارة الإسرائيلية في موسكو في ٧ أغسطس أن :

« مبدأ حرية الملاحة في قناة السويس كما جاء في اتفاقية سنة ١٨٨٨ كان سليما لم يمس ، وكان الأمثال له كاملا » .

والملك لم يبدو غريبا أن تعبر حكومة إسرائيل عن دهشتها لهذا « الادعاء » السوفيتي وخيبة أملها من أن الاتحاد السوفيتي كان يتجاهل إسرائيل كعامل في تسوية مشكلة قناة السويس (٢) .

ثم كانت المرحلة الأخيرة التي ثارت فيها المسألة في هذه الفترة أثناء المناقشات المتعلقة بعدوان سنة ١٩٥٦ على مصر والأمم المتحدة ، وقد كانت إسرائيل ترغب في جهل الانسحاب من كل سيناء وقطاع غزة متوقفا على تحقيق شروطها (٣).

(١) Ibid, p. 428.

(٢) وأيضا دكتور ، سمعان يفرس فرج الله : الأمم المتحدة والعدوان الإسرائيلي في السياسة الدولية ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام ، السنة الرابعة ، العدد ١٤ أكتوبر ١٩٦٨ ، ص ٧٤ .

(٣) Dagan, op. cit, p. 104.

بينما كان الاتحاد السوفيتي يعارض أية شروط إسرائيلية لإنهاء الانسحاب (١)،

أذعان إسرائيل النهائي للانسحاب :

عقدت الجمعية العامة اجتماعاً في بدايه عام ١٩٥٧ للنظر في مسألة انسحاب إسرائيل ، وانتهت مناقشات الجمعية بالموافقة على مشروع قرارين : أولهما : يقضى باستنكار عدم أذعان إسرائيل لما سبق إقراره ويطلب إليها الانسحاب التام بدون تأخير (٢)، ويقضى الثاني باقرار المقترحات المقدمة من السكرتير العام بتاريخ ٢٤ يناير بمراقبة قوة الطوارئ على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل المبينة بشروط الهدنة (٣) .

وقد قررت الولايات المتحدة أن تكون هي الرائدة في اجتياز الصخرة التي أرتبطت بها المساعي للتوفيق بين مصر وإسرائيل بشأن حق المرور في القناة فعرض « دالاس » أن تسحب إسرائيل قواتها من جهة « شرم الشيخ » ومن قطاع غزة ، وفي مقابل ذلك تستعمل الولايات المتحدة حقها الدولي الذي يجيزه المرور البري في مضائق تيران إلى خليج العقبة لبلوغ ميناء إيلات (٤)، وقد كانت هذه الرغبة من جانب الولايات المتحدة في مساندة حق « المرور البري » عنصر جديدا في السياسة الأمريكية ،

(١) أنظر رسالة رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى رئيس وزراء إسرائيل هـونمبر عام ١٩٥٦ في : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ركذا رد بن جوريون .

Exchange of Notes between Premier Bnlgaun and Prime minister David Beu Gurion, in Middle Eastern affairs, Vol. VIII, uo. 1, January 1967, pp. 13-15.

ORGA, Eleventh Session, 1967, Rcsolution 1124 (NI) (٢)
supplment No. 17 (A/3572). p. 62.

Ibid.

(٣)

Reston James « 3 ky Mideast Dcision » in : New York Times, March 1, 1957. (٤)

وكان موقع « شرم الشيخ » هو الرمز الذي تتمثل فيه أهمية مسألة « المرور البريء » ، فإن السفن التي تدخل خليج العقبة قاصدة إلى ميناء إيلات تمر في المياه الإقليمية المصرية داخل مرمى المدافع المنصوبة في شرم الشيخ الواقع في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ، وكان لمصر في أوقات الحرب حق التحكم في هذا الشطر من الملاحة ، غير أن الأمم المتحدة كانت قد سنت منذ سنوات (١) تعليمات تقضي بأنه « لا يحق لأحد من الطرفين (مصر وإسرائيل) أن تتمسك بمقولة أنه في حالة حرب مع الآخر ويعمد إلى استعمال حقه في الصعود إلى السفن وتفتيشها ومصادرة ما فيها بحجة الدفاع المشروع عن النفس » .

ولقد كانت مصر من الوجهة الفنية لاتزال في حالة حرب مع إسرائيل إذ أنها لم توقع معها أى معاهدة للصالح في أعقاب الحرب الماضية ، وكانت مصر تخشى أن يكون تحصن إسرائيل في غزة وشرم الشيخ وسيلة لحمل العرب على أبرام صلح رسمي ، من شأنه أن يضيع على مصر حق إقتال خليج العقبة في أوقات الحرب ،

على أن الجمعية العامة عادت إلى النظر في مسألة السويس خلال تسع جلسات لها فيما بين ٢٢ فبراير ، ٨ مارس .

ومن ناحية أخرى تجلت مساعي الأمم المتحدة في تصريح همرشلد سجل فيه نتائج مباحثاته مع الأطراف المعنية ، في ٢٢ فبراير ، وجاء فيه أن رغبة الحكومة المصرية لاتتعارض مع انتشار قوات الطوارئ في قطاع غزة بالإضافة إلى الحدود ، وإيجاد شرطة فعالة لمنع التسلل وضمان إدارة مدنية فعالة ، وأسهم أكبر في رعاية اللاجئين والتنمية الاقتصادية ، وقد أخذت الحكومة المصرية (٢) على هذا التصريح أنه يتمشى مع وجهة النظر الإسرائيلية القائلة

(١) وذلك في ١ سبتمبر عام ١٩٥١ .

Waiid Abi Murshid ؛ Israeli withdrawal from sinei, (٢)
op. rit.

بأن انتشار أعمال الفدائيين إنما ترجع إلى ما يعانيه اللاجئون من بؤس وشقاء،
وصدر بيان عن الحكومة المصرية يعلن أن غزة ليست خاضعة لنظام الوصاية
حتى توضع تحت إدارة الأمم المتحدة ،

ثم عاد همرشيد فأيد المبدأ القائل بأن وضع قطاع غزة مستمد من نظام
الهدنة ، وأن قوات الطوارئ لا تتمتع بصفة سياسية ، بل يقتصر دورها
على حل المشاكل العاجلة وأن إنهاء مهمتها متروك للجنة الاستشارية بالاتفاق
مع الأمم المتحدة .

وجرت محاولات أخيرة في أروقة الأمم المتحدة لكي تصدر إعلانا
بأن خليج العقبة هو مياه دولية ، وتبنت كل من فرنسا وكندا هذا
الاقراح ، ولكن غالبية الأعضاء اعتبرت مثل هذا التصريح مكافأة للعدوان ،
وخاصة إذا صدر قبل الانسحاب .

أما جولد ماير وزيرة الخارجية الإسرائيلية (١) فقد ذكرت أمام الجمعية
العامة رغبة بلدها في أن يصدر إعلان من هذا النوع بخصوص غزة والمضائق ،
فلم تجد استجابة من غالبية الأعضاء . لذلك روى الاقتصار على إعلان
من الدول البحرية الهامة يطبق فقط على حرية الملاحة دون الإشارة إلى
قطاع غزة . . . وقد أصدرت هذا الإعلان نحو ست عشرة دولة كان من
بينها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا وهولندا وبعض دول أمريكا
اللاتينية .

كذلك فقد قامت ست من الدول العربية والآسيوية بتقديم مشروع
قرار في يوم ٢٢ فبراير يدعو إلى اتخاذ إجراءات ضد إسرائيل إذا أمتنعت
عن الانسحاب التام من الأراضي المصرية ويطلب إلى السكرتير العام الإبلاغ
عن سير تنفيذ هذا القرار (٢) ، وقد أشار المتحدث عن أصحاب مشروع

Walid Abi Mnrshid : Israeli Withdrawl from sinai (١)
op. cit

Verbatim Rrcord of the 599th meeting of the general (٢)
Assembly, 22 February 1557. Document A/PV 659.

القرار إلى بيان سبق أن صرح به الرئيس « أيزنهاور » بهذا النص (١) :
« أننا نقرب من لحظة حاسمة سنكون فيها أمام أمرين : أما الاعتراف
بأن الأمم المتحدة غير قادرة على إعادة السلام في هذه المنطقة ، وأما أن
تقوم الأمم المتحدة في مزيد من القوة ، ببلد جهودها من جديد لحمل
إسرائيل على الانسحاب » .

وكان لمساندة الولايات المتحدة الأثر الكافي لتحقيق الغرض المقصود
من مشروع قرار ٢٢ فبراير رغم عدم الاقتراح عليه قط ، وقط قامت وزيرة
خارجية إسرائيل - لزاء ذلك - بإبلاغ الجمعية في أول مارس أن
إسرائيل ستقوم بسحب قواتها من قطاع غزة وشرم الشيخ ، على أساس
أن تكون قوة الطوارئ للأمم المتحدة وحدها دون غيرها هي التي تتولى
السلطة في الشؤون العسكرية والمدنية ، ومع الاقتراض بوجه عام أن واجبات
قوة الطوارئ في مضيق تيران تشمل منع الأعمال التي لا تجوز إلا في حالة
الحرب (٢) .

وقد أبدى أحد المراقبين ملاحظة في هذه قائلًا (٣) :

أن أكاداس الوثائق الغامضة في معناها ، المتضاربة في مرماها من
قرارات للجمعية العامة إلى تقارير السكرتير العام ، إلى تهديدات ووعود
من رجال حكومات مصر وإسرائيل والولايات المتحدة قد أصبحت الآن
لا يمكن الوصول إلى غورها ، حتى لقد صار من الصعب على أي إنسان أن
يعرف على وجه التحقيق ما هو الذي يحق للأمم المتحدة أن تفعله » .

(١) « Text of Eisenhower's Address of the Nation on
situation in Middle East » New York Times Feb. 37, 1955.
ORCA, Eleventh Session, 1967, 696 the meeting March 1, 1957, pp 1175-1276.

(٢) Hamilton, Thomas, « Lessons for the UN in five
months » in : New York Times, March 3, 1957.

وعموما فقد ظفرت إسرائيل بنوعين من الضمانات : الأول أمريكى والثانى تصريح خاص من أهم الدول البحرية . وتخلت عن التمسك بأن يكون الإعلان باسم الأمم المتحدة كما حدث تحول فى السياسة الإسرائيلية أزاء قطاع غزة بحيث لم تعد تصر على عدم عودة الإدارة المصرية إلا أنها ظلت تطالب بتحديد اختصاصات الأمم المتحدة فى غزة وتوسيعها بقدر الإمكان، وهو ما رفضه المندوب الأمريكى أن يوافق عليه ، ففى خطاب إلفاه كابوت لودج فى أول مارس قال أن حكومته مازالت ترى عدم تغيير الوضع القانونى للقطاع ، كما قابل دالاس ممثلى الدول العربية وأخبرهم أن الولايات المتحدة لم تعط وعدا محددا لإسرائيل مقابل الانسحاب ، واحتج على ما تذيبه الدوائر الشيوعية من أنه يوجد اتفاق سرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وقال أن انسحاب إسرائيل إنما تحقق نتيجة موقف الأمم المتحدة وشبه اجماعها على هذا الانسحاب .

وقد أثار تصريح لودج قلق إسرائيل التى ظلت تعلق الأمل على أن تؤيد الولايات المتحدة إيجاد إدارة دولية فى غزة ، ووصف بن جورون هذا التصريح بأنه يتنافى مع الضمانات وأن لم يوضح طبيعتها ، ولكن قرار الانسحاب كان قد اتخذ فى ذلك الوقت . ورأى أيزنهاور أن يشجع الحكومة الإسرائيلية على تنفيذه . فأرسل كتابا فى ٢ مارس (١) ذكر فيه أنه بعد أن يتم انسحاب إسرائيل فإن الولايات المتحدة ستعمل بالاتفاق مع الدول الأخرى ، لإيجاد ظروف أكثر استقرارا فى الشرق الأوسط وتساعد على رعاية مصالح السكان والارتفاع بمستوى معيشتهم فى المنطقة ، ولعله كان يهدف بذلك لما سيعرف بمشروع أيزنهاور لدعم السلام وتوطيد الاستقرار فى الشرق الأوسط .

وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة - التي اختارتها إسرائيل مسرحاً لإصدار تصريحاتها الخاصة بأكمال الانسحاب من العقبة وغزة - ذكرت جولداما نير في أول مارس سنة ١٩٥٧ أنها ترغب اسماع أعضاء الأمم التحفظات الإسرائيلية بشأن إدارة غزة الدولية وتأمين حرية الملاحة بصورة دائمة ، وذلك بعد أن انخفقت في الحصول على قرار يتضمن هذه التحفظات من المنظمة الدولية ، وقد أشرنا إلى تعقيب المندوب الأمريكي كابوت لودج على التصريح الإسرائيلي ، وكيف أنه أيد استمرار نظام الهدنة الذي يكسب مصر حقوق الإشراف على القطاع وأن كان قد تمنى توسيع مهمة قوات الطوارئ في غزة ، يدل ذلك (١) على أن الولايات المتحدة كانت أبعده في مسألة تدويل قطاع غزة من وجهة النظر الإسرائيلية بخلاف مسألة الملاحة في مضائق تيران حيث أعطت إسرائيل الضمانات الشفوية .

وفي قطاع غزة سارت الأمور بطريقة مختلفة ، فإن عبارة توسيع وجود الأمم المتحدة ، فتحت الباب لتأويلات مختلفة ، ولم يخف بن جوريون شكوكه في مصير القطاع ، ففي حديث له أمام الكنيست قال أن الولايات المتحدة ودولا أخرى قد وافقت على أن تخضع غزة لإدارة دولية ، إلى أن يتم التوصل إلى صلح . وأضاف « أننى غير متأكد مع ذلك من أن مصر لن تعود إلى ممارسة الإدارة المدنية في القطاع ، بل ربما إدخال قواتها إليه » .

ولما تأهبت إسرائيل لتسليم القطاع لقوات الطوارئ ، بعث قائدها الجنرال بيريز يستوضح من هershلد عن الموقف الذي ينبغي اتخاذه بخصوص عودة الإدارة المصرية أو الشرطة المصرية إلى القطاع ، وكيف يجب موشي ديان لوسأله عن ذلك ، فلاحالة الأمين العام إلى خطاب كابوت لودج في الجمعية العامة والذي ذكر فيه أن انسحاب إسرائيل يجب أن يكون غير

(١) دكتور صلاح العقاد : الانسحاب الإسرائيلي من سيناء عام ١٩٥٦ : مرجع سابق

الشروط . وأضاف همرشلد (١) :

« إذا سأل ديان عن ذلك ، فإن قائد القوات الدولية غير مكلف بالرد عليه »

وقد اتخذت مصر موقفا حازما - خصوصا - بعد التأييد الذي لافته من سكان غزة الذين قابلوا قوات الطوارئ بفتور ، وظلت المدارس والمحاکم مغلقة وتوقف تصدير الحمضيات ثم نشبت إضرابات مؤيدة لمصر تنادى بعودة الإدارة المصرية ، فكان من الطبيعي أن تبادر الحكومة المصرية إلى تعيين حاكم إدارى على النمط الذى كان معمولاً به قبل العدوان ، ويذكر بيرنز (٢) أنه بعد أن تغاضت الأمم المتحدة عن هذا الإجراء ، أمكن الحصول على اتفاق الجنتلمان مع الحكومة المصرية ، وذلك بأن تعهدت ألا ترسل قوات عسكرية إلى القطاع والاسمح للفدائيين باستخدامه للممارسة نشاطهم . . . والواقع أن مصر لم تخسر شيئا من الناحية العسكرية ، لأن نظام الهدنة نفسه كان يجعل القطاع عديم القيمة من الناحية العسكرية بل وغير صالح للدفاع ، لأنه يحدد الجنود المسموح لهم بالمرابطة فيه ، كما يحظر لدخال الأسلحة الثقيلة إليه .

وفى ٨ مارس صرح السكرتير العام للأمم المتحدة فى تقرير له أن إسرائيل قد أذعنت لقرار ٢ فبراير وقد دخلت قوات الطوارئ الدولية بالفعل إلى منطقة شرم الشيخ عقب انسحاب القوات الإسرائيلية منها ، ولم يحل يوم ٢٦ مارس حتى كانت جنود قوات الطوارئ قد انتشرت على طول جميع خطوط الهدنة ، ومهمتها (٣) مراقبة وقف الاشتباكات والتدخل بين الطرفين المتنازعين ، ولم يكن دورها دور المراقبين - كما كان

Burns B, L. M. Between Arabs and Israel, London, 1962. (١)

Ibid.

Aleum op. cit. pp. 339-390.

(٢)

(٣)

دور هيئة مراقبي الهدنة وإنما كانت قوة مسلحة تقوم بدوريات على الحدود المصرية الإسرائيلية وقطاع غزة التي يبلغ طولها ١١٧ ميلا ، وترابط على الجانب المصري من الحدود بموافقة الحكومة المصرية ، وكانت تلك القوة تتكون (١) من ٣٣٩٣ رجلا - منهم ٩٧٨ هنديا ، ٨٠٠ كندى ، ٥٨٠ بوغسلاني ٥٢٨ سويدي ، ٤٣٢ برازيلي ، نرويجي ، وثلاثة أمريكيين .

النتائج المباشرة لعدوان ١٩٥٦ على الصراع العربي الإسرائيلي :

ليس من أغراض هذا البحث دراسة الآثار التي خلفتها الهزيمة التي نزلت بمصر عسكريا ، أو النجاح الدبلوماسي الذي حققته مصر على مواقف كل من بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط ، ويكفي أن نتعرض لتتبع قضية السويس على المشكلة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي .

وعموما فإن جميع الأطراف قد أدعوا أنهم خرجوا منتصرين من حملة سيناء ، فزعم أيلدن أنه منع اتساع الأزمة وامتداد الحرب إلى مناطق أخرى وكان هذا هو الهدف الحقيقي من غزو مصر . وفي فرنسا لم ينجح بعض الوزراء من التصريح بأنهم حققوا بالحملة أمن إسرائيل وذلك بفتح خليج العقبة وتحييد قطاع غزة (٢) فتساءل آخرون بحق ؟ وهل كان أمن إسرائيل يتطلب أن تنفق فرنسا ثلاثين مليون فرنك ثم تنسحب - دون أن تحقق هدفها الأساسي وهو النيل من النظام القائم في مصر والذي يمد الثوار الجزائريين بمساعداتهم المعنوية المادية ؟ فالنتيجة هي الخسارة بالنسبة لبريطانيا وفرنسا .

وإذا كان هناك من خرج رابحا من هذه الحرب فهما مصر وإسرائيل

Dranth, op. cit. pp. 64-55.

(١)

Azcau, Le Pige de Sucz. op. cit. p. 389.

(٢)

غير أن مكاسب الأخيرة أعظم شأنًا ، فبإنتصار إسرائيل سنة ١٩٥٦ وبالرغم من اضطرار قواتها إلى الانسحاب يوم ٥ مارس ١٩٥٧ خلف حدود اتفاقيات الهدنة والاعتقاد الذى ساد آنئذ بأنها قد حرمت ظلما من نتائج انتصارها فإن الحقيقة أن شيئا من ذلك لم يحدث ، فإذا كان الإسرائيليون لم يحتفظوا بشئ من مكاسبهم الإقليمية فلأنهم قد حصلوا على بعض المزايا الدائمة .

وقد كسبت إسرائيل فرصة استخدام خليج العقبة بعد أن كان محظورا عليها بموجب بنود اتفاقيات الهدنة المصرية - الإسرائيلية - منذ سنوات فتتحقق مقدار من السلامة والهدوء على طول الحدود من قطاع غزة وجاء ذلك إلى حد كبير نتيجة لتركز قوات الطوارئ الدولية على الجانب المصرى من خطوط الهدنة ، لكن إسرائيل مع ذلك قد أخفقت فى نيل حرية المرور لسفن الشحن عبر السويس ، كما فشلت فى إزاحة عبد الناصر الذى شهد نفوذه - فى الشرق الأوسط ولدى الرأى العام العربى - تصاعداً كبيراً بعد العدوان الثلاثى فبرهن بذلك أنه خطر أشد تهديدا من السابق .

غير أن الإسرائيليين من ناحية أخرى هدموا نظام الجيش المصرى واتفقوا جانباً كبيراً من أحدث ما لديه من معدات وأثبتوا بذلك للعرب أن الجيش الإسرائيلى قادر على هزيمة أى جيش عربى ،

أيضاً فقد حصل الإسرائيليون على ميزة لا يستهان بها ، وهى نزع سلاح تيران وشرم الشيخ ومراقبة هذه المواقع بمعرفة قوة الطوارئ الدولية مما حقق لهم الملاحاة فى خليج العقبة وإزالة الحصار الذى كان مفروضاً على ميناء إيلات .

أما بخصوص عبد الناصر - فقد صورته الإسرائيليون كطاغية متعطش إلى السلطة معتبرين إياه بأنه يشكل الخطر الأعظم على إسرائيل (١)

(١) أبا ايان فى خطابه أما الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١ نوفمبر ١٩٥٦ .

إلا أن ما يقبع خلف كثير من الخطابية الإسرائيلية المتعلقة بعبد الناصر هو الافتراض المحتمل الصحة في أن زعامة عبد الناصر بهيكلها الذى يستحوذ على رأى العام العربى كانت تملك الطاقة القادرة على هز الحكومات العربية الأخرى وبسط السيطرة على سياستها تجاه إسرائيل ، وفضلا عن ذلك كانت هناك إمكانية في أن ينجح عبد الناصر في إقامة اتحاد عربى له القوة الكافية للقضاء على دولة إسرائيل ، أو فى الحصول على تنفيذ لقرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ والداعى إلى تخير الفلسطينيين بين العودة إلى ديارهم أو صرف التهويضات لهم .

ومن الوجهة الدبلوماسية فقد خسرت إسرائيل وذلك بافساد العلاقات التى كانت ترجو أن تنشأ مع الدول الآسيوية والأفريقية بسبب اشتراكها مع دولتى الاستعمار القديم ، وكان أن خلطت إسرائيل بين مطامعها ومطامع الاستعمار البريطانى والفرنسى الذى كان لا يتقبل قرار تأميم القناة وتخليه عن نفوذه على هذا المجرى المائى الهام ، وفى هذه الفترة بدت إسرائيل أمام رأى العربى والأفروآسيوى ، كرأس الجسر الذى رأى الاستعمار العتيق الأوروبى فيه الوسيلة للوصول إلى قناة السويس ولهذا عندما اضطرت بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب عن أرض سيناء تحت وطأة الضغط الأمريكى من ناحية واحتمال خطر المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة — كما يرى البعض (١) — من ناحية أخرى فى المنطقة لم يكن على إسرائيل إلا الانسحاب أيضا على مضض. ولكنها لم تترك جانبها أحلامها الصهيونية الخاصة بسيناء باعتبارها جزءا من أرض الشعب اليهودى وإن لليهود حقوقا قومية على « أرض إسرائيل الكبرى » التى تمتد من النيل إلى الفرات.

= جولد مائير فى خطابها أمام نادى الصحافة الوطنى ، واشنطن د. س. فى ١١ ديسمبر ١٩٥٠

This is our strength, p. 79.

(١) -كتور صلاح العقاد - قضية فلسطين . المرحلة الحرجة مرجع سابق ص ٢٣٨ .

وهكذا وافقت إسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة بفضل الضغوط الاقتصادية الأمريكية - التي يرى بعض المؤرخين المعاصرين (١) - أنها كانت أكثر فعالية من التهديدات السوفيتية التي يصعب تنفيذها ، غير أن الولايات المتحدة وبالرغم من ذلك - لم تلبث أن فقدت رصيدها من حسن نوايا العرب تجاهها الذي اكتسبته بفضل أجبارها لإسرائيل على الانسحاب وذلك بسبب العداء للشيوعية المتسلط عليها آنئذ وعدم فهمها بالتالي لمشاكل الشرق الأوسط ،

وعموما فقد بقي السوفيت والأمريكيون القوتين الوحيدتين المتنافستين على بسط النفوذ على الشرق الأوسط ، وأزالوا بذلك الفرنسيين والإنجليز على السواء من المنطقة وهو ما أفزع الأمريكيين بعد ذلك حيث أعتراهم الخوف أمام قوة الموجة الحيدانية التي اعتبروها بالطبع من فعل موسكو ، كما أفزعهم أبا لتالي ما أسموه بالفراغ الذي نتج عن زوال النفوذ الإنجليزي الفرنسي ، وخصوصا بعد أن تمتع عبد الناصر بجمهورية مصر في سياسته الخارجية واستمرار الفريق العسكري الحاكم في سيطرته تماما على زمام الموقف .

وأما بالنسبة لمصر فالمسألة وجهان ، فبمقياس المصالح الاقتصادية الداخلية يمكن القول أنها خرجت وقد كسبت تأميم قناة السويس وهي من كبريات الشركات الأجنبية التي لها ماضى سيئ في استغلال البلاد وكانت تلك منامية لكي تتخلص مصر من كثير من مظاهر النفوذ الاقتصادي الأجنبي في البلاد .

كذلك فإن المصريين قد تحملوا قوات الطوارئ الدولية - كنتيجة مباشرة لعدوان ١٩٥٦ - وذلك على طول الحدود المصرية فقط مع إسرائيل وهذا يعطى فكرة عن أهم نتائج حرب السويس بالنسبة للصراع العربي

Rodinson, Maxeme : op. cit. pp. 61-62.

(١)

(م ٢٨ - فلسطين)

الإسرائيلي ويعكس إصراراً من عبد الناصر بأن لا يسمح لنفسه أن تحتويه الأحداث الحارية والقضايا الثانوية وطنظنه Clammer أجهزة الإعلام العربية للدخول في حرب ضد إسرائيل (١) .

وسوف نجد بعد ذلك كيف أن عبد الناصر قد صمد بحزم ملحوظ في وجه الغمز المتكرر من جانب بعض الدول العربية ، ونفاذ الصبر الواضح في الرأي العام العربي عموماً والانفجاوات المتكررة نتيجة لنشاط الفدائيين الذي لم يتوقف على الجانب السوري الأردني — وهذا لا يعني طبقاً لآراء بعض الباحثين (٢) — أن عبد الناصر قد تحاشى الحرب من أجل السلام مع إسرائيل ، بل على العكس فإن التزام مصر بهدف الوحدة العربية المتكاملة التي حدثت بعد حرب سيناء بفترة قصيرة وضعها أكثر من قبل أمام تحدى التدمير النهائي لإسرائيل أو شلها .

وبالنسبة لقضية فلسطين — وهي ليست بأقل حيوية لأنها قضية عربية عامة — فيمكن القول أن غياب استراتيجية فضلاً عن عدم التنسيق وتعدد السياسات العربية جعل مصر تخرج خاسرة من هذه الناحية ، ومن الخطأ قصویر النتيجة بأنها نصر شامل .

وقد استمر العرب يتجاهلون الهزيمة التي حاقت بهم ، وحيا الرأي العام العربي عبد الناصر كبطل تمكن من قهر دولتين كبيرتين ، أما اليهود فقد أكتفى العرب بالنظر إليهم كمجرد مطية ومخالب للأستعمار — يسرون — أي اليهود — في ركاياهم ويتعلقون بغيرهم كالطفليات ويستغلون عمل

Safran, Nadav ; From war to war, op cit. (٢) ، (١)

pp. 45-47.

Ben Elissar (Elaho) and Schiff (zeev) La guerre (٢)

Israelo-Arabe 5-10 Juin 1967, p. 36-39.

غيرهم ، وأنه لابد للعرب من أن يقضوا على إسرائيل التي تعتبر معقلا
للأمبريالية في الشرق الأوسط .

ورغم كل ذلك فقد تركت الهزيمة العسكرية في سيناء أثرا شديدا في
نفس عبد الناصر ، إذ خرج منها مقدرا للأمور بتبصر وتروى أكثر من أي
وقت مضى ، وأصبح يفكر في الأمور - قبل أن يقدم عليها - تفكيراً
عميقاً وسليماً ، ولو أن تدمير إسرائيل في نظر عبد الناصر هو الهدف الأسمى
إلا أنه لم يعد الهدف العاجل ،

سلسلة تاريخي لأهم أحداث العدوان الثلاثي

عام ١٩٥٥ :

٢٤ سبتمبر ١٩٥٥ صفقة الأسلحة التشيكية لمصر .
٢٩ سبتمبر الحكومة الأمريكية تعرض قرضا على
مصر لبناء السد العالي .

عام ١٩٥٦ :

١٩ يوليو دالاس يسحب عرض تقديم قرض لبناء
السد العالي .

٢٦ يوليو عبد الناصر يؤمم قناة السويس .
٢٩ يوليو روبرت مورفي نائب وكيل وزارة الخارجية
الأمريكية يطير إلى لندن

١ ، ٢ أغسطس دالاس في لندن للتفاوض مع الزعماء
الإنجليز والفرنسيين .

٦ أغسطس بيان ثلاثي مشترك تصدره الولايات المتحدة
وبريطانيا وفرنسا .

١٦ ، ٢٣ أغسطس مؤتمر لندن الأول للدول البحرية الذي
تمخض عن اقتراح الدول الثماني عشرة لتسوية
نزاع السويس .

١٠ سبتمبر منزيس رئيس وزراء استراليا على رأس
لجنة من خمسة أعضاء لتقديم المقترحات إلى
عبد الناصر - رفض المقترحات .

- مشروع دالاس باقامة هيئة المنتفعين بقناة
السويس ٥
١٣/١٢ سبتمبر
- مؤتمر لندن الثاني للدول البحرية لإقامة
هيئة المنتفعين بقناة السويس ٥
٢١/١٩ سبتمبر
- بريطانيا وفرنسا تتقدمان بشكوى إلى الأمم
المتحدة - مصر ترد بشكوى مضادة .
بدء مفاوضات مجلس الأمن حول نزاع
السويس ٥
٢٦ سبتمبر
- إسرائيل ترد على هجمات الأردن بغارات
انتقامية على قلقلة ٥
١٠ أكتوبر
- مجلس الأمن يقر ٦ مبادئ ٥ . موسكو
يتمرض بالفتو على حق الإشراف الإداري ٥
١٣ أكتوبر
- اجتماع خطير بضم زعماء الإنجليز والفرنسيين
في باريس للبحث في العدوان ٥
١٦ أكتوبر
- السكرتير العام للأمم المتحدة يطالب مصر
بتقديم مقترحات ترضى الحلفاء ٥
١٦ أكتوبر
- بدء ستار من السرية على أنباء الحلفاء في
واشنطن .
١٦ أكتوبر
- بدء ثورة المجر المناهضة للاتحاد السوفيتي
والأمم المتحدة تواجه المشكلة ٥
٢٣ أكتوبر
- القاهرة تعلن عن قيادة عربية مشتركة
للقوات المصرية والسورية يتولاها القائد
العام المصري ٥
٢٣ أكتوبر

الرئيس ليندهاوس يحدد إسرائيل ضد أي إجراء عسكري .	٢٧/٢٦ أكتوبر
إسرائيل تغزو مصر عن طريق سيناء .	٢٩ أكتوبر
بريطانيا وفرنسا تقدمان إنذارين لإسرائيل .	٣٠ أكتوبر
ومصر لوقف القتال .	
الإنجليز والفرنسيون يعترضون « بالفيتو » على القرار الأمريكي والسوفيتي بوقف القتال .	٣٠ أكتوبر
بريطانيا وفرنسا تشتركان في الهجوم على مصر .	٣١ أكتوبر
قرار الولايات المتحدة بوقف إطلاق النار في اجتماع طارئ للجمعية العامة للأمم المتحدة اتخذ ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .	أول نوفمبر
إسرائيل تنتصر على مصر في سيناء .	٢ نوفمبر
الأمم المتحدة تقرر إرسال قوة طوارئ إلى مصر .	٤ نوفمبر
الانحداد السوفيتي يهدد بالتدخل في النزاع بالقنابل الذرية والمتطوعين .	٥ نوفمبر
بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ومصر تقبل وقف إطلاق النار	٩ نوفمبر
الأمم المتحدة تقرر شروط عمل قوات الطوارئ الدولية .	٧ نوفمبر
إسرائيل تناوئ في غزة والعقبة مقابل الانسحاب	٧ نوفمبر

٤٣٩

الكتائب الأولى من قوات الطوارئ الدولية
تصل إلى السويس .

١٤ نوفمبر

الأمم المتحدة تصوت بالانسحاب التام للغزة:
الإنجليز والفرنسيون ، تحت الضغط
الأمريكي ، يتعهدون بالانسحاب :

٢٤ نوفمبر
٣ ديسمبر

الإنجليز والفرنسيون يغادرون السويس عن
آخرهم .

٢٢ ديسمبر

عام ١٩٥٧ :

الأمم المتحدة تضغط على إسرائيل للانسحاب
التام غير المشروط ، التهديد بتوقيع العقوبات
في حالة رفض الأذعان

يناير - فبراير

مذكرة أمريكية تعهد إسرائيل بالمرور في العقبة
وحماية قوات الطوارئ الدولية لها ضد
أى هجمات من غزة .. تهديد أمريكى في
الوقت نفسه بتوقيع العقوبات .

١١ فبراير

إسرائيل تقبل التعهد الأمريكى وتعهد دول
بحرية أخرى بارزة ، إسرائيل تبدأ
استعدادها للانسحاب .

أول مارس

إسرائيل تسحب جميع قواتها .

٨ مارس

تظهر قناة السويس لتصبح صالحة للملاحة :

٢٥ مارس

الباب الثالث

من انسحاب قوات العدوان الثلاثي إلى حرب
يونيو ١٩٦٧

الفصل الأول

تطورات مشكلة فلسطين وردود فعل الرأي العام العالمي

أساليب الحرب الباردة :

اقتصرت المشكلة الفلسطينية عموما والنزاع العربي الإسرائيلي على وجه الخصوص بعد العدوان الثلاثي على استخدام أساليب الحرب الباردة وأخذت القرارات تتوالى عاما بعد آخر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو الطرفين ، في قليل أو كثير من الالتحاق ، إلى تسوية مابينهما من نزاع بالطرق السلمية ، وإلى إيجاد الحل الملائم لمصير اللاجئين الفلسطينيين (١) ، على أساس من القرارات السابقة ،

غير أن العناد الإسرائيلي ظل ومستحكما ، ومن ناحية أخرى بقي الحرب على موقفيهم من رفض الاعتراف بالوجود الإسرائيلي ، وبقي الإسرائيليون على عنادهم وتنكروا تماما للقرارات الأساسية الخاصة باللاجئين الفلسطينيين ، وكان أهمها الفقرة الحادية عشرة من القرار رقم ١٩٤ الصادر بتاريخ ١١ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ومع أن التوتر بقي مستمرا بعد عام ١٩٥٧ ، فإن النزاع المسلح بين العرب والإسرائيليين في هذه الفترة كان على حد أدنى نسبيا ، هذا الهدوء جاء إلى درجة كبيرة نتيجة للتجنب المتعمد من المواجهة المباشرة (٢) والتفت كل من العرب وإسرائيل إلى تركيز متجدد على التطور الداخلي ، لكن المواقف الأساسية من المعارضة لم تتغير ، لقد تحجرت بالفعل .

Aleum, op. cit, pp. 391-392.

(١)

Beu Gurion, David, Israel, Years of challenge op.

(٢)

cit, p 105..

ففى إسرائيل ، أخذت الدولة الصهيونية تنعم بالسلم أكثر مما نعمت بالنصر الذى أحرزته ، ولأن هذا السلم كان غير مستقر إذ أن المشكلة الرئيسية ظلت دون حل (١) ،

وعلى ضوء النتائج السياسية للتواطؤ الثلاثى البريطانى الفرنسى الإسرائيلى أخذت إسرائيل فى عام ١٩٥٧ تركز سياستها الخارجية لخدمة أمنها القومى عن طريق الحصول على أحدث الأسلحة والمعدات اللازمة لتطوير جيشها ، وفقاً للدروس العسكرية المستفادة من هذه الحرب ، وأيضاً لكسب ضمانات أمن جديدة من الاستعمار الغربى لحماية حدودها .

واتجهت إسرائيل فى سعيها نحو كسب ضمانات أمن إضافية لوجودها إلى الولايات المتحدة تطلب منها هذه الضمانات وتعرض عليها الثمن (٢) : أن تقوم بتوسيع الموانئ والمطارات الإسرائيلية حتى تصبح صالحة للاستعمال كقواعد عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية فى حالات الطوارئ .

غير أن الولايات المتحدة كانت تعتبر أن مشروعها الجديد الذى عرف باسم « مبدأ إيزنهاور » كفيل بتوفير الضمانات التى طلبتها إسرائيل . وكان الانجاء الثانى هو محاولة الارتباط بحلف شمال الاطلنطى - غير أنها لم تنجح فى تحقيق أى ارتباط مباشر بالحلف ،

وفى ٩ مارس سنة ١٩٥٧ ، أصدر الكونجرس الأمريكى قراره بشأن مشروع إيزنهاور تحت اسم قرار « دعم السلام وتوطيد الاستقرار فى الشرق الأوسط » الذى خول إيزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وإنفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشترك ،

Ben Elissar,, Ilahu and Schiff Zeev : Le Guerre (١)

Israelo-Arabe 5-10 Juin 1967 p. 38-39.

Bar gahar, Michael, The Armed Prophet op. cit, (٢)

pp. 285.

وأوفد ايزنهاور ممثلة الشخص جيمس ريتشاردز (الرئيس السابق للجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس في مهمة استطلاعية إلى مختلف دول الشرق الأوسط لحثها على قبول « مبدأ أيزنهاور » ، وفي أوائل مايو ١٩٥٧ ، زار السفير جيمس ريتشاردز إسرائيل التي أعلنت ترحيبها بمساعدة الولايات المتحدة في المحافظة على استقلال دول الشرق الأوسط ووحدة أراضيها ، وخاصة بعد أن أدى فشل المحاولة التي بذلتها بريطانيا وفرنسا للبت في النزاع الخاص بقناة السويس بالقوة العسكرية ، إلى القضاء على هبة الدولتين والمنحسار نفوذهما في الشرق الأوسط . . . ، مما خلق فراغ القوة في هذه المنطقة الاستراتيجية (١) :

وهكذا بدأت الولايات المتحدة مع ربيع عام ١٩٥٧ ، تمارس نفوس الدور الذي لعبته بريطانيا وفرنسا في منطقة الشرق الأوسط والذي انتهى بفشل العدوان الثلاثي في خريف عام ١٩٥٦ .

وبدلت إسرائيل مساعيها الدسطة في الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعي الذي يهدد منطقة الشرق الأوسط واستغلاله في تحقيق أهدافها الخاصة ودعم مركزها في المنطقة .

وفي حديث لشمعون بيريس — مدير الدفاع في ذلك الوقت — مع المسؤولين البريطانيين في أعقاب ظهور مشروع ايزنهاور ، أكد بيريس أن وجود إسرائيل يشكل حاجزاً ضد انتشار الشيوعية ؛ ليس في الشرق الأوسط فحسب بل في أفريقيا أيضاً . كذلك وأن « تقوية إسرائيل » إنما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة » (٢) .

وكان الغرض الأساسي من هذه الأقوال ، هو أولاً : الحصول على

(١) على محمد علي : إسرائيل والشرق الأوسط ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ إصدار ، ص ٢٢٦-٢٣٧ .

(٢) يوسف عفرون : في يوم عاصف (عبري) قل أييب ص ١٧٨ .

تأييد الغرب للتغلغل الإسرائيلي في أفريقيا وآسيا ، ذلك التغلغل الذي شكل
أجد الخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية الإسرائيلية بعد عام ١٩٥٦ - وثانياً :
الحصول على مزيد من الأسلحة والمعدات الحربية . وقد شهد عام ١٩٥٧
بداية انطلاق الجهود الإسرائيلية في مساعدتها للتغلغل في الدول الحديثة
الاستقلال في آسيا وأفريقيا تحت ستار تقديم المعونات الفنية والعسكرية
لها ، ففي أغسطس سنة ١٩٥٧ قام موشى ديان - رئيس الأركان
الإسرائيلي آنذاك - بصحبة شمعون بيريس بجولة واسعة في القارة الأفريقية
لهذا الغرض وانفق في هذه الجولة على تقديم مستشارين عسكريين لإسرائيليين
إلى كل من غانا ، وكينيا ، وتنجانيقا ، وساحل العاج ، وفولتا العليا ،
وتشاد ، والكونغو الأيووولدفيل (١) ،

وبينما كانت إسرائيل تسعى إلى احتواء الحصار العربي بخلق علاقات
جديدة مع دول العالم الثالث حديثة الاستقلال ، اتجهت جهود الولايات
المتحدة - بعد رفض الدول العربية لمشروعها الجديد - إلى رفض السياسة
التي رسمتها للمنطقة ، والقائمة على محاولة تفتيت الجبهة العربية وقطع أوصال
التعاون العربي المتمثل في القيادة المشتركة التي أنشئت عام ١٩٥٦ - باخراج
الأردن منها . وأخذت الحكومة الأمريكية في إبريل سنة ١٩٥٧ وهو الشهر
التالي لانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء - توجه عنايتها نحو الأردن ،
وتعلن عن « قلقها من امتداد السيطرة الشيوعية على البلاد » ونجحت فعلاً في
قلب الحكومة الوطنية وعزل قيادة الجيش ، ثم أضافت الأردن إلى قائمة
الدول التي تمنحها المساعدات العسكرية .

وما أن اطمأنت الحكومة الأمريكية إلى الموقف في الأردن حتى حولت
نشاطها تجاه سوريا .

(١) Lau - Lavie N. : Moshe Dayan, a biography,
London, Vaailacutine Mitchel, 1958 pp. 171-172.

أما بالنسبة للسياسة الحربية الاسرائيلية فإنها مع عام ١٩٥٧ اتخذت شكلاً جديداً لتحقيق مبدأ « الاعتماد على القوة الذاتية » من خلال اتجاهين أساسيين هما العمل على تعزيز الفارق الكمي بين إسرائيل والدول العربية بخلق تفوق كمي ، وأن تكون القوات المسلحة الإسرائيلية قوة رادعة « بل حاسمة عند الضرورة »^(١) وهو ما يعنى منع الدول العربية من أى تحرك عسكري أو تهديد بشن الحرب على إسرائيل . وقد عكس ذلك تطوراً هاماً على السياسة الحربية الاسرائيلية ، ترتب عليه ضرورة البدء فى إعادة بناء القوات المسلحة الإسرائيلية على أسس جديدة .

وهكذا شكل « الاعتماد على القوة العسكرية الذاتية » الاتجاه الأساسى لتطوير السياسة الحربية الاسرائيلية بعد جولة عام ١٩٥٦ نحو أسلوب ردع أكثر حنفاً وأشد حسماً .

ومنذ ذلك الوقت بدأت إسرائيل محاولاتها للحصول على أحدث الاسلحة القادرة على مثل هذا الردع ، لعلها تكتسب المناعة المطلوبة ضد التفرق العربى وتعطى لنفسها حرية العمل والمقدرة على الحركة . ولو أن فكرة الردع لم تكن جديدة على السياسة الحربية الاسرائيلية ، إلا أنها فى هذه الفترة قد اتخذت طابعاً عنيفاً بارزاً ، جعل من الحرب الشاملة البديل الوحيد لسياسة الردع إذا ما تعرضت للفشل .

وهكذا جاءت الفترة الممتدة من ١٩٥٧ وإلى تاريخ قريب لتشهد توطيداً وتوطناً أكثر وأكثر للكيان الصهيونى فى فلسطين ، فالجيش المصرى كان قد تعرض لهزيمة كبرى عام ١٩٥٦ إذ دمرت الطائرات الفرنسية والانجليزى القوات الجوية المصرية أثر ضربات متعاقبة ، وتوقفت الغارات التى كان الفدائيون يقومون بها عبر الحدود .

Israel Government Year Book, 1960-1961 Jerusalem (١)

وعلى الجانب العربي استمر العرب يتجاهلون المزيمة التي حاقت بهم بالنسبة للمشكلة الفلسطينية باعتبارها قضية عربية حيوية ، غير أن عبد الناصر كان قد اكتسب هالة من المجد بفضل تطوره نحو الحياد وهجومه ضد حلف بغداد ووجوده في مؤتمر باندونج قبل ذلك ، وأيضا بالاتفاق الذي كان قد عقده لشراء أسلحة من الكتلة الشرقية .

وكان الحياد معناه الشيوعية (١) بالنسبة للغرب في حين أنه يعنى مناهضة الامبريالية بالنسبة للكتلة الشرقية ، وكان انتهاج مثل هذه السياسة معناه تدخل الغرب في الشؤون العربية ، وظلت الحكومتان المصرية والسورية وحدهما تنتهجان الخط الحيادي ، وكان الرأى العام العربى بيدهما ، ومما دفعهما إلى ذلك أيضا معاداة الغرب التي دفعت بهما قدما إلى الامام ؛ ولم يقطع عبد الناصر اتصالاته من الولايات المتحدة الأمريكية ، بل على العكس ، لكنه لم يكن ملتزما بأى مجاملة تجاه الفرنسيين والانجليز ، وقد قام في أوائل عام ١٩٥٧ بتمصير الشركات البريطانية والفرنسية ، وكذلك اليهودية في مصر .

وبعد العدوان الثلاثى - فزعت واشنطن وتخيلت قرب قيام دولة ديمقراطية شعبية في الشرق الأوسط خاضعة لموسكو ، ونعى بها سوريا وهكنا فان الأمريكيين الذين ذهبوا ضحية لاهوهمم الايديولوجية أصبحوا عاجزين عن أن يدركوا أن السياسة السورية تحكمها العوامل المحلية قبل كل شئ وكذلك ضغط الرأى العام السورى من أجل التقدم ، كما أن الأمريكيين لم يدركوا أيضا أن الاتحاد السوفيتى فى غنى من أرباك نفسه بدولة سوفيتية فى الشرق الأوسط ؛ لانتسم بالهدوء وتشكل خطورة على سياسة الاتحاد السوفيتى الدولية ، فضلا عن احتياجاتها لتفقات طائلة للتخلص من تخلفها ، ولكن السوفيت - ومعهم بكداش - كانوا يريدون فحسب قيام نظام حكم برلمانى يؤيد السياسة الخارجية السوفيتية ، ويضمن هذا الاتجاه عن طريق إيجاد حزب شيوعى ذى نفوذ ويتمتع بحرية القيام بالدعاية ، الأمر الذى فطن إليه

(1) Rodinson, Maxime : op. cit, pp. 60-68.

فريق آخر من السوريين السائر في ركاب خالد العظم .

وقد تصرف الأمريكيون بطريقة غير ماهرة لمواجهة ذلك الخطر الوهمي فقامت السفارة الأمريكية بدمشق باتصالات سرية ترمى إلى قلب الحكومة السورية ، مما أدى إلى طرد ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين في أغسطس عام ١٩٥٧ وكان هذا الإجراء بمثابة أول تحد من هذا النوع يوجه للقوة الأمريكية في تلك المنطقة وقد أحدث ذلك أثرا فاسيا .

وعندما عين عفيف البزري رئيسا لهيئة أركان الحرب في دمشق أهتمته واشتغل بأنّه مؤيد للشيوعية ؛ وأصبح نظام الحكم السوري منذ ذلك الحين نظاما منبوذا من الغرب ، وإذا لم يكن من الممكن قلبه من الداخل ، فقد جرت محاولة ذلك بالوسائل الخارجية .

وفي نهاية شهر أغسطس أوفد أوى مهندرسون وكيل وزارة الخارجية إلى أنقرة حيث التقى بالرئيس التركي عدنان مندريس الموالى لأمريكا ، وبملكى الأردن والعراق ، كما زار بيروت للتحديث مع الرئيس كميل شمعون ، وقد أعطيت للجميع وعود بملهم بالسلاح .

وازداد تهديد تركيا التي تقوم بينها وبين سوريا منازعات اقليمية ، وقد استغل بن جوريون الفرصة المتاحة للاستفادة من مناهضة الولايات المتحدة الأمريكية للشيوعية (١) ، فكتب رسالة لدالاس يعرض عليه فيها نصائحه ، وأوفد جولدا مائير إلى واشنطن كما أنه عبأ حلفاءه الفرنسيين والألمان لكي يحصل في مقابل تعاون إسرائيل على ضمان الحدود الإسرائيلية من قبل حلف شمال الأطلسي .

من هنا ، شعرت أوروبا بأنها مهددة ، وكانت طبقات الأراء بعض الباحثين

(١) لاكور : وولتر : الطريق إلى حرب سنة ١٩٦٧ - الهيئة العامة للاستعلامات

١٩٦٩ - كتاب مترجم (٢٦٣) الجزء الأول ، ص ٥١-٥٧ .

(م ٢٩ - فلسطين)

الغربيين (١) — وهم على حق في هذا ولم يكن أمامها بالتالي إلا اللجوء للمعونة السوفيتية .

وهكذا أسفرت السياسة الأمريكية كالمعتاد ، عن إيجاد الموقف الذي أرادت أن تنفذه وأرسل السوفيت سفينتين حربيين إلى ميناء اللاذقية ، وقد أنتاب الدول العربية ذات الميول الأمريكية التي ترى بوضوح أكبر المشاكل المحلية ، انتابها الحرج أمام الإجراءات الأمريكية التي أدت إلى وصمها في نظرفئات الرأي العام كشريكة في اخماد الأمان السورية والعربية في الاستقلال والوحدة والتقدم .

وتوسط ملك السعودية ، فسافر إلى دمشق خلال شهر سبتمبر ونصح واشنطن بالاعتدال ، كما أقنع كلا من الأردن والعراق بوجهة نظرة فأعلن الجميع معارضتهم للتهديدات القائمة ضد الاستقلال السوري .

ولم تستطع مصر أن تظل في معزل عن الأحداث ، فانزلت في شهر أكتوبر ١٩٥٧ ، قوات مصرية في ميناء اللاذقية للوقوف إلى جانب السوريين على الحدود من تركيا ،

وقد تلقى الرأي العام العربي آنئذ نبأ إطلاق القمر الصناعي السوفيتي الأول بحماس ، إذ أن الاتحاد السوفيتي أثبت أنه دولة قوية هو الآخر مواجهة التهديد الأمريكي المستند إلى القواعد المتقدمة له في كل من تركيا واسرائيل .

وقد كتب أحد الباحثين الغربيين (٢) بهذا الصدد يقول .
كان أثر التدخل الأمريكي في الشؤون العربية في عام ١٩٥٧ ، هو التأكيد نهائيا بأن كلا من الاتحاد السوفيتي ومصر أصبح خاميا لسوريا في مواجهة العداء الغربي لها .

Rodinson, Maxime ، op. cit, pp. 61-63. (١)

Ibid p. 64 (٢) وهو باتريك سيل :

Ibid. (٣)

ويضيف فريق آخر من الباحثين إلى ذلك هذا القول :

« بل وقد ظهر كل من الاتحاد السوفيتي ومصر وكأنهما بطلان ليس بالنسبة لسوريا فحسب بل وبالنسبة لأمانى الرأى العام العربى آنئذ بصفة عامة » .

وهكذا ظهر أن النفوذ السوفيتى الذى كان مجرد خرافة - قد تأكد الآن ، ومن هنا شعر الحزب الشيوعى السورى بشئ من التشجيع كما أن عددًا كبيرًا من فئات الرأى العام السورى قد أحسوا باتجاه الأحداث فانضموا إلى ذلك وبدأت فئات أخرى من الرأى العام السورى تشارك الأمريكين قلقهم ، وقد شاركت أوساط الجيش السورى أو خصوصًا تلك التى أبدت نفسها من محترفى السياسة المدنيين والذين - أى أوساط من الجيش السورى - ينظرون بحسد إلى المزايا التى تنعم بها فئة العسكريين فى مصر - شاركت هذا الأوساط بدور فعال فى الاتجاه صوب مصر وعبد الناصر خاصة وأنه عبأ خلفه كافة قطاعات الرأى العام العربى .

وفى الأردن لقيت حركة الضباط الأحرار آنئذ تعاطفًا كبيرًا فى أوساط الرأى العام الأردنى ، ولم يعد بالإمكان كبح جماحها بتلك الأساليب القديمة بينما تراجعت قدرة القيادة الإنجليزية ، فى الاعتماد على خلفائها ، وأظهر الجيش عجزه عن السيطرة على الأمور أثر انتفاضة حلف بغداد ، وبدأت الحركة الوطنية وكان على القصر أن يراجع حساباته ويتحالف مع الطرف الأكثر قوة .

وكان الملك حسين قد أصدر مرسومًا منذ أكثر من عام بالاستغناء عن خدمات جلوب وعدد من الضباط وأعقب ذلك الاستغناء عن بقية الضباط الإنجليز تدريجيًا حيث كان التحرك الوطنى داخل الجيش الأردنى امتدادًا للحالة الجماهيرية وقد أفتحت حركة المعارضة الوطنية خاصياتها وتحالفاتها على هذا التحرك ، فكان هناك قاعدة للقاء تلك العناصر المعارضة تمثلت تلك المطالب الوطنية والديمقراطية ذات النزعة الليبرالية .

وقد تضمن البيان الرسمي الذي صدر من الملك حسين - الأسباب التي دفعته إلى عزل جلوب ومنها ما لاحظته المجلس الملكي من عدم تقييد جلوب بالنظام منذ اعتلاء الملك العرش وعدم رضى الضباط الشبان في الجيش فضلا عن المعلومات غير الدقيقة التي كان ينقلها جلوب إلى الملك بخصوص كمية الذخائر لدى الجيش والسرقة من مخازن الجيش والخلاف على الإصلاحات الواجب إجراؤها في الجيش وحول الاستراتيجية العسكرية ، وأيضا الخلاف حول تواجد القوات العسكرية وتحرركاتها وأنسحابها من الضفة الغربية وكذلك نظرا للخطر المتمثل في وجود جلوب بالجيش الأردني ودوره في هزيمة عام ١٩٤٨ في فلسطين (١) .

وكان لعزل جلوب صدى كبير وردود فعل مختلفة ، فقد كتبت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية في مقال أفتتاحي تعليقا منها على قرار طرد جلوب بقولها :

« أن ذلك يشكل ضربة قوية للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط » بينما أفصح النائب البريطاني المعارض أنتوني ناتنج في البرلمان البريطاني عن الدور المؤثر للضباط الإنجليز ، وأن تلك التغييرات المفاجئة في قيادة الجيش الأردني يجب النظر إليها بعين الجدل ، إذ زادت احتمالات الحرب بين العرب وإسرائيل ووال الدور الضاعط الذي كانوا يمارسونه على الحياة السياسية في الأردن (٢) .

غير أن جلوب يحلل أسباب عزله فيذكر كيف أن الملك حسين قرر فجأة أنه لا يرتاح له سياسيا وأنه لم يكن في نيته اتخاذ هذا القرار وقد أكد للجنرال ال تمبلر عزمه على أبقاء الضباط البريطانيين ، وكان حريصا على دخول

Arnri, Nasser H. Jordan : A study in Political development 1952-1968, pp. 171-177. (١)

Documents On International Affairs 1959 pp. 7-15. (٢)

حلف بغداد وكان هذا سببا في تلك الاضطرابات الداخلية والمشاكل مع مصر وأنعكاس ذلك كله على المشكلة الفلسطينية ، وقد أحيطت هذه السياسة بالسرية وأصبح من الأهمية بمكان أن يستعيد الملك رضا الشعب وخاصة في الضفة الغربية وذلك بإجراء مفاجئ وسريع وسط جو من العداء الصارخ من جانب الرأي العام العربي (١) .

وقد استتبع طرد جلوب جملة تغييرات هامة في الحياة السياسية واتخذ النضال الوطني في الأردن والضفة الغربية خاصة شكلا أكثر ديناميكية فلأول مره وجدت قوى المعارضة الوطنية قاعدة ديموقراطية تكون أساسا شرعيا لنضالها فجرى تكوين مجلس نيابي بعد انتخابات حرة بعيدة عن أساليب الضغط والأرهاب الحكوميين ، ونالت الأحزاب والقوى الوطنية أغلبية المقاعد الـ ٤٠ - وضمت لنفسها نحو ٣٠ منها ، وشكل تحالف الأحزاب الوطنية (الوطني الاشتراكي ، البعث ، القوميون العرب والشيوعيون) محور الحياة السياسية في تلك الفترة وذلك بعد تكليف سايجان النابلسي بتشكيل حكومته الوطنية التي أقيمت على تنفيذ برنامجها الوطني بخطى حثيثة فألغت المعاهدة البريطانية في ١٣ مارس ١٩٥٧ وتبع ذلك خروج القوات البريطانية التي كانت لا تزال موجودة في الأردن بمقتضى هذه المعاهدة .

وعلى الصعيد العربي جرى توقيع « اتفاقية التضامن العربي في ١٩ كانون الثاني عام ١٩٥٧ حيث تعهدت بمقتضاها كل من سوريا ومصر والسعودية بدفع مبلغ ١٢٥ مليون جنيه مصري لدعم الأردن بدلا من الأعانة البريطانية ودخول قوات عسكرية عربية سورية وسعودية وعراقية إلى الأردن بعد العدوان الثلاثي على مصر .

وساد الرأي العام في الأردن جو من الحريات العامة وتطور مفاهيم

Glubb J. B. A soldier with the Arabs op. cit, (١)
pp. 426-427.

الديمقراطية في الحكم وسعت الحكومة إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية
وجرى لأول مرة تقدير ميزانية الأردن في عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ على أساس
المساعدة العربية وجاءت خلوا من المساعدة الأجنبية ،

أما في القوات المسلحة فقد حدثت بعض التعديلات التي كان القصد منها
تحقيق التلاؤم مع الصورة السياسية الجديدة وتخليص الجيش من دوره السابق
وربطه بالقضية الوطنية ، وجاءت عناصر الحرس الوطني من أبناء الفلاحين
في الضفتين في الغالب (١) ، وكان من شأن ذلك أن يشكل عاملا جديدا في
التركيب البنيوي داخل الجيش لصالح القضية الوطنية ، غير أن التمويل
المالي لتغطية مصاريف تلك القوة المسلحة الجديدة وتوفير الإمكانيات لها
شكل عقبة رئيسية حاول الحكم الوطني تذليلها بالمساعدات العربية وبمحلات
التبرع الممكنة حيث تم جمع أكثر من نصف مليون دينار (٢) .

محاولات الوجدة بين العرب وردود فعلها :

سوف يقتصر عرضنا هنا على الخطوط العريضة للتطور السياسي العربي
في الفترة الممتدة من نهاية العدوان الثلاثي ونهاية عام ١٩٦٣ ونخصوصا فيما
يتعلق بمحاولات (٣) الوحدة وردود فعلها على الرأي العام العربي وفي هذا
الصدد لن نذكر اسم إسرائيل إلا عرضا مفضلين بحث علاقتها بمشكلة
فلسطين فيما بعد . ففي سوريا كان حزب البعث يعرض بصفة خاصة من ازدياد
النفوذ الشيوعي الذي يدعمه أثبت التحالف السوفيتي ، وكان ذلك الحزب قد
اجتذب عددا كبيرا من المؤيدين من قطاعات الرأي العام السوري بفضل قوة

(١) عباس مراد ، الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١-١٩٧٣ منظمة التحرير الفلسطينية ،
مركز ، الأبحاث ، بيروت ، ديسمبر ١٩٧٣ - ص ٨٤-٨٥ .

(٢) Shawdran Benjamin : jordan A state of tension,
New York council for Middle Eastern Affairs Press 1959
pp. 87-38.

(٣) Safran Nadav : From War to War, op. cit, d. 72.

الأغراء التي تتمتع بها شعاراته المتفقة واتجاهات وأمانى الرأى العام غير أنه كان يفتقد إلى الكوادر وإلى الأعضاء المستقرين فى أخلاصهم له ، وقد تزعم حزب البعث فى ذلك الوقت ميشيل عفلق وهو مثقف تلقى تعليمه فى نسيا وتكونت أراؤه فى باريس قبل الحرب الثانية وكانت هذه الآراء تدور حول قومية اشتراكية تعتبر إلى حد كبير كرد فعل للشيوعية الستالينية واستراتيجيتها العالمية ، التي تحقر من شأن المطالب القومية . كذلك تأثر عفلق كثيرا بكتابات اندريه جيد كما كان يخشى القوة التنظيمية للحزب الشيوعى حتى وأن كانت كامنة .

وهنا تراءى للبعث أنه ليس أمامه إلا سندا واحدا فقط وهو الاتجاه صوب مصر التي تتسم بقوميتها العربية وبمناهضتها للاستعمار الغربى خاصة وأن عبد الناصر كان بوسعه تعبئة كافة الجماهير العربية ، ومن شأن شعبيته الهائلة آنئذ أن تحول الرأى العام العربى عن أغراء الشيوعية ، وقد شارك البعث فى هذه المخاوف بعض القطاعات الأخرى من الرأى العام السورى وهو ما أدى إلى ظهور فكرة سادت أرجاء سوريا مؤداها لإنشاء وحدة فيدرالية مع مصر كنواة للوحدة العربية التي طال انتظارها .

وفى مصر ، كان عبد الناصر يؤيد بالطبع هذه الأفكار خاصة وأن تحقيق هذه الوحدة سوف يمنع وقوع سوريا تحت سيطرة قوة عربية اعتبرها عبد الناصر آنئذ قوة معادية وهى العراق ، غير أن عبد الناصر من ناحية أخرى كان يأبى أن يرتبط عن قرب شديد بالسياسة السورية الهوجاء ، وبالتنافس المعقد القائم بين مختلف مجموعات الضغوط العربية فى آسيا ، فان مصر تخلق أمامه ما فيه الكفاية من المشاكل الصعبة :

وانقسم الرأى العام السورى بين مؤيد ومعارض ، فالبعثيون والجيش السورى أصروا على موقفهم ، أما الشيوعيون السوريون فكانوا يخشون من التحقيق العملى لهذه الوحدة بل وقد اعتبروا عبد الناصر نفسه أهم

عائق في هذا السبيل خاصة وأن الشيوعيين في مصر آنشد كانوا يتعرضون للتعذيب ويشكلون نموذجا غير جذاب للشيوعيين في سوريا الذين كانت فرصتهم ممتازة ، وقد قام الشيوعيون في سوريا بالفعل انطلاقا من هذا التحليل بمحاولات مضنية لأحياء مشروع الوحدة ولم تسفر محاولاتهم إلا بمزيد من اندفاع البعث إلى المطالبة ليس بالاتحاد الفيدرالي فحسب بل بالوحدة الشاملة مع مصر أيضاً ، وذلك اعتقاداً منه بأنه سوف يتمكن في ظل الدولة العربية المتحدة الجديدة من تقديم الأيديولوجية وبالتالي يمكنه توحيد سياستها في حين يكتبني عبد الناصر بدور الرئيس الرمزي (١) .

أما عبد الناصر فقد قرر هو الآخر أن يستفيد من هذه العملية إلى أقصى درجة بالرغم من أنطوائها على المجازفة ، ومن ثم فقد فرض شروطه هو الآخر : لن يكون للجيش السوري أي نشاط سياسي ، كما أن جميع الأحزاب ستحل ، وتردد حزب البعث حيث اعتبر أن هذا بمثابة انتحار للحزب ، غير أن قاداته قد فكروا في أنه حتى ولو تم حل البعث رسمياً فسوف يستطيع الحزب أن يعود وهو أكثر قوة في صورة « الاتحاد القومي » أي التنظيم السياسي الوحيد على الطريقة الرسمية في مصر وحاولت فئات أخرى من الرأي السوري العام يمثلها خالد بكداش وخالد العظم أن يردوا - الخطر الذي يهددهما وذلك بالعودة إلى طلبهما بالاكتماء باتحاد فيدرالي ، غير أن القوة الأيديولوجية لفكرة الوحدة العربية أطاحت بجميع أوجه المقاومة وذلك علاجا للسنوات السابقة وخصوصاً تلك التي قام فيها حلف بغداد والمحاولات التي بذلت من أجل فرض هذا الحلف على الرأي العام العربي وردود فعل الاتحاد السوفيتي ومن الأحزاب الشيوعية في العالم العربي الذين عرفوا كيف يستغلونه لمصلحتهم ، فالبعث قد قارن بين مختلف الاتجاهات

Rodinson, Maxime : Israel et le Refus Arabe, op. (١)

cit. pp. 55-58.

وأحس بخطر الشيوعيين الذين كانوا يمارسون منذ سنتين نفوذا سياسيا متفوقا في سوريا ، ومن خلال حالة القلق التي اجتاحت حزب البعث برز أمامهم عبد الناصر كحلجاً وطريق واحد إلى بر الأمان ، وقد أدرك البعث هذه الحقيقة منذ سنوات فجرت الأحاديث في الوقت الذي وصل فيه الضغط ذروته من جانب الانجليز والأمريكيين والأتراك على سوريا منذ زمن طويل لبحر السوريين إلى قبول الانضمام إلى حلف بغداد (١) .

وفي شهر يناير عام ١٩٥٨ لم يعد الأمر يتعلق بمجرد آراء تثار هنا وهناك وإنما يخطر مباشرة يتعين تداركه ، ففي الحادي والثلاثين من ذلك الشهر قدمت إلى القاهرة لجنة حكومية سورية برئاسة شكرى القوتلى ، وفي اليوم التالى بعد بضع ساعات فقط من المفاوضات أبرمت الوحدة بين البلدين ، وفي يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٩ ولدت رسميا « الجمهورية العربية المتحدة » ،

فماذا كانت ردود الفعل المختلفة لهذه الوحدة :

لقد غمرت القوميين العرب التقليديين الغبطة والسرور حيث تحققت الوحدة العربية التي ظلت معلقة في مكان ما بين السماء والأرض ، وكانت أشبه ما تكون بفكرة أفلاطونية أو مفهوم هيكل ، وقد تجسدت الوحدة الآن في الأرض وتكونت بذلك أول نواة للوحدة العربية .

غير أن التطور الفعلى اختلف كثيرا عن هذه الأحلام ، ففي سوريا أصبح الحزب الشيوعى حزبا سريا بعد مغادرة بكداش سوريا . واحسنت كل من العراق والأردن أن من الخطر عليهما البقاء في معزل بعد قيام هذه الوحدة بين الدولتين العربيتين الاشتراكيتين ، فاجتمع الملكان

Safarn Nadav : From War to War op. cit, d. 74. (١)

أبنا العم حسين وفيصل الثاني ، وأعلننا في يوم ٢٤ من فبراير بعد محادثات سريعة بينهما إنشاء « الاتحاد العربي » الذي يضم مملكتيهما .

وفي يوم ٨ مارس تم اجتياز مرحلة أخرى جديدة ؛ إذ وقع عبد الناصر والأمير اليماني ميثاق الدول العربية المتحدة وهو عبارة عن اتحاد فيدرالي بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن .

وفي إسرائيل أثارت محاولات الوحدة هذه - القلق في قطاعات الرأي العام الإسرائيلي على اختلاف اتجاهاتها ، فقد وجدت إسرائيل نفسها وقد أصبحت لا تواجه ستا أو سبع دول عربية ذات سياسات متنافرة وإنما أمامها كتلتان متنافستان فيما بينهما ، ولكن كل منهما يمثل بالنسبة لها خصما .
غير أن هذه المخاوف الإسرائيلية تكشف اعتبارا من الأشهر التالية للوحدة عن أوهام لا أساس لها .

ففي لبنان ، بالرغم من أن تكوين الجمهورية العربية المتحدة فقد أسفر عن حماس في بعض قطاعات الرأي العام اللبناني غير أن قلقا كبيرا سيطر على أنصار الاتجاهات المعارضة واندلعت النيران في البارود عندما أعلن كميل شمعون الموالي تماما للغرب عن نيته في طلب إعادة انتخابه الأمر الذي يتطلب تعديل الدستور الذي يحظر إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدة رئاسة ثانية ، فضلا عن وقوع أحداث شغب في لبنان تحوالت إلى حرب أهلية اعتبرها كميل شمعون ومؤيدوه على أنها عدوان خارجي وعمليات تخريب بقيادة عبد الناصر ثم دفع شمعون المسألة إلى الأمم المتحدة .

وفي العراق أيضا كانت الهوة التي تفرق بين الرأي العام المحايد المتعاطف مع الموقف السوري المصري وبين القادة المرتبطين بالتحالف الغربي والذين يكونون عداء شديدا لعبد الناصر وللسوريين ، وظهر نوري السعيد - بعد توقيع الاتحاد الفيدرالي مع الأردن - مرتبضا أكثر وأكثر بكل من بريطانيا

والولايات المتحدة وتركيا (١) وكأنه يقود المؤامرة الموجهة ضد سوريا ومصر الحايدين والتي يشترك فيها كميل شمون في لبنان وحسين في الأردن وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك ، ففي لحظة تفجير أزمة العام الماضي في الأردن عندما أقال الملك حسين وزراءه الحيايين وقضى على الثورة الشعبية ، أعلن أينهاور أن سلامة الأردن تعتبر أمرا حيويا واحتفظت إسرائيل لنفسها بحق التدخل بحرية إذا ما تعرض الوضع القائم في الأردن لأي أذى ، ولم يكن كل هذا يعني سوى قيام إسرائيل باحتلال الضفة الغربية للأردن إذا ما انضم الأردن لأي اتحاد عربي .

وفي شهر مايو من عام ١٨٥٨ عرض موسى ديان على الماريشال مونتيجمري خطته تحظى بتأييد بن جوريون ، وكالت ترمي إلى لإقامة تحالف بين الدول المحيطة وهي إيران وتركيا وأثيوبيا وإسرائيل (٢) .

وفي يونيو من عام ١٩٥٨ سافر نوري السعيد إلى لندن حيث أدلى في السابع والعشرين من نفس الشهر بحديث صحفي للتمايز وجه فيه نداء يكاد يكون سافرا من أجل التدخل الأنجلو - أمريكي ، ثم أجرى في طريق عودته محادثات في تركيا ، وأعلن عن اجتماع أعضاء حلف بغداد يوم ١٤ يونيو التالي ، وكان الرأي العام العربي يخشى من هجوم عسكري مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا والعراق لفصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، ولإقامة الهلال الخصيب ، تحت قيادة ملك هاشمي من أنصار بريطانيا ، ثم أرسل نوري السعيد قوات عسكرية إلى الأردن وربما كان هذا بهدف تحقيق خطة نوري السعيد التي كان يخشاها الرأي العام العربي لبدء المعركة في سوريا .

Vatcketds, F. J., Conflict in the Middle East, (١)

(London : George Allen and Unwin Ltd, 1971 p. 19.

Ibid, p. 20.

(٢)

ولكن اللواءين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اللذين كانا يقودان هذه القوات توجهها صوب القصر الملكي والفيلد التي يقطن بها نوري السعيد حيث قتل كل من الملك والوصي على العرش ، أما نوري السعيد الذي هرب ، فقد وجد في اليوم التالي وهو متنكر في زي امرأة مسنة فقتلته الجماهير ، وكان هذا يوم الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٨ حيث انتصرت الثورة العربية مرة أخرى وهو ما أدى إلى أشغال بحماس القوميين العرب وهم الأغلبية العظمى من الشعوب العربية آنئذ ، وأرهبت الثورة العراقية أولئك الذين يعارضون التيار العراقي (١) وهما الملك حسين وكميل شمعون اللذان وجهاً نداء للحصول على مساعدة الولايات المتحدة وبريطانيا ، وبالفعل نزل مشاة البحرية الأمريكيون في بيروت يوم ١٥ من يوليو ثم هبط رجال مظلات بريطانيون في عمان يوم ١٧ من نفس الشهر وكانوا قادمين من قبرص بعد أن حصلوا على تصريح من إسرائيل بالتحليق فوق مجاها الجوي وأن كان الملك حسين يذكر أن الطائرات البريطانية : « لم يكن لديها متسع من الوقت لتوضيح ذلك للسلطات الإسرائيلية » (٢) .

كما يذكر الملك حسين أيضاً أن الطائرات الأمريكية قد قامت بنقل الوقود إلى الأردن بعد أن أصبح في شبه عزلة كاملة .

وقد تساعل حينها أنورين بيفان — النائب العمالي البريطاني في مجلس العموم — قائلاً (٣) :

« ما الذي يدعو إلى إرسال أربعة آلاف جندي بريطاني إلى الأردن

(١) Koury, Enver, M., The Pattern of mass movements in Arab Revolutionary - Progressive states (The Hogue : Mouton and Co., 1976 p. 15.

(٢) الملك حسين : قصة حياتي ، المنشورة في جريدة اللدليل ميل اللندنية ، الترجمة العربية ، عمان المديرية العامة للمطبوعات بدون تاريخ إصدار ص ٦٥-٦٧ .

(٣) الأهرام في ١٩٥٨/٩/٢٩ .

لحماية الملك حسين من شعبه، أن نقله إلى لندن وحراسته هنا يكون أرخص نفقة » .

أما السعوديون — الذين خشوا التعرض لموجة من عدم الشعبية ومخطط الرأي العام لديهم — فقد رفضوا السماح بعبور الوقود الأمريكي المتجه للأردن والذي أرسل بالطائرات عن طريق لبنان عبر المجال الجوي الإسرائيلي، وكتب الملك حسين بجرارة في مذكراته قائلا :

« لقد منحنا عدونا ما رفضت دولة عربية منحه أيانا » .

وهكذا جاء رد فعل الوحدة بين مصر وسوريا في الأردن حيث لقت تجاوبا عريضا من فئات الرأي العام الآ، دني والفلسطيني في الضفة الغربية على وجه الخصوص ، — وذلك في الوقت الذي جرى فيه ربط الأردن بمنظومة التحالف الجديد التي عرضتها الخطط الأمريكية آنئذ ، وقررت واشنطن أن تمنع بيد من حديد انتشار حركة التحرر العربية التي تقودها الجمهورية العربية المتحدة ولواضطرت لاستخدام القوة (١) .

وفي العراق تأكد التضامن العربي بالأعلان الرسمي الوارد في الدستور المؤقت الصادر يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٨ والقائل بأن الدولة العراقية هي جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وبالرغم من ذلك، فإن عبد الكريم قاسم الذي ساند آنئذ جزءا من الجيش كان حريصا على عدم ضياع المزايا الكامنة في القوة المستقلة وكان يقاوم الضغوط المفروضة عليه لتكوين وحدة عضوية مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد أعلن المكتب السياسي للحزب في العراق يوم ٣ سبتمبر عام ١٩٥٨ : « أن فكرة الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة تثير قلق شعبنا وأن مثل هذا الاتحاد لن يتيح أمام الاقتصاد ورأس المال القومي فرصة للازدهار والتطور » .

(١) يرسم عفرون ، في يوم إعصف (عبري) ، مرجع سابق ، صص ١٧٧-١٧٨ .

وقد نادى الشيوعيين ومعهم خالد بكداش بتكوين اتحاد فيدرالى وهم يعلمون تماما أن عبد الناصر لن يقبله ، وأيد عبد الكريم قاسم وجهة النظر هذه ضد البعثيين ، وضد زميله عبد السلام عارف الذى كان يؤيد عبد الناصر ، وقد أقال عبد الكريم قاسم ، رفيقه عبد السلام عارف فى سبتمبر عام ١٩٥٨ ، وعندما حاول هذا الأخير الرد بالآمر ألقى القبض عليه وحكم عليه بالإعدام غير أن عبد الكريم قاسم عفا عنه .

وقد أدت ضرورة الاختيار بين « القاسمية » و « الناصرية » والمنافسة بين الحركتين والتنافس السياسى الدائم بين مصر والعراق آنشد إلى حدوث تغيير من جانب الاتحاد السوفيتى فى موقفه ، فبدلاً من مساندته لعبد الناصر الذى تجلّى خلال العدوان الثلاثى نجد أن الاتحاد السوفيتى قد زادت ريبته تجاه عبد الناصر لصداقته ببيتو من ناحية ، وللتشدد السوفيتى تجاه أحداث الحبر وبولندا من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد أدى ذلك إلى تفصيل قاسم على عبد الناصر (١).

وفى سوريا كان التطور يسير فى نفس الاتجاه ، فكثيراً ما تصرف العسكريون المصريون فى « الإقليم الشمالى » من الجمهورية العربية المتحدة على حد رأى أحد المؤرخين المعاصرين (٢) : « وكأنهم فى بلد مقهور ، حيث أخضع السوريون للمصريين فى كافة المجالات » .

ويستدل هذا الرأى بحجته من أن جميع الأحزاب توحدت فى سوريا واستبدلت بالاتحاد القومى على النهج المصرى ، أما حزب البعث الذى شجع على إقامة الوحدة معتقداً أنه سيسيطر على الاتحاد القومى ، فقد تعرض لتفتيت تدريجى من قبل عبد الناصر الذى وجد أن فى استطاعته الاستغناء

Rodinson, Maxime : Israel at la refus Arabe, op. (١)

cit, p. 70.

Ibid pp. 70-71.

نظراً

(٢)

عن خدمات حزب البعث وفي نفس الوقت كان الشيوعيون والمخافظون الذين ازداد تمردهم أما الأضرار التي ألحقها عبد الناصر بمصالحهم الاقتصادية وغيرها ، قد اعتبروا حرب البعث مسئولاً عن تحقيق هذه الوحدة ، وقد أثر عبد الناصر أن يمنح السلطة والتأييد إلى أحد السوريين وهو السراج وزير الداخلية الإقليمية آنئذ الذي تشدد تجاه المعارضين للوحدة ، و« ملأ السجون بهم (١) ومارس إزاءهم عمليات التعذيب على نطاق واسع » .

وقد قضى سقوط نوري السعيد على خطر ضم سوريا إلى العراق وكان هذا أحد الأخطار التي دفعت بالسوريين نحو مصر .

وهكذا ، فإن الشيوعيين وجزءاً متزايداً من فئات الرأي العام في سوريا أنقلبوا ضد عبد الناصر ووصفوه بالاستبداد وبسياسة الخارجية السائرة في فلك تيتو والتي لا تنفق بما فيه الكفاية وسياسة الاتحاد السوفيتي ، وهو ما أدى إلى مزيد من الغضب من جانب عبد الناصر وإلى مزيد من التشدد وانعكس ذلك على إلقاء القبض على مجموعة هامة من الشيوعيين المصريين في بداية شهر يناير من عام ١٩٥٩ الأمر الذي زاد من أفساد العلاقات السوفيتية المصرية .

وقد أدى ذلك بالتالي إلى أن أعرب خروشوف في ١٦ من مارس ١٩٥٩ عن رأيه في أن نظام الحكم العراقي يعتبر أكثر تقدمية من نظام الحكم المصري وبدأت في نفس الوقت الحرب الباردة بين مصر والعراق وأنهالت الشتائم في الأذاعة .

وفي شهر مارس سنة ١٩٥٩ تفجرت ثورة مؤيدة لعبد الناصر في الموصل غير أن عبد الكريم قاسم تمكن من سحقها بمساعدة الشيوعيين المحليين

Rodinson, Maxime : Israil et la sefus Arabe, op. (١)
cit, p. 71.

والأكراد ، ومن جهة أخرى اتحد كل الأكراد الشيوعيون في كركوك ضد فريق الرجعيين منهم في يوليو سنة ١٩٥٩ وقد راح عبد الكريم قاسم للتصاء على التطرف مع احتفاظه في نفس الوقت بمساندة اليسار ويتأيد جزء من بعض فئات الرأي العام العراقي آنئذ - غير أن الناصريين قد نددوا بالأرهاب الأحمر في العراق وبالرفض العراقي للوحدة ، ونظراً لأن عبد الناصر كان يلتجئ إلى كل وسيلة فقد أبدى مظاهر واضحة من التقوى الإسلامية - على حد رأى أحد الباحثين - ثم هاجم الشيوعية الملمحة التي يتولى عبد الكريم قاسم تسليم العراق إليها ، وقد أدى هذا إلى مصالحة عبد الناصر للدول العربية ومنها الأردن والسعودية وتحسين علاقاته مع الولايات المتحدة والدول الغربية في مواجهة الاتحاد السوفيتي الذي أصبح يكنه العداء وهكذا استؤنف تقديم المعونة الأمريكية لمصر ،

ورغم العنف الشفوي المتبادل بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي ، فإن العلاقات لم تقطع مع السوفيت ، وحاول عبد الناصر الإبقاء على علاقات مقبولة مع الكتلتين ذلك أن العلاقات الاقتصادية التي أصبحت وثيقة مع الدول الاشتراكية كان من الصعب استبدالها أو أنهاؤها ، ومن ناحية أخرى فقد ساهم العرب أيضاً في الجهود الاقتصادية المصرية ، أما في الداخل فلم يبد رأس المال الوطني المصري إلا باستعداداً قليلاً للاستثمار في المجالات المختلفة بسبب القلق الذي لانتاب أصحاب رؤس الأموال من جراء سلسلة التأميم التي كان عبد الناصر قد أتبعها مع الشركات الإنجليزية والفرنسية واليهودية في مصر عقب العدوان الثلاثي .

وبصفة عامة فإن دور الدولة قد تزايد كثيراً على حساب القطاع الخاص حين روى أن يتم البناء الاقتصادي تحت إشراف الدولة ، وهنا تمتعت فئة العسكريين المصريين بالسلطة شبه الكاملة وبمزايا هامة ؛ وأصبحت مهمته على التجارة الخارجية .

وفي شهر يونيو من عام ١٩٦١ اتخذت خطوة جديدة : فقد تم تأمين
: تجارة القطن والبنوك وشركات التأمين فضلا عن ٤٤ شركة تعمل في مجال
الصناعات الأساسية ، وقد تم التركيز على التعويضات الممنوحة مقابل
الممتلكات المصادرة وعلى حق الملكية الخاصة الذي لا يمكن التعرض له
وعلى الطابع المتسامح لنظام الحكم نحو حقوق المواطنين وعلى الولاء نحو
الإسلام وقيمة الإنسان في حين كان يجري تعذيب المعارضين .

وفيما يخص السياسة الخارجية المصرية ، وعلى الأخص التقارب
المصري الأمريكي ومع الدول العربية «الرجعية» : فقد أدى هذا إلى إثارة
بعض القلق مع المتعاطفين مع مصر في الخارج وازداد فتور البعثين تجاه
مصر ، والأدهى من ذلك أن عهد الكرم قاسم أعلن في نهاية يونيو سنة
١٩٦١ عن مطالبه الخاصة بإمارة الكويت العربية التي كانت قد حصلت
على استقلالها منذ ستة أيام فقط بموجب معاهدة مبرمة مع بريطانيا ، وقد
دفع العداء الذي يكنه عبد الناصر لعبد الكريم قاسم إلى الدفاع عن استقلال
العاهل الكويتي بالإتفاق مع الأردن والمملكة العربية السعودية ، وحتى مع
بريطانيا التي أرسلت قوات لحماية مصالح أمير البترول الكويتي المرتبطة
بالمصالح البريطانية ولم يسفر استبدال القوات البريطانية بأخرى مشتركة من
الجنود السعوديين والمصريين والأردنيين إلا عن تحسن طفيف .

أما عن رد الفعل لإعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، في الأردن ،
فقد تكتلت الاتجاهات القومية والوحدوية داخل الأردن بالرغم من أن
الملك حسين كان قد ضرب حركة المعارضة الوطنية مدعوماً بالنفوذ
الأمريكي الذي كان نتيجة ضغطه على الملك سعود في مؤتمر جدة الذي
انعقد آنئذ وحضرته وفود سورية ومصرية وسعودية ، وكان من نتيجة
سحب القوات السورية الموجودة في شمال الأردن . ومن هنا
سعت القيادات الوطنية الأردنية والفلسطينية منها خاصة إلى الحفاظ على
ديموقراطية الحكم ، غير أن الملك حسين قد تمكن - تحت مظلة الدعم
(م ٣٠ - فلسطين)

الأمريكي من أحكام قبضته على الجيش وتوجيهه لضرب حركة
المعارضة الوطنية ،

ويصور جيمس موريس في كتابه « الملوك الهاشميون » تلك الفترة
يقوله :

« وهكذا انقضت الشهور وسار الأردن في طريقه ، والمعارضة مكبوتة
ومضطهدة لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، والحكم قوى وعنيف ، وعندما
خطا الأمريكيون ليحلوا محل الإنجليز فتحوا صناديقهم وبدأ نفوذهم
يظهر في عمان ووصلت الأسلحة الأمريكية إلى الجيش وأنهارت المنح
والقروض ، وفي كل مرة يشعر حسين بالضييق يقترب الاسطول السادس
من سواحل الشرق مهدداً » (١) .

وقد ظهرت في تلك الاثناء داخل الجيش الأردني منشورات تحمل
توقيع الجنود الاحرار في الجيش الاردني ، ووزعت على نطاق واسع بين
الوحدات العسكرية ومعسكرات التدريب تحت الجنود : -

« على الالتحام مع الشعب لإنقاذ الوطن من الحكم الظالم والوقوف في
وجه محاولات جعل الجيش مجموعة من الحراس ، للخونة والمأجورين ، وأداة
لضرب الشعب وقمع الشعور الوطني في البلاد »

وأعلنت السلطات الاردنية من جانبها أنها أحبطت محاولة [انقلابية -
يتزعمها أحمد الضباط الندين هم من أصل فلسطيني (٢) - كانت تستهدف

(١) جيمس موريس ، الملوك الهاشميون ، للترجمة العربية ص ٣٤٦ .

(٢) وهو محمود الروساف ، وكان برتبة رئيس في حرب فلسطين ، وقد أهدى إلى واشنطن
بين عامي ٥٣ : ١٩٥٦ ولكنه عاد إلى الأردن عقب طرد جلوب ثم اختلف مع علي أبو نوار
وشكل جنداً معارضاً ثم أقصى عن الجيش في عام ١٩٥٦ وقد أيد الثورة الفلسطينية في مناسبات
عديدة وآخرها حوادث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ فأسقطت عنه عضويته النيابية ، راجع ، عباس
مراد ، الدور السياسي الجيش الأردني : مرجع سابق ص ص ١٠٠-١٠١ .

في نفس اليوم مع ثورة العراق وأقيمت السلطات الاردنية القبض على عدد من العسكريين .

وقد بقي البريطانيون في الاردن حتى أكتوبر ١٩٥٨ ولم يغادروها إلا بعد أن حصل الملك حسين على ضمانات أمريكية جديدة بالمحافظة على النظام وأصدر مجلس الأمن قراراً ينص على احترام الدول العربية المجاورة للأردن وسيادته واستقلاله وأوفدت الولايات المتحدة بعثة عسكرية تتألف من تسعة ضباط برئاسة الجنرال ريتشارد ديسين للوقوف على احتياجات الأردن المالية والعسكرية وتعهدت الحكومة الأمريكية بدفع مبلغ ٤٠ مليون دولار سنوياً للأردن لتعويضه عن المساعدة التي أوقفها البريطانيون بعد إلغاء المعاهدة (١) .

وتحت تأثير الاعتبارات المحلية والعربية وكرد فعل للوحدة بين مصر وسوريا قامت محاولتان انقلابيتان جديدتان في الأردن أحدهما في مارس ١٩٥٩ والأخرى في شهر أغسطس ١٩٦٠ بهدف إسقاط الملك ، إلا أن ذلك حاء في وقت تعاني منه الحركة الجماهيرية في الأردن من الحصار الشديد .

ولقد حركت التيارات الوحدوية والناصرية مجموعات من فئات الرأي العام الأردني والفلسطيني ودفعت حالة المد الوطني الظاهر في المنطقة العربية وبقيت تلك المجموعات بامتداداتها الشعبية واعتمادها إلى حد بعيد على التأييد السياسي للدول العربية المتحررة بقيادة عبد الناصر وتأثرت بالتالي لما تخضع له الأوضاع العربية من تأثيرات ومواقف .

غير أن الملك حسين تمكن من بعثرة هذه المجموعات والسيطرة عليها تماماً ولم تفلح محاولات الانقلابات المتكررة ، وارتدت حركة المعارضة الوطنية

(١) الأهرام في ١٦/٩/١٩٥٨ .

لتعبر عن نفسها في حالات القهر بعمليات الإغتيال السياسى وعمليات التخريب مثل مقتل هزاع المجالى عام ١٩٦٠ ومحاولة قتل الملك حسين عام ١٩٦١ ولم تكن تلك الحوادث تعكس شكلا محددا للنضال الوطنى بل اتخذت شكل العمليات الخاصة وشارك فيها عدد من المدنيين والعسكريين على السواء ، واتهمت الحكومة الأردنية بالجمهورية العربية المتحدة بتدبيرها بحشد بعض وحدات الجيش على الحدود السورية بينما شنت عمليات انتقامية بإلقاء عدد من المتفجرات فى الاراضى السورية واللبنانية عن طريق ملحقها العسكرى آنذاك والذي أبعد عن لبنان بعد أن افترض طريقه (١) .

وفى سوريا أدى انسحاب حزب البعث من تأييده لعبد الناصر من ناحية وأحداث الاستيلاء (٢) المصرى فى دمشق من ناحية أخرى فضلا عن الوصاية المصرية على سوريا (٣) - طبقا لآراء فريق من الباحثين - وأنفراد سوريا بدعم الاقتصاد المصرى إلى إشعال النيران فى البارود فأقيل عبد الحميد السراج من مهامه فى سوريا ليتولى إحدى الوظائف الفخرية فى مصر بعيدا عن أى سلطة ، وأدى الغضب العام بين السوريين إلى إنقلاب عسكرى فى دمشق حيث ألقى بعض الضباط القبض على عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية آنذاك يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ وإعانوه إلى مصر ثم أعانوا انفصال سوريا التى أنسلخت عن الجمهورية العربية المتحدة التى ماتت بدورها ولم يبق منها غير الاسم فقط وقد ظلت مصر تحلى نفسها به .

وهكذا تفجرت نواة الوحدة العربية ؛ وقد أبدى عبد الناصر من الحكمة ما جعله يتغاضى عن الرد بارسال قوات تعيد فتح سوريا غير أنه شعر

(١) وهو غازى الخطيب ويرجع فى تفصيل ذلك إلى ،

الأهرام = القاهرة بتاريخ ١٩٦٠/٩/٤ ، ١٩٦٠/٩/٨ ، ١٩٦٠/١١/٢٢ .

Rodinson, op. cit, pp. 72-73.

(٢) ، (٣)

Aleum op. eit, pp. 395-396.

باضطرار عميق وأجرى مراجعة أليمة لسياسته في كافة المجالات وقد أعرب عن كل هذا في سلسلة من الخطب (١) التي نقد فيها نفسه خلال الثلاثة شهور الأخيرة من عام ١٩٦١ .

وقد أعترف عبد الناصر بأن المصريين قد ارتكبوا بعض الأخطاء حكم سوريا ولكنه كان يرى أن الانفصال السوري ينطوي على خيانة « السوريين للمثل الأعلى للأمة العربية المتحدة والحرية ، فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة المخالفة للطبيعة ؟ » .

وقد اعتبر عبد الناصر أن الانفصال السوري نتج أساسا عن رد فعل أصحاب الامتيازات السوريين ضد الطابع الاشتراكي لنظام الحكم الذي زادت من حدته موجة التأميمات وأضاف عبد الناصر قائلا .

« لقد فكرت كثيرا ، واخترت ؛ اخترت أن أوصل الثورة التي بدأت منذ تسعة أعوام في المجالات السياسية والاقتصادية مهما كان الثمن . . . لقد بالغنا في تقدير قوتنا وإمكاناتنا وأسأنا تقدير قوة وإمكانات الرجعية . وبهذا تحالفنا مع الرجعيين ولم نوجه ضرباتنا كما ينبغي . . . كما أننا منينا بفشل ذريع في التنظيم الشعبي عندما فتحنا أبواب المؤتمر القومي أمام القوى الرجعية ولم نبذل الجهود الكافية لتوعية الجماهير . . » .

وقد اتجه عبد الناصر إلى محاولة تعبئة الرأي العام العربي ؛ ومن ذا الذي يستطيع تعبئة الجماهير أن لم تكن لديه مئات الآلاف من الكوادر الصغيرة المحلصة والقادرة على تقديم أكبر التضحيات حتى تشجع ملايين الفلاحين الذين ظلوا منذ عهد الفراعنة في حالة تشكك أمام قادتهم حيث بدأ هؤلاء الفلاحون يدركون أنهم قد خدعوا فالوظفون العسكريين الذين لديهم استعداد بصفة خاصة للاستفادة إلى أقصى درجة من مناصبهم فضلا

(١) يرجع في تفصيل ذلك إلى مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر - القسم الثاني - القاهرة - مصلحة الاستعلامات - بدون تاريخ إصدار .

عن أن هؤلاء العسكريين لم يمارسوا أى عمل ما قبل التحاقهم بالجيش ولا يحملون مؤهلا جامعا في الغالب ومع ذلك فهم لا يشبهون قط هذه الكوادر المخلصة حتى الموت التي تعرف كيف تجتذب الجماهير الصينية والفلسينية والتي ضمنت فيما مضى النجاح النسبي للتنمية السوفيتية (١) .

ولهذا رأى عبد الناصر أنه من الضروري ضمان ظهور كوادر نابعة مباشرة من الجماهير المتألمة وكان من الضروري أيضا الهاب حماس هذه الجماهير بأن تفتح أمامها أفقا جديدة خلاف الاستقلال الخارجى الذى أصبح مضمونا وذلك بأن يقدم لها وعد بخوض معركة لا هوادة فيها ضد الامتيازات والخاصلين عليها وأنه ينبغي إعطاء الجماهير وعدا بالمساواة والحرية . (٢) .

وهكذا تضاعفت حالات التأميم عقب الانفصال كما أنهالت موجة من الاعتقالات والمصادرة على أعضاء الطبقات المالكة القديمة وقام عبد الناصر بتنظيم انتخابات مؤتمر قومي للقوى الشعبية حيث يكاد العمال والفلاحون يشكلون الأغلبية وصدر إعلان دستوري يوم ٢٧ سبتمبر عام ١٩٦٢ ينص - نظريا - على تكوين إدارة جماعية .

وعاد عبد الناصر إلى التزم إلى الإيديولوجى فى مواجهة الدول العربية فقطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن وندد بنظام الحكم السعوى ورفض الاعتراف بنظام الحكم السورى الجديد كما أنه حطم الاتحاد الكونفدرالى مع اليمن ، وقد أقرن الابتعاد الفعلى لمصر عن الشؤون العربية آنذاك بتأكيدات مدوية عن الوحدة العربية الثورية وعلى انتشدد تجاه قوى الامبريالية المتحالفة ومن بينها الصهيونية التي تحتل مكانا مرموقا (٣) .

(١) راجع: دكتور سعد الدين ابراهيم: فى سوسيولوجية الصراع العربى الإسرائيلى. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ص ٧٥-٨٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) راجع: السيد باسين: الشخصية العربية بن المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى القاهرة . مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٤ ص ٤٧ - ٥٢ .

وفي شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ انتصرت الموجة الثورية بدرجة غير متوقعة في اليمن المتخلفة، وأعلن قيام الجمهورية غير أن الملكيين عادوا إلى التجمع خلف الإمام البدر الذي تسانده المملكة السعودية، كما أن الولايات المتحدة لم تعترف بالجمهورية،

وفي شهر أكتوبر أرسل عبد الناصر قوات مصرية لنجدة الجمهورية المهتدة وأصبح بطل العروبة أكثر من أى وقت مضى.

وكان عبد الكريم قاسم قد اعترف أيضا بالجمهورية اليمنية، غير أنه لم يستطيع أن يفعل أكثر من هذا نظرا لتورطة في صعاب معقدة في العراق فهو كما يحلله الباحثون شخص غريب الأطوار ومعتوه حاول انتهاج سياسة توازن بين مختلف مجوعات الضغط العراقية وبين القوى الدولية ولكنه لم ينجح إلا في إثارة التشكك تجاهه بين الجميع فان موجة المطالب الشعبية التي أطلق لها عبد الكريم قاسم العنان في بداية حكمه والمظاهرات والاستيلاء عنوة على الأراضي الزراعية والمبالغات التي مارسها الجماهير الثائرة فضلا عن التنافس بين الطوائف العنصرية والدينية الذي لعب هو الآخر دورا كبيرا والجلسات الممداعة في التليفزيون لحكمة الثورة كلها أمور جعلت عبد الناصر يطلق على عبد الكريم قاسم بأنه قاسم العراق والواقع أن عبد الكريم قاسم لم ينجح في « إيجاد دولة مستقرة ذات جهاز تنظيمي يعمل على التوفيق السلمي والدائم بين مختلف المصالح والأمانى والانتجاهات وقد ساعد عبد الناصر هو الآخر الاتجاهات الوحشية وإيديولوجية القومية العربية الوحشية مستغلا السلاح التكتيكي المتمثل في الأعراب عن الغضب أمام أنعدام المظاهر الإسلامية وجوهرها في العراق واتجاه قاسم إلى الانفصال وكان إسم قاسم هو الآخر يساعد على معنى بث الفرقة وقد استغله عبد الناصر ووصفه بأنه قاسم العراق في خطابه (١).

أما الجيش العراقي الذي اتحد حول فكرة الإيديولوجية القومية الوحدية والذي سُم من كثرة رجوع عبد الكريم قاسم عن قوله ، فقد اتحد مع حزب البعث حتى يجد تحت تصرفه حزبا منظما قادرا على التأثير على الرأي العام العراقي .

وفي ٨ من فبراير عام ١٩٦٣ تم أنقلاب عسكري عرف تحت اسم أنقلاب الرابع عشر من رمضان وقد أطاح هذا الأنقلاب بعبد الكريم قاسم الذي صرع وانتقل الحكم بالتالي إلى أحلاف عبد الناصر من البعثيين وتمتع الآخرون في بادئ الأمر بمركز القوة ، واغتبطت جميع القوى المحافظة في العراق لزوال خطر الانزلاق نحو الشيوعية ، ثم قام البعثيون بالحدود بتكوين ميليشيا طاردت الشيوعيين والمتعاطفين مع الشيوعية فقتلت نحو خمسة آلاف فرد ، وهكذا جرت تصفية حسابات دامية أشبعت خلالها الاحقاد المتركمة منذ سنوات وانعكست أيضا ضد الناصرين الذين تم القضاء عليهم بواسطة البعثيين المتمتعين بمركز القوة الذي قاموا أيضا بتدعيم المعركة ضد الأكراد مما أدى إلى اتسام الحرب بالضراوة ،

وفي ٨ مارس من عام ١٩٦٣ - أي بعد مرور شهر من الأنقلاب العراقي - قام العسكريون السوريون في دمشق بأنقلاب عسكري آخر قضى على نظام الحكم البرلماني المترددة الذي أقيم في أعقاب الانفصال وأتى بالبعثيين إلى السلطة كما هو الحال في بغداد .

وهكذا كان العالم العربي في الشرق في ربيع عام ١٩٦٣ خاضعا لتظامين يعلن كل منهما أنه يؤيد الاشتراكية ويعتقدان مبادئ القومية العربية الوحدية ، وهما : حزب البعث في العراق وسوريا ، والناصرية في

مصر وبدأت مفاوضات بينهما في القاهرة خلال شهرى مارس وإبريل عام ١٩٦٣ لأرساء قواعد الوحدة .

غير أن الطرفين اللذين لدغا من تجربة الوحدة المصرية السورية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ ، كانا يشهران بتشكك متبادل في الحالتين وألقى كل منهما مسؤولية فشل الوحدة على الآخر ، وكان البعث يرمى إلى أن يستغل لصالحه هيبة عبد الناصر دون التخلي عن شئ من سلطته .

أما عبد الناصر فلم يكن مستعداً لقبول الوحدة إلا بشرط ضمان سيادة الصيغ والحلول المصرية ، وهكذا فضت الاجتماعات بعد الاتفاق على تأجيل الحل .

وقد توترت العلاقات بين البعثيين والناصريين إلى أقصى حد بسبب المناورات البعثية للاحتفاظ بالسيطرة على المسرح السياسى والسورى خلافاً لما ورد في اتفاقيات القاهرة وذلك بتطهير الجيش من الضباط الناصريين ثم بالقمع الدموى فى ١٨ يوليو ١٩٦٣ بمحاولة انقلاب ناصرى فى دمشق وبدأ عبد الناصر فى التنديد « بفاشستية » البعث واتهمه بالافتقار إلى الإصلاحات الاجتماعية بالقياس إلى ميثاق العمل الوطنى الذى كان قد صدر فى مصر .

وكانت المذابح التى قام بها البعث العراقى ضد الشيوعيين قد جعلت من المؤلف أن يوصم هذا الحزب على هذا النحو ، مما جعل الحزب يتولى الحكم خلف ستار رئيس غير بعثى هو اللواء عبد السلام عارف الذى تخلص هو الآخر من البعث فى انقلاب قام به فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ وتقرّب بذلك من القاهرة ، ذلك أنه كان شخصاً متديناً ومن أنصار التمسك بالتقاليد ومن المعجبين والمتحمسين لعبد الناصر .

إن العالم العربي لم يكن قط في أى يوم مقسماً كما كان في أواخر عام ١٩٦٣ فقد كانت سوريا في حالة حرب باردة مع كل من مصر والعراق، وفي حالة سلام فاتر مع لبنان، وقام عداء بين سوريا وكل من الأردن والمغرب .

أما مصر والسعودية فقد تحاربتا عسكرياً في اليمن حيث ساعد كل منهما بصورة مستترة أو صريحة أحد أطراف الحرب الأهلية هناك ، وحتى بعيداً عن الشرق الأوسط نفسه كانت الجزائر في خلاف مع المغرب حول الحدود (الأمر الذى استتبع تحركات عسكرية) ومع تونس التى اختلفت مع المغرب أيضاً بسبب موريتانيا ولكن إسرائيل تحركت فقامت الوحدة (١) ، وهكذا ، بعد انقضاء أقل من ثمانية أعوام على العدوان الثلاثى بدأت المشكلة الفلسطينية وكأنها فقدت جانباً من حدتها وانقشعت أسباب القلق وأصبحت الحروب الباردة والمقاطعة والمؤتمرات الدولية كلها ، رغم ما فيها من طابع الحدة والمعاناة، غير مصحوبة بمظاهر العنف . وقل عدد حوادث الحدود واقتصرت هذه الحوادث على الحدود التى تفصل بين إسرائيل وسوريا .

غير أن هذه الأوضاع قد تغيرت وازدادت خطورة ابتداء من عام ١٩٦٣ بسبب النزاع حول تقسيم مياه نهر الأردن وأصبحت المشكلة الفلسطينية في ذلك الوقت متبلورة حول هذا الموضوع .

إسرائيل في الداخل والخارج ١٩٥٧ - ١٩٦٣ :

من الثابت أنه لم يكن هناك أى عربى قد رضى خلال هذه الفترة عن الانتزاع العنيف لجزء من الأرض العربية وعن الجرح الذى لم يندمل بعد والمتمثل في مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، غير أنه قد تم تأجيل العمل في هذا المجال إلى ما بعد . . . إلى أجل اعتبر بعيداً بالرغم من الأمل الذى كان يراود

(١) جانيس نيرى : « سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية » في : إبراهيم أبو لغد (محرر) . تهويد فلسطين ص ص ٣٥٥ - ٣٧٠ .

فئات من الرأى العام العربى فى أن يحدث هذا تقريباً ، فى حين أن قطاعات أخرى عمدت بخلافاً لذلك إلى إرجائه إلى أبعد ما يمكن فى المستقبل حتى أن الأمل قد راود هذه القطاعات من الرأى العام العربى فى إمكانية وقوع أحداث لا يمكن توقعها ويكون من شأنها أن تؤدى فى يوم ما إلى حل غير أليم للمشكلة ، فى حين رى البعض إلى ترك مجتمعاتهم العربية تستسلم إلى قدر كبير من التبعية للخارج وهى تبعية مريحة .

وفى إسرائيل تسببت القوة التى ألحقت الهزيمة بالعرب فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ إلى احتقار حقوق الشعب الفلسطينى (١) بالرغم من استمرار العرب بالمطالبة بهذه الحقوق بتصريحات شفوية متفاوتة الحماس ومصطنعة بشتى ألوان البلاغة العربية والتصريحات التى تنبض بأعنف الأهواء الأيديولوجية ،

وكان الفلسطينيون وهم أكثر الأطراف تمسكاً واهتماماً بهذه الحقوق فقد تلقوا حلولاً بديلة ، غير أن متاراً من القوات الدولية للأمم المتحدة حال على نحو ملائم للغاية دون وقوع أى حادث مع مصر إذ أن حماية من هذه القوات كانت تتيح لحركة الملاحة البحرية من إسرائيل ولإليها المرور دون تعقيد عبر مضيق تيران المصرى ، الأمر الذى أزاح عن مصر مسئولية السماح بهذا المرور (٢) .

وظلت الحوادث ممكنة — ومتكررة على حدود إسرائيل مع الأردن وسوريا حيث كانت مسألة المناطق المنزوعة السلاح مصدراً دائماً للصدامات مع لبنان الذى يدعو ضعفه العسكرى وطابعه التجارى المسالم إلى التهدئة ، غير أن هذه الحوادث بقيت محدودة وأقل خطورة مما كانت عليه فى الفترة السابقة .

(١) راجع: أسعد رزوق ، فى المجتمع الإسرائيلى ، القاهرة: جامعة الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧١ ص ١٤ - ١٧ .
(٢) راجع: هنرى كتن: فلسطين فى ضوء الحق والعدل . ترجمة وديع فلسطين : بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٠ .

وفى نفس الوقت شعرت إسرائيل بأنها معرضة لتهديد أقل ، فأمكن لقادتها أن يفكروا فى وضع خطط طويلة الأجل للسياسة الخارجية كما أعطى الرأى العام الإسرائيلى أهمية أكبر للمشاكل الداخلية كما يحدث فى أى بلد ينعم بسلام نسبي .

وكان بن جوريون لا يؤمن إلا بالقوة (١) وقد ظل محتفظا بالحكم وكان يرمى إلى تدعيم إسرائيل بالحصول على مساندة الأقوياء فتمادى إلى أقصى درجة تقربه من أمريكا ولكنه أقترب أيضا من بريطانيا وألمانيا الاتحادية ، كما أبقى على التحالف مع فرنسا ، فرغم تغيير نظام الحكم فى فرنسا فيما عرف بثورة الجنرالات ووصول الجنرال ديغول إلى الحكم فإن شمعون بيريس قد وصل فى أشهر التالى مباشرة من حكم ديغول — أى فى يونيو ١٩٥٨ — إلى فرنسا حيث شرح بلخى موليه — الذى كان مازال رئيسا للوزارة الفرنسية — مطالب إسرائيل من الأسلحة الحديدية مؤكدا أهمية الوجود الإسرائيلى لاستقرار السلام فى المنطقة قائلا :

« أن الدولة الوحيدة الموجودة وسط البركان السياسى فى الشرق الأوسط ، التى تعمل من أجل الاستقرار هى إسرائيل ، . وأنه خلال السنوات القليلة القادمة سوف يتضاعف عدد سكانها ويصل إلى أربعة ملايين نسمة فى عالم التكنولوجيا الذى نعيش فيه ، وهى بذلك سوف تشكل قوة لا يستهان بها فى المنطقة .

وفى عام ١٩٦٠ حدث توتر شديد بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة أشد نتيجة للنزاع حول المناطق المنزوعة السلاح على الحدود مع

(١) Patal Raphael : Israel Between East and West,
Jewish publication society of Amarica : pp. 97-98.

سوريا وأدى إلى حشد القوات المصرية في سيناء بعد أن هاجمت إسرائيل بادة التوافق السورية وأنعكس هذا التوتر على النشاط الخارجى الإسرائيلى حيث شاهد هذا العام نشاطا سياسيا واسع النطاق فزار بن جوريون فرنسا في يونيو ١٩٦٠ مشاركا في الجهود الرامية إلى أبرام صفقة الطائرات « ميراج » الجديدة .

وفي صيف عام ١٩٦١ عاد بن جوريون إلى فرنسا عقب زيارته للولايات المتحدة واتفاقا مع الرئيس كينيدي على صفقة صواريخ « هوك » المضادة للطائرات وفي ذلك الوقت بدأت إسرائيل تشعر باحتمالات تحول السياسة الفرنسية في عهد ديغول بعد أن اختفى معظم أصدقاء إسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا في مؤامرة التواطؤ الثلاثى ضد مصر من مسرح السياسة الفرنسية ومنذ ذلك الوقت ركزت الجهود السياسية لإسرائيل على كل من ألمانيا الغربية والولايات المتحدة ولم يكن ذلك يعنى استغناء إسرائيل عن فرنسا بل ظلت فرنسا هى الصديق الذى أمدها بأكبر قدر من الأسلحة .

أما فيما يخص علاقة إسرائيل بألمانيا الغربية فقد بدأ الفصل الأول من قصة المساعدات العسكرية الألمانية في يونيو ١٩٥٧ ، وفى هذا التاريخ قرر بن جوريون أيفاد شمعون بيريس إلى ألمانيا الغربية لبحث إمكان الحصول منها على السلاح وقد استطاع بيريس أن يحقق نجاحا مبدئيا مع فرانس جوزيف شتراوس وزير الدفاع فى حكومة بون وقتئذ .

وفى شهر مارس عام ١٩٦٠ ذهب بن جوريون إلى الولايات المتحدة فى زيارة مدبرة غير رسمية للاستعانة بالولايات المتحدة للضغط على ألمانيا الغربية حتى تقبل تزويد إسرائيل بالسلاح ، ولما عاد بن جوريون إلى

لإسرائيل عرض الأمر على الكنيست وأمكنه أن يحصل على موافقته بشأن عقد صفقة الأسلحة مع ألمانيا الغربية (١). وقد بدأت المفاوضات المطولة حول عقد اتفاقية كاملة « لبرنامج المساعدات العسكرية بين ألمانيا الغربية وإسرائيل » في أوائل عام ١٩٦٢ ، وفي حديثه مع أديناور أشار شيمون بيريس - الذى كان قد تمكن أثناء زيارته للولايات المتحدة من أن يحصل على موافقة الرئيس كينيدي على الصفقة مع ألمانيا الغربية ثم عاد إلى ألمانيا الغربية - وأشار بيريس إلى :

« قوة الردع للجيش الإسرائيلى الآخذة فى الانقراض ، وعدم إمكان منع نشوب حرب فى المستقبل ، كما أكد أن النزاع بين إسرائيل والعرب ليس نزاعاً محلياً بل هو نزاع يرتبط بالصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية وبما أن ميزان التسليح أخذ يميل ويرجح لصالح العرب ، لذلك فإنه من الضروري سرعة تزويد إسرائيل بالأسلحة الفعالة حين لا يتعرض السلام فى المنطقة للخطر ، . إذ أن ما يحدث فى الشرق الأوسط يهدد الغرب كله ، كما أن تقوية إسرائيل تعد من مصالح الغرب الحيوية »

وفى ديسمبر ١٩٦٢ صدقت إحدى لجان برلمان ألمانيا الغربية على صفقة الأسلحة مع إسرائيل .

لما علاقات إسرائيل من حيث التسليح مع الولايات المتحدة الأمريكية فترجع إلى عام ١٩٥٨ حيث بدأت المساعي الإسرائيلية الجادة فى هذا الاتجاه فى أعقاب فشل « مبدأ أيزنهاور » بعد أن رفضته الدول العربية ، وبعد إخفاق التدخل العسكرى الأمريكى والبريطانى فى لبنان والأردن . ولم يفت إسرائيل أن تنهز هذه الفرصة ، وقد أدركت أن فشل المحاولات الاستعمارية فى قلب الأوضاع بالعالم العربى . قد يؤدى إلى أحداث تغير أساسى فى

(١) Badt, Joseph, The Government of Israel, New York
Twayne publishers, 1965 p. 213.

سياسة الولايات المتحدة ذاتها، وهكذا أنتظرت اللحظة المناسبة لتلعب دورها، ففى أعقاب الأزمة التى نشبت فى أوائل عام ١٩٦٠ بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية - ذهب بن جوريون إلى الولايات المتحدة فى مارس ١٩٦٠ ، حيث عقد الإتفاق المعروف مع أديناور ، كما قابل الرئيس ايزنهاور ، وقد أشار الكتاب السنوى لحكومة إسرائيل عام ١٩٦١/٦٠ إلى مدى الدعم الأمريكى لإسرائيل فى عبارة جاء فيها :

« أن الولايات المتحدة تؤكد فى بيانها من جديد موقفها من إسرائيل، وتنوه بأن وجود إسرائيل وإزدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الأمريكية ، كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة إسرائيل تدعيم سياساتها وضمها مستقبليها السياسى . وهى مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين (١) » .

وفى نوفمبر عام ١٩٦٠ بدأ عهد جون كينيدي كرئيس للولايات المتحدة والواقع أن السياسة الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط لم تتبدل بعد انتخابه رئيسا للدولة . إذ استمرت فى سياسة تسليحها لإسرائيل والقائمة على الامتناع عن الدخول فى هذا الميدان بشكل سافر ، أكتفاء بتولى الدول الغربية الأخرى (غرنا وألمانيا الغربية وبريطانيا) بتزويد إسرائيل بكل ما تحتاجه من سلاح ، واقتصر دور الولايات المتحدة على الموازنة السياسية فى تأييد هذا الدعم العسكرى وأغراق المعونات المالية على إسرائيل ، غير أن الأطماع الإسرائيلية لم تقنع بهذا القدر فعاد بن جوريون إلى الولايات المتحدة فى مايو ١٩٦١ يجدد طلب السلاح مرة أخرى .

وفي مايو ١٩٦٢ ذهب شمعون بيريس إلى الولايات المتحدة لبدء حملة مركزية تهدف إلى الحصول على موافقتها على مد إسرائيل بالسلاح ، وظل يقنع أكبر عدد من المسؤولين الأمريكيين بوجهه نظر إسرائيل .

وبالرغم من عدم توافر أية نوايا عربية عدوانية ضد إسرائيل في هذه الفترة إلا أن بيريس راح يصور إسرائيل بالدولة الضعيفة التي تخشى الاعتماد عليها بينهما إسرائيل في واقع الأمر كانت منذ ذلك الحين تستعد لشن عدوان شامل ضد الدول العربية المجاورة .

وقد أسفرت زيارة بيريس على نتيجتين ، إذ حصل على موافقة الولايات المتحدة على صفقة الأسلحة الكبيرة مع ألمانيا الغربية كما حصل على موافقتها على إمداد إسرائيل بصواريخ هوك المضادة للطائرات ، وتعتبر هذه الاتفاقية - رغم اقتصرها على هذا السلاح الدفاعي - نقطة تحول هامة في سياسة الولايات المتحدة نحو إسرائيل . فبالأول مرة تخرج الولايات المتحدة من خلف الستار ، وترسل الأسلحة إلى إسرائيل مباشرة ، وقد علقت جريدة نيويورك هيرالد تريبيون الأمريكية في سبتمبر ١٩٦٢ على هذه الصفقة بقولها :

« أن الحكومة الأمريكية مهتمة بأن تشغل إسرائيل مركزا دفاعيا ضد جيرانها ذوي النوايا العدوانية (١) ،

وقد استمرت سياسة الولايات المتحدة دون تغيير يذكر حتى نهاية عهد كينيدي ووصول جونسون إلى قمة السلطة في الولايات المتحدة .

(١) صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » عدد ٣٩ سبتمبر ١٩٦٢ .

ويرجع في تفضيل علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل إلى ،

Safran Nadav. The United states and Israel» Gambridge
Harvard University Press pp. 166-341.

وهكذا ظلت خطط بن جوريون عالمية النطاق ، فهو لا يؤمن إلا بالقوة ويسعى دائماً إلى الحصول على مساندة الأقوياء (١) ، ومن هنا فإن مساندة الدول الكبرى كانت دائماً أمراً أساسياً بالنسبة لبن جوريون حيث من الأهمية بمكان الحصول على مساندات تتماشى والقواعد الأزلية للسياسة بمعنى أنها مساندات مشروطة ، ومن هنا أيضاً نبعت جهود بن جوريون من أجل التوصل إلى اتفاق غير مكتوب ولكنه متين مع تركيا من جهة وهي موالية لأمريكا ومعادية للاتحاد السوفيتي فضلاً عن كونها في حالة خلاف مع كل من سوريا والعراق ؛ ومن جهة أخرى مع إيران التي تعاني من صعاب دائمة مع العراق ، وأخيراً مع إثيوبيا التي انتابها القلق أمام موجات المد الناصرية في إريتريا والصومال وفي المدى الأبعد ، كانت آسيا ، وأفريقيا على وجه الخصوص تمثلان مجالات دبلوماسية يمكن الحصول فيها على تعاطف مفيد، ذلك أنه من الأفضل ألا تكون جميع أصوات دول للعالم الثالث معادية لإسرائيل في الأمم المتحدة ، ففي مقدرة إسرائيل أن تقدم معونة فنية على درجة كبيرة من الفائدة لإسرائيل وكانت المستعمرات الزراعية الجماعية والتعاونية «الكيبوتزيم» (٢) والموشافيم « هي الانجازات التي أخذ بن جوريون يجذب بها دول آسيا وأفريقيا الجديدة ، وقد حاول بن جوريون جعل الأمريكيين يتولون تمويل هذه النشاطات وذلك بأن أغراهم بمدى فائدتها في قطع الطريق أمام الشيوعية .

وكان بن جوريون يتقدم في السن حيث بلغ من العمر أربعة وسبعون

(١)، (٢) يعقوب خوري : حقوق الإنسان في فلسطين المحتلة، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٦٨ (حقائق وأرقام - ١٥) ص ٩ . رانظر أيضاً : محمد نصر منها تطور الاستيطان الزراعي ونموه ومشكلات في ، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين . القاهرة . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ ص ٢٤٩-٢٩٥ .

عاما في عام ١٩٦٠ لذا فثمة أمور لم يعد يتبينها جيداً ، فقد ثار - مثلاً - صدد الصهيانية في الخارج ومنهم بالأخص ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي - وذلك لتدخلهم في الشؤون الإسرائيلية الداخلية ، غير أنه كان يرى في نفس الوقت أن مساندة الصهيانية في الخارج لإسرائيل يهتبر أمراً رئيسياً .

وفي شهر ديسمبر ١٩٦٠ اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية المفاعل الذري السري الذي أقيم في ديمونه بمساعدة فرنسا ، وهنا ثارت فائرة الأمريكيين المنتمسكين بسياسة عدم انتشار الأسلحة النووية ، وطالبوا بفرض رقابة على المفاعل لمعرفة ما إذا كان يستخدم حقلاً لأهداف سلمية .

ثم أعربت الولايات المتحدة أيضاً عن غضبها وهددت لإسرائيل ، غير أن بن جوريون لم يرضخ ورفض أن تفرض على الإسرائيليين أية رقابة ، ومن الغريب أن الأمر انتهى بالولايات المتحدة الأمريكية . . . وهي الدولة العظمى . . . بأن أذعنت أمام الدولة الإسرائيلية الصغيرة واكتفت بتقارير جواسيسها ، ومرة أخرى تؤكد لروساء الدول العربية - حتى أولئك الذين لا يتحملون غير القليل من المسؤولية - أن إسرائيل قوية ، وفي يوليو عام ١٩٦١ أطلق أول صاروخ لإسرائيل .

وكان الأمريكيون يكتشفون أيضاً من حين لآخر أن التوتر القائم بين إسرائيل والعرب له مساوئه ، وأنه ليس في استطاعتهم إلا أن يساندوا إسرائيل ، وأن هذه المساندة لا يمكن إلا أن تفقد ثقتهم في العرب ، ولذا اقترحوا خطة لتسوية الموقف ولجأوا إلى الضغط لفرضها ، وفي عام ١٩٦١ - ١٩٦٢ اقترح كنيدي خطتين متتاليتين تنصان على ضرورة قبول إسرائيل لجزء من أولئك اللاجئين الذين من المفروض استعادتهم جميعاً طبقاً لقرارات الأمم المتحدة .

غير أن الخطتين قد فشلتا بالرغم من ضغط كنيدي على بن جوريون بواسطة الصواريخ من طراز هوك التي كان قد وعده بها بأن يعطى الأمريكيون الصواريخ لإسرائيل مقابل موافقة هذه الأخيرة على إحدى الخطتين ، ولكن بن جوريون رفض الخطتين وحصل في النهاية على الصواريخ .

وقد كان بن جوريون يريد السلام ، ولكن بالشروط التي تضعها لإسرائيل ووفقا للاستراتيجية الاسرائيلية التي يقرها بن جوريون وموادها كسب السلام من مركز القوة حيث كان يعتقد منذ نهاية الفترة السابقة على الحرب أن عمليات استعراض القوة وحدها هي التي ستجبر العرب على الاعتراف الذي طالما ترقبته هذه الدولة التي فرضت على العرب في الواقع (١) كذلك لم يقتنع بن جوريون أبدا بعدم فاعلية هذه الطريقة حتى بعد فشل حربى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ في حمل العرب على الاعتراف بإسرائيل وأيضا جميع عمليات الحدود العديدة في تحقيق هذه النتيجة .

واعتبر العرب قرارات الأمم المتحدة هي القاعدة الوحيدة التي يمكن الرجوع إليها لحل المشكلة الفلسطينية (٢) ، وبالتالي لم يكن من مدعاة للدهشة في ظل هذه الظروف أن تفشل المحاولات التي قام بها بن جوريون في عام ١٩٦٢ وبداية عام ١٩٦٣ - على حد قول أحد المؤرخين (٣) المعاصرين - للقاء عميل الناصر عن طريق عدد من الوسطاء (من بينهم تيتو) ، وكان عبد الناصر قد أدلى بأقوال مشجعة آنئذ بالرغم من الصحاب

(١) المرجع السابق ص ٢٩٥ - ٣١٢ - ويرجع أيضاً إلى :

دكتور إسماعيل صبرى مبد الله : في مواجهة إسرائيل : القاهرة : دار المعارف ١٩٦٩ ص ١٤ - ١٧ .

(٢) الياس موفص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن : بيروت : دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٩٧١ ص ٥ - ٧ .

Rodinson op. cit, pp. 83-87.

(٣)

التي اصطدم بها في العالم العربي وأن: أية حركة تجاه إسرائيل ستجد من يندد بها أمام الرأي العام العربي على أنها استسلام كذلك كان عبد الناصر على علم أيضاً بأن بن جوريون غير مستعد لتقديم تنازلات ، كبيرة تسمح بانتقاذ ماء الوجه ، وعلى كل فإن عبد الناصر حتى ذلك الحين لم يكن يعتقد بأن حل المشكلة أمر عاجل ، وهو ما وجدته الإسرائيليون أيضاً حيث اعتادوا على طريقة المعيشة غير الطبيعية هذه مع العرب وكان الرأي العام الإسرائيلي مشغولاً بالمشكلات اليومية وبالأوضاع الاقتصادية غير المستقرة ، وبالتالي بالسياسة الداخلية، حيث ظهرت أوجه التوتر الداخلي فكانت الإدارة المستبدة لبن جوريون لا تتحمل إلا بصبر نافذ ، حيث كان بن جوريون يعتمد على الجيش وعلى صديقيه الشاين اللذين يشاركانه آراءه المتطرفة وهما موشى ديان وشيمون بيريز ، فالأول كان قائدا عاما للجيش وأصبح سياسيا ثم وزيرا للزراعة ، والثاني الذي كان أولامديرا للدفاع ثم وزيرا للدفاع في عام ١٩٥٦ وكانت الأحزاب الأخرى توجهه بالطبع هجوما متزايدا على الوسائل التي اعتبروها متعارضة والأساليب الديمقراطية ، وحتى في داخل حزبه المabay نفسه ارتفعت الانتقادات تجاه بن جوريون وازداد طابعها اللاذع (١) .

ولم يغفر موشى شاريت قط لبن جوريون أنه انتزع منه الحكم ، وحتى جولدا مائير كانت هي الأخرى تعرب عن سخطها أمام بعض المبادرات الهامة للسياسة الخارجية التي كان يتخذها بن جوريون وشمعون بيريز دون علمهما ،

وفي مارس ١٩٦٣ - في أعقاب ألقاء القبض في زيورخ على اثنين من العملاء الإسرائيليين السريين بتهمة تهديد شابة ألمانية ، كان والدها مهندسا يعمل في مصر ونظمت الأجهزة السرية الإسرائيلية حملة دعائية شعواء تندد

(١) تايلور ، آلان : « الرؤيا والقصد في الفكر الصهيوني » في : ابراهيم أبولغد (محرر) تهويد فلسطين . مرجع سابق ص ص ٢٣ - ٤٠ .

بالتواطؤ بين العلماء الألمان ومصر وأعدت وصفا مبالغاً فيه للغاية لمدى تقدم الفن العسكري المصرى الذى يساعد فيه أولئك الألمان الذين وصفوا جميعاً بأنهم من النازيين السابقين ، وقد أسهمت جولدا مائير من ناحيتها فى هذه الحملة التى جعلت مشاعر الرأى العام الإسرائيلى تتفاقم ، فقد كانت مائير تنسم بالتعصب العاطفى فى هذا الصدد ، الأمر الذى جعل بن جوريون يستشيط غضباً لأنه من ناحية كان يتبع سياسة الصداقة إلى حد ما مع ألمانيا ، ومن ناحية أخرى كان الطابع الشخصى لسياسته قد ضايق إلى أبعد حد أجهزته السرية التى خيلت للرأى العام الإسرائيلى أن هذه الصورايخ العربية . النازية « سوف نقضى على الإسرائيليين » (١) .

على أنه كان يوجد أمر هام آخر كان يطبع سياسة بن جوريون بالاستبعاد وهذا الموضوع هو ما أكتسبه لافون من شعبية فى أوساط الرأى العام الإسرائيلى بوصفه ضحية لبن جوريون بعد أن كشف النقاب عن حقيقة أزمة لافون التى استمرت سنوات فى ظل ستار من السرية بفضل جهد بن جوريون ذاته ، وتتلخص هذه الأزمة « أزمة لافون » أن بن جوريون حينما عاد فى أوساط الخمسينات إلى الحكم كان ذلك على أثر قضية لافون الغامضة وكان لافون وزيراً للدفاع وهو خصم لديان وبريز وأحد الساسة المرموقين فى الماباي ، وقد أدانته رفاقه بأنه مسئول عن عملية غير مضمونة نفلها العملاء السريون فى مصر ، ووقعت حوادث هذه العملية فى القاهرة بناء على خطة استفزازية وضعها المخابرات الإسرائيلية بهدف أجبار بريطانيا قبيل منتصف الخمسينات على البقاء فى مصر عن طريق عمليات تخريبية ضدها تبدو فى ظاهرها مصرية ولكنها فى الواقع من تدبير عملاء إسرائيليين واعتبر لافون نفسه أنه ذهب ضحية لمناورات قام بها كل من ديان وبريز لانتقال عاتقة مسئولية كان يجب

(١) من الفكر الصهيونى المعاصر : بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ،

أن يتحملها بعض قادة أجهزة المخابرات أوبريز نفسه كما رأى أن التعليمات الصادرة بإحاطة العمليات بالسرية قد لعبت دورا في اتجاه واحد لتحويل دون تبرئته (١) ، وقد نتج عن هذه العملية تفجير ثلاث قنابل في القاهرة وأظهر التحقيق المصري أن القصد منها هو أفساد العلاقات بين مصر من جانب وإنجلترا والولايات المتحدة من جانب آخر ، وألقت السلطات المصرية القبض على العملاء اليهود ، وكان شاريت - الذي كان يتولى الحكم قبل بن جوريون قد وجه نداء إلى عبد الناصر بالرفقة ولكن تم تنفيذ حكم الإعدام على ثلاثة منهم (٢) ،

فلما أصبح لافون سكرتيرا عاما لاتحاد العمال - المستدروت - طلب أن يرد إليه اعتباره وهاجم أجهزة الجيش كلا من ديان ووبريز أمام اللجان البرلمانية وقد عينت الحكومة الإسرائيلية - بالرغم من معارضة بين جوريون - لجنة مكونة من سبعة أعضاء وتولت فحص الملفات السرية وأعلنت براءة لافون ، وقد ثار بن جوريون على لافون ثم قدم استقالته ، وفي فبراير ١٩٦١ طردت اللجنة المركزية لحزب الماباي لافون من السكرتارية العامة للمستدروت سعيا منها للاحتفاظ برئيسها ، غير أن لافون كان قد اكتسب شعبية بوصفه ضحية لاستبداد بن جوريون في حين تحلى عن هذا الأخير أعز أصدقائه ، كما أنه تم التهديد علنا أمام الرأي العام الإسرائيلي بالمناورات السرية للدوائر العسكرية والارتباط الوثيق بين رئيس الحكومة وهذه الدوائر لخارج المحافل الديمقراطية .

وقد أضرب بن جوريون كثيرا عناده في قضية لافون ، ويرى الكثيرون في ذلك العناد سمة من سمات الشيوخة زادت من حدة الاستبداد المعروف

Perlmutter, Amos « The Israeli. Army in Politics » (١)

world politics » vol. XX no 4, (July 1968).

Ibid.

(٢)

عن الرجل المسن (١) .

وفي ربيع عام ١٩٦٣ تزعزعت الثقة الدولية بين جوريون بسبب الذعر الذي انتابه أمام الاتفاق الناقص منذ بدايته المبرم بين مصر وسوريا والعراق وبسبب النداء الذي وجهه إلى الدول الكبرى المتشككة حول قرب قيام وحدة عربية جديدة .

وأخيرا شعر بن جوريون بذلك العداء المحيط به ، وعرف أن هناك من يحده غير متمشى مع هذا العهد لأنه قد أصبح عاجزا .

وفي ١٦ يونيو ١٩٦٣ استقال بن جورين واعتكف في مستعمرة سدي بوكرو ومن المرجح أنه كان يأمل في أن فرصته في الثأر لنفسه سوف تأتي سريعا وأنهم سوف يشعرون بأنه لاغنى عنه ثم يطلبون منه العودة .

ونخلفه في الحكم ليفي أشكول ، وهو شخص غير لبق ومتردد وأقل تألقا من بن جوريون ، غير أنه قد عرف عنه مهارته في التنظيم وواقعيته إلى جانب تعصبه للصهيونية وإيمانه التام بها بالطبع بالإضافة إلى عضويته في الماباي ، ولكنه من جهة أخرى كان لا يميل بطبعه للمغامرات ومن ثم فقد شعر بأن إسرائيل قد أرهقها العبء العسكري وضاقَت الدولة الصهيونية خذرا بضرورة التعبئة بصورة دورية .

وعموما فإن الرأي العام الإسرائيلي منقسم على نفسه أكثر مما ينبغي فهو حديث العهد ويميل باستمرار إلى التطرف في العنصرية (٢) ويخضع لضغط الأيديولوجية الصهيونية التي تنشرها المدرسة والجيش وأجهزة الحزب وكثرة الأطلاع على صفحات التوراة الداعية إلى الحرب والتي ييسر لها بقدر كبير

(١) Perlmutter, Amos « Military and Politics in Israel Nation Building and Role Expansion New York, Frderick and Prager, 1969 pp. 75-79.

(٢) من الفكر الصهيوني المعاصر : مرجع سابق ص ص ٥٧ - ٥٩ .

الاعداء المستمر للجيران ، غير أن الرأي العام في إسرائيل بالرغم من هذه السمات التي يتصف بها فإنه سرعان ما يصبح مستعدا للعودة إلى منازعائه الداخلية وإلى طرح مطالبه والتخلي عن التعبئة فور ما يسمح له بهذا من وجود جو سلمى نسبيا ، ويتكون الرأي العام الإسرائيلي إلى حد كبير من تلك الجماهير اليهودية الآتية من الدول العربية والتي قدمت ليس بدافع من الأيديولوجية بل لأنه لم يكن في استطاعتها على ما يبدو أن تذهب إلى مكان آخر ، كما أن اليهود القادمين من أوروبا أقدموا على اختيار عملي وليس اختيارا نظريا أطلاقا ، بل أنهم سلكوا فحسب الطريق الذي عين لهم (١) :

وهكذا فإن إسرائيل سرعان ما تتعرض أثناء أقل فترة هدوء تحصل عليها إلى الانحدار نحو بعض « التخلّص من الطابع الصهيوني » الأمر الذي كان يمثّل نفوس المتطرفين بالغضب ، ويتساءل أحد المؤرخين (٢) ، ألا يعني هذا التدهور نحو الهاوية ؟

وكان ليفي أشكول الذي لم يتخل اطلاقا عن الأفكار الأساسية للحركة الصهيونية - كان مدركا لكان هذه الاتجاهات والانفعالات لدى الرأي العام الإسرائيلي ، ومن هنا فقد كان لديه الاستعداد لأن يأخذ في اعتباره - من ناحية أخرى - هذه العقلية السليمة البعيدة عن التعبئة وبالتالي للكشف عما إذا كان من الممكن في مجال السياسة الخارجية أن يسلك طرقا أخرى غير تلك السياسة المتطرفة التي انتهجها سلفه بن جوريون وهي سياسة استعراض القوة ، وكان يستعيد بهذا الخط السياسي لموشى شاريت أو من سبقوه ممن أرادوا تحقيق اتجاه أكثر تصالحا تجاه العرب (٣) .

(١) راجع دكتور/حامد عبد الله ربيع: فلسفة الدعاية الإسرائيلية: بيروت، مركز الأبحاث

الفلسطينية : ١٩٧٠

Rodinson, op. cit, p. 87.

(٢)

(٣) أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى : دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني بيروت :

منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ؛ ١٩٦٨ . كتب فلسطينية ١٣١ صص ٤١٢-٤١٥ .

وقد أندفع أشكول بهذا السعى لإيجاد ظروف لتفادي سباق التسلح وإلى اللجوء إلى الأمم المتحدة بدلا من احتقارها والاتجاه نحو شكل من أشكال عدم الانحياز مع التحلل من المساندة الأمريكية الخاصة ومع التقارب بعض الشيء من الكتلة السوفيتية، وعلى كل، فقد أعلن عن نيته في إخضاع العسكريين للسلطة المدنية، وفي الحد من العمليات الانتقامية العسكرية ضد الدول العربية المجاورة غير أنه من ناحية أخرى أثار البلبلة لدى الرأي العام الإسرائيلي المتقلب بطبعه - عندما رفض أن يعيد موسى ديان أو شمعون بيريز إلى وزارة الدفاع عندما تولى تشكيل وزارته .

وقد ظهر بالتالى مدى تقلب رأى العام الإسرائيلي آنئذ عبر نقاش حول مائدة مستديرة أجرته صحيفة « معاريف » في هذه الفترة ، وقد لاحظ الإسرائيليون البارزون هذه المرة أن وضع خاتمة للنزاع العربي الإسرائيلي مع التساهل إلى حد ما مع الفلسطينيين - سوف يكون مهمة شاقة للغاية . فلم تعتبر من أقل الصعوبات قضية أنقسام رأى العام الإسرائيلي نفسه حول المسألة الإقليمية (١) .

وقد كشف النقاش عن وجود قطاع من رأى العام الإسرائيلي عاقد العزم على استرجاع الحدود التاريخية لأرض إسرائيل ، وتنبأ آخرون بتعديل حدود إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ بحيث تضم المزيد من الأراضي وتتيح مخطوطا دفاعية أشد كفاية ، وكانت أشد وجهات النظر تطرفا تلك التى تبناها الشاعر الإسرائيلي يتسحاق شاليث الذى أبدى الملاحظة التالية بشأن الدول العربية :

« أن شعب إسرائيل ليس ملزما باحترام هذه « الأمم » وتلك « الممالك »

(١) راجع تفصيلا دكتور حامد عبد الله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، مرجع

التي تفتحت من . . . شفتى لورنس وصحبه .. فلكية الأمم العربية لأراضيها
جرى اختراعها والتوقيع عليها في وزارات الخارجية . . لكل من بريطانيا
وفرنسا (١) .

وعموما ، فإنه بالرغم من أنه قد جرت عدة محاولات لتخفيف حدة
النزاع العربي الإسرائيلي من خارج المنطقة في المقام الأول ، إلا أن مشكلة
تحويل مياه نهر الأردن جاءت لتهدد بتجديد الصراع وهكذا تغيرت أوضاع
النزاع العربي الإسرائيلي فبعد أن كان قد فقد جانبا من حدة جاءت هذه
المشكلة لتزيد من خطورة الصراع ابتداء من عام ١٩٦٣ بسبب النزاع حول
تقسيم مياه نهر الأردن وأصبحت المشكلة الفلسطينية في ذلك الوقت متبادرة
حول هذا الموضوع .

(١) How to speak to the Arabs, Round Table, August 1965 in 'Middle East Journal' XVII, (spring 1964) pp. 143-162 .

الفصل الثاني

النزاع حول مياه نهر الأردن وردود فعله

نعمير النقب كهدف قومي :

خلال السنوات الواقعة بين العدوان الثلاثي على مصر وحرب ١٩٦٧ لعب النزاع حول مياه نهر الأردن دوراً هاماً في المشكلة الفلسطينية .

ونهر الأردن هو النهر الوحيد ذو الأهمية الذي يشق لإسرائيل وكمية المياه التي يعطيها لهذا النهر سنوياً تبلغ مليار ، ٨٨٠ مليون متر مكعب (١) ، وينبع نهر الأردن من ٣ منابع هي نهر الحصباني (في لبنان) ، ونهر بنياس (في سوريا) ونهر دان في إسرائيل ونصب فيه بعض النهيرات التي تقع في الأراضي الأردنية ويروى نهر الأردن لإسرائيل والأردن معاً ، ومنذ الثلاثينات أعدت مشاريع (٢) عدة بغية الاستفادة من مياهه ، ولكن لإسرائيل على حد قول فريق من الباحثين (٣) الإسرائيليين - لم تبدأ العمل الجدى

(١) ومما يجدر ذكره أنه بالمقارنة بنهر النيل نجد أن نهر النيل يعطى سنوياً ٨٤ مليار متر مكعب .

(٢) تعرض الدكتور جلال يحيى تفصيلاً لأهمية مشروعات المياه منذ عام ١٩١٨ حيث اهتمت اللجان الصهيونية بمصادر المياه اللازمة للزراعة ولتوليد القوى الكهربائية في فلسطين منذ أن دخلت قوات الجنرال اللنبي فلسطين ، وأيضاً تعرض سيادته تفصيلاً لمشاريع المياه في الثلاثينات والأربعينات وحتى الخمسينات راجع دكتور/جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٦٢ : ٢٧١ .

(٣) Ilahu ben Elissar et zeev schiff : La guerre Israelo - Arabe 5-10 Juin 1967 op. cit, pp. 41-42.

غير أن إسرائيل قد بدأت بالفعل في تنفيذ مشروعاتها بشأن تحويل مياه نهر الأردن اعتباراً من مارس ١٩٥١ وكانت الخطوة الأولى هي تجفيف بحيرة الحولة .

لاستغلال مياه نهر الأردن لرى أراضي النقب الصحراوية والجرداء إلا في عام ١٩٥٣ .

وفي الفترة ما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٦ أعد ايريك جونستون الممثل الشخصي للرئيس ايزنهاور مشروعاً لرى المنطقة ولم يتعرض هذا المشروع من قريب أو بعيد للمشكلة من الناحية السياسية ، وقد قدم هذا المندوب في عام ١٩٥٣ إلى الدول العربية وإلى إسرائيل مشروعه الذي يتضمن الأشغال الكبرى المؤدية إلى تمكين انجانيين معاً من استغلال مياه حوض نهر الأردن وقد قصد هذا المشروع عمداً إلى عدم الاعتداد بفواصل الحدود بين إسرائيل والدول العربية ، وكان واحداً من بين المشروعات الكبرى الرامية إلى إعادته توطين اللاجئين ، وهو الأمر الذي تهدف إليه الأمم المتحدة وقد نقر الإسرائيليون والعرب على السواء من قبول هذا المشروع على أن أولئك وهؤلاء قبلوا بعد ذلك التقدم بمشروعات مضادة ، وقد استطاع جونستون أن يستمر في مفاوضاته مع كل من العرب والإسرائيليين حتى عام ١٩٥٦ وهو يعيد النظر مرات عديدة في مشروعاته لما يبديه الطرفان من اقتراحات وملاحظات ، وكان آخر اقتراح تقدم به جونستون في العام الماضي - عام ١٩٥٥ أن يخصص (١) ٧٣٤ مليون متر مكعب من مياه النهر إلى الأردن ، ٣٩٤ مليون إلى إسرائيل ، ٤٥ مليون إلى سوريا ، وقد قبلت إسرائيل في نهاية عام ١٩٥٥ الصيغة التي عرضت عليها أما الخبراء العرب ، وعلى وجه الخصوص الأردنيون منهم ، فقد بدوا مترددين وأخيراً رفضت الجامعة العربية المشروع نهائياً .

وقد فشلت الخطة الأمريكية « مين - جونستون » لسبب آخر هو موقف دالاس آنشد من الشرق الأوسط .

أما إسرائيل فان بن جوريون قد تحدث في إحدى المناسبات في ذلك الوقت قائلا (١) :

« إن النقب هو اليوم نقطة الضعف في إسرائيل ومصدر الخطر على مستقبلها وفي النقب ترسم أيضاً أعظم آمال اليهود ... إن دولة إسرائيل الصغيرة لا تستطيع الصبر طويلاً على بقاء صحراء النقب - التي تشكل نصف مساحة أراضيها - على وضعها الحالي . وأن لم تستغلها إسرائيل ، فإن هذه الصحراء سوف ترسم نهايتها الواضحة » .

وإذا كان تعمير النقب يحقق استيعاب عدة ملايين من اليهود ، كما تأمل إسرائيل ... إلا أن أهميته الاستراتيجية قد بدت ، من وجهة نظر الأمن القومي الإسرائيلي ، أكثر إلحاحاً ، دفعت بمسألة تعميره إلى مقدمة الأهداف الإسرائيلية ذلك لأن استمرار بقاء منطقة صحراوية تكاد تخلو من السكان ، يمثل فراغاً يعتبر في حد ذاته عيباً استراتيجياً خطيراً .

لذلك عملت إسرائيل دواما على محاولة توطين النقب وتكثيف السكان به ، ويزيد من اهتمام إسرائيل بالنقب أن امتداده إلى الجنوب هو السبيل الوحيد للوصول إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وبالتالي اتصال إسرائيل بأفريقيا وآسيا ، ومن هنا كان سعى إسرائيل الدائب إلى زيادة قوة ارتكازها في جنوب النقب لأهميته الاستراتيجية ولكونه المجال الطبيعي لاستيعاب أكبر عدد من المهاجرين إذا ما نجح مشروع تعميره ، أضف إلى ذلك الدوافع التاريخية ، ومن هنا قبلت إسرائيل الصيغة التي عرضت عليها وبادرت من ناحية أخرى إلى إعلان اعترافها بتنفيذ مشروعاتها الخاصة

وتحويل الجانب من مياه نهر الأردن عن طريق تمرير نخط أنابيب بها إلى منطقة النقب ، على أن إسرائيل ، رغبة منها في تهدئة الخواطر أعلنت تنازها عن مشروعها الأصلي الذي كان يرمي إلى أخذ المياه من المجرى العلوى لنهر الأردن عند جسر بنات يعقوب ، وقررت ضخ المياه من بحيرة طبرية . وكان هذا المشروع من حيث اقتصادياته ، أقل فائدة من المشروع الأول ، ولكنه كان يمتاز بأن مأخذ المياه فيه يقع على بحيرة توجد بكاملها داخل نطاق الاراضي الإسرائيلية ، بدلا من وقوعه على النهر المنساب في المنطقة المنزوعة السلاح ، مما تسبب من قبل في حدوث تدخل من جانب مجلس الأمن فضلا عن ذلك تعهدت إسرائيل ، بطريقة غير رسمية ، ألا تضخ من المياه أكثر مما سبق أن تقرر لها في مشروع جونسون .

أما الأردن فقد حصلت حينذاك على مساعدة من الولايات المتحدة لتنفيذ خطة رى محدودة تعتمد أساساً على استغلال نهر اليرموك ، وهو من روافد نهر الاردن ومن هنا جاء قرار إسرائيل بتنفيذ خططها القومية المشار إليها لتحويل المياه من أعلى نهر الاردن إلى النقب الصحراوي الذي أعلن إنه يمكن أن يستوعب أربعة ملايين من المهاجرين المرتقبين ، وهو ما أثار قلق الرأي العام العربى وخشيت الأردن هي الأخرى أن يتعرض النهر لخفاف نسيى ولزيادة في نسبة ملوحته مما قد يسفر عن نتائج خطيرة على المحاصيل ، أما سوريا فقد انتابتها هي الأخرى مخاوف مشابهة بالنسبة لمياه بحيرة طبرية .

ورغم المنازعات والاحداث التي دارت حول هذا الأمر وتدخل الأمم المتحدة فيه ، فقد تمكنت إسرائيل من اتمام تجفيف بحيرة الحولة تماماً في أكتوبر عام ١٩٥٨ .

وفي عام ١٩٥٩ أعلنت إسرائيل رسمياً عن مشروعها القومي للأعوام

البعشرة القادمة ، الذى يقوم أساساً على نقل خمسة ملايين يهودى إلى فلسطين وتحويل مياه نهر الأردن وروافده إلى النقب لتعميره ، وإقامة المستعمرات فيه ، ولتنفيذ هذا البرنامج القومى العام ، وضعت إسرائيل مشروع تحويل مياه نهر الأردن ليتم خلال سبع سنوات . وكان هدف المشروع هو تحويل ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً إلى النقب الشمالى والجنوبى عن طريق قناة مفتوحة ومحطات ضخ وخزانات مياه ، مع إنشاء محطة للقوى الكهربائية واعتبار بحيرة طبرية خزاناً طبيعياً لنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب من المياه وخطط لتنفيذ المشروع على مرحلتين :

المرحلة الأولى :

تستغرق ٤ سنوات (١٩٥٩ - ١٩٦٣) ويتم خلالها دفع مياه الاردن إلى السهل الساحلى حتى تل أبيب ، ٢٠٠ مليون متر مكعب سنوياً إلى النقب .

المرحلة الثانية :

وتستغرق ٣ سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٦) ويتم خلالها رى النقب حتى طرفه الجنوبى ، وإقامة شبكة قنوات حول المستعمرات والمنشآت العسكرية والاقتصادية الموزعة فى النقب على أن يبلغ حجم المياه المتدفقة فى نهاية هذه المرحلة ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً .

وكان طبعياً أن يرفض العرب مشروعات إسرائيل التى تضر بمصالحهم وتعتبر عدواناً على حقوقهم المشروعة فى الاستفادة من المياه التى تنبع من أراضيهم خاصة وأن تحويل مياه الأردن إلى إسرائيل يعنى استيلاءها على نصف مياه النهر بما لا يترك للدول العربية الثلاث مجتمعة - الاردن ، سوريا ، لبنان سوى النصف الآخر رغم أن نسبة المياه التى تنبع من

الأراضي الإسرائيلية لا تتجاوز ٢٣% من إجمالي مياه الأردن وروافده (١) هذا علاوة على ماسوف يتسبب عنه ذلك من رفع نسبة ملوحة مياه النهر المخصصة للري أراضي الضفة الغربية .

كذلك فقد كان طبيعياً أيضاً أن يقوم العرب بسلسلة من المشاورات بحثاً عن وسائل عرقلة تنفيذ المشروع الإسرائيلي، والبحث عن طرق فعالة للرد عليه وجرى الحديث عن تحويل مجرى الروافد العليا لنهر الأردن في كل من سوريا ولبنان غير أنه قد اتضح أن هذا المشروع لن يسهل تنفيذه وإنه قد لا يكون فعالاً »

وقد حذرت إسرائيل العرب من الأقدام على مثل هذه المبادرة وذلك بأسلوبها المتطرف المعتاد فكتبت الصحف الإسرائيلية تقول أن محاولات تحويل منابع نهر الأردن في كل من سوريا ولبنان لن يكون فحسب لعبا بالماء بل إنه لعب بالنار .

وكان من المقرر أن تنتهي المرحلة الأولى من المشروع الإسرائيلي في عام ١٩٦٤ وقامت مختلف الدول العربية منذ عدة سنوات بتهديدات عنيفة ضد المشروع الإسرائيلي حيث عملت كل منها جاهدة على المزايدة حتى تضع الدول المجاورة لها في موقف صعب ، غير أن استحالة تنفيذه أى شيء إيجابى فوراً ، كثيراً ما أضفى على مثل هذه التهديدات صبغة الشرط : ولسوف نرى الذى سيحدث عندما تنتقل إسرائيل إلى مرحلة التنفيذ وقد اقترب الموعد المحدد لهذا التنفيذ .

ففى عام ١٩٦٤ - ولأول مرة فى تاريخ فلسطين - كان نهر الأردن ينساب إلى النقب وهو ما جعل الرأى العام العربى يتعرض لصدمة عنيفة حيث

(١) راجع أسعد رزوق: سراويل الكبرى، سلسلة كتب فلسطينية: إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٨

أصبح الرأي العام العربي يواجه الأمر الواقع ويستولى عليه شعور جارف يخيبة الأمل (١) واستندت المعارضة العربية في هذا الموضوع إلى اعتبارات بعضها قانوني والبعض الآخر اقتصادي وسياسي (٢) ، وكان أول رد فعل إيجابي من الأردن التي حدثت حذبو الاسرائيليين ، وراح الأردنيون يحولون مجرى اليرموك في القناة الجانبية من مشروع الغور الذي سبق أن نص عليه في مشروع جونسون ، ولكن في صورة مختلفة ، والذي لا يمس مصالح إسرائيل في المرحلة الحالية ..

مرتمر القمة العربي الأول وردود فعله .

في نهاية عام ١٩٦٣ أدى النيبأ القائل بأن العمل في المشروع الإسرائيلي سوف يتم الانتهاء منه في الشهور الأولى من السنة التالية إلى إثارة موجة من النشاط السياسي الواسع في أوساط الرأي العام العربي الذي نظر أيضا بقلق بالغ إلى ما أعلنته إسرائيل من قيامها بالتجربة الأولى لضخ مياه نهر الأردن .

غير أن هذا النشاط العربي شأنه في ذلك شأن مكان يحدث في كل من الأزمات السابقة لا يمكن إيجاد التفسير الكامل له في أسباب مسندة إلى الإسرائيليين كما يرى أحد الباحثين (٣) - وإنما يجب لفهم كنهه مراعاة المشكلات ذات الطابع العربي الصرف . وكان أهم تلك المشكلات في ذلك الوقت ماثيره المنافسة بين مصر وسوريا ، ذلك أن العلاقات بين هذين البلدين ظلت مفتقرة دائما الى الليونة بعد انفصام عرى الوحدة بينهما في شهر سبتمبر عام ١٩٦١ بعد أن تراعى لحزب البعث في سوريا أن سيطرة

(1) Ben Elissar and Schiff , op. cit, pp 43-44.

(٢) لا يتسع مجال هذا البحث لشرح هذه الاعتبارات جميعها ، أنظر في تفصيل ذلك . دكتور جلال يحيى . مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق .

(3) Aleum, op. cit 398-399.

(م ٣٢ - فلسطين)

عبد الناصر تجاوزت الحد ، وهذا الاحساس الذى استولى على إقادة الحركة البعثية آنئذ فى سوريا هو الذى ساهم فى حدوث الانفصال .

كذلك فقد تحول التنافس بين « المذهبيين » - الناصرية وحركة البعث - إلى خصومة شخصية يشوبها خلاف فى الأسلوب ، وهنا بالذات تكمن النقطة الجوهرية ؛ فلكى يستطيع حزب البعث أن يؤيد مذهبه وينشره وأن يدعم حكمه فى سوريا ليجعل منه مثلاً يحتذى به العرب ، فقد عمد إلى أمرين أولاً أن يكون له كيان مستقل ينفرد به عن الناصرية وثانياً أن يبتعد عن الناصرية ، ولقد توصل الزعماء فى حزب البعث إلى هذا الأمر عن طريق أتباع سياسة المنافسة والمزايدة فى المشكلة الفلسطينية ، ولذلك رأى حزب البعث على عكس ما يطالب به عبد الناصر العرب من صبر وأناة وعمل طويل للتحوّل الدائى قبل البدء فى معركة حاسمة ضد إسرائيل يطالب حزب البعث العرب بخوض المعركة فوراً ضد الصهاينة (١) ،

وفى شهر أغسطس عام ١٩٦٢ بلغ التوتر بين مصر وسوريا أقصاه حينما أوشكت الجامعة العربية على التفكك فى اجتماع شتورة غير أن هذه الأزمة خفت حدتها على أثر الانقلاب العسكرى الذى وقع فى ٨ من مارس ١٩٦٣ وأدى إلى تولى حزب البعث من جديد مسئولية الحكم فى دمشق ، ولم تتغير الأهداف الرئيسية لحزب البعث وأن كانت الأساليب قد تغيرت نوعاً ما وهو ما أدى إلى حدوث فترة قصيرة من الوفاق فى شهر إبريل من هذا العام تم التوقيع خلالها على مشروع اتحاد فدرالى بين مصر وسوريا والعراق ثم عادت الحالة فتدهورت بعد ثلاثة أشهر من ذلك التاريخ ووصلت إلى حد الأزمة العنيفة عندما اكتشفت مؤامرة موالية لعبد الناصر فى دمشق ، وتم

(1) Ben Elissar and Schiff, op cit pp 44-45.

ويرى الباحثان الإسرائيليان أيضاً أنه قد أسفر عن شدة تقارب البعث بالاتحاد السوفيتى فنتيجتين : الأولى : تغلغل السوفيت فى سوريا أكثر من تغلغلهم فى مصر النتيجة الثانية : تحمل حزب البعث المسئولية فى تنفيذ فكرة « الحرب الشعبية » التى نادى بهاموتس تونج لينقلها إلى فلسطين .

تنفيذ حكم الأعدام في سبعة وعشرين من مدبريها ، وفي نهاية عام ١٩٦٣ كان اللواء أمين الحافظ يعارض في عناد متزايد سياسية عبد الناصر .

وقد أدى تشغيل خط أنابيب الماء الإسرائيلي إلى أتاحاة الفرصة أمام سوريا لاجراج عبد الناصر ، فقد صدرت التصريحات أكثر من مرة في داخل الجامعة العربية وفي خارجها أن أقدام الإسرائيليين على هذا العمل سوف يعتبر حالة تدعو إلى الحرب لمقاومته ، وفي نفس الوقت راحت إسرائيل تستعد للحرب حتى يمكنها فرض ما تريد على العرب في النهاية بالقوة المسلحة ، وكانت كل الشواهد تدل على علم إسرائيل بأن مشروعات المياه هذه يمكن أن تؤدي إلى صدام بينها وبين العرب ؛ بل أن الصحافة الإسرائيلية راحت تحدد تاريخ هذا الصدام (١) .

ورأت سوريا بالتالي أن تضع عبد الناصر - الذي لم يكن يريد الحرب - في موقف يضطر منه إلى الحنث بوعوده مع ما في ذلك من عار عليه ، بل وأشكت سوريا أن تمادى في ذلك إلى حد المبادرة بالبدء بالقتال وبذلك تجر وراءها مصر في نزاع مسلح لم تكن مصر مستعدة له .

وأمام هذا الخطر قدم عبد الناصر دليلا جديدا على ما تميزت به عبقريته السياسية من مرونة ، فبعد انفصال سوريا قرر عبد الناصر أن يتجاهل المسئولين العرب وأن يتوجه مباشرة إلى الرأي العام العربي وإلى الشعوب العربية ، وقد سبق أن أثبتت هذه الطريقة فعاليتها كما سبق لهذه الوسيلة التي اتبعها عبد الناصر أن أشاعت في سوريا وفي العراق وفي الأردن أيضا جوا من عدم الاستقرار السياسي يلائم أهداف عبد الناصر ، غير أن الأمر في أواخر عام ١٩٦٣ كان عكس ذلك تماما ، فلم يكن الغموض المنشود وقبيل هو قلب أنظمة الحكم في الدول العربية المجاورة ، وإنما التحلل من مسئولية

(١) في ٢٥ مايو ١٩٦٢ نشرة مجلة «جويش أوبزرفر» - اللندنية على صدر غلافها أن

الحرب ستكون في عام ١٩٦٣ أو ١٩٦٤

النكوص عن التزام عربي عام ؛ وللوصل إلى هذا الهدف لم يعد في استطاعة عبد الناصر أن يتوجه إلى شعوب طمست الشهوة لديها الإحساس بأية مسئولية ؛ بل كان عليه أن يجادل مع لون من رجال الدولة يمكن أقناعهم عن طريق الاستعراض الموضوعي للحالة بالعجز عن المواجهة المسلحة ولم يتردد طويلا في العمل فأعلن في الخطاب الذي ألقاه يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٦٣ أنه أمام الاعتداء الجديد من جانب إسرائيل يتعين على رؤساء الدول العربية جميعا أن يلتقوا أرسوا الأمر لمواجهة المشروعات الإسرائيلية لتحويل مياه نهر الأردن ، وجاء في خطاب الدعوة الذي وجهته مصر إلى الجامعة العربية :

... أن هذا الاجتماع مقدمة ضرورية لمواجهة الموقف على مستوى المسئولية العربية . . . أن الجمهورية العربية قامت دائما وتقوم بواجبها في خدمة النضال . . . مؤمنة أن ذلك قدرها الطبيعي في خدمة الأهداف العربية » وإلى جانب موضوع مياه الأردن ، كانت هناك مسألتان لهما طابع عربي بحث ، دفعنا عبد الناصر إلى بدء عهد « مؤتمرات القمة (١) » ، هاتان المسألتان هما : الخطر المتمثل في حزب البعث الذي كان يقوى باضطراب في سوريا وفي العراق والذي راح يعرض على العرب ايدولوجية تستطيع أن تواجه الإيديولوجية الناصرية والمسألة الثانية التي دفعت بعبد الناصر إلى التعميل بمؤتمرات القمة هي حالة الركود التي أصيب بها النزاع في اليمن حيث كان الوضع يتطلب باستمرار إرسال الإمدادات الجديدة إلى تلك البلاد الأمر الذي كان يضغط باستمرار ماليا وعسكريا على مصر .

(١) معظم المعلومات الواردة عن مؤتمرات القمة في هذا البحث مستمدة من المصدر الآتي :

Kadi, Leila S. Arab Summit conférences and the palestine problem (1936 - 1950) and (1964 - 1966) Palesitne books No 4, Palestine Liberation Organization, Research center, Beirut 1966 pp 91-210.

وكان عبد الناصر قد وضع قبل ذلك - في أسلوب ملوّه العرص - برنامج المناقشة قال فيه :

« إذا لم تتحقق الوحدة السياسية فلن تقدم الجمهورية العربية المتحدة على العمل ضد إسرائيل عسكرياً لمنعها من تحويل مياه نهر الأردن » .

وعلى أثر مؤتمر عقده رؤساء هيئات أركان الحرب العربية اجتمع مؤتمر القمة الأول في القاهرة في الفترة ما بين ١٣ ، ١٧ من يناير عام ١٩٥٤ وحضره ثلاثة عشر عضواً ما بين رؤساء دول أو ممثلين لرؤساء الدول العربية

وقد أعلن جانب من القرارات الأساسية التي اتخذت في هذا المؤتمر صدر بها بلاغ ختامي ومؤتمر صحفي عقده الدكتور / حسونة الأمين العام للجامعة العربية وقتئذ ، وقد حدث ما توقعه عبد الناصر حيث رفضت وجهة النظر المتطرفة التي كان ينادي بها اللواء أمين الحافظ والذي كان يطالب بالقضاء على إسرائيل بالقوة وأن « سوريا مستعدة لخوض الحرب ضد إسرائيل و » أن قرار سوريا بخوضها الحرب ضد إسرائيل بعد قرار حتمياً (١) .

غير أن وجهة النظر السورية هذه قد رفضت وتقرر بدلاً من ذلك أن يكون الرد على ما قدمت عليه إسرائيل من ضخ مياه نهر الأردن هو تحويل اثنين من وافد هذا النهر بنبعان في الأراضي العربية وهما نهر الخاضباني الذي يحول إلى نهر الليطاني ونهر بانياس الذي يحول إلى نهر اليرموك وكان الغرض من هذا المشروع حرمان إسرائيل من نصف مياه نهر الأردن الذي ما كان ليتلقى غير مياه نهر دان فقط .

ومن أجل حماية هذه الأشغال والحيلولة دون حدوث أى تدخل يعوق الاستمرار فى إنجازها ، تم الاتفاق على وضع القوات العربية أو جزء منها تحت قيادة هيئة أركان حرب مشتركة يشرف عليها اللواء المصرى على عامر وأن تخصص لتلك القوة ميزانية سنوية مقدارها خمسة عشر مليوناً من الجنيهات تصرف على دعمها .

ويمكن القول أن مؤتمر القمة العربى الأول وما تلاه بعد ذلك من مؤتمرات واتى عقدت بصورة مباشرة من أجل البحث فى موضوع تحويل إسرائيل لنهر الأردن ووضع الخطة العربية المضادة قد انتقلت الى معالجة مشكلة فلسطين بالكامل .

فلقد أقر مؤتمر القمة العربى الأول انشاء القيادة العربية الموحدة وتحددت أهداف هذه القيادة بتنظيم وتنسيق التعاون بين الجيوش العربية على أساس موحد ووضع أهداف القوة والتسلح ورسم خطط مواجهة المواقف الطارئة وما بعدها ووضع البرامج التى تساعد بعض الدول العربية على استكمال استعدادها الحربى لمواجهة أى عدوان (١) .

فضلا عن ذلك وافق رؤساء هيئة أركان الحرب بالدول العربية على تنظيم الشعب الفلسطينى فى « كيان » يكون له « جيش التحرير » الخاص به وأكدوا أن العرب فى سياسة الدفاع المشروع عن النفس التى يتبعونها سوف تقيمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية فى المجال الدولى على أساس من موقف البلاد الأخرى حيال الكفاح العربى فى مواجهة الأطماع الصهيونية (٢) .

غير أنه لا يمكن فصل صورة الوضع العربى عن العلاقات الداخلية بين

(١) فلسطينيات - سلسلة كتب فلسطينية - رقم ١٢ - إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ،

مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ٤١ - ٤٢

(2) Kadi Leila S. : Arab Summit conferences and the Palestine problem ; op. cit, pp, 151, 155.

الدول العربية في هذه الفقرة ، خاصة ما دعى بالدول « الثورية » وما دعى بالدول « الرجعية » . والدول الثورية هي نظم جمهورية تقدمية تتبع نهجاً اقتصادياً قائماً على الاشتراكية وتميل إلى الكتلة الشرقية وكان أهم ممثليها آنذاك مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن ، والدول الرجعية هي نظم تقليدية ملكية محافظة تميل إلى التكتل الغربي وأهم ممثليها آنذاك السعودية والأردن ، واعتباراً من مؤتمر القمة العربية الأول نجد أنه قد تم التعاون بين « الثوريين » وبين « الرجعيين » وذلك لأن شعار « وحدة العمل » - الذي قصده عبد الناصر أن يعقد في ظله مؤتمر القمة العربي الأول وما تلاه من مؤتمرات - يعنى التضامن القومي لمحاربة العدو والالتقاء عند خط واحد بالذات يصب العرب فيه كل ما يتوافر لديهم من الإمكانيات مع تصفية الخلافات العربية الداخلية وإقامة العلاقات بين الدول العربية على أسس ودية (١) .

وتمشياً مع ذلك ذكر بيان القمة العربي الأول أنه تم « : . ، لإجماع الملوك والرؤساء العرب على إنهاء الخلافات وتصفية الجحور العربي من جميع الشوائب وإيقاف حملات أجهزة الإعلام وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضماناً للتعاون البناء الجماعي ، ودرءاً للمطامع التوسعية العدوانية التي تهدد العرب جميعاً على السواء (٢) » .

كذلك كلف مؤتمر القمة العربي الأول السيد / أحمد الشقيري مندوب فلسطين الدائم لدى جامعة الدول العربية - بمهمة التشاور مع ممثلي الشعب الفلسطيني والحكومات العربية لمناقشة أسس إقامة الكيان الفلسطيني ونص البيان الختامي للمؤتمر على أن مجلس الملوك والرؤساء العرب قد اتخذ القرارات العملية في ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير

(١) ج.ع م - مصلحة الاستعلامات : مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر
الناصر - القمم الخماس ، بدون تاريخ إصدار ص ص ٤٥٨ - ٤٥٩

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٠

وطنه وتقرير مصبره (١) .

وتنفيذاً للمهمة قام الشقيرى بجولة في الدول العربية فيما بين ١٩ / ٢ - ٥ / ٤ / ١٩٦٤ اجتمع خلالها بكبار المسئولين العرب في كل البلدان العربية تقريباً - باستثناء المملكة العربية السعودية - التي تحفظت على طريقة بناء الكيان الفلسطيني وعلى شخص الشقيرى .

كما عقد الشقيرى ٣٠ اجتماعاً مع وفود تمثل تجمعات الشعب الفلسطيني في البلاد العربية ، وفي جولاته عرض الشقيرى مشروع « الميثاق القومى الفلسطينى و » النظام الاساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية والدعوة لعقد مؤتمر وطنى فلسطينى (٢) .

وحين انعقد المؤتمر الفلسطينى الأول في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ قام الملك حسين بإلقاء كلمة الافتتاح ، وحضره مندوبون عن الملوك والرؤساء العرب (باستثناء مندوب السعودية ، ولم يحضره أيضاً ١٢ عضواً في المؤتمر تم اختيارهم كممثلين للفلسطينيين المقيمين في السعودية) .

وقد قرر المؤتمر الموافقة على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وتبني الميثاق القومى الفلسطينى والنظام الاساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب أحمد الشقيرى رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير (٣) .

وعلى الجانب الإسرائيلى فقد تم في شهر مايو أيضاً استمرار تحدى إسرائيل لحق العرب في المياه وأعلن ليفى أشكول أنه .

(١) الجمهورية العربية المتحدة . مصلحة الاستعلامات : السياسة الخارجية والداخلية بدون تاريخ إصدار ص ٥٠

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية : مواقف حاسمة وقومية في قضية فلسطين بدون مكان أو تاريخ إصدار - ص ص ٢٣-٢٩

(٣) منظمة التحرير الفلسطينية - المؤتمر الفلسطينى الأول -١- تقرير عن اعمال المؤتمر - قرارات المؤتمر .

« رغم كل شيء فإن حجز المياه سوف يتم، وأن إسرائيل سوف تتخذ إجراءاتها إذا ما حاول العرب تحويل منابع نهر الأردن (١) » .

أما في واشنطن فقد أعلنت حكومة الولايات المتحدة أنها لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء أى عدوان يقوم به أى بلد عربى فى الشرق الأوسط . ورحبت إسرائيل بتصريح الولايات المتحدة ونشرته صحيفة « جيروزاليم بوست » تحت عنوان « إسرائيل تحيى الإنذار الأمريكى ضد العدوان (٢) » .

مؤتمر القمة العربى الثانى وردود فعله :

فى شهر مايو ١٩٦٤ أجرت إسرائيل تجربة خط أنابيب المياه الخاص بها والذى بدأت تشغيله بالفعل فى شهر يونيو التالى ، وكنتيجة منطقية لذلك الإجراء بدأت إسرائيل تعد العدة لشن حربها المبيتة وتهيئ الرأى العام العالمى لها ، ولعل أبرز أحداث هذا العام - على الجانب الإسرائيلى - زيارة لبنى أشكول للولايات المتحدة ، وما تلقاه من ضمانات وتأييد على لسان الرئيس الأمريكى جونسون وكبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية . وفى أعقاب هذه الزيارة مباشرة ، أى فى نفس شهر يونيو ١٩٦٤ جرت مناورات عامة للجيش الإسرائيلى ، وأدى رئيس تدريب الجيش « أشعياهو جافيش (٣) » بتصريح عن هذه المناورات فحدد لها سبعة أهداف أهمها الاستعداد للحرب القادمة أما رئيس الأركان آنذاك وهو أسحق رابين فصرح فى سبتمبر ١٩٦٤ بأن إسرائيل تعرف كيف تجد الطريق الملائم لتأمين حقوقها ولو كان ذلك عن طريق استخدام السلاح . وشاهد هذا العام - فى نصفه الثانى - بداية مرحلة خلق التوتر العسكرى على الحدود مع العرب ، وخاصة سوريا فازدادت كثافة الاشتباكات الإسرائيلية على الحدود السورية .

(١) صحيفة « جيروزاليم بوست » عدد ٢٠ مايو ١٩٦٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) مين جافيش قائدا للجبهة الجنوبية المواجهة لمصر فى عام ١٩٦٧ ثم قاد هذه الجبهة فى

حرب يونيو ١٩٦٧

وأمام هذا الواقع الجديد اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية في الاسكندرية في الفترة من ٥ إلى ١١ سبتمبر ١٩٦٤ وقرروا في هذا الاجتماع البدء فوراً في تنفيذ مشروعات تحويل روافد نهر الأردن ، وذلك على الرغم من الرأى الذى أبداه اللواء أمين الحافظ والذى اقترح فيه مرة أخرى عملية عسكرية ضد إسرائيل تجعل من هذه الأعمال شيئاً لا فائدة منه (١) .

وبعد اتخاذ القرار كان لابد من البحث في نتائجه . وأعلن رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة عل عامر أن تدخلا عسكريا من جانب إسرائيل أمر لا مئاض منه في مرحلة من الأعمال لا يمكن توقعها الأمر الذى يستدعى النظر في وضع قوات عسكرية عربية مشتركة منذ بداية تلك الأشغال ، كذلك أوضح على عامر - بوصفه القائد العام للقيادة الموحدة آنذاك - في تقريره إلى المؤتمر أن الدول العربية قادرة على مواجهة أى تحد عسكري إسرائيلي إذا تحققت وحدة القوات العسكرية العربية ، وطالب بالبدء في تقوية الاستعدادات العسكرية في كل من لبنان وسوريا والأردن، وطالب أيضا بمنحه حرية تحريك القوات العسكرية من دولة عربية إلى أخرى بغية توحيد الجبهات العسكرية العربية ضد إسرائيل ولتأمين الحماية العسكرية الكاملة للمشروع العربى لتحويل مياه نهر الأردن وروافده (٢) ،

ولم يقبل لبنان ولا الأردن مطالب الفريق / على على عامر ، وعارضت

(١) وقى أثناء المؤتمر استشار اللواء أمين الحافظ ضحك الأعضاء حينما قال :
أن الجيش السورى قادر على أن يمحو إسرائيل في مدى أربع وعشرين ساعة « وقد رد عليه الرئيس بن بيلا قائلا : « لا تتعجل ، نحن على إستعداد لأن نمنحك ثمانى وأربعين ساعة » . وفيما يتعلق بسير العمل في المؤتمر يرجع الى :

Kadi, Leila. S. : Arab summit conferences and the Palestiue Problem op. cit,

(2) Ibid pp 130-133.

الدولتان في وجود قوات مصرية في أراضيها في وقت السلم ، وفي نفس الوقت رفضت هاتان الدولتان قبول التسليح السوفيتي الذي كانت مصر تلح عليهما في قبوله في سعيها إلى تحقيق التوحيد بين القوات .

وانقادا للمؤتمر من الفشل تقرر الاكتفاء بالإجراءات المأمنة ، وقصر الأعمال الأولى في عملية التحويل على بناء سد على نهر البرموك وبرى البعض (١) أن الإسرائيليين لم يكونوا ليعترضوا على بناء هذا السد الذي نص عليه من قبل في مشروع جونسون ، على أن يشرح فيما بعد في حفر القنوات التي تؤدي إلى تحويل مياه النهر ، وذلك كله بغير عمل أى شئ في الوقت الحاضر في مجرى النهر نفسه .

وفيما يتعلق بالجيش العربي الموحد ، فقد اتفق على أن تخصص له كل دولة جانباً من قواته تكون دائماً في وضع الاستعداد الكامل ، غير أن القائد العام لم يحصل على ما طلبه من إمكان نقل تلك القوات من بلد عربي إلى بلد عربي آخر .

رأى عرب ملوك ورؤساء الدول العربية عن أغتباطهم بإنشاء جيش تحرير فلسطين ، وفي النهاية تفرقوا بعد أن أعلنوا موافقتهم على الاجتماع في شهر سبتمبر من كل عام .

وفي تقييم هذا المؤتمر يقول الاستاذ أحمد الشقيري (٢) .

« بعد مؤتمر القاهرة ، جاء مؤتمر الإسكندرية ، في خريفها الفاتن ، فكانت المظاهر أجل أبداعاً وأسمى روعة ، فقد أصبحت للملوك والرؤساء مهارة أكمل ، وخبرة أعظم في تعبئة الجماهير العزبية ، وخلع قلوبها من

(١) Aleum, Jean, Pierre : Juifs et Arabes, 3000 ans D' Historre : op. cit. pp 452-453.

(٢) أحمد الشقيري : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، دار العودة بيروت

صدورها ، واقتلاع عيونها من محاجرها ، لتكون بين يدي المملوك والروثاء أطوع من البنان »

« ولكن أصواتا حرة في الأمة العربية ، ومعهم رجال مؤمنون من الصف الثاني والثالث ممن يجلسون وراء الملوك والروثاء ، كانوا يخافون أن ، يكون العمل العربي الرسمي ما يزال في مثل حالة ، منذ أن أصبح للعرب ملوك وروثاء . . وكنت في عداد أولئك الخائفين »

« رمن هنا فقد قرر مؤتمر القمة في القاهرة وبصورة اجماعية لا يشوبها تردد أو تحفظ ، إنشاء ثلاث مؤسسات عربية . « هيئة الروافد » لتنفيذ المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن ، و « قيادة عربية موحدة » لتنسيق الخطط العسكرية العربية ، و « منظمة التحرير الفلسطينية » لأعداد الشعب الفلسطيني عسكريا للقيام بدوره في تحرير وطنه . »

وقد حدثت ردود فعل متباعدة ومثيرة في الوقت نفسه بعد الموافقة على قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب أحمد الشقيري رئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة التحرير .

فالأردن يشك ويخشى في الوقت ذاته من قيام عمل فلسطيني مستقل لأن ذلك سينازعه للصفة التمثيلية للفلسطينيين ، وقد أوضح الأردن بالفعل في مناسبات عديدة أن قيام كيان فلسطيني في الأردن يمكن أن يهدد مستقبل الوحدة بين الضفة الشرقية والضفة الغربية للأردن ، ويمكن أن يثير الحساسية بين الفلسطيني والأردني داخل الأردن ،

وقد عبر الملك حسين عن موقفه من منظمة التحرير الفلسطينية في رسالة بعث بها إلى عبد الناصر حيث قال :

« أما المنظمة فقد فهمنا أن تشكيلها ما هو إلا ملء الفراغ في المجتمعات الدولية وأبقاء القضية الفلسطينية حية في الأذهان ، والقيام بتنظيم وتعبئة

طاقات الفلسطينيين خارج الأردن - إذ أن الأردن مستمر في ذلك التنظيم منذ زمن طويل ، وهو جزء من كيانه ووجوده وسهره على أطول خط للفداء والنار... وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال خلق ازدواجية داخل الأردن (١) » .

وحاول الشقيرى في مناسبات عدة بعد ذلك أن يطمئن الملك حسين إلى أن الكيان الفلسطيني أو منظمة التحرير الفلسطينية لا تستهدف سلخ الضفة الغربية وتحرير فلسطين من إسرائيل ، وحين يتم التحرير يمكن للفلسطينيين أن يقرروا باختيارهم المصيرهم ومستقبلهم السياسى فلهم أن ينشئوا دولة مستقلة ولهم أن أرادوا الدخول في وحدة أو اتحاد مع أية دولة عربية ؛ وأضافت المنظمة أنها لا تعزم ممارسة أية سلطة إقليمية في الأردن ، وأنها لا تسعى لإقامة حكومة فلسطينية في المنفى أو في الوطن (٢) .

وفي سوريا ، أصدر حزب البعث العربى الاشتراكي خطة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية تتكون من نقطتين : فطالبت الخطة بمنح الفلسطينيين السيادة الكاملة على فلسطين بحيث يقوم الكيان الفلسطينى فى المنطقة المتبقية من فلسطين (الضفة الغربية ، قطاع غزة ، منطقة الحمة) وأن تقوم العضوية فى مؤسسات الكيان الفلسطينى على أساس الانتخابات (٣) ورد الشقيرى أنه ليس لديه اعتراض على هذه الخطة ، ولكن الوضع الفلسطينى والعربى يحول دون تنفيذها . وكان دفع الشقيرى أمام مؤتمر القمة العربى الثانى أنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن الفلسطينيين لا يمارسون السيادة على أية

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ،

١٩٦٧ ص ٥٧٥

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى ، القاهرة ١٩٧٥/٨/١ ، راجع أيضا : أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب - ط - دار العودة ، بيروت

١٩٧١ ص ٤٦ ، ٦٩

(3) Kadi, Leila. S., op. cit, pp 205-20 .

أرض فلسطينية رغم أنها ملك لهم ، وعلى فرض أنهم منحوا السيادة على هذه المناطق فمن سيدافع عنها ضد عدوان إسرائيل مباشرة ، وأضاف الشقيري أن عملية الانتخاب غير عملية لأن هناك بعض الدول العربية (سوريا ، العراق ، السعودية) لا تطبق نظام الانتخابات على مواطنيها ، وعلى فرض أنه تم إجراء هذه الانتخابات فمن يضمن أن الفلسطينيين المقيمين في الأردن ولبنان ستتاح لهم فرصة الانتخاب الحر دون تدخل حكومي (١) .

أما السعودية فقد أوضحت أنها لا تعارض الكيان الفلسطيني وإنما يركز تحفظها في نقد طريقة بناء هذا الكيان ، والتي تمت على أساس الاختيار وليس على الأساس السليم وهو الانتخاب ، وأنها فهمت أن مؤتمر القمة العربي الأول قد فوض الشقيري بتقديم دراسة في شكل تقرير إلى مؤتمر القمة الثاني الذي له وحده حق تقرير إقامة الكيان الفلسطيني ، وأنها ستشكل رأيها في الكيان الفلسطيني وفق الآراء ، والقرارات التي ستتخذها الدول العربية الأخرى (٢) .

وأجاب الشقيري الملك فيصل في مؤتمر القمة العربي الثاني أنه لم يفهم ولم يفسر له أى مسئول عربي في البلاد العربية التي زارها أن مهمته تقتصر على كتابة تقرير . وأضاف أنه حاول زيارة السعودية لتبديد تحفظاتها ولكنها رفضت استقباله ، وأردف أنه لا يدعى أن العملية التي أقيم بها الكيان الفلسطيني « مثالية » ولكن ظروف الشعب الفلسطيني هي التي تحكم فيها .

أما لبنان فقد أعلن موافقته على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ككيان سياسى ولكنه لم يقبل أن تتميز المنظمة هذه الفرصة لتمرار مهامها العسكرية صورة تدريب الفلسطينيين في لبنان عسكريا .

(١) Ibid pp 136-137

(٢) أحمد الشقيري : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ،

وقد رد الشقيرى على بعض الانتقادات ؛ فقال أن الكيان الفلسطينى لا يقصد منه أن تتخلى الدول العربية عن واجبها القومى فى العمل من أجل تحرير فلسطين لأن التحرير تبعة قومية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية حكومات وشعوباً ومن جملتها الشعب الفلسطينى ، وأنه ليس من هدف هذا الكيان إلقاء العبء على أهل فلسطين وحدهم ، وإنما هدف هذا الكيان هو أن يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم فى تحرير فلسطين إلى جانب جهود الأمة العربية (١) .

وكان الشقيرى بهذا يحاول أن يبدد اتهام سوريا بأن عبد الناصر يؤيد الكيان الفلسطينى ليتخلى عن أعباء مشكلة فلسطين ويلقى بها على أكتاف الشعب الفلسطينى (٢) .

كذلك أعلنت ٦ منظمات فلسطينية سرية أنها ترى أن الكيان الفلسطينى نشأ جهازاً سياسياً خالياً من المضمون الثورى وأنها ترى أن الكفاح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين (٣) .

ورغم كل هذه الاعتراضات فقد كان على الشقيرى أن يحمل ما انتهى إليه المؤتمر الفلسطينى الأول إلى مؤتمر القمة العربى الثانى ليقرر بشأنه مايراه .

وأمام المؤتمر أوضح الشقيرى « ... إن الكيان الفلسطينى كيان لفلسطين وكيان لشعب فلسطين ، يبنيه لنفسه بعقله وإرادته ، ويختار نهجه وطريقه وشكله بمحض مشيئته واختياره ، وأن دور الدول العربية بالنسبة للكيان ...

(١) منظمة التحرير الفلسطينية ، مواقف حاسمة وقومية ، مرجع سابق ص ص ٧-٨ ،

١٤-١٥ .

(٢) : أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب : مرجع سابق

ص ١٥٧ .

(3) Kadi, leila, op. cit, p. 106.

لأبنائه ولا لإنشائه ، بل التيسير والتسهيل قبل قيامه والتأييد والتعضيد بعد قيامه (١) .

ثم انتقل الشقيرى للمطالبة بإنشاء قوات فلسطينية مسلحة (نظامية وفدائية) وإقامة معسكرات تدريب شعبية وتعزيز الأوضاع العسكرية في القرى الأمامية من فلسطين ثم أكد الشقيرى أن خطة منظمة الأمم المتحدة الأمريكية تقوم على عدة بدسيات أساسية هي : أن شعب فلسطين مصمم تصميمًا قاطعاً لا ينشئ على تحرير وطنه ، وأنه كائنة ما كانت الخطة العربية فلا غنى عن شعب فلسطين في تحرير فلسطين ولذا لا بد لتحرير فلسطين من إعداد شعب فلسطين عسكرياً وروحياً ، وأن الاحتلال الإسرائيلي هو خطر يهدد الأمة العربية وبالتالي فإن مسؤولية درثه تقع عليها جميعاً وأن الشعب الفلسطيني هو الطليعة ، وأن قضية فلسطين من غير انتقاص للجهود السياسية والدعائية ليس لها حل سياسى أو دبلوماسى لاداخل الأمم المتحدة ولا خارجها وأنه لن يتم تحرير فلسطين إلا بالكفاح والسلاح وعلى أرض فلسطين ، وأن كارثة فلسطين يجب أن تكون عامل وحدة بين الدول العربية (٢) .

وحول إنشاء جيش التحرير الفلسطيني اقترح عبد الناصر في المؤتمر أن تصدر منظمة التحرير الفلسطينية القرار المتعلق بإنشاء هذا الجيش ثم يوافق عليه المؤتمر العربى ، وبالفعل أصدرت المنظمة هذا القرار وأعلن عبد الناصر إنه وافق على أن يتخذ هذا الجيش من قطاع غزة وسيناء أماكن لمراقبة وحداته وميداناً لتدريباته كما وافقت سوريا والعراق على إنشاء وحدات لهذا الجيش في أراضيها ولكن الأردن رفض تكوين أو

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : مواقف حاسمة وقومية ، مرجع سابق ص ٤١ .

(٢) المرحع السابق ، (نص خطاب الأستاذ أحمد الشقيرى أمام مؤتمر القمة العربى الثانى : الأسكدرية ، سبتمبر ١٩٦٤) .

مرابطة وحدات من جيش التحرير في أراضييه لأن الجيش الأردني يتكون من عناصر فلسطينية وأردنية ، ولأن خلق جيش فلسطيني في الضفة الغربية سيخلق تعقيدات خطيرة ، كما رفض لبنان إنشاء جيش فلسطيني لأن ذلك سيوجد جيشاً ثانياً إلى جانب الجيش اللبناني (١) .

وانتهت الخطة العربية بخصوص جيش التحرير إلى أن يتكون هذا الجيش من ١٥ ألف فرد وأن يخضع في العمليات الحربية وفي تسليحه وتدريبه للقيادة الموحدة ، وأن تنشئه القيادات العربية في مصر وسوريا والعراق كل على أرضه بشرط أن يتم تسليمه لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد اتمام انشائه وأن تساهم الدول العربية بحصص معينة الميزانية السنوية للجيش تو دعها ميزانية جامعة الدول العربية (٢) .

وأعلن المؤتمر الثاني للقمّة العربية في بيانه الختامي ترحيبه بقيام منظمة التحرير الفلسطينية (خصص لها ميزانية سنوية قدرها مليون دولار تسهم منها الدول العربية بحصص معينة) دعماً للكيان الفلسطيني وطلبيّة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين ، واعتمد قرار منظمة التحرير لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني وعين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها في أداء مهامها (٣) . ثم أقر المؤتمر توصيات محدّدة بصدد المشروع العربي لتحويل مجرى نهر الأردن ويقول الشقيرى في هذا الصدد (٤) .

(١) أحمد الشقيرى ، من القمّة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ص ١٣٦-١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠-١٥٥ .

(٣) الجمهورية العربية المتحدة : مصلحة الاستعلامات : السياسية الداخلية مرجع سابق ص ٥٥ .

(٤) أحمد الشقيرى : من القمّة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ص ١٤٣-١٤٥ .

(م ٣٣ - فلسطين)

« ولا أرى داعياً لذكر أو تلخيص هذه التوصيات .. فاني لم أكن
أو من أصلاً بهذا المشروع .. ولم أكن أراه في البداية إلا تحويلاً للجهود
العربي من الأصل إلى الفرع » .

ويضيف الشقيري في ختام تقييمه لهذا المؤتمر قائلاً .

« ولقد انفض المؤتمر على « فرقعات » آلات التصوير العربية والعالمية ،
وتساقبت الصحف العربية في اليوم التالي ، بعد أن « سمح » بأن تتسرب
إليها المقررات السرية الخطيرة ، فنشرت أكثر مما جرى ، وأكثر
مما سيجري وشجنت الأمة العربية بالآمال الكبار والأمانى الجسام .
وعمت العالم العربي موجة من الابتهاج والانفراج .. لا تعد لها إلا الفرحة
الكبرى بتحرير فلسطين . وتسابق الملوك والرؤساء وهم يعودون إلى
عواصمهم في إطلاق « بطاويات » التصاريح الطنانة من المدافع الكلامية
الرفانة ، وكان أغرب هذه الأقوال ، ما أعلنه الملك الحسن الثاني من
أن اختلاف النظم الداخلية بين الدول العربية لا يمنع قيام اتحاد فيدرالي
بينها . وسألني الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا هل قرأت هذا التصريح .
قلت نعم لقد قرأته في الصباح . أنه كالورود الاصطناعية ، جميلة
جميلة .. ولكنها من غير رداء ولا رائحة .. بل إنه كالشعر أعذبه
كذبه .

ولكن العذب حقاً ، والحلو صدقاً ، من الملك حسين ، لا من الملك
الحسن فقد تدوفه الملوك والرؤساء ، وكان غدياً حقاً ، وحلوا صدقاً ،
فقد تجلى في أربعة وستين صندوقاً من عنب الخليل حملها الملك حسين
من الأردن بطائرتة ، عليها بطاقة جميلة : « هدية من الملك حسين »
وتقاسمها الملوك والرؤساء . وعقب عليها فم الزمان بحكمة الماثورة :
تقاسموها وأنت عنها غائب .. »

أما عن رد فعل هذا المؤتمر لدى الشقيري فيلخصه فيما يلي :

« وخرجت من المؤتمر أتأبط ملف المؤتمر ، وعقلي لا يجزؤ أن يكذب ماسمع ، فقد أعلن الملوك والرؤساء ، أن كلمتهم » تعتبر الضمان الوحيد للوفاء بالالتزامات » ، وترك مذكراتي أن تتحدث عن كلمة الملوك والرؤساء . . . ولتروى للأمة العربية أن كلمة الملوك والرؤساء قد حشئت بكل كلمة من كلماتهم ونكثت بكل قرار من قراراتهم (١) .

وهكذا لم يكن مؤتمر القمة العربي الثاني بأبعد حظا من مؤتمر القمة العربي الأول ولم يكن الملوك والرؤساء العرب على مستوى العجدية أو الصدق ومنذ الأربعينات وحتى الستينات كان الحال هو الحال والرجال هم الرجال .

فلقد حاول مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة والثاني في الاسكندرية أن يثبت للأمة العربية جدارتها ، ويؤكد كلاً جديتهما وقدرتهما وأن يحكم العرب البائدين الذين قامت إسرائيل في عهدهم قد ذهبوا وذهبت معهم مقامسدهم وخياناتهم ، وأن هذا الزمان هو زمن العمل الجماعي الوحيد، والتضامن العربي المؤكد ، والخطط المدروسة المنسقة، والقرارات التي تنفذ من غير إبطاء ؛ وفوق هذا وذاك فإنه زمن المبادرة العربية المخاطفة لتدمير إسرائيل وتحرير فلسطين .

وتوكيدا لذلك وامعانا من الملوك والرؤساء في اثبات رغبتهم في تنفيذ قراراتهم « الضخمة » بشأن مشكلة فلسطين لإبتداء بإنشاء هيئة الروافد إلى تكوين قيادة عربية موحدة ووصولا إلى إعداد الشعب الفلسطيني للقيام بدوره في تحرير وطنه بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، . . . فقد ابتدعوا أسلوبا جديدا للتنفيذ والتطبيق لم يسبقهم إليه الذين سبقوهم في الأربعينات

من الملوك والروساء . . . ومن هنا فقد اهتدى البارعون في صناعة الالهاء فصاغوا للامة العربية والرأى العام العالمى قرارات لم ترتق أبدا لمستوى التنفيذ وترتب على ذلك نتائج وخيمة فضلا عن عدم فاعلية هذه القرارات نتيجة لمصور جدية الكثير من الدول العربية في معالجة هذه المشكلة المصرية ، . . . فضلا عن ذلك فقد أخذت هذه القرارات طابع الجامعة العربية في مظهرها وجوهرها . . . تلك التى أورثت الرأى العام العربى السأم والضجر ، وهو ما تلقفته إسرائيل بذكاء وحذق ومهارة انعكست آتئذ على استغلالها هذه القرارات المعلنة بأساليبها الدعائية والمثوية إلى حد أنها طابت « الأمم المتحدة والشعوب المحبة للسلام » أن تعلن عدم موافقتها على بيان مؤتمر القمة العربى الثانى هذا بينما كان تدفق الأسلحة الأمريكية من المانيا الغربية إلى إسرائيل قد بلغ ذروته فى هذا العام ، بل أن أنباء هذه الصفقة السرية كانت قد بدأت تنشر فى الصحف العالمية ، وفى نفس الوقت كانت إسرائيل تمارس أقصى درجات الإلحاح لدفع الولايات المتحدة إلى تلبية طلباتها من الأسلحة الهجومية .

وبنهاية عام ١٩٦٤ بدأ تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة العربية الخاصة بتحويل روافد نهر الأردن فى نفس الوقت الذى اتخذت فيه إسرائيل اتجاهها عدوانيا سافرا أدى تقاقم الأحداث العسكرية ، ووقوع سلسلة من الإشتباكات المسلحة على الحدود السورية انتقلت فى العام التالى إلى الحدود الأردنية وكانت إسرائيل تعلم أن مثل هذه الأعمال العسكرية سوف تؤدى إلى وقوع الصدام الواسع الذى تعد له حتى أن المعلقين الإسرائيليين أجمعوا فى هذه الفترة - فى مجال تعليقاتهم على طبيعة هذه الاعتداءات - على أن الجولة الثالثة من الحرب العربية الإسرائيلية لن يمكن تحاشيها ، أما ديان فراح يطالب فى صراحة بشن العمليات العسكرية لمرقلة تحويل روافد نهر الأردن (١) .

كذلك كانت إسرائيل في هذه الفترة تبيت موقفها ونواياها العدوانية وهو ما تشهد به الوثائق الإسرائيلية ذاتها (١) ، من « ان إسرائيل تمثل مركز التهديد وإثارة الخوف في الدول العربية ، وقد أعلن القادة الإسرائيليون مرارا أن محاولة حرمان إسرائيل من مياه نهر الأردن ، سينظر إليها كعدوان على الأراضي الإسرائيلية وأن إسرائيل لزاء ذلك تحتفظ بحقوقها في التحرك . . وسرف تدافع عن حقوقها بكل ما تملك من قوة (٢) ،

وفي مطلع عام ١٩٦٥ ، عندما بدأت بعض أعمال المقاومة الفلسطينية ضد مشروعات المياة الإسرائيلية ، اعترض موشى ديان على أسلوب معالجة هذا النشاط ، واستنكر سياسة « ضبط النفس » التي تتبعها الحكومة ، أو الاكتفاء باتباع إجراءات دفاعية وقائية كاقامة الأسوار المكمربة على الحدود ، وهو ما نادى به بعض الساسة الاسرائيلين وأعلن ديان أنه إذا اتبعت هذه الأساليب « فسوف تتحول البلاد إلى « جيتو » لليهود خلف الأسلاك الشائكة ، كما دعى إلى شن الحرب على العرب لأن « قوة إسرائيل تكمن في استعدادها لمقابلة العدو وسحقه قبل أن يشب عليها (٣) ،

وأكمل اسحق رابين صورة هذه السياسة التابعة عن العقيدة الصهيونية العدوانية فأكد قوة الردع الاسرائيلية وهدد باستخدام القوات المسلحة « إذا لم تحترم الدول العربية طاقة الردع الاسرائيلية » .

ومع استمرار المشروع العربي - رغم البطء الشديد في التنفيذ - كان لزاما وفقا للسياسة الاسرائيلية أن نواصل اعتدائها على مواقع العمل

Israel Government Year Book, 1995-1996, Jernsalem (١)

1966 p. 170.

lau-Lavie N. : Moshe Dayan, A biography, london (٢)

Vallacntin Mitchcil, 1965 p. 167.

Ibid.

(٣)

لمشروعات التحويل بعنف متصاعد ، وخرج ليفي أشكول في ١٧ مايو ١٩٦٥ بما أسماه « مشروع السلام » ذكر فيه أن أساس خطة إسرائيل للسلام « الكامل لاستقلال وسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة وأن التسوية السلمية ستقوم على أساس أن إسرائيل كما هي الآن وإن كل عربي يدعى الخوف من أى اعتداء قد تقوم به إسرائيل ضد أية دولة عربية ، أما أن يكون ضحية للعداوة أولا بعرف الحقيقة أو يتمرد عليها . . . » .

ومن الواضح أن مشروع أشكول لم يزد عن مناورة سياسية اعتمدت أساساً على التضليل ، وكان هدفها الأول تغطية الأعمال العسكرية المتصاعدة في مناطق الحدود أما هدفها الثاني فهو إعطاء المبرر للعدوان المنزايد الذى بلغ حد الحرب الشاملة بعد ذلك بسنتين ، وليس أدل على ذلك ، أنه بعد عشرة أيام من هذا الحديث - أى في ٢٧ مايو ١٩٦٥ - اقتحمت قوات المظلات الاسرائيلية ثلاث نقاط أردنية أمامية في المنشية وجنين وقلية حيث نكلت بالسكان المدنيين فيها .

ألمانيا بين إسرائيل والعرب :

بدأت الأزمة بين ألمانيا والعرب في شهر ديسمبر عام ١٩٦٤ حينما انتشرت الشائعات عن قرب إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا وإسرائيل ، وحينما طلب السفراء العرب في بون عقد اجتماع غير عادى لمجلس الجامعة العربية للنظر فيما يتخذ من الاجراءات في حالة تحقق هذا الاحتمال .

وفي يوم ٢٤ من ديسمبر من نفس العام ألقى عبد الناصر خطابا ندد فيه بصفقات الأسلحة الألمانية الموردة لإسرائيل والتي تدفع الولايات المتحدة الأمريكية ثمنها .

ودخلت الأزمة في طور حاد يوم ١٤ من يناير ١٩٦٥ حينما أعلنت الصحف المصرية أن والتر أو لبرخت رئيس مجلس الدولة في جمهورية

ألمانيا الديمقراطية قد تلقى الدعوة لزيارة مصر ، وأنه سيقوم بزيارة رسمية لها في شهر فبراير التالى . وجاء رد فعل بون سريعا على هذا النبأ ، إذ توجه السفير الألماني فى القاهرة فى يوم ٣١ من يناير لمقابلة عبد الناصر ، وقد أوردت أجهزة الإعلام المصرية وصفها لهذه المقابلة وفيها أخبر السفير الألماني عبد الناصر أن حكومته تنظر بعين غير راضية لهذه الزيارة ، وقد رفض عبد الناصر قبول هذا الاحتجاج وجدد الاتهام الذى سبق أن وجهه لألمانيا الغربية بأنها تورطت فى الأسلحة فعلا وأكد عبد الناصر للسفير الألماني أن مصر سوف تعترف بألمانيا الشرقية إذا ما استمرت هذه الصفقات .

كانت هذه الصفقات من الأسلحة التى كشف عبد الناصر النقاب عنها للمرة الثانية . صفقات حقيقية فعلا ، وكانت تتم وفقا لاتفاق سرى أبرم عام ١٩٦٠ منذ سنوات بين بن جوريون واديناور وكانت تشتمل على مائتى مصفحة ومعدات (١) عسكرية أخرى تبلغ قيمتها ٣٢٠ بليوناً من الماركات وكان جزء كبير منها قد ورد فعلا فى أوائل عام ١٩٦٥ (٢) .

هذه المقابلة وكذا الوساطة التى قام بها فى القاهرة ماركيز دى نوفا المبعوث الشخصى للجنرال فرانكو أسفرتا مؤقتا عن وقف توريدات الأسلحة الألمانية لإسرائيل وقد أعلن القرار الخاص بذلك يوم ١٢ من فبراير فى بون ، غير أن هذا التنازل من قبل ألمانيا لم يقابله من جانب مصر — كما يرى بعض الباحثين (٣) — إلغاء زيارة الدكتور أولبرخت وقد استقبل هذا الأخير فى الاسكندرية استقبال رؤساء الدول وأطلقت له

(١) : (٢) أورد السيد أحمد الشقيرى خلال اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية فى القاهرة فى ١٦/٤/١٩٦٥ بياناً بالمعدات والأسلحة التى حصلت عليها إسرائيل بالفعل من طائرات ودبابات ومدافع وقطع بحرية وتفصيل ذلك فى :

أحمد الشقيرى : على طريق الهريمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ١٥-٥٣ .
(٣) Aleum, Jean Pierre, Juifs et Arabes, up. cit pp. 406,

إحدى وعشرون طائفة مدنع ، وفي خلال هذه الزيارة أبرم اتفاق اقتصادى بين ألمانيا الشرقية ومصر :

وبالرغم من أن مصر لم تعترف رسمياً بألمانيا الشرقية - وإلا لو حدث ذلك لترتب عليه فوراً من جانب بون قطع العلاقات الدبلوماسية - غير أن زيارة الدكتور أولبرخت وما صاحبها من بذخ وتكريم اعتبرها في نظر بون تهديداً يجب الرد عليه .

وفي يوم ٧ من مارس أعلنت حكومة ألمانيا الاتحادية قطع معونتها الاقتصادية عن مصر وإن الاجراءات سوف تتخذ فوراً لاقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وفعلاً أرسل أحد الدبلوماسيين الألمان هو كورت بيرنباخ في نفس ذلك اليوم إلى القدس للقيام بهذه الاجراءات ،

وفي يوم ٩ من مارس ، على أثر مبادرة من جانب العراق انعقد في القاهرة اجتماع من ممثلى رؤساء الدول العربية واتخذ قرارات أربعة لخصها على مؤتمر خاص من وزراء الخارجية العرب هي :

أولاً : سحب السفراء العرب فوراً من بون ؛

ثانياً : قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا في حالة اعترافها بإسرائيل .

ثالثاً : قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا إذا ما تمادت في موقفها العدائى من مصر ،

رابعاً : التهديد بقطع كافة العلاقات الاقتصادية مع الدول الكبرى التي تساند إسرائيل (ويشير هذا التهديد بوجه خاص إلى امتيازات البترول (١)) ،

وأضاف عبد الناصو أنه في حالة اعتراف ألمانيا الاتحادية بإسرائيل

(١) أحمد الشقيرى : على طريق الهرمة مع الملوك والقرساء ، مرجع سابق ص ص

فان مصر سوف تعلن اعترافها بألمانيا الشرقية وتصادر جميع الأموال الألمانية في مصر .

غير أنه عندما اجتمع مؤتمر وزراء الخارجية العرب في يومى ١٤ ، ١٥ من مارس ظهر شيء من التردد ؛ ذلك أن القرارات التى تمت الموافقة عليها قبل أربعة أيام من ذلك التاريخ بناء على اقتراح من عبد الناصر كانت ترمى إلى مجرد إلقاء العالم العربى كله فى أحضان المعسكر السوفيتى فى حالة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين بون والقدس . وكانت غالبية الدول العربية تعارض مثل هذا الاتجاه ، ورأى بعض هذه الدول أن الأزمة قد نشأت بمبادرة عبد الناصر حينما دعا أولبريخت لزيارة مصر ، وبما أنهم لم يستشاروا عندما تقررّت هذه المبادرة فليس لهم أن يتحملوا نتائجها المخربة (١) ، هذا بينما لم يكن هناك - من ناحية أخرى - عضو واحد من أعضاء الحامية العربية ليستطيع من جهة أخرى أن يظل هادئا أمام اعتراف ألمانيا بإسرائيل - اعترافا رسميا - دون أن يثير الشكر فى إخلاصه للقضية العربية .

هذا المنع من بعض الدول العربية بالإضافة إلى الاعتبارات المتعارضة بين الدول الثورية والدول الرجعية - وحتى الآراء المتباينة (٢) بين الدول الرجعية ذاتها بخصوص العلاقات بينها وبين ألمانيا الاتحادية . . . كل هذا أدى بالوزراء إلى اتخاذ قرارات روعى فيها جانب الترضية وإن كان أخطر ما فيها أنها وضعت حد لإجماع رأى بين العرب ، فقد تم التصديق على القرارين الأول والثانى من قرارات ٩ مارس ، القرار الأول بالاجتماع ، والقرار الثانى بالأغلبية فقط - حيث أبدى كل من المغرب وتونس وليبيا تحفظات فى شأنه .

Rodinson, Maxime : Israel et le Refus Arabe, (١)
op. cit, pp. 12-127.

Aleum, Jean Pierre, Juifs et Arabes. op, cit, (٢)
pp. 403-409.

أما القراران الثالث والرابع فقد تركا ، إذ أنهما لم يحصلوا إلا على أصوات مصر والعراق اليمن فقط . أما عن الاعتراف المشروط بألمانيا الشرقية فلم توافق ، عليه غير ٦ دول فقط هي مصر والعراق واليمن والجزائر والسودان والكويت .

ولم يابت الشرط الراقف الذى شمل به العرب قراراتهم أن تحقق بعد قليل إذ تمت فى اليوم الثانى عشر من شهر مايو ١٩٦٥ إقامة العلاقات الدبلوماسية رسميا بين ألمانيا وإسرائيل عن طريق الرسائل المتبادلة بين إيرهارد وأشكول وفى اليوم نفسه قطعت العراق علاقاتها مع ألمانيا ، وفى اليوم التالى قطعت كل من مصر وسوريا ولبنان والعربية السعودية والأردن والكويت واليمن والجزائر تلك العلاقة .

وفى ١٦ من مايو اتخذت السودان قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا ، أما المغرب وتونس وليبيا فقد رفضت الاشتراك فى هذا القرار .
مقترحات الرئيس بورقيبة ورنود فعلها :
« قبلة السلام التونسية »

تزعزع الترابط بين العرب فى شهر مارس عام ١٩٦٥ بسبب النزاع مع ألمانيا ومن جهة أخرى كان التضامن بين أمريكا وإسرائيل قد تأكد على صور مختلفة ، أبرزها تسليم إسرائيل دفعة من صواريخ هوك التى تستعمل من الأرض إلى الجو وذلك فى ١٩ أبريل من هذا العام ، وأدت هذه الحوادث فى مجموعها إلى طمس حالة التهديد بقيام مواجهة مسلحة بين العرب وإسرائيل التى وصلت فى وقت من الأوقات إلى حد مقلق .

خلال هذه الفترة نشأت المحاولات الرامية إلى تخفيف حدة الصراع العربى الإسرائيلى من خارج المنطقة فى المقام الأول (١) .

(١) دكتور إبراهيم أبولند : تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ٢٧٠-٢٧٦ .

غير أن المحاولة الآتية لحل مشكلة فلسطين جاءت من داخل المنطقة ذاتها وربما يفسر جملة الحوادث السابقة هذه المحاولة أو على الأقل فإن هذه الحوادث هي التي أتاحت تلك الواقعة التي لم يسمع بمثلها من قبل وهي واقعية لإقبال أحد الرؤساء العرب على التحدث عن حل النزاع يقوم على أساس المفاوضات .

ففى يوم ١٦ من فبراير ، غادر الرئيس بورقيبة مدينة تونس برحلة في أرجاء الشرق الأوسط استغرقت من الوقت عشرة أسابيع مبتدئا المشاورات مع عبد الناصر وبالغ هذا الأخير بالحفاوة « بضيفه العظيم » وهدفت له جماهير القاهرة بكل جوارحها فقد عرفته لاجئا إلى قهوة الفيشاوى في مصر .

وألقي الرئيس بورقيبة في جامعة القاهرة خطابا كانت له بعبء سطوره إشارة ناعمة كأنها تقول لعبد الناصر وللشعب المصرى « ألزموا حدودكم » (١) وقد كان الرئيس بورقيبة يأخذ على عبد الناصر أنه يمسك بزمام المبادرة بمشكلة فلسطين وبالفضية العربية ، دون مشاور سابق مع الرؤساء العرب .

وبعد انتهاء المباحثات بين الرئيس بورقيبة وعبد الناصر صدر البلاغ المشترك في ٢٣/٢/١٩٦٥ معلنا أن الرئيسين يؤكدان تأييدهما لمنظمة التحرير الفلسطينية ومساعدتهما على استرداد حقوق الشعب الفلسطيني كاملة (٢) .

ثم توجه الرئيس بورقيبة بعد ذلك إلى الأردن وزار مدينتي إربيد و نابلس ومخيم عقبة جبر ، وأخذ يرثي لحال اللاجئين ويندب سوء طالعهم ، ويندد بالسياسة التي أدت إلى نزوح الفلسطينيين عن مدنهم وقراهم ليعيشوا في الخيام تفتك بهم الأمراض والأوبئة ويقرصهم الشتاء القارص ويلهبهم الحر اللاهب وأنه لا سبيل للخلاص من هذا العناء والبلاء إلا بالاعتراف بالأمر الواقع

(١) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق

ص ص ١٩٩ : ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ص ٢٠١-٢٠٢ .

على أساس الاحترام المتبادل بين العرب وإسرائيل ، وإن التعايش السلمي بين الدول العربية وإسرائيل هو الحل الوحيد لتسوية المشكلة الفلسطينية ، وإن إسرائيل عضو في الأمم المتحدة ، وإن إلزاتها منافع لميثاق الأمم المتحدة والأخلاق الدولية ،

وألقى الرئيس بورقيبة خطابين أحدهما في مدينة أريحا يوم ٣ من مارس والثاني في مدينة القدس يوم ٥ من مارس ، ثم عقد مؤتمرا صحفيا . وأثار الخطبان والمؤتمر كثيرا من الاهتمام وردود فعل عنيفة بين أوساط الرأي العام العربي .

قال الرئيس بورقيبة : « يجب على رجال الدولة العرب ألا يتخذوا شعوبهم يجب عليهم أن يكونوا صرحاء وألا يستسلموا للعاطفة » وبعد ذلك تعرض لمشكلة فلسطين بصراحة وبكلام خال من كل إيهام أو تلميح فأعلن في غير مواراة :

فلنترك السلاح جانبها ولننظر رجال السياسة إلى أعلى وإلى الأبد . . .

يستطيع العرب والاسرائيليون أن يعيشوا في وفاق إذا ما تخلصوا من الأحقاد وإذا ما تحرروا من العقد ومن المتطرفين فيهم » (١) .

غير أن الرئيس بورقيبة حتى هذه المرحلة لم يكن قد عرض أى نوع من أنواع الحل ، وإن كان قد أشار مع ذلك إلى المشروع الإتحادي الذي سبق أن عرضه بشير بن محمد في المجلة الأسبوعية التونسية «جونافريك » يوم ٢٧ من ديسمبر عام ١٩٦٤ ، فقد كتب بن محمد يقول إنه مادامت مشكلة فلسطين لا يمكن حلها لا بالقضاء على إسرائيل الذي يبدو عملا محفوفاً بالمخاطر وغير محتمل الحدوث ولا بتدعيم تلك الدولة الذي يبدو عملا

Aleum, Jean pierre, juifs et Arabes, op. cit, op. (١)

ett, pp. ٤٨٤-٤٨١.

أن يرضى به العرب ، فإن الحل الممكن هو تجميع دول الشرق الأوسط داخل نطاق اتحاد، تجمد إسرائيل مكانها فيه . . . على أن الواجب يقضى مع ذلك على إسرائيل أن تقبل عودة جزء من اللاجئين إلى بلادهم وأن تدفع التعويضات للجزء الآخر منهم .

وعموماً فقد كان حديث بورقيبة حتى هذه المرحلة جديداً في نوعه ونغمته كانت على عكس المظاهرات الانفعالية التي درج السياسيون العرب في معظمهم على تغذية الرأي العام العربي بها .

ومن الطريف أن بورقيبة رأى من المناسب أن يضيف إلى ما قال :
« هذا هو رأيي ، أرجو ألا أتهم بسببه بالخيانة ، وأرجو ألا أتعرض بسببه للاغتيال » (١)

وصادف في ذلك الوقت إن كان الملك الحسن الثاني في زيارته لمصر فشجب تصريحات الرئيس بورقيبة دون أن يذكر اسمه وخطب عبد الناصر مندداً بأراء بورقيبة وإن الزمن زمن نضال ، وليس وقت فلسفة ومراحل على طريقة « أبو رقية » .

فإذا كان رد الفعل تصريحات بورقيبة على الرأي العام العالمي؟ لقد ساد (٢) الهياج والاحتجاج العام العربي بأسره على حين انبرت لإسرائيل تلميح بالترحيب بهذه التصريحات ، وأعلنت جولدا مائير في مأدبة غداء أقامها نادي الصحافة في تل أبيب ، عن ابتهاجها بأنه : « وجد زعيم عربي لا يتحدث عن الحرب وعن تصفية إسرائيل بل يدعو إلى السلام والتعايش مع إسرائيل » ،

Ibid. p, 411,

(١)

(٢) أحمد الشقيري : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ،

ص ٢٦٢-٢٥١

ونشرت جريدة « جيروزا لم بوست » برقية من رئيس بلدية عكا (العربي) يطلب فيها من الرئيس بورقيبة أن « يزور إسرائيل ليتحقق بنفسه كيف يسود السلام والتعايش الأخوي بين اليهود والمسلمين والمسيحيين تحت علم إسرائيل » ؟

وأعلنت الأوساط الغربية من جانبها في أمريكا وبريطانيا تقديرها للشجاعة الرئيس بورقيبة وواقعيته ، وأعربت عن تمنياتها أن يقوم الرئيس بورقيبة بدور قيادي في تسوية مشكلة فلسطين وأنهاء النزاع بين الدول العربية وإسرائيل كذلك أعلن الاتحاد السوفيتي تأييده لسياسة بورقيبة ، فقد رحبت جريدة « أوفستيا » الناطق الرسمي بلسان الاتحاد السوفيتي « بالسياسة الواقعية » التي أعلنها الرئيس بورقيبة ودعوته إلى إجراء مفاوضات سلمية مع إسرائيل ، وفي خلال الأيام والأسابيع التي تلت راح الرئيس التونسي يتخذ لنفسه وضعاً يزداد ميلاً نحو حل النزاع بطريق المفاوضات ، وقد شجعه في ذلك ردود الفعل المتباينة لآرائه فبالرغم من استنكار فئات من الرأي العام العربي آنذاك لهذه الآراء إلا أن ردود فعل الدول الغربية والاتحاد السوفيتي قد شجعه على مواصلة هذه التصريحات حيث كانت قد صدرت له في طهران وفي اسطنبول تصريحات جاء فيها « أمام هذا الجمود وهذا العجز اللذين ظلا قائمين منذ سبعة عشر عاماً ، اقترحنا الأخذ بأساليب أثبتت نجاحها في تونس » (١)

وفي حديثه أمام التليفزيون الفرنسي أيضاً قال (٢) :

« ولقد أنضمم إلى رأيي ومقترحاتي عدد من الزعماء العرب ، ولكنهم لا يستطيعون الاعتراف بذلك علناً » .

وفي حديث مع جريدة (٣) لوموند قال :

(١) جريدة لوموند الفرنسية في ٢٥/٣/١٩٦٥ .

(٢) جريدة لوموند الفرنسية في ٢١/٣/١٩٦٥ .

(٣) جريدة لوموند الفرنسية في ٢/٩/١٩٦٥ .

« يجب علينا أن نسلح بالواقعية وأن نجتاز مرحلة الاتهامات والتباكي... ومن بين الحلول التي يمكن الأخذ بها تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة »
وفي تصريح له أيضا إلى مجلة «أوروب» (١) قال :

« من الأمور البديهية أن إسرائيل موجودة فعلا » .

وفي حديث مع جريدة نوفل أو بسر فاتور قال بورقيية :

« لن تتمكن البلاد العربية أبدا من ألقاء الإسرائيليين إلى البحر...
لذلك كان من الواجب عليهم إذن أن يبحثوا عن طرق التعايش (٢) »

وفي حديث إلى جريدة النيوز ويك قال بورقيية :

« يجب علينا ألا نغفل عن أن إسرائيل دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة؟ وما من أحد يحمل كلامنا على محمل الجد عندما نتحدث عن الحرب ، لأن جميع الدول بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، التي لها علاقات مع إسرائيل ، ان تتردد في التدخل من أجل وضع حد للحرب »،

وهكذا ازداد ميل الرئيس بورقيية نحو حل النزاع بطريق المفاوضات إلى أن حل يرم ٢١ من إبريل ١٩٦٠ حيث ألقى خطابا أمام الطلبة في عاصمة بلاده — بعد عودته مرورا ببلبنان وتركيا مؤكدا نفس المعاني — وقد تخطى في هذه الخطاب المرحلة الأخيرة من تصعيده للحل السلمي إذ طلب في وضوح إلى إسرائيل أن تبتدى وأنها في المقترحات أعلنتها على النحو التالي :
تجرى مفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل على أساس من قرارات هيئة الأمم المتحدة الصادرة في عام ١٩٤٧ (تقسيم فلسطين) وفي عام ١٩٤٨ (قرارات اللاجئين) ، على أن يعقد بعد هذه المفاوضات مؤتمر إسرائيلي عربي يكون مقره في روما أو في إحدى العواصم الأخرى . فإذا قبلت إسرائيل المبدأ الذي تقوم عليه هذه المقترحات فإن الرئيس بورقيية يتعهد بإعرضها أمام

(١) مجلة أوروب عدد رقم ١ بتاريخ ١٢/٤/١٩٥٥ .

(٢) جريدة نوفل أو بسر فاتور في ١٥/٤/١٩٦٠ .

مؤتمر القمة العربي (١) القادم ويناقدشها مع الرئيس عبد الناصر مباشرة » .
وفي إسرائيل أعلن المسئولون أنهم يسجلون مع الرضاء اقتراح بورقية
الخاص بحل النزاع عن طريق المفاوضات ، وقالوا أنهم دائماً على استعداد
للدخول في محادثات مع العرب . ولكنهم وضعوا لذلك شرطاً هو ألا تسبق
تلك المحادثات أية شروط ، ثم أشاروا إلى أن موقف الحكومة الإسرائيلية
سبق لإعلانه بوضوح على لسان أبا أيان نائب رئيس الوزراء الذي قال :

« أن محاولة العودة إلى قرارات أصدرتها هيئة الأمم المتحدة منذ سبع
عشر سنة مضت ، والاعتماد في مكان تطبق هذه القرارات في الوقت الحاضر لها
دليل على إنعدام الواقعية إنعداماً كاملاً . . . أن مشروع التقسيم الصادر في
عام ١٩٤٧ هو اليوم في حكم البيضة التي كسرت » .

وفي الحقيقة لم تحدث المبادرة التي صدرت عن الرئيس بورقية ، رغم
ما فيها من جرأة ورغم ما احتوت عليه من اتجاه جديد ، أى إثارة في
إسرائيل . أما السبب الحقيقي لهذا الاستقبال غير المتحمس فقد أعرب عنه
شيمون بيريز حيث قال :

« أن حل المشكلة الإسرائيلية العربية لا يوجد بين يدي الرئيس بورقية
ولكن بين يدي الرئيس عبد الناصر » .

أما في الجانب العربي فقد حدث تحول عن موقف الحياء المصحوب
بالتقدير أحياناً الذي ساد من قبل حيال الخطاب الأول وما تلاه من خطابات
والتي ألقاها الرئيس بورقيه وأنها لت الردود على مقترحاته الأخيرة هذه
مصحوبة بسيل من الشتائم والأهانات وطالب عدد من رجال السياسة
العرب بطرد نونس من عضوية الجامعة العربية وأخذت جريدة الأهرام

Kadi, leila. B. Arab Summit conferences and the (١)
palestine pbblem, op. cit, pp. cit, pp, 173-175,

شبه الرسمية بالقاهرة تؤكد أن المسئولين المصريين لم يعد في استطاعتهم الجلوس إلى جانب الرئيس بورقيبة بعد الخطابات والتصريحات التي صدرت عنه على أي مائدة من موائل المؤتمرات ، وقالت الأهرام :

« لن تسمح مصر بعد اليوم أن تبلغ السيد بورقيبة أي أسرار تتعلق بدفاعها »
أما عن موضوع مقترحات بورقيبة نفسها فكان نصيبها الرفض القاطع ،
وقام وزير الخارجية المصري في يوم ٢٧ من شهر إبريل بعرض الوضع الرسمي
لغالبية الدول العربية حول هذا الموضوع فقال (١) :

« من غير المعقول قبول فكرة الوساطة طالما أن الوطن العربي ضحية
للاغتصاب من جانب الاستعمار الصهيوني »
ثم أضاف قائلا :

« لا يمكن النظر فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية لافي وساطة ولا في مفاوضات
ولا في صياح » .

وكان هذا الوضع هو وضع غالبية الدول العربية ، لا وضع اجمعهم
إذ أن ثلاثا من تلك الدول ، هي المغرب وليبيا والعربية السعودية ، أمتنعت
عن التعليق على المبادرة التونسية .

ولقد كانت ردود الفعل لمقترحات بورقيبة ردود فعل عنيفة حقا وخصوصا
في العالم العربي وفي تونس ذاتها ، ففي الوقت الذي كانت تنهال فيه الهجمات
والشتائم على الرئيس بورقيبة كان الطلبة التونسيون يجتمعون في مظاهرة
نظموها لتأييد رئيسهم ، وفي ليلة ٢٧ من إبريل هاجموا سفارات مصر
وسوريا والعراق وألقوا عليها الحجارة ، وفي اليوم التالي قام ثلاثة
آلاف طالب مصري بإحراق سفارة تونس في القاهرة وهم يصيحون :
« الموت لبورقيبة » .

(١) وذلك أمام الجمعية الوطنية الفرنسية .

ولم تسمح أعمال العنف هذه للسفير التونسي - الذى استدعى إلى بلاده فى اليوم التالى - بأن يسلم إلى عبد الناصر الرسالة التى وجهها إليه بورقية ، والتى نشرت تونس فى يوم ٢٩ ونصها :

« أن المشروع الذى أقدمته إنما يهدف إلى إخراج إسرائيل وإلى قلب موازين القوى وكسب التأييد من قبل الرأى العام العالمى لقضيتنا وهو لا يختلف فى مبادئه عن الوضع الذى أشرتم إليه باختصار فى تصريحكم الذى أدلتم بها حديثاً إلى إحدى المحلات الفرنسية » .

وقد أدت أعمال العنف التى وقعت فى كل من تونس والقاهرة إلى عقد اجتماع جديد للممثل رؤساء الدول العربية ، امتنعت تونس عن حضوره ، وتم هذا الاجتماع فى القاهرة فى يومى ٢٨ ، ٢٩ من إبريل . وصدرت فى نهاية الاجتماع قرارات فددت « بكل من ينادى بالاعتراف بإسرائيل أو الصلح معها أو التعايش معها » . وجددت هذه القرارات تشجيعها وتأييدها للقيادة العربية الموحدة والمنظمة التحرير الفلسطينية وأكدت القرارات السابق إصدارها الخاصة بتحويل فروع نهر الأردن ، ولكن المندوبين لم يوافقوا الشتميرى فيما طلبه باستبعاد تونس من عضوية الجامعة العربية ، حيث اعترض كل من المغرب وليبيا ولبنان والعربية السعودية إلى الالتجاء إلى مثل هذه الإجراءات القصوى (١) .

وفى الجانب الإسرائيلى أعلن أشكول رئيس وزراء إسرائيل آنشد تأييده الرسمى للتصريحات التى سبق صدورها من وزرائه . ورفضه لمشروع بورقية ، وأعرب فى الوقت نفسه عن اغتباطه لكون واحد من أهم الرؤساء العرب قد أخذ يتحدث لأول مرة عن السلام وعن الصلح ، وبعد خمسة عشر يوماً

(١) أحمد الشقيرى ، من القمة إلى الهزيمة مع الملولا والرؤساء : مرجع سابق ص

من ذلك التاريخ وقف أشكول في الكنيست يلقي خطابا عرض فيه بدوره مشروعا يرمى إلى حل مشكلة فلسطين ، وكان العنصر الأساسي في هذا الحل المقترح هو تخفيض النفقات العسكرية عن طريق تحديد التسليح تحت الرقابة المتبادلة ، ثم تخصيص الموارد المتحصلة عن هذا الطريق لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في « مواطنهم القومية الطبيعية » ، أى في البلاد العربية .

وكان نصيب هذه المقترحات التي تقدم بها أشكول الرفض أوالنجاح من قبل الحكومات العربية ، وأجمعت الصحافة العربية بما في ذلك وكالة الأنباء التونسية ، على التنديد بهذه المقترحات حيث كانت تتضمن أيضا مفاوضات مباشرة بين الموقعين على معاهدات الهدنة المبرمة في عام ١٩٤٩ وعلى أساس من احترام سلامة أراضي كل من المتفاوضين ، وقال أشكول أيضا :

« قد تحدث بطبيعة الحال تعديلات إقليمية صغيرة يتم الاتفاق عليها تبادليا بين الأطراف المعنية ، وذلك في المواقع التي تؤدي فيها هذه التعديلات إلى تيسير الحياة اليومية على السكان » .

كذلك عرض أشكول على الأردن مناطق حرة لها في الموانئ الاسرائيلية الواقعة على البحر المتوسط ، مع تعاون اقتصادي عام وأبحاث مشتركة تجرى من أجل إزالة ملوحة مياه البحر وغير ذلك .

وفي اليوم التالي أعلن موسى ديان أن المشروع سوف يشمل أيضا على التنازل لصالح الأردن عن ممر أرضي يصلها بمنطقة غزة بحيث تحصل بذلك على منفذ إلى البحر المتوسط (١) .

(١) Merlin, Samuel, The Search for peace in the Middle East : The story of bcnrgniba's campaign for a Negotiated peace between Israel and Arabe states.

وفي يوم ١٨ من مايو رفضت الأردن مشروع أشكول هذا ، وكان رفضها هذا ضمن تصريح مقتضب صدر عن وزير الاستعلامات قال فيه :

« إن مشكلة فلسطين هي مسألة مبدأ وليست مسألة مصالحة ، وأن الأردن لا تعترف للصهيونية بوجود في فلسطين » .

وهكذا فشلت في شهر مايو من عام ١٩٦٥ المحاولة التي قام بها الرئيس بورقيبة والمحاولات الأخرى التي تولدت عنها ، ولم يبق من مبادرة الرئيس التونسي غير ذكرى الغضبة الكبرى التي اجتاحت العالم العربي بسببها ، وسوف تكشف السنوات المقبلة عما إذا كانت هذه الظواهر حقيقة ، وأن هذا الأسلوب الواقعي في تناول مشكلة فلسطين للمرة الأولى من الجانب العربي كفيل بأن يغير مسلك رجال آخرين من بين ساسة الدول العربية ، بل أن المرء ليقسم على ما إذا كان عبد الناصر نفسه لم يستوح هذا الاتجاه في الخطاب الرنان الذي ألقاه يوم ٣١ من مايو ١٩٦٥ أمام المؤتمر الفلسطيني في القاهرة والذي ندد فيه « بانهمزية » الرئيس بورقيبة ، واستعمل في نفس الوقت أسلوباً لا يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي تحدث به الرئيس التونسي فقد جاء في الخطاب قول عبد الناصر :

« ليس في استطاعتنا بحال من الأحوال اتباع طريق المزايدات .. وإذا كنا اليوم لانستطيع تحويل روافد نهر الأردن ، فإننا نقترح تأجيل تنفيذ هذه الأشغال حتى يحين الوقت الذي نصبح فيه قادرين على توفير الحماية لها . يجب أن نكون - مع أنفسنا (١) صرحاء »

فهل كان عبد الناصر صادق الفراسة ؟ بل هل كان عبد الناصر صادقاً فيما يقول ؟ وهل هذا الأسلوب يختلف عما تحدث به الرئيس بورقيبة ؟ .

(١) ج. ع. . - مصلحة الاستعلامات : مجموعة خطب ونصريحات وبيانات الرئيس جمال

عبد الناصر - القم الخامس ص ص ٤٢٧-٤٢٩ .

والسؤال الأهم هو لماذا أقدم الرئيس بورقيبة على المخاطرة بإثارة غضب زملائه العرب حينما تدخل في موضوع لا علاقة له مباشرة بتونس - والتي تعتبرها إسرائيل من دول الهامش -

لقد افترض في أول الأمر أنه إنما قام به بناء على مطلب من عبد الناصر - على حد قول أحد الباحثين (١) الذي أراد منع أو تأجيل اندلاع مسلح في الوقت الذي لا يستطيع فيه ، باعتباره زعيم القومية العربية ، أن يتحدث عن إمكان إجراء مفاوضات مع الإسرائيليين ، وقد تأيد هذا الافتراض بالعديد من الملاحظات ، منها : المحادثات التي جرت بين رئيسي الدولتين قبل يومين من خطاب بورقيبة في الرياض وكان الطابع البادي فيها هو طابع الود والتفاهم ، ثم امتناع الصحافة المصرية عن التعليق على التصريحات الأولى التي صدرت من الرئيس بورقيبة في هذا الشأن ثم أخيراً قيام عبد الناصر في الوقت نفسه الذي كان فيه الرئيس التونسي يدور بآرائه حول فلسطين ، باعطاء إجابات المجلات الفرنسية حديثاً لم يشر فيه بطبيعة الحال إلى المفاوضات ، وإنما سلم ضمناً بأن تنفيذ القرارات التي أعدها هيئة الأمم المتحدة قد يؤدي إلى نوع من التهايش السلمي ، وتفسير ذلك أن عبد الناصر ذكر أن الأمم الأفرو آسيوية في مؤتمر باندرينج قالت إنها تعتبر نفسها ذائعة إذا ما طبقت قرارات الأمم المتحدة هذه والدول العربية موافقة على هذه النقطة ومعنى ذلك أن عبد الناصر يرى أن تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة الصادرة في ٢ ديسمبر عام ١٩٤٨ - ونعني به القرار رقم ١٩٤ - لن يزيل إسرائيل وإنما سوف تبقى رغم ذلك دولة إسرائيلية قائمة في وسط العالم العربي (٢) .

(١) Aleum, Jean Pierre : op. cit. p. 414

(٢) جريدة « ريالتيه » أريال عام ١٩٦٥ رقم ٢٢١ .

جريدة « لوموند » بتاويخ ١٢ أبريل عام ١٩٦٥ .

مجلة جون أفريك بتاويخ ١٨ من أبريل عام ١٩٦٥ .

على أن تسلسل الأحداث جاء في مظهره مكدباً للافتراض الأول إما الافتراض الثاني وهو متعارض تماماً مع الأول فيستند إلى رغبة بورقيبة في زيادة نفوذه وهيئته عن طريق عمل جريء يقوم به ويحتل بوساطته مركزاً يستطيع منه أن يكشف عن نزعة التسلط والتحكم لدى عبدالناصر، وإذا كان لهذا التفسير نصيب من الصحة، وجب علينا أن نعترف بأن بورقيبة لم يوفق كل التوفيق فيما قصد إليه حيث لم يتلق أى تهتة من الولايات المتحدة، وأن كان قد لاح في الأفق مسحة من الرضاء الأمريكي على بورقيبة انعكست في تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية قائلاً (١).

«إن الولايات المتحدة ترحب بكل مبادرة يكون الغرض منها إيجاد حل دائم وسلمي للخلاف الناشب بين إسرائيل والبلاد العربية... وأن الطريقة المبرحة التي استخدمها الرئيس بورقيبة في مواجهة هذا الموضوع لما يسمح بقيام الأمل في أن تتخذ مبادرات جديدة من أجل الوصول إلى تسوية لهذه المشكلة... لقد أعرب الرئيس التونسي عن بعض المقترحات التي يمكن أن تصبح أساساً للمفاوضات على أنه من المحتمل (٢) أن يكون الرئيس بورقيبة وعبد الناصر قد التقيا في أثناء محادثتهما في القاهرة حول ضرورة إعادة النظر في الاستراتيجية الفلسطينية على ضوء من الواقعة.

وبالرغم من أننا ليس لدينا الوثائق - باستثناء الوقائع التي يسردها الشقيري مع الملوك والرؤساء العرب - وهي من جانب واحد - وبالتالي

(١) جريدة لوموند بتاريخ ٢٥ من أبريل عام ١٩٦٥.

(٢) Aleum, Jean Pierre : juifs et Arabes, op. cit, p. 415.

Merlin, Sumuel, The search for peace in the Middle East, op. cit. p. 81.

لا تتيح لنا الاعراب عن رأى أكيد بهذا الصدد ، غير أنه من المؤكد أن فرضنا بإعادة النظر في الاستراتيجية الفلسطينية من وجهة نظر عبد الناصر في هذه الفترة يعتبر قائماً .

أما تفسير ما حدث بعد ذلك فهو معروف حيث حدثت المالبسات السياسية المختلفة التي لاهلاقة لها بالموضوع مما حمل بورقية على تجاوز ماتم الاتفاق عليه من قبل وما دفع بعبد الناصر إلى انكار ماسبق أن وافق عليه ، ومن بين هذه المالبسات المختلفة يجب بالتأكيد ذكر امتناع بورقية عن السير وراء مصر في تطبيق لإجراءات القمع ضد ألمانيا ،

وهناك أيضاً تفسير آخر لهذا الموقف من قبل الرئيس بورقية تدل عليه سوابق له قد ينسأها البعض أو يتجاهلها الآخرون ، ذلك أن بورقية في الواقع لم يفعل سوى الإفصاح علناً في عام ١٩٦٥ عن رأى له سبق أن أبداه في أحاديثه الخاصة منذ عشر سنوات حين قال أنه يجب على إسرائيل وعلى الدول العربية أن تبحث فيما بينها عن الحل لجميع المشكلات التي تسبب الفرقة بينهما وأن تدخل من جانبي في ذلك ليس بالأمر المستبعد ولكن هذا التدخل ليس اليوم موعده وإنما موعده بعد أن تستقل تونس .

وعموماً — فلهما قيل في تفسير « قنبلة السلام التونسية » التي أطلقها الرئيس بورقية فقد تفاوتت ردود فعلها حقاً ففي الوقت الذي جاءت فيه هذه القنبلة تمثل صدمة للرأى العام العربى وقيام المظاهرات من بغداد إلى القاهرة تطالب برأسه ، في هذا الوقت أيضاً طالبت الصحافة الأمريكية والأوروبية بمنحه جائزة نوبل للسلام (١) .

Merlin, Samuel, 'The Search for peace in the Middle East, The story of Bourguiba', campaign for a Negotiated peace between Israel and Arab states (Thomas Yoreloff, New York 1958) pp. 29-31.

والخلاصة أن الرئيس بورقيبة لم يفرض فكرة وحدة الأمة العربية بل اعتبرها مجرد أسطورة في الوقت الذي اعتبر فيه إسرائيل « حقيقة تاريخية » كذلك أدت قبيلة السلام التونسية بالفعل إلى اهتزاز العلاقات العربية بشدة وازدياد انقسامات الجبهة العربية انقساماً على انقساماتها (١) .

مؤتمر القمة العربي الثالث وردود فعله :

في يوم ١٧ من مارس ١٩٦٥ انتشرت الأنباء في أرجاء الوطن العربي بأن المشروع العربي لتحويل روافد الأردن الذي أقره الملوك والرؤساء في مؤتمر القمة الثاني قد ضربته إسرائيل ، وكان ذلك أول نجاح عسكري صارخ واجهته الدول العربية بعد مؤتمر القمة الأول في القاهرة ، والثاني في الاسكندرية ، وفي نفس الوقت كان ذلك أول تحد فاصل واجهته القيادة العربية الموحدة التي ألقى عليها عبء الحماية العسكرية لتحويل الروافد .

وتساءل الرأي العام العربي آنئذ : أين مؤتمرات القمة وقراراتها ، أين الاستعدادات العسكرية ، أين القيادة العربية الموحدة ، أين أمين (٢) ؟ . وإزاء هذه التمنيات والتساؤلات راحت الأجهزة العربية الرسمية كعادتها ، ترضى وتزيد ، وترسل التصريحات جرافاً ،

ومن المصادفات الخزينة أن مجلس الجامعة العربية كان مجتمعاً في دورته العادية في نفس الشهر ، ونظر في التقرير المقدم من الحكومة السورية بصدد العدوان الإسرائيلي .

(١) Brecher, Michael, The Foreign policy system of Israel, op. cit. 93.

(٢) أحمد الشقيري : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص

غير أن قرار المجلس الذى صدر بالإجماع واحتوى مزيدا من العبارات الإنشائية البليغة التى تصدرها الجامعة العربية فى مثل هذه المناسبات ، جاء هذا القرار هزيلا - رغم خطورة توصيته - فلم تنفذ أى من الدول العربية ، وجاء القرار ليزيد الرأى العام العربى غضبا على مؤتمرات القمة وعلى الملوك والرؤساء وعلى القيادة العربية الموحدة ، وهنا جاءت الفرصة المهيبة لحزب البعث (١) فى دمشق ليعان عن عدائه التقليدى لعبد الناصر ، وكان عبد الناصر آنئذ يتمتع بسياسة المخاطرة المحسوبة التى اتبعها من قبل ، وكان مدركا تماما للأوضاع العربية وأحوالها البادية الوهن والضعف رغم ما أحرزه التنظيم العربى المشترك من تقدم كان فى أغلبه على الورق فقط ذلك أن نصف الجيش المصرى كان مقيد الحركة فى اليمن ، والجيش العراقى كان يخوض غمار حرب غير محققة النتيجة ضد الأكراد والفيلق العربى كان يعيد تنظيم قواته والجيش السورى كان فى حالة شلل من جراء أوضاعها السياسية والاقتصادية المتعثرة ، وبالإضافة إلى ذلك فكان هناك فى إسرائيل من يرى أنه مادامت الشروط اللازمة لشن الحرب يمكن أن تجتمع بعد سنة مع التحويل الفعلى لمنابع نهر الأردن ، فإن من الخير بدء القتال فورا ، بحيث كانت الملابس مواتية جدا ، وكان المعبر عن آراء أنصار الحرب هؤلاء هو موشو دبان وقد بلغت الحملة التى شنوها من أجل انجاس وجهة نظرهم من الخطورة حدا جعل رئيس الولايات المتحدة يسرع بإرسال أفريل هاريمان سفيره فى المهام الكبرى إلى القدس فى الأيام الأخيرة من شهر فبراير .

ولم يصدر أى بيان على أثر الأيام الخمسة التى قضتها هاريمان فى إسرائيل وإن كان ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكى آنئذ قد صرح خلال النصف الثانى من شهر فبراير ، قائلا :

« أن نزاعا قد ينشب فى أية لحظة فى الشرق الأوسط بسبب مياه نهر

(١) وذلك قبل تولي الفويق حافظ الأسد زمام القيادة فى سوريا .

الأردن» وعلى أى حال فقد قضى أفريل هايمان في القدس المدة مابين ٢٧ من فبراير و ٣ من مارس . ومن المحتمل - كما يرى بعض الباحثين - (١) أن يكون قد طلب إلى الحكومة الإسرائيلية ألا تبدأ الحرب بطريقة تلقائية في حالة تحويل منابع نهر الأردن وعلى كل حال ، ألا تتخذ أى قرار في هذا الشأن إلا بعد التفاوض مع الحكومة الأمريكية .

غير أن قادة إسرائيل شرعوا يكشفون الرأى العام الإسرائيلي والعالمي على السواء بالموقف الصارم الحازم : يجب اتخاذ إجراءات عسكرية لمنع الدول العربية من تنفيذ برامجها الخاصة بتحويل روافد نهر الأردن « وهذا مادعا إليه علانية موشى ديان بالرغم من أنه لم يكن يومئذ (٢٦/٣/٦٥) إلا مواطنا إسرائيليا ورئيس الأركان العامة للجيش الإسرائيلي السابق .

وصادف في تلك الفترة أن كان أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ في زيارة لبريطانيا ، فأعلن في حديث نقلته الإذاعة البريطانية في ٢٩/٣/٦٥ إنه : « إذا أقدم السوريون على تنفيذ مشاريعهم الحالية في تحويل المياه إلى تصفى بحيرة طبرية فإننا سنعتبر ذلك بمثابة عدوان إقليمي ، وسنرد بما هو مناسب ، وستلجأ إسرائيل إلى جميع الإجراءات لتحويل دون ذلك » .

وتجاوبت جولدا مائير مع هذا التهديد ، فأعلنت هي الأخرى أمام الكنيست أن الحكومة الإسرائيلية « مصممة على السماح لعرقلة المشروع الإسرائيلي لتحويل مياه نهر الأردن .

وفي سوريا ، شددت أجهزة الإعلام والصحافة السرية من هجومها على عبد الناصر وأخذت تكيل له الاتهامات لأنه لم يدفع بطائراته إلى تل أبيب انتقاماً للغارة الإسرائيلية على المواقع السورية التي كان يجري فيها

(١) Aleum, jean Pierre : juifs et Arabes - 3000 ans

D'Histoire, op. cit, pp. 403-405.

مشروع تحويل الروافد ، وأخذت الصحافة المصرية هي الأخرى تندد بسياسة المزايدات التي يتبعها حزب البعث الحاكم في سوريا .

وكان الرئيس اللبناني شارل حلو في زيارة للقاهرة في أول مايو ١٩٦٥ وأثار مع عبد الناصر مخاوف لبنان من العدوان الإسرائيلي ، وتنازل عبد الناصر الموضوع بإسهاب منذ أن نشأت أزمة تحويل مجرى نهر الأردن . . وقال (١) :

« . . . نعمل إيه . . . البعث في سوريا هو أصل المشكلة . . . المزايدات السورية التي جابت لنا المشكلة . . . موضوع نهر الأردن جزء من مشكلة فلسطين ، ومشكلة فلسطين محتاجة لوقت طويل واستعداد كبير ، البعث عاوزني أحرر فلسطين . . أنا ما أقدرش أحرر فلسطين . . البعث طرح شعاراً لتحرير فلسطين . . اليوم قبل الغد . . قبل ما نصنع طائرات ودبابات ما نقدرش نحرر فلسطين . . لكن نعمل إيه . . البعث عاوز يحكم سوريا . . ويحكم البلاد العربية . . أخيراً عقدنا مؤتمرات القمة ، واتفقنا على كل حاجة . . لإسرائيل أخيراً ضربت مواقع العمل السورية » ، صاحت سوريا . . لازم نهاجم . . أنا بأقول نحن لا نقدر أن نهاجم . . يمكن لا نقدر أن ندافع في الظروف الراهنة . . لازم نكمل استعدادنا . . » .

ولم يكف شارل حلو يغادر القاهرة إلى باريس ليبدأ مباحثات مع الرئيس دييجول حتى راحت إسرائيل تصعد الأزمة .

وجاء دور الاتحاد السوفيتي ، فنطق الكس كوسيجين بكلام ساخن بعض الشيء يقول فيه : « إن اتفاق المصالح الاستعمارية والإمبريالية الغربية تجعلنا لا نستبعد حرب سويس ثانية » ، وأن هذه الحرب إذا قامت فلن تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، ولكنها ستشمل المنطقة بأسرها وخاصة

(١) أحمد الشقبري : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ٤٢

الدول العربية .. وأن الاتحاد السوفيتي يؤيد الجمهورية العربية المتحدة بكل إمكاناته ، وأنه مستعد لتقديم كل المساعدة الممكنة لها .

وكان لفظ المساعدة (١) الممكنة « لا يتناسب مع المساعدات الأمريكية غير المحدودة لإسرائيل ، وعموماً فقد نفذت إسرائيل تهديداتها حيث تعرضت سوريا لأربعة اعتداءات جديدة في منطقة الدكة قريباً من خطوط الهدنة العربية الإسرائيلية ،

وفي مثل هذا المأزوم المحموم هرولت رؤساء الحكومات العربية إلى القاهرة في ٢٦/٥/١٩٦٥ لاعتقد ما يسمى بمجلس رؤساء الحكومات العربية ، وبدأت الاجتماعات لتشهد تبخر المشروع العربي لتحرير بلدي الأردن ، وتعتبر عمل القيادة العربية الموحدة ، وأخذت هيئة المشروع تشكو من توقف العمل في سوريا ولبنان ، وتقدمت القيادة العربية الموحدة بشكو هي الأخرى من الدول العربية أمام تنفيذ المطالب العسكرية وتقديم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تشكو عدم الوفاء بالالتزامات المالية .

وساد الاجتماعات السرية كلام مفرجج ، وذلك بعكس ما أعلنته أجهزة الإعلام والصحافة العربية للرأى العام العربي من أن العمل في خطة الملوك والرؤساء العرب يسير قدماً بعزم أكيد في جميع الميادين . . . وأن الأمة العربية ماضية في مسيلها قدماً ،

(١) اعتدنا في هذه الجزء الدراسة على : مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى
القاهرة ١٥/١/١٩٧٥ .

أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء مرجع سابق ص ٤٣-٤٩ .

أحمد الشقيرى : من القمة^٧ إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ص ١١٠ ،

٢١٢-٢٧٤ - أحمد الشقيرى : حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء : دار العودة ، بيروت
ص ٧٥-٨٥ .

وهذه عينة من الكلام المفجع الذي قيل في هذه الجلسات :

فقد ذكر الدكتور نور الدين الأتاسي في رده على [السيد / زكريا محيي الدين الذي كان يرى ضرورة التفريق بين الاعتداءات الإسرائيلية المحدودة والاعتداءات الشاملة : وقال الأتاسي في رده : « الاعتداء اعتداء ها ! ما نفهمه في سوريا » .

كذلك فقد وقعت مشادة بين الفريق على على عامر والعقيد فهد الشاعر رئيس الأركان السوري عما إذا كانت القيادة العربية الموحدة بلجنة استشارية للدول العربية أم هي خلاف ذلك :

أما وصفى التل - الذي أصبح رئيساً للوزراء وطلب إليه الملك حسين في « كتاب التكليف السامي » أن يمضي قدماً في حمل « رسالة الثورة العربية الكبرى ليكون الأردن خط الدفاع الأول عن دنيا العرب و... و... » فقال أنه لا يوافق على دخول القوات العراقية والسعودية إلى الأردن إلا بعد أن تستكمل القيادة العربية الموحدة استعداداتها العسكرية « وهنا قال اللواء عبد المنعم رياض أن دخول القوات العراقية والسعودية إلى مراكزها المحددة لها في الأردن هو جزء من الاستعدادات العسكرية وأن معارضة الأردن تعطل كل خططنا العسكرية وتعرض موقفنا للخطر ، ولم يقنع السيد وصفى التل بهذا الجواب ، وراح يفند أقوال اللواء عبد المنعم رياض مستعملاً بعض التعبيرات العسكرية مثل : الحشد ، التعبئة ، مركز القوة ، الالتفاف ، غير أنه في بداية الجلسة السرية التالية طلب السيد وصفى التل الإذن بالكلام حيث قال « إن وحدات من الجيش الإسرائيلي قامت ليلة ١٩٦٥/٥/٢٨ بغارات شملت قرية المنشية في شمال الأردن ، وجنين وقلقيلية » وأضاف قائلاً :

« إن الأردن مستعد لرد مثل هذه الاعتداءات ، ونحن لسنا كغيرنا . - معرضاً لسوريا - ونحن قادرون أن نرد الصاع صاعين » .

وهنا قال السيد / أحمد الشقيري :

« منذ أن وقعت اتفاقية الهدنة في عام ١٩٤٩ لا أعلم أن الأردن قد رد على إسرائيل في غارة واحدة ، ، انتقاماً لآلاف الغارات التي شنتها إسرائيل » ،

وقاطعه السيد وصفي التل قائلاً أن رقم « آلاف » مبالغ فيه كثيراً، وهذا هو أسلوب منظمة التحرير ، فرد عليه الشقيري قائلاً :

« إن معي الآن كشفاً مؤرخاً ١٠/٤/١٩٦٥ موقعاً من المقدم محمد داود رئيس الجانب الأردني في لجنة الهدنة المشتركة يذكر فيه :

« إن إسرائيل أطلقت النار على الأردن ١٣٧٥ مرة ، واجتازت قواتها حط الهدنة ١٧٢ مرة ، وحشدت قواتها على الحدود ٧٤ مرة ، وطردت السكان العرب من إسرائيل إلى الأردن ٧٧ مرة ، واعتدت على مدينة القدس ٥٣١ مرة وقامت باعتداء جوي ٤٢٩٩ مرة . . . » .

وكان ما أجابه وصفي التل أن قال :

« نحن لا نريد أن ندخل في حوار مع منظمة التحرير . . . » .

وهكذا طوى الموضوع مع الموضوع الكبير ، العدوان الإسرائيلي على سوريا ، ، وجرى تحويله على مؤتمر الدار البيضاء :

وفي الدار البيضاء عقد مؤتمر القمة العربي الثالث في الفترة من ١٣ إلى ١٧^{٢٤} من سبتمبر ١٩٦٥ (١) ، ومع أن المؤتمرين الأول والثاني عقدا خلال عام ١٩٦٤ إلا أنه لا يمكن فصل ما أسفر عنه هذان المؤتمران عن نتائج المؤتمر الثالث .

وقد بدأ المؤتمر باستعراض عام للموقف ، فتحدث عبد الناصر عن

(١) وقد حضر هذا المؤتمر ١٢ دولة عربية وامتنت نونس من الحضور .

٥٤٣

استعداد الجيش المصرى تدريباً وتسليحاً وأفضى إلى الاجتماع بأنه عقد صفقة كبرى للسلاح مع السرفيت بما قيمته مائة مليون دولار. وأن مصر تعد نفسها للمعركة كما لو كانت وحدها .

ثم تكلم أمين الحافظ عما أنجزته سوريا في الميدان العسكرى وأن ٦٠ ٪ من ميزانيتها مكرس للجيش ، وأن على الدول البترولية أن تؤدى واجبها كاملاً وأن المال لن ينفع أصحابه (١) .

وأشهب عبد السلام عارف في المدى الذى وصل إليه الجيش العراقى من الاستعداد .

وتكلم الرئيس شارل حلو والمملك حسين عن المصاعب التى تعترض أعمال تحويل الأردن واعتداءات إسرائيل المتكررة .

وتحدث بومدين عن تجارب الثورة الجزائرية وآن تحرير فلسطين لا يتم عن طريق الحرب النظامية وأن الوسيلة المثلى هى حرب العصابات .

وأشار الملك الحسن الثانى إلى الدور الكبير الذى يمكن أن تلعبه دول المغرب فى مشكلة فلسطين .

أما الملك فيصل فأشار فى عبارة موجزة بأن « لا ننسى سور العالم الإسلامى فى مشكلة فلسطين ونحن من جانبنا حاضرون للقيام بأى عمل نتفاهم عليه مع الدول الإسلامية » .

(١) وقد ضرب مثلاً بديثاً لذلك حيث قال : إن المرء إذا مات لا يأخذ معه إلا قطنة تحشى فى... هكذا كان الحافظ ينظر تارة إلى أمير الكويت وتارة إلى الملك فيصل ومرة ثالثة إلى ولي عهد ليبيا .

ويذكر الشقيرى أنه أعجب جداً ببذاءة وشجاعة أمين الحافظ :

أحمد الشقيرى ، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق، ص ٨١ .

وهنا رد عليه الشقيرى قائلا :

« أن العالم الإسلامى ذخيرة كبرى للمشكلة الفلسطينية . . ولإى أعلن باسم منظمة التحرير أننا نساند جهود الملك فيصل فى هذا السبيل . ولكننا نريده موثماً إسلامياً حقيقياً يساند الأمة العربية فى انقاذ الديار المقدسة من أيدى إسرائيل » :

وكان مقدراً لهذا الحديث أن يكون هو الركيزة التى اعتمدها الملك فيصل فيما بعد للدعوة إلى مؤتمر للدول الإسلامية ، فكان مثارا لشجار كبير بين الرياض والقاهرة وعدد من العواصم العربية والرأى العام العربى على السواء .

وبدأت الجلسة التالية حيث تحدث فيها الشقيرى فعرض أولاً موضوع الإقامة والسفر والعمل لأبناء فلسطين وشرح ما يلاقىه أبناء فلسطين من المتاعب والقيود فيما يتصل بعملهم وسفرهم وإقامتهم وأن هذا لا يلىق بالأخوة العربية ، وشرح بعض « المفجعات » فى هذا الصدد مثل السماح « للحشمان » باجتياز الحدود بين سوريا ولبنان وعدم السماح لأصحاب « الحشمان » بالمرور وختم الشقيرى فى النهاية بأن الجامعة العربية قد وضعت « بروتوكولا » لتنظيم شئون الفلسطينيين وهو يمثل الحد الأدنى من التسهيلات للشعب الفلسطينى ،

ورد أمين الحافظ بأن سوريا تعامل الفلسطينيين كعاملية السوريين سواء بسواء ، وتكلم الملك حسين بكلام مماثل ، أما الملك فيصل فقد تحدث غاضباً من هذه المعاملات المشينة التى يتعرض لها الفلسطينيون والتى لا تتفق مع الأخوة فى الدين ، أما الذين يمنعون من دخول المملكة أو يطردون منها فهى أمور متعلقة بالأمن .

على أن موضوع البروتوكول قد غرق فى خضم هذه « النخوات » (١).

والمفارقات وفي بحار من التحفظات وبقي البروتوكول من غير توقيع في أوراق الجامعة العربية التي تحرق كل خمسة أعوام في جملة ما يحرق من المهملات .

ثم تناول الشقيرى بعد ذلك موضوع الانتخابات العامة لاختيار مجلس وطني تنبثق منه قيادة فلسطينية تكون مسئولة أمام الشعب الفلسطيني ، وطالب الشقيرى الملوك والرؤساء العرب تيسير ذلك للمنظمة ، ولم يرد عليه سوى الملك فيصل والملك حسين .

فاشترط الأول أن تتم الانتخابات بعيداً عن المنظمة وأن يتولى الإشراف عليها « القضاة الشرعيون » .

أما الملك حسين فكان يرى وجوب أن تكون أكثرية المجلس الوطنى الفلسطينى من الفلسطينيين الأردنيين .

وعموماً فإن الملوك والرؤساء لم يتفقوا على صيغة موحدة تجاه ذلك « وزحلخوا » الموضوع بأن أوكلوه إلى المنظمة للاتفاق مع الدول العربية » .

ثم عرض الشقيرى مسألة التجنيد الإجبارى لأبناء فلسطين فى الأردن فعارض الملك حسين « لأسباب اقتصادية واجتماعية تعرفونها ولأننا لانريد أن نخلق حساسية بين فلسطينى وأردنى » ولم يتكلم أحد من الملوك والرؤساء العرب لإزاء أصرار الملك حسين .

وأخيراً تعرض الشقيرى إلى إنشاء قوات فلسطينية إضافية . . سبعة كتائب صاعقة ، أربعة منها فى سوريا وثلاثة فى قطاع غزة وذلك بموجب خطة القيادة العربية الموحدة ، وقد قرر الملوك والرؤساء - على الورق طبعاً - تكليف القيادة الموحدة بالاشتراك مع منظمة التحرير

الفلسطينية في إنشاء القوات الفلسطينية المنصوص عليها في خطة الإنشاء .

وهنا تحدث الفريق على عامر عن المسال ، وطلب خمسة ملايين ونصف مليون جنيه استرليني فتظر الملوك والرؤساء العرب إلى وجوه بعض وقالوا دبر أمر . . وفرودبر . . فرد الفريق على عامر بأنه لا يوجد وفورات .

وبعد ذلك تحدث عيد الناصر عن خطة تحرير فلسطين وذلك بعد أن شرح الفريق على عامر المصاعب التي يواجهها مع السلطات السورية واللبنانية بصدد نقل القوات العربية وتدعيم الجبهتين السورية واللبنانية ثم شكاً من موقف العناد الذي يقفه الأردن وأثر ذلك على الخطة العسكرية في مجموعها ثم تحدث تفصيلاً عن العوامل الثلاثة في معركة التحرير : القوات العسكرية اللازمة ، الأموال الكافية ، التوقيت الملائم . . « وفي ستة أيام نكون قادرين على تحرير فلسطين » وكأنما نحن وضعنا الخطة وبادرت إسرائيل لتنفيذها ، ولكن نصر آلهما وهزيمة علينا .

وتعاقب الملوك والرؤساء في الثناء على الخطة ثم تحدث الشقيرى فقال (١) : « ليست هذه أول مرة توضع فيها خطة لتحرير فلسطين . . لقد عشت مؤتمرات سابقة وضعت فيها مثل هذه الخطة . . وأنى أدعو الله أن نكون اليوم أمام الخطة الأخيرة ، ويتم تحرير فلسطين لتستريح الأمة العربية إلى الأبد . . المشكلة الفلسطينية كلفت الأمة العربية نمنا غالبا من الرجال والجهود والأموال . . وأن الأرخص هو تحرير فلسطين . . ولو أنكم وضعتم على هذه المائدة نصف إمكاناتكم المالية وتقشتم عاما أو عامين لاسترحتم من إسرائيل كل العمر » .

أما من ناحية التزام الشعب الفلسطيني المادى فقد رأى الشقيرى ضرورة فرض ضريبة : التحرير على الفلسطينيين أينما كانوا بواقع ٣ - ٦% من دخولهم وبتسديد للدول العربية لتأخراتها المالية المستحقة لمنظمة التحرير وبحيى التحرير الفلسطينى (١) .

وانتهى مؤتمر القمة على نغمات التفاؤل الخلوقة وجاء دور القرارات العلنية للرأى العام العربى ، وكان أهم قرارات هذا المؤتمر « ميثاق التضامن العربى » القاضى بتحقيق التضامن فى القضايا العربية خاصة مسألة تحرير فلسطين واحترام سيادة كل دولة عربية ونظامها الداخلى وفنقالدستورها وقوانينها الداخلية واستخدام كل وسائل الإعلام فى خدمة القضية العربية والحفاظة على المناقشة الموضوعية والنقد البناء فيما يخصر بالقضايا العربية .

وفى تقييم مؤتمرات القمة العربية للثلاثة الماضية فلإننا نجد أن الوقت قد مر عليها وهى تترنج فى الفضاء بين اليأس والرجاء ، وقد كان مؤتمر الدار البيضاء هو آخر مؤتمر للملوك والرؤساء ولم يعقد بعده مؤتمر القمة فى الجزائر كما تعاهدوا قبل أن يتفرقوا .

واتسمت فترة مؤتمرات القمة الثلاثة السابقة بعدم حل التنافس والاختلاف بين « الدول الثورية (٢) » ، وقد رأينا كيف دعت سوريا قبل وأثناء انعقاد المؤتمر الثالث إلى شن هجوم عسكرى عربى على إسرائيل اليوم قبل الغد (٣) ، وهذا يناقض ما كانت تؤمن به من مصر من ضرورة تدعيم الاستعدادات العسكرية العربية تمهيدا لخوض معركة مصيرية ضد إسرائيل ، كما أن التنافس بين سوريا والعراق ظل قائما .

(١) Kddi, Leila S. : Arab Summit Confernces and the Palestine Problem op. cit, pp. 169-185.

(٢) Ibid, pp. 181-183.

(٣) Ibid, p. 180.

وفي الفترة التالية لمؤتمر القمة العربي الثالث برزت مرة ثانية جذور التناقض بين الدول العربية الملكية ، ووقفت مصر بصورة رئيسية وراء الجمهورية اليمنية ، وهاجمت مصر أيضاً بعض الدول « الرجعية » بسبب عدم قطع علاقاتها الدبلوماسية. مع ألمانيا الغربية بعد اكتشاف مساعداتها العسكرية لإسرائيل (١) ، وفي مسألة التجمع أو الحلف الإسلامي أو المؤتمر الإسلامي الذي اعتبرته الدول الثورية « تكتلاً رجعياً استعمارياً لها » (٢) .

وفي هذه الفترة أيضاً أعلنت الأنظمة الرجعية « التمسك بسياسة مؤتمرات القمة ، ودعت للحفاظ على التضامن العربي » (٢) .

أما الدول « الثورية » فقد هاجمت سياسة مؤتمرات القمة العربية واعتبرت أنها سياسة انتهت لصالح العناصر الرجعية لأنها عودة إلى العمل العربي التقليدي لإزاء تحرير فلسطين ، وأنها تضليل للشعب العربي وامتصاص لنقمتهم وتمييع لمشكلة فلسطين (٣) .

كذلك اتسمت فترة مؤتمرات القمة برفض الرأي العام العربي والجماهير العربية الحلول التي لا تتواءم وأهداف العمل الجماهيري العربي آنئذ ، وتجاوبا مع هدف النضال القومي هذا رفض العرب اقتراحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، واتهمته الدول « الثورية » بالرجعية وأن مثل هذه الحلول هي وأد لتطالعات الجماهير العربية (٤) .

أيضاً اتسمت فترة ما بعد مؤتمر القمة العربي الثالث بقوتر العلاقات

3bid, p. 146-162.

(١)

(٢) وهو ما سوف تتعرض له تفصيلاً .

(٣) الوثائق الفلسطينية الثرية لعام ١٩٦٦ إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت .

١٩٦٧ ص ٧٦ - ٨٣ ، ١١٨ - ١٤٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٥١ ، ٥٩ ، ٣٤٦ ، ٣٠٧ - ٣٦١ .

وبالاختلافات والانهزامات المتبادلة والتشكيك في إذا كان هناك عدم رضا المملكة العربية السعودية والأردن - خاصة - على طلب مصر تأجيل مؤتمر القمة العربي الرابع المقرر عقده (١) ، فإن هناك قيام الأردن بشن هجوم إعلامي على الجمهورية العربية المتحدة :

وهناك أيضاً مسألة توتر العلاقات بين سوريا والأردن إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن اتهمت سوريا الأردن بتدبير انقلاب ضدها (٢) .

ورغم حالة التمزق التي سادت العالم العربي بالإضافة إلى حرب الجبهات العربية فقد حدثت فيما بعد أيام قليلة من التماسك وخصوصاً على الجبهة العربية المواجهة لإسرائيل .

وعموماً فإن الحرب الباردة بين الدول العربية قد أصابت العمل العربي المشترك بأضرار بالغة بحيث بلغت المأساة قممها حين بدأت الدول العربية في تنسيق خططها وجهودها فيما بعد بدون جدوى .

وفيما يخص بالعمل الفلسطيني فقد انقسم إلى صيغتين إحداهما منظمة التحرير الفلسطينية التي سبق أن أوضحنا ظروف تكوينها والأخرى فتح التي نستعرض تكوينها وظروف عملها وأوضاعها المميزة فيما يلي :

حركة التحرير الفلسطينية « فتح »

ظروف تكوينها . . نشاطها الفدائي وردود الفعل :

تعني كلمة فتح الحروف الأولى التي تتكون منها حركة التحرير الفلسطينية حركة تحرير فلسطين حيث تقرأ من اليسار إلى اليمين ، وفتح هي منظمة

(١) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق ص ص ٧٥٥ - ٣٥١ ، ٣٥٧ -

٣٦١ - ٣٩٤ .

(٢) السياسة الدولية - العدد ٨ أبريل ١٩٦٧ ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٨٠ .

سياسة فدائية فلسطينية أقامت تنظيمها على أساس الخلايا السرية منذ أواخر الخمسينات حيث أسسها ياسر عرفات وهاني الحسن و خليل الوزير ثم شاركهم زملاء آخرون ممن كانوا يدرسون مع ياسر عرفات بجامعة شتوتجارت ، وانضم بعد ذلك إلى منظمة فتح مزيد من الطلبة الفلسطينيين الذين يدرسون في جامعات أخرى في ألمانيا والنمسا .

وأخذ ياسر عرفات وزملاؤه يشرحون بالتفصيل مبادئ وعقائد حركة فتح وكان هدفهم الأول هو تحرير فلسطين وكانت جميع المشاكل العربية الأخرى تعتبر هدفا ثانويا وقرروا - على حد قول فريق من كتاب الإسرائيليين المعاصرين (١) - عدم الاعتماد على أى قائد عربي ، وأن على الفلسطينيين أنفسهم أن يحاربوا لتحرير وطنهم وأن السبيل لتحقيق ذلك هو ارغام الدول العربية على القتال وذلك بالعمل على تصعيد العداء بين العرب وإسرائيل ،

وفي مصر كان الطلبة الفلسطينيون قد انتظموا في اتحاد باسمهم في القاهرة وإن كان هذا الاتحاد - قد خضع تماما للنفوذ المصري وقتئذ .

أما في ألمانيا فقد بقى الجزء الأكبر من أعضاء هذا الاتحاد وكان يتبع اتحاد ألمانيا فرع آخر له في النمسا ، وبدأ طلبة فتح يسيطرون على فرع المنظمة ونجحوا في الحصول على المراكز القيادية فيه .

وفي عام ١٩٦٤ أصبح لأعضاء الاتحاد في ألمانيا السيطرة الكاملة على اتحاد الطلبة الفلسطينيين في ألمانيا والنمسا واستقلوا به تماما من المنظمة المصرية الأم ، وعندئذ سجلوا أسماء عدة مئات من الطلبة في منظمة فتح وكونوا خلايا تابعة لها في كل الجامعات الكبيرة في ألمانيا والنمسا ، وكذلك في إيطاليا

(١) Kimch (David) and Bawly (Dan), The sandstorm, the Ara-BIsracli war of 1997, Prelude and Aftermath pp. 1-2,

وأسبانيا وبلغوسلافيا ، وكان السواد الأعظم من هؤلاء الطلبة يمارسون نشر مبادئهم بين الطلبة العرب هناك واقتصرت الأعمال الإيجابية الفدائية على ذوى الخبرة من الصفوة والتي كانت تتركز في شتاتوجارت .

كذلك كان رؤساء منظمة فتح قد اتجهوا منذ أوائل الستينيات نحو بكن وحصلوا على وعد بالمساعدة بل وانتظموا في برنامج قاسي للتدريب على فنون حرب العصابات وأساليب القتال .

وبمجرد أن حصلت الجزائر على استقلالها ، أقيمت فيها معسكرات لتدريب الوطنيين من أفريقيا ، وأرسل قادة فتح كل من يرغب من الفلسطينيين إليها ، كذلك تم هناك إنشاء مكتب يسجل فيه أسماء الفلسطينيين الذين يرغبون في الحصول على عمل بالجزائر .

وفي الكويت كان الفلسطينيون يشكلون نسبة كبيرة من عدد السكان ووافق أمير الكويت على إقامة معسكرات للتدريب .

وفي سوريا التي كان قد بدأ فيها الفلسطينيون نشاطهم منذ أوسط الخمسينات اتجه إليها ياسر عرفات لقرعها من إسرائيل بالنسبة للفدائيين فضلا عن الحفاوة البالغة التي استقبل بها هناك ولسماح سوريا للفلسطينيين بالحفاظ على استقلالهم بل ومعاونتهم .

وقد لجأ قادة فتح إلى أحكام الأمن والسيطرة والاحتفاظ بسرية الحركة فأخذوا يعملون تحت أسماء مستعارة واتخذ ياسر عرفات لنفسه اسما مستعارا هو « أبوعمار » وذلك لعقب العمليات الفدائية الأولى التي قامت بها فتح في منتصف الستينات .

وهذا التحول الذي طرأ على حركة فتح من فلسطينيين مقيمين في ألمانيا والجزائر والكويت إلى النشاط بين اللاجئين المقيمين في الأردن ولبنان وسوريا

هو الذي جعل قادة فتح يغفرون من أساليبهم في القتال ، وفي هذه الفترة لم يستطع قادة فتح السيطرة على جميع المتطوعين الفلسطينيين وتجنيدهم واعداد القادتين منهم - أى من اللاجئيين .

وقد مدت سوريا لمنظمة فتح يد المساعدة الفعلية وكونت منهم مجموعات منتشرة في مدن ومعسكرات اللاجئيين ، وقد تبنت سوريا في الوقت ذاته حماية النضال العربي لتحرير فلسطين بالنضال ضد إسرائيل وهنا ظهرت في الصورة منظمة فتح التي صار مبدأها طرح التساؤلات الخمس الآتية - كما يقول أحد قادتها (١) .

ماذا نريد ؟

وكيف ؟

وبمن ؟

ومن أين ؟

ومتى ؟

ومن الإجابة عليها تكونت العناصر الأساسية لنظرية فتح ، فقد قالت .
أننا نريد التحرير .. وسيلتنا هي تحريك الوجود الفلسطيني .. وبعث الشخصية الفلسطينية محليا ودوليا من خلال تكوين المقاتل الفلسطيني الصعب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية .. ذلك يتطلب طليعة قادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية في طريق الثورة المسلحة وحشدتها فيها لتكون قادرة بها على .

(١) تجميد حركة نمو الوجود الإسرائيلي الصهيوني .

(١) فتح : الميلاد والمسيرة ، حديث مع كمال عدوان - مجلة شئون فلسطينية رقم ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ - إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت
ص ٤٧ - ٤٩ .

(ب) تقطيع هذا الوجود ،

(ج) تصفية الدولة رمز هذا الوجود .

(د) اعادة بناء الدولة الفلسطينية حرة ديمقراطية وهكذا مارست فتح عملها الفدائي ضد إسرائيل منذ عام ١٩٦٥ بفكر وأسلوب سياسي وعسكري يخالف التيار السياسي العربي السائد آنذاك بخصوص التعامل مع المشكلة الفلسطينية ،

وفي مصر - لم يكن عبد الناصر مستعداً لمثل هذا التعامل مع إسرائيل بهذا الأسلوب ، بمعنى أن عبد الناصر لم يكن مستعداً لشن مثل هذه الحرب حيث كان يتجنب ناراً قد يشتد أوارها فلا تبقى ولا تذر ، وكان يعرف نقطة الضعف ، وهي أنه من الجنون حينئذ استفزاز إسرائيل للقتال قبل استكمال الجيش المصري ليصبح قادراً على إبادة إسرائيل خصوصاً وأن نصف الجيش المصري مشغول في اليمن وهذا ما جعله يلتزم الحرص والحذر في معالجة المشكلة الفلسطينية ،

غير أن مبادرة فتح إلى شن عملياتها الفدائية ضد إسرائيل قد فجرت الكثير من الجدل والاختلاف ، وليس هذا منعزلاً عن صراعات وتنافس الدول العربية ،

فمن جانب أوضحت فتح في البيان السياسي الأول الذي أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة .

أن مخططاتنا في الميدانين العسكري والسياسي لا تتعارض مع المخطط الفلسطيني والعربي الرسميين في المنطقة ، لأن الكفاح من أجل فلسطين يصب في مجرى واحد يبدأ وينتهي باجتثاث الخطر الصهيوني من على أرضنا (١) .

(١) حركة التحرير الفلسطيني « فتح » : مشاهل الثورة على درب العودة ، ط ١

وفي جانب آخر فقد كشف رئيس الحكومة اللبنانية في تصريحه أمام لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان اللبناني في ١٨/٦/١٩٦٥ عن موقف لبنان من عمليات فتح الفدائية قوله .

« أن القائد العام للقيادة العربية الموحدة يعتبر أن حركة الفدائيين ليست في مصالحة المشكلة الفلسطينية ، وأن عبء تحرير فلسطين لا يمكن أن تتحمله إلا الجيوش العربية النظامية » .

كما أجاب وصفي التل رئيس وزراء الأردن آنذاك على ما قيل حول منع الفدائيين من المرور إلى إسرائيل .

« أن هذا القرار اتخذ في مؤتمر القمة ، وأن القيادة العربية الموحدة قد أرسلت لنا وبجميع الدول العربية المحيطة بإسرائيل عشرات التعاميم حول هذه النقطة (١) » .

وقد تقدمت فتح بملكرة إلى مؤتمر القمة العربي الثالث قالت فيها (٢) أن فتح هي مجموعة من الشباب الذين عقدوا العزم على استرداد وطنهم في معركة شرف حقيقية بعد أن هدم الشوق إلى أرضهم وصل بينهم وبين الجهاد الذي يتوقون إليه . وقالت أنها منذ انتهجت الكفاح المسلح خطا لهم عرفت وعرفت ومعها الجماهير أن :

« الرصاصة في ظروف تاريخية معينة ، تعني ظروف التحرير ، هي التي تفعل وتقرر وتقوض الظلم وتبني الأوطان » .

وأضافت المذكرة قائلة أن الوقت في صالح إسرائيل وأن طبيعة الحكم والأوضاع الداخلية في الدول العربية يجعلها تميل إلى المعركة إلى ما لا نهاية ولذا فإن « . . . » المعركة يجب أن تكون اليوم لا غداً . . . » .

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ - مرجع سابق ص ٥٤٤-٥٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣-١٠٦ .

وقالت المذكرة أيضاً : « إن فلسطين هي طريق للوحدة العربية » ذلك أن معركة تحرير فلسطين ستكون قادرة على حل تناقضات العرب وتجميع كافة طاقات الأمة العربية ، وأعلنت أنها على استعداد للتعاون والتنسيق مع أى جهة عربية تنوى العمل لتحرير فلسطين على أن تبقى القيادة في أيدي الفلسطينيين .

وطالبت المذكرة الدول العربية بالكف عن ملاحقة قوات الصاعقة وقهر أفرادها وإطلاق حريتها في العمل ، ورفع الحظر المضروب في العالم العربي على نشر أنباء عماليات العاصفة بناء على توصية القيادة العربية الموحدة .

ثم انتقلت مذكرة فتح إلى نقطة ثانية ، فقالت أنها حاولت أن تكون إيجابية مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن تبين لها أن المنظمة هي « وليدة مؤتمر القمة ، سترث عن هذا المؤتمر دمه ولحمه ، وسوف تنعكس عليها طبيعة التناقضات التي تكشف عنها فيما بعد . . . » وأن المنظمة بصرف النظر عن طبيعة إعدادها للمعركة المقبلة ، إنما تبني نفسها لمعركة بعيدة المدى ، وليس من طبيعة عمليات الإعداد الحارية فيها ما ينبغي بالاستعداد لمعركة قريبة وهذا وحده لا يتفق مع منطقاً » .

وطالبت المذكرة بعد ذلك ببقاء القوى الفلسطينية على أرض المعركة .

منظمة التحرير الفلسطينية والاستقطاب العربي :

صدر البلاغ الختامي لمؤتمر القمة العربي الثالث ليؤكد أن القيادة العربية المشتركة سوف تدخل عليها تحسينات ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية وجيشها سوف تزداد قوتها ، وأن أشغال التحويل سوف تستمر وفقاً للتصميمات الموضوعية لها ، وأن الدول العربية سوف توحد نشاطها في داخل هيئة الأمم المتحدة ، وفي محافل العالم الثالث من أجل الوقوف في وجه كل محاولة ترمي إلى « تصفية قضية اللاجئين » .

وهكذا جاء التعريف بالإستراتيجية العربية الجديدة التي سوف ينتقل

مجال تطبيقها من منطقة الحدود ومن حوض الأردن إلى مجال آخر أكثر سلاماً، وهو مجال المنظمات الدولية . وكان في ذلك تطور متفق، في مجموعه، مع المقترحات التي صدرت عن الرئيس بورقيبة ، ذلك الرجل الغائب عن جلسات المؤتمر ، ورغبة من المؤتمرين في تجسيد وحدة العمل السياسي التي تقرر فيهم ، وقعوا جميعاً على ميثاق للتضامن العربي بتاريخ ١٦ من سبتمبر ١٩٦٥

غير أن رؤساء الدول العربية الموجودين في المؤتمر أرادوا أن يتخلصوا بكرامة من المأزق الفلسطيني الذي أمامهم فعملوا بعد النص على بعض البنود الكلامية التي لا تقدم ولا تؤخر ، إلى قصر مطامعهم الفلسطينية على أهداف محدودة، بل ولم يراعوا في صياغتهم لهذه الأهداف ما إذا كانت قابلة للتحقيق من عدمه، ويرجع سبب ذلك إلى أن العالم العربي ، ولما ينقص عليه عام كامل بعد فرحة المؤتمرين السابقين، كان في ذلك الوقت مسرحاً للكثير من الأزمات والتمردات والمنازعات التي تعتمل في كل مكان على الأفق .

ففي مصر كان الإخوان المسلمون الذين راحوا منذ بضعة شهور يبدون معارضة شديدة لنظام الحكم قد ارتكبوا في يوم ٨ من سبتمبر عدة حوادث في الاسكندرية وفي القاهرة وفي أسوان .

وفي نفس الفترة التي كان مؤتمر القمة منعقد فيها ، وقعت محاولة لإتقلاب في بغداد ، قيل وقتها أنها من فعل فريق من الموالين لعبد الناصر .

وفي اليمن أدى النزاع المستحكم بين الخصمين من ملكيين وجمهوريين إلى إعادة النقاش حول الاتفاقيات التي أبرمت يوم ٢٢ من أغسطس في جدة فيما بين الملك فيصل وعبد الناصر والتي نص فيها على إتمام سحب القوات المصرية من اليمن في شهر سبتمبر عام ١٩٦٦ ، ولكن في هذا التاريخ لم يكن قد تم سحب شيء من تلك القوات بل على العكس زيد عددها حتى وصلت إلى ستين ألف رجل ، وهكذا كان جانب هام من

الجيش المصرى مقيد الحركه على بعد ألفى كيلو متر من قواعده .

واذ خشى الملك فيصل أن يودى فشل محاولات الوساطة في اليمن إلى وقوع اعتداءات مصرية جديدة ، اتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية يطلب منها العون السياسى وتزويده بالأسلحة . ثم كان ما هو أهم من ذلك إذ بدأ الملك فيصل في خلال شهر ديسمبر عام ١٩٦٥ يعد في طهران مع شاه إيران مشروع تحالف إسلامي . وقد بدأ أن تونس وليبيا والمغرب والكويت ، بل والعراق أيضاً ، كانت تنظر بارتياح إلى هذه المحاولة الجديدة لأنها كانت موجهه ضد مصر الناصرية ، مما قد يودى إلى تفكك التحالف المقدس الذى عقد في الدار البيضاء .

وكانت سوريا هى التى شهدت الحادث الذى قدر له أن يؤثر تأثيراً رهيباً ، في المدى القريب ، على مصير العالم العربى ومصير إسرائيل ، ذلك أن اللواء أمين الحافظ ، الذى بدأ وكأنه يحاول إيجاد تقارب مع مصر - باعتبارهما معا (١) يمثلان الاتجاه الثورى في مواجهة الاتجاه الرجعى - ومحوره السعودية والأردن - ثم إلقاء القبض عليه هو وميشيل عفلق مؤسس حزب البعث ، وفريق من أقدم المناضلين في صفوف هذا الحزب ، وكانت النهمة الموجهة إلى هؤلاء المقبوض عليهم هى محاولة تحطيم التجربة الاشتراكية .

ثم تولى الدكتور نور الدين الأتاسى ، رئيس الدولة الجديدة قيادة مجموعة الأحرار الذين دبروا الانقلاب وقاموا به .

أما الأردن فلم تأت مؤتمرات القمة بجهود على الصعيد الرسمى للنظام الأردنى وبقيت قرارات اللجنة العسكرية التابعة للحامعة الدول العربية الخاصة بتقوية دفاعات الجيش الأردنى ودخول جيوش عربية إلى الأردن أمراً غير

(١) أى مصر وسوريا .

ذى بال ، واستخدمت سياسة الإفتتاح العربى بمهارة كمظلة واقية للملك حسين من التأثيرات الوطنية والشعبية لمختلف قطاعات الرأى العام هناك .

غير أن النظام الأردنى عاد من جديد - بعد خطة تبض السجون والافراج عن ٢٠٠٠ معتقل سياسى - عاد النظام من جديد لينقض على القسوى الوطنية ويعتقل قياداتها التى كانت تسعى لايجاد جبهة وطنية مقدمة (١) .

ويبدو أن منظمة التحرير الفلسطينية قد دخلت هى الأخرى دائرة الاستقطاب العربى ما بين دول « تقدمية » وبين دول « رجعية » وانحازت إلى دول المعسكر الأول .

فقد أصدر المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الثالثة (غزة : ٢٠ - ٢٤ / ٥ / ٦٥) قرار بخصوص الخلافات العربية ذكر فيه أنه :

« بما أن مشكلة فلسطين ليست مشكلة الشعب العربى الفلسطينى وحده ، وأن مستقبلها مرتبط بمستقبل الثورة العربية ولأنها مشكلة الأمة العربية كلها ، ولما كانت التناقضات والخلافات العربية تؤثر على مستقبلها ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية لا تستطيع أن تعزل نفسها عن هذه الخلافات والتناقضات إذ يحتم عليها أن تقف الموقف الذى يمليه تحرير فلسطين » .

وأكد المجلس الوطنى الفلسطينى باسم الشعب الفلسطينى أن المعركة يجب أن تخاض حتما على اعتبار أنها المعركة الحاسمة فى تقرير المصير العربى كله ، وأن الوقت قد حان للانتقال من مرحلة الاستعداد إلى « مرحلة التهيئة الفعلية النهائية ضمن الاستراتيجية العربية الثورية ، وأن واجب إشعال المعركة يقع على القوى الثورية العربية التى يتوجب عليها أن ترفع راية المعركة وتكتل

(١) المحرر اللبنانية ١٩٦٥/٤/٦ ، الأهرام ١٩٦٥/٤/٦ .

فوراً حولها وتستهطب جماهير الأمة العربية كلها لهذا الكفاح التاريخي، وأن الإحجام عن نخوض المعركة مرداف لخسارتها . . فيه قبول التجزئة بدلا من الوحدة العربية . . وفيه الخطر الدائم بدلا من الأمان وتعويض الأمة العربية لخسارة المزيد من أراضيها وتخل عن الأهداف الثورية العربية .

ثم أعلن المجلس الوطني الفلسطيني استنكاره للمؤتمر أو الحلف الإسلامي وشجب كل المحاولات الداعية إلى ربط العرب بالاحلاف الاستعمارية ، وأبرز تأييده للثورة في اليمن (١) .

وفي الطرف الآخر ، أعلنت الدول « الثورية » تأييدها ودعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية، فقد أعلن عبد الناصر تأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني « قلبا وقالبا (٢) .

كما أعلنت مصر والعراق (٣) ، والعراق والجزائر (٤) - في بيانين مشتركين - تأييدهما لمنظمة التحرير الفلسطينية .

غير أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع الاستعواذ على رضا سوريا بالرغم من كونها من الدول « الثورية » ، وهنا يقول الشقيرى أنه وجد التجاوب دائما : « فأتراً ، متحفظا ، غامضا (٥) » .

وبالطبع لا يمكن فصل ذلك عن قضية التنافس الشديد بين مصر وسوريا ، حيث أيدت الأولى منظمة التحرير واتجهت الثانية إلى توجيه تأييدها للرئيس

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني غزة ، ٢٠-٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٦ ص ص ٦٦-٧٠ .

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الاعلام والتوجيه المعنوى ، المجلس الوطني الفلسطيني - الدورة الثانية للمجلس الوطني ، القاهرة ٣١/٥ - ٦٥/٤ - ٦٦/٦ ص ص ٣١-٣٢ .

(٣) ، (٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ص ٢٧٧ ، ٥٢٠ .

(٥) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص

إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ولكنها لم تنفص يدها من منظمة التحرير الفلسطينية :

أما معسكر الدول « الرجعية » - خاصة السعودية والأردن - فقد طالب بأن يظل عمل المنظمة بعيدا عن أية سيطرة حزبية أو الدخول في معترك المنازعات السياسية والعقائدية بين الأحزاب والدول العربية أو أداة لحركة مذهبية أو دولية (١) ، ثم ألفت على الشقيرى مسئولية الانحراف عن المنهج الصحيح وعن المهمة التي أنشئت من أجلها منظمة التحرير بعد أن دفع بها لتكون طرفا في الخلافات والمعسكرات الدولية ، وأخيرا قررت أنها لا ترى فيه الشخص الجدير بتمثيل الكيان الفلسطيني المنبثق عن مؤتمرات القمة (٢) :

ومما عمق الخلافات بين منظمة التحرير الفلسطينية والدول « الرجعية » الأزمة المحتملة بين المنظمة والأردن طوال عام ١٩٦٦ والنصف الأول من عام ١٩٦٧ وتتلخص أهم شواهد هذه الأزمة في أن منظمة التحرير الفلسطينية تقدمت بمجموعة من المطالب لتنفيذها في الأردن منها تطبيق التجنيد الإجباري وتدريب الفلسطينيين عسكريا وتسليح المدن والقرى الأممية ومباشرة منظمة التحرير تطبيق قانون التنظيم الشعبي وعقد انتخابات المجلس الوطني في الأردن ، وتطبيق بروتوكول الإقامة والسفر والعمل الخاص بالفلسطينيين (٣) .

ولم يتجاوب الأردن مع مطالب المنظمة ، وحتى الإتفاق الذي وقع بينهما في ١٩٦٦/٣/١ لم ينفذ (٤) ، وتعقدت العلاقة بينهما بعد حادث

(١) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ٢٦٣ ، ٥٧٥ .

(٢) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ مرجع سابق ص ٩٩ .

(٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ٧٤-٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٩-٩١ .

السموع في ١٩٦٦/١١/٦ ، فقد اضطّر الأردن أمام هياج الرأي العام العربي والفلسطيني لإزاء هذا الحادث إلى إقرار نظام التجنيد الإجباري ، ثم أعلن في وقت لاحق سحب اعترافه بمنظمة التحرير وردت منظمة التحرير على هذا الإعلان بدعوة جامعة الدول العربية إلى إجراء استفتاء شعبي عام في الأردن بصفته للتعرف على ثقة الشعب بالمنظمة ورئيسها (١) .

ورغم الحملات السياسية والأعلامية المتبادلة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد اضطّر الطرفان قبل نشوب حرب ١٩٦٧ إلى الالتقاء ومحاولة ترتيب تعاونهما بعد أن وقعت مصر والأردن اتفاقية الدفاع المشترك وبعد أن بدا أن الحرب أكيدة الوقوع وعاد حسين والشقيري معا إلى عمان .

وهكذا كان طبيعيا أن تولد منظمة التحرير الفلسطينية كما قال الشقيري - بقرار من الدول العربية نظرا للظروف الخاصة بمشكلة فلسطين وظروف الشعب الفلسطيني ، وقد حققت هذه المنظمة في هذه الفترة ما أنجزته بترخيص من الدول العربية وإلى المدى الذي سار فيه هذا الترخيص (٢) .

وبالطبع فإن « هناك فارقا كبيرا في نشاط منظمة التحرير بين الترخيص وهو يتفاوت من دولة لأخرى ، وبين الإرادة الحرة القادرة على التخطيط الحر والتنفيذ الحر على أرض الوطن ومع الشعب (٣) » .

وعموما ، فقد طغى على علاقات منظمة التحرير الفلسطينية في المجال العربي الارتباط بمصر ذلك بالرغم من أن الشقيري ينفي ذلك في

(١) السياسة الدولية ، العدد ٨ أبريل ١٩٦٧ مرجع سابق ص ٢١١-٢٢٠ .

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية ، كلمات على طريق التحرير ١٩٦٥ ص ٣٩-٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٢ .

مناسبات (١) عديدة - غير أن مصر في هذه الفترة كانت بدون شك تدعو إلى إعطاء مزيد من الامةعداد العسكري تمهيداً لخوض معركة مصيرية شاملة ضد إسرائيل .

(١) أحمد الشقيرى : مقابلة شخصية مع سيادته - القاهرة ١٠/١/١٩٧٥ .
وأيضاً :

أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ١٤٤ -
١٤٥ وما بعدها .

الباب الرابع

حرب يونيو ١٩٦٧

الفصل الأول

خلفية الحرب

موقف الدول العربية تجاه العمل الفدائي الفلسطيني :

الجزائر :

طلب الرئيس هواري بومدين بتحويل جيش التحرير الفلسطيني إلى وحدات فدائية تقوم بشن حرب عصابات داخل إسرائيل وذلك بدلا من بقاء جيش التحرير الفلسطيني كمجرد جيش نظامي تقليدي صغير يقف على الحدود غير مزود بخطة لشن هجوم فعال ضد إسرائيل .

وقد تأثر الرئيس هواري بومدين بالتجربة المداينة التي خاضتها الجزائر في اكتساب الاستقلال وتحقيق التحرير عن طريق شن حرب العصابات ، ومن هنا كان دعم الجزائر الكبير لفتح والسماح لها بافتتاح مكتب في العاصمة الجزائر منذ سنوات .

لبنان :

نسبت جريدة الحياة البيروتية إلى مصدر لبناني مسئول أن السلطات اللبنانية لا تقر أعمال منظمة فتح لأن هذا يتناقض وتوجيهات مؤتمر القمة ولأنها تعطل مخطط الدول العربية المدروس ، ولأنها تخلق أزمات على الحدود في أوقات غير مواتية للعمل العربي المرسوم وتتنزع المبادرة من الدول العربية (١)

وتأكيد لذلك بعثت قيادة الجيش اللبناني إلى الصحف اللبنانية تطلب منها

(١) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الأول : ١/١ - ١٩٦٥ - ٣٠/٦/١٩٦٥ إصدار منظمة

التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩

عدم نشر أنباء العمليات الفدائية التي تقع داخل إسرائيل (١) .

وأضاف لبنان إلى ذلك قيامه بعمليات مطاردة وقمع ضد الفدائيين ودورياتهم العائدة من الأرض المحتلة ، بل قامت المخابرات اللبنانية باعتقال بعض الفدائيين وتعليمهم حتى الموت (كلال كعوش مثلاً) .

الأردن :

صرح الملك حسين في ١٩٦٦/١١/٢٥ أنه :

« بالنسبة لقضية الفدائيين فوقفنا نابع من مؤتمرات القمة العربية وتعليمات القيادة الموحدة ، فلو كان إرسال الفدائيين سياسة عربية فلماذا لا ينطلقون من سيناء وغزة وسوريا » (٢) .

وأضاف :

« إن المفهوم الصحيح للفدائيين هو تدريبهم وإعدادهم للتخريب داخل منطقة العدو قبل العمليات الحاسمة » .

بيد أن موقف الأردن تعدى بمراحل كثيرة مجرد التصريحات ، فقد أوردت بعض التقارير أن إسرائيل طلبت من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أن تستخدم نفوذها لدى السلطات الأردنية لوقف العمليات الفدائية .

كذلك فقد أوردت الصحف حينئذ أنباء مقادها أن الدوائر العربية في الأمم المتحدة صرحت لمندوبها في نيويورك ، أن مندوب إسرائيل الدائم لدى الأمم المتحدة قد وجه رسالة سرية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يبلغه فيها أن إسرائيل والأردن يتعاونان على كافة المستويات في ملاحقة

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق : ص ٦٠٤-٦٠٦ .

(٢) Keasing's Contemporary Archives, Vol N. XV

(1965-1966) Keesing's Publishers Ltd, London, pp. 21515-21516.

عناصر الفدائيين ، وأن ذلك خفف كثيراً من عملياتهم (١) ، وقد تصدى الأردن بعنف للفدائيين فطاردهم وقبض عليهم بل وقتل البعض منهم (٢) .

ج . ع . م . :

أوردت بعض المصادر الإسرائيلية أن السلطات المصرية قد ألقت القبض على عدد من الفدائيين وأوقفت نشاطهم في أراضيها (٣) ، وادعت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن البوادر تدل على أن ج . ع . م قد سحبت مؤخراً معارضتها « لعمليات التخريب » داخل إسرائيل فغيرت موقفها من منظمة فتح ، ولكنها ما زالت تشترط لانسحابها الكامل مع هذه العمليات شرطين : أولهما : ألا يعمل « المخربون » في هذه المرحلة من قطاع غزة ، والثاني أن تتم عمليات التدمير وفق خطة تدسّقها فتح مع منظمة التحرير الفلسطينية (٤) .

ويتلخص موقف مصر في أنها رأت ضرورة الإعداد وحشد كل جهود الأمة العربية لخوض معركة مصيرية ضد إسرائيل ، وأنها أيدت صيغة منظمة التحرير الفلسطينية بدرجة أكبر وأوضح عن صيغة فتح الفدائية كأداة للعمل الفلسطيني لأنها رأت أن عمل فتح يمكن أن يجر إلى صدام مع إسرائيل تحدده هي ولا يكون العرب متأهبين له .

سوريا :

تلقت فتح التأييد الأعظم من سوريا في صور ممارسة تدريب الفدائيين عسكرياً وتزويدها بالمدد والعون المتنوع وإذاعة بلاغاتها من إذاعة دمشق باستمرار وطباعة مجلة صوت العاصفة .

(١) اليوميات الفلسطينية ، المجلدين الرابع والخامس ، مرجع سابق ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٩ .

(٣) Keesing's Contemporary Archives, Vol, XV, 1965-1960, op. cit, pp. 21515-11516.

(٤) اليوميات الفلسطينية ، المجلدين الرابع والخامس ، مرجع سابق ص ٣٦٣ .

(٥) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق ص ٤٧٩ .

وقد انتقلت سوريا من مرحلة التأييد المستمر إلى مرحلة الإعلان جهاراً عن تأييدها خاصة بعد تولي جناح صلاح جديد - نور الدين الأتاسي الحكم في ١٩٦٦/٢/٢٣ ، فقد قال الأتاسي « أننا نؤكد ، بأننا لا يمكن أن نكون إلا مع الفدائيين العرب ، ونحن مستعدون لخوض المعركة مهما كلفنا ذلك من تضحيات . . .

كذلك لا يمكن إخفاء أن سوريا كانت تنح ك في تأييدها لفتح والعمل الفدائي من واقع مناداتها بشن حرب تحرير شعبية ضد إسرائيل ، اليوم قبل الغد ، كما لا يمكن عزل هذا التأييد عن واقع العلاقات بين مصر وسوريا فقد أعطت الأولى تأييدها الكلي لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعطت الثانية جل تأييدها لفتح .

وعموماً فقد كان شن الغارات الإسرائيلية في أبريل عام ١٩٦٧ ، وتهديد ضابط إسرائيلي كبير باحتلال دمشق لإنهاء غارات فتح على إسرائيل حيث أن سوريا مسئولة عن نشاط الفدائيين الفلسطينيين كلها مجرد ذرائع تمهيداً لشن إسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧ على العرب (١) .

تصاعد الأخطار :

أولاً - على الجانب الإسرائيلي :

إن الارتكاز الرئيسي للمجابهة العسكرية منذ منتصف الستينات كان بين إسرائيل وسوريا ، ويرجع مصدر هذا العداء المتجدد إلى المحاولات الإسرائيلية لخراثة المناطق المحررة من السلاح ، فعندما حاولت إسرائيل خراثة هذه المناطق عبر كيوتزيم الناحال - وهي مستوطنات زراعية شبه عسكرية - ردت عليها سوريا بقصف المنطقة بالمدفعية ، وأوجد ذلك وضعاً شعرت إسرائيل فيه أن انتقامها له ما يبرره ، مما أدى إلى تصعيد مضطرد لحوادث الحدود ،

وهنا أيضاً كان القرار الإسرائيلي لامتحان المناطق المجردة من السلاح منذ سنوات ، ومدى تقيد الحرب باتفاقيات الهدنة يستند إلى حد كبير على القوة العسكرية الإسرائيلية وعلى الالتقاء مع التأييد الضمني من جانب الولايات المتحدة ، أو على الأقل في كونها لن تحرك ساكناً ، أضف إلى ذلك ضعف الحكومات العربية :

وبما أن مشاريع الري ومستودعات توطين اللاجئين وإسكانهم كانت ترجع في نشأتها لدرجة كبيرة إلى خارج المنطقة بالذات ، فهي لم تنل سوى التأييد الضئيل من داخل الدول العربية وإسرائيل على السواء ، ولم تحظ أيضاً بأي تأييد البتة من بين صفوف الفلسطينيين .

كذلك كان قد نشأ تفكير في الغرب - بنوع خاص - مؤداه أن التقليل من الصعوبات الاقتصادية لدى الجنانيين - العربى والإسرائيلى - سوف يؤدى - بدوره إلى تخفيف حدة التوترات السياسية بينهما ، لكن هذه المخططات على العموم أسفرت بدل ذلك عن تصعيد الخلاف حول مياه النهر وزادت النزاع المسلح ، لاسيما بين إسرائيل والأردن (١) .

أمضت إسرائيل السنوات التالية ١٩٦٥ - ١٩٦٧ في إعادة تقييم موقفها العالمى وفي محاولات رامية لتعزيز علاقاتها مع الولايات المتحدة (٢) وحدث

(١) Kasbeer K. Nijin : « The Jordan Basin and International Ripsian Disputes : A Search for Patterns » .

وهو بحث مقدم إلى مؤتمر جمعية دراسات الشرق الأوسط ، كولومبوس في نوفمبر ١٩٧٠ وافتظر أيضاً :

Khuuri : Arab - Isreal Dilemma, op. cit. p. 75.

(٢) هناك بحث في موضوع هذا النشاط ، خصوصاً بالنسبة للولايات المتحدة بعنوان سياسة إسرائيل العربية بقلم الدكتور إبراهيم أبولغد في :

The Transformation of Palestine : Essays on the Origin and development of the Arab Israel conflict, edited by Ibrahim Abu Luted North Western University Press. Ebonstion 1971.

انشقاق بين القادة الاسرائيليين حول الموقف الذى ينبغى أن تتخذه إسرائيل من الدول العربية ومن حلفائها الغربيين ، فكانت حجة موسى ديان وغيره أن النصر العسكرى هو الطريقة الوحيدة لحمل العرب فى نهاية الأمر على قبول إسرائيل ، واستندت هذه الحجة إلى الاعتقاد الاسرائيلى الفائل بأن الشىء الأوحى الذى يحترمه العرب بالفعل هو القوة ، ولن تستطيع أى كمية من الضغط الخارجى أو إعادة تنظيم التكتلات أن تغير من ذلك ، كما كان هذا الاعتقاد الاسرائيلى يفترض بأن العرب قوميون ولن يتخلوا بهذه السهولة عن مطالبهم فى فلسطين التى اعتبرها العرب بمثابة لإنها تشكل جزءا لا يتجزأ من أراضي وطنهم (١) .

لكن أبا إيبان - من جهة أخرى - اقترح أن تتبنى إسرائيل المشروع الأكثر صعوبة والأهدمى فى محاولة المضى بتجزئة الدول العربية وتفكيك تحالفاتها الواهية ، لكى يتسنى من خلال ذلك وعلى درجات انزعاج القبول الضمنى من - جانب تلك الدول (٢) ، وأيضا بممارسة الضغط على الحكومات العربية بغية عملها على تلبية مطالب إسرائيل وكذلك باستغلال التنافس القائم بين الدول العربية والعمل تصميده واستفحالها ، وكانت السياسة الاسرائيلية بموجب - خطة أبا إيبان هذه - تنوزع على أربع قنوات كالتالى :

١ - الحصول على مزيد من التعهدات والالتزامات من الغرب ولا سيما من الولايات المتحدة .

٢ - الاستمرار فى المشاريع الانمائية بغض النظر عن المعارضة لها .

٣ - استخدام الخلافات والنزاعات القائمة بين العرب على أفضل وجه ممكن لصالح إسرائيل .

Rodinson, Maxime : Op. cit. (١)

Eban, Abba : "Reallity and vision in the Middle (٢)

East" in : Foreign Affairs, 1965 pp. 626-638.

٤ - الاحتفاظ بتفوق عسكري واضح المعالم والأبعاد (١) .

ومن المفيد أن يتذكر المرء الحالة الاقتصادية المتدهورة تدهورا مطردا في إسرائيل ، فهذا يمكن أن يفسر الأخطار التي تصاعدت على الجانب الاسرائيلي في هذه الفترة ومن ناحية أخرى فإن هذا يفسر أيضا موقف إسرائيل العدائي كمحاوله لإبعاد المتاعب الداخلية .

وقد كشفت مجلة النيوزويك الأمريكية (٢) الشهيرة عن بعض الحقائق المذهلة المتعلقة بالأحوال الاقتصادية السائدة في إسرائيل حينئذ فقد نشرت المجلة تقريرا يكشف زيف الادعاءات الاسرائيلية ، ويقول التقرير :

« أن العجز المزمن في الميزان التجاري لاسرائيل يزداد بسرعة مذهلة ويقرر الاقتصاديون جملة ما ستسحبه إسرائيل من احتياطياتها من العملة الصعبة في عام ١٩٦٧ بمبلغ ٦٦٠ مليون دولار » .

وذكرت المجلة أمثلة من الحيل التي تعوذت عليها إسرائيل في عرض الأرقام فقالت : « إن منتقدي أشكول يشكون من عدم صدقه في عرض الأزيمة على شعب إسرائيل المكون من مليونين ونصف مليون نسمة وحولت المناقشات على منبر البرلمان إلى اللجان المغلقة التي تسيطر عليها معظم حكومة أشكول الائتلافية ، وعندما تكون المناقشات علنية يلجأ المتحدثون باسم الحكومة إلى إذاعة بيانات متضاربة ، فخلال أسبوع واحد في الفترة الأخيرة أعلن إيجال آلون وزير العمل أن عدد المتعطلين في إسرائيل يبلغ خمسة عشر ألف ، وبعد ذلك بيوم واحد أعلن بنك الدولة أن عدد العاطلين يتراوح

(١) إذاعة إسرائيل في ١١ سبتمبر ١٩٦٦ وهي الكلمة التي وجهها ليفي أشكول من الإذاعة إلى مواطني إسرائيل بمناسبة انتداب رأس السنة اليهودية .

(٢) مجلة نيوزويك ١٦ يناير عام ١٩٦٧ .

بين ٣٥٠٠٠، ٤٠٠٩٠، وبعد ذلك بيومين أعلنت إدارة التخطيط الاقتصادي
إن الرقم يقترب من ٦٠ ألفاً (حوالي ١٠٪ من القوة العاملة) وهو آخذ
في الزيادة (١).

وكذلك مجلة تايم الأمريكية رغم كونها متحيزة صراحة لإسرائيل فإنها لم
تستطع إخفاء الحقيقة، فقد ذكرت في تقرير عن هذه الفترة أن المتاعب
المتزايدة في الجبهة الداخلية قد تكون دافعا هائلا وراء تصرفات إسرائيل
العسكرية. « فالأزمة في كل ناحية من نواحي الحياة في إسرائيل ».

واستعرضت التايم الاتجاهات الاقتصادية في إسرائيل منذ سنوات حين
بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يهبط، ويرجع ذلك جزئيا إلى محاولات الحكومة
المتعددة لوقف التضخم الذي كان قد وصل إلى ١٠٪ في السنة. كما يرجع في
جزء منه إلى نقص الدخل الخارجي، فالمانيا الغربية انتهت من دفع التعويضات
والمعونة الأمريكية هبطت، والمنظمات الصهيونية أصبحت تلقى مصاعب
متزايدة في الحصول على تبرعات من الطوائف اليهودية في الخارج ولكن
الهبوط الاقتصادي في إسرائيل يعتبر أيضاً نتيجة مباشرة لشيء أكثر خطورة
وهو توقف الهجرة إلى إسرائيل فقد ضبط عدد اليهود الذين وصلوا
إسرائيل في عام ١٩٤٩ إلى ٣١٦٠٠ في عام ١٩٦٥ ثم هبط مرة أخرى
إلى ١٢٠٠٠ في عام ١٩٦٦.

واستمرت مجلة تايم الأمريكية تقول :

« إن الهبوط الاقتصادي في إسرائيل سرعان ما تطور إلى تدهور عام ،
فأعمال التشييد هبطت ٤٠٪ والائتمان انكمش انكماشاً شديداً ، والحكومة
التي أتمت في العام الماضي مشروعين من مشروعات التنمية رفضت أن تبدأ
في مشروعات جديدة ، والصناعات القائمة احتفظت بخطوط إنتاجها ولم تزد
عليها إلا خطوطاً قليلة ، ومعدل الإنتاج القومي الذي ظل أكثر من عشر

سنوات يحقق نمواً قياسياً لم يرتفع في العام الماضي إلا بنسبة ١٦٪ فقط بما لا يوازي حتى معدل نمو السكان . وفي نهاية العام أصبحت البلاد التي لم تعرف كلمة البطالة إلا نادراً - تضم ١٠٠.٠٠٠ عامل (أكثر من ١٠٪ من القوة العاملة) يبحثون عن عمل .

واستمرت التاييم تقول (١) :

أن هبوط الحماسة والاقتصاد معا - ولو إن هبوطهما لم يكن بدرجه مزعجة - كان كفيلاً باشاعة القلق وعدم الرضا ، كما كان سبباً في بداية زوال الأوهام والأحلام . ففي العام الماضي شهد ١١٠٠٠ يهودى رحالهم وغادروا إسرائيل . وكان بعضهم مكتئباً من استمرار الغارات الإرهابية عبر حدود إسرائيل بدرجة متزايدة . وكان هؤلاء المهاجرون من إسرائيل يضمون نسبة عالية بدرجة مزعجة من المهنيين والمديرين والفنيين الذين صنعوا معجزة الاقتصاد الاسرائيلي ، وفي بعض الحالات عاد الراحلون إلى أقطارهم التي ولدوا فيها وفي حالات أخرى قصدوا بلاداً جديدة وعلى الأخص كندا والولايات المتحدة .

« وفي نهاية العام الماضي أصبح خروج اليهود من إسرائيل أشبه بفضيحة قومية ، وفي هذا قال رئيس الوزراء ليفي أشكول :

« لقد كنا قادرين على بناء دولة إسرائيل والحفاظ عليها بفضل نوعية مواطنيها ، ولكن هذه النوعية الممتازة في خطر الآن ، فنأين نحصل على الرائد ، معمر الأرض المختص الغيور المثابر .

ومع هذا فليست مشاكل إسرائيل الداخلية هي الدافع الوحيد وراء نزعتها العدوانية المتزايدة ، فلقد كان هناك أيضاً إدراك إسرائيل أن الوقت قد حان لكي توجه ضربة ضد العرب حتى لا يصبحوا أقوىاء بدرجة تتحدى

(١) مجلة تاييم ٩ يونيو عام ١٩٦٧ .

قوى التوسع الصهيوى ، وقد اقترن بهذا الحساب الرغبة فى إسقاط نظم الحكم القائمة فى سوريا والأردن ومصر ، وأن الاتجاه نحو الوحدة العربية كما أعرب عنه زعماء الأقطار الثلاثة طبقا لبعض الآراء (١) قد أفزع زعماء إسرائيل الذين كانوا يعتمدون دائما على خلافات العرب لتحقيق أهداف الصهيونية ، ولا بد أن تل أيبب قدرت أن الوقت قد حان لأن تحلق أزمة عن طريق عمل مذهل يدفع شعوب تلك الأقطار إلى نبذ زعمائهم ، كذلك فقد ظهر بعض الاسرائيليين لحكومات سوريا والأردن ومصر وهو ما لعب دورا هاما فى تخطيطهم للحرب الخاطفة ضد العرب فى جميع تلك الجهات.

ومن ناحية أخرى كانت إسرائيل قد أطمأنت إلى الدعم السياسى من الولايات المتحدة الأمريكية ، بفضل التأكيدات التى تلقتها من حكومتها أثناء زيارة ليفى أشكول لها مع نجاح إسرائيل فى إقناع الولايات المتحدة بتزويدها بالسلاح الأمر الذى تحقق فعلا مع بداية عام ١٩٦٦ ، بوصول الدبابات الأمريكية من الولايات المتحدة مباشرة ثم تأكد تماما بعد عقد صفقة الطائرات « سكاي هوك » فى نفس العام ، وبذلك اكتملت عناصر الدعم الأمريكى بجانبه السياسى والعسكرى . هذا بينما كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية « التقدمية » تدهورت من سوء إلى أسوأ ، كما كانت معظم الدول العربية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الغربية ،

كذلك فقد عكست مؤتمرات القمة العربية صورة ظاهرية من التضامن العربى نجمت لإسرائيل فى إستغلالها - فضلا عن بعض تصريحات عربية طائشة - وإظهار الدول العربية فى تضامنها هذا فى شكل الدول المعتدية التى تبغى تدمير إسرائيل والقائها فى البحر . وبذلك تبيأ الرأى العام العالمى -

وخاصة الغربى - لقبول مزاعم إسرائيل بحققها فى الدفاع عن النفس ورد العدوان قبل وقوعه ،

وقد انتهزت إسرائيل أيضا فرصة حالة التفسخ فى العلاقات العربية خصوصا وأن نصف الجيش المصرى منشغلا بعيدا فى اليمن وأصبحت الحرب هى الحل الوحيد المناسب ، غير أنه كان من اللازم أن تبحث إسرائيل عن ذريعة لها وأن تعثر على المدخل المناسب لبدء العدوان وقد وجدت إسرائيل فى سوريا هذا المدخل المناسب والذى يمكن أن يحقق الذريعة ويقود إلى الحرب ، وذلك لأسباب كثيرة منها ، أن سوريا كانت إحدى الدول الثلاث القائمة بتنفيذ مشروعات المياه العربية التى تعمل إسرائيل على إحباطها بشتى الوسائل وعلى رأسها الأعمال العسكرية ، ومع إصرار العرب على استمرار العمل وجدت إسرائيل فرصتها ، فى تصعيد العمل العسكرى ، ومع إصرار وإثارة التوتر الشديد على هذه الجبهة سواء بحشد القوات أو باطلاق التصريحات التى تحمل تهديدا مباشرا لسوريا ، مما يتسبب فى النهاية إلى خلق أزمة تؤدى إلى اشتعال الحرب . ولما كانت مصر هى الهدف الأول للحرب العدوانية الإسرائيلية ، ومع علم إسرائيل بأن تعرض سوريا للتهديد بالعدوان سوف يدفع مصر إلى الوفاء بالتزاماتها العربية وإنخاذ الإجراءات لتخفيف الضغط عن سوريا والدفاع عن الحقوق العربية ، وبهذا تتاح لاسرائيل الظروف المناسبة لخلق ذريعة للحرب وبشن هجومها أساسا ضد مصر ثم الأردن إذا استدعى الأمر ،

ومن ناحية أخرى كانت المرتفعات السورية - حيث تلتشر المواقع العسكرية المتحركة فى الأراضى الإسرائيلية المنخفضة - هدفا من أهداف الحرب الإسرائيلية فضلا عن أن منطقة الحدود السورية قد تجمع حولها أنواع متعددة من النزعات التى تمثل فى مجموعها محصلة لطبيعة الأطماع الإسرائيلية سواء فى المياه العربية أو فى الأراضى العربية أو متطلبات الأمن من وجهة نظر إسرائيل وأخيرا يأتى الاتهام الذى دأبت إسرائيل

على توجيهه إلى سوريا طوال هذه الفترة... بأنها الدولة التي تشجع الدشاط المتزايد للمقاومة الفلسطينية داخل الأراضي الإسرائيلية لذلك كله فإن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كانت تعتقد بوجود «حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السوري ، الذي لم يكف - مستغلا ميزة طبوغرافية - عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية التي يشرف عليها من أعلى الهضبة» (١) .

ورغم كل هذه الحجج ، فإنها في واقع الأمر لم تكف لتمثل الأسباب الحقيقية وراء شن الحرب إذ كان الهدف الأساسي هو تدمير الجيوش العربية والتوسع الإقليمي ، وفرض السلام الإسرائيلي . ولكنها كانت الحجج المعلنة المناسبة لتطويع النزاع وخلق مبررات الحرب في المنطقة ، وعند ذلك تتحول الجهود الأساسية للقوات المسلحة الإسرائيلية نحو الاتجاه الرئيسي لتبدأ الحرب ضد الجبهة المصرية والقوات المسلحة المصرية... وهكذا استمرت إسرائيل توالي نهديداتها واعتماداتها على سوريا دائما والأردن أحيانا ، وتسمى في نفس الوقت الرأي العام الإسرائيلي والعالمي لتقبل نواياها المبيتة ، بعد أن تغلفها في قوالب غير حقيقية من ألفاظ خادعة مثل «حق الدفاع عن النفس» ، لإعادة السلام إلى المنطقة .

ومنذ منتصف عام ١٩٦٦ بدأت إسرائيل عمليات التصاعد العسكري الحاد فشنت في يوليو ١٩٦٦ هجوما جويًا كبيراً على مناطق التحويل في سوريا لتدمير المعدات المخصصة لتنفيذ مشروعات المياه عند منابع الأردن .

وفي نوفمبر ١٩٦٦ - شنت إسرائيل عدونا بريا واسع النطاق ضد قرية السموع في قطاع الخليل بالضفة الغربية للأردن ، وتحت حجة التصاعد على نشاط الفدائيين الفلسطينيين ، اقتحمت القرية ونسفت مبانيها ، مما أدى إلى قتل ما يزيد عن ٢٠٠ مواطن من سكانها . وكانت هذه العملية الوحشية سببا

Ben Elisser, Eliaho & Sachiff - Zeev : Le Juerre (١)
Israelo - Arabe, op. cit. pp. 63-4.

في إزدياد التوتر وتصاعد الصدام المسلح عبر الحدود وخطوط الهدنة ، ورغم الاستنكار الشديد الذي قوبلت به حادثة السموع في أنحاء العالم وإدانة إسرائيل على هذا العمل الوحشي ، فقد ظلت إسرائيل حريصة على تصعيد الموقف ومتابعة التهديد ، ففي الشهر التالي مباشرة - ديسمبر ١٩٦٦ - أعان ليفي أشكول عن استعداد إسرائيل لشن الحرب ، فقال : (١)

« أن قوة الجيش الإسرائيلي قد أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في السابق . وأن القوات المسلحة تركز استعداداتها لصد العدو ونقل الحرب إلى أراضيها » وهكذا تسببت إسرائيل نفسها في تصاعد الأخطار وأمسكت بزمام المبادرة ، منذ البداية ، وعلى عكس ذلك تماما جاءت ردود فعل الدول العربية في جميع الأحداث بنت ساعتها وخدمة الفعالية (٢) .

ومنذ أوائل عام ١٩٦٧ بدأ التوتر في المنطقة يتخذ أبعادا جديدة نتيجة لتحول قادة إسرائيل إلى إعلان التهديد المباشر « بغزو الأراضي السورية » بل ذهب تهديدهم إلى حد المطالبة بالاستيلاء على دمشق واسقاط النظام الحاكم فيها وقد نجحت المجموعة المتطرفة الإسرائيلية بذلك في وضع - من يطلق عليهم بعض الباحثين - أصحاب الحلول السلمية وأولهم عبد الناصر والملك حسين وليفى أشكول وآبا إيبان في موقع صعب للغاية حيث لم يكن بوسع الاثنين الآخرين أن يظهرأ بعض التحفظ أمام العمليات الفدائية التي كان يفترض فيها ضمان الأمن اليومي للاسرائيليين وإن كانت المعارضة البرلمانية عاجزة نظرا لأن حزب « تجمع » رافى نفسه انقسم إلى جزئين مما يتوازن مع تقارب بن جوريون من مناحم بيجن ومن الذين أطلق عليهم « لماعة من الفاشيين » ، فإن القادة الاسرائيليين حينئذ كانوا يخضعون لحملة من

(١) تصريح اسحق واين من إذاعة إسرائيل يوم ١٢ مايو ١٩٦٧ .

Houroni, Cecil ; The Moment of truth : in Laqueur, (٢)
Welter, (ed), The Israel - Arab : A Documentary History
of the Middle East Conflict (New York Press, 1968) pp. 254-256.

(م ٣٧ - فلسطين)

زاد من خطورتها لأنها كانت نابعة جزئياً من الدوائر المتطرفة القوية في الجيش الإسرائيلي :

وفي هذه الفترة أيضاً نسبت لاشكول ولتماونه المزعوم كافة الظواهر السلبية التي كانت تحدث في إسرائيل ومنها مغادرة اليهود المؤهلين لإسرائيل حيث إزداد الوضع الاقتصادي سوءاً ، وانتشرت في إسرائيل الفكاهة التالية : وضعت في مطار الملكة حفلة تحمل هذه العبارة :

(الرجاء من آخر من يغادر إسرائيل أن يطفىء النور) .

ولم يكن في استطاعة أشكول أن يبدى أقل قدر من « الضغط » وفي نفس الوقت لم يكن بوسع القادة العرب أن يبدوا سلبية أكثر مما ينبغي أو عداء أكبر مما ينبغي تجاه العناصر المناضلة التي لا يمكن لأحد أن ينكرها .

ومن جهة أخرى فإن العرب الذين انتابهم القلق أمام القوة العسكرية الإسرائيلية والذين إزداد شعورهم بأنهم لن ينجحوا بصفة دائمة في تفادي « مصيدة » أحداث الحدود والعمليات الانتقامية ،

وبالفعل فقد تصاعدت الأخطار خلال الربع الأول من عام ١٩٦٧ وليس ثمة شك في أن هذا التصاعد على الجانب الإسرائيلي كان يستمد عناصره الأساسية من موقف الولايات المتحدة ، التي كانت تواجه مرحلة هامة من مراحل تدهور النفوذ الغرب في المنطقة ، بينما عامل الوقت كان هو أحد الدوافع الحتمية لتدبير العدوان وشن الحرب من جانب إسرائيل (١)

لذلك كانت من سمات هذه الفترة ذلك النشاط السياسي الكبير بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، واتساع نطاق الزيارات المتبادلة بين المسؤولين من البلدين ، حتى أنه في شهر مارس ١٩٦٧ زار إسرائيل في وقت واحد

(١) والتر - لاكدر - الطريق إلى حرب ١٩٦٧ - الهيئة العامة للاستعلامات القاهرة
كتب مترجمة ، ج ٢ ص ١٧ - ١٩ .

كل من : لوشيسوس باقل مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، وهارولد ساندروز مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط ، وتاونسند هويوز من وزارة الدفاع الأمريكية . وقد حددت مجلة « جويش كرونیکل البريطانية موضوعات البحث الذى دار خلال هذه الزيارات فى عددها بتاريخ ١٤ مارس ١٩٦٧ بقولها :

« أن حدود إسرائيل مع الدول العربية بشكل عام وحالة التوتر على الحدود مع سوريا ، كانا الموضوعين الرئيسيين فى المباحثات التى دارت بين الطرفين » .

وخلال الشهر التالى مباشرة وصلت الاعتداءات الإسرائيلية إلى ذروتها حيث كانت أكثر عنفا - بعد خمسة شهور من غارة السموع الأردنية - فى يوم الجمعة ٧ إبريل ١٩٦٧ شنت إسرائيل هجوما جويا ضخما على سوريا بحجة أن المدافع السورية نطقت قذائفها على المستعمرات الإسرائيلية وقد أرسلت سوريا طائراتها الميج ٢١ فأسقطت إسرائيل ستا منها حيث اشترك فى هذا الهجوم ستون طائرة إسرائيلية ، وكان لإسقاط الطائرات السورية أسوأ الأثر فى نفوس السوريين ، غير أن محاولة تحقيق الهدف الأساسى لإسرائيل - من توجيه هذه الضربة ضد سوريا - لم يتحقق ولم تنزع سوريا عن موقفها . وبعد يومين فقط من هذا الهجوم الجوى توجه زفى دينشتاين نائب وزير الدفاع الإسرائيلى وقتئذ إلى الولايات المتحدة حيث أجرى مشاورات فى أمور « الدفاع » ومن بينها أمر المعدات العسكرية ، كما تناول البحث مع نائب وزير الدفاع الأمريكى « الوضع على الحدود الإسرائيلية » .

ومع تصاعد الأزمة ، فقد أرسلت سوريا مذكرة إلى مجلس الأمن محذرة بأن اعتداء إسرائيل على سوريا وشيك الوقوع .

ومع بداية شهر مايو ١٩٦٧ تزايدت التهديدات على كافة المستويات الاسرائيلية ابتداء من رئيس الوزراء ، حتى أعضاء « الكنيسيت » وكانت

جميعها موجهة إلى سوريا ، فهدد رئيس الأركان العامة باحتلال دمشق ،
وطالب وزير الخارجية بشن عمليات تأديبية واسعة .

وفي ٩ مايو ١٩٦٧ وقبل أى تحرك عربى مضاد ، منحت اللجنة تشوون
الأمن فى الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد
سوريا ، بينما توترت الأنباء (١) عن إعلان التعبئة الجزئية فى الجيش الإسرائيلى .

وفي ١٩ مايو هدد مصدر عسكري إسرائيلى سوريا قائلاً :

« إن أمام إسرائيل عدداً من الاحتمالات يتراوح بين شن حرب عصابات
على سورية وبين غزو سورية واحتلال دمشق » وأضاف :

« إن السبيل السليم والأكيد لحل المشكلة السورية هو القيام بعملية
عسكرية كبيرة (٢) .

وفي يوم ١٣ مايو أذاعت وكالة أسوشيتدبرس أن رئيس الوزراء ليفى
أشكول هدد باتخاذ إجراء قاسى ضد سوريا وأضاف : « لقد اتفقنا على
أننا سنختار المكان والوقت والوسائل المناسبة لذلك (٣) » .

ومرة ثانية أذاعت نفس الوكالة يوم ١٤ مايو نبأ من القدس المحتلة
ذكرت فيه أن « مصدرأ » قال إن إسرائيل ستقوم بعمل عسكري « بهدف
إسقاط الحكم السورى » .

وعلى أية حال فقد ارتكب رئيس الوزراء الإسرائيلى فى تلك الفترة
عن غير عمد خطأ كبيراً فقد قال فى بيانه قصد به إخافة العرب :

(١) وكالة الصحافة المشتركة ١٢/٥/١٩٦٧ انظر ؛

«Gohione l'Orient Contemporaine»

La documentation Francaise جامعة باريس ، المجلد ٦٧ ، عدد خاص ، أكتوبر

١٩٦٧ ص ٤-٥ .

(٢) وهو ما ذكرتها أيضاً الجارديان وقتئذ ، ١٤ مايو ١٩٦٧ .

(٣) دا - ستيمان ل نهودى ، ١٤ مايو ١٩٦٧ .

إن حماية إسرائيل تعتمد على وجود الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا كشفت المؤسسة العسكرية في إسرائيل أن هذه البيانات التهديدية تشير إلى أكثر من مجرد حرب إقليمية محدودة ، لقد كانت تشير صراحة إلى «سويس» جديدة (١) .

ثانيا : على الجانب العربى :

أدت دبلوماسية القمة إلى تخفيف حدة الحرب الباردة العربية ولو نسبياً ، فقد بدأت بعض الدول العربية تدرك بالفعل مخيبة المداعية غير المسئولة ، إلى جانب أن دبلوماسية القمة العربية هذه قد أناطت بالفلسطينيين مسئولية حل المشكلة الفلسطينية بأنفسهم (٢) ، وكذلك فإن الخطط والتصورات التى وضعها جاءت شاملة ، لكنها فى التحليل النهائى كانت رد فعل وليست مبادرة (٣) .

كذلك فقد أكدت مؤتمرات القمة العربية - فى جانب منها - صعوبة تفويض السلطة فى النظم العربية - على اختلافها - واستحالة وصول المستوى الأدنى منها لقرارات ملزمة ، وأيضاً جاءت قرارات القمة كلها محددة بما سبق أن قرره الجانب الآخر ، وما من مؤتمر قمة دعى لرسم سياسة (٤) إيجابية بحق . أضف إلى ذلك أن جميع قرارات القمة شكلت ارتباطات شخصية . وأخيراً فإن تطلب توافر الإجماع بين الأطراف

(١) يقصد (بالسويس) العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ .

(٢) Evron, Yain : The Middle East : Nations, Super Powers and wars, London : Elak Book limited, 1973, p. 54.

(٣) دكتور سيد نوفل : (الدبلوماسية العربية فى خمسة وعشرون عاماً) ، فى : مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، فبراير ١٩٧١ ص ٢١ - ٦٤ .

(٤) هشام شرابى : المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا وإسرائيل - ترجمة انعام رعد ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٠ ص ٩١ - ٤ .

على الدعوة للمؤتمر لعقده شكل مقيداً آخر على هذا النمط من أنماط السياسات العربية فإن أى تغيير فى القيادة للدول العربية قد انطوى دائماً على تغيير فى الارتباطات (١) .

ومن الثابت أن لهذا النمط من السياسات قد أدى إلى نتائج بالغة الخطورة ، فعلى مستوى المواجهة أظهر العرب بأنهم مصممون على الحرب وبذلك ساعدوا إسرائيل على أن تصعد الأخطار ، وجاءت الأحداث لتثبت أن هؤلاء الذين ذاع صيتهم كمعتدين عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم وعلى مستوى العلاقات العربية أدى ذلك إلى قيام تحالفات مضادة ضمنية أو سافرة ، الأمر الذى عزز عملية الاستقطاب فى العالم العربى ، وهكذا كانت المفارقة الكبرى ، إذ تفاقمَت الصعوبات أمام تحقيق الوحدة العربية أو التعاون والتنسيق بين الدول العربية كلما بدت الشروط الإيجابية اللازمة لتحقيقها أكثر توافراً ، وكانت النتيجة هو عجز الدول العربية عن شن الحرب ، بل وعدم السماح للفلسطينيين - الفدائيين منهم - بشنّها ، وذلك بالرغم من التصريحات العربية الطائشة التى تلقفها إسرائيل لكى تهيبّ الرأى العام العالمى لقبول مزاعمها بحقوقها فى الدفاع عن نفسها ٥

ولقد كانت العلاقات العربية فى هذه الفترة فى حالة من التفسخ لم تعانها من إقبال فضلا عن أن الأوضاع الداخلية فى أى من الدول العربية لم تكن تسمح لإطلاقاً بتصاعد الأخطار نحو الحرب مع إسرائيل والتعجيل بها ،

ففى مصر (٢) التى لم تغبر قط سياستها المعتادة تجاه إسرائيل : وهى :

(١) تزداد أهمية هذه الحقيقة عندما نتذكر أن الفترة ما بين ٤٨ ، ٦٧ شهدت سوريا عشرين انقلاباً ، بين ناجح وفاشل ، وشهد العراق ١٦ انقلاباً وشهدت مصر ٧ انقلابات .
راجع : هيدسون (مايكل . س) سياسة الدول العربية تجاه إسرائيل ق : أبو لغد (د . ابراهيم) مرجع سابق ١٨٢ .

Rodinson, Maxime : p. cit., p. 122-3

(٢)

التشدد الشفوى والسلبية في التنفيذ - فلم يكن هناك ما يدفع عبد الناصر إلى السعى للصراع المسلح بل كان هناك ما يدفع عبد الناصر إلى عكس هذا حيث انشغل بمعالجة الأوضاع الداخلية ومنها تصفية هؤلاء الذين يعارضون التدخل المصري في اليمن وهم في غالبيتهم من الحزب الشيوعي المصري بالإضافة إلى أحداث الشعب التي قام بها الإخوان المسلمون حيث قامت الشرطة بعملية واسعة النطاق أسفرت عن إلقاء القبض على مئات من الأفراد في أحد ضواحي القاهرة ، وما أعقب ذلك من تولى زكريا محيي الدين رئاسة الحكومة وما اتسم به من قبضة قوية ، ومن جهة أخرى فقد أدت عمليات تحريض بعض الملاك الأغنياء ضد أعضاء الاتحاد الاشتراكي عن وضع الحراسة على ممتلكات ١٦٩ عائلة وعن تحديد إقامة عدد من « الإقطاعيين » وعن تطهير عدد من المصالح الحكومية والجيش ،

غير أنه في سبتمبر ١٩٦٦ - استبدل زكريا محيي الدين الرجل القوي بصدقي سليمان وزير السد العالي السابق وهو من الفنيين ، وكان مغزى هذا التغيير هو الانتقال إلى المهام البناء وإعادة النظر في الخطة واستمرار عملية التطهير المضاد للإقطاع ،

وفي الأردن :

انشغل النظام الأردني بالقضاء على القوى الوطنية واعتقال قياداتها التي كانت تسعى لإيجاد جبهة وطنية تقدمية وقامت انتفاضات شعبية كبيرة عقب الاعتداء على قرية السموع ليلة ١٣ / ١١ / ١٩٦٦ حيث خرجت الجماهير في الضفتين الشرقية والغربية تندد بتخاذل السلطة وعدم التزامها بتنفيذ مقررات القمة بتقرير السياسة العربية الدفاعية وحدثت اشتباكات واسعة مع السلطات وتدخل الجيش لإخماد المظاهرات ، وعقدت القوى الوطنية مؤتمراً لها في نابلس طالبت فيه بضرورة التسليح وتنفيذ قرارات القيادة الموحدة بتحصين القرى الأمامية وإنهاء الطلبات على الشقيري بضرورة مد الضفة الغربية بالسلاح لمقاومة الاعتداءات الصهيونية المتكررة

والسماح في نفس الوقت لوححدات من الجيوش العربية بدخول الأردن والتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وعدم التعرض للفدائيين (١) :

وفي الوقت الذي وقع فيه الاعتداء على السمووع كان النظام الأردني قد مكمل للجيش العربي مهمة ملاحقة واعتقال (٢) الطلائع المسلحة من الفدائيين الفلسطينيين التي أخذت تنشط داخل إسرائيل ، فقام الجيش الأردني بمحاصرة تل الأربعين وقرية القليعات في مناطق الأغوار وشن حملة بتفتيش واسعة أسفرت عن اعتقال عدد من الفدائيين الفلسطينيين بقوا رهن اعتقال والتعذيب حتى حرب يونيو في العام التالي (٣) :

وفي السعودية :

قام الملك فيصل في بداية عام ١٩٦٦ بطريقة حذرة للغاية بإطلاق فكرة عقد مؤتمر قمة إسلامي ينطوى من وجهة نظره على مزايا عديدة ذلك أن التحالف على الصعيد الإسلامي العام سيكون من شأنه أن يفرق كلا من مصر وسوريا والجزائر في مجموعة يكون فيها للدول الإسلامية المحافظة رغير العربية وزن كبير ، كما أن المناذاة بمصالح الإسلام ستوازن بضرورة فعالة اتجاهات العروبة الثورية ، وستتاح فرصة توجيه النقد ضد لإجراءات المتجهة نحو الاشتراكية بصورة راديكالية على أنها تتنافى مع لمبادئ الإسلامية كما يمكن إعادة المعارضة إلى الغرب الرأسمالي إلى الحد المقبول بمدى مساومة تراعى جيداً المصالح الغربية الكبرى ، وسيصبح من الممكن أيضاً التنديد بالمساندة التي تسعى نظم الحكيم الثورية إلى الحصول عليها في العالم الاشتراكي بحجة الاحتجاج على الموقف المناهض للدين لكل من الاتحاد السوفيتي والصين في آسيا الوسطى الإسلامية .

(١) المحرر البنانية ١١/٢١ ، ١٩٦٦ ، النزره السورية ١١/٢٣ ، ١٩٦٦ .

(٢) البعث السورية ١٠/١٢ ، ١٩٦٦ : صوت العروبة ١٠/٢٣ ، ١٩٦٦ .

(٣) عباس مراد ، الدور السياسي للجيش الأردني ، مرجع سابق ص ص ١١٥-١١٩ .

كذلك فقد أحاط فيصل مشروعه بحجج أخرى حتى يقبله الرأى العام العربى حيثئذ فقد كانت هناك بالطبع مساندة الإسلام بصفة خاصة للمطالب العربية تجاه إسرائيل مما يكون من شأنه الاتجاه نحو تحويل جذرى للنضال السياسى من أجل فلسطين إلى مطالبة دينية من قبل الإسلام ضد الديانة اليهودية .

وسرعان ما أدركت نظم الحكم الثورية أهداف « المناورة » السعودية وشعبتها كذلك فقد كانت ردود فعل الدول المتجهة الى الاشتراكية عنيفة للغاية رغم كافة الاحتياطات التى التزم بها الملك فيصل فى صياغة مشروعة ، وعارض لبنان المشروع بطبيعة الحال بصفته دولة قائمة على الديانتين الإسلامية والمسيحية فى إطار العروبة .

أما الملك حسين فكان أول من أيد المشروع بحماس ، كذلك كان الحبيب بورقيبة هو أكثر رؤساء الدول العربية اهتماماً بالمشروع رغم ما أبداه من عزم وشجاعة من أجل تحويل تونس إلى دولة علمانية (بالمعنى الفرنسى للكلمة) (١) .

وأمام ردود الفعل هذه وجد عدد كبير من القادة العرب حتى الرجعيين منهم أنه من الحكمة الالتزام بموقف يتسم بأكبر قدر من التحفظ ، ولم يؤد مشروع الحلف الإسلامى إلا لزيادة التباعد بين الدول الرامية إلى الاشتراكية والدول الموالية للغرب فى العالم العربى .

وثمة عوامل كثيرة كانت تتمجه إلى إبعاد إسرائيل من مسرح الصراعات الملموسة التى دخلت فيها الدول العربية ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يزيل من فكره هذا الكيان الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين من أى برنامج موضوع للاستئصال غير أنه كان من الممكن أن يربحاً الحل مهما كان إلى وقت

لاحق ، وكما رأينا فقد كان عبد الناصر يفتح هذا السبيل ، وقد انتهى الأمر به شخصياً وبحسين هيكल المتحدث باسمه أن يفصحاً عن ذلك بصورة تزداد صراحة فلا يتعين الاندفاع بتهور إلى الحرب ، فإن تحويل نهر الأردن لا يهدد العالم العربي بل وإنه من غير المجدي ضياع الوقت والمال في تحويل روافد النهر على سبيل الانتقام ،

وقد أعلن عبد الناصر حتى تقبل هذه العبارات المهدئة أن التعايش مستحيل على الأمد الطويل غير أنه ذكر بأن مسلمى العصور الوسطى انتظروا لمدة سبعين عاماً قبل أن يحرزوا أول انتصار هام على الصليبيين .

وكانت هذه التهديدات المشروطة ترمى إلى أن تثبت دون أى خطر مباشر أن عبد الناصر لا يتخلى عن مشكلة فلسطين فهو سيشن الحرب الوقائية إذ بدأت إسرائيل في الحصول على أسلحة ذرية وهو سيتضمن عسكرياً مع كل دولة عربية تتعرض لهجوم من الدولة اليهودية ،

غير أن عوامل هامة كانت تعمل في اتجاه عكسي تماماً ، فكانت هناك مجموعة ضيقت لدهما دوافع هامة للإبقاء بصفة دائمة على جو حربي مع إسرائيل — كما كانت كل منهما على علم أيضاً بأنه ليس في استطاعتهما وحدهما الانتصار على إسرائيل إذا قررت على أن تقدم على إجراءات عسكرية عنيفة كما اعتادت أن تفعل ، غير أنهما كانتا نعمندان على الالتزام الذي سيجبر أكثر الدول العربية فتوراً على مساندتها بفضل قوة القومية العربية لدى الجماهير ، وعلى كل فلم يكن لدهما ما تفقدانه ، وهاتان المجموعتان هما المنظمات الفلسطينية في مجموعها واليسار الثوري السوري (١) ،

وبالنسبة للمنظمات الفلسطينية في مجموعها فقد سبق أن تعرضنا لأوضاعها أما بالنسبة لليسار الثوري الجديد فإننا نجد أنه جاء إلى الحكم عقب

المناورات الغامضة من جانب اليمين والوسط للاحتفاظ بسيطرتهم حيث تكاثرت المحالقات في الخفاء واستغل الجميع مختلف أجهزة الحزب ، وأخيراً دبرت مجموعة صلاح جديد يوم ٢٣ من فبراير عام ١٩٦٦ انقلاباً عسكرياً أطاح بحكومة البعث اليمينية ، وتولى [يوسف زعين تشكيل وزارة تضم إثنين من الشيوعيين وسجن القادة البعثيون التابعين لليمن والوسط ؟

وسرعان ما اتضح الطابع الراديكالي للفريق الجديد الحاكم واستمرت إجراءات التأمين ، ثم شددت قبضة من حديد على المعارضين الذين ندبوا « بنظام الحكم الملحد والمناهض للعروبة والإسلام » .

وقد تم اكتشاف مؤامرة عسكرية ، وهو ما اتخذ ذريعة تشكيل ميليشيا شعبية وزعت فيها الأسلحة ، ثم سمح لخالد بكداش بالعودة إلى دمشق فضلاً عن استئناف صدور صحيفة الحزب الشيوعي علناً .

وقد سمح لإدارة المخابرات السورية بالإشراف على منظمة فتح في سوريا ، ومنذ ذلك الحين والمستولون السوريون يطلقون التصريحات التي تحمل تهديداً مباشراً تجاه إسرائيل ، وهو ما أخذته إسرائيل ذريعة نحو الحرب وأن مدخل هذه الحرب هي سوريا

وقد أمسكت إسرائيل بالتصريحات السورية واعتبرت أن الحرب قد قامت فعلاً - على حد رأى الباحثين الاسرائيليين - ومن هذه التصريحات ما أدلى به الرئيس الأناسى في حمص في ١٧ من إبريل عام ١٩٦٦ بالتصريح التالى :

« إن الحرب الشعبية الشاملة هي الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين » :
كما أدلى رئيس الأركان السوري في ٢٢ مايو ١٩٦٦ بتصريح قال فيه :
« ليس أمامنا أى مخرج إلا الحرب التحرير ، ولا بد أن تكون الجزائر وفيتنام قدوة لنا » .

وفي أكتوبر من عام ١٩٦٦ أعلن الرئيس السوري :

« أننا سنحول المنطقة بأسرها إلى جحيم » .

وفي ٩ أكتوبر أدلى القائد العام للحرس الوطني السوري بالنصريح الآتي :
« إنني لا أكشف لكم عن سر إذا قلت لكم بأن رجال فتح أصبحوا جزءاً لا يتجزء من الحرس القومي الذي يتولى تدويرهم » .

وكذا تسببت إسرائيل في تصاعد الأخطار بأن أوقعت السوريين في شرك تصريحاتهم وشعاراتهم متخذة من هذه التصريحات والشعارات مدخلاً مناسباً تماماً لتحويل المنطقة بأسرها إلى جحيم ليس من جانب السوريين دائماً بل بسبب أيديولوجية الصهيونية العدوانية ذاتها .

وقد وقعت سوريا في الفخ بالفعل الذي نصبه لها الإسرائيليون نخبة ودهاء ، فحقق النظام السوري لنفسه هدف الصهيونية ، ومما ساعد على إذكاء النزاع مع إسرائيل ما هو معروف غن قصر الحدود المحتلة بين سوريا والدولة اليهودية فهي حدود لا تتجاوز السبعين كيلو متراً تمتد فيها سوريا بميزة استراتيجية هائلة حتى احتلالها لقسم التلال المنتشرة في هذه المنطقة .

وقد أصرت سوريا هي الأخرى على تطبيق أساليب الضغط (١) على إسرائيل ومنها إطلاق نيران مدافعها على العمال الزراعيين في الكيبوتزيم الواقعة على الحدود وتشجيع العمليات الفدائية التي تقوم بها فتح حيث بلغت هذه العمليات في الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٦٧ (١١٣) عملية فدائية داخل إسرائيل طبقاً لما ذكرته المصادر الإسرائيلية (٢) ، كذلك نشطت هذه العمليات الفدائية ليس فقط على الحدود بين إسرائيل وسوريا وإنما أيضاً على الحدود بين إسرائيل والأردن .

Alcum, op. cit., p. 423.

(١)

Ben Elisser, Eliahu and Schiff - Zeev : op. cit. p. 50. (٢)

وقد بلغت الأوضاع بين إسرائيل وسوريا حداً من التوتر جعل السفير السوفيتي في تل أبيب يقوم بمسعى لدى ليفي أشكول ليحذره من أى عمل عسكري انتقامي تقوم به إسرائيل ،

وقد ابتدأت إسرائيل بالفعل تصرح عن فواياها العدوانية صراحة اعتباراً من ١٨ أكتوبر ١٩٦٦ حيث صرح أشكول قائلاً بنخب ودهاء :
« إذا لم تراجع سوريا عملها ضد إسرائيل فستكون هناك حرب » .

وفي اليوم التالي في الوقت الذي كانت فيه إذاعة دمشق تدبج لباً لإعداد وتكوين جيش شعبي ، كان وزير الداخلية السوري يصرح قائلاً : « إن المواجهة ضد إسرائيل لم يعد من الممكن تحاشيها » .

وفي ٤ نوفمبر أبرم اتفاق للدفاع المشترك بين مصر وسوريا ، وكان هذا الاتفاق موجهاً بالطبع ضد إسرائيل :

غير أن عبد الناصر كان يرى أن بوسعهم أن يمنح سوريا مساندة فعالة إذا ما تعرضت لضربة قوية ، وخلافاً لذلك اعتقد عبد الناصر أنه يستطيع السيطرة على المبادرة الخطرة من جانب سوريا ، بل ويخفف أيضاً من حدتها :

وقد ظهرت انعكاسات الاتفاق بين مصر وسوريا في إسرائيل مباشرة حيث أطالت مدة الخدمة العسكرية فيها إلى ثلاثين شهراً ، وأخذت تصعد من عملياتها الانتقامية ضد عمليات الفدائيين الفلسطينيين واجتاحت القوات الإسرائيلية أربع قرى أردنية هي : سامو ، راقات ، ضربة العصفور ، وضربة المركز ويؤخذ من التقرير الذي وضعه أودبول كبير المراقبين التابعين لهيئة الأمم المتحدة أن الخسائر في الأموال كانت جسيمة حيث تمثلت في هدم مائة وخمسة وعشرين منزلاً ، وكانت الخسائر كبيرة في الأرواح سواء في صفوف الجيش الأردني أو المدنيين فبلغت ١٨ قتيلاً منهم ٣ من المدنيين ، ١٥ من العسكريين و ١٣٤ جريحاً ، منهم ٩٧ من المدنيين و ٣٧ من العسكريين

أما الإسرائيليون فقد أعلنوا من جانبهم أن خسائرهم اقتصرَت على قتيْل واحد وعشرة من الجرحى (١) .

وقد أبدى معظم المراقبين اشمئزازهم لضخامة الوسائل التي استخدمت في هذه العملية من ناحية القسوة والانتقام من ناحية أخرى وخصوصاً للجهة التي اختيرت ميداناً لتطبيقها وهي الأردن التي كانت تبذل الجهود الصادقة بالفعل لمنع الفدائيين الفلسطينيين من العمل داخل أراضيها ، لذلك أصدر مجلس الأمن في يوم ٢٤ من نوفمبر ١٩٦٦ قراراً بِلوم إسرائيل لوماً شديداً على قيامها « بعملياتها العسكرية على نطاق واسع » .

عندئذ انتقلت « المنطقة الساخنة » في اتجاه الشمال إلى الحدود السورية ، حيث تكررت الأعمال الفدائية ، وقد اتخذت إسرائيل ذلك ذريعة فوصفت الأعمال الفدائية من جانب منظمة فتح بأنها فائقة الخطورة واستجبت بمجلس لأمن، وهنا وجه أوثانت نداء إلى الجافين يدعوها فيه إلى التعقل والاعتدال ، وحصل سكرتير عام الأمم المتحدة من ذلك على نتائج بدت مشجعة لفترة من الزمن ، إذ قبلت الحكومتان السورية والإسرائيلية أن تعقد لجنة الهدنة المختلطة اجتماعاً غير عادي بعد أن ظلت واکدة لمدة ست سنوات .

وقد اجتمعت هذه اللجنة في الواقع ثلاث مرات ، غير أن مداولاتها لم تسفر عن أية نتيجة إيجابية فقد أراد المندوبون الإسرائيليون أن تقتصر المناقشة على وسائل منع وقوع الحوادث من غير أن تمتد إلى الوضع الخاص بالمناطق المنزوعة السلاح، حيث لا يقبلون أى نقاش حول سيادتهم عليها . وفي مقابل ذلك كان المندوبون السوريون يطلبون البدء بتطبيق شروط اتفاقية الهدنة على تلك المناطق، وتقضى هذه الشروط بهدم ما فيها من تحصينات وسحب العناصر المسلحة منها وعودة العرب إلى أملاكهم فيها .

وعقب الهجوم الجوي الإسرائيلي العنيف على سوريا في ٧ أبريل -

صدرت التصريحات السورية تكرر « بأن الهدوء لن يعود إلى مناطق الهدنة طالما هناك احتلال صهيوني لفلسطين ، وأن العمل لتحرير فلسطين لا يمكن أن يتم على طريقة « الحرب التقليدية » وإنما عن طريق « الحرب الشعبية » أى عن طريق « سحب القضية من أيدي القلة المسئولين ، ووضعها في أيدي الأجيال والقواعد العريضة للمجماهير الكادحة » (١) و « أن سورية ماضية في طريقها لتحرير فلسطين ، وأن الجيش الشعبى السورى يقف بالمرصاد لكل التحركات الرجعية في المنطقة » (٢) .

ومن جهة أخرى ، قالت صحيفة « البعث » أن العدوان الإسرائيلى كان يهدف إلى اختيار فعالية الدفاع المشترك بين القاهرة ودمشق ، وتوجيه ضربة إلى النظام الثورى فى سوريا (٣) .

وفى ١٧ أبريل ألقى الدكتور نور الدين الأناسى رئيس الدولة السورى خطاباً فى احتفالات الذكرى العشرين للجلاء فقال إن سورية مصممة على منع إسرائيل من احتلال أراضى المنطقة المجردة من السلاح « مهما بلغت التضحيات » وأعلن « أن قضية تحرير فلسطين هى قضيتنا المصيرية وأن أسلوب سورية فى تحريرها هو أسلوب حرب التحرير الشعبية » : وأضاف أن سورية « لا يمكن إلا أن تكون مع الفدائيين العرب ، وأن طلائع الفدائيين لن تثنيها حدود وهمية ولا حكومات عميلة تتآمر ضدها (٤) :

وقد أشاد الرئيس السورى باتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية وأعلن أن حكومته كانت على اتصال دائم مع ج . ع . م أثناء العدوان

(١) هاتمسوفيه ٨/٤/١٩٦٧ .

(٢) من تصريح للدكتور نور الدين الأناسى خلال زيارته للمنطقة التى حدث فيها الهجوم الإسرائيلى أنظر : الحياة ٤/١١/١٩٦٧ .

(٣) البعث ١٠/٤/١٩٦٧ .

(٤) (المحرر) ١٨/٤/١٩٦٧ .

الأخير على سورية « استعداداً لاتخاذ الإجراءات المشتركة التي يتطلبها الموقف من خلال تطور الحركة » ،

وفي ٢١ أبريل تحدث رئيس أركان الجيش السوري عن اشتباكات ٧ أبريل وعن اتفاقية الدفاع المشترك السورية - المصرية والقيادة العربية الموحدة فقال :

« إن اتفاقية الدفاع المشترك لا تعني إطلاق رصاصة على جبهة غزة إذا أطلقت رصاصة على جبهة طبرية » ،

ثم وصف القيادة العربية الموحدة بـ « المرحومة » وقال أنه لم يكن لها أى عمل إيجابى « وبالنسبة لنا فهى غير موضوعة بالحساب » .

ثم وجه اللوم إلى الأردن بسبب عدم إبلاغها سورية عن حركة الطائرات الإسرائيلية بسرعة بحيث تستطيع المدافع والطائرات السورية . . مواجهة الغارة .

وفي ٢٢ أبريل أكد البيان المشترك بينهما - الذى صدر عقب محادثات محمد صديق سليمان رئيس وزراء مصر مع المسئولين السوريين - عن عزم البلدين على تنفيذ اتفاق الدفاع المشترك بينهما ، وأكد أن البلدين كانا على اتصال مستمر خلال معركة ٧ أبريل وبعدها (١) .

فقد كان هذا التاريخ - على وجه التقريب - كما يرى أحد الباحثين (٢) هو الذى وقع فيه تدخل حاسم من جانب الدبلوماسية السوفيتية ، إذ أبلغ الروس كلا من الحكومتين السورية والمصرية أن الجيش الإسرائيلى سوف يهاجم سوريا فى اليوم السابع عشر من مايو ، ومن الأمور المشكوك فيها أن يتمكن أحد فى يوم من الأيام من التحقق من صحة أو كذب هذا التبليغ ،

(١) الأوامر ١٩٦٧/٤/٢٢ .

Alum, Jean Pierre, op. cit., pp. 426-7.

(٢)

٤٩٣

ولكن هذا التبليغ سواء أكان صحيحاً أو كاذباً ، لعب دوراً مؤثراً في تطور النزاع الناشب بين إسرائيل والعرب .

وعموماً فقد جاء تطور الأحداث في تصاعد الأخطار ليوضح احتمال أن يكون العدوان الإسرائيلي وشيك الوقوع .

ففى ١١ مايو تبعت مكتب العلاقات الخارجية في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بمذكرة إلى « الحركات التقدمية في الوطن العربي والعالم » حذراً فيها من تزايد احتمال وقوع عدوان عسكري إسرائيلي جديد على سوريا .

وفي ١٣ مايو إستدعت وزارة الخارجية السورية ممثلي الدول الأعضاء مجلس الأمن وأعلمتهم بأن إسرائيل تعد لشن هجوم على سوريا بحجة أن سوريا هي المسئولة عن نشاط الفدائيين ، وأكدت الوزارة للممثلين أن سوريا « تحمل إسرائيل وحماها مسؤولية ما سيحدث في المنطقة » وأنها لتؤكد استعداد الحكومة والشعب لمواجهة أى عدوان . « . وستوضع اتفاقات الدفاع المشترك موضع التنفيذ (١) .

وفي نفس اليوم أعلن عبد الناصر في رسالته إلى مؤتمر فلسطين المنعقد في لندن بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للخامس عشر من مايو - أعلن عبد الناصر بأن « الأمة العربية تخوض مرحلة حاسمة من مراحل كفاحها .. وهي تواجه تأمر شاملاً لمحاصرتها من كل جانب وأضفاف :

« ان واجبتنا أن نستعد للمعركة الفاصلة في فلسطين وغير فلسطين (٢) .

وفي ١٤ مايو عقد المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة سلسلة من الاجتماعات العسكرية أصدر

(١) النهار ١٢/٥/١٩٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٥/٥/١٩٦٧ .

على أثرها أمرا للقوات المسلحة المصرية لتكون مستعدة لتنفيذ جميع مهام القتال على الجبهة مع إسرائيل في تطورات الموقف (١) .

كما أوفد المشير عامر الفريق أول محمد فوزي رئيس الأركان المصري وقبض إلى دمشق حيث بحث مع المسؤولين السوريين في بعض الأمور المتعلقة بالدفاع المشترك ضد إسرائيل (٢) .

وقد ذكر عبد الناصر فيما بعد حينما تحدث عن ظروف الحرب والأزمة التي سبقتها أنه « كانت هناك خطة مبيتة من العدو لغزو سوريا ، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير » .

وقال عبد الناصر بأن هذه الأدلة كانت المصادر السورية الناطقة والمعلومات الوثيقة لدى مصر وكذلك معلومات الإتحاد السوفيتي « بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا » (٣) .

وهكذا أخذت الحوادث منذ ذلك الوقت تتوالى بسرعة بصورة مثيرة ففي ١٥ مايو نقلت وحدات من الجيش المصري الى سيناء مروراً بشوارع القاهرة الرئيسية بعد أن وضعت مصر موضع التطبيق لبداية من ذلك التاريخ كل الإجراءات التي تقتضيها حالة الاستعداد لتنفيذ إتفاقية الدفاع المشترك بينها وبين سوريا (٤) .

(١) المصدر نفسه ١٧/٥/١٩٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٦/٥/١٩٦٧ .

(٣) وهو ما ذكره الرئيس عبد الناصر في خطاب استقالته في ٩ يونيو حينما تحدث عن ظروف الحرب والأزمة التي سبقتها - الأهرام ١٠-٦-١٩٦٧ ، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ جمع وتصنيف جورج خوري نصر الله إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم ٢٨١ - بيروت - بدون تاريخ إصدار ، ص ٣٥٧-٨ .

(٤) الأهرام ١٦/٥/١٩٦٧ .

المذكورة السوفيتية لإسرائيل :

يؤكد أحد المؤرخين الغربيين المعاصرين (١) أن تدخل الدبلوماسية السوفيتية جاء حاسماً - على وجه التقريب - في منتصف إبريل ١٩٦٧ حيث ابلى السوفييت كلا من الحكومتين السورية والمصرية رسالة تقول أن الجيش الإسرائيلي سوف يقوم بمهاجمة سوريا في اليوم السابع عشر من مايو ، وهو ما لعب دوراً مؤثراً في تطور مشكلة فلسطين والصراع بين العرب وإسرائيل ، وطبقاً للروايات الإسرائيلية (٢) فإن الاتحاد السوفيتي قد أرسل مذكرة شديدة اللهجة إلى حكومة إسرائيل في ٢٦ إبريل ١٩٦٧ وحذرت إسرائيل من القيام بأي عمل يثير ثائرة العرب ، وأوضحت المذكرة أن سياسة إسرائيل مخفوفة بالمخاطر الحسمة .

وفي نفس اليوم قابل « جلعون روغانيل » الممثل الجديد لإسرائيل في الأمم المتحدة نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي « سيمونوف » في موسكو والذي قدم له هو الآخر إنذاراً مماثلاً ، وفي نفس الوقت حذر السفير السوفيتي في دمشق وزير خارجية إسرائيل من النتائج الخطيرة التي قد تقع على سوريا إذا ما سمح لمنظمة فتح في الاستمرار في هجماتها .

غير أنه - كما تستطرد هذه الروايات الإسرائيلية - قد ذهبت أدراج الرباح كل هذه التحذيرات السوفيتية لسوريا فلم يلتفت إليها السوريون وازدادت الغارات السورية على الحدود حتى النصف الأول من شهر مايو ١٩٦٧ وقد بلغت هذه الغارات في العشر أيام الأولى من شهر مايو - إحدى عشر حادثة .

Aleum; Jean Pierre ; Juifs et Arabes : op. cit, (١)
pp. 427-8.

Kimch, David and Bowly. dan, The Sand storm, op. (٢)
cit. pp. 67-9.

وتدعى هذه الروايات أن الزعماء الإسرائيليين قد فضّلوا الهجوم الكلامي بهدف تخويف السوريين ، وفي ١١ مايو حذر ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ سوريا بأنها إذا لم تتوقف عن أعمال العنف فإن الجيش الإسرائيلي سيرد بعنف وشدة بالطريقة وفي المكان والزمان الذي يختاره ويحدده ، وحللاً المسئولون الإسرائيليون حذرو أشكول في توجيه النقد لسوريا بعنف وشدة .

ومن الغريب حقاً أن يدعى الباحثون الإسرائيليون أن هذه الأحاديث قد فسرتها الصحافة العالمية بأنها بداية هجوم ضخم تدبره إسرائيل ضد دمشق الأمر الذي اضطر سوريا إلى اتخاذ كافة الاحتياطات لاشتداد لهجة الإنذارات الإسرائيلية .

كذلك بعث الاتحاد السوفيتي برسالة عاجلة للزعماء السوريين في دمشق وكذلك لعبد الناصر في القاهرة وذكر الاتحاد السوفيتي بأن الإسرائيليين يقومون بحشد قوات كبيرة لتركيزها على مقربة من حدود سوريا وأن هناك هجوما وشيك الوقوع ، وتلا ذلك إنذار سوفيتي ثان كان أكثر دقة وتحديدا لموعد الهجوم الإسرائيلي وبأنه سيكون في الساعة الرابعة صباح يوم ١٧ مايو .

وتختلف الدراسات الإسرائيلية في أسلوب عرض هذه الأفكار بحذق وخبث ومهارة ، فلحدي هذه الدراسات (١) مثلاً تعرض كيف استخدم السوفييت في شهرى إبريل ومايو ١٩٦٧ أسلوب التحذيرات بشكل خطير ومتفجر ، بل أن السوفييت - وفقاً لهذه الدراسات قد قرروا أن يؤكّدوا لحكومة دمشق تأييدهم لها ولذلك قاموا بعدة تهديدات ضد إسرائيل وفي نفس الوقت استعانوا بعبد الناصر وطلبوا منه أن يتدخل لكي يهدى من روع

Ben Elisear, Eliahu aud Schiff, Zeev ، op. cit., pp. (١)

حكومة دمشق وقام عبد الناصر بالمهمة التي أوكلت إليه وأعلن أنه قد تولى الدفاع عن سوريا ، وهكذا خرجت هذه اللعبة الخطيرة — طبقاً لهذه الدراسات الإسرائيلية — التي أثارها السوفييت من أيديهم عندما أراد عبد الناصر أن يستغلها لمصلحته هو .

وبنفس الحلق والخبث والمهارة — وأن كانت تختلف في أسلوب العرض تشير دراسة إسرائيلية أخرى إلى أن إسرائيل وقتئذ لم تكن على استعداد لمهاجمة سوريا وتنحى باللائمة على الاتحاد السوفيتي حيث كان أولى بموظفي السفارة السوفيتية في تل أبيب — ولديهم الفرصة — أن يرووا بأعينهم وقتئذ أنه لم تكن هناك حشود إسرائيلية على الحدود مع سوريا ، وأن التقارير المفزعة التي كان يبعث بها السوفييت ينبغي البحث عن كنهها أما بين العرب أنفسهم وأما بين العرب والسوفييت وأما في داخل سوريا نفسها .

وعوماً فإن الدراسات الإسرائيلية تفسر هذه الأحداث بأنه من المحتمل أن السوفييت والعرب عموماً والسوريين على وجه الخصوص قد لعبوا دورهم ومن ثم فقد اهتم السوفييت بطريقة الاستهتار التي يلجأ إليها السوريون في تعجل الكارثة ، ويحتمل — طبقاً أيضاً لما تذهب إليه هذه الدراسات في تفسيرها — أن يكون تقرير السوفييت عن الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية قد قصد به السوفييت أن يقلع السوريون عن هجمات الفدائيين الفلسطينيين على إسرائيل .

غير أن هذه الدراسات تذهب إلى القول أن موقف السوفييت هذا لم يكن صحيحاً وأن ما كان يأمل فيه السوفييت هو أن يحصلوا على مكاسب سياسية من وراء هذه الحيل وذلك لأن مصر سوف لا تجد مناصاً من إرسال قواتها إلى سيناء بعد التحذير السوفيتي وذلك أثناء زيارة وزير خارجية الاتحاد السوفيتي لمصر وقتئذ ، وبهذه الطريقة سوف تسترد مصر مكانتها ومركزها القيادي

في العالم العربي خاصة وأن عبد الناصر كان قد تعرض لهجمات متواصلة من جانب السوريين والفلسطينيين والأردنيين الذين اتهموه بالسلبية والاعتماد على إزاء إسرائيل ، وقد أراد عبد الناصر بالتالي أن يثبت تصميمه وعزمه عن الدفاع عن سوريا .

وأخيراً تتفق الدراسات الإسرائيلية في أن خطة السوفييت هذه قد نجحت في أن يعيد دمشق التحفز في حين قرر عبد الناصر أن يقضي على الضغط الإسرائيلي « المزعوم » على سوريا فاصدر أوامره في ١٥ مايو بأن يتحرك الجيش المصري نحو حدود إسرائيل ، وهكذا - طبقاً لهذه الدراسات والروايات الإسرائيلية - أشعلت الشرارة التي أطلقها السوفييت بغير حذر والتي كانت تستهدف من وراء إطلاقها الظهور بمظهر الحليف الأمين الحقيقي للعالم العربي أشعلت النار في الشرق الأوسط ، تلك النار التي كانت على الدوام حجراً تغطي الرماد .

إسرائيل والأندفاع نحو الحرب :

أخذت الحوادث تتوالى بسرعة مثيرة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويناسب هذا اليوم ذكرى إنشاء الدولة اليهودية ويعتبر يوم العيد القومي لإسرائيل وقد انتهزت إسرائيل هذه الفرصة لتعرب بها عن رفضها لقرارات الأمم المتحدة وانعكس ذلك على تنظيم إسرائيل لاستعراض عسكري كبير في مدينة القدس بالرغم من اعتراف المنظمة بالسيادة الشرعية على المدينة المقدسة ولا يحقها في أن تجعل إسرائيل من القدس عاصمة لها ، ولا أن تحشد فيها قوات مسلحة .

وفي نفس اليوم بدأت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تمسك زمام الموقف فقد وجه أسحق رابين رئيس الأركان العامة الدعوة لجميع رؤساء الأركان القدامى للاجتماع وهم الذين اعتبروا أن التجمعات المصرية في سيناء هي مظهر من مظاهر القوة ، أما موسى ديان فقد قال :

أن مصر هي عدونا الحقيقي وأن علينا أن نركز اهتمامنا نحوها أساسا (١) وقد اعتبر الرأي العام العربي ذلك تحديا لهم وظنوا أن خطأ أو صوابا أن ذلك ليس سوى حجة الغرض منها لإقامة جهاز هجومي إسرائيلي ، فوجه الرئيس السوري إلى مجلس الأمن رسالة اتهم فيها إسرائيل بأنها تعد « لحرب سويس جديدة » وأنها تعمل على قلب نظام الحكم التقدمي في دمشق مؤدية بذلك الدور الذي نخصص لها ضمن مؤامرة واسعة النطاق قام الحلف المركزي بتدبيرها وتمويلها .

وفي مصر أصدر المشير عبد الحكيم عامر أمر القتال رقم واحد في الساعة ١٤٣٠ يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ بأن يكون الجيش في حالة طوارئ قصوى وأن على القوات المسلحة أن تكون مستعدة للمعركة ضد إسرائيل على الحدود الأممية طبقا لتطورات الموقف (٢) « وتنفيذا لذلك فقد تم استدعاء جميع الضباط المتخيين في إجازات وشهدت شوارع القاهرة بالفعل الوحدات وهي تستعرض قواتها بشكل يدعو إلى الحماس .

وفي ١٦ مايو ذكرت صحيفة الأهرام أن محررها السياسي علم « استنادا إلى أوثق المصادر أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد أراضيه أو سلامته ، وأن ذلك لا يحدث فقط تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسورية التي تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا ، وإنما هو موقف القاهرة الثابت والدائم إذا دخلت إسرائيل حربا ضد أى دولة عربية

Lau·Lavie. N: Moshe·Dayan : A biography, op. cit, (١)
p. 291.

Kimche, David and Bowl S, Dan : The Sand Storm, (٢)
op. cit. p. 93.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن من تداعى الأحداث والذى تعتبر الإجابة عليه من أصعب الأمور أن لم تكن أصعبها على الإطلاق نظرا لغياب الوثائق التى تعتبر المرجع الرئيسى للمؤرخ .. السؤال هو :

هل كانت هناك بالفعل حشود إسرائيلية على طول الحدود مع سوريا سوف نسوق هنا مجموعة من التصريحات التى قيلت بهذا الخصوص . فقد نشرت صحيفة البرافدا فى موسكو بتاريخ (١) ١٦ مايو نبا يقول أن : « . . . حشد القوات الإسرائيلية على الحدود السورية يقطع بأن إسرائيل تشكل مصدر التوتر فى الشرق الأوسط » .

ومن جهة أخرى ندد المعلق فى إذاعة موسكو بأن « الفئة العسكرية الإسرائيلية التى تعمل وفق رغبة الأبرياء الغربية قد ضاعفت من تحدياتها واستفزاتها ضد مختلف الدول العربية »

كذلك فقد كان يبدو وقتها أن التصريحات التى أدلى بها اسحق رابين والتى نشرتها الصحف البريطانية تؤكد هذا الأمر .

غير أن عبد الناصر — بالرغم من ذلك ولما هو معروف عنه من تشكك قد طلب أيضا حاث بهذا الصدد ؛ فجاءته تقارير لبنانية وسورية وسوفيتية بل وتقارير من أجهزة مخابراته تؤكد وجود حشود إسرائيلية بالقرب من الحدود السورية . ويبدو أيضا أن التقارير السوفيتية قد عملت بصفة خاصة على اقناع الزعيم المصرى بحقيقة هذا الخطر لاسيما وأنه قد تردد أيضا أن المخابرات السوفيتية قد حصلت على خطة إسرائيلية أولية — شبيهة بالخطة التى تضعها جميع أركان الحرب استعدادا لأى طارئ محتمل — وأنها قدمتها لعبد الناصر على أنها تمثل خطة هجوم حقيقة وشيكة .

وقيل أيضا إن القوات الإسرائيلية التي كانت قد أرسلت إلى الشمال وقت وقوع الحوادث الخطيرة في الشهر الماضي ولم تسحب كلها قد أعطت انطبعا « خطأ » بوجود حشود ذات طابع هجومي .

وعرض ليفي أشكول على السفير السوفيتي أن يتأكد بنفسه من عدم وجود أية حشود - ولكن هذا الأخير رفض القيام بهذا الأمر .. وهكذا فإن أي دبلوماسي قد يرى أنه ليس بالشخص الذي يمكنه أن يكتشف وجود حشود عسكرية .

وذكر مراقبو الأمم المتحدة أنه ليست هناك حشود أو تحركات عسكرية هامة .

والواقع أنه حتى الآن فإنه لا يمكن لأى من الطرفين أن يتقدم بدليل حاسم يدل على حقيقة هذا الخطر كما يرى فريق من المؤرخين المعاصرين (١) الذين يرون أيضا أنه ربما حاولت هيئة أركان الحرب الإسرائيلية أن تقنع السوفييت والعرب على السواء أن الهجوم وشيك الوقوع وأنها تعدت لذلك أن تترك جزءا محسوبا من خططها يتسرب ، وقد يكون ذلك قد تم (وفقا) لرأى جنرال فرنسي لا يريد أن يكشف عن اسمه (٢) عن طريق بعث رسائل لاسلكية تموهية من شبكة ميدانية وهمية - التقطتها سفن سوفيتية في البحر المتوسط أو محطات استماع سورية أو مصرية .

غير أنه ليس من السهولة إثبات صحة هذا الغرض - وأن كانت تصريحات راين والدوائر العسكرية الإسرائيلية تؤيده .

فهل كان الهدف المنشود هو مجرد تخويف السوريين كما يقول أصحاب هذه النظرية سالفة الذكر ؟ .

Rodinson, Maxime : Israei et le Refus Arabe : op. (١)
cit. p. 753.

Ibid

(٢)

وهل كان الغرض هو الحصول نتيجة لذلك على وقف تام للمساعدة التي تقدم لغارات الفدائيين الفلسطينيين ؟

إن القائل بذلك يبرهن بجهل تام لرود الفعل المنتظرة من قبل السوريين والرأى العام العربى عموما - وهو أمر شائع إلى حد ما فى الدوائر السياسية الإسرائيلية وإن كان نادرا فى أوساط العسكريين الإسرائيليين ولاسيما أجهزة المخابرات هناك ،

ومن هنا فإنه لايسعنا إلا أن نؤيد وجهة النظر التي تأخذ إلى حذما بإمكانية الافتراض السياسى الفرعى الذى يرى أن هذه الحملة النفسية كانت عبارة عن مناورة للمتطرفين الإسرائيليين الذين كانوا ينتظرون حدوث رد فعل عربى يدفع إسرائيل إلى اتخاذ سياسة « حازمة » وتنجي بهم إلى الحكم (١) ، إلا أنه من المؤكد أن الخطر الذى يهدد سوريا كان بالفعل افتراضا معقولا وأن عبد الناصر قد صدقه ، كما أن السوفييت كانوا يخشون بكل تأكيد وقوع هجوم أمريكى (وكان سيكون هجوما أمريكيا إسرائيليا فى أغلب الظن) ضد سوريا فى فترة قريبة نسبيا . ورأوا أن تهديدات إسرائيل تعتبر أيدانا بوقوع هذا الهجوم الوشيك ، ويبدو أيضاً أن السوفييت هم الذين شجعوا عبد الناصر على الإقدام على اتخاذ خطوة ملموسة للتضامن مع سوريا آمليين بذلك بدون شك فى أن يبعد ذلك مخاطر وقوع هجوم إسرائيلى .

ومن الواضح أن عبد الناصر كان يعتقد وقتئذ نفس الشيء إذ أن خصوم العرب كانوا قد شككوا (٢) خلال الشهور السابقة فى هذا التضامن . فهاجموا جميعا موقفه السلبى أثناء الغارات الإسرائيلية الانتقامية على قرية السموع فى الأردن والغارة الإسرائيلية الجوىة على دمشق منذ شهر ونستدل على ذلك من

Ibid

(١)

Ben Elissar, Elahu aud Schiff, Zeev, La Juirre

(٢)

Isrealo Arabe, od. cit. pp. 52-53.

العبارة الآتية التي بعث بها الملك حسين ضمن خطاب وجهه إلى عبد الناصر حينئذ قائلاً :

« رغم أنك ناصر الكبير ، فانت لاتقوم بشن غارات على أيدي الفدائيين من الأراضي المصرية ، وأنت تعلم أن قوات الطوارئ تفصل حدودك عن الإسرائيليين ، وبجانب ذلك فانك ترسل إلى رجال من منظمة فتح ليقوموا بعمليات من حدود الأردن ، ومع ذلك لاتريد أن تساعدني ، بل ولاتريد أن تغلق مضيق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية » .

وفي الواقع فقد كان هناك الفريق على على عامر على رأس القيادة العربية الموحدة والتي كانت مسئولة من حيث المبدأ عن الدفاع المشترك عن عدد الدول العربية غير أن هذا القائد لم يحرك ساكناً عند وقوع الهجومين الإسرائيليين سالفى الذكر ، وكان من المهم لعبد الناصر - والحال هكذا أن يبرهن بطريقة دعائية على مساهمته الفعالة في القضية العربية ، إلا أنه كان عليه أن يقدم على ذلك بحذر تام حتى لايساق به إلى الحرب ، ووصل رئيس أركان حرب الجيش المصري وقائد القوات الجوية إلى دمشق ليؤكدوا لدمشق مساندة مصر لها .

وفي نفس الوقت تقدمت سوريا بشكوى إلى مجلس الأمن وتنصلت من مسئولية الفدائيين الفلسطينيين ، وقيل حينئذ إذا كان نصف مليون جندي أمريكي عاجزين عن وقف التسلسل عبر الحدود الفيتنامية فكيف يمكن لسوريا أن تراقب الحدود الإسرائيلية بصورة أكثر فاعلية من الإسرائيليين أنفسهم ، غير أن السوريين والأردنيين - وحتى الإسرائيليين (١) - قد أعربوا عن عدم اقتناعهم التام بالاستعراضات العسكرية المصرية - وتكررت

Rodinson, Maxime ; Israel at 'Le Refns Arabe,' cit. (١)

الالتزامات المعتادة - القائلة أن عبدالناصر سعيد للغاية بوجود قوات الطوارئ الدولية التي تحول دون وقوع مواجهة مصرية لإسرائيلية .

وقد أثمر هذا الضغط المتزايد على عبدالناصر بالفعل ، ففي ١٦ مايو طلب ضابط الاتصال المصري لدى قوات الأمم المتحدة في قطاع غزة مقابلة الجنرال الهندي / ريكهي قائد قوات الطوارئ الدولية وسلمه مذكرة من رئيس أركان حرب الجيش المصري حيث أوضحت المذكرة أن إسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية ، فإذا هاجمت سوريا فإن مصر سوف ترحف لنجدة السوريين ، وإذا ما بدأت الحرب فإن قوات الأمم المتحدة سوف تكون في خطر ولذلك يجب عليهم أن ينسحبوا أولاً (١) ، وقد رد الجنرال ريكهي على ضابط الاتصال المصري قائلاً : « أننى لا أستطيع أن أعمل شيئاً وسأرسل المذكرة إلى أوثانت للبت فيها » .

وقد وصف أوثانت هذه الرسالة بأنها ذات طابع سرى وغامض وغير مقبولة ولكنها كانت لا تشير إلى غزة أو إلى شرم الشيخ المتحكمة في مضيق تيران والواقعة بعيداً عن الحدود (٢) .

وتشير الروايات الإسرائيلية إلى أن مصر لم تطلب إجلاء قوات الأمم المتحدة إجلاء كاملاً ولكن طلبت إنسحابها فقط من حدود سيناء وقطاع غزة إلى معسكرات الأمم المتحدة بخان يونس ورفع ، وتستطرد الدراسات الإسرائيلية قائلة أن عبدالناصر قد قصد بذلك إلى أسكات أبواق الدعاية المعادية له ، وأنه حتى هذه اللحظة لم يكن عبدالناصر يفكر في نشوب الحرب بالفعل (٣) .

Ben Elissar and Schiff, Zeev : la guerre Israélo Arabe, (١)

Rodinson, Maxime : Israël et la Refus Arabe, op. (٢)

cit. p. 154.

Kimch, David and Bawly Don : the Sand Storm, (٣)

op. cit. p. 97.

ويبدو أن أوثانت أراد أن « يبلف » ليجنح عبد الناصر من الاستمرار في التقدم بطليمه إذ كان يعتقد بدوره أن هذا الطلب ليس سوى عملية « بلف » فأخبره أنه ليس في وسع رئيس الجمهورية المصري أن يصدر أمرا إلى القوات الدولية بالتحرك وأن كل ما يمكن أن يفعله هو سحب الترخيص الذي منحه لهذه القوات في عام ١٩٥٦ بالبقاء في الأراضي المصرية .

وقد جاء رد أوثانت هذا بعد مشاوره مع رالف بانثن الرجل العليم بمشكلة فلسطين والذي أعد اتفاقات الهدنة بين العرب وإسرائيل في عام ١٩٤٨ وكان رأى رالف بانثن أن عبد الناصر - في هذا الوقت بالذات - ليست له مصلحة في تصعيد الموقف في المنطقة ولا خوض حرب ليس على استعداد لخوضها ولذلك نصح رالف بانثن يوثانت أن يمارس « لعبة البوكر » كما يمارسها عبد الناصر ولإرغامه على التسليم كان من اللازم وضع عبد الناصر - طبقا لقواعد اللعبة - أمام أحد أمرين : إما إعطائه كل ما يريد أو عدم إعطائه أى شئ .

ومضت اللعبة إلى نهايتها ، ففي الساعة ١٨ بالتوقيت المحلي دخل السفير المصري محمد القوني مكتب السكرتير العام وقام هذا الأخير بإبلاغ السفير بأن طلب الحكومة المصرية بات مرفوضا بدعوى أن الجنرال ريكهي لا يتلقى أوامر من قائد مصري ولكنه يأتمر فقط بأوامر سكرتير الأمم المتحدة وبالإضافة إلى ذلك فإن القوات الدولية لا تستطيع القيام بالمهمة الموكلة لهما إلا إذا كانت قادرة على التحرك بحرية على طول الحدود ، كما وأن كل طلب يتناول إنسحابا جزئيا مؤقتا لقوات الطوارئ الدولية يعتبر في حقيقة أمره طلب شامل بالانسحاب فإذا ما تقدمت مصر بطلب بالانسحاب الشامل فإنه لن يسع السكرتير العام إلا لإصدار أمره بالانسحاب قواته إنسحابا كاملا وعلى ذلك وعد القوني بالاتصال بحكومته ليطلب منها توضيحات .

إذا ، فقد كان على عبد الناصر أن يختار بين أمرين ، إما الإبقاء على قوة الأمم المتحدة كما كانت وإما المطالبة بإجلائها إجماعاً تاماً ونهائياً ، خصوصاً بعد أن صرح أوثانت أن الأمم المتحدة لا تقبل أن يطلب منها أن تتنحى حتى يتمكن الطرفان من استئناف القتال ، كذلك أعلن أوثانت أن من حق مصر أن تطالب بإجلاء قوات الطوارئ الدولية دون معارضة أحد .

وبعد أن تردد عبد الناصر بعض الشيء ، قرر أنه لا يمكنه أن يتراجع إذا كان ما يزال خاضعاً لضغوط داخلية وخارجية ، فقد عادت الإذاعة الأردنية تذكر بوجود شرم الشيخ ونهكمت على الخطوات التي اتخذها والتي لا تنفع ولا تضر والتي شئ أشبه بالاستعراضات : كما كان السوريون يلحون على عبد الناصر من جانب آخر. وفي ظهر يوم الخميس ١٨ مايو ١٩٦٧ قدم محمد القوي رئيس الوفد المصري في الأمم المتحدة رسمياً إلى أوثانت طلباً رسمياً من وزير الخارجية محمود رياض بسحب قوة الطوارئ الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية ، وقال محمود رياض في برقيته إلى أوثانت أن حكومته قد قررت إنهاء وجود قوة الطوارئ الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية وقال محمود رياض في برقيته إلى أوثانت أن حكومته قد قررت لإنهاء وجود قوة الطوارئ الدولية تلك في مصر وقطاع غزة ، وذكر وزير الخارجية المصري في برقيته بأن مرابطة تلك القوة هناك كان بناء على دعوة حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وأن استمرار وجودها يتوقف على موافقة مصر وطلب سحبها « في أسرع وقت ممكن » .

كذلك أوضح ممثل الجمهورية العربية الدائم ، أن محاولة إبقاء هذه القوات ضد رغبة الحكومة المصرية سوف يؤدي إلى اعتبارها « قوات احتلال » .

وفي رد أوثانت اعترف بأن قوة الطوارئ الدولية دخلت الأراضي المصرية بموافقة الحكومة المصرية وأنها لا تستطيع البقاء إلا باستمرار تلك الموافقة وبناء على ذلك قال السكرتير العام للأمم المتحدة أنه سيستجيب لطلب .

الجمهورية العربية المتحدة وسيشرع في إصدار التعليمات لاتخاذ الترتيبات الضرورية لانسحاب القوة (١) والعربات والمعدات انسحاباً منظماً وبدون تأخير »

ولا شك أن أوثانت كان يأمل في أن يتمكن فيما بعد بالطرق الدبلوماسية من وقف تدهور العملية الخطيرة التي بدأت ، وقد احتج المندوب الإسرائيلي في الأمم المتحدة على الفور لدى أوثانت ضد هذا العمل الذي اتخذ من جانب واحد ولكنه رفض اقتراح السكرتير العام بخصوص وضع قوات الطوارئ على الجانب الإسرائيلي من الحدود ، وعلى الفور احتلت القوات المصرية موقعاً على الحدود الإسرائيلية ، أما إسرائيل فقد أعلنت رسمياً « أنها قد اتخذت الخطرات والإجراءات المناسبة (٢) » ، وجاءت ردود الفعل العالية منتقدة أوثانت ، فقد انتقدت الولايات المتحدة ودول أوروبا أوثانت انتقاداً شديداً لأنه أساء التصرف في هذا الموضوع ، وكان أقل ما يجب عمله - طبقاً لما تراه الدراسات الإسرائيلية والغربية (٣) - هو أن يعرض طلب لمصر على الجمعية العامة حسب الاتفاق الذي تم بين السكرتير العام السابق داج همرشلد وعبد الناصر في نوفمبر ١٩٥٦ بعدما استقر الرأي في الجمعية العامة على إيقاف قوات الأمم المتحدة بعد ذلك بقليل وطبقاً لهذه الاتفاقية فإن طلب مصر بجلاء قوات الطوارئ الدولية « كان يجب أن يعرض في الحال على الجمعية العامة »

(١) كانت قوة الطوارئ الدولية تقوم منذ أزمة السويس في عام ١٩٥٦ بدوريات على الحدود المصرية الإسرائيلية في سيناء وقطاع غزة التي يبلغ طولها ١١٧ ميلاً . وقد كانت ترابط على الجانب المصري من الحدود بموافقة الحكومة المصرية . وكانت تلك القوة تتكون من ٣٣٩٣ رجلاً - منهم ٩٧٨ هندياً ، و ٨٠٠ كندياً ، و ٥٨٠ يوغوسلافيًا ، و ٥٢٨ سويدياً ، و ٤٣٢ برازيليًا : ٧٢ نرويجيًا وثلاثة دانمركيين .

(٢) شلربرنيكدمون : (ما قبل ساعة الصفر) وقصة الأحداث التي سبقت حوب الأيام الستة ، تل أبيب ، ١٩٦٨ (عبري) ، ترجمة خاصة ، ص ص ١٤-١٦ .

(٣) المرجع السابق .

وإذا رأت الجمعية العامة ، أن مهمة قوات الطوارئ الدولية لم تتم وأن مصر احتفظت كذلك بموقفها ولم تتنازل عنه ، وأجبرت القوات على الانسحاب فإن مصر تكون قد نقضت هذه الاتفاقية مع الأمم المتحدة » .

كذلك فإن من ضمن الانتقادات التي وجهت إلى أو ثانت هو اتهامه بأنه يميل إلى مصر ويجمال المصريين ويعطف على دولة من دول العالم الآسيوي الأفريقي ، غير أن الحقائق لم تدعم هذا الاتهام بل على العكس فقد أخذ على أو ثانت في الماضي (١) عطفه على إسرائيل .

أما في مصر فقد كان الرأي العام مؤيداً باندفاع لجلاء قوات الطوارئ الدولية وانعكس ذلك على الإذاعة حيث ذكرت إذاعة صوت العرب يوم ١٨ مايو :

« أما اليوم فلا توجد قوات طوارئ دولية لتحتمي إسرائيل ولن نصبر أكثر مما صبرنا وسوف لا نشكو إسرائيل للأمم المتحدة بعد ذلك ، إن السبيل الوحيد الذي سوف نسلكه مع إسرائيل هو الحرب الشاملة التي ستنتهي بزوال الوجود الصهيوني نهائياً » .

وتدعى بعض الدراسات الإسرائيلية والغربية أن أو ثانت لم يبين أو يفسر للرأي العام العالمي سبب السرعة العجيبة التي استجاب فيها لطلب عبد الناصر (٢) ومن ثم فقد جاءت استجابة أو ثانت المباشرة بسحب قوات الطوارئ غير

(١) قفى ١٧ مايو عام ١٩٥٨ عندما كان أو ثانت سفيراً لبلاده في بورما في الولايات المتحدة ، قال في خطاب له في اجتماع أمريكي يهودي .

(٢) إن عودة الشعب اليهودي إلى وطنه الأصلي - في الشرق - رأى كثير من الآسيويين الذين يمتنون بالاجناس تشبه تماماً عردة أقارب لهم إلى منازلهم ومدنهم بعد أن فرقت بينهم الأيام لأمد طويل) .

Kimch, David and Bawly Dan, the Sand Storm op. (٢)

cit. pp. 98-9.

مفهومة جيداً في أسبابها (١) .

وقد أجاب السكرتير العام نفسه على ناقدية إجابة منطقية وقاطعة ، ففي تقريره إلى مجلس الأمن قال أوثانت أنه استجاب لطلب الجمهورية العربية المتحدة بسحب قوات الطوارئ الدولية للأسباب الآتية :

(أ) أن قوة الطوارئ الدولية دخلت أرض ج . ع . م على أساس اتفاق تم في القاهرة (في عام ١٩٥٦) بين السكرتير العام (دكتور همرشلد) ورئيس جمهورية مصر ، وعلى هذا بدا واضحاً تماماً أنه من المخم على السكرتير العام - لما أن ج . ع . م قد سحبت موافقتها - أن يعطى أو امر بسحب القوة ، إن موافقة الدولة المضيفة مبدأ أساسى التزم به في جميع عمليات حفظ السلام التى قامت بها الأمم المتحدة .

(ب) إن قوة الطوارئ الدولية - حتى من وجهة النظر العملية - لن تستطيع ممارسة مهمتها دون تعاون الدولة المضيفة .

(ج) أن الهند و يوغوسلافيا وهما الدولتان الرئيسيتان المشتركتان في قوة الطوارئ أبديا فعلا عز مهمها على سحب قواتهما .

وقد كانت الهند في مواقفها في السنوات الماضية - حيث لعب جنودها وضباطها دوراً هاماً في قوات الطوارئ - كانت تلك المواقف مؤيدة تماماً لتصرف السكرتير العام للأمم المتحدة ، فلقد أرسلت حكومة (٢) الهند خطاباً إلى السكرتير العام للمنظمة الدولية في ٦ نوفمبر عام ١٩٥٦ توضح فيه أن قوة الطوارئ الدولية لن تكون بأية حال من خليفة لقوات الغزو الأنجلو - فرنسية ولن تنهض بأعمالها ولا ينبغي أن توجد إلا بموافقة مصر ، ويجب أن نتذكر

Rodinson, Maxime : Israel et Le Refus Arabe, op. (١)
cit., p. 159.

Dranth, Dew3n Bereid : op. cit, pp. 64-56. (٢)
(م ٣٩ - فلسطين)

أن قوة الطوارئ الدولية قد رابطت على أرض ج. ع. م وحدها وبموافقتها، ومن ثم لا يمكن استمرار وجودها هناك إلا برغبة الج. ع. م وحدها، كذلك يجب أن نلاحظ أن إسرائيل رفضت مرابطة قوة الطوارئ الدولية على الجانب الإسرائيلي عندما اقترح أو ثانت ذلك.

ولو أن قوة الطوارئ الدولية كانت قد رابطت على جانبي الحدود كما كان متصوراً أصلاً طبقاً لقرار الجمعية العامة لكان من الممكن استمرارها في أداء وظيفتها كمحاجز بين الطرفين، وعلى أية حال فإن إسرائيل لم تسمح قط بوجود تلك القوة على أرضها،

وعموماً، فعلا هذه الأثناء، كان التوتر يتصاعد رغم الجهود البطولية التي بذلتها يوثانت للمحافظة على السلام، وقد اضطر للاعتراف بفشله نظراً لموقف إسرائيل العدواني وتصريحاتها المتناقضة.

وفي تقريره لمجلس الأمن يوم ١٩ مايو قال يوثانت :

« لقد أكدت لي حكومة إسرائيل أخيراً جداً أنه لا توجد حشود عسكرية غير عادية أو تحركات على طول الحدود السورية ولا يمكن أن يوجد مثل هذا، ولكن في الأيام الماضية وردت أنباء ملحة عن وجود حشود وتحركات عسكرية على الجانب الإسرائيلي على وجه الخصوص ».

وكان السكرتير العام للأمم المتحدة قلقاً جداً من التصريحات شبه الحربية التي تدلى بها الحكومة الإسرائيلية، ولهذا قال :

« لقد أثارت تلك التصريحات القلق بل والانعراج ».

وفي التقرير نفسه ذكر يوثانت أيضاً الحقيقة التالية :

« وفي الأسابيع الأخيرة خرجت من إسرائيل أنباء نسبت للمصادر الرسمية في تلك الدولة، بيانات ملتهبة تعطي الإحساس بأنها لا يمكن أن تهدف إلا إلى إثارة المشاعر ومن ثم زيادة حدة التوتر (١) ».

(١) هندوستان تايمز، نيودلهي، ٢١ مايو ١٩٦٧.

وفي يوم ١٩ مايو أنزل علم الأمم المتحدة الذي كان يرفرف على المركز الرئيسي لقوات الطوارئ الدولية في غزة ، وتم إخلاء جميع مراكز المراقبة واتخذت بعض الوحدات الفلسطينية في غزة موقعا لها بالقرب من القوات المصرية وأعلنت كل من مصر وسوريا وإسرائيل أيضاً حالة الطوارئ في قواتها ، وبدأ الرأي العام العالمي يقلق فطلبت « جماعة الأمم المتحدة في بريطانيا » من إسرائيل استقبال قوات الطوارئ الدولية في أراضيها ولكن أشكول رفض ،

ومنذ ١٩ مايو أخذت مصر تسرع الخطى في تحركات قواتها إلى سيناء ، وكان الاهتمام مركزاً وقتئذ على الوحدات المدرعة وأسقطت جنود المظلات المصرية فوق شرم الشيخ لمنع أى احتمال لأى تحرك إسرائيلي للاستيلاء على هذه المنطقة الحساسة ، كذلك أرسلت قطع الأسطول المصري عن طريق قناة السويس إلى البحر الأحمر ليدخل خليج العقبة .

وربما كان السلام حتى هذه اللحظة غير معرض للخطر تماماً ويستدل على ذلك من قول القائد المصري (١) في سيناء من أن مجرد وقوع حادثة صغيرة لن يكون كافياً لبدء العمليات العسكرية وأن الهجوم الإسرائيلي على سوريا وحده هو الذى يؤدى إلى هذه النتيجة .

وأعلن الشقيرى نفسه أنه وضع قواته في غزة تحت أوامر القيادة المصرية وأن الملك حسين يجب أن يسقط عن العرش قبل التفكك في حرب التحرير ضد إسرائيل .

وكانت المشكلة الرئيسية هي مشكلة مضيق تيران فطالما أن قوات الطوارئ ستغادر الأراضي المصرية فإن عبد الناصر لن تكون لديه أية حجة لعدم إعادة الاستيلاء على شرم الشيخ المشرفة على مضيق تيران أى على منفذ خليج العقبة على البحر الأحمر .

(١) وكان وقتئذ الفريق أول عبد المحسن كامل مرتضى (الباحث) .

وفي يوم ٢١ مايو حلت القوات المصرية في شرم الشيخ محل قوات الطوارئ الدولية ، وكان على عبد الناصر أن يتخذ حينئذ قراراً بشأن الملاحقة الإسرائيلية عن طريق هذا الممر الذي يصل فيه عرض الممر المستعمل في الملاحقة حداً ضئيلاً بحيث يمكن لأي سلاح ناري أن يمنع المرور فيه ، غير أن عبد الناصر قد تردد أولاً في إغلاق المضيق وأنخب المشير عبد الحكيم عامر بذلك ، ولكن صدى انتقادات الأردن لا زالت ماثلة أمام عبد الناصر حيث لزم الأردن الصمت لإزاء ما حدث في مصر بعد ١٥ مايو ١٩٦٧ مدعياً عدم وجود النية الأكيدة لدى مصر للقتال وأخذ راديو عمان يردد :

« إن المصريين يتكلمون أكثر مما يفعلون ، إن السفن الإسرائيلية لا زالت تمر في مضائق تيران » .

وفي مساء ٢٢ مايو أبلغ عبد الناصر وزرائه ومستشاريه (١) أنه عقد العزم على إعلان إغلاق مضائق تيران في وجه السفن الإسرائيلية ، وقد أذاع راديو القاهرة بعد منتصف الليل بقليل هذا القرار :

« إن العلم الإسرائيلي لن يمر بعد ذلك في خليج العقبة ، وسيادتنا على الخليج لا تقبل المناقشة . . . وأننا نقف الآن في حرب مع إسرائيل ، إن إسرائيل وحدها اليوم وليس معها بريطانيا وفرنسا كما حدث في عام ١٩٥٦ إننا الآن وجهاً لوجه مع إسرائيل ، إن اليهود يهددوننا بالحرب ونحن نقول لهم أهلاً وسهلاً ولتتقدموا » .

ويدعى السوفييت أن أحداً لم يشاركهم (٢) في هذا الأمر ، وكانت مصر قد أشرفت على المضيق من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٦ — «مضيقة» بذلك من

(١) وكان في الواقع هذا القرار قد أبلغ بواسطة عبد الناصر والمشير عامر صباح اليوم نفسه عند ما كان في زيارة لقاعدة جوية بالقرب من قناة السويس وحضر هذه الزيارة ضباط من القيادات المختلفة بالقوات المسلحة . (الباحث)

(٢) Radinson, Maxime ، Israel et Le Refus Arabe op. cit, pp. 156-7.

حيث المبدأ الخناق على ميناء إيلات الواقع في نهاية الخليج والذي أقامته إسرائيل على ١٢ كيلو متراً من الشواطئ التي استولى عليها الجيش الإسرائيلي في مارس عام ١٩٤٩، وكان لا يمكن للسفن الإسرائيلية عبور المضيق، كذلك كان حال السفن الأجنبية أن تخطر قائدي كل من مينائي بورسعيد والسويس بموعد مرورها وقد استولت إسرائيل على هذا المركز خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ثم تخلت عنه عند جلائها عن بقية الأراضي المحتلة بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن القوات الإسرائيلية أبدلت بقوات دولية وأصبح بإمكان السفن أن تمر بحرية .

والواقع أن السفن الإسرائيلية التي كانت تعبر المضيق قليلة للغاية وإن زاد الأمر بالنسبة للسفن الأجنبية إلى إيلات أو الراجعة منها ، فكانت لا تمر من هنا سوى ٥ ٪ فقط من تجارة إسرائيل - وإن كان يمر منها أيضاً الجزء الأكبر من تموين إسرائيل بالبترول ، كذلك كان هناك خط أنابيب بترول ينقل النفط حتى بئر سبع وكان مقدراً منه في المستقبل ليصل إلى حيفا ، وكان النحام يصل إلى إيلات في الغالب على ظهر ناقلات بترول غير إسرائيلية هـ وهناك مشروع قناة يسمح لإسرائيل (أو لغيرها) أن تتعاشي يوماً ما المرور في قناة السويس للذهاب إلى البحرين الأحمر أو المتوسط بالعكس :

وعندما اتخذ عبد الناصر قراره بإغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية أوضح أن السفن غير الإسرائيلية الحاملة لمواد استراتيجية أو لبترول والمتجهة إلى إيلات ستمنع من المرور في المضيق :

وهكذا جاء هذا العمل أيضاً رداً على جميع تهمة التواخي بل والتواطؤ مع الصهيونية (١) التي كانت توجه إلى عبد الناصر - بل والتي كانت التلميحات تكثر بشأنها في العالم العربي :

وكانت حرية المرور في مضيق تيران هي الميزة الإيجابية الوحيدة التي نخرجت بها إسرائيل من حملة سيناء — فعندما حرّمهم عبد الناصر من هذه الميزة أنقذ سوويا وحصل في الوقت نفسه على النصر الوحيد الذي حققة العرب منذ وقت طويل ومحا بذلك آخر أثر للانتصار العسكري في عام ١٩٥٦ واستعاد لمصر سيادتها النامة على جميع أراضيها ، وبالتالي فلم يعد لأحد في العالم العربي أن يناقشه أو أن يشكك في إخلاصه .

وكان عبد الناصر يعتقد أن هناك فرصاً كبيرة في أن لا تتحرك إسرائيل ؛ من ناحية كان الاتحاد السوفييتي يحميه ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بل وسكرتير عام المنظمة الدولية تفهم موقفه ، وكان يعتقد أيضاً أن لديه مؤيدين أقوياء في وزارة الخارجية الأمريكية وأن جونسون مشغول بما يدور في فيتنام ولا يميل كثيراً إلى التورط في الشرق الأوسط .

أما الرأي العام العربي فقد وقف كله وراء عبد الناصر .

وفي يوم ٢٣ مايو استقبل عبد الناصر يوثانت في القاهرة وعقد معه اتفاقاً تعهد فيه بالامتناع عن أى عمل جديد قد يكون من شأنه زيادة حدة التوتر ، واتفق على أن يقوم أحد ممثلي السكرتير العام بزيارة كل من القاهرة وتل أبيب لمحاولة التوصل إلى أساس للاتفاق وأن يطلب أوثانت من الدول العظمى مهلة للتوصل إلى الحل الوسط — بأن تمتنع عن إرسال مواد استراتيجية إلى إسرائيل عن طريق ميناء إيلات وتبعث بهذه المواد عن طريق حيفا ، وهكذا يمكن لمصر أن لا تقدم على أى عمل استفزازي في شرم الشيخ .

أما الولايات المتحدة فقد أكدت ضمن رسالة بعثت بها جونسون (١) إلى

(١) رسالة جونسون إلى الرئيس عبد الناصر في ٢٣ مايو ١٩٦٧ وكذا مذكرة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة في : ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية) الجزء الثاني ، مرجع سابق ص ١٥٥٣-٦ .

عبد الناصر مساء يوم ٢٣ مايو. أن المضيق يعتبر ممراً دولياً وأنه من الضروري ضمان حرية المرور فيه، واقترح السفير الأمريكي في القاهرة على عبد الناصر مشروعا يلغى آثار الحركة المصرية الأخيرة ولكن عبد الناصر رفض بشدة هذا المشروع، كما طالب روبرت كيندي في نفس اليوم أمام جمعية بنى بريت اليهودية الأمريكية بإرسال قوة بحرية تابعة للأمم المتحدة عبر المضيق، وفي ٢٤ مايو أكد هارولد ويلسون دون أن يشير إلى الأمم المتحدة استعداد بلاده للاشتراك في عمل دولي بهذا المعنى لإعادة فتح المضيق بالقوة.

ردود الفعل الاسرائيلي بعد اغلاق مضيق تيران :

أما ردود الفعل الإسرائيلية تجاه غلق مصر لخليج العقبة فقد جسدت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كمشكلة خطيرة للغاية باعثا على حرب، فالأمر من وجهة نظرها لا يقتصر على مجرد فقد حرية الملاحة بمضيق خليج العقبة، بل أن إسرائيل فقدت امتلاكها « لليد العليا » وأنها بذلك سوف تفقد قدرتها تماما على الردع، حتى ولو كانت القرارات والأعمال التي اتخذتها أو أقدمت عليها مصر تتعلق بالسيادة على أراضيها ومياهها الإقليمية.

وأثار احتلال القوات المصرية لمنطقة شرم الشيخ وقيامها بقتل مدخل خليج العقبة زوبعة سياسيه عاتية أثارته إسرائيل ونشط الدبلوماسيون الإسرائيليون في واشنطن وأخذوا يطالبون الحكومة الأمريكية بأن تنفذ تعهدها السابق إبان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ « بحماية حرية الملاحة في خليج العقبة » غير أن هذه الجهود الدبلوماسية لم تعكس أى أثر على استمرار الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية المقبلة.

وكان أشكول قد أكد منذ عشرة أيام بأن حكومته لن تقبل أى عمل يعيق حرية الملاحة في البحر الأحمر. فلما أقدم عبد الناصر على قتل مدخل خليج العقبة كان رد الفعل الذي طبعته به المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الرأى للعام الإسرائيلي : « بأنها الحرب وليس منها مفر ».

وقد تم عقد اجتماع هيئة أركان الحرب الإسرائيلية على وجه السرعة في تل أبيب في الصباح الباكر يوم ٢٤ مايو ، وفي هذا الاجتماع ذكر رئيس الوزراء الإسرائيلي من أنه :

« يبدو أنه ليس هناك طريق آخر للخروج من الأزمة ».

وتذكر المصادر الإسرائيلية أنه تم في هذا الاجتماع مراجعة الخطة النهائية للعمليات الحربية . ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الإسرائيلية قد تسلمت برقية عاجلة من سفيرها في واشنطن تفيد بأن الولايات المتحدة سوف تبذل كل ما في وسعها لإعادة فتح المضائق .

وفي أثناء عقد اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي في ذلك اليوم عقب إغلاق المضائق ، تقدم وزير خارجية إسرائيل - أبا إيمان - بخطة وضعها بنفسه على أساس برقية واشنطن ، وأعلن أن إسرائيل قد أخذت ضمانات قوية من الدول الغربية بحقوقها في حرية الملاحة في خليج العقبة وإن إسرائيل بناء على هذه الضمانات قبلت الانسحاب من سيناء عام ١٩٥٧ ، وفي رأيه أنه قد حان الوقت للمطالبة بتحقيق هذه الضمانات ومن ثم فهو يرى أن يسافر إلى واشنطن ويطلب إلى الرئيس الأمريكي بالحاح لاتخاذ إجراء عاجل لإعادة فتح المضائق .

ومن ناحية أخرى كان الجيش الإسرائيلي قد أتم حشد قواته النهائية ضد الجبهة المصرية في يوم ٢٥ مايو حيث قام ليفي أشكول وإيجال آلون ومعهما اسحق رابين ورئيس الأركان العامة ونائبه إيهود بارليف بجولة على امتداد الجبهة الجنوبية التقوا فيها بقائد الجبهة وقادة مجموعات العمليات المخصصة للهجوم على سيناء ، ودار النقاش حول سياسة الانتظار التي تتبعها الحكومة وأبدى الضباط اعتراضهم على هذه السياسة ، بينما تساءلوا عن تقع عليه

مسئولية لزيادة الضحايا الذي ستؤدي إليه سياسة الانتظار (١) . فقد كان العسكريون يريون الهجوم فوراً ويقولون ان الدولة الإسرائيلية ستعرض لأخطر المخاطر لو وجه العرب الضربة الأولى ، ولكن من الأمور المتناقضة لهم كانوا يغضبون عندما كان بعض المدّنيين يشككون في قوة الجيش ويطالبون نتيجة لذلك بتسوية المسألة بالوسائل الدبلوماسية ولشد ما كانت الدهشة عندما وجدنا بن جوريون نفسه يقف في صف هؤلاء المدّنيين — إذ كان يعتقد أن خلفاءه — ولا سيما أشكول — قد أفسدوا هذا الجيش الذي صممه بيديه ، كما أنه كان يسير على المبدأ القائل بأن إسرائيل لا ينبغي لها أن تخاطر بالدخول في حرب إلا إذا حصلت على تأييد محدد من إحدى الدول الكبرى على الأقل .

كان أشكول قد دعا أيضاً اللجنة الوزارية للدفاع الوطني إلى الانعقاد واشترك فيها عدد من الشخصيات البارزة من بينهم ديان وبيريز وبيجين وقام الجحالات بعرض الموقف .

كذلك قابل أبا إيمان ديجول في ٢٤ مايو ونصحه هذا الأخير بصورة قاطعة بأن لا تقوم إسرائيل بالهجوم ، واقترح ديجول عقد مؤتمر للدول الأربع الكبرى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا . ثم توجه أبا إيمان إلى لندن حيث أخبره ويلسون أن بلاده ستشارك في أية خطوة تتخذها أمريكا أو الأمم المتحدة لإعادة فتح مضيق تيران .

وفي يوم ٢٥ مايو وصل وزير الخارجية الإسرائيلية إلى واشنطن حيث أبدت هيئة الإركان العامة الأمريكية معرفة جيدة بما يدور إذا كانت مقتنعة بتفوق إسرائيل الساحق (فقد دلت حسابات العقول الالكترونية أن النصر ممكن في ظرف خمسة أيام) وكانت تتوقع حدوث هجوم إسرائيلي وشيك

(١) شلومونيكاه بن ، (ما قبل ساعة الصفر) مرجع سابق ص ١٠٠ .

واستقبل جونسون أبا إيبان وطلب منه الانتظار ووعده بإعادة فتح مضيق تيران بأية وسيلة .

والواقع أن الرأي العام الغربي (١) سرعان ما أيد إسرائيل في وجهة نظرها تجاه إغلاق المضيق ، غير أنه كان هناك حد أدنى من الحرج الجادة التي كان يمكن لمصر أن تتقدم بها في حالة قيام مناقشة قانونية لهذه النقطة الشائكة في القانون الدولي ، فنظرا لعدم وجود إتفاقية دولية محددة بهذا الشأن ؛ هل تعتبر الدولة ملزمة بالسماح بالمرور بمواد إستراتيجية مرسلة إلى دولة أخرى تعتبر في حالة جرب معها من الناحية القانونية وذلك في المياه التي تمتد لمسافة كيلو مترين من شواطئها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأمر كان عبارة عن مجرد رجوع للموضوع الذي كان قائما من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ ، وعلى أية حال فإن هذه المسألة كان يمكن عرضها على محكمة دولية ثرى ما إذا كان هل من حق الدولة التي لها مضائق في مياهها الإقليمية أن توقف - في ظل ظروف معينة - استخدام دولة أخرى لتلك المضائق ، أن الطبيعة القانونية لدعوى مصر في ذلك الصدد لا تبيح لأى من الطرفين أن يتخذ فيها قرارا بمفرده ، وقد كان ينبغي طرحها على الأقل لمناقشتها أمام محكمة العدل الدولية في لاهاى ، وربما كان هذا هو الخطأ المصرى الذى لم يفتن إليه عبد الناصر بعد إعلانه غلق مضيق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية .

ولنعد إلى سرد الأحداث التي سبقت الحرب على الجانب الإسرائيلى ففي يوم ٢٦ مايو ، أبلغت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الرئيس جونسون أن إسرائيل قد أتت استعدادها لشن الهجوم على مصر (٢) .

وفي نفس اليوم كان أبا إيبان يجتمع في واشنطن مع ماكنمارا وزير الدفاع

(١) Rodinson, Maxime ; Israel et La Refus Arabe. op. cit., p. 160.

(٢) سلومر نيكدمون : (ما قبل ساعة الصفر) مرجع سابق ١٣٢ .

الأمريكي ودين راسك وزير الخارجية ويوجين روستو مستشار جونسون. ليعرض عليهم ما ازمعت إسرائيل أن تقوم به ، ويأخذ موافقتهم على ذلك . وحضر هذا الاجتماع العام الجنرال إيرل هوبار رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية ، والذي أكد أن التشكيل العسكري المصري في سيناء لا يحمل أي طابع للهجوم ، وطمان المجتمعين بنتائج الحرب المنتظرة ، وصرح بأن إسرائيل سوف تنتصر إذا ما شنت الحرب على مصر وأن ذلك الاستنتاج يعتمد على دراسات دقيقة وشاملة أجرتها بلخان خاصة تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية توصات إلى هذه النتيجة بعد أن قامت بجمع كل الأرقام والإحصائيات الخاصة بكل من الجيش المصري والجيش الإسرائيلي (١) . وكان هويلر مقتنعا تماما بأن القيادة الاسرائيلية قد أعدت كل شيء لشن الحرب على مصر فورا . ويبدو أن هذا التصريح الذي قاله هويلر في الاجتماع ، كان غرضه الأساسي بث الأطمئنان لدى كبار رجال السياسة الأمريكية عن نتائج الحرب وضمانات النصر قبل أن يتخذوا قراراتهم بشأن تأييد إسرائيل وتحديد أسلوب تصرفهم حيال الأزمة عند نشوبها .

وبينما كان إيبان يستمع مع المسؤولين الأمريكيين إلى تقرير هويلر وتأكيدهاته كان إيجال آلون يستعد لعرض تقرير عسكري شامل على أشكول بناء على تكليف منه بعد أن استمع إلى كبار ضباط الجيش ومنهم حاييم بارليف نائب رئيس الأركان العامة ومردخاي هود قائد القوات الجوية وأهارن بارليف مدير المخابرات الحربية وناقش معهم تقاريرهم المنفصلة عن الموقف وبحث تقديراتهم الحربية ، كما درس كذلك كل الخطط الممكنة تنفيذها عند نشوب الحرب ، بما في ذلك الخطط الخاصة بلبنان (٢) . وعرض آلون تقريره على أشكول متضمنا خطة كاملة للحرب ، وأشار عليه بعقد اجتماع عاجل للجنة الوزارية لشئون الأمن لبحث هذه الخطة ،

(١) المرجع السابق ص ١٣٣-٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٧-٩ .

مؤكداً ضرورة المبادرة بشن الحرب الوقائية وضرب تجمعات « العدو » واحتلال المواقع الحيوية داخل حدوده (١) :

وفي صباح يوم ٢٧ مايو عاد رئيس الأركان العامة فأكد مرة أخرى لأشكول أن الجيش قد أتم كافة إجراءاته ، وأنه يقف مستعداً على الحدود في انتظار صدور الأمر له بالهجوم . وفي نفس اليوم رجع إيبان إلى إسرائيل وقد حمل معه التأييد الأمريكي الذي عبر عنه في اليوم التالي للصحفيين ، « إن إسرائيل متأكدة من أنها لن تجتاز هذا الامتحان بمفردها » بينما كانت القيادة العامة قد باع بها السخط مداه ، إزاء هذا العمل السياسي العقيم (٢) : وطالبت الحكومة بالانتقال إلى مجال العمل أى الحرب . ولم تنتظر القيادة العامة قرار الحكومة ، فأصدرت أوامرها في نفس اليوم بأن تتحرك القوات المتجمعة في الخلف إلى الخطوط الأمامية ، وذلك لكي تضع الحكومة أمام الأمر الواقع وتدفعها إلى عدم التقاعس عن شن الحرب . وكانت هذه الخطوة . مقصودة توقيتها حيث كان من المقرر أن يجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي في نفس اليوم ليتخذ قراراً نهائياً على ضوء الاتصالات التي أجراها إيبان في الدول الغربية الثلاث . وبحث المجلس نصيحة الولايات المتحدة بالتريث إلى أن « تستنفذ أولاً جميع الوسائل الدبلوماسية قبل شن الحرب (٣) » ، وحضر هذا الاجتماع من ضباط القيادة العامة أسحق رابين وحاييم بارليف وعيزر فايتسمان واهارون يابوت وعندما أوصى إيبان بأن يؤجل مؤقتاً اتخاذ أى قرار أنتظاراً لنتائج ومحاولات الحكومة الأمريكية بشأن تشكيل قوة بحرية لأقتحام مضائق خليج العقبة وفتحها ، أنقسم مجلس الوزراء إلى معارضين ومؤيدين ، وأعرض العسكريون على أى تأجيل لشن

(١) المرجع السابق ص ١٢٩

(٢) Ben Elissar, Elaho and Schiff Zeev : Le Guerre

Isreala Arabe, op. cit pp. 97-5.

Ibid

(٣)

الحرب ، غير أن المجلس لم يتوصل إلى تحديد موعد للهجوم في هذه الجلسة .

وفي اليوم التالي اجتمع المجلس مرة أخرى واتخذ قراراً بالتأجيل ، بعد وصول رسالة جديدة ، من جونسون يطلب فيها ذلك . واتفق على أن ينديع أشكول بياناً في الراديو بهذا المعنى . وعندما أستخدم أشكول رئيس الأركان العامة ليبلغه قرار الحكومة ، رفض رابين أن يتولى تبليغ القرار إلى القادة العسكريين ، وطلب من أشكول بأن يتولى ذلك بنفسه بوصفه وزيراً للدفاع . وكان رابين يهدف إلى أن يواجه أشكول زعماء المؤسسة العسكرية من وجهة مباشرة . وفي هذا الاجتماع بلغ الضغط بالمؤسسة العسكرية الإسرائيلية ذروته . وحاول أشكول أن يقنع المجتمعين بأن قرار التأجيل ضروري للحصول على الضمانات السياسية اللازمة من الولايات المتحدة ، ولتفادي الاضطراب للإنسحاب من المناطق التي سوف يحتلها الجيش الإسرائيلي أثناء الحرب ، وحتى لا يتكرر ما حدث عام ١٩٥٧ عندما خسرت إسرائيل معركتها السياسية (١) .

وما أن أستمع القادة إلى رأى رئيس الحكومة حتى حدثت ثورة عامة ، وصرخ العميد أرييل شارون في وجه أشكول قائلاً :

« أن تأخيركم سيكلفنا آلافاً من القتلى . . . » أما عيزر فايتسمان فقد أعلن « أن سياسة الحكومة سوف تؤدي إلى تدمير الدولة اليهودية الثالثة » ، وهدد آخرون بتقديم استقالاتهم ما لم تجب مطالبهم بشن الحرب فوراً وأنحصرت أوجه الاعتراض بين أعضاء المؤسسة العسكرية الإسرائيلية فيما يلي :

١ - ضرورة الحرص على ألا تفقد القوات الإسرائيلية ميزة « المبادأة » .

(٢) شلومر نيكدمرون : (ماقبل ساعة الصفو) ، مرجع سابق .

٢ - أن التحدي العربي لا يمكن السكوت عليه وإلا فقدت إسرائيل قدرتها على الردع ،

٣ - الحكومة مترددة بشأن إتخاذ موقف ثابت ، كما لم تلتزم بقرار محمدد أو سياسة واضحة .

٤ - ضرورة كسب الوقت ، فكل يوم يمر يعنى مزيداً من الخسائر حيث يزداد العدو قوة ، فتضعف بالتبعية قوة الردع الإسرائيلية .

٥ - أنه يجب القضاء فوراً على القوات المصرية الضخمة قبل أن تقضى على الجيش الإسرائيلي .

وأنهى المؤتمر العاصف بعبارة قالها رابين رئيس الأركان : أن القوة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها في هذا البلد هي الجيش (١) ، وكان هذا بمثابة تهديد مباشر موجه إلى ليفي أشكول ، وبلغت الأزمة حداً دفع بن جوريون إلى عقد مؤتمر صحفي ، يتحدث فيه من تفاقم الوضع ويعلن :

١ - أن أى جيش في بلاد ديمقراطية لا يتصرف من نفسه ، ولا بناء على أوامر قادته العسكرية ، ولكن بناء على رأى الحكومة المدنية وتعليماتها ،

٢ - أن الحرب لاتدار عن طريق العمليات الحربية فحسب ، بل يلزمها كذلك عمل سياسي . : فهناك أصدقاء لا يستهان بقدرتهم ، ويستلزم الأمر العمل الدائم لدعم هذه الصداقة ،

٣ - أنه يجب حسم موضوع سياستنا على اعتبار واحد هو « الأمن » والحفاظة على كياننا .

وفي ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، تم توقيع « ميثاق الدفاع المشترك » بين الأردن

Bcn Elisser Ellahu and Schiff Zcev : La Guerr (١)

Esracula - Arabe, op. cit., p. 97.

ومصر و كان هذا الميثاق هو الذريعة الجديدة التي تلقتها المؤسسة العسكرية لتمارس مزيداً من الضغط ، وأرتفعت الأصوات تطالب بعودة دافيد بن جوريون - رجل المؤسسة الأول والقادر على خلق التوازن بين العمل السياسى والعمل العسكرى - لكي يقود البلاد إلى الحرب ومعه موشى ديان ومناحم بيجن حتى تستكمل الحكومة كل العناصر السياسية والعسكرية والأرهابية التي يريدها الجيش . ولأول مرة منذ عشرين عاماً (١) يستقبل بن جوريون خصمه اللدود مناحم بيجن في منزله ، ويحمل هذا اللقاء دلالة عميقة يجب التنويه عنها (٢) وهي أن أهداف الصهيونية قد وصلت فعلاً إلى المرحلة التي كان يطالب بها جابوتنسكى وتلميذه مناحم بيجن ، وهي أهداف تنادى « بفلسطين التاريخية أرضاً لإسرائيل ، وتعتبر الحرب والأرهاب هما الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف وفي عام ١٩٦٧ لم تعد هذه المطالب تمثل تطرفاً أو انحرافاً ، بل أصبحت تعبر عن واقع الأهداف الصهيونية في هذه المرحلة من مراحل التوسع بالعدوان .

وبحلول يوم ٣٠ مايو ، لم يعد هناك خلاف بين جميع الفئات السياسية والعسكرية في إسرائيل حول ضرورة شن الحوب فوراً ، وانحصر الخلاف حول أسلوب شن هذه الحرب والجهاز اللازم لإدارتها ، وتولى مسئوليتها ، وهل يوكل ذلك إلى « مجلس حرب » أو « جماعة قيادة خاصة » أو إلى « ائتلاف حكومى » يشارك فيه بن جوريون ، ، ورفض أشكول منذ

(١) وذلك منذ أن قضى بن جوريون على عصاية آوجون بعد حادثة للسفينة التالينا في

يونيو ١٩٤٨ .

(٢) فمن المعروف أن مناحم بيجن يمثل قمة التطرف الصهيونى كخليفة لفلادمير جابوتنسكى

الذى كان يطالب (بأرض إسرائيل) عبر الأردن ، وحينما حمل بيجن رسالة جابوتنسكى اتهم زعماء المنظمة الصهيونية ومنهم بن جوريون بالتطرف والانحراف . وكانت القطيعة منذ ذلك ذلك الوقت بن جوريون ومناحم بيجن وحتى ٣٠ مايو ١٩٦٧ عندما استقبل بن جوريون خصمه السابق مناحم بيجن .

الهداية عودة بن جوريون ومشاركته في الوزارة قائلاً :

« أن وجود جوادين عجوزين - يقصد نفسه وبين جوريون - لن يستطيعاً جر عربة واحدة سوياً ، فإمّا أنا وإما هو (١) . واقترح أشكول تشكيل « مجلس حرب » يضم إلى جانب أعضائه موثى ديان وإيجال يادين ، وإيجال آلون ، ومائير عجببت (أحد الرؤساء السابقين بجهاز المخابرات) ورفض ديان الانضمام لهذا المجلس ،

وفي ٣١ مايو عرض تكوين جماعة قيادة خاصة من ديان كوزير دفاع ، ورفض ديان ذلك للمرة الثانية فعرض عليه قيادة « الجبهة الجنوبية » حتى يقود الحرب ضد مصر ، ولكن المؤسسة العسكرية تمسكت بتولييه وزارة الدفاع (٢) ،

وفي أول يونيو ١٩٦٧ اضطّر أشكول أن يرضخ لمطالب المؤسسة العسكرية وأن يعيد تشكيل وزارته ، ليدخلها اثنان من أكبر دعاة الحرب والقوة ، هما موثى ديان الذي تولى منصب وزير الدفاع ، ومناحم بييجن الذي تولى منصب وزير الدولة . وبذلك أصبحت الوزارة تضم كافة الأحزاب الإسرائيلية الكبرى - بدخول حزب جمل - لتكون المسئولة مشتركة في المرحلة الحاسمة المقبلة .

على هذا النحو أتمت إسرائيل تشكيل أجهزتها القادرة على شن الحرب وإدارتها وتحمل تبعاتها ، وفي نفس الوقت نشطت الدعوة للتطوع بين الجماهير اليهودية في العالم . وقامت المنظمة الصهيونية بدورها التقليدي في هذا المجال فنظمت المظاهرات المؤيدة لإسرائيل وقامت بتسجيل آلاف المتطوعين في سفارات إسرائيل بالخارج تمهيداً لنقلهم إلى إسرائيل . كما نشطت « جباية

(١) شلومر نيكدمون . ما قبل ساعة السدر ، الرجوع سابق ص ٥٧ .

(٢) Ben Elissar, Elahu and Schiff, Zeev : La Guerre

Israelo - Arabe, op. cit., pp. 98-9.

الطوارئ « بين يهود العالم ، وعينت لجنة لهذه المهمة من حايم لاسكوف وزفي نسور وبنحاس سابير وزير الخزانة . ونجح حايم لاسكوف في جمع سندات بمبلغ ٥,٥ مليون دولار - كمساهمة في جباية الطوارئ خلال اجتماع سرى عقده مع أربعين مليونيرا يهوديا في فندق بيت مايكل بلندن كما ساهم اللورد ريتشلد البريطاني بمبلغ مليون جنيه استرليني عند اجتماعه بسفراء إسرائيل في أوروبا ، ودفع أصحاب رؤوس الأموال اليهود في قاعة خاصة بمطار أورلي في باريس بمبلغ ٣٥ مليون جنيه استرليني لحايم لاسكوف وبنحاس سابير .

وفي ٢ يونيو ١٩٦٧ - اليوم التالي لتشكيل وزارة الحرب الإسرائيلية اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي برئاسة الجنرال ديغول ، وأعلنت فرنسا إنها تقف على الحياد من النزاع ، ولكنها ترى أن البدء في القتال سوف يكون اسوأ ما في الأمر ، لذلك فإن الدولة التي ستبدأ الحرب والتي ستطلق الطلقة الأولى ، لن تحصل على تأييد الحكومة الفرنسية .

وكان هذا التحذير موجه بالدرجة الأولى إلى إسرائيل ، أولا باعتبارها الدولة التي تبيت العدوان ، وتصر على الحرب التي أعدت لها منذ زمن بعيد ، وثانيا لكونها سوف تتأثر تأثرا مباشرا بالموقف المنتظر أن تتخذه فرنسا ضدها باعتبارها الدولة البائدة بالعدوان ، والتي تعتمد في نفس الوقت اعتمادا أساسيا على التسليح الفرنسي ، وخاصة بالنسبة للطائرات وقطع الغيار والأجهزة الالكترونية ، لقد أردت فرنسا أن تمنع إسرائيل عن الاقدام على شن الحرب ، ولكن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي وصلت في إصرارها على الحرب إلى مرحلة اللاعودة - لم يردعها موقف فرنسا ، بل حاولت أن تتخذ منه ذريعة جديدة للاسراع في شن الحرب والتعجيل بها ، فنددت بموقف فرنسا وأن هذا يحتم « اختراق المسافات » وبدء العمل العدواني سريعا ، قبل أن تتفاقم آثار السياسة الفرنسية ونؤدى إلى شل إسرائيل ومنعها من حرية الحركة ، وتوجيه ضربتها ضد مصر ،

(م - ٤٠ فلسطين)

خاصة وأن التعبئة العامة سارية منذ ٢٣ مايو (١) ، وهي تستنزف الكثير من اقتصاد إسرائيل ، ولهذا أعلنت أن الانتظار لا يعنى سوى تهديد إمكانيات العمل للجيش الاسرائيلي ، الذى قد ينقطع عنه أهم مصادر إمداده وأكثرها حيوية ، وكان التشجيع الأساسى لموقف إسرائيل هو التأييد الأمريكى لها والاطئنان إلى موقفه لالابات المتحدة وموافقتها على شن الحرب وضمان نتائجها المحسوبة .

وبناء على ذلك عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي الجلديد اجتماعا يوم ٤ يونية ٦٧ حيث أعلن المجلس القرار بشأن الحرب فى صباح اليوم التالى ، ولم تكمل تمضى ٢٤ ساعة حتى دخلت اسرائيل الحرب .

رد الفعل العربى بعد اغلاق مضيق تيران :

أما عن رد الفعل العربى بعد اغلاق مضيق تيران ، فقد ساعد العرب المؤسسه العسكرية الاسرائيلية فى الإندفاع نحو الحرب حتماً ، إذ أن الحركة المسرحية الخاصة بإغلاق مضيق تيران كانت قد اهبت حماس الرأى العام العربى إلى أبعد حد ، حيث كانت نفوسهم تمتلىء حماسا وثقة بهذا النصر الذى لم ينقصهم شيئا وقضى على آخر مكاسب إسرائيل من العدوان الثلاثى (٢) خاصة وان رد الفعل الاسرائيلي تأخر كما أنه من المتوقع أن توجد المساندة السوفيتية توازنا فعالا لتأييد الانجلوساكسونيين للدولة اليهودية أيضا فان فرنسا كانت تتخذ موقفا محايدا مليئا بالفهم تجاه العرب .

وجرف التيار من العواطف الحياشة جميع فئات الرأى العام العربى

(١) عن الموقف فى إسرائيل تفصيلا فى الفترة من ١٥ مايو حتى ١٠ يونيو ١٩٦٧ هناك عديد من الروايات والدراسات الاسرائيلية ولعل أفضلها :

Kemiche, David and Bowly, Dan : The Sand Storm : op. cit., pp. 145-173.

(٢) الأهرام ١٣/٥/١٩٦٧ ؛ ٢٧/٥/١٩٦٧ المصور ١٨/٥/١٩٦٨ .

ونشأت عن ذلك وحدة مقدسة قائمة على أبسط المشاعر وأكثرها شيوعاً وتغلبها المشاعر الوطنية والقومية ، كما جاء الدين ليدعم هذا الموقف ، فأخذ مشايخ المسلمين وعلمائهم وبطاركة المسيحيين يدينون إسرائيل وأصبحت الفوارق القائمة على المواقف السياسية والاجتماعية غير ذاتي بال ، ولم يشذ عن ذلك سوى قادة سوريا الثوريين الذين ظلوا رافضين التحالف مع الحكومات « الرجعية » العربية . (١)

واعتقد عبد الناصر في البداية انه من غير المرجح حدوث رد فعل عسكري - اسرائيلي وكانت المساعي السرية التي أقدم عليها تسير في اتجاه تسوية تترك له كسبا أدبيا من حركته الدعائية ، غير أن الموجة التي أطلقها من عقابها بدأت تمسه ، فقد كان العسكريون المصريون يخشون هجوماً لإسرائيل ويضغطون على عبد الناصر ليتخذ المبادرة .

كذلك فقد تعرض عبد الناصر أيضاً لضغط من الضباط الموجودين في اليمن وأولئك الذين في القاهرة لاستغلال الميزة الواضحة التي اكتسبتها مصر تجاه إسرائيل فضلاً عن الضغط السوري المتشدد على عبد الناصر بأخذ زمام المبادرة ، كذلك تعرض عبد الناصر لضغط الولايات المتحدة التي عرضت لإرسال نائب الرئيس الأمريكي مستر هيوبرت همفري إلى القاهرة لإجراء محادثات حول التطورات في المنطقة ، وأجاب عبد الناصر بأنه في الوقت نفسه الذي تستمر فيه مصر في سياسة الدفاع عن نفسها وعن الدول العربية الشقيقة إذا هاجمت إسرائيل أيامها فإنه يرحب بمقدم نائب رئيس الجمهورية الأمريكية إلى القاهرة لإجراء محادثات ، وفي الوقت نفسه عرض عبد الناصر أن يبعث نائبه زكريا محي الدين إلى واشنطن للقيام بمحادثات ، إذا رغبت الولايات المتحدة في ذلك ، ووافقت وزارة الخارجية الأمريكية على هذا لاقتراح وكان زكريا محي الدين في طريقه إلى واشنطن عندما شنت إسرائيل هجوماً .

(١) المحرر ١٩٦٧/٥/٢٤ البعث ١٩٦٧/٦/٦ ، ٦/٥ .

وفي يوم ٢٦ مايو قابل يوجين روستو وكيل الخارجية الأمريكية السفير المصري في واشنطن وأبلغه أن أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل طلب منذ ساعات قليلة مقابلة عاجلة مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكية ونقل إليه احساسه بأن مصر تعد لهجوم على إسرائيل في مساء اليوم ذاته (٢٦ مايو) وأضاف روستو أنه مكلف من الرئيس جونسون شخصيا بأن ينقل إلى مصر ما يلي . -

« إذا حدث أى هجوم فسترتب عليه عواقب خطيرة » كذلك أكد المسئول الأمريكى للسفير المصري أن واشنطن تمنع إسرائيل من الإقدام على أى هجوم (١) وتلا هذا اجتماع بين دين راسك والسفير المصري يوم ١ يونيو ذكرت فيه الأفكار نفسها والتأكيدات التي دونت عقب ذلك في مذكرة مكتوبة سلمها السفير الأمريكى في القاهرة لمحمود رياض وزير خارجية مصر وقتئذ وقد جاء في المذكرة .

« أن الولايات المتحدة ليس لديها سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن أيًا من أطراف الهدنة - بين الدول العربية وإسرائيل - لديه نية القيام بهجوم ، كذلك أبلغت المذكرة مصر والدول العربية الأخرى : -

« أنها تستطيع أن تتأكد أن الولايات المتحدة الأمريكية ستواصل معارضتها الجارية لأي عدوان في المنطقة بأي شكل ومن أي طرف ، سواء كان هذا العدوان صريحا أو مستترا وبقوات نظامية أو غير نظامية » .

ولقد قيل الكثير عن التواطؤ الأمريكى الإسرائيلى في هذه الفترة ، أما موقف الاتحاد السوفيتى فيحتاج إلى وقفة خاصة للتفسير والتعليل ، فقد كانت الصورة الوردية التي أمام الاتحاد السوفيتى في الأيام الأخيرة من شهر مايو تتلخص في منع إسرائيل بأي ثمن من أن تشن حربا ضد مصر لأن

المكاسب السياسية التي حققها عبد الناصر بعد ١٥ مايو ١٩٦٧ أعادت للاتحاد السوفيتي تقوية مركزه في المنطقة وإعتمد السوفيت أن الحكومات العربية الموالية للغرب « الرجعية » والتي كانت تتآمر على الاطاحة بالحكومة السورية قد أخرجت تماما بالإضافة إلى أن المملكة العربية السعودية وإمارات الخليج العربي والكويت والأردن والعراق كلها سوف تسير في فلك الاتحاد السوفيتي بعد المكاسب السياسية التي حققها عبد الناصر .

وهكذا لم يكن للاتحاد السوفيتي فيما بين ١٥ مايو - ٥ يونيو مصلحة في التدخل وكان ما يدور في ذهن السوفيت هو الانفجار الذي سيحدث على طول الحدود السورية الإسرائيلية ولم يهتم الاتحاد السوفيتي بسحب العاصفة المتجمعة في الجنوب ، ومن ثم لجأ الاتحاد السوفيتي - كما تدعى إحدى الدراسات الإسرائيلية (١) - إلى تخويف سوريا بتقارير الهجوم الإسرائيلي الوشيك .

والأسئلة التي لا تزال إجاباتها بعيدة عن متناول المؤرخ نظرا لغياب الرواية السوفيتية عنها :-

هل كان السوفيت يعرفون جيدا بأن قصصهم عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا صحيحة ؟

وهل كان السوفيت يتوقعون بالفعل هجوما إسرائيليا وشيكاً على سوريا يوم ١٧ مايو ؟

وإذا ما حاولنا الاقتراب من وجهتي النظر الإسرائيلية والعربية للإجابة على هذا السؤال ، فإننا نجد أن الاتحاد السوفيتي هو الذي أصر على وجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا ، بل وقدر السوفيت هذه الحشود بثلاثة عشر لواء إسرائيلي^٥

وتدعى الروايات الإسرائيلية (١) أن هذه الحشود لم تكن موجودة قط وأن سفارة الاتحاد السوفيتي في تل أبيب لديها وسائل عديدة للتحقق من ذلك .

غير أن وجهة النظر الإسرائيلية هذه تتعبط وتناقض نفسها بنفسها مما يتضح من مناقشة البيان السوفيتي الذي أصدره الاتحاد السوفيتي وقتئذ حيث لم يشر إلا بإشارة عابرة إلى طرد قوات الطوارئ الدولية دون أن يذكر كلمة واحدة عن إغلاق مضيق تيران وفي نفس الوقت سلمت مذكرة إلى السفير الإسرائيلي في موسكو تحذر فيها إسرائيل بلهجة قاطعة من الاعتداء على سوريا .

كذلك فإن من الأسئلة التي تستأهل إجابة من المؤرخين المعاصرين ما يلي :

هل نصح الاتحاد السوفيتي مصر بإرسال قواتها إلى سيناء لتخفيف إسرائيل ؟

وهل أخبر الاتحاد السوفيتي لمصر بأمر الاعتداء الإسرائيلي الوشيك كان حقيقة لاريب ؟ ولماذا تجاهل السوفيت حركة الأسطول السادس في البحر المتوسط (٢) وقتئذ .

وهل كان يوجد تواطؤ سوفيتي لتشجيع مصر على طلب إجلاء قوات الطوارئ الدولية وإغلاق مضائق تيران ؟

وهل يمكن تأويل عدد المرات التي استدعى فيها السفير السوفيتي إلى وزارة الخارجية المصرية أثناء الأسبوع الأول لللازمة بأن الاتحاد السوفيتي قد أحيط علما بالحركة المصرية الخاصة بخليج العقبة ؟

(١) المرجع السابق .

(٢) أنظر ملحق الخرائط .

وما معنى استبدال السفير السوفيتي في القاهرة بآخر بالرغم من أن السفير القديم كان ضمن شهود التطورات التي حدثت في القاهرة في الأسبوع الماضي ؟

ولإذا ما حاولنا الإجابة على التساؤلات السابقة — مع غياب الدراسات السوفيتية المتخصصة — فإننا نقول ببساطة أن السوفيت قد خشوا من الدلاع نزاع حقيقي وكانوا يخشون تسلسل الأحداث التي قد تؤدي إلى نشوب حرب عالمية ، فكانوا مترددين كطابعهم ومترددين أيضاً في حث عبد الناصر ، وهو ما أدى بالتالي إلى تردد عبد الناصر واتخاذ موقف معتدلاً من الأزمة رغم تصاعدها أو اندفاع إسرائيل نحو الحرب ومن المرجح (١) أنه جرى إتصال بين موسكو واشتطون على خط التليفون المباشر (التليفون الأحمر) ، وكانت موسكو تفضل القيام بعمل مشترك مع جونسون أي حدوث إتفاق مباشر بين الدولتين العظميين بدلاً من المؤتمر الرباعي الذي اقترحه ديجول .

ولإذا ما حاولنا تتبع الأحداث السوفيتية العربية التالية ، فإننا نجد أن شمس بدران وزير الحربية المصري ، قد وصل إلى موسكو في ٢٥ مايو للحصول على مساعدات سياسية وعسكرية وأنه أجيب إلى طلبه بدليل ما قاله عبد الناصر لأعضاء مجلس الأمة يوم ٢٩ مايو .

« بعد أن استمعت إلى تقرير بدران وزير الحربية عن محادثاته في موسكو استطيع أن أقول لكم اليوم أن الاتحاد السوفيتي بلد صديق ، يقف بجانبنا كصديق شريف نزيه » وبعد سفر وزير الحربية المصري بأربعة وعشرين ساعة وصلت إلى العاصمة السوفيتية بعثة سورية وعلى رأسها الدكتور / نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السوري لطلب معونات سوفيتية أيضاً .

Kimch, David, Bowly Dan ؛ The Sandstorm op. cit. (١)
pp. 122-124.

وقد نشط الاتحاد السوفيتي وقتئذ في تحركاته حيث نجح في هذه الفترة في تحويل الموقف في الشرق الأوسط لصالح مصر ، وكان الاتحاد السوفيتي يرى أربعة احتمالات :

تواطؤ أمريكي لإسرائيلي قد يقود إلى الحرب مما يؤدي إلى موقف خطير لأن الولايات المتحدة لن تعط الإشارة الخضراء لإسرائيل حتى تدخل الحرب وبذلك تقف إسرائيل بمفردها بدون مساندة أمريكية وبهذا تحتفظ مصر بمكاسبها السياسية وتدعمها .

أو أن تعمل الولايات المتحدة بمفردها أو بالاشتراك مع الدول البحرية الأخرى لفتح مضائق العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، ومثل هذه الحركة تدفع جميع العرب للارتقاء في احضان السوفيت مما يزيد من مركزهم في الشرق الأوسط .
أو ربما تقرر إسرائيل دخول الحرب بمفردها على الرغم من أنها في حاجة إلى معونة الولايات المتحدة .

ومن هنا كان هدف إتصالات السوفيت بالولايات المتحدة هو العمل على تجنب الاحتمال الأول ، وفي هذه الفترة تم اتصال بالولايات المتحدة يوم ٢٦ مايو عندما اقترح الكس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي بأنه يجب على الدولتين أن تعملوا معا لتخفيف حدة التوتر في الشرق الأوسط واقترح لذلك أن يعمل الرئيس جونسون على كبح جماح إسرائيل وسيعمل الاتحاد السوفيتي من جانبه كل ما يستطيع لمنع أي عمل عدواني من جانب مصر ، وقد وافق جونسون على ذلك على حسب ما تدعى الروايات الإسرائيلية (١) ، إلا أن هناك دراسة أخرى تكذب هذه الروايات وهي أقرب إلى الصواب من وجهة نظرنا - وتتلخص في أن اقتراح كوسيجين قد رفض من جانب جونسون تماما في ٣٠ مايو وفي أثناء ذلك الوقت اجتمع أندريه جروميكو

وزير الخارجية السوفيتي بجورج براون وزير خارجية بريطانيا بينما كان وزير
الحربية المصري يتباحث في موسكو منذ أيام مع وزير الدفاع السوفيتي ،
كذلك أسرع الاتحاد السوفيتي بتنفيذ وعدة لولايات المتحدة الأمريكية بعد
إطلاعهم على التقرير الأمريكي بمخاوف إسرائيل من قيام مصر بأى عمل غير مشروع .
وفي الساعة ٣٠٠ من صباح اليوم التالى اتصل السفير السوفيتي بالقاهرة
بمكتب الرئيس عبد الناصر لطلب مقابلة في الحال حيث يريد تسليمه مذكرة
من الحكومة السوفيتية ولا يستطيع التأخير ، وقد أيقظ عبد الناصر فعلا من
نومه وقابل السفير وأستمع إلى محتويات المذكرة التى قرأها السفير وكانت
هذه المذكرة من كوسيجين ولكن محتوياتها كانت تطلب من عبد الناصر ضبط
النفس وأضاف كوسيجين بأن أى اعتداء ربما يكون له عواقب وخيمة على
العالم بأسره .

وفي ٢٧ مايو طلب السفير السوفيتي — كما تذكر إحدى الدراسات
الإسرائيلية (١) في تل أبيب مقابلة رئيس وزراء إسرائيل مرتين لتسليمه مذكرة
من رئيس الوزراء السوفيتي وكانت المرة الأولى التى طلب المقابلة فيها السفير
السوفيتي هى الساعة ٢٣٠ صباحا وقد أيقظ رئيس الوزراء وقابل السفير
السوفيتي وتسلم رئيس الوزراء المذكرة حيث طلب الاتحاد السوفيتي من إسرائيل
إلا يسير وراء المستعمرين وأن يحاول ضبط النفس ما استطاع الى ذلك سبيلا
وأن الاتحاد السوفيتي يبذل قصارى جهده ليكبح جماح العرب .

وإذا كان لنا أن ندلى برأى عن موقف الاتحاد السوفيتي وقتئذ بالنسبة
إلى اطمئنانه إلى أن إسرائيل لن تبادر بالهجوم فإننا نقول أن هذا الموقف
ربما جاء بناء على تحليل سوفيتي خاطئ للموقف الداخلى والضوابط الداخلية
للنظام السياسى لإسرائيل الذى استطاع أن يوهم السوفيت بأن هجوم إسرائيل
سوف يكون بعيد المنال وصعباً فى تحقيقه ، وهكذا خابت جهود الاتحاد
السوفيتي تجاه إسرائيل ، ولم تفلح لهجته الشديدة فى « المقاومة الصلبة » التى

سيواجه بها إسرائيل إذا ما حدث منها اعتداء على العرب - في منع إسرائيل من دخول الحرب .

على أن هناك من يشير (١) بأصابع الاتهام ضد الاتحاد السوفيتي ، ويعتمد هذا الرأي على الأسانيد الآتية :

أن قيمة الأسلحة التي وصلت مصر في الفترة من ١٩٥٥ حتى ١٩٦٧ فاقت قدرات الشعب المصري الشرائية باعتبار هذه الأسلحة صفقات تجارية يراعى فيها عائد رأس المال بالنسبة لطول أجل السداد ، فالاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه أصبحوا يدينون مصر - في هذه الفترة بما لا قدرة لمصر به ؟ فإذا أضفنا إلى ذلك أن اتفاقيات توريد الأسلحة قد وقعت مبكراً قبل عام ١٩٦٧ ومع ذلك لم تكن في حوزة مصر حتى انتهاء حرب الأيام الستة ، وهنا يقفز أمامنا هذا السؤال :

لماذا سمح لنا الأصدقاء السوفيت بل وأغرونا على الدخول في مغامرة يونيو ١٩٦٧ ؟

لقد كان السوفيت مدركين يقيناً بحالة قواتنا المسلحة تسليحاً وتدريباً ، فكراً وأسلوباً حيث انتشر خبراتهم العسكريون في الوحدات والتشكيلات والرئاسات والقيادات ، وفي نفس الوقت كانوا بدون شك على علم بحقيقة قوة إسرائيل العسكرية .

فلماذا إذن أطلقوا صفارة بدء المباراة عندما نقلوا إلينا معلومات مثيرة عن الحشود الإسرائيلية التي تتأهب لغزو سوريا ؟ وهل كانت هذه المعلومات صحيحة ؟

وإذا كانت صحيحة . . فهل تستدعي كل هذا الضجيج وتسبب في النتيجة الخطيرة التي ستصل إليها ؟

(١) الفريق صلاح الدين الحديدي : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، دار الشروق ، بيروت ، بدون تاريخ إصدار ص ٢٠٢ ، ٤٠٤ .

ثم لماذا حال السوفيت بيننا وبين التمتع بالمبادأة في أواخر مايو عندما طلب السفير السوفيتي مقابلة عبد الناصر في ميعاد غير مألوف ليبلغه رسالة من موسكو تطلب منه التريث والانتظار ؟

وهل خدع الأصدقاء السوفيت كما خدعنا في نويا لإسرائيل وقدرتها العسكرية ومدى معاونة أمريكا لها ؟

أغلب الظن - كما يتصور البعض - (١) أن المشير عبد الحكيم عامر قد أثار هذه التساؤلات مع السفير السوفيتي عند استدعائه فيما بعد (٢) - حتى لو كان هذا التصور صحيحاً - فإن هذا العتاب لا قيمة له وكان من الأجدي تجنب أسبابه ومن هذه الأسباب - طبقاً لهذا الرأي - المشير عامر نفسه فقد ربط المشير عبد الحكيم عامر وليس سواه بعجلة القوات المسلحة المصرية منذ اليوم الأول للثورة المصرية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان اختياره بالذات لهذه المسئولية يرجع في نظر البعض (٣) إلى عدة أسباب فهو الصديق الصدوق لعبد الناصر والثقة بينهما كاملة كما أن الانسجام الفكري أيضاً كان تاماً ، هذا بالإضافة إلى شخصية عبد الحكيم عامر نفسه فرغم ما كان يتمتع به من مزايا في بعض النواحي فإنه لم يكن يميل كثيراً بطبيعته إلى الانضباط العسكري .

وفد رأى عبد الناصر أن يعين صديقه الحميم الذي يعرف فيه الوفاء أولاً ، ويعرف فيه - إلى جانب الوفاء - أنه ليس ثمة «طموح» لديه - عينه عبد الناصر قائداً عاماً للقوات المسلحة . وقفز به من رتبة «الصباغ» إلى رتبة «اللواء» دفعة واحدة مع أنه - أي عبد الحكيم عامر - لم يكن له - في المرحلة الأولى

(١) الفريخ صلاح الدين الحديدي : شاهد على حرب ١٩٦٧ إلى مرجع سابق ص ٢٠٦-١٠٧ .

(٢) وذلك قبيل تقديم المشير عامر استقالته من جميع مناصبه السياسية والعسكرية التي

كان يشغلها .

(٣) الفريخ صلاح الدين الحديدي : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٠٢ .

للثورة - وهى مرحلة تطهير الجيش . . وتغيير رئاساته ، وقياداته « أية علاقة بأمر الجيش ، ومن هنا صار عبد الحكيم عامر الذى كان الوفاء ثم « اللاطموح » هى أبرز صفاته .

بالإضافة إلى « الصفات السلبية » الأخرى وهى الصفات التى كانت تركز فى عدم الجلد على العمل ، وفى عدم الصبر عليه (١) ، وقنع الرجل وإلى أبعد حدود القناعة بما وصل إليه النائب الأول لرئيس الجمهورية . . ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ،

وإذا كان هناك صراع بين الرجلين ، فلم يكن بين عبد الناصر وعامر فى شخصيهما ولكنه كان بين الرجال المحيطين بكل منهما .

وكان هذا « الطرف الأقوى » هو « عبد الناصر » الذى كان بدوره حريصاً على تأكيد قوته وعلى القضاء أولاً بأول على كل فتنة يمكن أن تقوم فى الأذهان بأنه يوجد على المسرح من يقاسمه قوته ، فكان عبد الناصر - بهذا التفسير - هو الذى يملك ويحكم ، لا أحد فوقه ، ولا أحد معه ، ولا أحد بجانبه ومن هنا استطاع عبد الناصر أن يجد علاجاً لعيوب الجيش المصرى من وجهة نظره ، ولكن نظام « الشلل » أساء إلى الوضع داخل القوات المسلحة حيث استشرت فيها مواطن الضعف ، وأبعدت مراكز القوى عدداً كبيراً من أكفأ الضباط عن الوحدات والتشكيلات فى مواجهة إسرائيل .

(١) حلمى سلام : عبد الناصر . . وعامر وحقيقة العلاقات بينهما فى ، مجلة القجر مؤسسة قطر الوطنية للصحافة والطباعة والنشر : الدوحة ، قطر : السنة الأولى العدد ٢١ يونيو ١٩٧٥ ص ١٦-١٩ ، أما من حقيقة العلاقات بينهما فلا يعرفها بالفأل إلا أشخاص عددهم على أصابع اليد الواحدة ولم يكن فى استطاعة الباحث الحصول على معلومات أكثر عن حقيقة هذه العلاقة .

غير أن حجة عبد الناصر بهذا الخصوص كانت تتلخص في أن تنحية عديد من الضباط - ومنهم معظم الضباط الأحرار - عن مراكزهم داخل الجيش إنما يرجع إلى أنهم كانوا من الضباط المتطلعين للحصول على مكاسب الثورة أو من المعارضين لها وكان عبد الناصر يرى أن هذا الإجراء يهدف إلى إبعاد الجيش عن المسئولية السياسية وبناء جيش جديد منفرد بالمهام والحياة العسكرية. وحتى يعرض عبد الناصر من نمو مراكزهم داخل الجيش، فقد عهد إليهم بمناصب مدنية داخل الحكومة وداخل المؤسسات العامة . . . وقد تجمعت هذه العناصر داخل وضع أشبه بالوضع الحزبي فأصبح هناك حزب ليس له كيان ولا اعتراف رسمي، ولكنه حزب . . . وحزب واحد هو الحزب الأقرب الذي يتحمل مسئولية الحكم ثم امتد نفوذ هذا الحزب إلى داخل الجيش ذاته، والذي كان مفروضاً أن ينحى عنه، وهو ما أصبح يسمى بعد ذلك « مراكز القوى » .

ولا شك أن عبد الناصر حاول كثيراً أن يجد من نفوذ هــنا الحزب وأراد أن يقيم تكويناً شعبياً يصبح قوة مهيمنة . . . هيمنة التحرير، ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي، ولكن بقيت القوة دائماً في يد الحزب ولأنه ليس حزبا علنياً معترفاً به رسمياً فقد كان غير مسئول شعبياً وهو ما أدى - في المستقبل القريب - إلى كثير من الأخطاء التي انتهت بهزيمة ١٩٦٧ .

وإذا عدنا لسود بقية الأحداث التي سبقت الحرب فإننا نجد أن عبد الناصر في مصر تعرض لضغوط تلو الآخر - فقد كان الضباط الشبان يحاصرونه حيث كانوا يريدون شن هجوم وقائي قبل أن تقدم إسرائيل على الهجوم .

وفي يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ عقد عبد الناصر مؤتمراً صحفياً وكان عصبياً للغاية وكان يريد هو الآخر أن يظل مسكاً على زمام الموقف عن طريق تقديم

٦٣٨.

تنازلات شفوية فاستخدم أسلوب العنف وأخذ يعدد انتهاكات إسرائيل الماضية لقرارات الأمم المتحدة وقال إذا ارادت إسرائيل أن تهاجمنا فسنقول لها أهلاً وسهلاً .

ثم قال أن من حق الفلسطينيين أن يهاجموا لاستعادة حقوقهم المغتصبة وإذا أصبحت حرب التحرير حرباً شاملة في الشرق الأوسط فإننا مستعدون لهذه المعركة ، ثم أشار إلى المعركة المستمرة وعدم الاعتراف الأساسي بإسرائيل قائلاً :

« لن نقبل أى نوع من التعايش مع إسرائيل لأن خلق هذه الدولة يعتبر في حد ذاته عدواناً ضد العرب » .

غير أن عبد الناصر عاد بعد ذلك وترك الأبواب المفتوحة — فعندما سئل عما إذا كان البترول يدخل في عداد المواد الاستراتيجية التي سيجتمع مرورها في تيران — أجاب قائلاً أنه لا يعرف وأنه ينبغي الرجوع في هذا الأمر إلى قائمة الممنوعات كذلك أعلن عبد الناصر في المؤتمر عن استعداده للجلوس على مائدة لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة إذا ما قبلت إسرائيل عودة هذه اللجنة إلى مباشرة أعمالها بناء على طلب يوثانت (١) .

وأشار عبد الناصر أيضاً في هذا المؤتمر إلى إمكانية مناقشة المشكلة الفلسطينية كلها بصورة شاملة وإجراء مفاوضات بشأن جميع المشاكل المتعلقة بواسطة بعض الأطراف الأخرى .

وبما أخذ عبد الناصر يصدر في الساعات والأيام التالية لذلك سلسلة من التصريحات ذات الطابع الداعى للحرب ، أخذ كبار موظفيه ودبلوماسيه

(٣) وعن المعروف في هذا المجال أن إسرائيل هي التي أنهت أعمال هذه اللجنة في عام ١٩٥٦ .
الباحث

يبدلون الضمانات السلمية وراء الكواليس ، فأبدوا استعدادا لمناقشه المرور في تيران بل وفي قناة السويس على أن تتناول المناقشة في الوقت نفسه قرارات الأمم المتحدة الصادرة فيما بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٥٠ والتي رفضت إسرائيل تطبيقها ، وكان من الممكن قيام عملية مساومة كبيرة .

وأخذت الصحافة العالمية والاسرائيلية على وجه الخصوص تردد بصفة أكبر أكثر تصريحات عبد الناصر بالتهديد موقعة إياه في فيخ تصريحاته مما اقنع الرأى العام العالمى أن هناك هجوما عربيا وشيك الوقوع . فقد تأثر الرأى العام العالمى بالاستعراضات الكلامية للعرب .

وكان ينقص الجبهة العربية عنصر أساسى هو الأردن فقد كان الملك حسين موضع هجوم يومى من قبل القاهرة ودمشق ولم يكن يرغب فى الانضمام لا إلى القاهرة ولا إلى دمشق .

وقد لمحت إسرائيل للملك حسين بأنها لن تهاجمه إذا هو لم يتحرك من جانبه وأعلن حسين أنه سيظل محايدا غير أنه سرعان ما تملكته الثقة العامة بالنصر العربى فإذا ما نشبت الحرب فإن شعبه لن يمكنه أن يقبل الحياة وسينهار عرشه وإذا انتصر العرب فإنه سيجرف بصورة أكثر تأكيداً نتيجة للهزيمة الإسرائيلية ، وربما كان يحرك الملك حسين شعور وطنى مخلص ، وعلى أى حال ففي يوم ٣١ مايو وقع الحادث الثانى بين الحوادث التى عجلت بنشوب الحرب ، فى ذلك اليوم قام الملك حسين الذى جاء إلى القاهرة فى اليوم السابق على ظهر طائرة مدنية كان يقودها بنفسه مصطحبا معه رئيس وزرائه ورئيس هيئة أركان حربيه — قام بالتوقيع مع عبد الناصر على — اتفاقية دفاع مشترك بين الأردن (١) ومصر ، وفى اليوم التالى عاد إلى عمان وفى صحبته أحمد الشقيرى خصمه القديم الذى كان قد حرم دخوله إلى الأردن قبل ذلك ، بقليل . وهكذا حدثت عملية الاتصال الكبيرة ، فقد أعاد الشقيرى فى اليوم التالى

افتتاح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس القديمة وهو المكتب الذي كان الملك حسين قد أغلقه .

وكان عبد الناصر قد أعلن في كلمة الترحيب التي ألقاها عند استقبال الملك حسين قائلا : —

« سيرى العالم أن العرب يتحدون في الأوقات الحرجة » .

والأصح من ذلك أن هذا الاتفاق قد تم بصورة غير محسوبة وأدى إلى مرحلة جديدة من النزاع بينما كانت تنحصر الحطة بالفعل في الاستعراضات الكلامية وتحريك القوات العسكرية .

فقد بدأت هذه المرحلة عند إغلاق مضيق تيران وتأكدت عند اتصال عبد الناصر وحسين ، وقد أدى هذا الاتصال إلى دهشة كبيرة في جميع أوساط الرأي العام العربي ، على أن من المستطاع تفسيره إذا ما راعينا الأوضاع الداخلية التي كانت سائدة في الأردن ، ففي ذلك الوقت كان الفلسطينيون المقيمون في المملكة الأردنية قد بلغوا الحد الأقصى من الفوران ، وكان الجيش الأردني نفسه أو على الأقل بعض العناصر فيه على استعداد للتمرد (١) إذا ما رفضت الحكومة السير وفقا للخط المصري ، وكان أنضمام الملك حسين إلى السياسة السورية المصرية السبب الثاني من أسباب وقوع الحرب على حد رأي فريق من الباحثين الغربيين (٢) .

أما عبد الناصر فقد اعتقد أن بإمكانه أن ينتقل من التهديد الرامي إلى ردع اسم أثيل عن مهاجمة سوريا إلى تهديد أقوى يجبر إسرائيل على الدخول في مفاوضات بشأن جميع المشكلات التي تربت على نشأتها ، واعتقد عبد الناصر

(١) عباس مراد : الدور السياسي للجيش الأردني ، مرجع سابق ص ١١٥-١١٩ .

Aleum op. cit. PP. 431-432.

(٢)

Rodinsov Maxime op. cit. PP. 156-157.

أيضاً - خصوصاً بعد أن قررت العراق في ٣١ مايو إرسال قواتها لنجدة الأردن وما أعلنته كل من الجزائر والمغرب عن استعدادهما لإرسال القوات - أعتقد عبد الناصر أن هذا التهديد قد يجبر إسرائيل للمرة الأولى على تقديم تنازلات بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وما حصلت عليه إسرائيل في عام ١٩٤٨ - وعندئذ فإن الأمر لا يتعلق بمجرد الدفاع عن نظام الحكم السوري بل بمطالب أساسية لا يمكن لأى عربى أن يتنكر لها وأن جميع معاهدات واتفاقيات الدفاع المشتركة هذه - صالحة لإخافة إسرائيل . ومن جهة أخرى فإن عبد الناصر اعتقد بالتالى أنه سيكون مطلق اليدين بالنسبة للمفاوضات الكبرى النهائية إذا ما تشكلت جبهة عربية مشتركة وقوية وراعه .

غير أن المخاطر كانت كبيرة إذا كان هناك احتمال فى أن تهاجم إسرائيل ولكن عبد الناصر اعتقد أنها (أى إسرائيل) ستبقى أنها فى موقف أضعف وأنها لن تهاجم - ولكن هل كانت إسرائيل ضعيفة حقاً ؟ أن منتقديه ولا سيما العسكريين الشباب منهم خاصة الذين كانوا يوجهون إليه هذا السؤال يقولون له لماذا لا تهاجم إذن ؟

وكانت الجماهير لجهلها بالعلاقات الحقيقية بين القوى تتدفق فى هذا الاتجاه . . . فقد كان أكثر من ٧٠٪ من الشعب المصرى فلاحون يعيشون فى الريف حيث تسود علاقات اجتماعية تجعل حياة الفلاح المصرى بعيدة كل البعد عن الإحساس بالمواطنة وأكثر من ذلك . . . أبعد عن الإحساس بالقومية ، ولا نغنى بذلك أن الفلاح المصرى لم يسمع عن فلسطين « أو » إسرائيل « أو » الوحدة العربية « وإنما نغنى أن مثل هذه الكلمات كانت هامشية لوجوده ، وبعيدة عن (١) معركته اليومية ، ولا أن يفهم من هذا أن ذلك هو خطأ الفلاح المصرى . . . فالأخير هو فى الواقع ضحية تاريخية لقسوة اجتماعية عزلته

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم فى سوسيولوجية الصراع العربى الإسرائيلى مرجع سابق

واستعبده لقرون طويلة وجعلت إطاره المرجعي لا يعدو حدود عائلته أو قبيلته أو قريته أو أقرب مدينة يستطيع أن يمشى إليها على قدميه أو حماره .. حتى ثورة يوليو وما حققه عبد الناصر ذاته من أعمال مجيدة في بطن الريف المصري . . . كل هذا لم ينجح في ربط الحياة اليومية لهذا الفلاح بالقومية والإشتركية وكان السوريون هم الآخرون يفكرون أولاً وقبل كل شيء في مشاكلهم الداخلية فلقد وضعوا الصراع العربي الإسرائيلي داخل إطار كفاح العالم الثالث المستغل ضد الإمبريالية الأمريكية - وكانوا لا يريدون التخلي عن هذا المفهوم وإلا كان معنى ذلك في تصالحهم مع أعدائهم في الداخل والخارج أى التخلي عن إجراءاتهم الثورية وربما عن السلطة في المدى البعيد ، وكانوا بذلك غير مبالين إلى اندلاع - حرب تقليدية ، بل أنهم اعتبروا أنه من الأفضل الدعوة لحرب ثورية يشنها الفدائيون الفلسطينيون ضد إسرائيل ، فكان السوريون موافقين على أن يشمل التهديد لإسرائيل شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى اندلاع حرب حقيقية أو إلغاء الحجاج الثورية للتصالح لذلك فقد عارضوا عملية تصالح عبد الناصر مع حسين .

ولكن عبد الناصر كان في حاجة إلى حياد الولايات المتحدة لكي تحمل إسرائيل على التفاوض - وكان السوفيت أيضاً لا يعارضون بالمرّة المساعي الحميدة - المبدولة في هذا الاتجاه وشجعوا عبد الناصر على القيام بمناورات للردع في بداية الأزمة لإنقاذ نظام الحكم السوري ، وكان السوفيت أيضاً يريدون لإبلاغ واشنطن بطريقة أو بأخرى أنهم لن يتحملوا دون أى رد فعل هجومهم ضد أصدقائهم وحلفائهم .

وقد ساهم الضغط السوفيتي بالفعل في منع الأمريكيين من التدخل لإعادة فتح مضيق تيران بالقوة ، ولكن السوفيت من ناحية أخرى أصبحوا يخشون الآن أن يقادى العرب في موقفهم مما يدخلهم في مواجهة لا يريدونها مع الولايات المتحدة ومن هنا راح السوفيت يدعون إلى التصالح :

غير أن الاندفاع الكلامي قد استمر في الدول العربية وبرز الشقيرى

عندما قال أن الحرب القادمة لن تترك أحياء وأعلن أنه من الممكن بل ومن المحتمل أن يطلق الجيش الأردني الرصاصة الأولى وهو ما ادهش كل من عبد الناصر والملك حسين اللذين أخذتا بسياسة الترقب ولم تشر الصحافة الأردنية إلى تصريحات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، واضطر الشقيري نفسه إلى نفي جزء من هذه التصريحات .

وكان الخلاف على الجانب العربي لا يزال مستحكماً بالرغم من انضمام العراق إلى معاهدة الدفاع الأردنية المصرية مساء يوم ٤ يونية إذ كانت دمشق مازالت تستنكر هذه المعاهدة التي لم تشر إليها الصحافة السورية وأشارت على العكس إلى وجود قلاقل في الجيش الأردني حيث أبدت عناصر ثورية استياءها من عداوة الملك حسين لسوريا .

كما استنكر الجزائريون هذه المعاهدة التي أبرمت من ملك موال للغرب مما لطخ نقاوة الحركات الثورية العربية .

واستاءت المملكة العربية السعودية هي الأخرى من هذه المعاهدة لأسباب مخالفة وواقفت إمداد الملك الهاشمي بالسلاح والدخائر إذ اعتبرته حليفاً غير مستقر انضم إلى أعدائها .

وفرض الأمريكيون الذي يمولون نصف الميزانية الأردنية نفس العقوبات على الملك حسين .

أما عبد الناصر فكان الضغط لا يزال مستمراً عليه حيث خشي جزء من الجيش قيام إسرائيل بتوجيه الضربة الأولى ، ففي المؤتمر العسكري السياسي الذي عقد مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ أعلن عبد الناصر عن تحول الاستراتيجية المصرية إلى استراتيجية دفاعية بحتة وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى الضربة - التي توقع أن تكون في خلال يومين - ولتخاذ مايلزم لتقليل الخسائر حتى « يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد العدو » وهنا ساد الوجود غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من الصمت والقلق وأعلن قائد

القوات الجوية أن التحول إلى الدفاع سيؤثر على القوات الجوية وأن الفرق سيكون كبيراً في الحالين ، ثم ذكر المشير عبد الحكيم عامر أسباب هذا التحول في الاستراتيجية من الهجوم إلى الدفاع ، وكان القدر متربصاً برجال القوات الجوية في مصر (١) ، وكثيراً ما شهد التاريخ مواقف مماثلة كانت فيها القرارات السياسية ذات أثر صخيم على مجريات الأحداث العسكرية وسيحكم التاريخ في يوم ما على ضوء ما دار في هذا المؤتمر ، وأن المؤرخ المنصف هو من يصدر حكمه مراعيًا الظروف السائدة كلها .

وفي الأردن كان الملك حسين هو الآخر يعرب عن مخاوفه في أن يستغل الإسرائيليون فترة تخف فيها اليقظة ، غير أن الملك حسين كان يعتقد أن هذا الخطر مازال بعيداً بعض الشيء - بعكس عبد الناصر الذي توقع هجوم إسرائيل خلال يومين - وقد دفع هذا الاعتقاد الخطأ الملك حسين إلى عدم التفكير في الهجوم .

وجاءت فترة القلق لعبد الناصر وأصبح لا يثق أبداً في حلفائه العرب وخاصة سوريا والأردن على أنسواء .

فالسوريون يعتقدون أن بإمكانهم الحصول على مكاسب هامة عن طريق العمل الدبلوماسي دون التعلى عن حرب العصابات ويبدو أن وزير الخارجية السوري قد تباحث مع عبد الناصر في إطار هذا المفهوم .

والملك حسين اعتقد أن إخطر الهجوم الإسرائيلي مازال بعيداً وبالتالي فإنه لم يفكر في الهجوم .

ومن هنا ضاعف عبد الناصر من مساعيه الدبلوماسية معتقداً أنه إذا وصلت الأزمة إلى هذا الحد الكبير من التعقيد والخطورة فإن إسرائيل ستخاف

(١) اللواء طيار محمود شاكر عبد المنعم لماذا حدثت فكسة ه يونيو في آخر ساعة العدد

٢١٤١ القاهرة ه نوفمبر ١٩٧٥ .

وستقدم تنازلات ، وهو ما جعل عبد الناصر في هذه الفترة — خصوصاً — يركز على المزايدة ، فكان أن تقدم — المندوب المصري في مجلس الأمن منذ أيام قليلة بمشروع حاول فيه استغلال الوضع للتوصل إلى تسوية عامة وحث إسرائيل على إحياء لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة بناء على طلب يوثانت على أن يكون مقرها في منطقة العوجة وهي المنطقة القديمة المنزوعة السلاح التي احتلتها إسرائيل في عام ١٩٥٥ .

وقد قصد عبد الناصر بهذا الباب المفتوح العودة إلى الظروف التي تلت حرب عام ١٨٤٨ مع اعتراف عملي بإسرائيل ، غير أن ذلك كان يعني أيضاً الموافقة على الأمر الواقع في تيران ، وعارضت الولايات المتحدة والدول الغربية على السواء هذا المشروع ، وهنا أدرك عبد الناصر أنه طلب الكثير وأن أقصى ما يمكن أن يطالب به هو إتفاق يترك له بعض المكاسب من حركة إغلاق المضيق أي أن تحفظ السيادة المصرية عليه من حيث المبدأ .

وفي القاهرة كان تشارلس يوستس مبعوث جونسون قد توصل إلى إتفاق مبدئي سري (١) مع وزير خارجية مصر ، وهكذا تقرر استمرار العمل الدبلوماسي — وطرح النزاع بشأن مضيق تيران على محكمة العدل الدولية بلاهاي وذلك على حد ما ذكره أحد الباحثين (٢) .

وفي هذه الفترة تقرر إيفاد زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية في مصر إلى واشنطن للتفاوض بشأن حل وسط .

وأبدت مصر استعدادها لتسمح بعبور البترول في تيران واكتفت بتحريم مرور المواد الاستراتيجية فيه .

وغادر تشارلس يوستس مبعوث جونسون القاهرة يوم ٢ يونيو وهو

Rodinson Maxime : op. cit. P. 170-171. (١)

Ibid. (٢)

يؤكد أن إسرائيل لن تهاجم طالما استمرت المساعي الدبلوماسية ، وأبلغت موسكو وتل أبيب المحاولات المبذولة للتوصل إلى حل وسط .

ولكن عبد الناصر ومحاولاته الدبلوماسية كانوا في وادي والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية في وادي آخر تماما ، وبينما كان الجيش وسلاح الطيران الإسرائيليان متأهبين للهجوم كان زعماء إسرائيل يتحدثون عن السلام والحفاظ على الوضع القائم وحتى موسى ديان كان يتحدث بطلاقة عن « السلام » والمفاوضات ففي حديثه مع المراسلين العسكريين يوم ٣ يونيو أعطى انطباعا بأنه يؤمن كل الإيمان بجهود الأمم المتحدة لحل المشكلة ، كما قال أنه ينبغي منح « الوسائل الدبلوماسية » الفرصة الكاملة :

ووجه إليه أحد المراسلين السؤال التالي : هل تعتقد أنك تستطيع الانتصار لو قامت الحرب في هذه المرحلة أم أن تأجيلها أفضل للحصول على النصر ؟ فأجاب ديان :

« لو وقعت الحرب في بحر شهر فلا أدري النتيجة ؛ ولكن إذا وقعت الآن فأني أعتقد أننا ننتصر ، ولاني أفرح بقولي في « بحر شهر » إذ أنني لا أنصو (١) وقوع أية تغييرات رئيسية في بحر شهر أو شهرين أو ستة أشهر ، ولكنني أعتقد أننا نستطيع أن ننتصر ، ولاني حقا مندهش من توجيهك هذا السؤال ،

ومن الغريب أنه بالرغم من المساعي الدبلوماسية - حتى الفرنسية والبريطانية منها - لتخفيف حدة الأزمة ، فإن الرأي العام العالمي كان يخشى هجوما عربيا ضد إسرائيل غير أن الدبلوماسيين الذين كانت لديهم معلومات أدق كانوا يخشون عملا عسكريا إسرائيليا بصورة أكبر .

وتضاعفت مظاهرات التأييد لإسرائيل في كل من لندن ونيويورك

(١) جبروزالم بوست الطبعة الأسبوعية ٤ يونيو ١٩٦٧.

وباريس وغيرها من العواصم ، واقتنع الرأى العام العالمى أن تدمير إسرائيل وذهاب سكانها أصبح وشيكاً نتيجة لتهديدات الشقيرى والرسوم الكاريكاتورية السورية واستبدت الحمى بالرأى العام الإسرائيلى والعربى على السواء وكان الصدام العدوانى يظهر أن الحرب أمر لا يمكن تفاديه .

وأعتقدت الحكومتان المصرية والسورية أن إسرائيل ستدعن وأن تقدم على الهجوم نتيجة لحرب الأعصاب ولعزلتها الدبلوماسية وكانت المشكلة الوحيدة هى مدى التنازلات التى يمكن الحصول عليها .

وجنباً إلى جنب مع هذا كله جاءت صراعات المقاومة الفلسطينية والتي كانت دائرة قبل ذلك بسنوات - جاءت هذه الصراعات فى نهاية مايو ١٩٦٧ لتجعل المناخ ملائماً تماماً لإسرائيل كى تقوم بعلاوانها وباندفاع شديد على الحرب ، وقد سبق ذلك صراع المنظمات المتطرفة مع بعض الدول العربية الراديكالية إلى جانب الدول العربية المحافظة (١) ثم الخلاف بين المقاومة ككل والدول العربية كلها (٢) ثم الخلافات داخل المقاومة نفسها بعد أن تعرضت منذ عام لازمة القيادة (٣) حيث أسلوب الشقيرى كان - أوتوقراطياً ، وقد طلبت مكاتب المقاومة فى بيروت ودمشق أن يكون لها نصيب من السلطة وكان منافسا الشقيرى هما شفيق الخوت (مدير مكتب بيروت) واللواء وجيه المدنى (رئيس أركان حرب الجيش الفلسطينى) وقد أدت الأزمة إلى قيام الشقيرى بحل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتشكيل « مجلس الثورة » الذى سيقوم بإعداد معركة تحرير فلسطين ، ثم زادت حدة المعارضة للشقيرى ولابتداء من نهاية فبراير وأوائل مارس ١٩٦٧ بدأت القواعد الفلسطينية تطالب بقيادة جماعية ، ومن ثم تراجع

Ivorn Yair : The Middle East op. cit. P. 200. (١)

Jabber, Fuad, The palestine Resistance and inter- (٢)

Arab Politics, Rand corporation, 1971 P. 15.

Ibid. (٣)

الشقيري وأعان عن تشكيل لجنة تنفيذية جديدة لكن الانقسام لم يتوقف
وفي خلال فترة الاندفاع نحو الحرب هذه في النصف الثاني من مايو ١٩٦٧
أصدر الشقيري قراراً بنقل شفيق الخوت إلى مكتب نيودلهي ، لكن الخوت
رفض وانتقد القرار علانية مؤكداً أنه يرجع إلى رغبة الشقيري في إبعاد
كل العناصر التي تطالب بالقيادة الجماعية واستمرت الأزمة خلال حرب
يونيو وبعدها حتى استقال الشقيري (١) .

وهكذا جاء التضليل الإسرائيلي للعرب ماثماً تماماً لكي تقوم بعلاؤها
وكان هذا في الواقع نتيجة طبيعية لجهل الرأي العام العربي بطبيعة العدو
وإمكاناته المادية والعلمية والبشرية وكان نتيجة لجهل مقابل في هذه الجوانب
نفسها فيما يخص بنا أنفسنا ، وليس هذا خطأ الرأي العام العربي والجماهير
العربية ، ولكنها حقيقة تاريخية تفسر ولو تفسيراً جزئياً ضعف الجماهير
العربية حيث تعودت - في معظمها - على انتصارات سياسية متراكمة دون
الاحساس بضرورة المشاركة الفعلية ودون الشعور بضرورة التضحية من أجل
كل انتصار ، ومن أجل الحفاظ على كل انتصار ، ولا يعني هذا التحليل أن
الجماهير العربية عاشت في واد وقيادتها المخلصة في واد آخر . والواقع أن
الجماهير استجابت بحماس وتأييد لكل انجاز وقدرت والتفتت حول قيادتها
المخلصة ، لكن هذه الجماهير لم تأخذ في معظم هذه الانتصارات زمام المبادرة
السلوكية ، أو كما قال (٢) نهاد صفوان اليهودي المصري الأصل والأستاذ
بجامعة هارفارد :

« أن الجماهير العربية كمثل المتفرجين في السيرك فإذا أحسن لاعبو
السيرك في أداء أدوارهم ، حيثهم هذه الجماهير ، وصفقت وهتفت بحياتهم
أما إذا أساء اللاعبون فربما يحدث صفيحاً واستهجان ، ينفص بعده المتفرجون
إلى بيوتهم في انتظار لاعبين أفضل » .

(١) Ibid.

(٢) تصريح نهاد صفوان نشر في تقرير لمجلة التايم الأمريكية - يونيو ١٩٦٧ .

وربما كانت هذه مبالغة ومع ذلك فهى تصف بعض الحقيقة قبيل حرب ١٩٦٧ وخصوصاً فى الفترات السابقة التى سبقت الاندفاع نحو الحرب على الجانب العربى فى العلاقة بين الجماهير العربية وقيادتها .

ولاشك أن عامل المفاجأة الإسرائيلية وتحطيم السلاح الجوى العربى كان عاملاً من عوامل اندحار الجيوش العربية . ولكن الحقيقة تبقى حية رغم مرارتها وهى أنه حتى ولم يكن عامل المفاجأة موجوداً ودخلنا مع إسرائيل فى حرب نظامية بدايتها معروفة للطرفين مثل مباراة رياضية فانه طبقاً لجهاز المخابرات الأمريكية (CIA) فان أجل الحرب كان سيطول ربما شهراً أو شهرين وكانت إسرائيل ستصاب بدمار أكبر وخسارة بشرية أعلى ولكن النتيجة ماكانت لتتغير نوعياً .

ويرجع هذا بالدرجة الأولى إلى الأغراض الاستراتيجية لكل من العرب وإسرائيل ولعبت الاستراتيجية العسكرية العربية دوراً هاماً فى اندحار الجيوش العربية وذلك باعتبارها أحد أساليب تحقيق الأغراض الاستراتيجية (١) القومية على الجانب العربى وذلك حسب رأى أحد القادة العسكريين المصريين فيما بعد إذ قال (٢) :

« ترتبط الاستراتيجية العسكرية لأى دولة بسياستها ، وقد فوجئت القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ برفع استعدادها الكامل للقتال وتنفيذ التعبئة وبدء حشد القوات فى سيناء اعتباراً من ١٥ مايو ١٩٦٧ لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا كما أعلن ذلك للرأى العام - موضع التنفيذ . ومعنى ذلك أنه كان على القوات المسلحة أن تقوم بعمليات تعرضية ضد إسرائيل فى حالة قيامها بالاعتداء على سوريا .

(١) دكتور محمد فاروق الهيشى : فى الاستراتيجية الإسرائيلية م. ت. ف. م. أ.

بيروت ١٩٦٨ ص ٨٥ .

(٢) الفريق الأول : محمد عبد الغنى الجمسى : حقائق خطيرة عن حرب ١٩٦٧ فى :

الأخبار القاهرة ٢٩-٥-١٩٧٥ .

ولتنفيذ هذا القرار السياسى كان يجب اخطار القيادة العامة للقوات المسلحة - مسبقا - للتحضير سرا لتنفيذ هذه المهمة وبالتالي كان يمكن تخصيص المهام للقوات المسلحة وتنفيذ التعبئة والحشد بما يتناسب ويتمشى مع التخطيط الموضوع لها وهو ما لم يتم ؛

وفى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب قوات الطوارئ الدولية وجاء فى هذا الأمر أنه من الضرورى سحب هذه القوات من بعض النقاط فى نفس الليلة ، كى يتضمن ذلك سحب قوة الطوارئ الدولية بشرم الشيخ وهذا كان يتطلب إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليها بدون قتال بصرف النظر عن موضوع قتل خليج العقبة من عدمه ؛

ثم صدر قرار سياسى آخر وهو قفل مضيق تيران ، وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية ووضع الخطة اللازمة لمواجهة الاحتمالات المختلفة التى قد يتبعها العدو ردأ على ذلك . . وترتب على ذلك إرسال قوات مظليين إلى شرم الشيخ جواً يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ واستمرار تدعيمها بالقوات إلى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ حتى تكون قادرة على تنفيذ مهمتها بالإضافة للالتزامات التى وضعت بسرعة على القوات الجوية نتيجة للوصول إلى قرار تأمين شرم الشيخ ليلة ١٩ - ٢٠ مايو ١٩٦٧ الأمر الذى يوضح أنه لم يكن هناك تخطيط سابق لتحقيق الهدف السياسى . . . وعلى الرغم من استمرار الهدف السياسى للدولة دون تغيير فإن القرارات الاستراتيجية العسكرية بدأت تتحول اعتبارا من ٢٨ مايو ١٩٦٧ - لتتخذ طابعاً خاصاً يجمع فى نفس الوقت بين تخطيط تعرضى هجومى ، وتخطيط دفاعى جزئى الأمر الذى ترتب عليه غموض المهام المحددة للتشكيلات والوحدات وتسبب فى ضياع وقت ثمين فى تخطيط عمليات حربية غير مؤكدة العزم على تنفيذها وكذلك حشد قوات ضخمة لا تتمركز بما نخدم متطلبات خطة منسقة واحدة ، وزاد من عواقب غموض الهدف الاستراتيجى على

نتائج المعركة ما أدى إليه هذا الغموض من عدم تحقيق اتزان الأوضاع الدفاعية في مسرح العمليات الحربية لمقابلة صاع وتدمير هجوم - معاد رئيسي ولا تمركز التشكيلات في أوضاع مناسبة تخدم خطة تعرضية ، وقد أدى - كل ذلك إلى عدم وضوح الرؤية لأجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة عن التخطيط والإعداد والتنسيق للعمليات .

أبعاد الكارثة ومؤثرات التواطؤ :

يبدو أن العسكريين العرب لم يتعلموا من أمثولى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ . ففي عام ١٩٥٧ كان هناك أيضا ذلك الافتقار إلى التعاون الذى ساد عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، ونفس مظاهرات الوحدة التى حدثت في الدقيقة الأخيرة ، ونفس الافتقار إلى المبادرة وإلى الروح الهجومية الحقيقية .

ولقد كانت جميع الخطط العربية للمعركة عام ١٩٦٧ ، (هذا إذا افترضنا بأنه كانت لدى أى جيش عربى قناعة حقيقية باحتمال اشتباكه بحرب مع إسرائيل (١) تقوم على أساس افتراض الاشتباك بحرب دفاعية تركز على إيقاع العدو في شرك من أجهزة دفاعية جبهوية ، بينما تبقى قواته المدرعة احتياطاً في الخطوط الخلفية ، وكانت التحصينات التى إقامتها بعض الجيوش العربية كما في سورية مثلاً ، تعطى شعوراً بالأمن للقوات المتمركزة في هذه التحصينات الجيدة ، وتفقد أياً رغبة في الخروج من هذه المرافق المربحة نسبياً للقيام بعمليات في أمكنة مكشوفة . وهكذا فإنه عندما دفع السوريون سرايا قليلة إلى إسرائيل ، لم يكن هجومها حماسياً ولم تمضى فيه إلى النهاية .

ليس هناك من ينكر طبعاً أن السبب الرئيسى في عدم قدرة القوات العربية على الخروج المكشوف كان التفوق الإسرائيلى الجوى الكاامل . ومع

(١) راجع : لطفى الخولى : ٥ يونيو - الحقيقة والمستقبل - القاهرة دارالكتاب العربى ١٩٦٨

(في المعركة) ص ٣٥ - ٣٨ .

هكذا فلو أن — القادة للعرب كانوا مصممين ، من ناحية أخرى ، على تحمل الخسائر المحتملة والاشتباك مع القوات الإسرائيلية من مدى قريب ، فإن فعالية السلاح الجوي الإسرائيلي كانت ستتنخفض إلى حد كبير ، لأن هناك مدى محدودا لعمليات الدعم الميداني ، ولو أن القوات المدرعة الأردنية والسورية تحركت فورا في عمل هجومي بعد الهجوم على مصر ، فإن أسوأ ما كان يمكن أن يحدث هو أن تدمر المدرعات (كما حدث على أي حال) على أرض العدو حيث كان بإمكانها على الأقل أن تحدث بعض الخسائر . وهذا ما تفعله الجيوش العالية الكفاءة ، التي لا تنهزم إلا بعد أن تقع منها خسائر باهظة ، وبعد أن تصيب العدو بأذى شديد وتحمله ثمنا غاليا لإقتصاده .

ومن المحتمل أن يكون ثمة سوء تقدير للتأثير الذي تركه للتفوق الجوي في معنويات الجنود ، لكن المرء لا يمكن أن يقر بأنه كان أفضل لو أن سورية أرسلت أكثر من سرية من الحرم الوطني عند تل دان مثلا .

وعموما فقد حاقت بالعرب في خلال هذه الأيام الستة كارثة يظهر ثقل مداها كلما تحققت أرقام الخسائر التي أسفرت عنها . لقد ترك العرب بين يدي عدوهم مساحات واسعة من الأرض هي الضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس القديمة ومنطقة غزة وشبه جزيرة سيناء وشریطه عريض من الأرض على طول الحدود السورية ، لقد تمكنت إسرائيل بذلك من مضاعفة مساحة الأرض التي تشغلها أربع مرات في إخلال أسبوع واحد . وكانت الخسائر في الأرواح (حوالى ٣٠ ألفا) فادحة إذا ما أخذ في الاعتبار مقدار القوات التي استخدمت المدة التي استغرقتها الحرب وهذا بيانها :

عشرة آلاف قتيل من بين الخمسين ألف مقاتل الذين يتكون منهم الفياق العربي .

وعشرون ألف قتيل على الجبهة المصرية إلا يدخل ضمنهم العدد الذي لاحصر له من الجنود الذين ماتوا عطشا في سيناء ؛ وهم يحاولون العودة إلى

للقناة بعد أن تفككت وحداتهم . في مقابل هذه الأرقام المذهلة يندعش المرء لتواضع مقدار الخسائر التي لحقت بالإسرائيليين ، فقد بلغ عدد قتلاهم ٦٧٦ - منهم أكثر من ٢٠٠ أثناء الهجوم على مدينة القدس القديمة - عدا ٢٥٠٠ جريح (١) ، وكانت الحكومة الإسرائيلية قد قدرت أن في حالة وقوع حرب قد يصل عدد القتلى من المدنيين والعسكريين إلى أربعين ألف قتيل . إن المقارنة بين هذه الأرقام لتبين بجلاء التفوق الضخم الذي يتميز به الإسرائيليون وكذا الفرق بين المفهوم العسكري لدى كلا من الطرفين المتحاربين .

أما كميات المعدات التي حطمتها إسرائيل أو استولت عليها فضخمة جداً وهذا بيانها (٢) .

٤٤١ طائرة ، وأكثر من ٧٠٠ دبابة منها ١٠٠ دبابة تم الاتفاق عليها سلمية ، ٥٠٠ قطعة مدفعية وعشرة آلاف سيارة وغواصة واحدة ووحدات بحرية أخرى كثيرة وقاعدة للصواريخ السوفيتية من النوع الذي يطلق من الأرض إلى الجو طراز « SA - 2 » وجدت متروكة في سيناء وقد قدر ثمن هذه المعدات في مجموعها بعشرة مليارات من الفرنكات ، أما ثمن المعدات التي استولى عليها الإسرائيليون فيقدر بمليار من الفرنكات . على أن هذه الخسارة (٣) في المعدات العسكرية لم تكن تمثل غير جزء

(١) تقدير عدد القتلى والجرحى من بين الإسرائيليين مستمد من المصادر الإسرائيلية ولا ينتظر أن تكون هذه المصادر منصفة .

Le Monde, Paris 5-7-1967.

Lacouture, Jean. The Changing Balance of Forces in the (٢) Middle East: Jrl. of Palestine Studies, vol. 2 No. 4, (Summer 1973) PP. 25-32.

(٣) تبعاً للبيانات التي ذكرها المعهد البريطاني للدراسات الاستراتيجية وهومن المعاهد ذات الإطلاع الدقيق بوجه عام - بلغت الخسائر التي منى بها العرب الأرقام الآتية : ٤٣٠ طائرة ، ١٠٠ دبابة منها خسائر مصر : ٣٤٠ طائرة ، ٦٠٠ دبابة ، منها خسائر الأردن : ٢٠ طائرة ، ١٥٠ دبابة ومنها خسائر سورية ٥٠ طائرة ، ٥٠ دبابة ، ومنها خسائر العراق : ٢٠ طائرة ، أما الخسائر التي لحقت بإسرائيل فهي حسب تلك البيانات : ٤٠ طائرة ، ١٠٥ دبابة .

يصير من الكارثة المالية الفادحة التي أصيب بها العرب من جراء الحرب سواء بطريقة مباشرة من جراء تكاليف العمليات وتخطيط المعدات المدنية وتوقف السياحة ، أو بطريقة غير مباشرة من جراء أعمال الانتقام التي اتخذت ضد الغرب مثل وقف ضخ البترول لعدة أسابيع ، ووقف تصدير البترول وإغلاق قناة السويس .

ومن وجهة النظر الأدبية ، وجد العرب في الهزيمة التي لحقت بهم الدليل على عجزهم عن الصمود في حرب حديثة ، وأن إنخفاض مستواهم بالنسبة للإسرائيليين إنما يرجع لأسباب عميقة يتعذر عليهم اجتيازها ويطول أمامهم طريق التغلب عليها . ذلك أن التفوق الفردي لدى المقاتل لم يكن هو العامل المؤثر في الانتصار الذي حققه الإسرائيليون ، فلقد حاربت القوات العربية عموم والأردنية منها خصوصا ؛ وإنما العامل المؤثر حقا هو القيمة المهنية والخلقية بطبيعة الحال لدى العسكريين وقدرتهم على التحكم في إحداث الأساليب التكتيكية ومن الملاحظات ذات المغزى في هذا الصدد أن السلاحين في الجيش الإسرائيلي اللذان كان لهما أكبر نصيب في تحقيق النصر هما الطيران والخدمات الخاصة وهما اللذين يستخدمان الأساليب التي لها أكبر نصيب من العلم .

والنظرة الواقعية إلى الموقف تؤدي بصاحبها إلى الخروج بنتيجة واضحة وهي أن الجانب العربي لم يحسن القتال في تلك الحرب ، فلا أحد ينكر أن التنسيق كان ضعيفا بين الدول العربية المشتركة في الحرب (١) ، كما لم تكن هناك خطة عمل موحدة بالرغم من الخطوات التي اتخذت قبل الحرب مباشرة . كذلك كانت القوات العربية تفتقر إلى دوريات كثيرة ، وأيضا يجب أن نتذكر أن أكثر من ٦٥٪ من الجيش الإسرائيلي يتكون من يهود بيض قادمين من أوروبا وأمريكا وكندا . يقترن بهذا حقيقة أن الإسرائيليين كانوا يخططون لتلك الحرب منذ وقت طويل .

(١) إن لم يكن هناك أى تنسيق فعل .

وقد سأل الأخوان تشرشل - وهما يعدان كتابهما « حرب الأيام الستة »
أحد القادة الإسرائيليين عن سبب نجاحهم فأجاب الجنرال هود وهو من
أعضاء القيادة الإسرائيلية العليا :

« ان ستة عشر عاما من التخطيط قد انصبت كلها في الثمانين دقيقة -
التي بدأت بالحرب - لقد كنا نعيش مع الخطة وننام معها ونأكل معها ،
نقد أتقناها (١) كذلك رأيت مجلة تايم هذا الرأي حين قالت :
« ان اصطیاد ذلك العدد الكبير من الطائرات العربية في حظائرها وهي
متراصة ومتلاصقة تدل على أن إسرائيل لا بد أن تكون قد خططت بعناية
للضربة الأولى (٢) » .

أيضاً ، نقل الاخوان تشرشل عن مدير عمليات المخابرات الإسرائيلية
وقتهذ وهو الجنرال عيزرا وايزمان قوله :

« لقد كان لدينا منذ البداية خطة لكل شيء حتى الاستيلاء على القطب
الشمالي » وعلق الأخوان تشرشل بإعجاب على تلك الاعترافات التي يتباهى
بها أصحابها فيقولون :

أن إسرائيل مثلها في ذلك مثل راعي البقر في براوى الغرب القديمة لم
تنتظر عدوها حتى يهاجمها - لقد لحقت البريق في عين عهد الناصر فهاجمته (٣) .

وفي مقابل تخطيط إسرائيل للحرب بتصميم وكفاءة كان الموقف العربي
الأنحرق على النقيض من ذلك تماما ، وهذا يرجع إلى التأكيدات الدبلوماسية

Churchill, Randolph S. & Winston S. : The Six day (١)
war, op. cit., P. 91.

(٢) مجلة تايم ١٦ يونيو ١٩٦٧ .

Churchill, Randolph S. and Winston L. : op cit., (٣)
P. 92.

التي قدمتها الدول الكبرى فجعلت العرب يستكينون إلى الاعتقاد بأن الأزمة ستتم كغيرها من الأزمات التي شهدتها تاريخ المواجهة العربية الإسرائيلية ، وهكذا تفاعل العرب ولو أنه ثبت إنه تفاؤل مميث ، ولقد لاحظ ذلك الاتجاه مراسل بريس ترست الهندية حيث بعث من القاهرة قبل الحرب بيوم واحد يقول :

أن القاهرة لا تريد الحرب ، ومن المؤكد إنها غير مستعدة لها .

ويؤيد هذا التقييم الواقعى لانتجاهات القاهرة الإستراتيجية التي أتبعها العرب في جبهة القتال ، أنه قد ثبت أن معظم الأسلحة والعتاد العربى في سيناء وغيرها كان منتشرا على الجبهة بهدف الدفاع فقط . والأنباء التي كانت تأتي من مصادر موالية لإسرائيل عادة أكدت أن الدبابات المصرية التي كانت في الصحراء إنما وقعت في قبضة الإسرائيليين لأنها موضوعة في حفركى تستخدم كدفعية . ومن الواضح إن أى إنسان لا يعد لحرب هجومية بتثبيت أسلحته في أماكن لا تبرزها ، ويمكن اعتبار هذا الموقف مؤسفا في إدراج الواقع من جانب القيادة العربية العليا ، ولكنه يظهر بالتأكيد أن العرب لم يخططوا لحرب ضد إسرائيل :

وهكذا كان الاسرائيليون أذكى من العرب بكثير ومن ناحية أخرى فإن الكارثة أوضحت بدرجة أكثر أهمية بطلان ما كان يقوله أنصار إسرائيل عن ميل العرب - العدوانية ، كذلك يمكن الاستدلال على أن دعاوى إسرائيل من وراء إغلاق خليج العقبة والتصريحات شبه الحربية للقادة العرب وإستعدادات الدفاع المشترك بين بعض الدول العربية - كل تلك الدعاوى لم يكن لها شأن بهجوم إسرائيل الذى جرى تخطيطه بعناية منذ شهور إن لم يكن منذ سنين . وكل ما أسمته إسرائيل أعمالا إستفزازية من جانب العرب إنما وقع قبيل الحرب بأقل من أسبوعين في حين أن إستعدادات إسرائيل لتلك الحرب بدأت قبلها بشهور .

ونذكر بادىء ذى بدء أن المراقبين الغربيين الذين بحثوا فيما يسمى
بـ «نجاح إسرائيل في الحرب يحسنون صنعاً» تذكروا أحداث التاريخ الحديث (١)
والمعاصر .

غير أنه ينبغي أن لا نتجاهل أن إسرائيل قد لقيت في سبيل ذلك النجاح
مساعدة نشيطة وتأييداً من أصدقائها الغربيين : فإسرائيل تلقت عدداً ضخماً
من الطائرات ومن الطيارين الغربيين ذوي التدريب العالي كما حصلت على
معلومات قيمة جمعتها مصادر التجسس وحصلت أيضاً على أشد الأسلحة
فتكاً وأكثرها تطوراً .

وبسبب ميزة الضربة الأولى التي يرجع أكبر الفضل في اتاحتها إلى الكلام
المضلل الذي صدر من دولة كبرى — استطاعت إسرائيل أن تدمر معظم
القوة الجوية للعرب في الساعتين الأوليين من هجومها ؛ كذلك يمكن أرجاع
كثير من النجاح الإسرائيلي إلى تركيز إسرائيل على استخدام قنابل النابالم
التي تحرمها جميع الاتفاقيات والقوانين الدولية ، وأن الطريقة التي حارب
بها العرب ضد تلك الظروف العسكرية تتضح من حقيقة أن أكثر
من ١٥٠٠ جندي أردني وفلسطيني أسلموا أرواحهم دفاعاً عن القدس
وحدها .

ولقد ذكر الأخوان تشرشل في كتابهما نقطة هامة أخرى حين قالوا :
« وبطبيعة الحال كانت روسيا ومصر وإسرائيل تعلم منذ البداية أن
الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدي إذا تعرضت إسرائيل للدمار (٢) » ،
وبهذا أمكن لإسرائيل أن تمضي قدماً في تنقيح خططها العدوانية إذ كانت تعلم

(١) ألمانيا استطاعت أثناء الحرب العالمية الثانية وينفس طريقة الحرب الخاطفة أن تستولى
على ما يزيد عن مساحة أراضيها بتسعين ضعفاً ، كما استطاعت اليابان بالطريقة نفسها أن تستولى
على ما يزيد عن مساحة أراضيها بـ ١٥٠ ضعفاً ، ولكن الأيام التالية أظهرت أن ذلك النجاح العدواني
لم يستطع البقاء طويلاً وهو ما أثبتته بالقفل حرب أكتوبر ١٩٧٣ . « الباحث »

أنه مهما يحدث فإن واشنطن ستحميها دائماً وذلك بعد أن خططت معها هذا العدوان منذ سنوات (١)

ونصل الآن إلى جانب من جوانب كارثة ١٩٦٧ قد يكون أكثر الجوانب خلافاً وإثارة للجدل ، إنه الجانب الخاص بمدى التأييد الغربي لإسرائيل في تلك الكارثة التي حاقت بالجانب العربي ، ولقد قيل وكتب في هذا الموضوع الشيء الكثير ، ومن الواضح أن لهذا الموضوع وجهين ، أحدهما يختص بالتواطؤ الحقيقي على العدوان والآخر يتعلق بالمساعدة التي نالتها إسرائيل بالوسائل السياسية والدبلوماسية ، وكلا الوجهين متساويان في الأهمية تقريباً في حروب هذا العصر .

وفيما يختص بالتواطؤ العسكري الفعلي فإن اتهامات كثيرة قد وجهت عن اقتناع قوى ولكنها فندت أيضاً بالقوة نفسها . ومن المعروف تماماً لدى المؤرخين في مثل تلك الأمور أنه يكاد يكون مستحيلاً إثبات أى شئ إلا بواسطة شاهد قوى شارك في تلك الأحداث ، وعلى هذا سيظل الموضوع دائماً موضع جدل كثير .

والأكثر من هذا أنه ليست هذه هي المرة الأولى التي يثير فيها العرب شبهة التواطؤ ، ففي العدوان الثلاثي منذ سنوات بذلت جهود جبارة بواسطة أجهزة الإعلام الغربية لدحض اتهامات العرب للبريطانيين والفرنسيين بالتآمر على الهجوم على مصر متذرعين بحماية قناة السويس . ولم يمكن إثبات صحة اتهامات العرب بالدليل القاطع إلا في السنوات الأخيرة عندما نشرت بعض الكتب لمؤلفين مثل موسى ديان وأنتوني ناتنج ، وبالمثل فقد ينقضي وقت طويل حتى تثبت اتهامات العرب بثبوتها كاملاً .

(١) وهو ما أكدته الرئيس أنور السادات فيما بعد في مذكراته من أن عدوان ١٩٦٧ كان مذبذباً ضد مصر وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٦٥ ، حيث بدأت إسرائيل الإعداد للحرب ١٩٦٧ بالاتفاق مع جونسون الذي كان مستسلماً تماماً للمراكز الصهيونية .
مذكرات الرئيس السادات في الأهرام ٢٤-١٠-١٩٧٥ إلى ٢٥-١١-١٩٧٥ .

ومع هذا فإن شواهد قليلة بارزة تشير إلى حقيقة أن إسرائيل لم تكن لتجروء على المبادرة بالهجوم ولم تكن تستطيع تحقيق ذلك النجاح الذي حققته لولم نحصل على مساعدة نشيطة من أصدقائها الغربيين وعلى الأخص أمريكا (١)، ويكفى أن نسوق مثالا على تلك الشواهد، سفينة الاتصالات الأمريكية « لوبرتي » بما فيها من أجهزة رادار عالية الكفاءة يمكن استخدامها في توجيه الطائرات إلى أهدافها. فقد شوهدت تلك السفينة تجوب البحر المتوسط على مقربة من الساحل المصري. كذلك يوجد دليل على أن طائرة أمريكية قامت في مطلع شهر يونيو بنشاط استطلاعي كبير على الساحل المصري للبحر الأبيض المتوسط لرصد مواقع المدفعية والرادار المصرية - وليس من المستغرب أن يكون طيارون « ضيوف » قد قدموا إلى إسرائيل للاشتراك في عمليات ٥ يونيو.

ولقد كانت السفينة « لوبرتي » على بعد ١٥ ميلا فقط من ساحل سيناء، عندما ضربتها طائرة إسرائيلية بالقنابل عن طريق الخطأ ولما كانت « لوبرتي » مزودة بأقوى أجهزة التشويش فلما كانت في ذلك الوقت تتدخل في المراسلات الصادرة للقوات البرية المصرية في سيناء والوارد منها، حتى مجلة تايم (٢) حين نشرت تقريرا عن الحرب في عددها الصادر في ١٦ يونيو لم تستطع أن تغفل ذكر الشك القوي القائم في أمريكا نفسها. من أن السفينة « لوبرتي » قد دمرت عن عمد لمسح أي أثر للتواطؤ الأمريكي الإسرائيلي إذا جرى تحقيق في المستقبل،

كذلك كان وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان قد قال قبيل الحرب بعشرة أيام: « أن الولايات المتحدة أكدت لي تأييدها للإجراءات التي تتخذها إسرائيل لفتح خليج العقبة ». وفي الوقت نفسه اذاعت وكالة يونايتد برس انترناشونال أن حاملة الطائرات « أمريكا » و « ساراتوجا » تقومان بدوريات في شرق البحر الأبيض المتوسط ٥ وفي الوقت نفسه نشرت صحيفة

Dranath, Dewan Berin : op. cit, PP. 73-4 (١)

(١) تقرير عن حرب يونيو ١٩٦٧ نشر في مجلة تايم في ١٦ يونيو ١٩٦٧.

ديلى ميل اللندنية أن الإسطول السادس الأمريكى « فى حالة طوارئ » ،
ولقد تغيرت فجأة مواقع سفنه واقتربت على غير العادة من مسرح
الحرب .

كذلك قامت طائرات النقل الأمريكية بنقل مهمات ضخمة من قاعدة
هويلس فى ليبيا ، واستمرت تلك القاعدة تؤدى دورا نشيطا حتى بعد أن
بدأ القتال .

وأىضا نشرت الصحافة العالمية أنباء — موثوقا بها تفيد أن الطائرات
الأمريكية كانت تطير من القواعد الليبية إلى أسبانيا حيث يعاد طلاؤها بلون
الصحراء .

كذلك لم ينكر أحد أن طائرات التجسس الأمريكية قامت بعمليات
تصوير واسعة النطاق للمراكز الدفاعية فى مصر ، وقد كان من السهل
نوصيل نتائج تلك العمليات الاستطلاعية للطيارين وقد وجد مع الأسرى
كثير من تلك الخرائط (١) كما وجدت معهم وثائق من اعداد وزارة
الحرب البريطانية تحتوى على معلومات عسكرية كثيرة وهؤلاء الطيارون
كانوا أما أعضاء فى سلاح الجو الأمريكى أو البريطانى أو رعايا لتلك الدولتين
قدموا لإسرائيل بحجة « قضاء أجازة استجمام » .

وحتى البريطانيين لم يكونوا بعيدين عن المسرح فمثلا نشرت صحيفة
ديلى ميل البريطانية أن الولايات المتحدة وبريطانيا بدأتا فعلا حشد سفنهما
الحربية فى البحر الأبيض المتوسط استعدادا للتدخل ، وأضافت الصحيفة أن
الحشد يقوم على جانبى القناة (أى فى البحر الأحمر والبحر المتوسط) وأن
بريطانيا استدعت حاملة الطائرات هيومز من المحيط الهندى (٢) ، وفى
ذاك الوقت كانت الأوامر قد صدرت للإسطول البريطانى ليكون مستعدا لآية

(١) وهو ما شاهده الباحث بنفسه مع أحد الطيارين الاسرائيليين عقب اسقاطه بالقرب
من فايد .

(٢) دىلى ميل — لندن ، ٣١-٥-١٩٦٧ .

تطورات جديدة ، كما كان الأسطول السادس الأمريكى فى حالة طوارئ.

وحق صحيفه محافظه منزمته مثل صحيفه صهداى تلجراف صرحت بأن شحنات ضخمة من الأسلحة نقلت بطريق الجو من لندن إلى تل ابيب فى الأيام الأخيرة (١). ومن خلال التقييم الواقعى للهجوم الجوى الإسرائيلى يتضح أن إسرائيل استخدمت فى عمليات الهجوم ضد العرب ٦٠٠ طائرة على الأقل بينما المعروف طبقا للمصادر الغربية أن قوة إسرائيل الجوية تتراوح بين ٣٥٠ ، ٤٠٠ طائرة ، بل لقد قيل أن ٤٠٠ طائرة إسرائيلية استخدمت فى الجبهات المصرية والسورية والعراقية بينما استخدمت ٢٠٠ طائرة فى الجبهة الأردنية فى نفس الوقت .

كذلك تجد اتجاهات العرب الخاصة بالتواطؤ الغربى لإسرائيل - ما يؤيدها من تصريحات قادة إسرائيل فمثلا نشرت مجلة نى ، س . نيوز الأمريكية قبيل الحرب مباشرة حديثا أجرته مع رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى أشكول أدلى فيه بملاحظات هامة ، فعندما سألته المجلة عما إذا كان يتوقع مساعدة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى حالة وقوع هجوم على إسرائيل ، أجاب ليفى أشكول « بالتأكيد » نحن نتوقع تلك المساعدة وخصوصا إذا أخذنا فى الاعتبار جميع الوعود والتأكيدات التى أعطيت لإسرائيل ، لقد تلقينا تلك التأكيدات عندما طلبنا أسلحة من الولايات المتحدة فقبل لنا :

(وفروا أموالكم طالما كنا موجودين وطالما كان الأسطول السادس هناك) .

وكتبت صحيفة الجارديان كلاما له دلالة خبيث قالت : « لقد وجهت الاتهامات ضد بريطانيا وفرنسا فى عام ١٩٥٦ ونفت حكومتا البلدين تلك

الالتزامات بقوة ، ومع هذا فقد ثبتت بعد ذلك صحتها ، وعلى أية حال فلقد كان واضحا منذ البداية الأولى للالزمة أن الولايات المتحدة ستتدخل عسكريا في جانب إسرائيل إذا نجح العرب في نقل المعركة إلى الأرض الإسرائيلية (١) ،

كذلك أيدت صحيفة التايمز الرأي القائل بأن « الظروف لن تسمح للعرب بأن يحققوا نصرا دون أن تضطر الدول الغربية إلى التدخل ، ومثل هذا التدخل لن يكون بغرض مساعدة إسرائيل على العدوان ، كما أنه لن يحدث عندما تكون الجيوش الإسرائيلية تحارب خارج حدود بلادها ، وبناء عليه فإن هذه حرب لن يسمح للدول العربية بكسبها في النهاية دون تدخل الدول الكبرى (٢) ، وربما كان النصر الوحيد الذي أحرزته إسرائيل هو العامل الوحيد الذي جعل التدخل الأمريكي المباشر غير ضروري .

ومما يكشف أيضا عن مدى اهتمام البيت الأبيض بفرض إسرائيل في تلك الحرب ما نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية بعد وقوع الهجوم الإسرائيلي بحوالى عشرة أيام حيث قالت « في الأسبوع السابق على الحرب تلقى الرئيس الأمريكي تقريراً مؤكداً من الجنرال ابرل هويلر رئيس هيئة أركان الحرب تنبأ فيه بأن الإسرائيليين سيكسبون الحرب خلال ثلاثة أو أربعة أيام إذا قاموا بالضربة الجوية الأولى بنجاح ، وكان آرثر جولد بيرج سفيراً في الأمم المتحدة متشككاً في ذلك التقرير مما جعل الرئيس الأمريكي يرسل هويلز إلى ريتشارد هابمز رئيس وكالة المخابرات المركزية ليراجع تقريره ، وقد صدق هيلمز على ذلك التقرير . » (٣)

وعلى هذا فإن الرئيس جونسون كان يعلم تماماً أن هجوماً إسرائيلياً على وشك الوقوع ، وفي تلك السطة نفسها كان يؤكد للعرب تصميم أمريكا

(١) حارديان ، لندن ، ٧-٦-١٩٦٧ .

(٢) التايمز ، لندن ٤-٦-١٩٦٧ .

(٣) نيوزويك الأمريكية ١٩-٧-١٩٦٧ .

على وقف العدوان أيا كان مصدره ، ومن الواضح أنه كان يشعر باهتمام كبير
بنتيجة الحرب التي كانت الاستعدادات تجري لها وراء الستار .

وبصرف النظر عن المساعدة الأمريكية العسكرية فقد أمد الأمريكيون
إسرائيل بتأييد صريح غير محدود في الجبهة الدبلوماسية ، ولقد سبق أن رأينا
كيف عرقلت السياسة الأمريكية الجهود الرامية إلى السلام قبل الحرب ،
كما بحثنا الدور الذي لعبته أمريكا لمنع صدور قرار عادل بوقف إطلاق
النار ، وعلى رأس ذلك كله لعبة الخداع الدبلوماسية التي لعبها الأمريكيون
على العرب كي يخذروهم ويجعلوهم يستسلمون لشعور زائف بالإطمئنان ،
ومن أمثلة ذلك الخداع تكرر تصريح كندى الندى بضمن سلامة أقطار الشرق
الأوسط كلها ووحدة أراضيها قبل نشوب الحرب بأيام قليلة . وأن تصميم
أمريكا بعد الهجوم الإسرائيلي الخاطف للدليل ناطق على السياسة الأمريكية
ذات الوجهين في مجال الدبلوماسية والأخلاق وهي السياسة التي تورطت
فيها أمريكا منذ بداية الصراع الراهن ، وكما أوضح هـ . ك جانسن في صحيفته
ستيتسمان فان « أمريكا كانت تتخذ دائما الموقف نفسه وكانت إسرائيل تكرر
خرقها لوقف إطلاق النار وتكسب أرضا جديدة في كل مرة (١)

وأكثر ما يكشف انحياز أمريكا إلى العدوان الإسرائيلي الملاحظة
الصريحة العارضة التي أبدتها المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة آرثر جولد
برج - وهو نفسه يهودي وذو عقيدة صهيونية قوية ، فبينما كان يرد على
طلب سوفيتي بوقف إطلاق النار في الحال يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ قال :
« إنهم يريدون اجتماعا الآن لأن أصدقاءنا ينتصرون » . (٢)

وفي إسرائيل سرعان ما تغيرت السياسة الإسرائيلية تماما في أعقاب النصر ،
فلقد ساد الاعتقاد على نحو واسع بين الإسرائيليين بأنه طالما يتم التذليل
بوضوح على التفوق العسكري « الإسرائيلي » فسوف يبادر العرب إلى الإدراك

(١) ستيتسمان ، نيودلهي ٧ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) أوف انديا « نيودلهي ٩ يونيو ١٩٦٧ .

والاقرار بعقم الماضي في معارضتهم لإسرائيل ، وتقوم مفاوضات مباشرة
بين الطرفين ، وبعد إجراء بضعة تعديلات للحدود ، سوف توقع جميع
الاطراف المعنية على معاهدة صلح دائمة » ،

ومما تجدر ملاحظته أن التعديلات الضرورية في الحدود لم يفصح عنها
صراحة في البداية ، بل تركت مفتوحة أمام المفاوضات بين المسؤولين
الإسرائيليين والعرب (١) .

وفي أيام نشوة السعادة التي أعقبت الانتصارات العسكرية الأولى ، دعا
الزعماء الإسرائيليون إلى عقد مفاوضات مباشرة مع الدول العربية ، دون
المبادرة في البداية إلى تحديد مطالبهم القصوى بالنسبة للاستيلاء على الأراضي
أو التنازلات السياسية : وإذا كان العرب على استعداد للسلام ، فلا سبب
هناك يحول دون موافقتهم على التحدث معنا بشأنه ، أما إذا كانوا لا يرغبون
في السلام فإن وساطة الاطراف الثالثة لن تكون سوى شعار تحتوى خلفه
الدول العربية لمتابعة سياستها في عدم الاعتراف بإسرائيل والمضي في موقفها
« العدواني » تجاه إسرائيل . . .

.. هناك دلائل اليوم تشير إلى أن قسما من الزعماء العرب على الأقل
أخذ يدرك عقم المحاولات الرامية إلى العودة نللاوضاع التي لا يمكن الاجتفافها
والتي سادت في هذه المنطقة طيلة سنوات عديدة ، أنهم — مثلنا نحن —
يفضلون على الأرجح رؤية « برنامج جديد » لشئون الشرق الأوسط (٢) .

ولم يظهر أنه من الضروري تحديد هذه المطالب بصورة واضحة عندما
تبدت عيوب العسكريين العرب ونقائص الحكومات العربية في أجلى مظاهرها .
ويبدو أن معظم الإسرائيليين كانوا يعتقدون بأن العرب إذ يتصرفون

(١) بيان آبا ايبان أمام مجلس الأمن في الأمم المتحدة بتاريخ ٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) بيان لليفي أشكول بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٦٧ .

بعقلانية أمام القوة ، سوف يقتنعون في نهاية المطاف بأنه ليس هناك من
بدليل آخر أمامهم سوى الجلوس وجها لوجه إلى مائدة المفاوضات والدخول
في معاهدة صلح تعترف بسيادة إسرائيل :

ونشأ شعور بين فئات الرأي العام الإسرائيلي بأن الملك حسين ملك
الأردن ، من بين كل الزعماء العرب ، سوف يكون في المتناول
ورهن الإشارة ، فازاء الإنخيال الذي منيت به سمعة عبد الناصر ومكانته
بسبب خسارة الحرب ، سوف يسهل الأمر كثيراً على حسين التفاوض
مباشرة حتى ولو رفض عبد الناصر الإقدام على ذلك ، كما شعر الكثيرون
بأن سقوط عبد الناصر أصبح أمراً وشيك الحدوث ، وبعد إستقالة -
عيد الناصر الأولية ، تظاهر الإسرائيليون فرحين في شوارع تل أبيب
بينما تعالت صيحات المصريين في شوارع القاهرة في ٩ ، ١٠ يونيو
١٩٦٧ مطالبة بعودته ، حقاً : لقد توقعوا قبولاً من جانب العرب بالتفوق
الإسرائيلي بينما جاءت حقيقة الواقع لتبين أن النصر الإسرائيلي كشفته عن
مواطن الضعف لدى الحكومات العربية أدى بالتالي إلى تشجيع حركة
المقاومة الفلسطينية وتعزيز نشاطها القوي وهو أمر طبيعي خصوصاً بعد
أن اقترنت الكارثة بهجرة جديدة للسكان ، فقد فر حوالى مائتي ألف
من الفلسطينيين من الضفة الغربية وعبروا النهر الأردن إلى ضفته الشرقية ،
كما غادر عشرات الآلاف من السوريين المنطقة التي إحتلتها إسرائيل .

وفي تقرير قدمه أوثانت للأمم المتحدة قدر عدد الأنفس الذين طردوا
من بيوتهم بسبب الحرب بما مقداره ٣٢٣.٠٠٠ نفس في مجموعهم ،
منهم ١١٥.٠٠٠ كانوا من قبل العمليات الحربية في وضع اللاجئين
فملا ، وهذه الأرقام تتفق تقريباً مع الأرقام المستقاة من مصادر أخرى
والتي تقدر عدد الأشخاص الذين غادروا الضفة الغربية لنهر الأردن
بما يقرب من ٢٥٠.٠٠٠ نفس ، منهم ٢٠٠.٠٠٠ نزحوا في الفترة
ما بين ٥ يونيو - ٤ يوليو ، ٦٠.٠٠٠ نزحوا من مواطنهم بعد تاريخ

٤ يوليو ، ومن هذا العدد ١٠٠٠٠٠ كانوا من قبل في وضع اللاجئين ، أما من الأراضي السورية المحتلة فيقدر عدد الأشخاص الذين غادروها بما يقرب من ١٠٠٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠٠٠ كانوا من قبل لاجئين (١).

ويتساءل أحد الباحثين في مغزى هذه الأعداد الضخمة من النازحين ، وكيف نسي العرب المآسى التي يعيش فيها لاجئوا عام ١٩٤٨ الذين مازالوا يكابدون الولايات في المخيمات ، ولماذا لم تمنع حكومة الأردن ولم تمنع حكومة سورية هذه الهجرة الكثيفة .

والإجابة على هذه الأسئلة بسيطة للغاية حيث أن هذا هو الأمر الذي لا يدرك كنهه أحد ، فلقد فقدت الأردن بفعل الهزيمة نصف ما كان لديها من أراضي زراعية ، فضلاً عن عجزها عن إطعام هذا السيل الجارف من المهاجرين ، ولا يقتصر الضرر الذي لحق بالعرب على هذا ، ولكنهم فوق ذلك قد ضحكوا عامدين بواحدة من الوسائل التي تفيدهم والتي بقيت في يدهم بعد الهزيمة ، تلك هي ميزة كان من شأنها أن تكفى لصد إسرائيل عن كل فكرة تساورها في ضم تلك المناطق إلى أراضيها .

وعلى أية حال فسرعان ما اتضح أن الحرب قد خلفت من المشاكل - حتى لإسرائيل وأصدقائها - أكثر مما حلت .

(١) تقرير منظمة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة UNICEF المنشور في :

فصل ختامی

فی

نتائج الحرب على صعيد المشكلة الفلسطينية

نشاط مجلس الأمن :

اجتمع مجلس الأمن في صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ في جلسة مستعجلة طارئة بناء على دعوة من مندوب مصر قال فيها أن إسرائيل ارتكبت عدوانا غادرا ومدبرا على بلاده وهاجمت قطاع غزة وسيناء ومطارات القاهرة وقد جاء في تلك الدعوة أيضا بأن مصر قررت الدفاع عن نفسها (١).

وقد استمع المجلس أول ما استمع إلى تقرير من الأمين العام يوثانث حول الهجوم الواسع الذي قامت به إسرائيل ، وقال الأمين العام - بناء على ما تلقاه من معلومات - أن الطائرات الإسرائيلية هاجمت سيارات الأمم المتحدة وأن الأنباء الأولية تشير إلى أن ثلاثة جنود هنود من قوات الطوارئ الدولية قتلوا وأصيب عدد غير معروف بجروح .

وأنهى يوثانث تقريره بإعلانه أنه يدعم بقوة فكرة إعلان القدس مدينة مفتوحة وذلك لحماية الأماكن الدينية فيها والتي لا تعوض .

وتسكلم مندوب الهند فقال ان الهجوم الإسرائيلي الذي وقع على الجنود الهنود هو عمل طائش وغير مسئول ، وطلب من المجلس أن يندد به ، ثم رفعت الجلسة على أساس أن يعطى المندوبون وقتا للتشاور خارج اجتماعات المجلس حول الوصول إلى مشروع قرار بخصوص الوضع في الشرق الأوسط .

وقد بوزت عدة إتجاهات خلال تلك المشاورات ، كان هناك إتجاه يقول بأن على المجلس أن يصدر نداء عاجلا إلى الجانبين المتحاربين لإعلان وقف إطلاق النار فورا ، وترك جميع القضايا الأخرى للبحث فيها في وقت لاحق . وترزعت هذا الإتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكان هناك إتجاه آخر يقول بأن على المجلس أن يطالب بشجب العدوان

(١) المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن: Security council وثيقة رقم S/7928

تاريخ ١٩٦٧/٦/٥ ، وتوجد مجموعة غير كاملة من هذه الوثائق في مكتب الأمم المتحدة بالقاهرة.

الإسرائيلى وبأن يتضمن أى مشروع قرار لوقف إطلاق النار طلباً بأن ينسحب الجانبان إلى المواقع التى كانا يحتلانها قبل اندلاع القتال . وقد تزعم هذا الإتجاه الاتحاد السوفيتى . وكان هناك إتجاه ثالث يقول بأن طلب وقف إطلاق النار يجب أن يقترن بدعوة الفريقين للانسحاب إلى المواقع التى كانا فيها قبل الخامس من يونيو دون أن يحدد المجلس أياً من الجانبين كان المعتدى . وقد تزعمت هذا الإتجاه الهند ومعظم الدول الأفرو-آسيوية . وكانت هناك دول أمريكا اللاتينية التى ساند معظمها موقف الولايات المتحدة الأمريكية .

وتصلبت الولايات المتحدة فى موقفها لدرجة أن المشاورات التى طالت مدة يومين كانت خلالها إسرائيل تحتل المزيد من الأراضى العربية . وبعد أن تبين أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تلتشى عن عزمها ، اجتمع مجلس الأمن وأيد وجهة النظر الأمريكية باقرار مشروع قرار يدعو الحكومات المعنية - كخطوة أولى إلى إتخاذ إجراءات فورية لوقف إطلاق النار ووقف كل نشاط عسكرى فى المنطقة (١) .

وفى ٨ من يونيو ، عاد المجلس إلى الإنعقاد ، فتقدم المندوب الأمريكى بمشروع قرار تضمن مطالبة جميع الفرقاء بالتزام وقف إطلاق النار والدخول فى مباحثات لسحب قواتهم على أن تتم تلك المباحثات بصفة عاجلة وبمساعدة فريق ثالث وهو الأمم المتحدة .

أما الإتجاه السوفيتى ، فقد شن مندوبه حملة عنيفة على إسرائيل متهماً إياها بارتكاب العدوان ، وبأنها تتحدى الأمم المتحدة وميثاقه ، ثم قدم مشروع قرار مضاداً للمشروع الأمريكى ، طالب فيه المجلس بشجب مجلس الأمن انتهاك إسرائيل لقرارين سابقين لوقف إطلاق النار وانتهاكها لميثاق الأمم المتحدة .

وفى الاجتماع الذى عقده المجلس فى التاسع من يونيو ، تقدم مندوب

(١) المرجع السابق : وثيقة رقم S/Res/233 (1967) بتاريخ ٦/٦/١٩٦٧

الولايات المتحدة بمشروع قرار جديد هو تعديل لمشروع قراره السابق ، وقد دعا فيه مجلس الأمن أن يطلب من رئيس المجلس ومن الأمين العام يوثان اتخاذ الخطوات الفورية سعياً وراء ضمان الانصياع لوقف إطلاق النار ، ورفع تقرير إلى المجلس عن ذلك خلال أربع وعشرين ساعة .

وعندما اجتمع المجلس في العاشر من يونيو ، كان الأطراف المعنيون جميعاً قد قبلوا بقرار وقف إطلاق النار . وقد أبلغ الأمين العام مجلس الأمن أن كلا من سوريا وإسرائيل بعد مصر والأردن ، وافقت على ترتيبات اقترحها أودبول كبير مراقبي الهدنة لتنفيذ قرار وقف إطلاق النار ، غير أن إسرائيل لم تنفذ بالفعل وقف إطلاق النار ، بل استمرت في قصف المواقع السورية ، مما دعا مندوب الاتحاد السوفيتي أن يطلب اجتماعاً لمجلس الأمن في ساعة متأخرة من الليل للنظر في خرق إسرائيل للفاصل لقرارات المجلس . وقد تقدم مندوب الولايات المتحدة بمشروع قرار جديد طلب فيه من مجلس الأمن أن يشجب كل انتهاك لوقف إطلاق النار وأن يجري الأمين العام تحقيقاً شاملاً في جميع تقارير انتهاك وقف إطلاق النار مع دعوة جميع الحكومات المعنية إلى إصدار تعليمات مشددة إلى جيوشها بوقف إطلاق النار وسائر الأعمال العسكرية (١) .

وفي اجتماع في الحادي عشر من يونيو ، تلقى مجلس الأمن مشروع قرار سوفيتي مضاداً طلب فيه الاتحاد السوفيتي أن يشجب بشدة العدوان الإسرائيلي واحتلال إسرائيل المستمر لقسم من أراضي مصر والأردن وسوريا . كما طلب مشروع القرار من مجلس الأمن أن يطلب سحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة وأن تدفع إسرائيل تعويضات كاملة للدول العربية وقد طلب المندوب الاتحاد السوفيتي أن يصار التصويت فوراً على مشروع قراره . غير أن عملية التصويت بينت أن المشروع السوفيتي قد فشل ، وعند ذلك سحب المندوب الأمريكي مشروع قراره ولم يطلب التصويت

(١) المرجع السابق : وثيقه رقم S/7871 بتاريخ ١٠/٦/١٩٦٧ .

عليه ، وقبل انفضاض الاجتماع تلقى المجلس مشروع قرار قدمته الأرجنتين والبرازيل وأثيوبيا ، وكان من أهم نقاطه هي دعوة حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وأمن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات حربية وتسهيل عودة هؤلاء السكان الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال إلى منازلهم وأن تحترم الحكومات المعنية المبادئ الإنسانية الخاصة بمعاملة أسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين في زمن الحرب كما تنص على ذلك اتفاقيات جنيف (١) ، وقد صار التصويت على هذا المشروع في ١٤ يونيو رنال الموافقة بالإجماع . وبعد ذلك رفعت جلسات مجلس الأمن إلى أجل غير مسمى : وكان الاتحاد السوفيتي قد طلب قبل ذلك بيوم واحد عقد دورة طارئة خاصة للجمعية العامة لتنظر في العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ، وتصفية نتائج ذلك العدوان ، بعد أن تبين للاتحاد السوفيتي بأن مجلس الأمن لن يخرج عن نطاق العمل ضمن إطار وقف لإطلاق النار ، وأنه لن يتخذ قرارا لسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها بعد الخامس من يونيو ، كما كان مقروضا فيه أن يفعل ، مما خاق سابقة خطيرة في العلاقات الدولية ، ألا وهي تمكين المعتدى من الاحتفاظ بأراضي احتلتها بقوة السلاح .

الدورة الطارئة للجمعية العامة :

عقدت الجمعية العامة دورة طارئة للنظر في العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ، بناء على دعوة (٢) وجهها أندريه جروميكو ، وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ووافق عليها أكثرية الأعضاء وقد جاء في دعوة الاتحاد السوفيتي أنه بالنظر لتحدى إسرائيل لقرارات مجلس الأمن في ٦ ،

(١) وهو ما تنص عليه اتفاقيات جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ ، المرجع السابق : وثيقة رقم S/7968 بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٧ .

(٢) المرجع السابق : وثيقة رقم S/8717 بتاريخ ١٣/٦/١٩٦٧ .

٧ ، ٩ يونيو لوقف إطلاق النار ، فان إسرائيل استولت على المزيد من الأراضي التي تخص مصر والأردن وسوريا ، وجاء في الدعوة أن في رأى الاتحاد السوفيتي يجب عقد دورة للجمعية العامة للنظر في الوضع الذي نشأ في الشرق الأوسط ، وأن تتخذ قراراً يهدف إلى تصفية نتائج العدوان والانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة .

وقد ابتدأت الدورة الطارئة للجمعية العامة في التاسع من يونيو واشترك في مناقشتها تسعة وستون وفداً (١)

كذلك نظرت الجمعية العامة في سبعة مشاريع قرارات قدمت من الاتحاد السوفيتي (٢) وألمانيا (٣) والولايات المتحدة الأمريكية (٤) وقدمت سبع عشر دولة أفريقية أسيوية هي الأخرى مشروع القرار الرابع أطلق عليه مشروع القرار اليوغسلافي الأفريقي الآسيوي (٥)؛ وقدمت عشرون دولة أمريكية لاتينية مشروع القرار الخامس وأطلق عليه مشروع قرار دول أمريكا اللاتينية (٦) ، كذلك تقدمت ست وعشرون دولة أخرى مشروع قرار أطلق عليه مشروع قرار الدول الست العشرين (٧) أما المشروع السابع فكان مشروع قرار الباكستان (٨) .

ومن خلال مشاريع القرارات (٩) هذه وكيفية التصويت عليها تبين

-
- (١) المرجع السابق : وثيقة رقم 519 A/L. بتاريخ ١٩/٦/١٩٦٧ .
 - (٢) المرجع السابق : وثيقة رقم 520 A/L. بتاريخ ٢٥/٦/١٩٦٧ .
 - (٣) المرجع السابق : وثيقة رقم 521 A/L. بتاريخ ٢٦/٦/١٩٦٧ .
 - (٤) المرجع السابق : وثيقة رقم 522 A/L. بتاريخ ٢٨/٦/١٩٦٧ .
 - (٥) المرجع السابق : وثيقة رقم 523 A/L. بتاريخ ٣٠/٦/١٩٦٧ .
 - (٦) المرجع السابق ، وثيقة رقم : A/RES/2252 (ES-V) بتاريخ ٤/٧/١٩٦٧ .
 - (٧) المرجع السابق ، وثيقة رقم 4 A/RES/2253 (ES-V) بتاريخ ٤/٧/١٩٦٧ .
 - (٨) انظر تفصيل هذه المشاريع في : الكتاب السنوي القضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ .
 - (٩) منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية-بيروت ١٩٦٩ ص ١٠٢٤-١٠٢٨ .

للمرء الاتجاهات التي سادت مناقشات الجمعية العامة وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجه الجمعية هي : هل تتخذ الجمعية العامة قرارا بسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها إلى المواقع التي كانت فيها قبل الخامس من يونيو دون قيد أو شرط ، أم هل تأخذ قراراً بحل المشاكل الإسرائيلية العربية ومن بينها مشكلة سحب القوات ؟ والحدير بالملاحظة هنا هو أن جميع المندوبين دون استثناء قد طالبوا بسحب القوات الإسرائيلية ، ولكن بالرغم من هذا ، فإن الجمعية العامة فشلت في اتخاذ قرار يدعو القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب .

ولعل من المستحسن إعطاء فكرة عن أهم الاتجاهات التي ظهرت خلال المناقشات التي دارت في الجمعية . فقد تكلم اليكسي كوسيجين رئيس حكومة الاتحاد السوفيتي فقال : إن مجرد تحقيق وقف لإطلاق النار يشكل نجاحاً مؤكداً للقوى المحبة للسلام ، وفخراً كبيراً لمجلس الأمن الدولي ، حتى وإن أخفق بالقيام بالتزاماته كاملة ، بموجب الميثاق ، وأعلن أيضاً بأن العدوان لا يزال قائماً ، ولا تزال القوات الإسرائيلية تواصل احتلالها لمناطق في سوريا ومصر والأردن . وعادامت القوات الإسرائيلية تحتل أرضاً استولت عليها ، وإذا لم تتخذ إجراءات عاجلة لتصفية آثار العدوان ، فإن الحرب قد تتجدد في أي وقت ، وسيزداد اتساعها ، وقال بأن النظر إلى قضية الشرق الأوسط يجب أن يكون ضمن إطار الوضع العالمي وليس كصدام محلي فقط .

أما أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل ، فقد خاطب الجمعية العامة ودعا إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل والدول العربية ، وتعهد بأن بلاده ستعرض حلولاً دائمة وعادلة تنسجم مع مصالحها وكرامتها ، ثم قال بأن اقتراح العودة بكل شيء إلى ما كان عليه قبل الخامس من يونيو غير مقبول إطلاقاً . وهاجم إيبان الأمين العام يوثانت واتهمه بأنه أخذ قرار سحب قوات الطوارئ الدولية دون أن يستشير مجلس الأمن والجمعية العامة ودون أن يتقيد بالإجراءات التي كان قد وضعها الأمين العام السابق ، (م ٣ - ٤ فلسطين)

همر شلد من قبل ، ودون أن يلتفت إلى الاعتراضات التي قدمها أعضاء مجلس الأمن الدائمين .

وانتقاد أبا إيبان للأمم العام ، حمل هذا الأخير على الرد بعنف ، فقال أنه يرحب بالانتقاد عندما يكون على أساس الواقع ، ولا يطمس الحقائق الأساسية ثم قال بأن إسرائيل ، خلافا لمصر التي وافقت على أن يشكل جنود الأمم المتحدة حاجزا على جانبها من خط الهدنة ، لم تبد مثل هذا التعاون على الرغم من أن قرار الجمعية العامة قبل عشر سنوات كان يهدف إلى إقامة هؤلاء الجنود على جانبي الخط ، وذكر يوثانت أنه قبل أن يتسلم طلب مصر لسحب القوات الدوابة ، وقبل أن يعطى الجواب ، أثار مع مندوب إسرائيل احتمال وضع قوات الأمم المتحدة على الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة ، ولكنه أبلغ بأن هذه الفكرة غير مقبولة إطلاقاً عند إسرائيل . وصرح يوثانت أيضاً بأن الجنود الإسرائيليين طوال عشر سنوات كانوا يقومون بانتظام بأعمال الدورية على جانبهم من خط الهدنة ، وكانوا بين الحين والآخر يقومون بأعمال استنزافية ، وخلص إلى القول بأن الحكومة المصرية لم تقبل إطلاقاً أى تحديد أو تقييم لسيادتها بشأن وجود قوات الطوارئ الدولية في أراضيها .

ثم تكلم آرثر جولدبرج مندوب الولايات المتحدة ، فقال بأن الموقف الأساسي للولايات المتحدة أوضحه الرئيس جونسون في خطابه الذي ألقاه في ١٩ يونيو في مؤتمر للسياسة الخارجية في واشنطن (١) ، وقد قال الرئيس جونسون في خطابه بأن لإسرائيل حقاً أساسياً في الحياة ، ولكن يجب الوقت نفسه أن لا تسمح إسرائيل لنجاحها العسكري بأن يعميها عن أن يلخيرها حقوقاً ومصالح . وقال بأن الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها لتخفيف أزمة الشرق الأوسط هي وضع حد لسباق التسلح في المنطقة ، وبعد أن أيد حل

(١) أنظر مبادئ جونسون الخمسة في ١٩ يوليو ١٩٦٧ في :

« Jasues » Bv U.S.A. Department of Foreign Affairs.

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحق إسرائيل بالمرور بحرية في المياه الدولية قال بأن العودة إلى الوضع الذي كان سائدا قبل الخامس من شهر يونيو لا تشكل علاجاً للسلام ، وإنما تشكل دافعا جديداً لتجدد القتال ، وقد وصف آرثر جولدبرج هذه العودة بـ « روضة طيبة » لاشتعال الحرب من جديد في الشرق الأوسط . ثم رفض مندوب الولايات المتحدة باسم بلاده مشروع القرار السوفيتي وقال أن على الجمعية العامة أن تدعو الدول العربية وإسرائيل إلى العمل معاً لإيجاد سلام مستقر ودائم في الشرق الأوسط . ووصف مشروع القرار الذي تقدم به بأنه يشجع الأطراف المتحاربن على العيش معاً في سلام ، وعلى الحصول على مساعدة دولية لتحقيق ذلك الهدف ، وقد استند مشروع القرار الأمريكي إلى المبادئ الخمسة التي كان قد أعلنها جونسون والتي تلخص في أن لكل دولة في المنطقة حقاً أساسياً في العيش ، وأنه يجب الوصول إلى تسوية لاحقاق الحق بالنسبة إلى اللاجئين ، وأنه يجب احترام حقوق الملاحة كما يجب على جميع الدول أن تتجنب سباق تسلح في الشرق الأوسط ، وأنه من الأهمية بمكان احترام الاستقلال السياسي ووحدة أراضي جميع دول الشرق الأوسط (١).

أما وجهة نظر بريطانيا فقد عرضها وزير خارجيتها جورج براون أمام الجمعية العامة فاقترح إيفاد ممثل للامم المتحدة فوراً ، وعلى مستوى عال ، إلى المنطقة لينظر في إنشاء نوع جديد من الوجود العسكري للامم المتحدة ، وفي تعزيز الجهاز الحالي لمراقبة الهدنة . ثم قال بأنه يرى أن الحرب يجب أن لا تؤدي إلى توسع إقليمي ، وطلب من الحكومة الإسرائيلية أن تتوقف عن اتخاذ أية خطوات بشأن القدس تتعارض مع هذا المبدأ ، وأعلن : « أنني أقول لتلك الحكومة - الإسرائيلية بكل حرية ، أنها إذا كانت تنوى ضم المدينة القديمة أو إصدار تشريع يضمها ، فإنها تتخذ بذلك خطوة ستعزلها عن الرأي العام العالمي » .

ثم عرض جورج براون أربعة مبادئ يجب أخذها بعين الاعتبار في تسوية أزمة الشرق الأوسط :

المبدأ الأول : مشكلة اللاجئين وإغاثتهم ، وهي مشكلة تتطلب جهداً دولياً كبيراً للتخفيف من حادتها ،

المبدأ الثاني : الاعتراف بحق جميع دول المنطقة بالوجود .

المبدأ الثالث : احترام حق حرية المرور البريء في الممرات الدولية لسفن جميع الدول .

المبدأ الرابع : عقد اتفاق بين الدول المصدرة للأسلحة إلى الشرق الأوسط لتحديد الأسلحة المحد من السابق على التسليح في المنطقة .

أما وجهة النظر العربية فقد عرضها الدكتور محمود فوزي مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية في مصر ، فأبلغ الجمعية العامة بأن حكومته تعارض الاقتراح الأمريكي الداعي إلى عقد محادثات بين الدول العربية وإسرائيل بمساعدة فريق ثالث ، ووصف المشروع الأمريكي بأنه يبين المعالجة غير النزيهة وغير المقبولة وغير العادلة من جانب الولايات المتحدة للوضع كله . وقال الدكتور فوزي بأن مشروع القرار السوفيتي الذي يدعو إلى إدانة إسرائيل وسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها خلال القتال الأخير ، هو عادل وبناء . ثم أضاف بأن إسرائيل قامت بالعدوان بينما كان مجلس الأمن يبحث في الوضع ، وبينما كان عدد من كبار المسؤولين المصريين سيصلون إلى واشنطن ، وانتقل الدكتور فوزي بعد ذلك إلى الكلام عن دور أمريكا وبريطانيا في حرب الخامس من يونيو ، فقال أنه قبل وأثناء العدوان كان الأسطول السادس الأمريكي المدجج بشرور ورائحة وكالة الاستخبارات المركزية ، يقف

بصورة منكرة بالسوء ، ليس بالقرب من أماكن المعتادة ، ولكن بالقرب من الشرايط العربية ، واستطرد الدكتور فوزي يقول بأن إسرائيل ارتكبت فظائع تكاد لا تصدق فقد قصفت مستشفى في العريش وقتلت المدنيين كما قصفت مدنا بقنابل النابالم ، وتركت جنودا جرحى ومدنيين يهيمون على وجوههم دون طعام أو ماء في صحراء سيناء (١) .

وتكلم مورييس كوف دومورفيل ، وزير خارجية فرنسا ، فأشار إلى الإطار العالمي للوضع وقال أنه ما دامت الحرب مستمرة في فيتنام فإن احتمالات السلام في الشرق الأوسط ستبقى مقلقة ، ثم ذكر بأن الأمر الواقع بالنسبة إلى الحدود الإقليمية ووضع المواطنين لدى الأطراف المعنيين لا يمكن إعتباره نهائيا ، وبعد أن أشاد بعلاقات فرنسا مع العرب ووصفها بعلاقات علمانية تقوم على أساس إحترام العرب وكرامتهم ، وعلى أساس الإدراك بأن حاجتهم الأولى هي تأكيد شخصيتهم القومية وتنميتهم الاقتصادية والإنسانية ، خلص إلى القول أنه يجب تفادي اللجوء إلى القوة كوسيلة لتسوية الخلافات في الشرق الأوسط ، وأن مشكلة اللاجئين بانت الآن مشكلة إنسانية .

هذه بعض وجهات النظر وبعض المواقف التي ظهرت من خلال مناقشة الجمعية العامة في دورتها الطارئة لازمة الشرق الأوسط حيث انفجرت النشاطات الطنانه في دهايز الأمم المتحدة ، وهي الخاصية التي يتميز بها هذا النوع من الاجتماعات .

وعند التصويت على مشاريع القرارات كانت النتيجة كالآتي :

(١) بالنسبة لمشروع قرار الاتحاد السوفيتي فقد طرح رئيس الجمعية العامة المشروع على التصويت فقررة فقررة ولكنها سقطت جميعها ، لأنها لم

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٠٣١ .

تتل أكثرية الثلثين المطلوبة ، وهكذا اعتبر أن مشروع قرار الاتحاد السوفيتي قد فشل بأكمله .

(ب) بالنسبة لمشروع قرار الولايات المتحدة الأمريكية فقد رأى الوفد الأمريكي عند فشل المشروع السوفيتي أن لا يطلب التصويت على مشروع قراره وهكذا اعتبر أن هذا المشروع قد سحب .

(د) بالنسبة لمشروع القرار اليوغوسلافي الإفريقي الآسيوي فقد فشل أيضا لأنه لم ينل أكثرية الثلثين المطلوبة .

(هـ) بالنسبة لمشروع قرار دول أمريكا اللاتينية فقد فشل أيضا لأنه لم ينل أكثرية الثلثين المطلوبة .

(و) أما مشروع قرار الدول الست والعشرين فقد نجح القرار بأكثرية مائة وستة عشر صوتا واستنكاف دولتين اثنتين هما كوبا وسوريا (١) .

(ز) وعند طرح رئيس الجمعية العامة لمشروع القرار المقدم من باكستان وغينيا وإيران ومالي ونيجر وتركيا والمتعلق بالقدس ، على التصويت ، نجح بأكثرية ٩٩ صوتا ضد لا شيء واستنكاف عشرين دولة عن التصويت (٢) .

وهكذا حققت إسرائيل بليلك لنفسها نصراً دبلوماسياً هاماً حيث أن الأمر لم يقتصر على إبعاد المشاريع التي كانت تخشى إعدامها فحسب ، بل أن المشروع الأخير الذي كانت لها فيه فائدة نال عدداً أكبر من الأصوات وهكذا اختلف الأمر كثيراً عما كان عليه على أثر العدوان الثلاثي منذ عشر سنوات حينما طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ٧٤ صوتاً فقط بانسحاب القوات الإسرائيلية فوراً وبغير قيد أو شرط إلى ما وراء الحدود .

(١) المرجع السابق .

Ibid (٢)

وعلى أثر هذا الفشل قررت الجمعية العامة للأمم أن تمنح نفسها مهلة للتفكير ثم عادت إلى الإنعقاد يوم ١٢ من يوليو ، ولقد كان من نتيجة الحوادث المتكررة التي وقعت على طول قناة السويس ، والتي كانت نتائجها دائماً في غير صالح العرب ، أن اضطر الاتحاد السوفيتي إلى اتباع أسلوب الاعتدال في المناقشات . فاتصل ممثلوه بممثلي الولايات المتحدة وأعد الجانبان معاً مشروع قرار لاستعداداً فيه على وجه التقريب النص الذي اقترحت من قبل الدول اللاتينية الأمريكية ، أي المطالبة بسحب القوات الإسرائيلية إلى القواعد التي انطلقت منها مع نزول العرب . الوقت نفسه عن حالة الحرب .

على أن هذا التعاون بين السوفييت والأمريكيين ، الذي لم تشهد المنظمة الدولية أمثلة كثيرة له من قبل ، لم يؤد لسو الحظ إلى النتيجة المرجوة منه ، إذ أدت المعارضة الصاخبة من جانب العرب ، كما أدت المعارضة الهادئة رغم قوة تأثيرها من جانب إسرائيل إلى التخلي عن هذا المشروع المشترك (١) .

وقد توقفت جلسات الجمعية العامة لمدة أسبوع ابتداء من يوم ٥ يوليو . وعادت إلى الإنعقاد يوم ١٢ يوليو حيث استمعت إلى تقرير من السكرتير العام عن مدى تنفيذ القرارات السابق ذكرها .

ولم يكن التقرير يحتوي إلا على خطاب وصل إلى يوثانت من أبا إيبان يوضح فيه أن حكومته لا تنسى إلغاء الإجراءات التي اتخذتها بشأن القدس ، وفي يوم ٢١ يوليو اتخذ قرار بأن بخصوص القدس بأسف لفشل إسرائيل في تنفيذ القرار الأول ويطالبها مرة أخرى بإلغاء جميع الإجراءات التي سبق اتخاذها والإمتناع عن القيام بأي عمل من شأنه تغيير وضع القدس .

واتخذت الجمعية في اليوم نفسه أيضاً (٢١ يوليو) قراراً لإجرائياً
بتحويل المسألة مرة أخرى إلى مجلس الأمن .

وفي هذه الأثناء أوضحت إسرائيل مراراً - خلال بيانات عديدة
لقادتها - أنها لا تفكر قط في قبول أى من قرارات الأمم المتحدة .
وقد بلغ الصلف الاسرائيلي تجاه جهود الأمم المتحدة ، للمحافظة على
مظهر حكم القانون في المجتمع الدولي ؛ الحذر الذي جعل أبا إيمان وزير
خارجية إسرائيل يقول أنه حتى لو قرر ١٢١ عضواً من الأعضاء
ال ١٢٢ في الأمم المتحدة أن تخلي إسرائيل القدس فأنتنا لن نفعل ٩
وقد أكدت البيانات التالية لقادة إسرائيل - الخوف من أن إسرائيل
لا تريد الاحتفاظ بالقدس فقط بل بجميع المناطق التي إحتلتها أثناء حرب
يونيو ، وبمعنى آخر فقد أصبح واضحاً أن إسرائيل لن تقبل أقل من
رطلها من اللحم (١) المتمثل في جميع المناطق التي إحتلتها في حرب
عام ١٩٦٧ ومزيداً من الحقوق في قبة السويس وخليج العقبة مع نبذ
الدول العربية لمطالب اللاجئين الفلسطينيين .

ولما صدم بعض أصدقاء إسرائيل المخلصين بعجزها أضرطر بعضهم
مثل المعلق الأمريكي المشهور جوزيف السوب إلى إعادة النظر في سياسة
الرعاية والتشجيع التي دأبت عليها حكوماتهم داخل إسرائيل . ولقد كتب
« السوب » في صحيفة « هيرالد تريبيون » يقول : « أن إسرائيل بأعمالها المتدرجة
من موقف عدم المطالبة بأى أرض جديدة إلى موقف المطالبة بالقدس ثم
المطالبة بتعديل ضئيل في الحدود الأردنية ثم المطالبة بحدود آمنة مع الأردن -
إسرائيل بهذا تكون قد ذهبت بعيداً جداً وسريعاً جداً » .

واستمر « السوب » يقول : أن مجرد إتفاق رسمي مع العرب على

(١) تعني بذلك الإشارة إلى حكاية رطل اللحم في رواية تاجر البندقية لشكسبير .

« الباحث »

عدم العدوان والحصول على ضمانات بخصوص مسائل كالملاحاة في مضائق
تبران - وقناة السويس - لم يعد يرضى الإسرائيليون . . . أن زعماء
إسرائيل لا يستسيغون التفكير في مشكلة لإحتواء أمبراطوريتهم الحديدية على
مليون آخر من العرب بالإضافة إلى الثلاثمائة ألف الذين لديهم والذين
يستطيعون طردهم (١) » ، كذلك تسببت نزعة لإسرائيل العدوانية في وقوع

تغيير ملحوظ في موقف الحكومة الفرنسية ومن ثم إلى حدوث إنشقاق
كبير في السياسة الغربية تجاه الشرق الأوسط وهي السياسة التي كانت
حتى ذلك الحين سياسة موحدة على أية حال .

وكان الرئيس شارل ديغول قد حذر لإسرائيل مرارا من محاولة الحصول
على مكاسب نتيجة للعدوان حيث قال : « بالنسبة للحكومة الفرنسية فإنه
واضح جدا أن الأمر الواقع لا يمكن أن يعتبر نهائيا سواء فيما يخص بالحدود
أو بأوضاع مواطني الدول المعنية (٢) » ،

وفي الأمم المتحدة أحس يوثانت بخيبة مساعية في اقناع إسرائيل بقبول
أقل قدر ممكن من القواعد التي تحكم سلوك أعضاء المجتمع الدولي ، وانفض
اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في يوم ٢١ يوليو بعد أن أحوالت الموضوع
برمته إلى مجلس الأمن . وكان في ذلك - من قبلها - دليل على عجزها قلما
شوهه له ميشال من قبل (٣) ،

ضمهم مدينة القدس وردود الفصل :

بمجرد أن تم إحتلال مدينة القدس اندفع اليهود من جميع أنحاء إسرائيل
زرافات ووحدانا إلى المدينة العتيقة ، ولما وصل وزير الدفاع الإسرائيلي إلى

« Heral Tribune », Paris 13-9-1967.

(١)

« Guardian », London 22-6-1967.

(٢)

Àleum : Juifs et Arabes, op. cit. p. 442.

(٣)

حائط المبكى في السابع من يونيو أعاد الصليحة الصهيونية يقر له « الحائط لنا » وبعد أيام قرئت لوحة كتبت على الجدران « بيت كنيسيت » - أى أصبح معبدًا .

ويرى بعض الباحثين (١) أن غزو إسرائيل للقطاع العربي من القدس وبقية الضفة الغربية في يونيو ١٩٦٧ - ربما لم يكن ليحدث أبدا لولا الذريعة التي أعطتها المدفعية الأردنية صليحة الخامس من يونيو ، ومن جهة أخرى يبدو واضحا أن الحكومة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي ، ما أن أتاح لهما القصف الأردني تلك الفرصة حتى استبدت بهما الرغبة الشديدة لإغتنامها إلى أقصى درجة ممكنة .

ويقال (٢) أنه في اعتاب الغارات الجوية الإسرائيلية الأولى ضد مصر صليحة الخامس من يونيو ؛ اتصل رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفى اشكول مع الملك حسين عن طريق هيئة الرقابة الدولية ، متعهدا بأن إسرائيل لن تكون البادئة في أشغال الاشتباكات ولدى تسلم حسين الرسالة كان إطلاق النار من أسلحة صغيرة قد بدأ ، لتقوم المدفعية الأردنية بعد ذلك في زمن قصير بفتح نيرانها على القدس الإسرائيلية وعلى منطقة تل أبيب ، وكأنها بذلك تشير إلى رد الملك حسين ، أن تركيز القوات الإسرائيلية الرئيسية على الجبهة المصرية وعدم التأكد مما سوف يحدث هناك كان من شأنه أصلا أن يجعل القادة العسكرية الإسرائيلية حريصة على عدم التورط مع الأردن .

وتبعًا لما ورد في تقارير الصحفيين ، لاسيما الكلام (٣) الذي نقله الأخوان

Churchill, Ranolph and Winston S. The Six day war, (١)
Boston, 1967, p. 127.

Ben Ellissar, Ilahu aad Schiff, zeev : Le Guerre (٢)
Israelo Arabe, op. cit. pp. 130-183.

Churchill, Randolph S. and Winston S. The Sixday (٣)
War, op. cit. p. 128.

تشرشل عن فكرة الجنرال الإسرائيلي عوزي ناركيس فإن هيئة الأركان العامة الإسرائيلية وضعت قوات محدودة جداً تحت أمره ناركيس ولم تسمح له بعبور خطوط الهدنة حتى بعد ظهر الخامس من يونيو، أى عقب مضي ساعات على بدء القصف الإردني وبعد التأكد من نجاح الهجوم الجوي على مصر .

أن أحدى الكنيستين من المظليين الذين اجتاحتهم المدينة القديمة في السابع من يونيو كانت معدة أصلاً لانزال نجوى في سيناء .

ولئن كان الرأي العام الإسرائيلي في البداية لا يتوقع القتال في القدس فمن المؤكد أنه ما كان ليعوز الرأي العام الإسرائيلي الحماس للعملية بحذاتها، فلم تكذ تسقط القنابل الإردنية الأولى بعد الساعة التاسعة صباحاً بقليل ، حتى نقل على اسان الجنرال ناركيس الهاتف التالى موجهاً إلى المحافظ تبنى كوليك : « ليس مستبعداً أنك سوف تصبح محافظاً القدس الموحدة (١) » .

وعندما أقدم الجنرال حاييم بارليف نائب رئيس الإركان بتحويل الجنرال جور نهائياً لصلاحيه الهجوم على المدينة القديمة يوم السابع من يونيو، قال بارليف مايلي :

« هناك ضغوط علينا لاييقاف إطلاق النار . وصلنا إلى القناة ، نقطع المصريين أرباً أرباً — لاندع المدينة القديمة باقية كرقعة معزولة وسط أراضينا (٢) » .

ولقد صرحت مصادر موثوقة لدى الحكومة الأمريكية بصورة شفوية أنه عند الساعة الثانية من فجر ٦ يونيو — عندما كان الإندفاع الإسرائيلي الرئيسى نحو الأراضي الأردنية في بدايته الأولى — طلب الملك حسين إلى الولايات المتحدة أن تحاول الحصول على تعهد من إسرائيل بوقف إطلاق

Ibid. d. 136.

(١)

Ibid p. 138.

(٢)

النار - وكأنه يدعن لنداء أشكول في اليوم السابق ، غير أن أشكول رفض هذه المرة بقوله ، « أن إسرائيل لمصلحة لها في بقاء عرش الحسين » (١) .

وهكذا تابع الإسرائيليون تقدمهم دون أى رادع أو وازع لاحتلال ما أمكنهم احتلاله من الأراضي الأردنية - وفي طليعتها البارزة ، القدس العربية ، ومع النجاح الصاعق الذى أحرزته إسرائيل في مصر ، لم يعد الأردنيون يشكلون خطرا استراتيجيا ، ثم مع توسل الملك حسين بطلب وقف إطلاق النار فلنهم ماعدوا - يشكلون حتى خطر اقلاق راحة الأمن . بيد أن اعتبارات أخرى أخذت تلعب دورها ، وانعكس الأمر في التصريح الذى أدلى به الجنرال ناركيس عند منتصف ليل ٥ - ٦ يونيو الحاخام الأكبر للجيش الأسرائيلي الجنرال جورين ، قائلا : « إن رجالك يصنعون التاريخ - وما يجرى الآن في سيناء هو لاشئ بالنسبة لهذا الأمر » . ولقد فهم ناركيس الموضوع فنصح جورين بتهئية بوقه - المكون من قرن الحمل : الشوفار (Shofar) - وحالما وصلت القوات الإسرائيلية إلى حائط المبكى (البراق) في صبيحة السابع من يونيو ، تجمع هناك نفر من الزعماء الإسرائيليين وترأس الصلوات الحاخام جورين .

وهكذا بدأت النتيجة الاشد مغزى في عقول ومشاعر الإسرائيليين واليهود الآخرين - ليست قابعة في القدس (١) .

ومنذ يونيو ١٩٦٧ كان الاهتمام الرئيسى للحكومة الإسرائيلية يتجه نحو التأكيد على إدعاءاتها في السيطرة على القدس العربية سيطرة دائمة وتامة ، فقد تعرضت المدينة لأعمال القتل والإعتقال والتدمير والنهب مما

(١) Ben Elissar, Ilahu and Schiff, Zeev : La Guerre
Israelo-Arabe, op. cit. pp. 184-185.

(٢) مما تجدر ملاحظاته هنا موضوع كتاب والتر لاكور : الطريق إلى القدس
(The Road to Jerusalem)=

أدى إلى نزوح -حوالى خمسة آلاف- من المدنيين معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين سابقاً . وكان الإجراء الثانى لتسهيل عملية تهويد القدس هو سلسلة من أعمال الهدم ونسف الأملاك العربية داخل السور وخارجة بدأت فى ١١/٦/١٩٦٧ - أى بعد الاحتلال بأربعة أيام فقط ، وفى أقل من أسبوع أزيل من الوجود العربى ١٣٥ داراً فى حى المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصاً ، ومسجدان فى ذات الحى ، ومصنع للبلاستيك قرب حى الأرمن كان يعمل به ٢٠٠ عامل وعاملة يضاف إلى ذلك ما يقرب من ٢٠٠ منزل فى المناطق الحرام ، كما نسف الجيش الإسرائيلى ١٤ داراً بحجة الانتقام من أعمال المقاومة : ١٤ داراً بحجة توسيع وكشف إمتداد الحائط الغربى للحرم الشريف الذى يسمونه المبكى ، وكان من نتيجة الهدم والتدمير والنسف تشريد ما يقرب من ألف شخص آخرين من سكان القدس .

وقد وضح الآن أن الهدف هو تهويد القدس تماماً ، لكن المتطلبات التكتيكية لتحقيقه تنوعت ، فقد أرسى الإطار القانونى والإدارى للسياسة الإسرائيلية فى يومى ٢٧ ، ٢٨ يونيو ١٩٦٧ - أى بعد مرور ثلاثة أسابيع تقريباً على قيام القوات الإسرائيلية بعبور خطوط الهدنة إلى القدس وفى ٢٧ يونيو استصدر الكنيست قانوناً على شكل إضافة فقرة إلى قانون إسرائيل اسمه قانون الإدارة بالنظام لسنة ١٩٤٨ وقد خولت تلك الفقرة حكومة إسرائيل ضم القدس إلى أرض إسرائيل وتخويل وزير الداخلية صلاحية إعلان التوسيع فى الحدود البلدية ، وتطبيق السيادة القانونية والإدارية التى يسرى مفعولها فى إسرائيل نفسها على أقسام معينة من المناطق المحتلة . وفى اليوم التالى بادر وزير الداخلية إلى إتخاذ مثل هذه الخطوة بالنسبة للقدس العربية والمناطق المحيطة بها مما أدى إلى دمجها تحت إدارة محافظة المدينة اليهودية تيدى كوليك .

= الصادر بنىويورك عام ١٩٦٨ ، إن محتويات هذا الكتاب تركز بصورة كلية تقريباً على تصاعد أزمة مايو بين إسرائيل ومصر وتطورات تلك الأزمة لكن دخول إسرائيل للقدس العربية لا يجرى بحثه إطلاقاً .

وفي نفس اليوم (٢٨ يونيو ١٩٦٧) اصدر سكرتير حكومة إسرائيل أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أعلن فيه أن مساحة أرض إسرائيل المشمولة في الجدول الملحق بالأمر هي خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيلية ، ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس التي تقع تحت الحكم الإداري العربي وهي تقع ما بين المطار وقرية قلندية شمالاً وحدود الهدنة غرباً وقرى صور باهت وبيت صفاغا جنوباً ، وقرى الطور العسوية وعنانا والرام شرقاً ويقطعها حوالى مائة ألف من السكان العرب .

وفي اليوم التالي اصدر جيش الدفاع الإسرائيلي أمراً يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربي المنتخب من سكان القدس وبطرد أمين القدس السيد روجي الخطيب من عمله وبالحاق موظفي وعمال أمانة المجلس ببلدية القسم المحتل من للمدينة .

وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة ، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية (١) وأثاثها وأجهزتها وسجلاتها وألحقها بدوائرها ومحاكمها وبلدياتها الإسرائيلية وألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية وفرضت بالقوة جهازاً عسكرياً إسرائيلياً واخضعت جميع السكان العرب لسلطته وجبروته .

وقد اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الإجراءات التي هي من طرف واحد ، وأشارت الحكومة الأردنية إلى أنه بموجب القانون الدولي للحروب والذي عبر عنه ميثاق لاهاى فى ١٩٠٧ ينبغي لسلطات الاحتلال أن تلتزم بالحفاظ على التركيب القانونى

(١) المرجع السابق .

والإدارى القائم في المناطق المحتلة ، وهذا ما فعلته إسرائيل في المناطق الأخرى من الضفة الغربية - وأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة وجهة نظر الأردن في قرارين جرى إتخاذهما دون معارضة في يومى ٤ ، ١٤ يوليو ١٩٦٧ على التوالي واعتبرت جميع إجراءات إسرائيل باطلة وطالبتها بالغاءها والعدول فوراً عن إتخاذ أى عمل من شأنه تغيير الوضع القانونى للقدس من جانب واحد (١).

وقد أجابت إسرائيل بالصلف والتحدى نفسيهما ، فلم تقتصر عن الاستمرار في إتخاذ خطوات لإدماج القدس بشكل تام ونهائى بل أعلنت صراحة أنها لا تنوى الاضغاء إل أى نداء من الضمير العالمى وحتى قبل صدور قرارات الأمم المتحدة أعلن أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل في حديث مع صحيفة جيزورالزم بوست « أنه حتى أوصوت ١٢١ عضواً من أعضاء الأمم المتحدة على انسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل الحرب فإن إسرائيل سترفض ذلك القرار (٢) » .

وبالفعل فقد سارعت السلطات الإسرائيلية إلى تطبيق قانون أموال الغائبين العرب على القسم المحتل الجديد ، وفتحت فيما بعد مكاتب حكومية لها بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة تخص هؤلاء الغائبين ، وبموجب هذه العملية الجديدة وضعت سلطات إسرائيل يدها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من أراضي وأماكن ، كما حجزت ما وصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم شركات تخص أولئك الغائبين وتحول كل ذلك إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل .

(١) أنظر نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بالقدس في ٤ يوليو سنة ١٩٦٧ ، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بالقدس أيضاً في ١٤ يوليو سنة ١٩٦٨ في : ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ١٥٦٥-١٥٦٧ .

Jerusalem Post ، Jerusalem 18-6-1967.

كذلك سارعت سلطات الاحتلال بوضع أيديها فيما بعد على جميع المدارس الحكومية وأعلنت اختصاصها لبرامج التعليم المطبقة في المدارس العربية في المنطقة المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد رفض مدير التربية ومساعدوه والجهاز التعليمي التعاون مع السلطات الإسرائيلية لأنهم كانوا يرون في تنفيذ برامج التعليم الإسرائيلية التفسير بقبولهم عملية ضم القدس لإسرائيل ، وكان رد سلطات الاحتلال الإسرائيلية هو اعتقال المدير ومساعديه وسجن كل منهم ثلاثة أشهر .

ولاحكام عملية الضم والتهويد أقامت سلطات الاحتلال منذ الأيام الأولى لهذا الاحتلال عدداً من مراكز الحدود العسكرية والبوليسية والبحرية على الطرق والمنازل التي تربط بين القدس والمدن والقرى العربية الملاصقة لها واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى يقتضى الوصول إليها والخروج منها الحصول على تصريح عسكري .

وفيما بعد قامت السلطات الإسرائيلية بتهويد الاقتصاد والنقضاء وعمل هويات إسرائيلية بدلاً من تلك الهويات العربية للسكان العرب (١) ، وهناك أنباء عن أن الإسرائيليين أقدموا على إستخدام المقبرة الإسلامية في عين كارم كمرحاض (٢) ، ومن الغريب أن الإسرائيليين قد بذلوا جهداً عظيماً لتغليب صيغة عملهم بعبارات فنية تختلف عن عبارات الضم الصريح ، على أن النتيجة العملية لم تبدل فعلاً فقد تحاشوا إستخدام الفاظ من طراز « الضم » و « الامتداد الإقليمي » و « السيادة » وتحدثوا في البديل عن « إعادة توحيد المدينة » وعن توسيع نطاق الصلاحيات الإدارية لمحافظة المدينة الإسرائيلية .

أى القدس الشرقية ، كما يسمونها الآن وهي « تؤلف جزءاً متكاملًا من مدينة

(١) المرجع السابق .

(٢) هذه الواقعة وغيرها من الحالات هي التي ذكرها إيفان م. ويلسون ، القنصل العام للولايات المتحدة مابقاً في القدس .

إسرائيلية موحدة ، اكن الأمر الذى لم يتضح تماما هو ما إذا كانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل بالذات .

فهل يكون السكان العرب فى القدس الشرقية من المواطنين الإسرائيليين ، وهل يجب عليهم التخلي عن مواظنتهم الأردنية ؟ أيجوز لهم الاقتراع فى الانتخابات الإسرائيلية العامة ، وهل يستطيعون السفر إلى الخارج بجوازات إسرائيلية ؟ وهل يحق لهم المطالبة باملاك فى إسرائيل فقدوها عام ١٩٤٨ طالما أنهم ما عادوا من الغائبين » .

ولاشك أن الأجوبة على جميع هذه الأسئلة هو بالنفى . والأسباب الكاثنة وراء هذا الالتباس الفنى هى بديهية ، فالحكومة الإسرائيلية من جهة ، لم ترغب فى إضاعة أى وقت قبل إقامة دمج القدس العربية كأمر واقع ، لكى تجعل هذا الأمر بمنأى عن المباحثات الدولية وقبل أن يتسنى للضغوط الدبلوماسية أن تتكاثر .

ومن جهة أخرى ، أرادت إسرائيل أن تتجنب الوقوع فى وضع من الانتهاك الصريح والمباشر للقانون الدولى ، فلم ترغب فى أحداث ثغرة بالنسبة لصدق أهتمامها المعلن فى التفاوض على السلام مع الأردن ، بأن تبادر إلى إغلاق الباب بعنف أمام أنظار الرأى العام العالمى كله ، فالسيطرة الإسرائيلية على القدس الشرقية يجرى إعلانها غير قابلة للتفاوض ، أما الإطار القانونى الدقيق لتلك السيطرة فيبقى نظرياً على الأقل خاضعاً لنزع من التسوية التى تحفظ للأردنيين كرامتهم ، وحتى إذا ما وافقوا على مقاضات صلح كامل ، وبذلك تستطيع إسرائيل المضى فى إدعائها المعلن ، كما قد يعضى البعض فى تصديقها بأن « جل ما تريده إسرائيل هو السلام »

وفى تلك الأثناء وعلى صعيد الفعل العملى فى القدس بالذات ، أظهرت السياسة الإسرائيلية الخليط لياه : فى تنفيذ الأمر الواقع من جهة والاتيان — (م ٤٤ — فلسطين)

جباذرات تم عن الاعتدال بين الحين والآخر من شأنها الخيلولة دون عرقلة هذا الأمر الواقع من جهة ثانية (١) .

فقد تدفق الإسرائيليون على المدينة القديمة بالآلاف للتسوق والتفرج على الأماكن وزيارة الحائط وبقايا الحى اليهودى القديم ، بالإضافة إلى إقامة الاتصالات مع السكان المعادين ، ثم أفتتح القطاع اليهودى فى تلك الأثناء بوجه للعرب وأحيطت فكرة « إعادة التوحيد » بهالة من الدعاية الواسعة ، وكذلك مسألة الإنصال الودى بين العرب اليهود على شاكلته أبناء العمومة الذين التقوا بعد طول ضياع .

ومع إتمام شكليات «توحيد البلدى ، تلت خطوات أخرى ، فالموظفون الإداريون فى القطاع الأردنى من المدينة ، من ذوى الدرجات والرتب التى تأتى دون العليا ، جرى إدماجها فى بيروقراطية المدينة الإسرائيلية ، والخدمات الإجتماعية الإسرائيلية وشبكات المياه والهاتف والكهرباء . . . الخ ، جرى إيصالها وتمديدتها إلى القطاع العربى ، ثم كان حل مجلس بلدية القدس العربية ودعوة أعضائه لاتخاذ مقاعدتهم فى المجلس الإسرائيلى الأوسع بكثير ، (رفضوا - العرب - التجاوب مع هذه الدعوة بالطبع) والمدارس العربية وضعت فى المنزل نفسها كمدارس الإسرائيلى ، ثم أخضعت لمناهج وزارة التربية الإسرائيلية وأنظمتها الأخرى واقتصاد الضفة الغربية فصل منه اقتصاد القدس الشرقية لكى يربط باقتصاد إسرائيل وخضع عرب القدس للضرائب الإسرائيلية والأنظمة التجارية النافذة فى إسرائيل ، كما حلت العملة الإسرائيلية محل الأردنية ، وأغلقت المصارف الأردنية لكى يصار إلى افتتاح فروع للبنوك الإسرائيلية ، ثم جرى إخضاع التجارة مع الضفة الغربية وحصرها بقيود الاستيراد ، بينما أصبحت التجارة داخل إسرائيل

(١) مالكولم هـ. كير : الوضع السياسى المتغير للقدس فى : دكتور إبراهيم أبولند نهود فلسطين ، مرجع سابق ص ٣٨٤ .

مفتوحة السبيل ، وأنزمت أصحاب المهن بالحصول على رخص لإسرائيلية لمزاولة أعمالهم والتقييد بالأنظمة السائدة في إسرائيل فصار هذا الأمر بالنسبة للمحامين يعني إكتساب المقدرة على تعلم اللغة العبرية بطلاقة ، أما بيوت وأمالك بعض العرب الذين هربوا أو تغيّبوا أثناء القتال فقد تم وضعها تحت سيطرة الحارس الإسرائيلي لأمالك الغائبين :

وتبعث ذلك تغييرات أخرى ، فهناك مدرسة إسلامية للبنات في المدينة القديمة أصبحت مقرا للمحكمة الحاخامية العليا ، ومستشفى أصبح مركزا للشرطة الإسرائيلية (١) وقد عمد الإسرائيليون أيضاً إلى نزع ملكية ٨٣٨ أكر من الأراضي الأردنية سابقا ثم بادروا عقب ذلك بوقت قصير إلى إعلان خطط ترمي تطويعها من جديد ، ومن جملة هذا التطوير إسكان أعداد كبيرة من المقيمين اليهود ، أن قسما من هذه المساحة كان يشمل الحى اليهودى قبل عام ١٩٤٨ داخل المدينة القديمة والقسم الأكبر منها شمل أراضى تبعد عن الحى إلى الشمال وتقع بين المدينة اليهودية القديمة وجبل سكويس فأصبح توزيع حقوق ملكية هذه الأراضى موضوعا للجدل في الأمم المتحدة بين مندوبى الأردن وإسرائيل (٢) .

وقد تبدو هذه الإجراءات كلها غير ملتبسة في تصميمها وتأثيرها . ألا وهو : توطيد دعائم الوجود الإسرائيلي في القدس العربية وجعلها نظاميا بحيث لا يعود مستندا إلى مجرد احتلال عسكري وإلى إدعاء دبلوماسى مشكوك

(١) مالكولم ه. كير ، مرجع سابق ص ٣٨٥ .

(٢) يقول الأردنيون أنه من أصل مجموع مساحة هذه الأراضى والعقارات هناك ٩١٪ تعود ملكيتها إلى الأفراد العرب والمؤسسات العربية ، ٨٪ من الأمالك العامة ، بينما ١٪ فقط كان يملكه اليهود ، وحتى الأرض في الحى اليهودى القديم كانت ملكيتها تعود دوماً للعرب ، أما الإسرائيليون فنعموا أن ثلث مجموعة المساحة هو ملك للعرب والثلث من أمالك الدولة بينما تعود ملكية الثلث المتبقى إلى اليهود : أنظر تفصيل ذلك في جلسة مجلس الأمن في ٣ مايو ١٩٦٨

في : U. N. Monthly Chronicle, V. Juine 1968 pp. 8-15.

فيه لكن الإدارة الإسرائيلية رأت من الأفضل مصالحه الرأى العام العربى مع الترتيبات الجديدة وتحاشى ردود الفعل القابلة للانفجار وعلى سبيل المثال فإن معدلات الضرائب الإسرائيلية التى صدرت مراسيمها عقب الضم كانت ستبدو مرهقة للغاية فيما لو جرى تطبيقها بحذافيرها ؛ بينما جاء تنفيذها على الصعيد العملى إلى حد جزئى فقط ، وعلى نحو مماثل فقد أثرت المخاوف لدى المسلمين منذ البداية بشأن قداسة مقاماتهم الدينيه وحرمان مساجدهم من إجراء التصرفات غير اللائقة التى صدرت عن بعض الإسرائيليين فى أعقاب الحرب بزمان قصير ومنها الاساءة البالغة إلى المشاعر الإسلامية التى بدت من الجنرال جورين الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلى بإقامة الصلوات بجوار الحرم الشريف مباشرة وهو ملاصق لقبة الصخرة ، وبحديثه عن بناء هيكل هناك ولقد احتج الزعماء المسلمون على دخول الجمهور الإسرائيلى بصورة غير محتشمة ؛ ولامبالية إلى المساجد خلال أوقات الصلاة ؛ فالمؤسسات الإسلامية وضعت فى البداية تحت سلطة وزارة الشؤون الدينية فى إسرائيل وهى الوزارة التى يقوم على رأسها عضو الحزب القومى الدينى زيراح فاوهفتيخ ، ثم جرى نقلها فى وقت لاحق لسلطة وزارة الداخلية .

وقد أثر الضم تأثيرا بالغ السوء على السكان الأصليين فى القدس وهو ما انعكس على الصعوبات الاقتصادية التى عانى منها عرب القدس مثل خسارة الأعمال واغلاق البنوك العربية وقطع المبادلات مع الضفة الشرقية الأردنية والدول العربية الأخرى والأسعار المرتفعة التى تسود فى إسرائيل والضرائب المرتفعة وضباب مجالات الإستخدام أمام أصحاب المهن ، فالى أى مدى كانت السياسة الإسرائيلية مرسومة بالفعل بقصد مناقشة بعض هذه المشكلات أو التقليل من حدتها ؟ هذه مسألة رجعت إلى خلاف فى الرأى ، وقد نشأت حالات عديدة من الدعاوى المتصلة بمحلات أعمال عربية تكبدت ضرائب على السلع الموجودة لديها إلى درجة توازى المصادرة ؛ وعن وكالات ومكاتب السفر العربية التى توقفت أعمالها بسبب المنافسة الإسرائيلية المدبرة وهلم جرا ، وذكر أصحاب المهن من العرب والذين ينتمون إلى فئات الدخل العليا من المثقفين ثقافة رفيعة

أن هناك سياسة إسرائيلية تهدف إلى تشجيعهم على مغادرة القدس بغية حرمان السكان العرب من قياداتهم التجارية والاجتماعية إلى جانب الزعامة السياسية .

كما لوحظ أنه من بين ١٤٠٠ نازح أو حوالى ذلك من النازحين العرب عام ١٩٦٧ والذين أعيدوا لاحقاً في الصيف إلى الضفة الغربية ؛ كانت قلة ضئيلة جداً من سكان القدس ، مما يقى على إقصاء ٨ أو ١٠ ٪ من سكان القدس العرب الذين غادروا المدينة أو كانوا بعينين عنها أثناء القتال ، لذا كان من الطبيعي للعرب الاشتباه ، وهم بالتأكيد مصيبون في ذلك - بأن الاسرائيليين يتطلعون بسرور إلى الاستمرار في هذا النزوح (١) .

وثمة شيء واحد لم يتساهل نحوه الاسرائيليون في ظل شكل توحيدهم للمدينة ، وهو وجود زعامة سياسية للعرب ، لمنظمة وقائمة بذاتها ، فحل المجلس البلدى في أمارة القدس العربية وتسريح أمين المدينة (المحافظ) من منصبه ، ثم رفض أعضاء المجلس أن يشغلوا المقاعد التي عرضها الاسرائيليون عليهم في المجلس الموحد - كل هذا ترك الجماعة العربية في المدينة دون أية بذية سياسية معترف بها ، وعقب بضعة أسابيع على الضم قامت فئة من الأعيان تضم الأمن السابق لمدينة القدس وروحى الخطيب ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية عبد الحميد السائح بتشكيل هيئة اتخذت لنفسها صفة التحدث باسم عرب المدينة ، فاحتجت الهيئة المذكورة بشدة ضد إجراءات الضم الاسرائيلية ونظمت إضراباً ليوم واحد ، لكن سلطات الاحتلال عملت إلى ترحيل روحى الخطيب والشيخ عبد الحميد السائح وأثنين غيرهما بينما عومل نفر من المضربين بصورة عنيفة على يد الاسرائيليين ؛

كذلك عمد الاسرائيليون إلى حصر إجراءات الأمن في القطاع العربي

(١) مالكولم هـ. كيرنى : تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ٣٨٦ .

فقط لقمع مسيرات الإحتجاج والإضرابات والصدامات بين المواطنين العرب والإسرائيليين (١) .

ولم يهتم الإسرائيليون بتوضيح سلطاتهم الكاملة على الجماعة العربية في القدس فحسب ، بل لقد بذلوا جهداً ، لأسباب مختلفة بغية إستبعاد أى دور تدعيه الأمم المتحدة وهيئة الرقابة التابعة لها ، بدليل الأحداث التى وقعت فى مقر هيئة الرقابة الدولية أثناء حرب يونيو وبعدها فالقوات الأردنية يوم الخامس من يونيو إحتلت لفترة قصيرة الموقع المحيط بدار الحكومة ، خارقة بذلك وضعها المجرّد من السلاح ، حتى جاءت قوات الجيش الاسرائيلى لتطردها من هناك ، واقتحمت القوات الإسرائيلية مبنى الحكومة بالقوة ، لكى تحتجز كبير المراقبين ، أودبول ، ومساعديه وتنقلهم فيما بعد تحت الحراسة إلى المنطقة الاسرائيلية حيث سمح لهم بإنشاء مقر مؤقت ، وأمضى الجنرال أودبول والأمين العام للأمم المتحدة يوثانت الشهرين التاليين فى محاولة التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية لإرجاع الأملاك إلى سلطة الأمم المتحدة ، فنجحوا بعد لاي فى أغسطس ١٩٦٧ بالحصول على المنى وجزء يسير من الأراضى المحيطة به ، غير أن المدة الفاصلة أتاحت أمام السلطات الإسرائيلية فرصة كافية لنهب الملفات السرية داخل المقر وتصويرها ، ومن المفترض مثلاً أنها تحتوى على وقائع مباحثات سرية بين يوثانت وعبد الناصر (٢) .

كذلك فقد قوبلت الخطوات التى كانت الحكومة الاسرائيلية قد اتخذتها فى يومى ٢٧ ، ٢٨ يونيو باستنكار صريح ، وقد أثار هذا نقاشاً هاماً أمام

(١) للاطلاع على دراسة ممتازة للمواقف والظروف السائدة بين عرب القدس بعد انقضاء الحرب يرجع إلى :

Michael G. Hudson. « A city Still Divided » Mid-East, VIII, (September, 1968), pp. 20-25.

(٢) مال كولم ه. كبير ، مرصع سابق ص ٣٨٧ .

الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت في النهاية باجماع يكاد يكون كاملا - ٩٩ صوتا ضد لا شيء وامتناع عشرين صوتا ، ثم أدى رفض إسرائيل للقرار إلى التأكيد عليه مجدداً من جانب الجمعية العامة في قرار ثان بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٧

وجاءت ردود الفعل العالمية تعارض صراحة ما اتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس ، فبالرغم من أن الولايات المتحدة ذاتها كانت تؤيد إسرائيل تماما في عدوانها ، فقد امتنعت عن التصويت على هذين القرارين الصادرين عن الجمعية العامة وأيضا على قرار مجلس الأمن وأعلن ممثلها في الأمم المتحدة جولد بروج أن هذا الامتناع ليس له من سبب غير صياغة القرار وأن حكومته سبق لها أن بنيت موقفها في مسألة القدس وأبدت لإنشغالها الجدى بها ، ولكن هذا الوضع الأمريكي السابق الذي أشار إليه جولد بروج كان في صالح تأميم مدينة القدس وفضلا عن هذا فقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية معارضتها صراحة لما اتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس (١) فعقب إجراءات الضم مباشرة أشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى ما أقدمت عليه إسرائيل من « خطوة إدارية متسعة » وأعلنت أن « الولايات المتحدة لم تعترف أبدا بمثل تلك الإجراءات من طرف واحد والمتخذة من جانب أية دولة في المنطقة على اعتبار أنها إجراءات تتحكم بالوضع الدولي للقدس (٢) .

وصرح المبعوث الأمريكي جولد بروج أيضا أمام الجمعية العامة في ١٤ يوليو بما يلي « نحن نصر على أن الإجراءات المتخذة لا يمكن اعتبارها غير إجراءات لفترة فاصلة ومؤقتة ، ولا يجوز لها استباق الأمور والتأثير في الوضع الهائى والدائم للقدس » ، بيد أن جولد بروج في شرحه لامتناع وفد

Le Monde, Paris, 30-7-1967.

(١)

Department of state, Bulletin, Le VII, 1967, p. 60.

(٢)

يلاده عن التصويت تابع قوله على سبيل التضمين بأن إجراءات إسرائيل يمكن القبول بها حقاً كإجراءات مؤقتة فحسب ، وليس بمثابة ضم صريح (١) .

وكان من شأن قرار الأمم المتحدة بإلغاء كافة الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل وبالامتناع عن أى عمل يكون من شأنه تغيير الوضع القائم في مدينة القدس ، كان من شأن ذلك أن طلب من سكرتير عام الأمم المتحدة أن يقدم تقريراً إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الأمن حول هذا الوضع وحول مدى تنفيذ إسرائيل لقرار الأمم المتحدة في شأنه وقام يوثانت - تنفيذاً لهذا القرار - بارسال أحد الدبلوماسيين السويسريين هو مستر ثالمان في مهمة خاصة إلى القدس ، وبعد عودة هذا المبعوث قدم تقريرة إلى السكرتير العام الذي أطلق عليه وعلى التحقيق الذي أجراه ثم أحال الموضوع إلى الأمم المتحدة يوم ١٢ من سبتمبر ١٩٦٧

أما البابا فقد أعلن من جانبه تأييده لفكرة تدويل الأماكن المقدسة وفي أوائل شهر يوليو أرسل مندوباً من جانبه إلى القدس هو المونسنيور أيجولو فلنش لمناقشة هذا الموضوع مع السلطات الإسرائيلية، ولكن الحكومة الإسرائيلية أصمت أذنيها تماماً عن كافة المساعي التي بذلت لديها ولم تستجب لشيء منها . وأعلنت استعدادها لمناقشة أية ترتيبات يراد وضعها للأماكن المقدسة بحيث ترضى كل الديانات مع تأكيدها على عدم إمكان الرجوع عن القرار الخاص بضم المدينة القديمة إلى أراضيها وأن سيادة إسرائيل على تلك المنطقة لا يمكن أن تكون موضوعاً لأي مفاوضات وهو رأى سبق أن أكدته مستر ثالمان في تقريره الذي قدمه من قبل إلى سكرتير عام الأمم المتحدة في شهر سبتمبر ١٩٦٧ (٢) .

United Nation Monthly Chronicle, V. (Juue 1968) p. 21. (١)

Aleum, Jean Pierre : Juifs et Arabes, op. cit. p. 443. (٢)

و بمناقشة المزايم الإسرائيلية في القدس فاننا نجد أن الوضع القانوني للمدينة القدس كان وضعاً معقداً منذ انتهاء الإنتداب البريطاني على فلسطين فإيجاد النظام الدولي الخاص لم يحدث أبداً ، وترسخت كل من السيطرة الإسرائيلية والأردنية على قطاعي المدينة .

ويطرح حائط المبكى مشكلة ذكريات الحى اليهودى التقليدى قبل ١٩٤٨ داخل المدينة القديمة لأن شدة التعلق اليهودى ، بهذه الأمكنة انضحت على نحو مثير للغاية في الأيام التي أعقبت حرب ١٩٦٧ ، وهذه المشكلة وقعت كعقبة ضخمة في وجه أى استعداد من جانب إسرائيل للتخلي عن السيطرة التي كسبتها على المدينة القديمة ، ومن جهة ثانية فان وجود المكان الإسلامى المقدس عند المسلمين بمحاذاة حائط المبكى والمعروف بساحة الحرم الشريف - إذ تضم هذه - المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، وتؤلف أولى القبلتين وثالث الحرمين في الإسلام بعد مكة والمدينة - يشكل أيضاً عقبة كأداء أمام إذعان المسلمين لسيطرة إسرائيل .

كذلك ، فالظروف التاريخية التي أحاطت بالأماكن المقدسة والأحداث التي حصلت أثر حرب يونيو مباشرة كلاهما يبين صدام المشاعر الذي ينطوى عليه هذا الأثر : فالحرم الشريف يقوم في المكان الذي يعتبر تقليدياً موقع هيكل سليمان ، حيث يعتقد أن حائط المبكى (وفي لغة اليهود : الحائط الغربى) هو ما تبقى من الهيكل المذكور . ومنذ القرن السابع للميلاد كانت هذه المنطقة بكاملها تحت سلطة إسلامية ، فالحائط بالذات ليس موضع إجلال من جانب المسلمين ، لكنه يقع ضمن مكان يحمله المسلمين ، وكان طيلة قرون عديدة يؤلف جزءاً من أملاك وقف إسلامى خيرى - للمسلمين وحدهم الحق العبنى فيه ، حيث اشتمل هذا الوقف على البيوت المحيطة به عن قرب في حى المغاربة وعاش سكان الحى على خبرات الوقف المذكور (١) .

(١) يرجع في تفصيل ذلك إلى

فالحائط إذن تعود ملكيته إلى مؤسسة إسلامية ، وقد درج القيسون على الاوقاف تقليديا على السماح لأفراد اليهود بالمجيء إلى هنا للصلاة ولكنهم قاوموا بعناء شديد تلك الجهود التي يبذلها السكان اليهود المتزايدون بسرعة في التاريخ المعاصر لإرساء الحق في العبادة الجماعية المنظمة عند الحائط ، ناهيك عن حق ملكية هذا الحائط .

إن مقاومتهم نبعت جزئيا من قرب مكان الحرم الشريف ، لثلا تتعرض للخطر قداسة هذا الحرم ومكانته الرفيعة من جراء تطور مكان للعبادة العامة في وسطه ، وهو مكان منافس غير إسلامي ، كما نبعت هذه المقاومة جزئيا من الإخضاع التقليدي للامكان الدينية اليهودية والمسيحية بفلسطين للحراسة الكريمة التي كانت السلطات الإسلامية المحلية قيمة عليها - فقد جرت العادة مثلا ، أن تكون بأيدي المسلمين مفاتيح كنيسة القيامة وغيرها عن الأماكن المسيحية المقدسة (١)

ولقد تعود أهل المنطقة وكذا الهيئات الدينية والإسلامية - منذ عهد طويل - على وجود عدد صغير من المتعبدین اليهود في وسطهم وعلى أساس المنة من جانبهم ، أنما ليس على أساس الفكرة القائلة بأن الحائط أو جواره كان يخضع لاية مطالب منافسة في حق السيطرة أو التسلط ، هكذا نجد أنه طيلة سنوات الإمبراطورية العثمانية وaban عهد الإنتداب البريطاني لم يحق لليهود عند الحائط في جلب المقاعد للعجاوس عليها أو في نفخ البوق ، وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧

١ عارف العارف ، النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٥ ، بيروت ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ص ١٩٧-١٩٩ .

(١) عارف ، العارف : النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ، مرجع سابق ص ١١٩ دكتور اسحق موسى الحسيني : محاضرات عن القضية الفلسطينية أنقأها على طلبة معهد للبحوث والدراسات العربية - يناير ١٩٦٧ ، معالم القضية الفلسطينية ، القاهرة ، معهد للبحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ ص ٤٤-٧٧ .

فإن معظم الإسرائيليين لم يشاهدوا الحائط أو المدينة القديمة أبداً ، كما أن الكثيرين منهم كانوا غير متدينين ، إنما رغم ذلك استحوذت على عقولهم عبارات توارثية من طراز « أن نسيبتك يا أورشليم تنسى يعمى » ، والذين مازالوا يتذكرون عهد الإنتداب البريطاني لفلسطين والفترة السابقة له ، باستطاعتهم أن يتذكروا جيداً أن الحائط ، مثل أرض فلسطين بالذات ، كان ذلك المكان الذى يتوقع لليهود الذهاب إليه فقط بناء على منه سلطة أجنبية ، ولقد كان ذلك رمزا متبقيا على ترزع الشتات وتعرضه للخطر ، وأن ما جعل هذه الرمزية ذات معنى فى يونيو ١٩٦٧ هو الناحية النفسية اللازمة فضلا عن ذكريات الماضى فى التاريخ اليهودى الحديث ،

لم يتمكن اليهود من زيادة الحائط على الإطلاق فالذين سكنوا منهم الحى فى المدينة القديمة جرى ترحيلهم عبر خط الهدنة إلى إسرائيل ، ومع أن اتفاقية الهدنة نصت على حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة من الجانب الاسرائيلى فان الأردنيين لم يوفوا بأحكام هذا الالتزام .

كذلك فإن مراسم الإحتفالات عند حائط المبكى والتخلص العاجل من حى المعاربة ، وضم القدس العربية ، هذه كلها تبدو أنها كانت تمثل فى عقول الإسرائيليين ليس مجرد التعبير عن شعور دينى فحسب ، بل مثلت كذلك ، لإعلانا ثانيا من الاستقلال السياسى والعاطفى يضاهى إعلان قيام الدولة الإسرائيلية فى مايو ١٩٤٨ ،

أن الرأى العام الإسرائيلى وبصورة جامعة تقريبا ضرب بالتعقل ، ض الحائط حيث أعتبر الضم عملا لا يقبل التفاوض ، وبغض النظر عن توزيع السكان فى القدس ومتطلبات القانون الدولى فضلا عن صعوبات اقناع العرب بعقد الصلح — كانت الحكومة الإسرائيلية هى الأخرى تسير فى مقدمة الرأى العام الإسرائيلى ذاته بهذا الخصوص (١) .

(١) مالكولم ه. كير ، مرجع سابق ص ٣٩٤ .

وفي ميدان الصراع السياسى مع إسرائيل يبدو أنه من سوء حظ العرب في الأزمنة الحديثة لأنهم ملكوا قدرة ضئيلة على تدبر أمر القوة بنجاح أو على التخلي عن حقوقهم ودعواهم .

أن مدينة القدس ككل تضم أكثرية يهودية - ٧٥ ٪ - ومعظمها مارس وظيفته منذ عام ١٩٠٩ كعاصمة (١) لإسرائيل ، وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ والمدينة تقع تحت السيطرة الإسرائيلية التامة ، عسكريا وإداريا ، إن النظام فيها - وسط المدينة القديمة وغيرها من المناطق الواقعة خارج الأسوار ، هو عربى متجانس في سكانه وكان يؤلف المركز الإقتصادى الطبيعى للضفة الغربية ، وللهذه الأسباب فإنه ينتمى منطقيا إلى السيادة الفلسطينية ، لكن وجود «المرار» الأبلغ أهمية بنظر اليهودية في قلب المدينة القديمة يجعل السيادة العربية مسألة غير واردة إطلاقا بالنسبة لإسرائيل .

أن المطلب العربى بالعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ في القدس طلبا له ما يبرره التبرير الثام ، كذلك فإن الترتيبات التى كانت قائمة قبل ١٩٦٧ انطوت على معنى أفضل بكثير على صعيد الحقوق السياسية لجمع الأطراف المعنية مما فرضته إسرائيل بعد ذلك الحين .

أن تقسيم المدينة - على جد قول أحد الباحثين (٢) الغربيين - حتى في قيام الحواجز الفاصلة والأسلاك الشائكة لايؤدي إلى المشاعر من الناحية الإخلاقية وهو لا يماثل على نحو ما اقترح الملك سليمان بشق الطفل إلى قسمين فحسب بل أنه يصبو إلى وضع فئات مختلفة من المخلوقات البشرية ، كل بيئتها الطبيعية الفريدة . وإذا كانت بعض المشكلات العائدة إلى ما قبل ١٩٦٧ تستدعى التصحيح دون ريب مثل تعلم وصول اليهود إلى حائط المبكى ،

(١) دكتور هز الدين فودة : قضية القدس ، دار الكانز العربى للطباعة والنشر القاهرة ،

١٩٦٧ ص ٥٦ : ٧٣ .

(٢) مالكرم ه. كير ، مرجع سابق ص ٣٩٥ .

الآن ما فعلته إسرائيل يفوق ذلك بكثير وبالإضافة إلى ما سبق أن عرضناه فقد قام الجيش الإسرائيلي بتدنيس كنيسة القديس المخلص الأرمنية على جبل صهيون ودير «دورميشين» •

أن العرب في توسلهم لالتزام الأمم المتحدة ومجلس الأمن بقضية تدويل القدس - لن يحدث ذلك فارقا كبيرا ، فلو أخذنا بعين الاعتبار أعاقا إسرائيل العنيدة لموقف الأمم المتحدة منذ بداية وجودها كدولة - حتى عندما كانت مصالحها في المدينة اقل بكثير مما هي عليه بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس كلها عام ١٩٦٧ ، ومركزها الدولي أضعف كثيرا مما هو عليه اليوم .

كذلك فلم يشعر الرأى العام المسيحي العالمى دوما بالاضمئنان للطريقة التي عوملت بها الأماكن المقدسة المسيحية من جانب إسرائيل ولذات الوجود الدولى - طبقا لآراء (١) أحد الباحثين الغربيين - هو الوسادة الناعمة لتلطيف العلاقة ، فوجود الأمم المتحدة على شكل هيئة للرقابة الدولية للهدنة قبل ١٩٦٨ - رغم تواضعه كان مصدرا لطاقة نافعة دون ريب ،

كذلك ظهرت بعد حرب ١٩٦٧ مشروعات تدعو إلى خلق رقعة دولية محدودة وسط المدينة ، وهذا المشروع المقترح يعيد إلى الذاكرة مشروعا تقدمت به إلى الجمعية العامة لجنة التوفيق الدولية لفلسطين عام ١٩٤٩ ، لكن الأمم المتحدة وضعت على الرف في حينه دون التصويت عليه ، حيث أوصت اللجنة المذكورة بالأبقاء على القدس منقسمة بين ساطة إسرائيلية وأخرى أردنية إنما " قيام مبعوث الأمم المتحدة يساعد مجلس استشارى يتألف بالتساوى من العرب واليهود بالاشراف على تجريد المدينة من السلاح وضمان الحماية وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات ،

(١) المرجع السابق ص ٣٩٦ .

ومما يجدر ذكره أن الدبلوماسية الأمريكية قد اعتبرت قضية القدس أصعب قضية مفردة تنطوي عليها جهودها الرامية لتشجيع الوصول إلى تسوية سلمية بين إسرائيل والأردن واقناع إسرائيل بمثل هذا المشروع يتطلب بدون شك شيئاً من النصيحة الأمريكية القوية بشكل جدى... من ذلك النوع الذى استخدمه الرئيس ايزنهاور مع رئيس وزراء إسرائيل بن جوريون في الأيام التى تلت هجوم السويس عام ١٩٥٦ .

على أنه لكى بحق السلام نحتاج إلى الإنفاق ، ولكن اكفى تسود العدالة لاحتاج إلى مجرد الكلمات فحسب ، بل إلى إعادة الحقوق فعلاً إلى أولئك الذين حرموا منها وهم هنا عرب فلسطين .
الحوادث على جبهة القتال وردود فعلها :

سواء تعلق الامر بتسوية النزاع برمته أو بحل مشكلة القدس بالذات لم تكن لقرارات الأمم المتحدة أية أهمية أو أثر ، خصوصاً وأن إسرائيل كانت تهدى حيال ذلك كله انصرافاً كاملاً واستهتاراً أكيداً . وقد أخذ أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل منسند يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ يعلن أن إسرائيل قد أثبتت من قبل قدرتها على رفض الانصياع لاي قرار يصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة كما راح ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل يؤكد بعد ذلك ببعضه أساييع أن حل المشكلة القائمة بين إسرائيل والعرب يجب أن يتم بين الأطراف المعنية نفسها وخارج نطاق الأمم المتحدة .

وكانت إسرائيل لا ترى حل المسائل المتعلقة إلا عن طريق مفاوضات منفصلة ومباشرة مع كل من الدول العربية التى يعينها الأمر . وقد أعرب أشكول عن هذا الموقف في يوم ٢١ من شهر يونيو حينما أعلن عن إستعداداه لمقابلة أى رئيس دولة من الرؤساء العرب ، كما أن هذا الموقف هو الذى حددت التعاليمات التى صدرت - لأبا إيبان حينما ذهب ليمثل إسرائيل لدى الأمم المتحدة .

غير أن هذا الطلب الاسرائيلي لم يكن واقعيا في الظروف وبالطريقة التي قدم بها (١) وقد أدى في الواقع من الأمر إلى سلسلة متصلة من الحوادث الخطيرة خصوصا على جبهة قناة السويس دأبت إسرائيل - تمشيا مع سياستها السابقة - على خرق وقف إطلاق النار في جبهة قناة السويس .

وجاءت أولى هذه الحوادث في الأيام الأولى والثاني والثالث من شهر يوليو وفي نقطة رأس العش إلى الجنوب من مدينة بور فؤاد حيث حاولت إسرائيل أيضا تحسين مواقعها بالقطاع الشمالى من الضفة الشرقية للقناة ، فتقدمت قواتها بغرض الوصول إلى بلدة بور فؤاد وتحقيق إتصال مباشر معها. وقد تصدت بعض العناصر الصغيرة من القوات المصرية في منطقة رأس العش ، وتمكنت من أحباط هذه المحاولة التي استخدمت فيها القوات الإسرائيلية الدبابات والعربات المدرعة .

وعلى حد قول أحد الباحثين (٢) - فقد تبودلت الاتهامات من كلا الجانبين ، فأخذ المصريون يوجهون الاتهام إلى الإسرائيليين بأنهم كانوا يريدون الاستيلاء على مدينة بور فؤاد المحاصرة في الجانب الشرقى من القناة ، وكانت قد ظلت باقية في أيدي المصريين يستطيعون منها أن يراقبوا حركة الملاحة ، كما أخذ الإسرائيليون يوجهون الاتهام إلى المصريين بأنهم حاولوا نظرا لقرب ميعاد الاقتراع أمام الأمم المتحدة أن يثبتوا الأخطار المترتبة على قيام الاحتلال العسكرى ، وعادت الحوادث تتجدد في نفس هذه المنطقة في يوم ٨ من يوليو ، الأمر الذى اضطر معه مجلس الأمن إلى أن يطلب من يوثانت أن يبعث بمراقبين من قبل الأمم المتحدة على طول جبهة قناة السويس . وفي يوم ١٠ من يوليو جاءت قطع من الأسطول السوفيتى وألقت مراسيها في داخل مينائى الاسكندرية وبور سعيد .

(١) راجع لطفى الخولى ٥ يونيو - الحقيقة والمستقبل : القاهرة ، دار الكتاب العربى ١٩٦٨ (في المعركة) .

(٢) Aleum, Jean Pierre : juifs et Arabes, op. cit, p. 445.

ولذا وافقت كل من مصر وإسرائيل على فكرة وضع المراقبين على طول القناة أسرع الجنرال أودبول إلى إرسال بعض الضباط كبعثة مسبقة للمراقبين ، وبمجرد وصولهم حضروا في يومى ١٤، ١٥ من يوليو موقعة حامية استمرت يومين واشتركت فيها أسلحة المدفعية ، والدبابات والطيران والبحرية ومن كلا الجانبين ، وكانت الخسائر جسيمة حيث بلغ عدد القتلى فى الإسماعيلية ١٠٦ (١) من الأنفس ، أما سبب القتال فكان هذه المرة جديدا تماما ، ذلك أن الإسرائيليين حاولوا - تعويم بعض قطعهم البحرية فى قناة السويس ، واعترض عليهم المصريون فى ذلك .

وقد أدت هذه الاشتباكات والحوادث العسكرية إلى اقتراح الأمين العام للأمم المتحدة تعيين مراقبين على الهدنة على جانبي القناة ، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم فى ١٧ يوليو (٢) ، ومن جهة أخرى أنضمت مدمرة سوفيتية إلى قطع الأسطول السوفيتى الراسية فى مينائى الاسكندرية وبور سعيد فى زيارة ودية لمصر (٣) وبهذه المدمرة أصبح عدد القطع البحرية السوفيتية فى الميناءين المصريين ١٣ قطعة (٤) .

وعموما فقد أتضح أن هدف إسرائيل من تصعيد العمليات على جهة قناة السويس هو ضرورة الاعتراف بالمبدأ القائل بوجود عائماتها فى قناة السويس وهو ما أكده صراحة ليفى أشكول فى ١٨ من يوليو بقوله : « لكى تثبت إسرائيل فى المستقبل حقها فى حرية الملاحة فى قناة السويس » ، وكان البون شاسعا بين هذا الموقف والموقف الذى كان موسى ديان قد اتخذ فى أثناء الحرب ، حينما أوقف قواته على بعد بضعة كيلو مترات من قناة

Ibid

(١)

(٢) الأهرام ١٦-٧-١٩٦٧ .

(٣) الأهرام ١٨-٧-١٩٦٧ .

(٤) وقد غادرت هذه القطع البحرية الشواطئ المصرية فى ١٨ أغسطس ١٩٦٧ .

السويس لكيلا يضيفى « الصفة الدولية » على النزاع وقد صرح ديان في ذلك بقوله : القناة ليست من شأننا » غير أنه عاد في شهر يوليو يؤكد : « إذا تعذر علينا استخدام قناة السويس فلن نستخدمها أحد أبداً » وتأكيذاً لقوله فقد أنزل ديان في يوم ٤ من سبتمبر عاثمات في قناة السويس بغرض القيام بدوريات « روتينية » وجاء رد الفعل المصرى سريعاً إذ نشأ قتال عنيف قام أثناءه الإسرائيليون بضرب مدينتى السويس وبور توفيق فأحدثوا فيهما إثنين وأربعين قتيلاً ومائة وستين جريحاً بين الأهالى المدنيين (١) .

وفي يوم ٢١ ، ٢٢ من سبتمبر في اللحظة التى كانت تفتح فيها الدورة الثانية والعشرون لمنظمة الأمم المتحدة اشتعلت جبهة قناة السويس مرة أخرى وحدثت مواجهات قصيرة بين المشاة والدبابات تخلف عنها مقتل بضع عشرات من الرجال في كلا الجانبين .

وخلال شهر أكتوبر عادت إسرائيل تتحرش بالقوات المصرية في منطقة بور سعيد بإرسال بعض قطعها البحرية لاختراق المياه الإقليمية المصرية وفي ٢١ أكتوبر من عام ١٩٦٧ قامت البحرية المصرية بإطلاق صواريخها على المدمرة الإسرائيلية « إيلات » فأغرقتها داخل المياه الإقليمية المصرية وحاولت إسرائيل أن تنقسم ، فوجهت نيران مدفيعيتها المركزة إلى أهداف مدنية ، واختارت معامل تكرير البترول في مدينة السويس لتكون هدفاً لمدفيعيتها فأصابتها بأضرار كبيرة .

وبينما كانت شواطئ القناة خلال خريف ١٩٦٧ مسرحاً للعمليات العسكرية العنيفة والقاتلة بالنسبة للمدنيين على الأقل ، كانت خطوط وقف إطلاق النار على الجبهات الأخرى هادئة . ولم يكن يخلو الأمر من بعض المناوشات على طول نهر الأردن بين الدوريات الأردنية والإسرائيلية ، ولكنها لم تكن تتعدى تبادل إطلاق النار من الأسلحة الخفيفة ، من غير

Aleum, Jean Pierre : Juifs et Arabes. op. cit. p. 446. (١)

(م - ٤٥ فلسطين)

أن يترك ذلك نتائج جسيمة ؛ بل كانت هذه المنطقة هي التي ظهرت فيها أول بادرة للتساهل الإسرائيلي على حد قول بعض الباحثين (١).

اللاجئون الفلسطينيون بعد حرب يونيو :

فيما عدا إبادة القاسمانيين ، لا يعرف التاريخ الحديث حالة جرى فيها استبدال السكان الأصليين في بلد ما بأجناس من الدخلاء غير ماجرت محاولته في فلسطين منذ مطلع القرن العشرين (٢) .

وعلى أية حال فقد رفض قادة إسرائيل بصلابة أى طلب لأولئك الذين أغتصبت إسرائيل أراضيهم وممتلكاتهم في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ . وجميع فدائات إسرائيل « بعقد محادثات سلام مع الدول العربية من خلال مفاوضات مباشرة » تستبعد على وجه التحديد إمكان إجراء أية محادثات مباشرة مع الفلسطينيين المطرودين أنفسهم ، ولا يمكن أن يقال أن اللاجئين الفلسطينيين لم يعد لهم الآن وضع سياسى أو أنهم أصبحوا ولا أهمية لهم لدرجة أنه لا يمكن إجراء محادثات رسمية معهم ، فمن النواحي المدمشة حقاً في الموقف أن الشخصية الفلسطينية مازالت قائمة وكاملة جداً فعلى الرغم من بقاء اللاجئين مطرودين خارج ديارهم عشرين عاماً وأكثر فانهم — حتى من ولد منهم بعد المأساة — لم يتخلوا أبداً عن الأمل في العودة والتصميم عليهما ، وقد يبدو هذا القول خيالياً بل وغير معقول بالنسبة لمن هم خارج المنطقة ، ولكن موقف الفلسطينيين يبدو طبيعياً ومعقولاً تماماً لأى إنسان علم بقوة العاطفة الوطنية التي ألهمت قلب الإنسانية آلافاً من السنين وأضافت أروع الصفحات إلى تاريخ البشرية ولم يكن قط من واجب

Ibid p. 447.

(١)

(٢) جازيت أبولغد ، التحول الديموجرافى لفلسطين ، فى : دكتور ابراهيم أبولغد ،

تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ص ١٥٥-١٨٢ .

٧٠٧ ،

الضحية أن تقبل الظلم ، وإنما فاعل الخطأ هو الذي يجب أن يطالب
باصلاح خطئه .

وإذا تحدثنا بأسلوب الحقائق والأرقام فإن المشكلة لا تبدو أقل حدة
وتعقيداً ، ففي نهاية مايو عام ١٩٦٧ وصل عدد اللاجئين المسجلين في
معسكرات وكالة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين إلى ٧٥٦ ر ١٣٤٤
موزعين على النحو التالي (١) : ٦٨٧ و ٧٢٢ في الأردن ، ٧٧٦ و ٣١٦ في
غزة ، ٧٢٣ و ١٦٠ في لبنان ، ٣٩٠ و ١٤٤ في سوريا .

وقد نجمت مشكلة إضافية عن احتلال إسرائيل خلال عدوانها المسلح
في يونيو ١٩٦٧ لقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء والضفة الغربية الأردن
ومرتفعات جولان ومنطقة القنيطرة في سوريا حيث كان يعيش نصف
اللاجئين الجدد الذين سجلوا في معسكرات وكالة الأمم المتحدة لإغاثة
وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، ومرة أخرى أصبح هؤلاء اللاجئين الجدد
بلا منازل .

وقد تزايدت قائمة ضحايا عرب فلسطين في ٣٠ يونيو ١٩٦٧ ،
فطبقاً لتقرير المفوض العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين
الفلسطينيين المقدم إلى الجمعية العامة عن الفترة المنتهية في ٣٠ يونيو - قال
المفوض العام للوكالة في تقريره بأن عدد اللاجئين الذين نزحوا من المناطق
التي احتلتها إسرائيل وصل ما بين ٣٥٠.٠٠٠ - ٤٠٠.٠٠٠ لاجئ ، ثم
قال بأن الأشخاص الذين بقوا في المناطق التي احتلتها إسرائيل أصبحوا
بحاجة للإغاثة أكثر من ذي قبل ، وذلك بسبب زعزعة اقتصاد المنطقة ،
وذكر التقرير ، بأن عدد اللاجئين في شرق الأردن أصبح الآن ٥٧٧.٠٠٠
لاجئ منهم ٢٤٥.٠٠٠ أصبحوا لاجئين نتيجة الحرب الأخيرة ،

ويستطرد المفوض العام للوكالة فيقول في تقريره بأن مائتين أو ثلاثمائة شخص يعبرون كل يوم الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ، وأن أكثر هؤلاء يأتون من منطقة غزة ، وأنه يجب إعادة هؤلاء إلى الأماكن التي نزحوا منها ، حيث توّمن وكالة الإغاثة لهم المأوى والمراكز الصحية والمدارس والتسهيلات الأخرى .

أما عن اللاجئين السوريين ، فيقول التقرير بأن عددهم نحو مائة ألف لاجئ وأن الحكومة السورية بمساعدة منظمة الأغذية العالمية تساعد هؤلاء .

وفيما يخص مصر ، فإن وكالة الإغاثة كانت تساعد حوالي ٤٠٠٠ شاب نزحوا إلى مصر من منطقة غزة ، ولكن الحرب الأخيرة قد رفعت عدد اللاجئين في مصر إلى نحو ٦٠٠٠ أو عدد ٧٠٠٠ لاجئ ، وأن بين هؤلاء حوالي ٧٠٠٠ لاجئ فلسطيني جاءوا من منطقة غزة ، وأن حكومة مصر طلبت من وكالة الإغاثة مساعدة اللاجئين الذين هم من أصل فلسطيني فقط .

ثم قال المفوض العام لوكالة الإغاثة في تقريره بأن ثلثي عدد اللاجئين فقط يحصلون على الإغاثة ، وبأنه أضطر مؤخراً أن يرفض تسجيل ٢٤٨٠٠٠ لاجئ في جدول المستفيدين من الإغاثة لعدم وجود كميات الإعاشة اللازمة لهم (١) .

وهكذا تزايدت قائمة ضحايا عرب فلسطين ، فمن الضفة الغربية لنهر الأردن فر مائتا ألف لاجئ فلسطيني إلى الضفة الشرقية ، وقد

(١) أنظر تفصيل تقرير الأمين العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية - منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٩ ص ص ١٠٦٣-١٠٦٦ .

أمكن لإنزال مائة وخمسة وسبعين ألفاً من هذا العدد في داخل المخيمات ، ولكن هؤلاء وغيرهم كانوا يعيشون في حالة شديدة من البؤس ، وكان الكثيرون منهم مهتدين بالموث ، ما لم تتخذ لإجراءات جادة لإنقاذهم قبل حلول الشتاء ، ولقد اقترحت الجمعية العامة للأمم المتحدة في يوم ٤ من يوليو على « قرار إنساني لمصلحة هؤلاء اللاجئين ، ولكن لم يكن قرارها هذا غير مظهر هزيل لضميرها الفاسد ، على قول أحد الباحثين » .

أما السلطات الأردنية فقد قامت بمجهود في هذا السبيل يفوق جهد الأمم المتحدة ممثلة في جمعيتها العامة ، حيث تعاونت مع وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ومع منظمة الصليب الأحمر الدولية ومع ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، نيلز جوران جونسونج - غير أن عمل السلطات الأردنية في هذا الصدد كان أعجز من أن يسد الحاجات الضرورية لهؤلاء اللاجئين ، واتضح أن الحل الوحيد الفعال هو عودة هؤلاء للنازحين المطرودين إلى قراهم أو إلى معسكراتهم . وكان مجلس الأمن قد أصدر في يوم ١٤ من يونيو قراراً بهذا المعنى ، وقد نزلت الحكومة الإسرائيلية عن عنادها بعد إلحاح شديد من جانب الرأي العام العالمي وقبلت الإنصياع جزئياً على الأقل لهذا القرار ، فقرر مجلس الوزراء الإسرائيلي في يوم ٢ من يوليو أن اللاجئين الذين لا يمثلون خطراً على الأمن سوف يسمح لهم حتى يوم ١٠ من أغسطس بالعودة إلى منازلهم ، وفي الواقع كان من شأن قصر المهلة التي فرضتها السلطات الإسرائيلية وكون السماح بالعودة لم يمنح إلا لأولئك اللاجئين وحدهم الذين تلقوا وملاًوا كشفاً بالأسئلة أرسلت لهم تلك السلطات - كان من شأن ذلك أن جرد هذا الإجراء من جانب كبير من الفائدة التي كانت مرجوة منه ، ولقد بلغت العقبات التي أثرت في وجه اللاجئين الراغبين

في العودة إلى ديارهم - بالرغم من الجهود التي بذلتها هيئة الصليب الأحمر الدولية - بلغت هذه العقوبات حداً جعل العودة أمراً معدوم الأثر تماماً حتى يوم ١٠ من أغسطس ، وتقرر مد الأجل الممنوح حتى حتى يوم ٣١ من أغسطس ، وبدأ رجوع اللاجئين إلى ديارهم يوم ١٨ من أغسطس ، وفي ذلك اليوم شهد العالم منظرًا عجيبيًا ، إذ التقى اللاجئين الذين اتجهوا عائدين إلى قراهم سالكين جسر الملك حسين بطابور من إخوانهم ممن كانوا يغادرون تلك القرى فارين منها . وفي يوم ٢١ من أغسطس حينما أعلنت الحكومة الاسرائيلية إنهاء عملية العودة ، لم يكن غير أربعة عشر ألفاً فقط - طبقاً لأحسن التقديرات (١) - قد تمكنوا من الدخول إلى الضفة الغربية للأردن من بين المائة وخمسة وسبعين ألفاً الذين طلبوا العودة إلى بلادهم وكان جل العائدين من النساء والأطفال والعجزة إلى جانب ذلك أعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في القدس أنها سوف تنظر في السماح لفريق آخر من اللاجئين بالعودة ، منهم الستة آلاف والخمسمائة شخص الذين قبلت طلباتهم من قبل غير الحالات الأخرى التي تستدعيها عملية لم شمل الأسر التي تفرقت .

غير أن هذا الاتفاق قد ألغى تماماً من جانب إسرائيل يوم ١٩ من سبتمبر على أثر بعض الصعاب التي أثارها إسرائيل مع الأردن ولم تؤدي الضغوط التي مارسها الولايات المتحدة تجاه إسرائيل إلى حمل هذه الأخيرة على التزام الاعتدال في هذا الصدد .

Ibid, p. 448.

(١)

أما الكاتب المسمى ديوان بيرن درانات فيرى إن الذين عادوا من الضفة الشرقية لنهر الأردن لا يزيد عن ١٣٠٠٠ إلى ديارهم قبل أن تغلق سلطات الاحتلال الاسرائيلي الطريق نهائياً في وجوههم هذا بينما الخروج ما زال مستمر .

Dranath, Dewan Berin : op. cit, p. 174.

ومن الثابت - لسوء الحظ - أن النازحين في مجموعهم لن يستطيعوا العودة إلى ديارهم (١) .

أطماع إسرائيل والصهيونية بعد حرب يونيو :

ظلت الجمعية العامة للأمم المتحدة تناقش وتجادل لمدة تزيد عن الشهر ثم انفضت من غير أن تتخذ أى قرار لحل الأزمة ، فقد كانت إسرائيل تعلن مؤكدة في حزم المنتصر واطمئنانه ، أنها لن تتنازل عن شبر واحد من الأرض العربية إلا بعد أن تتوصل إلى ابرام مفاوضات مرضية مع كل الدول المعنية .

وأن المؤرخ ليجد نفسه في حيرة عندما يدرك أنه لا يستطيع أن يجد في طلبات إسرائيل طلباً واحداً « أساسياً » أو « نهائياً » وقد وضح هذا في بيانات إسرائيل بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ولناخذ مثلاً على ذلك تعقيبات ظهرت في صحيفة إسرائيلية شبه رسمية في يومين متعاقبين :

ففي يوم ٦ من يونيو أى بعد أن بدأت الحرب بيوم واحد وعندما كانت إسرائيل غير متأكدة من انتصارها قالت صحيفة جروزالم پوست في مقال افتتاحي « أن الإنسان لا يستطيع الآن أن يتكهن بنتيجة المعركة ، ولكن هدفنا منها هو الدفاع عن إسرائيل وليس كسب الأراضي ، أننا لم نسع قط إلى أكثر من هذا ولن نقبل أقل منه » .

وفي يوم ٧ يونيو عندما استولت إسرائيل على مساحات واسعة من الأراضي العربية منها مدينة القدس ، قالت الصحيفة نفسها في تعقيب لها : « أن إسرائيل لا يمكنها الاعتماد على وعود غير مؤكدة من الأمم المتحدة بأن توفر لها حق الدخول إلى القدس القديمة » .

(١) وحتى الجزء الأكبر منهم .

وقد سجل جوزيف ألسوب - أحد المراقبين السياسيين - أن قادة إسرائيل كانوا قبل العدوان يتحدثون فقط عن رغبتهم في أن يعيشوا في سلام في «عشهم الصغير» وقد تغيرت هذه النغمة تغيرا جذريا عندما قال له ليفي أشكول رئيس الوزراء في مقابلة جرت بينهما بعد الحرب بأيام قليلة:

إذا طلبت مني أن اختار من بين المخاطر الكبرى التي تواجه بلدنا فاني أقول الأمن أولا ، والحدود الآمنة لإسرائيل يجب أن تكون نهر الأردن (١) .

وقبل ذلك بأيام قليلة كان أشكول يخطب في جيش الاحتلال الإسرائيلي في شرم الشيخ «فحدد» حدود بلاده بقناة السويس كأحد حدودها الطبيعية ، لأن إسرائيل يجب أن تحمي نفسها من جيرانها العرب .

فكيف يستطيع المؤرخ أن يفسر تسلط فكرة التوسع على إسرائيل ؟

لنتبع هذا الموضوع من وجهة النظر الإسرائيلية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وحتى نهاية العام .

ففي ١٢ يونيو حذر موشى ديان الجيش الإسرائيلي من أن المعركة قد انتهت لكن الحرب مازالت قائمة مع الدول العربية ودعا ديان إلى الاستمرار في التيقظ والاستعداد لمواجهة العرب (٢) .

وفي ١٦ يونيو صرح مناحم بيجين ، الوزير بدون وزارة ، وزعيم حزب حيروت الذي يعد من أبرز الصهيونيين الذين ينادون بقيام دولة إسرائيل الكبرى «من النيل إلى الفرات» بأنه إذا لم تعقد اتفاقية صلح بين الدول العربية وإسرائيل فإن الأخيرة لن تتخلى عن أى جزء من الأراضي التي احتلتها القوات الإسرائيلية ، وأضاف بيجين موجهها كلامه إلى السوفييت

Herald Tribune, Paris, 13-9-1967.

(١)

Jerusalem Post, Jerusalem 13-6-1967.

(٢)

الذين طالبوا إسرائيل بأن تعود إلى خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ قائلا : (أننا شعب جديد لن يحنى رأسه أمام أية قوة في العالم) (١) .

وفي ١٩ يونيو أعلن رئيس وزراء إسرائيل السابق بن جوريون آراءه حول الوضع الناشئ عن حرب يونيو في بيان وزع على الصحف أنه لا يرى أى أساس لإجراء مباحثات بشأن مستقبل القدس التي أدعى بأنها كانت عاصمة إسرائيل أيام داود ، وستبقى كذلك للمدى الحياة ، وعرض بن جوريون في بيانه على الأردن عقد اتفاق صلح مع إسرائيل (٢) .

وفي ٢١ يوليو صرح إسرائيل جاليلي ، الوزير بدون وزارة ، والمسئول عن الإعلام في حكومة أشكول ، بأن إسرائيل لن تسحب من الأراضي التي احتلتها حتى تحصل على تأكيدات حازمة بالنسبة لسلامتها وأمنها ، وأدعى بأن الاعتداء على إسرائيل من جانب الدول العربية أزال من الوجود خطوط الهدنة السابقة (٣) .

وعشية عقد الجلسة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، شن وزير الخارجية أبا إيبان حملة سياسية قائلا أننا مصممون على أن لا نضيق ماحصلنا عليه في المعركة وأن نحول انتصار إسرائيل العسكري إلى حقيقة سياسية جديدة تؤكد لإسرائيل أمرين : الأمن والسلام « وقال أنه يرى أن الوضع بين إسرائيل ، من جهة ، ومصر وسورية من جهة أخرى يمكن تسويته ضمن نطاق الأعراف الدولية ، أما بالنسبة للأردن فإن الوضع أكثر تعقيدا حيث يوجد سكان « كانوا يشكلون في السابق جزءا من فلسطين » ورفض إيبان أن يوضح موقف الحكومة الإسرائيلية بالنسبة لمستقبل الضفة الغربية من

(١) Ibid 18 - 6 - 1967,

(٢) أنظر تفصيل هذا البيان في : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨ مرجع سابق ص ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٣) Jerusalem Post, Jerusalem, 20 - 6 - 1967.

الأردن . وأضاف إيبان موضحاً أنه لولا موقف الولايات المتحدة المؤيد لإسرائيل لسكانت إسرائيل في نفس الوقت الذي كانت فيه بعد حرب سيناء عندما اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في الضغط عليها للانسحاب ، ولمح إيبان إلى ضرورة عدم تكرار هذا الوضع (١) .

وفي الجلسة الأولى للدورة الطارئة للجمعية العامة (٢) للأمم المتحدة تكلم إيبان مباشرة بعد الرئيس السوفيتي كوسيجين ، فقال ان جميع متاعب إسرائيل تزداد بسبب سياسة الاتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الأوسط ثم دعا إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والدول العربية ، وقال أن الاقتراح الخاص بأن يعود كل شيء إلى ما كان عليه قبل يوم ٥ يونيو ليس مقبولا على الإطلاق . وحاول إيبان أن يجد مبررا للعدوان الإسرائيلي فقال انه يرجع إلى تهديدات الدول العربية (٣) ،

ويبدو أن إسرائيل اعتبرت عدم تبني أي قرار من قبل الجمعية العامة يدينها ويطلب انسحابها فوراً بأنه نصر سياسي لها ، وقد كرر إشكول بأن شروط إسرائيل لن تبحث إلا على طاولة المفاوضات ، وأضاف قائلاً « أننا نتكلم الآن إلى جيراننا العرب لا كمنتصرين فحسب وإنما كشركاء أيضاً (٤) . وبعد عودته من الأمم المتحدة ، التقى أبا إيبان خطاباً أمام الكنيست في ٢٩ يوليو ١٩٦٧ كرر فيه ما سبق وقاله من أن إسرائيل لا ترضى بأن يعود الوضع بينها وبين الدول العربية إلى ما كان عليه في السابق ، وأشار إلى أن هناك امكانيتين : أما أن يستمر الوضع على ما هو عليه أي أن تبقى إسرائيل في الأراضي المحتلة أو — استبدال هذا الوضع بالسلام .

Ibid 18-6-1967. (١)

Jewish Observer, London 23-6-1967. (٢)

Keesing's contemporary Archives 22-29-7-1957, (٣)

pp. 22154-22156.

Jewish Observer, London 14-7-1967. (٤)

أما وزير الدفاع موشى ديان فأعلن في ٩ أغسطس ، انه على الرغم من القيمة الاستراتيجية التي تعلقها لإسرائيل على سيناء ومرتفعات الجولان السورية ومضايق تيران ، فإن المرتفعات الغربية لنهر الأردن تعتبر ذات أهمية كبيرة ، لأنها تقع في صميم التاريخ اليهودي ، وتحدث ديان عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقال بأن مساواتها لا تقع على إسرائيل وحدها ، وأنه يجب معالجتها على أساس أقليمي ، لأنه لا يوجد في إسرائيل متسع لحوالي مليون نسمة من السكان العرب (١)

وعلى أثر زيارة الرئيس اليوغسلافي تيتو إلى المنطقة ومساعدته لإيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط ، أعلن وزير الخارجية أبا إيبان بأن إسرائيل ترفض أى مجهود يقوم به الرئيس تيتو للتوسط بين إسرائيل والدول العربية (٢).

وفي مؤتمر للصحفيين الأجانب عقد في ١٤ أغسطس صرح إيبان مجدداً بأن البديل الوحيد للوضع الحالي الخاص بوقف إطلاق النار هو حدود جديدة تحفظ الأمن والسلام في المنطقة يتفق عليها بحرية عن طريق المفاوضات ، وأعلن أن خريطة الشرق الأوسط التي كانت قائمة قبل الخامس من يونيو قد أزيلت من الوجود ولن تعود أبداً ، وأضاف بأن المشاكل القائمة بين إسرائيل والدول العربية تختلف من دولة إلى أخرى ، فبالنسبة إلى مصر قال بأن المشكلة الأساسية هي تأمين مرور السفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضايق تيران ، والتأكد من أن منطقة سيناء لن تعود مرة أخرى ، قاعدة للاعتداء العسكري على إسرائيل ، أما بالنسبة لسورية ، فليس هناك مشاكل ممرات مائية دولية بل مشاكل أمن ومشاكل أراضي ومياه تشمل منابع مياه نهر الأردن ، وادعى إيبان بأن الدول العربية هي التي اجهزت على إتفاقيات الهدنة السابقة (٣) .

Jerusalem Post, Jerusalem, 10-8-1967.

(١)

Ibid.

(٢)

Ibid, 15-8-1967.

(٣)

وعقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم أصدر أشكول بياناً في ٣ سبتمبر أعرب فيه عن أسفه للقرار الذي اتخذته المؤتمر بعدم الاعتراف بإسرائيل أو الصلح أو المفاوضة معها .

كذلك قام عدد من أعضاء الحكومة الإسرائيلية بالادلاء بتصريحات تستهدف الرد على مقررات مؤتمر القمة العربي في الخرطوم ، ففي ٥ سبتمبر ، أعلن وزير الدفاع موشى ديان بأنه يتوجب على إسرائيل أن تقف في وجه جميع الضغوط الاقتصادية أو غيرها - وألا تراجع عن موقفها ، وقال ديان بأن الضفة الغربية من الأردن يجب أن تبقى في أيدي إسرائيل على الرغم من معارضة سكانها .

وصرح موشى كاو مل وزير النقل - في نفس اليوم - بأن إسرائيل يجب أن تحافظ على الأراضي التي احتلتها (١)

وفي ٢٥ سبتمبر تحدث وزير العمل إيجال آلون أمام المؤتمر الإقليمي الآسيوي الثالث للهندسة الإنشائية الذي عقد في كلية تخنيون في حيفا فاعترف بأن إسرائيل قد اتخذت دوراً هجوماً في حرب يونيو ، وقال بأن إسرائيل لا تستبعد نهائياً إجراء بعض التسويات الجزئية مع الدول العربية وذكر أن من بين هذه التسويات الجزئية حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية في قناة السويس (٢) .

وفي أكتوبر أعلن موشى ديان بأن حدود إسرائيل الحالية باستثناء حدودها مع لبنان تعتبر مثالية وأوضح قائلاً : « أن عبورنا لقناة السويس يجعلنا على مشارف القاهرة ، كما أن عبورنا لنهر الأردن يؤدي بنا إلى عمان ، وتقدمنا من القنيطرة يعني وصولنا إلى دمشق » وقال أنه من الممكن أن تحصل حرب أخرى ، يكون من الضروري فيها لإسرائيل أن تحتل العواصم

Jewish Observer, London 3-9-1967.

(١).

Jerusalem Post, Jerusalem 26-9-1967.

(٢).

العربية في محاولة لفرض قرار نهائي ، ومن هذه الوجهة يمكن اعتبار خطوط وقف إطلاق النار مثالية ، وأما بالنسبة لمستقبل دولة إسرائيل ، فقال ديان بأنه يعتقد شخصيا بأن من الضروري أن تبقى إسرائيل « دولة يهودية » وأن تبقى « الأكثرية يهودية » بدون منازع (١) .

وفي ١٥ أكتوبر صرح نائب رئيس الكنيست ونائب اللجنة التنفيذية لحزب حيروت آريه بن اليعيزر بأن حزب حيروت يعارض أن تتضمن مفاوضات السلام المقترحة مع الدول العربية مدينة القدس العربية والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان ، وأضاف أنه يعتقد بأن الأراضي القابلة للمفاوضة هي صحراء سيناء وقناة السويس فقط (٢) .

وفي ٣٠ أكتوبر القى أشكول خطابا في الجلسة الافتتاحية للدورة الكنيست الجديدة قال فيه أن إسرائيل تسعى إلى تثبيت قدمها في « الحدود » الجديدة وأنها ستحتفظ بمعظم الأراضي العربية التي تحتلها الآن ، وأدعى أشكول أن المنطقة التي كانت تحت الاحتلال الأردني (الضفة الغربية) ومنطقة غزة التي كان يحكمها المصريون لم تكونا تابعتين لهم عن حق ، بل بالقوة نتيجة عدوان واحتلال عسكريين .

وأثناء انعقاد مجلس الأمن في منتصف شهر نوفمبر ١٩٦٧ لايجاد صيغة قرار لحل أزمة الشرق الأوسط عادت الحكومة الإسرائيلية تكرر بأنها لن تقبل بأي حل غير المفاوضات المباشرة مع الدول العربية ، وعقب صدور قرار مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر الخاص بحل أزمة الشرق الأوسط أكد إسرائيل جاليلي وزير الأنباء الإسرائيلي أن القرار لا يغير شيئا من قرار إسرائيل بشأن المحافظة على خطوط وقف إطلاق النار الحالية .

وفي أول ديسمبر أعلن أشكول لرؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية عن

Ibid 2-10-1967.

(١)

Jerusalem Post, 17-10-1967.

(٢)

مشروع سلام من خمس نقاط ، وأطلق فكرة سوق مشتركة إقليمية على غرار السوق الأوروبية المشتركة وحدد أشكول النقاط الخمس من المشروع وهى :

- ١ - يجب أن يكون السلام بين إسرائيل وجيرانها دائما .
 - ٢ - يجب أن يتم السلام بالمفاوضات المباشرة .
 - ٣ - حرية المرور للسفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضائق تيران بشرط لهذا السلام .
 - ٤ - إقامة حدود آمنة ومعترف بها بين إسرائيل وجيرانها غير ممكنة إلا فى إطار معاهدات سلام .
 - ٥ - استقرار السلام فى الشرق الأوسط والتعاون الإقليمى الذى سيتبع سيتيحان المجال لحل مشكلة اللاجئين فى إطار إقليمي ودولى معا (١) .
- وفى ٩ ديسمبر أعلن أسحق رابين فى خطاب القاء فى المؤتمر الوطنى للجمعية اليهودية فى نيويورك أن إسرائيل ستتركب « غلطة تاريخية » إذا هى تخلت عن المكاسب الإقليمية التى حققتها فى حرب يونيو (٢) ،
- وفى ٢٨ ديسمبر أعلن أشكول أن على إسرائيل أن تكون مستعدة لعشرين سنة أخرى من النزاع ، لأنه لا يوجد فى الجانب الآخر من يمكننا التباحث معه حول السلام (٣) .
- وعموما فإنه يمكن تلخيص الموقف العام للحكومة الإسرائيلية بالنسبة لمستقبل الأراضى العربية المحتلة حتى نهاية عام ١٩٦٧ فى الآتى :
- ١ - رفض العودة إلى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ ، أى رفض الانسحاب كليا من الأراضى العربية المحتلة .

Jewish Observer, 8-12-1967.

(١)

Jewish Observer 15-12-1967.

(٢)

Jerusalem Post 29-12-1976.

(٣)

٢ - اشتراط إجراء مفاوضات صلح مع الدول العربية قبل أى « إنسحاب » من أراضى عربية محتملة ،

٣ - المطالبة « بحدود آمنة » مع الدول العربية تكون مواقعها فى « مكان ما » بين خطوط وقف إطلاق النار الحالية وخطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ .

٤ - اعتبار مدينة القدس غير قابلة للمفاوضة وضمها - وقد ضمت فعلا - إلى الأراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٤٨ .

٥ - اعتبار مرتفعات الجولان قسما من إسرائيل ووجوب ضمها إليها ،

٦ - المطالبة بأن تكون « الحدود الآمنة » الجنوبية لإسرائيل على بعد عدد معين من الكيلومترات من قناة السويس بحيث يضم قطاع غزة وشرم الشيخ إلى إسرائيل وتمنح السفن الإسرائيلية حرية المرور بقناة السويس .

٧ - ضم بعض أقسام الضفة الغربية لنهر الأردن إلى إسرائيل وتشجيع قيام « كيان فلسطينى » فى الأراضى المتبقية من هذه الضفة ، على أن يكون هذا الكيان تحت السيطرة الإسرائيلية عسكريا وخارجيا .

٨ - عدم البحث فى أى حل لمشكلة اللاجئين العرب إلا فى نطاق «باحثات إقليمية ودولية وبعد توقيع صلح .

٩ - عدم القول بأى حل أو تسوية لمن شأنها ألا تؤثر بأى شكل من الأشكال فى المستقبل على أمن وسلامة إسرائيل .

١٠ - المحافظة على بقاء إسرائيل دولة يهودية ، أى على أن تكون أكثرية سكانها دائما من اليهود وذلك بعد أن احتلت أراضى إقيم بها سكان عرب كثيرون .

أما بخصوص موقف الصهيونية العالمية وأطماعها هى الأخرى - فان معالجة هذه النقطة تحتاج إلى وقفة للتفسير والتعليل خاصة وقد برزت بعد

حرب يونيو ١٩٦٧ - بعض الانجهاات الواقعية فى الأوساط الصهيونية ذاتها
والتي رأت فى موقف إسرائيل خطراً يهدد الصهيونية العالمية بسبب ما أصاب
إسرائيل من اهتزاز فى صورتها أمام العالم حيث برز تعنتها ، بينما حقوق
العرب واضحة بعد أن أدرك الرأى العام العالمى مدى ما لحق بالعرب من
أجحاف .

غير أن هذا الوضع لا ينسبنا أن دولة إسرائيل قد قامت لأن الحركة
الصهيونية العالمية أرادت لها الوجود كتجسيد سياسى « قومى » لهذه الحركة .
واستطاعت بمهارة لإقناع كثير من حكومات الدول الكبرى فى العالم بأهمية هذا
الوجود ، بل وجعلتها أيضاً تريده وتسعى إلى تحقيقه ، وقد بلغ ذلك الإقناع
حداً جعل بعض هذه الحكومات تعمل أولاً على فرض الدولة ثم على دعمها
وتقويتها وضمان بقائها بعد ذلك . وهناك عامل آخر برز بعد قيام الدولة
وساهم مساهمة فعالة فى نجاح إسرائيل طوال سنوات وجودها ، هو الاتحاد
الفريد والتنسيق المتكامل بينها وبين الحركة الصهيونية العالمية ، الذى تمخض
عن قيام كيان صهيونى يمكن أن يسمى « بالحكومية القومية العليا (١) » ،
وقد قام هذا الجهاز المتكامل بين المنظمة الصهيونية العالمية وإسرائيل بدور
فعال فى التأثير على الجاليات اليهودية المنتشرة فى أنحاء العالم ، وتنظيم أعمالها
الرامية إلى دعم إسرائيل بشريا وماديا وللتأثير على الحكومات والرأى
العام العالمى . وقد حدد إيجال آلون فى مجال حديثه عن دور « اليهودية
العالمية » الدور العام لهذه القوى والآفاق الموجهة نحوها قائلا : « فى عمق
الاهتمام بقيام الدولة اليهودية والروح المعنوية العالية التى تفتخر بقوتها
المدائية ، قد أثار موجات من المشاركة والجهد والاستعداد لأعمال حقيقية ،
ويجب توجيه هذه الرغبة إلى آفاق نافعة مثل : توسيع مجالات الهجرة ،
وضمان استمرار سبل الاستثمارات الاقتصادية ، فهما بمثابة ينبوع الحياة

بالنسبة لإسرائيل وأحد الوسائل الرئيسية لتقويتها . والعمل بكل جدية على تعميق الوعي السياسى لمشاكل الدولة عند يهود المهجر ، وعلى زيادة استعدادهم لفرض تأثيرهم فى عواصم العالم من أجل رعاية مصالح واحتياجات إسرائيل ، وفى لحظات القرارات السياسية المصيرية (١) ،

وقد شكلت إسرائيل مع المنظمة الصهيونية العالمية اتحاداً « قومياً » واسع النطاق ، بقصد الوصول إلى اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم من خلال العمل عن طريق المنظمات والجمعيات اليهودية التى تمارس نشاطها فى الدول المختلفة والى يعتبر أعضاؤها والعاملون فيها من اليهود المواطنين فى تلك الدول (٢) ، وهكذا فإن الاتجاه نحو دولة يهودية عالمية فى شكل اتحاد إسرائيلى صهيونى تكون إسرائيل هى المحور الذى يدور حول هذا الاتحاد - قد هباً لإسرائيل جهازاً عالمياً فريداً يعمل على تدعيم قواها السياسية والاقتصادية والعسكرية فى مواجهة الدول العربية المجاورة لها (٣) .

وعموماً فقد ظهرت فاعلية هذا التنظيم المحكم بصورة واضحة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ حيث مكن إسرائيل من سرعة استمالة رأى العام الغربى إلى جانبها والفوز بتأييده والنجاح فى تجنيد قوة بشرية إضافية تعمل فى إسرائيل ، استطاعت بعد نهاية الحرب باستخدام هذا الكيان « القومى » فى إبراز وجهة نظرها وتفسيراتها للأحداث والتطورات فى الشرق الأوسط . وقد بلغت هذه العملية من الضخامة حداً كانت معه قادرة على أن تنافس عواصم العالم الكبرى ، فى شغل أجهزة الإعلام العالمية ، واحتلال مكان بارز فيها . وظل هذا الكيان قبل الحرب وبعدها مباشرة ، يخدم إسرائيل على أفضل وجه فى

(١) ايجال آاون : « الوجود السوفيتى والصداقة الأمريكية » فى : صحيفة معاريف الإسرائيلية يناير ١٩٦٨ .

(٢) Davis, H. Johm : The Evasive Peace, op. cit. p. 89.

Ibid. (٣)

النداءات التي كانت توجه للحصول على مزيد من الأموال والسلاح (١) ،

إن هذا الكيان قد وُجد أساليب التعبير عن الفكر الصهيوني وأهدافه على نحو جعل صورة إسرائيل أمام العالم - عندما نشب القتال في يونيو ١٩٦٧ - تبدو وكأنها تخوض صراعاً عادلاً يعبر عن رغبتها في البقاء ، ذلك البقاء الذي سبق للعالم أن اقتنع بضرورته وأهميته طوال السنوات الماضية .

غير أن هذا العدوان قد أظهر بصورة واضحة - مدى وأبعاد المخطط الصهيوني الواسع ، الذي وضع منذ سنوات بعيدة ، وأعدت لتنفيذه سياسات دقيقة استطاعت أن تحشد له أقصى القدرات النسبية التي يمكن أن تحققها دولة ، وأن تعي له كافة الطاقات التي يمكن أن يوفرها ذلك الجهاز الصهيوني الضخم المنتشر في أنحاء العالم ، وفي أعقاب النصر الذي حققته إسرائيل في هذه الحرب ، شاهد العالم مظهراً واضحاً من مظاهر فاعلية الاتحاد الإسرائيلي الصهيوني في تعبئة الرأي العام وتشكيله وحثه على جمع المزيد من الأموال وبدل المزيد من التأييد لإسرائيل .

كذلك أعطت حرب يونيو حافزاً جديداً لنداء الهجرة ، وبالفعل سجلت الهجرة اليهودية بعض الزيادة النسبية في النصف الأخير من عام ١٩٦٧ ، غير أن مردود حافز الحرب ظهر على صعيد جمع المزيد من الأموال أكثر مما ظهر على صعيد الأجهزة . وقد تكون إحدى دلائل فشله النسبي في الحث على الهجرة كون الحمية التي أثارها دفعت العديد من الشباب اليهودي في الخارج إلى « التطوع » في خدمة إسرائيل ، دون أن تقتنعهم « بالاستيطان في » أرض الميعاد كما كانت تطمح الوكالة اليهودية . وبعد انقضاء خمسة أشهر على انتهاء الحرب ، حمل بن جوريون ، حملة لاذعة على الحكومة الإسرائيلية لكونها ، طيلة هذه الفترة ، لم تعمل شيئاً لبعث سيل الهجرة ، واعتبر بن جوريون أن البديل الوحيد لذلك في رأيه ، هو في خلق « زيادة دراماتيكية في نسبة الولادة

اليهودية « في إسرائيل (١) .

وتدليلاً على أن حرب يونيو ١٩٦٧ لم تعط خلال عام ١٩٦٧ ثمارها المرجوة من إسرائيل في حققت تهجير يهود الغرب ، نشرت مجلة « الجويش أوبزرفر » في ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ تقريرها لموفدها إلى الولايات المتحدة وكندا ، أكد فيه أنه لم يطرأ أى فتور على نشاط اليهود الأمريكيين والكنديين في سبيل إسرائيل ، وأن هناك (تجاوباً حسناً) على صعيد جمع المزيد من الأموال لإسرائيل بعد أن أزيل أى تهديد لوجود إسرائيل ويضيف تقرير « الجويش أوبزرفر » أنه في المقابل « لا يوجد بعد أى تحسن بالنسبة لقضية الهجرة » ورد تقرير المجلة هذا الأمر إلى « عدة عوامل » أهمها كون « النظرة المادية للحياة » في الولايات المتحدة وكندا « لا تميل إلى تشجيع الهجرة للدولة لا يتوقع المهاجر إليها سوى مستوى للمعيشة هو دون المستوى الذى اعتاده » ، وكون « الإعلام » بشأن مشاكل الاستقرار في إسرائيل صعبة المنال ، خاصة وأن الأوضاع في إسرائيل « يمكنها أن تتغير بسرعة ، نوعاً ما » (٢) .

وفي أواخر عام ١٩٦٧ نشرت « الجروزالم بوست » نقلاً عن وزارة التجارة الأمريكية ، إحصاءات عن ميزان المدفوعات الأمريكية خلال العام نفسه ، تظهر أن اليهود الأمريكيين أرسلوا أموالاً لإسرائيل عام ١٩٦٧ تفوق أى وقت مضى ، وقالت الإحصاءات الأمريكية أنه في الفترة الممتدة بين بدء الحرب في يونيو ونهاية سبتمبر ١٩٦٧ زادت الحوالات المالية لإسرائيل بما لا يقل عن ٢١٠ ملايين دولار (٣) .

المعتدلون والمتطرفون من بين العرب :

كم من الترتيبات دبرت ؟ وكم من الاتهامات تبودلت ؟ وكم من التحالفات نشبت أثناء تلك الفترة بين جدران السياسة العربية ؟ .

Jewish Observer : 24-11-1967.

(١)

Jewish Observer : 22-12-1967.

(٢)

Jerusalem post ، 24-11-1967.

(٣)

ففى اليوم التالى مباشرة لبدء القتال ، وقعت المناورة الأولى - على حد قول أحد الباحثين الغربيين (١) - إذ بادركل من الرئيس عبد الناصر والملك حسين إلى اتهام الأمريكيين والبريطانيين بأنهم ساهموا إلى جانب الإسرائيليين فى المعركة الجوية ، وطبقاً لهذا رأى أيضاً فإن كلا من عبد الناصر والملك حسين قد رغبا فى انقاذ ماء الوجه على أثر كارثة اليوم الأول من القتال ، وقد فقدوا فيه سلاحيهما الجويين بأكملهما تقريباً ،

وتشير إحدى الدراسات الإسرائيلية (٢) إلى تذرع عبد الناصر بما أسماه : التدخل المسلح البريطانى الأمريكى إلى جانب إسرائيل ، وقد أذاع الإسرائيليون يوم ١٨ يونيو حديثاً من راديو القدس جرى بين عبد الناصر وحسين اتفق فيه الرجلان على اختلاق الاتهام الذى أطلقوه بعد ذلك بساعات ، غير أن الملك حسين قد اتهم أعداءه بأنهم قد اصطنعوا هذا التسجيل بطريق التزوير الأمر الذى لا يمكن معه اعتبار هذا التسجيل (٣) دليلاً قاطعاً .

وطبقاً للروايات الإسرائيلية (٤) فإن هذا الحديث قد تم على الوجه الآتى :
عبد الناصر : هل ستتحدث عن الولايات المتحدة وبريطانيا أم فقط عن الولايات المتحدة ؟

حسين : عن الولايات المتحدة وبريطانيا .

عبد الناصر : هل لدى بريطانيا حاملات طائرات ؟

حسين : (جاء الرد غير مسموع) .

عبد الناصر : حسناً ، يدلى الملك حسين بتصريح وأنا كذلك سأدلى بتصريح ، شكراً أحمد ، ولا تقلق وكن قوياً .

(١) Aleum, op. cit. pp. 448-449.

(٢) Ben Elissar, elahu and Schiff, Zeev : op. cit, p. 232.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid.

حسين : يا سيادة الرئيس إذا كان لديك أمراً ما أو رأياً . : في أية لحظة
: نتعرض لبعض المتاعب فهذا يهون أمره وسوف نتغلب على هذه
المتاعب . : الله معنا . : هل ستدلي جلالتيكم بتصريح بشأن اشتراك الأمريكان
والإنجليز .

حسين : (جاء الرد غير مسموع) ،

عبد الناصر : آلو ، إنني أقول بأنني سأدلي بتصريح وعليك أن تدلي
بتصريح وسنعمل على أن يدلي السوريون هم أيضاً بتصريح يقولون فيه بأن
طائرات أمريكية وبريطانية انطلقت من حاملات الطائرات واشتركت في
المعركة ضدها وسوف نذيع بياناً لإبراز هذه النقطة والتركيز عليها .

حسين : حسناً ، انني موافق على ذلك ،

عبد الناصر : هل يوافق جلالتيكم على ذلك ؟

حسين : (جاء الرد غير مسموع) .

عبد الناصر : شكراً لك ألف مرة ، لا تستسلم لأننا معك وسنرسل اليوم
طائرتنا ضد إسرائيل ، إن طائرتنا تقصف منذ صباح هذا اليوم المطارات
الإسرائيلية .

حسين : شكراً لك ألف مرة ، أرجو لك صحة طيبة (١) ،

وقد سبق أن أوضحنا أن الملك حسين قد اتهم الإسرائيليين بأنهم اصطنعوا
هذا التسجيل بطريق التزوير فضلاً عن أن الفحص الدقيق لمحتوياته يثبت
الإدعاءات الكاذبة الإسرائيليين شكلاً وموضوعاً غير أن هناك اتصال هاتفي
تم بالفعل بين عبد الناصر والملك حسين ولكن الواضح هنا أن إسرائيل نشرته
بصورة مخرفة (٢) . الأمر الذي لا يمكن معه اعتبار هذا التسجيل دليلاً قاطعاً .

Ibid. (١)

(٢) الملك حسين : حربنا مع إسرائيل ، مرجع سابق ص ٦٤-٦٩ .

وعموماً فإن هذه الاتهامات لم تلبث أن تحقّق زيفها تماماً بعد ذلك ببضعة أيام واعترف الملك حسين نفسه بهذه الحقيقة وأعلن اقتناعه بصحة التكتليات التي صدرت من جانب الدولتين اللتين وجه إليهما الاتهام، غير أن مؤشرات التواطؤ الغربي لإسرائيل - وقد سبق أن أوضحنا معاملها في موضع سابق من هذه الدراسة - تتضح للباحث من عدة شواهد بارزة تشير إلى حقيقة أن إسرائيل ما كانت أبداً لتجروء على المبادرة بالهجوم، ولم تكن تستطيع تحقيق ذلك النجاح الذي حققته لو لم تحصل على مساعدة نشيطة من أصدقائها الغربيين وعلى الأخص أمريكا.

ثم علق العرب الآمال على هذا السلاح السحري وهو سلاح البترول، ولهم إذ ما حرموا الأمريكيين والبريطانيين من بترولهم فسوف يضطر أولئك وهؤلاء إلى الانصراف عن مناصرة إسرائيل.

أوقفت العراق ضيخ البترول، وأوقفت جميع الدول العربية بما فيها إمارات الخليج العربي توريد البترول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية أيضاً، وأغلقت سوريا خطوط الأنابيب المارة في أراضيها، وعطلت لبنان العمل في موانئها البترولية، واقترنت هذه الإجراءات بانقمام دبلوماسي ففقطعت مصر والجزائر والعراق وسوريا والسودان وموريتانيا علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، ومن كان من هذه الدول على علاقة ببريطانيا قطع علاقته ببريطانيا أيضاً.

وعموماً فقد وضع للدول العربية مرة ثانية بعد يونيو ١٩٦٧ ضرورة توحيد جهودها ولزوم العودة إلى العمل الجماعي العربي، وعبر عن هذه الأوضاع عبد الماصر في رسالته التي بعث بها للملك حسين في ١٩٦٧/٦/٢٢ حيث قال: «إن من أزم الأمور الآن ألا تدخر جهلداً في تجميع طاقة عمل عربي موحد يقدر على أداء دوره بالنسبة للخطر الداهم على الأمة كلها وعلى مصير شعبها وحتى على قادتها مهما اختلفت الآراء بينهم (١)».

(١) الوثائق الفلسطينية العربية ١٩٦٧، مرجع سابق ص ٤٠٩.

وبعث الملك حسين برده على رسالة عبد الناصر في نفس اليوم فقال :
« لقد آلمني معك ذلك التردد في مواجهة المسؤولية والواجب من قبل بعض
إخواننا العرب ، ولكنني سعيد أن ألتقي مع أخى على الإيمان بضرورة تجميع
الطاقات لعمل عربي جماعي ، لا من أجل السعي لرفع آثار العدوان اللثيم
ومحوه فحسب وإنما لوضع المنطقة العربية الشاملة لدرء الخطر المهدد
بوجودنا وكياننا ومستقبلنا (١) » .

وصدرت عن سوريا في ١٩٦٧/١/٢٤ دعوة تقول « نحن بالتأكيد مع
وحدة العمل العربي ومع وحدة الجهد العربي ... » ، يجب أن يكون الرد هو
التكتل العربي (٢) » .

وأيد الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربي
لأن ذلك يتعلق « ، ، ، بتصفية الجو العربي وتقوية وحدة الصف والمصير
المشترك في القضية الفلسطينية (٣) » .

غير أن الدول العربية جميعها لم تسلك هذا الطريق بحماس واحد بطبيعة
الحال . فمن بينها دول كانت مدركة أن سياسة كهذه ما كانت لتؤدي
إلا إلى نتائج أكثر خطورة ، وفي هذا الميدان كما في الميدان الآخر الأعم ،
مبدأ السياسة الواجب اتباعها حيال إسرائيل ، انقسم العالم العربي بين اتجاهات
أربعة ، فبعض الدول العربية لم تكن تحسن بنفسها معنيتها إلا قليلا بالزاع
مع إسرائيل ، تلك كانت العربية السعودية والمغرب وليبيا ، وفريق
آخر من الدول العربية اتخذ لنفسه طريق الاعتدال وهي تونس والسودان
ويمكن أن يضاف إليهما الأردن أيضاً وذلك بالرغم من المواقف الحماسية
من الملك حسين وقتئذ .

(١) المرجع السابق ص ٤١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣١ .

أيضاً ذهب فريق ثالث من الدول العربية مذهبا مخالفا لمذهب هؤلاء وراح يدعو إلى إتخاذ الوسائل القصوى معلناً رغبته في معاودة القتال ضد إسرائيل وتلك كانت سوريا والجزائر ، وفي انقرة الأولى ، العراق وأخيراً نأى مصر التي اتخذت لنفسها موقفاً على أبعاد متساوية بين المعتدلين والمتطرفين ، ذلك أن عبد الناصر — كان من الحصافة والواقعية بحيث لا ينساق في تيار المتطرفين ، ومن الحرص على ضرورة إنقاذ سمعته ونقوده على العقول بحيث لا ينقاد إلى المعتدلين (١) .

وقد برزت الخلافات بين العرب في « مؤتمر القمة الصغير » الذي انعقد في القاهرة في الفترة ما بين ١٠ ، ١٧ من يوليو ، واجتمع فيه الملك حسين والرؤساء عبد الناصر والأثاسي وعارف وبومدين ، ثم انضم إليهم الرئيس السوداني الأزهرى ، ولو كان الوقت غير هذا الوقت لضرب المؤتمر عرض الحائط بالآراء المعتدلة التي ينادى بها الملك حسين ، ولكن الأمور قد تبدلت وبدأ الملك حسين وكأنه رئيس الدولة التي تلقت أقصى صدمه والتي حاربت على خير وجه ، أما المتطرفون منهم فلمهم يحاربوا قط ، فلم يكن لديهم اذن من الوسائل ما يعينهم على التمسك بسياستهم وكانوا هم يعلمون ذلك كما كان رأى العام العالمى كله يعلمه ، وعلى ذلك انفض الاجتماع — كما يحدث كثيراً في ختام الاجتماعات العربية — من غير أن يتخذ المؤتمر أى قرار. وصدر بلاغ مقتضب في نهاية الاجتماع قال أن رؤساء الدول الممثلة في المؤتمر تفقوا على القيام بالإجراءات الفعالة من أجل إزالة آثار العدوان الصهيونى والإمبريالى على الشعوب العربية (وأنهم قرروا عقد مؤتمرين عربيين أحدهما يجتمع في الخرطوم ويضم وزراء الخارجية العرب ، والثانى يجتمع في بغداد ويقوم وزراء الاقتصاد العرب بوضع السياسة البترولية المشتركة. وبعد ذلك أنطلق الرئيسان بومدين وعارف من القاهرة طائرين إلى

موسكو على أمل أن يجدا لدى الاتحاد السوفيتي العون والتشجيع اللذين منعهما
عنهما أخوانهم العرب .

مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم (٨/٢٩ - ١٩٦٧/٩/٢)

ظروف إنعقاده وردود فعله

طبقاً لما تقرر في « المؤتمر الصغير » الذي عقد على هيئة قمة قى
القاهرة انعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى مدينة الخرطوم فى أوائل
شهر أغسطس من أجل وضع جدول أعمال المؤتمر الكبير الذى تقرر
إنعقاده فى نهاية ذلك الشهر .

وبعد خمسة عشر يوماً من ذلك التاريخ اجتمع فى بغداد وزراء
الاقتصاد والمالية والبنترول لتقديم اقتراحات مشتركة فى المجال الاقتصادى
ولم يمكن الاتفاق على الاقتراح العراقى القاضى بوقف ضخ البنترول وفقاً
تاماً لمدة ثلاثة أشهر كذلك لم يمكن الإتفاق على الاقتراح السورى القاضى
بوقف كل تعامل مع الدول الأنجلوسكسونية . وفى النهاية اتفق الوزراء
على عشر توصيات ، اعتبرت فى حكم السرية نظرياً ، خاصة بكيفية
استخدام « سلاح البنترول » وبسحب الأموال العربية عند الاقتضاء من
بنوك البلاد الموالية لإسرائيل ، وإنشاء صندوق مشترك للتعبير بين
الدول العربية . . . إلى آخر التوصيات (١) ، وكلها توصيات تقرر
عرضها هى الأخرى على مؤتمر القمة فى الخرطوم .

(١) أنظر تكملة هذه التوصيات والمشروعات المختلفة التى كانت قد قدمت إلى المؤتمر فى :
« الجمهورية » - بغداد ١٦-٨-١٩٦٧ وأيضاً : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ مرصع
سابق الوثيقة رقم ٤٢٩ ص ٥٨٤ ، الوثيقة رقم ٤٣٨ ، ٤٤٠ ص ٥٩٦ و ٦١٠ وأيضاً : الأهرام ،
القاهرة ١٨ ، ١٩-٨-١٩٦٧ .

وهكذا برزت أهمية المؤتمر المقرر انعقاده في الخرطوم ، غير أن النقاش عاد مرة أخرى ولفترة من الوقت حول انعقاد هذا المؤتمر بناء على طلب الجزائريين والسوريين الذين خشوا أن يقتصر عمله على التصديق على المقترحات المقدمة من المؤتمرين اللذين سبقت الإشارة إليهما ، وهى مقترحات جد متواضعة في نظر هاتين الدولتين .

وأخيرا قبل الأتاسى وبومدين أن يبعثا بمندوبيهما إلى المؤتمر في الخرطوم لتمثيلهما فيه عند افتتاحه يوم ٢٩ من أغسطس وربما كان ذلك تحت تأثير من جانب الرئيس تيتو الذى كان قد قام قبل ذلك بأسبوعين بجولة في الشرق الأوسط سعيا منه وراء إعداد مشروع للسلام .

وهكذا ، وبعد حوالى شهرين ونصف الشهر من المداولات ، وثلاثة شهور على الهزيمة في حرب يونيو ١٩٦٧ ، افتتح في العاصمة السودانية مؤتمر القمة العربى الرابع ، كان ذلك اليوم ٢٩ أغسطس وكان أمام المؤتمر مشروع جدول أعمال مقسم إلى قسمين : الأول سياسى ويشتمل على توصيات وزارة الخارجية العرب والآخرا اقتصادى ويشتمل على توصيات مؤتمر المال والاقتصاد والنفط العربى .

وقد حضر المؤتمر ملوك ورؤساء ثمانى دول عربية . وممثلا ملك المغرب وملك ليبيا وممثلوا رؤساء تونس والجزائر وسورية ، ولكن المندوب السورى غادر المؤتمر عائدا إلى بلاده في اليوم التالى لافتتاح المؤتمر مباشرة بناء على تعليمات من حكومته (١) ، ووصفت الصحف السورية الرسمية المؤتمر بأنه « المنبر الأخير للدعاة تصفية قضية فلسطين (٢) »

(١) صحيفة الثورة السورية ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٢) الثورة السورية ٣١-٨-١٩٦٧ .

وكان الملك الحسن الثاني قد بعث برسالة إلى المؤتمر أعرب فيها عن أمله في أن يسفر المؤتمر عن « قرارات فعالة ونتائج إيجابية تنير أمامنا السبيل لخوض المعارك القادمة التي لا يستثنى منها جانبها السياسي (١) » كما بعث برسالة خاصة إلى الرئيس جمال عبد الناصر أكد له فيها أنه يؤيد أي قرار يتخذه المؤتمر لازالة اثار العدوان (٢) .

ولدى وصوله إلى العاصمة السودانية ألقى عبد الناصر خطاباً في الجماهير السودانية أعلن فيه أنه ليس هناك من مكان لا يذهب إليه من أجل اتاحه المجال أمام أية محاولة « تلوح من ورائها بادرة أمل في أن تكون للقوة العربية فعاليتها الحقيقية والمطلوبة (٣) » .

كان هذا المؤتمر الرابع للقمّة الذي يعقده العرب هو مؤتمر الهزيمة وقد افتتح في جو مشحون ، خصوصاً على أثر الشائعات المقلقة التي انتشرت حول الأوضاع في القاهرة ولسبب تأجيل وصول عبد الناصر الساعة بعد أخرى حيث علم بعد وصوله أن مؤامرة كانت قد اكتشفت فعلاً في القاهرة وأن عبد الناصر كان قد ألقى القبض على أقرب أصدقائه وزملائه إليه ، المشير عبد الحكيم عامر (٤) ، وسادت المؤتمر الانقسامات بين الثوريين والرجعيين العرب ثم زادت عليها المنازعات بين مصر والسعودية بخصوص اليمن حيث تم في الليلة ما بين ٣٠ ، ٣١ من أغسطس توقيع اتفاق جديد سويت به المسألة اليمنية بين عبد الناصر وفيصل وقد بدا أنهما قد تصالحا نظرياً — على حد قول أحد الباحثين (٥) — وحل بينهما الوفاق ، ولكن المشكلة الأساسية أمام المؤتمر ظلت هي مشكلة إسرائيل .

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ، وثيقة رقم ٤٧٠ ص ٦٤٨ .

(٢) الحياة ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٣) الأهرام ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٤) أنظر المعلومات القيمة بهذا الخصوص في : محاضر المحاكمات المصرية للضباط المتهمين

بالتآمر لقلب نظام الحكم .

Aleum. op. cit. p. 455.

(٥)

لقد كان الطابع المميز لهذا المؤتمر العربي الرابع الذى انعقد على مستوى القمة هو أن فريقاً من الرؤساء العرب تحدثوا للمرة الأولى من قبل هذه الاجتماعات العليا ، بلغة الحقيقة والواقع ، من غير أن تثير كلماتهم الحنق والاستنكار من جانب زملائهم . حقاً لقد قام الرئيس بورقيبة فى الماضى ولمرات عديدة يلقي عبارات التعقل والروية فى شجاعة نادرة وجرأة زائدة ، ولكن خبر الشتم والإهانات التى لحقت به من جراء تدخله هذا أمر معروف مشهود :

وفى المؤتمر - الذى اقتصر اجتماعه على الملوك والرؤساء ووزراء الخارجية والسيد أحمد الشقيرى ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية تلا الرئيس الأزهرى - رئيس المؤتمر ، رسالة من الرئيس التونسى ، الحبيب بورقيبة ، يعتذر فيها عن الحضور متمنياً للمؤتمر كل النجاح (١) ، كما تليت رسالة الملك الحسن الثانى ورمالته من رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الكيسى كوسيجين والرئيس السوفيتى نيكولاى بودجورنى يتمنيان للمؤتمر النجاح ، ويعربان عن تأييد الاتحاد السوفيتى للشعوب العربية فى كفاحها لإزالة آثار العدوان (٢) .

وفى الخرطوم استطاع كل من الرئيس عبد الناصر والملك حسين أن يقدموا صورة صادقة للوضع وأن يؤكدا أن على العرب أن يسعوا إلى إيجاد الحل السياسى الشريف بالعمل على اكتساب الاهتمام المقرون بالاحترام من جانب غالبية دول العالم إن لم يكن من المستطاع الحصول على موافقتها جميعاً .

(١) وكانت السفارة التونسية قد أذاعت فى عمان بياناً فى ٢٨ أغسطس نفت فيه تصريحات نسبتها وكالات الأنباء للرئيس التونسى فى خطاب لإلقاء أمام الطلبة التونسيين يوم ٢٣ أغسطس بشأن كيفية مواجهة الموقف للناتج عن العدوان دعا فيها الدول العربية إلى الاعتراف بوجود إسرائيل وإنهاء حالة العداء بين الدول العربية وإسرائيل وأن تحرير فلسطين - بعد الاتفاق الأمريكى السوفيتى - أصبح مستحيل التحقيق - العمل ٢٥-٨-١٩٦٧ .

(٢) الأهرام ٣٠-٨-١٩٦٧ .

ولم يخف عبد الناصر خطورة الأزمة الاقتصادية التي تهدد مصر بعد حرمانها من عائدات قناة السويس ومن موارد السياحة ومن بترول سيناء مقررناً ذلك كله بكارثة محققة في محصول القطن (١) وقد اختتم عبد الناصر كلمته بالدعوة إلى بناء القوة العسكرية العربية، وأنه « لا بد من خطة مدعمة يتم وضعها (٢) ».

وقد ذكر أن الرئيس عبد الناصر أعلن في خطابه أن الوقت الحالى « ربما لم يكن الوقت المناسب للنظر في القيام بمغامرة عسكرية جديدة ضد إسرائيل وأن مصر مستعدة لمتابعة النزاع ولكن من الأهمية أن تسبق ذلك وحدة عربية تامة (٣) ».

غير أن الحالة القائمة لم تكن تبيح التفكير في مواجهة جديدة لم يعد يملك لها لا الوسائل العسكرية ولا الوسائل المالية ، وزاد عبد الناصر قوله إن الحالة في الأردن تفوق مصر سوءاً ، وأنه يتعين إطلاق الحرية الكاملة أمام الملك حسين ليستطيع البحث عن الحلول التي تتيح له الخروج من المأزق الذى تردى فيه . واقترح عبد الناصر من أجل الحلولة دون اضطراب الأردن تأجيل الدخول في مفاوضات منفصلة ، أن يوافق المؤتمر على المقترحات الحكيمة التي كان الرئيس تيتو قد أبدأها في أثناء زيارته الأخيرة ، وهى أن تقبل الدول العربية قراراً من الأمم المتحدة بضم الحدود في الشرق الأوسط وأن يقبلوا حرية الملاحة في خليج العقبة وفي مقابل ذلك يتم الجلاء عن الأراضي المحتلة وكان ذلك اعتراف واقعى لا شك فيه بإسرائيل .

أما الملك حسين فهو لم يتردد في إعلان أن نصف بلاده قد تهدم فعلاً وأن بلاده لن تلبث أن تنهار تماماً إذا لم يتم الوصول سريعاً إلى حل لإجانب وقال أن ظروفه هذه تجعله على استعداد للتقدم بطلب إلى إسرائيل يعرض عليها فيه لإنهاء حالة الحرب ، ولم يتردد الملك حسين في ختام خطابه أن يعلن

(١) الحياة ٣١-٨-١٩٦٧ .

(٢) الأهرام ٣١-٨-١٩٦٧ .

(٣) الحياة ٣١-٨-١٩٦٧ .

أن أسباب الكارثة ترجع إلى غوغائية الزعماء العرب وعدم إحساسهم بالمسؤولية

ولم يعترض على هذا الكلام من بين الحاضرين غير السيد / بوتفليقة ممثل الجزائر والسيد أحمد الشقيري ، وقام الأول بحذر أعضاء المؤتمر من خطر الاستسلام للسير في طريق التنازلات .

أما الشقيري فقد تقدم بمذكرة إلى المؤتمر (حيث لم يكن هناك محاضر للجلسات المؤتمر) ركز فيها على موضوعات : (إزالة آثار العدوان) ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي ، ووضع خطة عربية شاملة سياسية واقتصادية وعسكرية وتنظيمية ومالية لبحث الوضع العربي بعد يونيو ١٩٦٧ .

وبالرغم من النزق واللامبالاة وهما العادتان اللتان جبلا عليهما الشقيري - كما يرى البعض - فإننا سوف نتعرض لمدى ما بذله الشقيري في هذا المؤتمر خصوصاً على صعيد العمل الفلسطيني .

فقد قال (١) الشقيري أمام المؤتمر أنه يعرض خطة دخول وحدات من جيش التحرير الفلسطيني أمام المؤتمر إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحيث تتمركز في أماكن متفق عليها ، على أن تؤلف هيئة أركان مشترك فيها ضباط من جيش التحرير الفلسطيني وبعض ضباط القيادات العربية وأن يكون مقرها عمان لإمداد القاديين في الداخل بالرجال والسلاح والمهمات والتدريب والخطط من وقت لآخر .

ويقول الشقيري أن الملك حسين قد ثار على خطته ، حيث قال « أما

(١) جميع المعلومات والمقتطفات الواردة هنا مصدرها :

أحمد الشقيري : ذكريات عن مؤتمر القمة في الخرطوم في مجلة شئون فلسطينية - إصدار مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ١٩٦٧ العدد رقم ٤ ص ٩٠-٩٩ ومقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيري - القاهرة ٨-١-١٩٧٥ .

كفانا ما حصل ، لننتعظ ؛ أتدعوننا للحرب وقد انهزمنا بالأمس ؟ وما نزال نتكلم عن الكفاح وعن السلاح ، أنا أرى أن البحث عن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي خيانة عظمى ، يجب أن نبحث عن حل سلمي وأسلوب سياسى لإزالة الاحتلال عن أهالى الضفة الغربية .

ورد الشقيرى على الملك حسين قائلا أنه مقتنع تماماً أنه لا حل سلمي للقضية لأن إزالة آثار العدوان لن تتم إلا بالقنال والسلاح والكفاح ،

ويكشف الشقيرى عن أن اللاءات الثلاثة (لا تفاوض ، لا اعتراف لا صلح مع إسرائيل) هى من صنعه هو ، وأن مؤتمر القمة فى الخرطوم قد أقرها تحت ضغط منظمة التحرير وتهديد وفدها بالانسحاب وأن الفضل يعود إلى الرئيس عبد الناصر فى تثبيت لا (لا صلح) بعد أن أمر الملك حسين على حذف هذه اللاء (١) .

ويضيف الشقيرى أن هذه اللاءات كانت مصحوبة بلاء أخرى تنص على ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية كما اقترح الشقيرى أنه إذا طرح حل للقضية الفلسطينية يمكن أن توجه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى تحضره منظمة التحرير الفلسطينية ، فإذا وافق المؤتمر على هذا الحل بالإجماع يؤخذ به وإذا رفضه المؤتمر يسقط .

وحيث لم يوافق مؤتمر الخرطوم على ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية ، ولم يوافق على اقتراح الدعوة إلى مؤتمر قمة عربى للنظر فى أية حلول مقترحة انسحب الشقيرى ووفد منظمة التحرير الفلسطينية من المؤتمر ورفضوا كافة محاولات إعادتهم ثانية .

وبالطبع لم تشترك « فتح » فى مؤتمر القمة العربى الرابع لأن منظمة التحرير الفلسطينية كانت الصيغة الفلسطينية المعترف بها من قبل مؤتمرات

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى ، القاهرة ، ٨-٢-١٩٧٥

القمّة العربية وجامعة الدول العربية والدول العربية ، كذلك فإن « فتح »
لم تتقدم بأيّة مذكرة لهذا المؤتمر (١) ،

كذلك فقد بحث المؤتمر النتائج التي أسفرت عنها مناقشات الجمعية العامة
للأمم المتحدة في دورتها الاستثنائية لبحث أزمة الشرق الأوسط وتضايف
جهود الدول العربية لازالة آثار العدوان المستمر وراء إسرائيل ، واستمرار
سياسة وقف ضخ البترول العربي للدول التي ساندت العدوان وتصفية القواعد
العسكرية في الأرض العربية ووضع خطة شاملة بعيدة المدى سياسيا وعسكريا
واقصديا لدعم التضامن العربي وتحقيق المبادئ السابقة (٢) ،

وفي البيان الختامي أقر المؤتمر ضرورة تحقيق وحدة الصف العربي
ووحدة العمل الجماعي وتصفيته من جميع الشوائب ، وضرورة التمسك
بميثاق التضامن العربي الذي أصدره مؤتمر القمة العربي الثالث وتطبيقه ،
كما قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الأجنبية في الدول العربية ، وبخصوص
قضية ضخ البترول العربي وتصديره إلى الدول التي ساعدت إسرائيل في
عدوانها على البلاد العربية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ،
فقد انتهى المؤتمر خلافا لما أوصى به وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب ،
إلى أنه : « بعد دراسة الأمر مليا اتضح أن الضخ نفسه يمكن أن يستخدم
كسلاح إيجابي باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم اقتصاد
الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود في
المعركة » ،

وبالفعل فقد اتخذ المؤتمر قرارا منفصلا ، لم يرد البيان الرسمي

(١) فواز الشرفاوي ، حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ١٩٦٥-١٩٧١ رسالة
ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ص ص
٣٥٥-٣٥٦ ، ص ص ٤٠١-٤٠٣ .

(٢) الحياة ١-٩-١٩٦٧ .

التزمت السعودية بمقتضاه بدفع مبلغ ٥٠ مليون جنيه استرليني سنويا ، والكويت ٥٥ مليون جنيه استرليني سنويا وليبيا ٣٠ مليون جنيه استرليني سنويا ، بحيث يتم تحويل هذه الإلتزامات إلى دول المواجهة (استحوذت مصر على الجزء الأكبر من هذا الدعم ، وكذلك الأردن ، ولكن سوريا لم ينلها نصيب) على أقساط ربع سنوية تبدأ منذ منتصف أكتوبر ١٩٦٧ حتى إزالة آثار العدوان الإسرائيلي (١) .

كما اتخذ المؤتمر قرارين في غاية الأهمية : فقد « قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان على أساس أن الأرض المحتلة أرض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية جمعاء » و « اتفق الملوك والرؤساء العرب على توحيد جهودهم في العمل السياسي على الصعيد الدولي والدبلوماسي لإزالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها بعد الخامس من يونيو ، ذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول العربية وهي : عدم الصلح مع إسرائيل أو الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه (٢) » .

وهناك من يقدم (٣) صحيفة أخرى لهذه المبادئ الأساسية بحيث تقول « لا تفاوض ، لا اعتراف ، لا صلح مع إسرائيل ، لا تفريط بحق الشعب العربي الفلسطيني وهي ما عرفت بلاعات (جميع لا) الخراطوم (٤) » .

(١) السياسة الدولية ، العدد ١٠ ، أكتوبر ١٩٦٧ ، ص ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ . ٢٤ .

(٢) ج.ع.م. الهيئة العامة للاستعلامات : ملف القضية الفلسطينية ، ج ٢ ، مرجع سابق ص ١٥٧٥ .

(٣) الأستاذ أحمد الشقيري : مقابلة شخصية .

(٤) نفس المصدر السابق .

وعموماً فإن قيمة مؤتمر القمة العربي في الخرطوم - رغم ما عكس صفوه (١) - في أن قراراته ومبادئه الأساسية اتخذت أساساً لكل التحركات العربية - جماعية أو فردية - حول التعامل في مشكلة فلسطين أو ما أصبح يعرف بأزمة الشرق الأوسط ،

وقد اختلفت ردود فعل مؤتمر القمة العربي في الخرطوم ، فالبعض يرى أن العرب قد عجزوا وهم ممزقون بين أحلامهم ومصالحهم عن أن يقبلوا في قراراته الختامية التعبير عن الواقعية التي انطبعت بها مداولاتهم ومناقشاتهم والقرارات العملية التي اتخذوها ، وبالتالي فإن إسرائيل لم تكن لتجد وضعاً أفيد لها من هذا الوضع ، ذلك أنها وقد تخلصت من التهديد بالحرب الذي كان يوجهه إليها خصوصاً ، لم تعد اليوم تخشى شيئاً قلر خشيتها من الاعتدال لدى هؤلاء الخصوم خصوصاً وأن العرب في مؤتمر الخرطوم قد تخلوا عن طريق التفاوض تاركين بذلك الفرصة لإسرائيل لتتصاعد بمطالبها وتزداد تشبثاً بموقفها كلما مرت الأسابيع .

بينما يرى فريق آخر من الباحثين أن مؤتمر الخرطوم ومؤتمرات القمة العربية عموماً قد جاءت لتؤكد في جانب منها ، صعوبة تفويض السلطة في للنظم العربية - على اختلافها - واستحالة وصول المستوى الأدنى منها لقرارات ملازمة وأنها جاءت أيضاً تلبية لأوضاع متأزمة ، وما من مؤتمر قمة دعى لرسم سياسة إيجابية بحته (٢) أضف إلى ذلك أن جميع قرارات القمة

(١) وقد حدث حادثان في المؤتمر عكرا صفوه . الأول المشادة الكلامية للعيفة بين الشقيرى والملك حسين وقد أشرنا إليها في المتن : والحادث الثانى بين الملك حسين والسيد محمد أحمد محبوب رئيس حكومة السودان وقد أدت هذه المشادة إلى انسحاب الشقيرى وعدم توقيعهم على مقررات المؤتمر الذي اتخذ قراراً بتجميد منظمة التحرير الفلسطينية «حتى إشعار آخر» ، النهار ١٩٦٧-٩-٢ ، الحياة ١٩٦٧-٩-٣ ، الأهرام ١٩٦٧-٩-٢ .

(٢) دكتور سيد نوفل : الدبلوماسية العربية في خمسة وعشرين عاماً ، مجلة معهد للبحوث والدراسات العربية ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٧١ ص ٣١-٦٤ .

هشام شرابى ، المقاومة للفلسطينية في وجه أمريكا ، ترجمة انعام رعد ، بيروت ، دار النهار ١٩٧٠ ص ٩١-٩٤ .

شكملت لارتباطات شخصية ، غير أن هذا الطابع لا ينفى عنها طابع الإلزام وإنما جعلها لا تمثل موقف الدولة بقدر ما تمثل موقف الزعماء وبالتالي فإن أى تعديل فى القيادة أنطوى دائماً على تعديل فى الارتباطات وبالرغم من ذلك فإن مؤتمرات القمة قد شكّلت الأساس الضرورى لوضع استراتيجية عربية سياسية وهو ما يتضح بصورة أكثر تلبوراً فى مؤتمر الخرطوم حول التعامل مع المشكلة الفلسطينية .

كذلك يعتبر من ردود فعل مؤتمر القمة العربى الخرطوم ما حدث بعد مضى حوالى ثلاثة أشهر من محاولة جديدة لعقد مؤتمر قمة عربى خامس ولم يكتب النجاح لهذه المحاولة ، ففي ٢٢ نوفمبر أقر مجلس الأمن قراره المنتظر المتعلق بحرب يونيو وأزمة الشرق الأوسط ، وقد كان هذا القرار سبباً لدعوة جديدة وجهت لعقد مؤتمر قمة عربى آخر .

أيضاً ، يعتبر السباق مع الزمن - الذى دخلته الدول العربية لتحسين موقفها العسكرى بعد الهزيمة - أحد ردود الفعل الجوهرية لمؤتمر الخرطوم فقد انصرفت الجيوش العربية بكل قواها إلى إعادة بناء كيائها ودعم فاعليتها وتنمية قدراتها على الصمود ، بينما استمرت القوات الإسرائيلية تتمتع بمزايا عسكرية واستراتيجية ضخمة ، وجاء مؤتمر الخرطوم ليطور ويحرك عناصر الموقف العربى ويضع الأسس العامة لاتجاهات السياسة العربية فى صراعها مع إسرائيل ويعطى دفعة إضافية لقدرة الصمود العربى (١) :

وفى أعقاب ذلك أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وهو ما يقتضى وقفه خاصة للتفسير والتعليل ،

(١) فواز الشراوى ، مرجع سابق .

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ :

ظروف صدوره وردود فعله :

كان مجلس الأمن قد أّجل اجتماعاته في الرابع عشر من شهر يونيو إلى أجل غير مسمى ، وفي الثامن من يوليو عاد . للاجتماع بناء على طلب مصر لينظر في الشكوى المصرية ضد إسرائيل (١) بأن الجنود الإسرائيليين قد قاموا برمي قنابلهم على بور فؤاد والتينة ورأس العش والكاب في منطقة القناة المكتظة بالسكان ، وقد جابهت إسرائيل شكوى مصر بشكوى مقابلة (٢) .

وقد قدم الأمين العام للأمم المتحدة تقريره إلى مجلس الأمن مقترحا وضع مراقبين دوليين في منطقة القناة ووافق المجلس على ذلك وما لبث أن ازداد عدد المراقبين إلى ستة عشر ثم إلى أربعة وعشرين وزعوا على جانبي القناة وذكر الأمين العام في تقريره أيضاً بأن السلطات العسكرية الإسرائيلية قد أعادت دار الحكومة بالقدس - وهي مقر هيئة مراقبة الهدنة - إلى الأمم المتحدة وأن الأمين العام أمر كبير مراقبي الهدنة ومعاونيه بالعودة إليها ، وأنه ابتداء من الرابع والعشرين من أغسطس أصبح علم الأمم المتحدة يرفرف فوق دار الحكومة .

وفي الرابع والعشرين من شهر أكتوبر اجتمع مجلس الأمن لينظر في الشكوى الثانية التي قدمتها مصر ضد إسرائيل لارتكاب هذه الأخيرة أعمالاً بربرية يضربها مدينة السويس وإشعال مصفاة البترول وهدم مصنع للأسمدة وعدم تمييز إسرائيل بين الأحياء الآهلة بالسكان والمناطق الصناعية (٣) ،

(١) المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن ، مرجع سابق بتاريخ ٨-٧-١٩٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8044 بتاريخ ٨-٧-١٩٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8207 بتاريخ ٢٤-١٠-١٩٦٧ .

وكما دلتها في كل مرة قدمت اسرائيل شكوى مضادة للشكوى المصرية تتلخص في أن القوات البحرية المصرية هاجمت المدمرة الإسرائيلية «إيلات» وأغرقها مما نتج عنه مقتل تسعة عشر شخصا وفقدان ثمانية وعشرين وجرح واحد وتسعين (١) .

وقد ناقش مجلس الأمن هذين الشكوتين أو نتج عن هذه المناقشة أن قدم كل من مندوبي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مشروع قرار إلى مجلس الأمن ثم مشروع قرار معدل من مندوب نيجيريا وقد أخذ به مجلس الأمن ويتلخص في ضرورة الامتثال لقرارات وقف إطلاق النار والتعاون مع هيئة مراقبي الهدنة (٢) .

غير أن مجلس الأمن عقد سلسلة من الاجتماعات ابتدأت في التاسع من شهر نوفمبر لينظر في شكوى مصر ، وللهذه الاجتماعات أهمية خاصة إذ نتج عنها قرار مجلس الأمن في الثاني والعشرين من نوفمبر الذي بموجبه تم تعيين الدبلوماسي السويدي جونار يارنج ليمجد - عبثا - حلال لمشكلة الشرق الأوسط

وعلى أي حال فقد نظر مجلس الأمن خمسة (٣) مشاريع قرارات قدمت إليه خلال هذه الاجتماعات وهو مشروع قدمته الهندومالي ونيجيريا ولأثنين آخرين قدمهما الاتحاد السوفيتي ، ومشروع قرار قدمته الولايات المتحدة الأمريكية ، أما مشروع القرار الخامس والأخير فقد قدمته بريطانيا وهو المشروع الذي وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع . وقد نص مشروع القرار البريطاني على ما يأتي (٣)

(١) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8208 بتاريخ ٢٤-١٠-١٩٦٧ .

(٢) وهو القرار رقم (S.RES,249,1957) .

(٣) أنظر تفصيل هذه المشاريع في : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ،

من ص ١٠٥٣-١٠٥٦ .

(٤) 'المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن وثيقة رقم (S,RES/242.1967) .

إن مجلس الأمن :

— إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط ،
— ولإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أراضى بواسطة الحرب ،
والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة أن تعيش
فيه بأمان ،

« — ولإذ يؤكد أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد
التزمت بالعمل وفقاً للمادة الثانية من الميثاق :

أولاً : يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم
في الشرق الأوسط وبموجب المبادئ التالية :

(أ) سحب القوات الإسرائيلية من أراضى احتلتها في القتال الأخير ،
(ب) لإنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة
أراضى كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسى
وحقها في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحررة من التهديد أو
أعمال القوة ،

ثانياً : يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة ،

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة في المنطقة
عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح .

ثالثاً : يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق
الأوسط كى يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية . بغية إيجاد اتفاق

ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة في مشروع القرار هذا

رابعا : يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن (١) .

والملاحظ أن بريطانيا قد لعبت دوراً دبلوماسياً بارعاً فأخذت من جميع المواقف المتناقضة ومن جميع الاتجاهات التي سادت الأمم المتحدة حتى نوفمبر ١٩٦٧ عناصر زائنتها ببراءة ودقة فائقتين ، وركبت منها الصيغة السابقة بحيث لا تقبل الزيادة أو النقصان ، وتضمن موافقة جميع الأطراف ، حتى الإبهام الذي ساد بعض النقاط في المشروع كان إبهاماً مقصوداً ويشكل جزءاً لا يتجزأ من القرار ككل إذ أنه لولا ذلك الإبهام لما وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع .

فبخصوص صياغة وغايات (٢) القرار ، تجلت في صياغته كل الخصائص الدبلوماسية البريطانية من غموض ومراوغة وحنكة ، بحيث وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع غير أن التفسيرات حوله قد وصلت ليس إلى الاختلاف فحسب بل إلى حد التنافس أيضا .

ويحاول القرار أن يلقي التزامات متوازنة على الجانبين (العرب وإسرائيل ولكنها التزامات غامضة (٣) . صحيح أنه طالب بانسحاب القوات الإسرائيلية ولكنه لم يوضح هل هو انسحاب من « كل الأراضي » وفقاً للنص الفرنسي والسوفيتي والأسباني ، وحسب التفسير العربي ، أم أنه يطالب بانتهاء حالة الحرب واحترام السيادة والحدود الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقوقها في العيش بسلام في نطاق حدود

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ص ١٠٥٥-١٠٥٦ .

(٢) الدكتور بطرس بطرس غالي : القضايا العشرية في تسوية أزمة الشرق الأوسط في :

السياسة الدولية ، العدد ٢٤ أبريل ١٩٧١ ، مؤسسة الأهرام ص ص ٤-١٢ .

(٣) فواز الشرفاوي ، مرجع سابق ،

أمنة ومعترف بها ، محمية من التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ولكنه لم يوضح ما هو المقصود بالحدود الآمنة ، فالعرب يرون أنها عودة لإسرائيل إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ في حين ترى إسرائيل أن حدودها الآمنة لا تتحقق بعودتها إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ وتطالب بإجراء تعديلات أقليمية وتغيرات في الحدود .

ثم ينتقل القرار إلى تأكيد ضرورة « تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » ولكنه لم يوضح هل تتم هذه التسوية بالعودة إلى توصية الأمم المتحدة رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ الداعية إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين الراغبين في العيش بسلام في وطنهم وتعويض غير الراغبين في العودة ، أم تتم كما ترى إسرائيل بعقد مؤتمر يضم دول الشرق الأوسط والدول التي تعمل على إغاثة اللاجئين الفلسطينيين والوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ويقوم بوضع حل لمشكلة اللاجئين يركز على توطينهم في البلاد العربية وتنظيم حملة تمويل أقليمية وعالمية لتنفيذ هذه الخطة ، على أن يتم ذلك في إطار سلام نهائي ودائم في منطقة الشرق الأوسط ،

وطالب القرار من أجل ضمان الحرمة « المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة بإنشاء « مناطق منزوعة السلاح » ولكنه لم يوضح هل تكون هذه المناطق على جانب واحد أم على جانبي الحدود العربية « الإسرائيلية » .

وهناك العديد من التساؤلات حول المهمة التي كلف بها الدكتور يارنج : هل هي وساطة أم هي جهود من أجل جمع الأطراف المعنية على مائدة مفاوضات وهل تجري المفاوضات مباشرة - كما ترى إسرائيل - ؟ أم هل تجري عن طريق غير مباشر - كما يرى العرب ؟ .

وهل يجري الانسحاب أولا ثم يأتي الاعتراف ، أم الاعتراف أولا ثم يجري الانسحاب ؟ وما هي القوة الإلزامية للقرار أزاء الأطراف المعنية ؟ وغيرها من التساؤلات الناجمة عن الغموض ،

وهكذا تجسدت دلائل الحبث والدهاء والحسابات الدقيقة من جانب بريطانيا في صياغة قرار مجلس الأمن (١) ، إذ قالت بريطانيا أنها تريد إلقاء أعباء متساوية على الجانبين في حل النزاع العربي الإسرائيلي تكون أكثر ديمومة وتقوم على أساس عادل ولكن الغموض اكتنف القرار ، ففى حين أنه أكد عدم جواز ضم الأراضى عن طريق الحرب ، وأعلن ضروره أنسحاب القوات الاسرائيلية ، عاد فلم يبت في مسألة هل سيكون الأنسحاب من « أراضى عربية احتلت في النزاع الأخير » وذلك بدون إضافة « ال » التعريف إلى كلمة « أراضى » كما ورد في النص الانجليزي أم سيكون الأنسحاب من « الأراضى العربية . . . » أى أن « الأراضى » أصبحت معرفة كما ورد في الترجمات الفرنسية والروسية والأسبانية للقرار ؟

وقد تجنب رئيس وفد بريطانيا في الأمم المتحدة أى التزام محدد في رده على المندوب الهنسى - الذى حاول استيضاح هذه النقطة - وقال لورد كارادون أن مشروع القرار يجب أن ينظر إليه ككل وكما هو .

نقطة غامضة أخرى هى أنه في الوقت الذى طالب فيه القرار بانسحاب القوات الإسرائيلية من أراضى عربية . . . ، طالب القرار أيضاً بانتهاء حالة الحرب والاحترام والاعتراف بسيادة ووحدة أراضى كل دولة في المنطقة وكذلك استقلالها السياسى وحققها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها - ولكن القرار لم يوضح أى الخطوتين يجب أن تسبق الأخرى في التنفيذ ، ولم يحدد كذلك ما هو المقصود بالحدود الآمنة .

نقطة ثالثة غامضة أيضاً هى أن القرار طالب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يعين ممثلاً خاصاً له في الشرق الأوسط كي يقوم

(١) شهادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧-١٩٧٠ ، سلسلة كتب فلسطينية .

رقم ٣٣ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ١٠٤-١٠٨ .

ويحتفظ باتصالات مع الدول المعنية بغية تحقيق اتفاق والمساعدة في الجهود المبذولة للوصول إلى تسوية سلمية مقبولة. ولكن القرار لم يبين هل على ممثل السكرتير العام أن يقوم بالوساطة بين العرب وإسرائيل دون أن يلتقي الطرفان ، أم أن عمل الممثل الخاص ما هو إلا خطوة تمهيدية تعد لمفاوضات مباشرة بين الطرفين المتنازعين ؟ ^{٣١}

ولاشك أن هذه النقاط الغامضة وغيرها تمثل فمه نجاح الدبلوماسية البريطانية المرنة والمراوغة حيث استطاعت أن تجمع أعضاء مجلس الأمن على قبول القرار بالأجماع في حين أن القرار عسير التنفيذ وإذا نفذت فستحكمه التوازنات الدولية . ورغم كل الجهود التي بذلت في التقدم بمشروعات لتنفيذ القرار عقب ذلك وما جرى من محادثات واتصالات ثنائية وجماعية ومؤتمرات دولية - إلا أن الحقيقة التالية : بقيت ماثلة :

لقد وضع هذا القرار كى يطبق على أساس التوازنات التي ستكون عليها الأوضاع العربية والإسرائيلية والدولية حين تطبيقه ، ولكن ليست الدول الكبرى ولا العرب ولا إسرائيل راغبين في تنفيذه بصدق .

ولقد أثار القرار ردود فعل مختلفة بين فئات الرأى العام العربى خاصة ، فصر والأردن ولبنان أعلنوا قبولهم لقرار مجلس الأمن ، أما سوريا فقد تطور موقفها من الرفض المطلق إلى عدم الممانعة إلى القبول بهذا القرار . وقد بررت الدول العربية التي قبلت القرار قبولها بأنه عودة جميع الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، وبأنه يضمن احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في وطنه .

أما العراق والجزائر وحركة المقاومة الفلسطينية فقد أعلنت رفضها المطلق لقرار مجلس الأمن واستندت جبهة الرفض ومنتقدو القرار في إبراز مخاطر القرار

على الوضع بين العربي والفلسطيني في استخلاص النتائج الآتية (١).

١ - أن إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل تعني السماح لإسرائيل بالمرور في الممرات المائية العربية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل ، صحيح أن المادة ٦ من ميثاق الأمم المتحدة تقول أن إنهاء حالة الحرب لا يتطلب بالضرورة إنهاء المقاطعة الاقتصادية ، ولكن الواقع يثبت أن المقاطعة ستتأثر كثيرا بقدر ارتباط بعض الدول العربية بالتكتلات الاقتصادية الدولية والتي ستكون إسرائيل طرفا فيها (مثل السوق الأوروبية المشتركة) وفي هذه الحالة تنتهي المقاطعة عمليا .

كما يجب أن يترتب على إنهاء حالة الحرب التفرج عن الاقتصاد الإسرائيلي بعد ضيق وفتح الباب أمام غزو المنتجات الإسرائيلية للأسواق العربية بغض النظر عن وجود أو عدم وجود اتفاقات اقتصادية .

٢ - أن احترام السيادة والحدود الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول منطقة الشرق الأوسط وتمتعها بحقوق آمنة معترف بها محمية من التهديد باستخدام القوة أو استخدامها بمعنى :

(١) - الاعتراف بإسرائيل ، إن لم يكن رسميا قانونيا ، فهو بالتأكيد واقعا . وهذا يعني الاعتراف بشرعية استيلاء إسرائيل على الأراضي الفلسطينية التي اكتسبتها عامي ٤٨ ، ١٩٤٩ وهو ما سمعت إليه إسرائيلي دوما منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، إلى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ إلى العدوان الإسرائيلي على الدول العربية عام ١٩٦٧ .

(ب) - الحفاظ على أمن إسرائيل يعني منع الدول العربية من القيام في المستقبل بأي عمل عسكري ضد إسرائيل - كما يعني ضرب العمل القبايلي

(١) جورج ديب : قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ في :
الثقافة العربية ، المدين ٨ ، ٩ آب (أيلول) ١٩٧٠ ، النادي الثقافي العربي ، بيروت
ص ص ٢٦٦-٢٨٨ .

الفلسطيني وإيقاف حركة المقاومة الفلسطينية والحيلولة دون الشعب العربي الفلسطيني والرأى العام العربي من تحقيق الواجب القومى المقدس فى تحرير فلسطين من الوجود الصهيونى الأمبريالى (١) ٥

٣ - أن إقامة سلام دائم بين العرب وإسرائيل يمكن أن يجلب نتائج خطيرة على الجانب العربى ، فهو سيفتح الباب أمام هجرة يهودية كبيرة من شتى أنحاء العالم وسيفتح الفرصة أمام إسرائيل لاكتساب الاعتراف والتعامل مع دول صديقة للعرب ، وسيضر بقضية الوحدة العربية الجزئية والكاملة نظرا لوجود إسرائيل كحاجز يفصل بين الشرق والغرب وسيقطع على حركة التحرر العربى والفلسطينى أهدافها نحو التحرر والتقدم الاجتماعى والوحدة وعدم الانحياز ، والقرار يعنى التصفية النهائية لقضية فلسطين كأرض وشعب ، وهو قد يعطى الأمة العربية بعض أو كل الأرض ولكنه لا يعيد لها كرامتها وثقتها بنفسها ، وهو يعطى الدول الكبرى الحق فى التحكم بمصير الدول العربية ، وهو قد يخلق وهما لدى الدول العربية بأنها آمنة إلى أن تحين الظروف فتوجه إسرائيل ضربة جديدة وتحقق مكاسب اقليمية .

أما حركة المقاومة الفلسطينية ممثلة فى الدورات المتعاقبة للمجلس الوطنى الفلسطينى فقد أعلنت عن رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ولكل الصيغ التنفيذية المنبثقة عنه أو المرتبطة به (٢) .

وكان رد الفعل المصرى لرفض المقاومة الفلسطينية القرار رقم ٢٤٢ هو أن مصر (٣) تقلد موقف منظمات المقاومة فى رفضها لقرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى قبلته به مصر

(١) راجع فوار الشرقاوى ، مرجع سابق .

(٢) أنظر : منظمة التحرير الفلسطينية ، المجلس الوطنى الفلسطينى المنعقد بالقاهرة من ١٠-١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ص ٥١-٥٢ ، قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورنة السابعة المنعقد بالقاهرة من ٢٩-٥ إلى ٤-٦-١٩٧٠ .

(٣) الأهرام ، القاهرة ٣-٢-١٩٦٩ .

نفسها ، لقد كان من حق منظمات المقاومة الفلسطينية أن هذا القرار قد يكون كافيا لمواجهة آثار العدوان الذي تم في يونيو ١٩٦٧ ، ولكن هذا لقرار ليس كافيا بالنسبة للمصير الفلسطيني ، ونحن نرفض كل تفسير لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين بحصرها في نطاق الأحسان والشعور الإنساني . أن قضية اللاجئين ليست على هذا المستوى وحده ، ولن تكون كذلك لأنها قضية وطن ولست أجد في هذا الموقف من ج . ع . م تناقضا مع قبول قرار مجلس الأمن (١)

وقد أعلن عبد الناصر أن مصر تقدم للمقاومة الفلسطينية كل عون مادي ومعنوي بغير حدود وبغير تحفظات (٢) .

إن هدف المقاومة الفلسطينية من رفضها لقرار مجلس الأمن هو إلها ترغيب في تحرير كامل التراب الفلسطيني وإعادة تأسيس الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني وإقامة دولة فلسطينية ديموقراطية بعد تحطيم كيان إسرائيل التوسعي العنصري المرتبط بالاستعمار والامبريالية ، ومن هنا فإن قرار مجلس الأمن يتعدى بكثير أن يكون مجرد إزالة لآثار العدوان الإسرائيلي في عام ١٩٦٧ بل أن يتعلق بمستقبل المقاومة الفلسطينية والمشكلة الفلسطينية برمتها .

أما رد الفعالي الدولي للقرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ فقد اختلف من دولة لأخرى .

فقد ذكر مندوب الهند في الأمم المتحدة بأن حكومته فهمت القرار على أنه يعني سحب القوات الإسرائيلية من جميع أراضي سيناء ومن غزة ومن القدس القديمة ومن الأراضي الأردنية والسورية .

أما المندوب الأمريكي فقد كان غامضا هو الآخر واكتفى بقوله بأن

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق .

مشروع القرار البريطاني ينسجم كلياً مع سياسة حكومته ، ولهذا ، فهو لا يطلب طرح مشروع قراره على التصويت ، كذلك سحب المندوب السوفيتي مشروع قراره ، وقال بأن مفهومه لمشروع قرار بريطانيا ينطبق تماماً على مفهوم الهند له ، وصرح بأنه سيصوت إلى جانب القرار. (١)

كذلك أعلن مندوب مالي بأنه يفهم مشروع القرار البريطاني على النحو الذي فهمته الهند لذلك فهو يصوت إلى جانب القرار ، أما مندوب فرنسا فقد أعلن بأن مفهومه لمشروع القرار البريطاني لا يترك مجالاً للشك أنه يجب سحب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلتها ،

وعندما قدم اللورد كارادون ، مندوب بريطانيا ، مشروع قراره إلى مجلس الأمن قال بأن القرار كان وليد مشاورات قام بها مع جميع الدول الأعضاء في مجلس الأمن وأنه لا يمكن إدخال أى تفسير عليه مهما كان ذلك التغيير ضئيلاً ، فالقرار أما أن يقبل كما هو برمته ، أو لا يقبل على الإطلاق (٢) :

وهكذا وافقت عليه جميع الدول الأعضاء في مجلس الأمن ، وقد كان هذا القرار سبباً لدعوة جديدة وجهت لعقد مؤتمر قمة عربي آخر . ورغم أن حكومات المغرب والسودان والعراق كانت قد أبدت رغبتها بعقد مؤتمر قمة جديد في مناسبات مختلفة بين انفضاض مؤتمر القمة العربي الرابع وتاريخ صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (٣) إلا أن الموضوع أثير بصورة جدية عندما أحرب عبد الناصر عن اعتقاده بوجوب انعقاد مؤتمر قمة عربي جديد لتدارس الموقف الناتج عن قرار مجلس الأمن وذلك في خطابه بمناسبة افتتاح دور الانعقاد الخامس لمجلس الأمة المصري في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ، فقد أكد

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ١٠٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٦٢ .

(٣) الأهرام ٢٥-١١-١٩٦٧ .

عبد الناصر على تمسكه بمقررات مؤتمر الخرطوم كما دعا إلى افساح المجال أمام فرصة أخرى للعمل العربي الموحد الذي ثبتت فاعليته في الخرطوم. مؤكداً أن ذلك سوف يؤدي إلى ولادة نظام عربي جديد (١).

وقد ذكرت صحيفة الاهرام في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ أن سبع دول عربية وافقت على عقد اجتماع جديد للقمة وهي مصر، العراق، الأردن، السودان، اليمن، المغرب، ولبنان. واعتبرت الصحيفة المؤتمر المقترح مجالاً جديداً لاستمرار... التعاون في المرحلة الهامة والخطيرة التي تتبع صدور قرار مجلس الأمن (٢).

وقد ظل الموقف السوري كما هو في عدم الممانعة إلى القبول بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بعد أن كانت ترفضه رفضاً مطلقاً، وبخصوص عقد مؤتمر قمة جديد لتدريس هذا القرار فقد قال عضو في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية بأن: «عقد مؤتمر جديد للقمة يشكل تمييزاً للقضية الفلسطينية وتأييداً للمشروع البريطاني (٣)».

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ وبمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين قال رئيس الدولة في سوريا أن «مؤتمرات القمة... لا تستطيع أن تكون في مستوى المسئولية بعد وقف إطلاق النار... وإننا لا نريد أن نشارك في عمل فيه تضليل للشعب... ولذلك... لم نشارك ولن نشارك في مؤتمرات القمة أبداً» (٤).

وفي ٣٠ نوفمبر ذكرت صحيفة الاهرام أن هناك دولتين (لم تذكرهما) تدعوان إلى التريث في تحديد موعد للمؤتمر، ريثما تنتضح نتائج زيارة جوفار

(١) المصدر نفسه ٢٤-١١-١٩٢٧

(٢) المصدر نفسه ٢٥-١١-١٩٦٧

(٣) الحياة ٢٨-١١-١٩٦٧.

(٤) البعث ٣٠-١١-١٩٦٧. انظر «الوثائق الفلسطينية العربية» لعام ١٩٦٧ مرجع

سابق، وثيقة رقم ٦٧٤ ص ٩٦٠.

يارنج مبعوث يوثانت للشرق الأوسط ، وإن دولة واحدة هي العراق دعت إلى المؤتمر في القاهرة في حين وافقت « أغلبية » الدول العربية على عقده يوم ٩ ديسمبر في الرباط . أما صحيفة الحياة فقد أشارت إلى أن تونس دعت إلى التريث في عقد المؤتمر بانتظار مهمة يارنج (٢) .

وعموماً فقد طوى عام ١٩٦٧ أيامه بقبول الرأي العام العالمي في معظمه لتلك التسوية التي قدمتها المنظمة العالمية ؛ أما إسرائيل فقد رفضتها وأعلنت صراحة أنها لا ترغب في أية مفاوضات تجري عن طريق الأمم المتحدة . وقد أشارت تل أبيب مراراً إلى رفضها الاشتراك في أية مناقشة تتضمن طرفاً ثالثاً ، وهذا تكون إسرائيل قد أغلقت الباب فعلاً في وجه الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة لإحلال السلام في المنطقة وترى « إسرائيل في تدخل الأمم المتحدة عقبة في سبيل خططها فيما عرضت لإسرائيل لإجراء مفاوضات مباشرة » مع الدول العربية فلما رفضت تماماً إجراء أى محادثات مع ممثلي عرب فلسطين وقد تجاهل القادة الإسرائيليون تماماً القول المأثور في التوراة « أن من يغزو بالسيف يسقط بالسيف أيضاً » وهو الأسلوب الذي سوف يهجه العرب بعد ذلك بسنوات تجاة إسرائيل . . « وبعض السم ترياق لبعض » .

(١) الأهرام ٣٠-١١-١٩٦٧ .

(٢) الحياة ٣٠-١١-١٩٦٧ .

المراجع

أولاً : الوثائق العربية

أ- الوثائق غير المنشورة :

- محفوظات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - الوثائق أرقام

١ ، ٢ ، ٤ ، ٨

وثائق الملحق ذات الأرقام : ١ - ٣ ، ٥ - ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٢٣ - ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ - ٤٠

- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر :

صور وثائق منقولة من الأرشيف السري لوزارة الخارجية المصرية.

ملف رقم : ٢٠٥ / ٧ / ج .

وعدد من وثائق عابدين

- د/ إسحق موسى الحسيني رثائق نصوص . القاهرة : جامعة الدول العربية ،

معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ . (مذكرات غير منشورة)

- إسرائيل (قوانين) « قانون سلطة الإذاعة الإسرائيلية ، لسنة ٥٧٢٥ -

١٩٦٥ « الوقائع الإسرائيلية - كتاب القوانين ، ع ٤٥١ (١٧ آذار ،

(١٩٦٥

- إسرائيل (قوانين) « قانون وضع الجمعية الصهيونية العالمية - الوكالة

اليهودية - لايرنس إسرائيل لسنة ٥٧١٣ - ١٩٥٢ « الوقائع الإسرائيلية -

كتاب القوانين (١١٢ ، (١٩٥٢)

- جامعة الدول العربية - الأمانة العامة - إدارة الإعلام : تقرير النشاط

المعادي للعرض على اللجنة الدائمة للإعلام في دور الإنعقاد ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦

ب : الوثائق المنشورة :

١ - الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط . مشا كل السلام والأمن

١٩٥٦ - ١٩٧١ وثائق ومواد : دار نشر وكالة نوفوستي موسكو ١٩٧٢ .

(م ٤٨ - فلسطين)

- ٢ - الأمم المتحدة : قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ،
(١٩٤٧ - ١٩٧٢ بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .
- ٣ - تقرير ليونيد بريجنيف بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين
لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى (وكالة أنباء نوفوستى) ١٩٦٧ .
- ٤ - تهانى سلامة هلسه : أوراق فى القضية الفلسطينية ، القاهرة ،
معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ .
- ٥ - جامعة الدول العربية - الأمانة العامة : بعثة وسيط الأمم المتحدة
لحل مشكلة فلسطين ، المطبعة الأميرية ، ١٩٤٨ .
- ٦ - جامعة الدول العربية - الأمانة العامة : تقرير مؤقت إلى سكرتير
عام الأمم المتحدة من وسيط الأمم المتحدة لفلسطين ، ١٨ سبتمبر سنة
١٩٤٨ القاهرة
- ٧ - جامعة الدول العربية - الأمانة العامة - إدارة شئون فلسطين :
«الهجرة اليهودية إلى فلسطين : القاهرة مطبعة أطلس ، ١٩٦٥ .
- ٨ - جامعة الدول العربية : إدارة شئون فلسطين إنتهاكات إسرائيل
لحقوق الإنسان فى المناطق المحتلة القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٩ - جامعة الدول العربية « الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين :
القاهرة ، ١٩٥٧ - ١٩٧٤ .
- ١٠ - جميل الشقيرى : مجموعة الشهادات والمذكرات المقدمة إلى
لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية المشتركة حول قضية فلسطين مع توصى
للجنة . يافا : مطبعة النجاح التجارية ، ١٩٤٦
- ١١ - خطاب أ . ن كوسيجين فى الدورة الإستثنائية الخاصة للجمعية
العامة للأمم المتحدة فى ١٩ يونيو ١٩٦٩ (وكالة أنباء نوفوستى ١٩٦٧)
- ١٢ - قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين
يونيو ١٩٤٥ ومارس ١٩٦١ الأمانة العامة - القاهرة ١٩٦١ .
- ١٣ - الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية فى الأعوام ١٩٦٤ ،
١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

- ١٤ - لينين ، ف . أ : نصوص حول المسألة اليهودية ، ترجمة جورج طرابيشي . بيروت دار الطليعة ، ١٩٧٣ .
- ١٥ - مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر - القسم الأول ١٩٥٢ ، ١٩٥٨ مصاحبة الاستعلامات ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار .
- ١٦ - محاضر الكنيسة : نصوص مختارة من محاضر الكنيسة السادسة . القاهرة ، مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، ١٩٧١
- ١٧ - محاضر المحاكمات المصرية للضباط المتهمين بالتآمر لقلب نظام الحكم - القاهرة ١٩٦٨
- ١٨ - مصر في هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٧ - تقرير عن أعمال الدورة العادية الثانية لهيئة الأمم المتحدة المعقودة بنيويورك (١٦ سبتمبر - ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧)
- ١٩ - مضابط مجلس الشيوخ المصري لسنة ١٩٤٨
- ٢٠ - مضابط مجلس النواب المصري
- ٢١ - المكتب العربي ، القدس : القدس ومشكلة فلسطين . . المواد التي عرضها المكتب العربي بالقدس على لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية للنظر فيها خلال شهر آذار سنة ١٩٤٦ ،
- ٢٢ - ملف وثائق فلسطين (المجلدين الأول والثاني) مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية - وزارة الإرشاد القومي - القاهرة بدون تاريخ إصدار الهيئة العامة .
- ٢٣ - الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ - جمع وتحرير منذر فائق حنتباوي ، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٦ :
- ٢٤ - الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، جمع وتصنيف جورج خوري نصر الله - بدون تاريخ إصدار - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت

- ٢٥ - وثائق الجمعية العامة للأمم المتحدة - الدورة الاستثنائية الطارئة الأولى من ١ - ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ .
- ٢٦ - وزارة الخارجية - إدارة شئون فلسطين : تصريحات المسؤولين الإسرائيليين عن المدة من مايو إلى ديسمبر ١٩٦٧ . ١٩٦٨
- ٢٧ - وزارة الخارجية المصرية - نشرة صحفية حول انسحاب إسرائيل من سيناء والعقبة إبريل سنة ١٩٥٧ .
- ٢٨ - اليوميات الفلسطينية ، المجلد الأول ١ / ١ / ١٩٦٥ - ٣ / ٦ / ١٩٦٥ م . ت . ف بيروت ١٩٦٦ .
- اليوميات الفلسطينية المجلدين الرابع والخامس ١ / ٧ / ١٩٦٦ - ٣٠ / ٦ / ١٩٦٧ بيروت م . ت . ف ١٩٦٧ .
- اليوميات الفلسطينية المجلد السادس ١ / ٧ / ١٩٦٧ - ٣١ / ١٢ / ١٩٦٧ بيروت م . ت . ف ١٩٦٨

ثانياً - وثائق باللغة الأجنبية

- (1) American Jewish Year Book 1968, American Jewish Committee and Jewish Publication Society of America.
- (2) Cahiers de l'Orient Contemporain, Le Documentaire Francaise. Paris.]
- (3) Exchange of Notes Between Premier Bulganin and prime Minister David Ben Gurion, in Middle Eastern Affairs, Voi, VIII, No. 1, January 1957.
- (4) Great Britain Colonial office - Palestine : Statement of Information relating to Acts of violence CMD 5873.
- (5) Hurewitz, J. C. : Diplomacy in the Near and Middle East. A Documentary Records 1914-1956. (Princeton, New York; 1958).
- (6) International Documents of Palestine 1967, The institute for Palestine Studies.
- (7) State of Israel Government Yearbook, Central office of Information, Prime Minister's office, Israel (1953/1964 - 1967/1968).
- (8) Keesing's Contemporary Archives. London.]
- (9) Military Balance 1966-1967, 1967-1968, [The institute [for strategic studies, London.
- (10) Report of the Anglo-American committee of enquiry. Department of state U.S.A. 1946.
- (11) Survey of Palestine 1939-1946, 2 vols London 1946.
- (12) The Soviet Union and the Jews During World War II
The position of jews in the U. S. S. R.
British Foreign Office Documents, in : Soviet Jewish Affairs, Vol. 3 No. 1.

- (13) The U. S. S. R. and the Arab Belligency, « Ministry for Foreign Affairs, Israel.

U. N. I. C. E. F. : تقرير منظمة غوث اللاجئين للأمم المتحدة :
Le Monde, Paris 4 8-1967. في

المحاضرات الكاملة لمناقشات مجلس الأمن عام ١٩٦٧
Security Council

— القاهرة مكتب الأمم المتحدة (بالإنجليزية) .

S/7926 — S/Res/233 — S/7971

S/7968 — S/6717 — A/L 519 A/L 523

A/RESv2252 (es-v) — A/RES/2256 (Es-v) — S/8044 —

S/30208 — S/8207.

- (14) The U.S.S. R. and the Middle East, Problems of Peace and Security, 1967-1971 (Documents and other Materials)
Moscow : Novosti Press Agency Publishing house 1972.
- (15) The U. S. S R. and the Middle East, Documents and other Materials (Moscow 1972,.
- (16) U. N. General Assembly, A/PV, 1938, June 1967.
- (17) United States Policy in the Middle East, September 1956, June 1957. Documents (Departement of State 1957).
- (18) U.S.S.R. Severance of Diplomatic Relations with Israel: Text of Soviet Note. Statement by Prime Minister David Ben Ourion in the Knesset. in : Middle Eastern Affairs. Vol IV. no. 4 April 1953.
- (19) Year book of the United Nations, New York United Nations, Department of Public Information 1946/1947 — 1967/1968.

ثالثا : المراجع العربية

- ١ - د / إبراهيم أبو لغد : محرر . تهويد فلسطين . ترجمة أسعد دزوق . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، ١٩٧٢ ،
- ٢ - إبراهيم العابد : دليل القضية الفلسطينية : أسئلة وأجوبة ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٦٩ .
- ٣ - الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين : ندوة فلسطين العالمية ، الثانية ، القاهرة فبراير ١٩٧١ .
- ٤ - أحمد بهاء الدين : إسرائيليات وما بعد العدوان - القاهرة - دار الهلال ١٩٦٩ .
- ٥ - أحمد بهاء الدين اقتراح دولة فلسطين ، وما دار حوله من مناقشات ، بيروت : دار الآداب ١٩٦٨ .
- ٦ - د ، أحمد سويلم العمري : دراسات سياسية : الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين - القاهرة مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٤ .
- ٧ - أحمد الشقيري : أربعون عاما في الحياة العربية والدولية . بيروت ، دار النهار ١٩٦٩ .
- ٨ - أحمد الشقيري : على طريق الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء ، بيروت ، دار العودة ١٩٧٢ .
- ٩ - أحمد الشقيري : من القمة إلى الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء ، بيروت دار العودة ١٩٧١ .
- ١٠ - أحمد فراج طابع : صفحات مطوية عن فلسطين - القاهرة ، دار مطابع الشعب .
- ١١ - أحمد محمد غنيم وأحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٤٧ القاهرة ، دار الهلال .

- ١٢ - اديب ديمتري ، الماركسية والدولة الصهيونية (الوجود والكيان) ، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر (يناير) ١٩٧١ ،
- ١٣ - ارسكين تشيلدرز : الطريق إلى السويس - ترجمة حسين الحوت وعبد الفتاح البكري (كتب سياسية العدد ٢٦٩) ،
- ١٤ - اسراعيلا ، آخرون : سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية (ترجمة دار التقدم - موسكو ١٩٦٧) ،
- ١٥ - د. أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى : دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٦٨ ،
- ١٦ - د. أسعد رزوق : في المجتمع الإسرائيلي ، القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ .
- ١٧ - د. إسماعيل صبري عبد الله : في مواجهة إسرائيل . القاهرة : دار المعارف ١٩٦٩ .
- ١٨ - د. إسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية - دراسة في الأصول والنظريات ، مطبوعات جامعة الكويت : كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٧١ ،
- ١٩ - أكرم زعير . القضية الفلسطينية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥
- ٢٠ - ألون ، إيجال : ستار من الرمال ، إسرائيل والعرب بين الحرب والسلام (دون بيانات نشر) القسم الثاني
- ٢١ - إلياس أسعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة . بيروت . منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٩ .
- ٢٢ - إلياس مرقص ، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، بيروت دار الطليعة ، تشرين الثاني ١٩٦٤
- ٢٣ - إلياس مرقص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، بيروت : دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٩٧١

- ٢٤ - اميل توما : جذور القضية الفلسطينية . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٧٣ هـ
- ٢٥ - أمين شاكرو وآخرون ، حقيقة الشيوعيين ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ إصدار سلسلة (اخترنا لك - ١١)
- ٢٦ - أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة : ١٩٤٨ - ١٩٦٧ . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٢
- ٢٧ - أنيس صايغ : الزعامة السياسية : من فيصل إلى جمال عبد الناصر بيروت المكتبة العصرية هـ
- ٢٨ - د. أنيس صايغ : فلسطين والقومية العربية ، بيروت : م. ت. ف ، م ، أ ، ١٩٦٦
- ٢٩ - د. أنيس صايغ الهاشميون وقضية فلسطين . بيروت : جريدة المحرر ، ١٩٦٦
- ٣٠ - ليفانوف ، يورى : احذروا الصهيونية : دراسة حول أيديولوجية وتنظيم وممارسة الصهيونية . موسكو نوفوستى : ١٩٦٩
- ٣١ - بولشاكوف ، ف ، معاداة الشيوعية مهمته العدائية ، موسكو مطبوعات وكالة أنباء نوفوستى للنشر ، ١٩٧٢ هـ
- ٣٢ - تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين : بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٤٩ هـ
- ن ٣٣ - د / جلال يحيى : العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية القاهرة دار المعارف ١٩٦٦ هـ
- ٣٤ - د. جلال يحيى مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الإسكندرية منشأة المعارف ١٩٦٥
- ٣٥ - جلوب ، جون باجوت : جندي مع العرب . ترجمة عفيفي حسن الصمدى . بيروت دار النشر للجامعيين ، د . ت

- ٣٦- د/حامد سلطان : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين . القاهرة : جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ .
- ٣٧- د / حامد سلطان ، د - عبدالله العريان - أصول القانون الدولي ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٣٨- د . حامد عبدالله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، بيروت . مركز الأبحاث الفلسطينية ١٩٧٠
- ٣٩- حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، ١٩٧٢ .
- ٤٠- د ، حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، مج ٢ وثائق ونصوص القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٠ .
- ٤١- الملك حسين : حربنا مع إسرائيل ، بيروت ، دار النهار للنشر ١٩٦٨ .
- ٤٢- خيرى حماد : التطورات الأخيرة في قضية فلسطين . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤
- ٤٣- روحى الخطيب : تهويد القدس : عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٧٠ .
- ٤٤- رودنسون ، مكسيم : إسرائيل والرفض العربى . القاهرة : وزارة الإعلام هيئة الاستعلامات ، د . ت (كتب مترجمة - ٧٠٢) .
- ٤٥- ساطع الحصرى : أبحاث في القومية العربية . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤
- ٤٦- سامى الحكيم : طريق النكبة ، القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٦٩

٧٦٣

- ٤٧ - سامى هداوى : الإعلام العربى والقضية الفلسطينية . بيروت .
منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٩ .
- ٤٨ - سامى هداوى - قضية فلسطين فى الأمم المتحدة القاهرة ،
دار مطابع الشعب ١٩٦٥
- ٤٩ - سامى هداوى : ملف القضية الفلسطينية . بيروت : منظمة
التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .
- ٥٠ - سايكس ، كريسوفر : مفارق الطرق إلى إسرائيل . ترجمة
نخري حماد ، بيروت دار الكتاب العربى ١٩٦٦
- ٥١ - ستالين الماركسية والقضية القومية ، ترجمة رابطة الكتاب التقدميين ،
بيروت : منشورات دار النهضة الحديثة ، بدون تاريخ إصدار .
- ٥٢ - د ، سعد الدين إبراهيم ، فى سيوسولوجية الصراع العربى
الإسرائيلى . بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣
- ٥٣ - سعد جمعة : المؤامرة ومعركة المصير - بيروت بدون تاريخ
إصدار .
- ٥٤ - سوريا ، القيادة العامة للجيش والثورة المسلحة : إسرائيل .
دمشق : ١٩٦٥
- ٥٥ - د / سيد توفل : الدبلوماسية العربية فى خمسة وعشرين عاما
فى « مجلة معهد البحوث والدراسات العربية » (فبراير ١٩٧١) .
- ٥٦ - السيد ياسين الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى
القاهرة : مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٤
- ٥٧ - شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ، ١٩٦٧ -
١٩٧٠ . بيروت مركز الأبحاث الفلسطينية
- ٥٨ - شفيق الرشيدات - فلسطين تديناً وعبرة ومصيراً - القاهرة .
دار الكتاب العربى (فى المعركة)

- ٥٩ - شفيق الرشيدات : القضية الفلسطينية والقانون الدولي ، القاهرة ، اتحاد المحامين العرب ، ١٩٧٠
- ٦٠ - شاومر نيكودون : ما قبل ساعة الصفر (قصة الأحداث التي سبقت حرب الأيام الستة ، تل أبيب ١٩٦٨) (عبري) ترجمة خاصة ، القاهرة الهيئة العامة للاستعلامات .
- ٦١ - صلاح بسيوني : مصر وأزمة السويس (دار المعارف القاهرة ١٩٧٠)
- ٦٢ - صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ١٩٦٩
- ٦٣ - طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢
- ٦٤ - صبرى جريس : العرب في إسرائيل . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .
- ٦٥ - د . صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ، القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦
- ٦٦ - د / صلاح العقاد : قضية فلسطين : المرحلة الحرجة ، ١٩٤٥ - ١٩٥٦ القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ .
- ٦٧ - د . صلاح دياغ : الاتحاد السوفيتي وقضية فلسطين : بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٨
- ٦٨ - الفريق / صلاح الدين الحديدي : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، بيروت ، دار الشروق بدون تاريخ إصدار .
- ٦٩ - عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية : القاهرة ١٩٧٠ (رسالة للماجستير مقدمة لقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة) .
- ٧٠ - عارف العارف : تاريخ القدس . القاهرة دار المعارف ، ١٩٥١ ،
- ٧١ - عارف العارف : النكبة . نكبة بيت المقدس والفر دوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٥ بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢

- ٦٢ - عاصم الدسوقي (الدكتور) مصر في الحرب العالمية الثانية (رسالة ماجستير غير منشورة - معهد الدراسات العربية ١٩٧٠) .
- ٧٣ - عباس مراد : الدور السياسى للجيش الأردنى - بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث .
- ٧٤ - عبد الله التل : كارثة فلسطين . القاهرة : دار العلم ، ١٩٥٩
- ٧٥ - د. عبد الحميد متولى : نظام الحكم فى إسرائيل . القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٣ .
- ٧٦ - عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - تاريخنا القومى فى ٧ سنوات : الأساتذة / الجامعيون ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر أب (أغسطس) ١٩٥٩ .
- ٧٧ - د. عبد الملك عودة ، إسرائيل وأفريقيا : دراسة فى العلاقات الدولية . القاهرة جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٤ .
- ٧٨ - عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث . بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٠
- ٧٩ - د. عدنان العمد : الشيوعية الغربية وقضية فلسطين . سلسلة حقائق وأرقام ٣٩ - بيروت م ت ف . أ / ١٩٧١
- ٨٠ - د. عز الدين فودة : الإحتلال الإسرائيلى والمقاومة الفلسطينية فى ضوء القانون الدولى العام ببيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز البحوث ، ١٩٦٩ (دراسات فلسطينية - ٦٢)
- ٨١ - د. عز الدين فودة قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ .
- ٨٢ - د. على الدين هلال : تكوين إسرائيل : دراسة فى أصول المجتمع الصهيونى ؛ بدون تاريخ لإصدار - القاهرة دار الهلال ،

- ٨٣ - عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي .
القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة . ١٩٧٠
- ٨٤ - عيسى سفرى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصهيونية ،
يافا ، مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة ، بدون تاريخ إصدار .
- ٨٥ - د. فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى في فلسطين . ترجمة
عبد الوهاب الكيالى بيروت مركز الأبحاث الفلسطينية ، ١٩٦٥
- ٨٦ - د. فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية ، بيروت : منظمة
التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، ١٩٦٧ .
- ٨٧ - فواز الشرفاوى : حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح)
١٩٦٥ - ١٩٧١ رسالة ماجستير في العلوم السياسية مقدمة لكلية الاقتصاد
والعلوم السياسية ، القاهرة ١٩٧٤ .
- ٨٨ - كامل إسماعيل الشريف . الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ،
القاهرة دار الكتاب العربى .
- ٨٩ - كوهين ، أهرون : إسرائيل والعالم العربى القاهرة ١٩٦٩ ج ٣
ترجمة غير منشورة .
- ٩٠ - لاكور والتر ، الإتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، ترجمة
لجنة من الأساتذة الجامعيين ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع
والنشر .
- ٩١ - لطفى الخولى ٥ يونيو - الحقيقة والمستقبل - القاهرة . دار
الكاتب العربى ١٩٦٨ (فى المعركة)
- ٩٢ - لنشوفسكى ، جورج ، الشرق الأوسط في الشئون العالمية ،
ترجمة جعفر خياط بغداد ، دار الكشف ، بدون تاريخ إصدار .
- ٩٣ - لورى ، زفى : فرقة وإتحاد ، تحقيقات ومقالات حول
مشاكل الشعب اليهودى القاهرة . ترجمة خاصة (غير منشورة)

- ٩٤ - لينين ، مسائل السياسة القومية والأحيية البروليتارية ، موسكو دار التقدم ١٩٦٩
- ٩٥ - ماركس كارل ، المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيناى ، بيروت : مكتبة المعارف ١٩٥٦
- ٩٦ - محمد أحمد سليم - مشروعات تحويل نهر الأردن ، القاهرة ، جمعية المهندسين المصريين ١٩٦٤ .
- ٩٧ - د. محمد أنيس / تاريخ القضية الفلسطينية ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٢ .
- ٩٨ - د. محمد أنيس ، د. السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر - القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٦٧
- ٩٩ - د. محمد حافظ غانم : الأصول الجديدة فى القانون الدولى العام - القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٠٠ - د. محمد حافظ غانم : تقرير مقدم لندوة قضية خليج العقبة ، القاهرة ، ٢٩ مايو ١٩٦٧ القاهرة : الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ١٩٦٧ .
- ١٠١ - د. محمد حافظ غانم المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى : القاهرة . جامعة الدول العربية . معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٥
- ١٠٢ - محمد رفعت - قضية فلسطين - القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧
- ١٠٣ - د. محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الإسكندرية ١٩٦١ ،
- ١٠٤ - محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة : صيدا ، المكتبة العصرية ١٩٦٠

- ١٠٥ - محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية ، ١٩١٧ - ١٩٤٨ ، القاهرة مطابع دار الكتاب العربي ١٩٥٩ د
- ١٠٦ - محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها بيروت : المطبعة العصرية ١٩٦٠ ٢٠ ج
- ١٠٧ - محمد فيصل عبد المنعم فلسطين والغزو الصهيوني . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٠
- ١٠٨ - محمد كمال يحيى / الاتحاد السوفيتي وفلسطين حتى قيام إسرائيل . رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣
- ١٠٩ - محمد نصر مهنا : سياسة التمييز العنصري في إسرائيل وجنوب أفريقيا : دراسة مقارنة القاهرة : ١٩٦٩ ، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات العربية .
- ١١٠ - محمد نصر مهنا : تنظيم تعاونيات الاصلاح الزراعي في مصر مع دراسة مقارنة في إسرائيل . رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التجارة - جامعة عين شمس ١٩٦٧ .
- ١١١ - مكتب إستعلامات الهند بالقاهرة : الهند وفلسطين - تطور سياسة
- ١١٢ - من الفكر الصهيوني المعاصر : بيروت . منظمة التحرير الفلسطينية - مركز - الأبحاث ، ١٩٦٨
- ١١٣ - مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية العسكرية الصهيونية القاهرة : ١٩٧٢ - ١٩٧٤ ، ٢ ج
- ١١٤ - ناجي علوش : الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها ، بيروت دار الطليعة ١٨٦ - الحركة الوطنية الفلسطينية أمام القيود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨ . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، الكويت : رابطة الأدباء ١٩٧٤

- ١١٥ - ناجى علوش : الماركسية والمسألة اليهودية ١٨٤٤ - ١٩٦٨
بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٦٩
- ١١٦ - نجيب صدقة : قضية فلسطين . بيروت ، دار الكتاب ١٩٦٤
- ١١٧ - نيكيتينا ، جالينا ، دولة إسرائيل ، خصائص التطور
السياسى والاقتصادى القاهرة دار الهلال ، د . ت
- ١١٨ - هشام شرابى ، المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا وإسرائيل
ترجمة أنعام وحيد ، بيروت ، دار النهار للنشر ١٩٧٠
- ١١٩ - هنرى أزو ، فتح السويس - ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات
القاهرة بدون تاريخ لمصدر
- ١٢٠ - د / هنرى كتن ، فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، ترجمة وديع
فلسطين . بيروت مكتبة لبنان ، ١٩٧٠ .
- ١٢١ - الهيئة العربية العليا لفلسطين ، رأى . فى بيان الرئيس الأمريكى
أيزنهاور بشأن سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط - القاهرة ١٩٥٧
- ١٢٢ - الهيئة العربية العليا لفلسطين ، قضية فلسطين العربية . القاهرة
مطبعة السفارة ، ١٩٤٨
- ١٢٣ - ولیم فهمى ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة . القاهرة ،
جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١
- ١٢٤ - وولتر لاكور . الطريق إلى السويس - القاهرة - الهيئة العامة
للاستعلامات ١٩٦٩ - (كتب مترجمة ٦٦٣)
- ١٢٥ - يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين المحتلة ، بيروت :
منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٨ سلسلة (حقائق وأرقام - ١٥)

راجعاً - الكتب الأجنبية :

- (1) Abdalah, king of Jordan, my memories. London : 1954.
- (2) Alum, Jean [Pierre juifs et arabes, 3000 Ans d'Histoire, Paris : De Seuil 1967.
- (3) Atlas of Israel. Jerusalem : Ministry of labour, Survey of Israel-Amsterdam. Elsevier Publishing Co., 1970.
- (4) Avineri, Shlomo, ed. Israel and the Palestinian Reflections on the clash of Two National Movements. New York: Martin's Press 1971.
- (5) Avneri Uri - Israel without Zionism. New York: Callier Books, 1971.
- (6) Azeau. Le Peige de Suez. Paris, A. Rauard, 1964.
- (7) Andics, Hellmut. Histoire de l'Antisémitisme. Paris : De seul, 1959.^١
- (8) Avineri, Shlomo, ed. Israel and the Palestinians : Reflections on the clash of Two National Movements. New York : Martin's Press 1971.
- (9) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, London Arther Borker Ltd. 1959.
- (10) Begin, Menahem. The Revolt. Trans. by Kartz, London: W. et Allen, 1951.
- (11) Ben Elisser, Elahu & Schiff Zeev. La Guerre Israélo Arabe : Paris A. Fayard 1968.
- (12) Ben Gurion, David. Israel : Years of challenge, N. Y. Holt Rienhart, Winston 1963.
- (13) Ben Gurion, David and Pearlman Moshe : Ben Gurion looks back in talks with Moshe Pearlman New York 1966.

- (14) Ben Gurion, David. Rebirth and Destiny of Israel. New York : Philosophical Library, 1964.
- (15) Berger, Earl. The covenant and the Sword. Arab Israeli Relations, 1948-1956, London Routledge and Kegan Paul, 1965.
- (16) Berger, Elmer who knows Better Must say So. New York. American Council for Judaism, 1955.
- (17) Burns, Lt. General E. L. M. Between Arabs and Israel. London Harrap. 1962.
- (18) Cattani, Henry, The Dimensions of the Palestinian Problem 1967, Beirut : The Institute for Palestine Studies.
- (19) Cattani Henry, To whom does Palestine Belong, Beirut : The Institute for Palestine Studies.
- (20) Churchill, Randolph and Winston The Six day war & London, Heinemann 1967.
- (21) Cohen, Israel : A short History of Zionism. London : Fredrick Muller, 1951.
- (22) Cohen, Aharon, Israel and the Arab World. New York : Funk and Wagnall . 1976.
- (23) Crossman, Richard. A Nation Reborn : The Israel of Weizmann, Bevin and Ben Gurion, London : Hamish Hamilton, 1960.
- (24) Cattani Henry, The Dimensions of the Palestinian Problem 1967, Beirut : The Institute for Palestine studies.
- (25) Crossman, Richard, Palestine Mission, a personal record. London : Hamish Hamilton, 1947.
- (26) Dagan, Avigdor, Moscow and Jerusalem. Twenty Years of Relations between Israel and Soviet Union, New York : Abdlard - schuman, 1970.

- (27) Dallin, Alexander, The Soviet Union at the United Nations, An Inquiry into Soviet Natives and Objectives, London : Methuon Co. Ltd. 1962.
 Dallin, David J. Soviet Foreign Policy after Stalin, London : Methuen Co. Ltd. 1960.
- (28) Davis, John H. The Evasive Peace : A study of Zionist Arab Problem, London, John Murry, 1968.
- (29) Dayan, Moshe, Journal de la campagne de Sinai Paris, A Fayard 1968.
- (30) Jib, G. M., « The Arab Block in the United Nations » Amsterdam, International Educational Publication House. 1958.
- (31) Dranath, Dewan Berin : War and Peace in west Asia, New Delhi, India 1968
- (32) Draper, Theodor. Israel and World Politics : Roots of the Third Arab Israeli War. London Secher & Warburx, 1968.
- (33) Eban, Abba, Voice of Israel, New York Horizon Press. 1958.
- (34) Etan, Walter : The first ten years : a diplomatic of Israel, London N. Y. Simon, schuster 1958.
- (35) Eisenstadt, S. N. Israel Society, London, Weidenfeld and Nicolson, 1967.
- (36) Elath, Eliahu. The Bedouin of the Negev : in Journal of the Royal Central Asian Society. XLV : par II (April 1958).
- (37) Elon, Amos, The Israelis: Founders and sons, New York: Holt Rinchart and Winston, 1971.
- (38) Fncyclopedia Judaica. Jerusalem : Ketër, and New York : Macmillan, 1971-1972. 16 vols.

- (39) Encyclopedia of Zionism and Israel. ed, by Raphael Patai, New York : Herzl and McGraw Hill, 1971.
- (40) Fein, Leonard I. Politics in Israel, Boston Little Brown, 1967.
- (41) Grandos, Gracia : The Establishment of Israel New York. 1948.
- (42) Gabby, Rony E. A political Study of the Arab-Jewish Conflict : [The Arab Refugee problem, A case study. Genevi : Dooz 1959 .
- (43) Great Britain Colonial office, Palestine Government Gazette, 1919-1948. C. O. 742 Public Record Office, London.
- (44) Glub John : A soldier with the Arabs, London 1951.]
- (45) Glick. B. Edward. Laten America and the Palestine Problem.
- (46) Hurewitz, J. O. The struggle for Palestine, New York W. W. Vorton, 1950.
- (47) Hitte, Philip: A History of Syria, New York, Macmillan Comany, 1951.
- (48) Hutchiso, eh : Violent truce 1951-1955 New York 1955.
- (49) Israel, Prime Minister's Office. Central Office of Information, Israel Government Year Books Jerusalem: 1949-1968.
- (50) Jabber Fuad, The Arab Regimes and the Palestinian Revolution : 1947-1971, Jrnl of Palestine Studies. Vol. 2. no. 2. (Autumn 1972.).
- (51) Jabbour, George. Settler Colonialism in southern Africa and Middle East. Beirut, P. L. O. Research Center 1970.
- (52) Jwish Agency, The Jewish Plan for Plestine : Memoranda and Statements Presented by the Jewish Agency for Palestine to the United Nations Special Committee. On palestine Jerusalem 1947.

- (53) Joseph, Bernard. British Rule in Palestine, Washington : Public Affairs Press 1948.
- (54) Kirk, George. The Middle East 1945-1950 : Survey on International Affairs ed. by Arnold Toynbee. London : Oxford Univ. Press 1945.
- (55) Koehan, Lionel. The Jews in Soviet Russia since 1917. London : Oxford University Press 1979.
- (56) Kinche, John : Seven Fallen Pillars, New York Praeger 1953.
- (57) Kessing's Contemporary Archives. London 1957.
- (58) Kadi, Leila S. Easie Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement. Beirut : P. LO Research Center 1959 (Palestine Cooks 27).
- (59) Khouri, Fred J. The Arab - Israeli - dilemma. Syracuse Univ. Press, 1968.
- (60) Kiniche, John and Bawly, Dan : The Sand storm, The Arab - Israeli War of 1967. Loudon Weidenfeld and Nicolson, 1968.
- (61) Kreinin, Mordechai. Israel and Africa A Study in Technical Co-operation, New York Praeger, 1964.
- (62) Lanzawshi, George, The Middle East in World Affairs, « Egypt and the Soviet Exodus » current History Vol. 64, 50-377 (Jen, 1973). New York Caswell Saiversity Press. 1962.
- (63) Lilenthal, Alfred, What price Israel ? Chicago : Henry Regnery. 1953.
- (64) Lilian thal Alfred. The Other Side of the coin, New York Devin Adair, 1955.

- (65) Laquer, Walter, The Israel Arab Reader, A Documentary History of the Middle East, London : The citadel Press 1968.
- (66) Laqueur. Walter, The Road to war, London, The Citadel Press 1967.
- (67) Lorcq, Natauel. The Edge of the sword : Israel's war of Independence 1947-1949 N. Y. : Pretauam, 1961.
- (68) Laudau, Jacob M. The Arabs in Israel : A political study, London : Oxford Univ. Press 1969.
- (69) Machonald, Robert W. The Legue of Arab States : A study in the Dynamics of Regional Organization, Priuce-ton University Press 1965.
- (70) Marasm Judah. Social change in Israel, Ciccco : Aldine Publishing Co. 1965.
- (71) Menuhim, Moshe. The Decadence of Judaism in our time, Beirut, Institne of Palestine studies 1969.
- (72) Martin Ebon: Commantst Tactics in Palestine in Foreign Affairs Vol. 28, July 1945.
- (73) Michael C. Hudson. A city still divided in Middle East. VIII, Sptember 1968.
- (74) Macdouald, James ; My Mission to Israel. New York 1951.
- (75) Patai, R. " Israel Between East and West, 2nd, ed. Lon-don : Greenwood Publishing Co-operation 1970.
- (76) Peretz, Don. The Middle East, N. Y : Holt, Rinechat and Winston 1963.
- (77) Perlmutter, Amos, Military and Poliitics in Israel: Nation-Bulping and Role Expansion. New York, Frederick and praeger 1969.

- (70) Pritti, Trencé, Eshkol : The Man and the Nation, New York : Pitman 1929.
- (79) Palestine Arab Refugee Office, Persecution of the Arabs in Israel. New York 1956.
- (80) Palesine. Chief. Secretary. A Survey of Palestine Jerusalem : Government printer, 1946.
- (81) P. L. O. Research Center, The Holy land under Israel occupation, 1967-1969 Palestine Essays 18.
- (82) Rodinson, Maxime. Israel et la Refus Arabe, 75 Ans d'Histoire. Paris De Seuil, 1969.
- (83) Rodinson Maxime. Israel : A colonial settler state. New York Monad Press 1973.
- (84) Report of the Anglo-American Committee of enquiry Department of state. U. S. A. 1946.
- (85) Report of the General Assembly by U.N.S.C.O. pointed Nations special committee on palestine official.
- (86) Robert J. Donovan. Six Days in June Israel's Fight Survival.
- (87) Sacher, Israel, Establishment of State, London 1949.
- (88) Safran, Nadav. From war to war, The Arab-Israeli Confrontation 1945-1967. Western publishing Company, Inc. New York 1959.
- (89) Safran Nahay. The United States and Israel, Cambridge, Massachussettes : Harvard University press, 1963.
- (90) Savegy Favez. Zionist Colonialism in Palesine Beirut : P. L. O. Research center 1965.
- (91) Schwarz, Solomou, The Jews in the Soviet Union, Syracuse University, Press 1951.
- (92) Shabtai, Levy : Israeli Armistice agreements with the Arabs state; Tel Aviv 1951.

444

- (93) Soviet Principle Versus Arab Practice, Jerusalem Ministry for Foreign Affairs, 1958.
- (94) Stalen, Joseph, Martism and the National and Coloneal Question, Moscow, Co-operative Publishing society 1933.
- (95) Stentringer, John, Truman, The Jewish Vote and the Creation of Israel, London Harver Institution studies 1974.
- (96) Stevens, S. Richard, Maerican Zionism and U. S. Foreign Policy 1942-1947, New York 1962.
- (97) Sykes, Christopher, cross Roads to Israel, London Collins, 1965.
- (98) Sykes, Christopher, Order Wingute, London, Collius 1956.
- (99) Talnon, J. L, ' Israel and the Arab World : A Siew from within ' The Jewish Suartevely, Vol. [17 No. 3, (Wete', 1959).
- (100) Truman, Harry S. Memoirs. Garden City N. Y. Doubleday 1955-1956.
- (101) U. - General Assembly. Resolution No. 194, Sec. 11, Session III. Dec. 11. 1948.
- (102) Weingord, Alex, Israel, Group Relatioas in a New Society, London : Pall Mau press 1965.
- (103) Weizman. Chaim. Naissance d'Israel, Paris 1957.
- (104) Weizman Chaim. Trail and Error. The Autobiography of chaim Weizmaun philadelphia : Jewish publication society 1949.
- (105) West Benjamiu. Struggle of a genecation, Tel Aviv : Massadah Publishiug Co. 1959.
- (106) Willner, Dorothy Nation-Buildiug and Community in Israel, New Jersey, Priuceton Univ press 1969.

- (107) Yaacov. Ro'i Soviet Israel Relations 1947-1954 in M. coufiuo, S. Shamir (eds) The USSR and the Middle East, Jerusalem, Israel University Press 1973.
- (108) Valdbery B. Z. The Jewish Problem in the Soviet Union, New York Crown Publishers, 1967.
- (109) Yehoshua A. Giboa, The 1948 Zionist wave Zionist wave in Moscow in Soviet Jewish Affairs, No. 2, November 1971.
- (110) Zua'itcr. Akram, The Palestinian question, Damascus : Palestine Arab Refugees Institution 1968.

خامسا : للدوريات ووكالات الانباء

(أ) الصحف والمجلات باللغة العربية

- آخر ساعة « القاهرة »
- القدس « القدس »
- الاتحاد « حيفا »
- المرصاد « تل أبيب »
- الأحد « بيروت »
- المصور « القاهرة »
- الأخبار « القاهرة »
- القبس « الكويت »
- أخبار فلسطين « غزة »
- شئون فلسطين « بيروت »
- أخبار اليوم « القاهرة »
- الوطن المحتل ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة شئون الوطن المحتلة .
- الأنوار « بيروت »
- صوت فلسطين ، جيش التحرير الفلسطيني
- الأهرام « القاهرة »
- إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي
- البعث « دمشق »
- الثورة « دمشق »
- الوعى الثورى ، حزب البعث العربى الاشتراكي
- الثورة العربية « بغداد »
- الجريدة « بيروت »
- المكتب الثقافى فى القيادة النظرية للتنظيم الفلسطينى الموحد
- الجمهورية « بغداد »
- العاصفة ، حركة التحرير الفلسطينى « فتح »

- الجمهورية « القاهرة »
- الإخوان المسلمون « القاهرة »
- الجهاد « القدس »
- الحرية « بيروت »
- الثورة الفلسطينية ، حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح الاعلام المركزى
- الحوادث « بيروت »
- الحياة « بيروت »
- الدستور « عمان »
- فلسطين الثورة ، منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الاعلام والتوجيه القومى
- الرأى العام « انحرطوم »
- السياسة « الكويت »
- السياسة الدولية « القاهرة »
- روز اليوسف ، القاهرة
- الصياد « بيروت »
- الطليعة « القاهرة »
- الناشر العربى — جبهة التحرير العربية مكتب التنظيم والتوصيه
- العلم « الرباط »
- فلسطين (ملحق الحرر) « بيروت »
- فلسطين (نشرة الهيئة العربية العليا لفلسطين) بيروت .

ب - الصحف والمجلات باللغة الأجنبية

- Al Hamshmar « Tel Aviv ».
- Daily Express « London ».
- Daily Star « Beriut ».
- Daily Telegraph « London ».
- Davar « Tel Aviv ».
- The Economist « London ».
- The Statesman « New Delhi ».
- L'Express « paris ».
- Le Figaro « Paris ».
- Flight International « London ».
- Guardian « London ».
- Haaratz « Tel Aviv ».
- Hatzofe « Tel Aviv ».
- Hayom « Tel Aviv ».
- Herald Tribune « Paris ».
- L'Humanit « Paris ».
- Israel Digest « Jerusalem ».
- Izvestiya « Moscow ».
- Jerusalem Post « Jerusalem ».
- Jewish Chronicle « London ».
- Jewish Observer « London ».
- Le Jour « Beirut ».
- Kol Hoam « Tel Aviv ».
- Middle East Journal « Washinton ».
- Le Monde « paris ».

- New Out Look « Tel Aviv ».
- New York Times « New York ».
- New Middle East « London ».
- Observer « London ».
- L'Orient « Beirut ».
- Peking Review « Peking ».
- The People « Peking ».
- Pravda « Moscow ».
- Sunday Telegraph « London ».
- Sunday Times « London ».
- Times « London ».
- Yediot Aharonot « Tel Aviv ».
- U. N. Monthly Chronicle.
- Arab Palestine Resistance, P. L. O. Palestine Liberation.
- Faith, Palestine National Liberation, Movement.
- Information office.
- Times « New Delhi ».
- The Jewish Standard.

(ج) الاذاعات ووكالات الأنباء العربية

- إذاعة بغداد
- إذاعة الجزائر
- إذاعة دمشق
- إذاعة القاهرة
- إذاعة عمان
- إذاعة الكويت
- إذاعة مكة
- وكالة أنباء الشرق الأوسط
- وكالة الأنباء العراقية
- وكالة للأنباء العربية السورية
- وكالة الصحافة الجزائرية

(د) الاذاعات ووكالات الأنباء الأجنبية

- إذاعة إسرائيل
- إذاعة موسكو
- إذاعة لندن
- إذاعة صوت أمريكا
- وكالة الاسوشيتدپريس
- وكالة الأنباء الإسرائيلية
- وكالة أنباء نوفوستي
- وكالة الأنباء اليهودية في واشنطن
- وكالة تاس
- وكالة رويتر
- وكالة اليونائيتدبرس

سادساً : أحاديث ومقابلات وندوات

١ - اتصالات وأحاديث شخصية مع عديد من الشخصيات الفلسطينية بمختلف اتجاهاتهم السياسية .

٢ - مقابلات شخصية مع الإخوة في منظمة التحرير الفلسطينية سياسيين وإعلاميين وعسكريين - القاهرة صيف عام ١٩٧٤ .

٣ - مقابلة شخصية مع الأستاذ / أحمد الشقيري في ١٠ / ١ / ٧٥ - للقاهرة .

٤ - مقابلة شخصية مع الأستاذ / أحمد فراج طابع في ٢٠ / ١ / ١٩٧٥

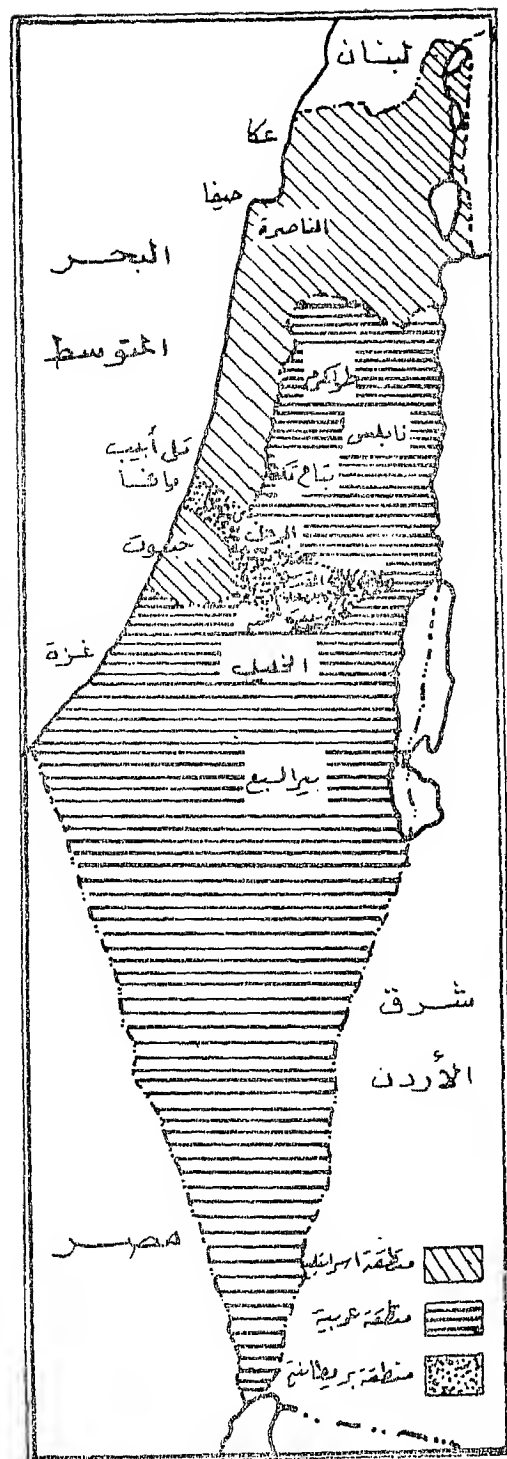
٥ - مقابلة شخصية مع الدكتور / جورج جبور المستشار بديوان رئاسة الجمهورية العربية السورية - القاهرة - مارس ١٩٧٤ .

٦ - مقابلة شخصية مع اللواء الركن / محمود شيت خطاب (عراقي) القاهرة - فبراير ١٩٧٤ .

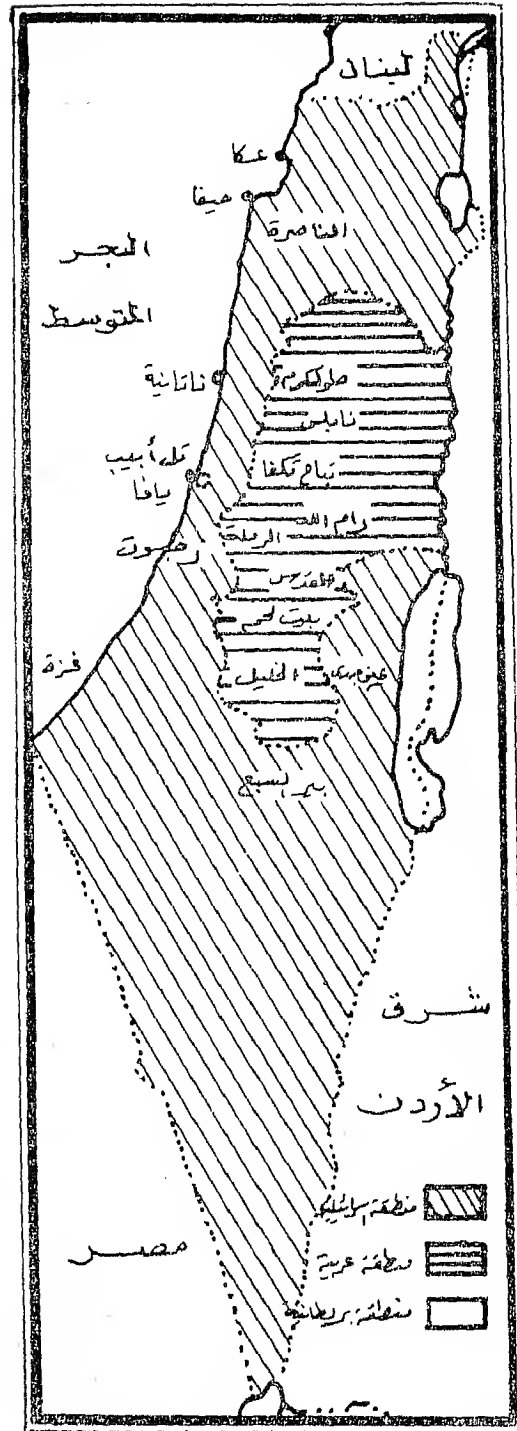
٧ - مقابلات شخصية مع قطاعات عريضة من العسكريين في القوات المسلحة المصرية .

٨ - الندوة الدولية لحرب أكتوبر - القاهرة - جامعة القاهرة ٧٥ / ١٠ / ٢٥ - ١٩٧٥ / ١٠ / ٣٠ .

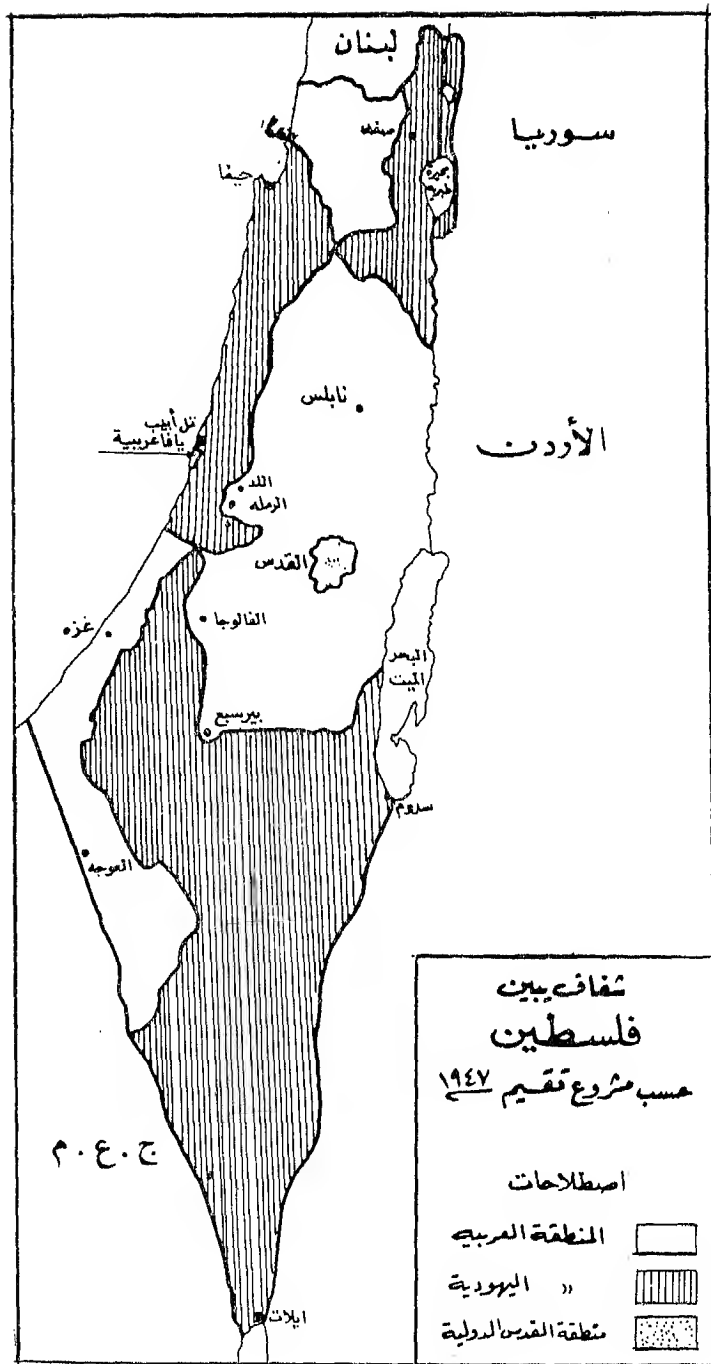
الصراع العربي الاسرائيلي ، فترة الدراسة في خرائط

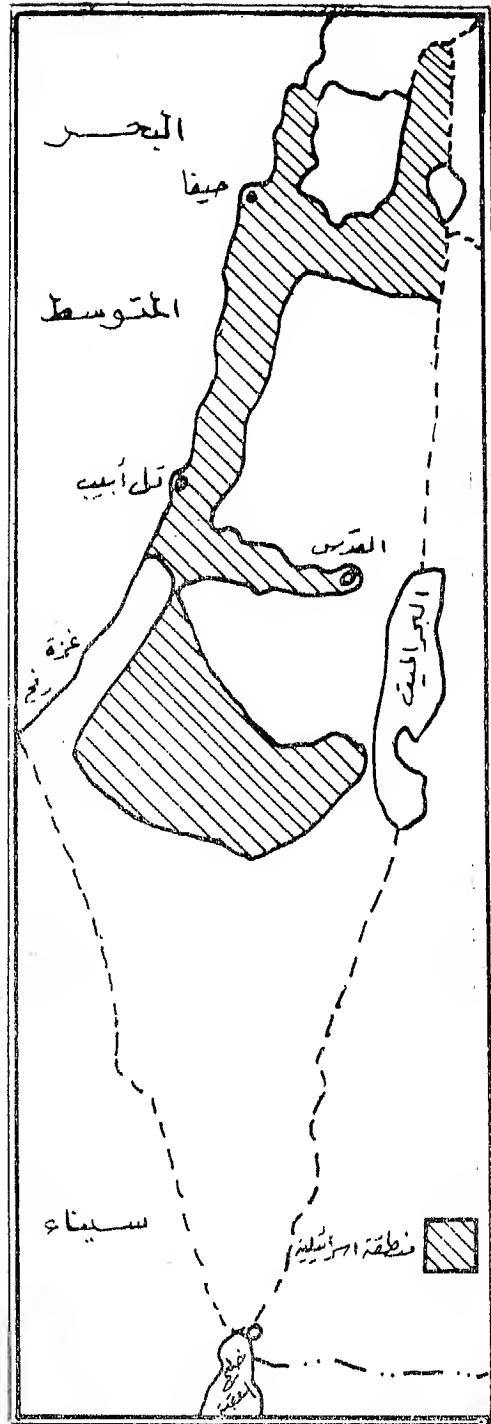


مشروع التقسيم الذي قدمته
اللجنة الأنجلو - أمريكية ١٩٤٥

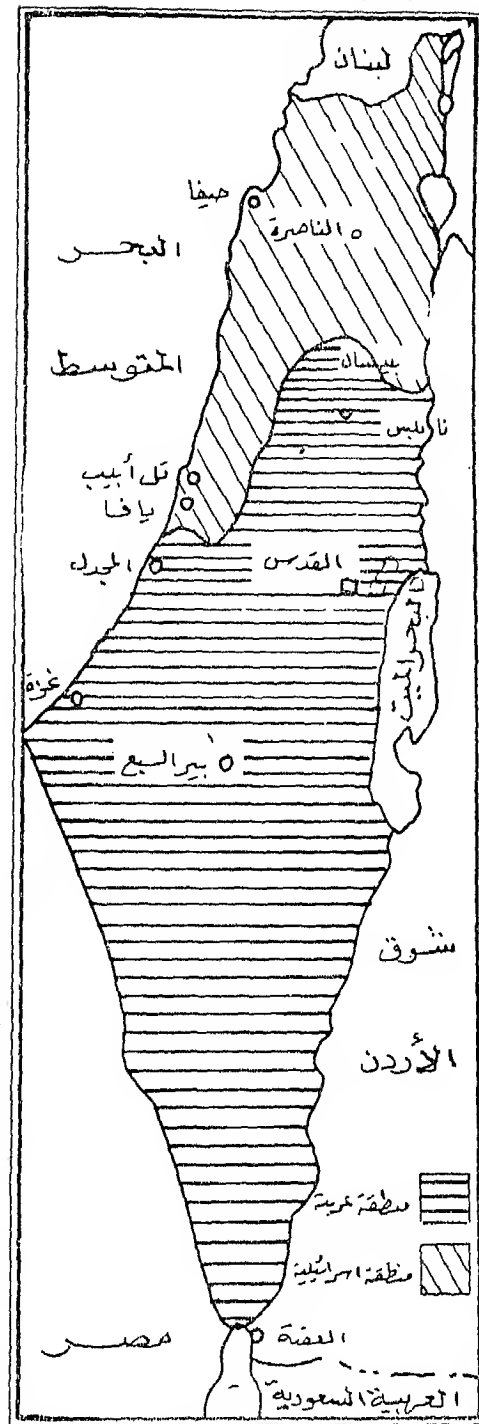


المشروع الذي قدمته الوكالة اليهودية لتقسيم فلسطين
رداً على المشروع الأنجلو-أمريكي سنة ١٩٤٥

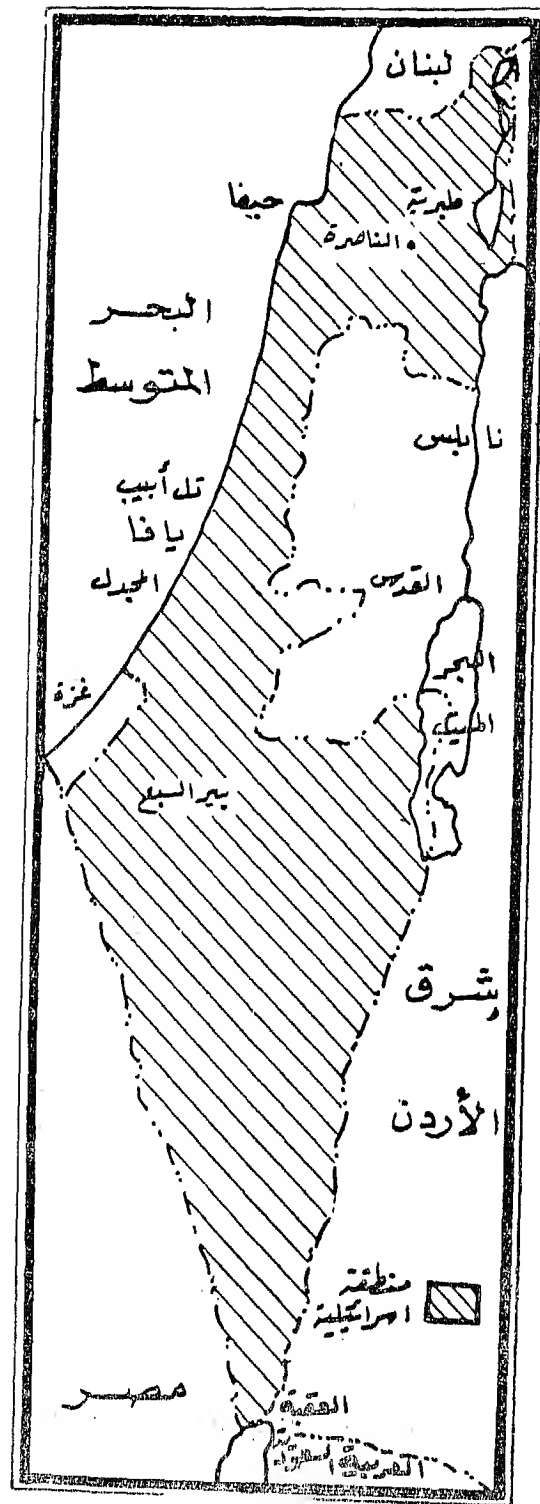


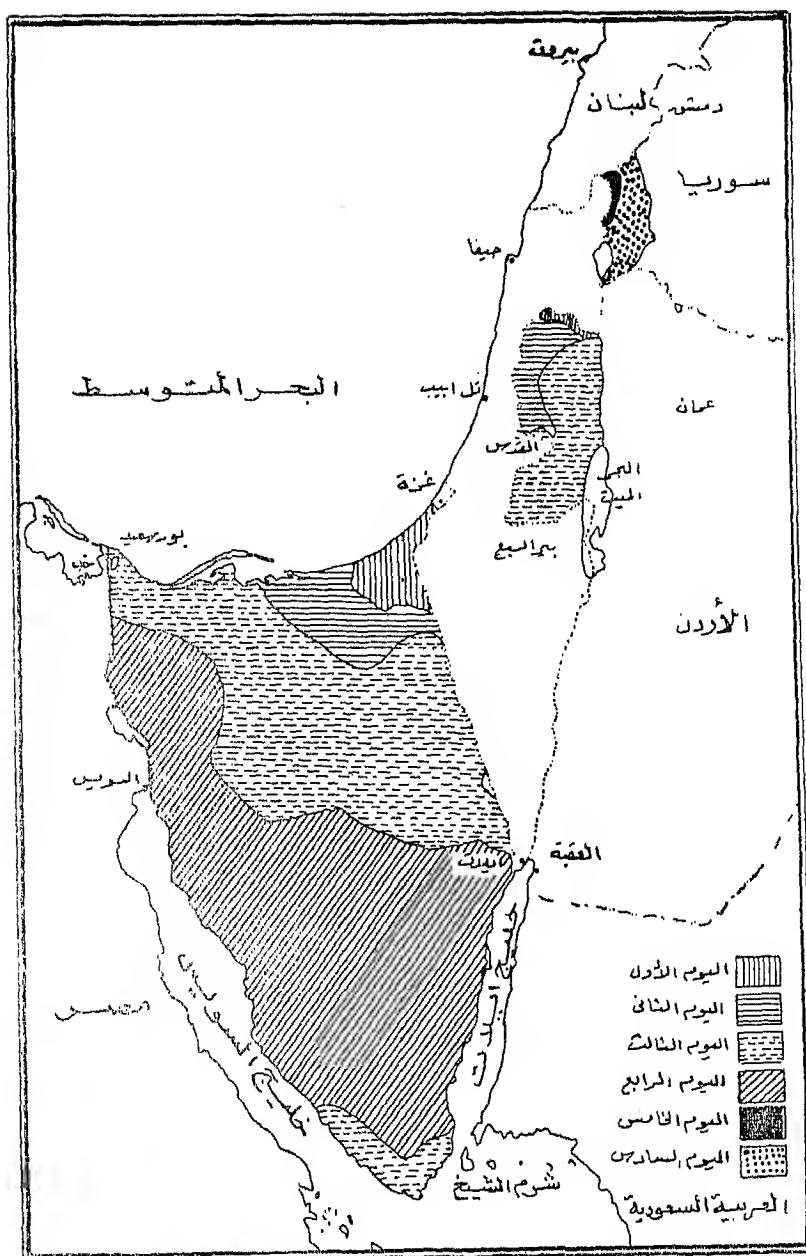


فلسطين عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ مع توضيح الاحتلال اليهودي لأراضي فلسطين
بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحتى انسحاب بريطانيا في ١٤ مايو ١٩٤٨



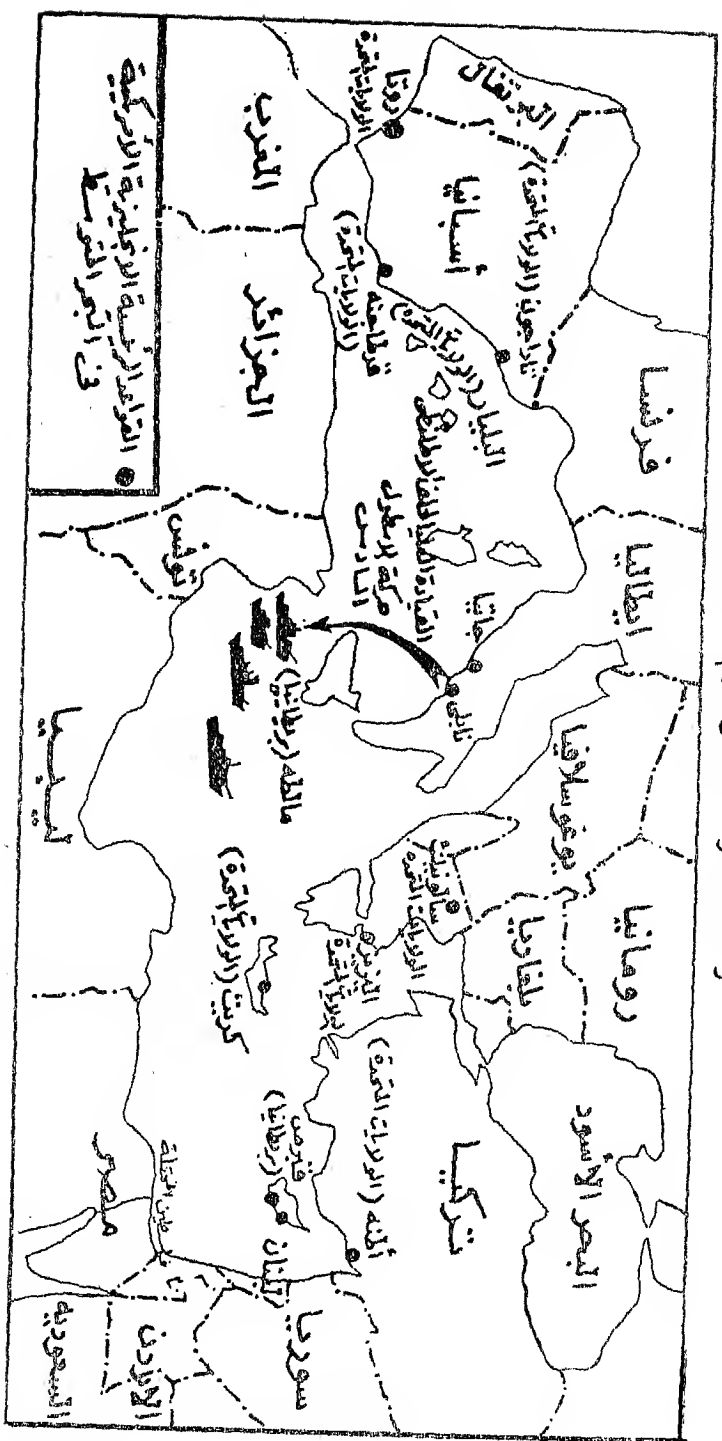
مخطط التوزيع الدولي الكونت فولك برنادوت
لتقسيم فلسطين يونيو ١٩٤٨ (خلال الهدنة الأولى)



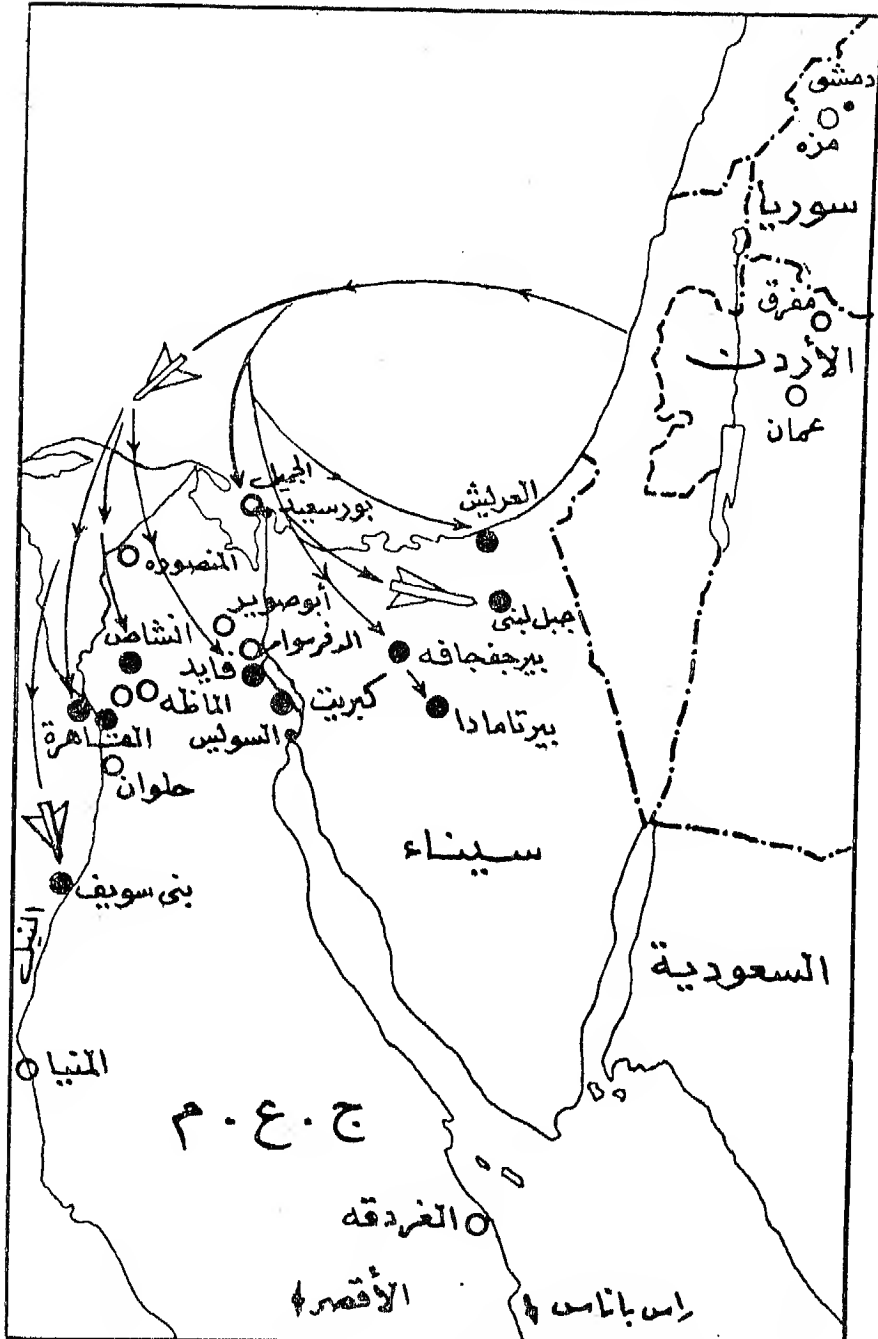


الهجوم الإسرائيلي - الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة صيف ١٩٦٧

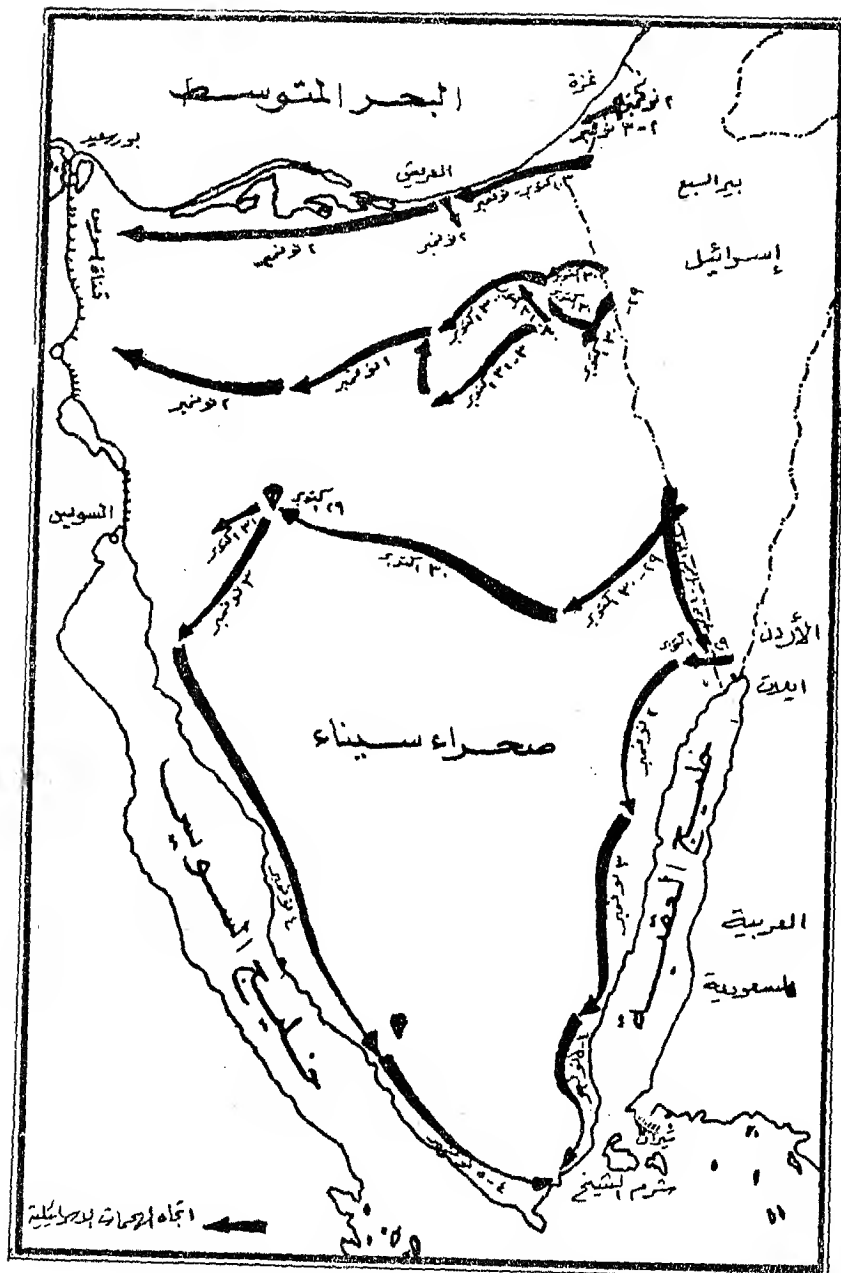
حركة الأسطول السادس يوم ١٩ مايو ١٩٦٧



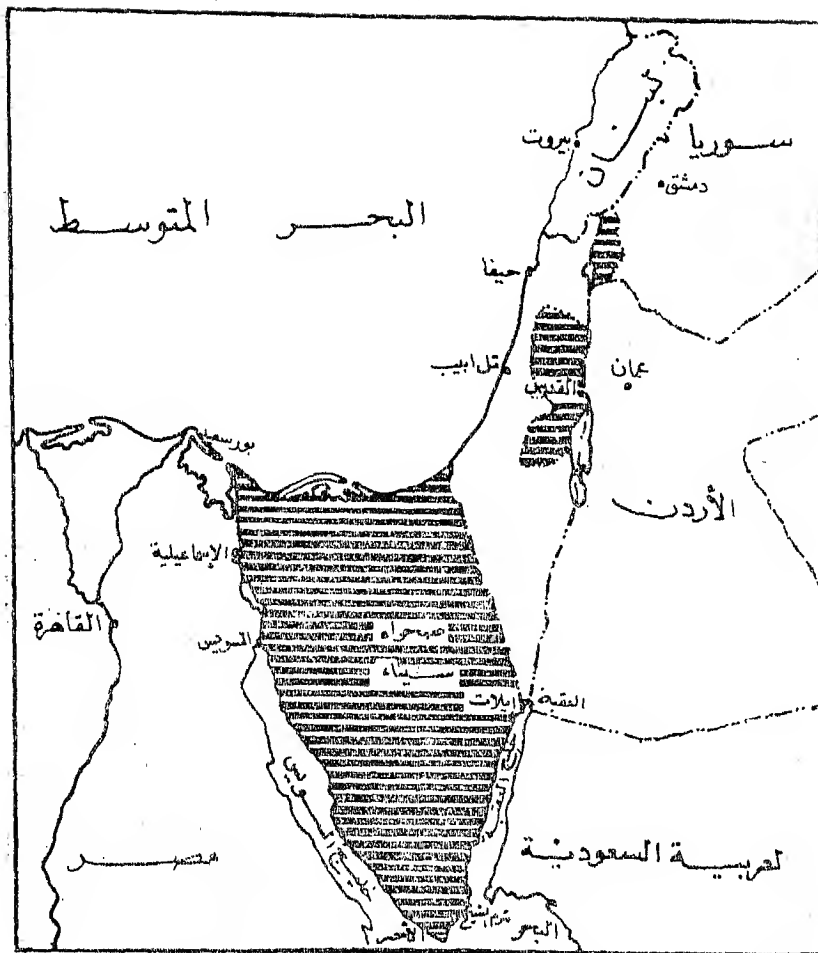
الهجوم الجوي في الساعات الأولى من يوم ٥ يونية ١٩٦٧



● خلال الساعة الأولى
○ » » الثانية



الهجوم الإسرائيلي - الجولة العربية الإسرائيلية الثانية - خريف ١٩٥٦ م



إسرائيل والأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧
بعثة الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة

فهرس

صفحة

٧

مقدمة

١٣

الباب الأول

التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب
العالمية الثانية وحتى نهاية عام ١٩٤٨

١٥

التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل الأول :

مواقف طرفي النزاع والدول الكبرى حتى ابريل ١٩٤٨

٢١

وردود الفعل

— الموقف العربي :

٢١ الأوضاع السياسية في فلسطين وانعكاسها على الرأي العام العربي

٢٦

أوضاع الأحزاب العربية في فلسطين في هذه الفترة

٢٨

الهيئة العربية العليا

٢٩

جامعة الدول العربية ومشكلة فلسطين

٣٦

الجامعة العربية ومشكلة فلسطين

٤٠

— موقف الصهيونية :

٤٥

بدأ الإرهاب

٤١

تحول الصهيونية إلى الولايات المتحدة

٤٤

برنامج بلتيمور

٤٧

أبعاد القوة العسكرية الصهيونية في فلسطين

٥٢

طبيعة الاستعمار الصهيوني في فلسطين في الفترة

من ١٩٤٥ — ١٩٤٧

صفحة	
٥٢	الضغط لغرض الدولة
٦٣	الصهيونية ونخبة اليهود المشردين
٦٧	— مواقف الدول الكبرى :
٦٧	١ — موقف بريطانيا :
٦٧	التملص من تحمل مسؤولية المشاركة الفلسطينية
٧٤	موقف الهيئة العربية العليا من بيفن
٧٥	لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية
٧٨	رد الفعل لدى الرأى العام العربى
٨٠	رد الفعل لدى الصهيونية
٨٢	مشروع موريسون جرادى
٨٣	رد الفعل العربى
٨٥	رد الفعل الأمريكى . . . رد الفعل الصهيونى
٨٦	المرحلة الأولى لمؤتمر المائدة المستديرة فى لندن وردود فعله
٩٠	— دور الولايات المتحدة :
٩٠	موقف ووزفلات
٩٢	موقف ترومان
٩٨	انحياز ترومان للجانب الصهيونى
١٠٢	ردود فعل التصريح المشؤم لترومان
١٠٢	رد الفعل العربى
١٠٢	رد الفعل البريطانى
١٠٣	رد الفعل الصهيونى
١٠٦	— بريطانيا ونهاية الانتداب :
	المرحلة الثانية لمؤتمر لندن
١٠٦	استئناف المؤتمر ثم فشله وانفضاضه

٨٠٣

صفحة

١١٧

— الموقف السوفيتي :

١١٧

أولاً : قبل الحرب العالمية الثانية

١١٩

ثانياً : موقف الرأي العام اليهودي السوفيتي

في الحرب العالمية الثانية

١٢٣

الحركة الصهيونية والمصالح السوفييتية في العالم العربي

في الأربعينات

١٢٧

الانصلاات بين الاتحاد السوفيتي والحركة الصهيونية

أثناء الحرب وأثرها على مشكلة فلسطين

التسلسل التاريخي لأهم أحداث مشكلة فلسطين أمام

١٣٣

الرأي العام العالمي كما وردت في الفصل الأول

الفصل الثاني :

١٣٧

مشكلة فلسطين أمام الأمم المتحدة

١٣٩

حلول مشكلة فلسطين طبقاً لدراسة لجنة U.N..C.O.P.

١٤٥

التحقيق الذي قامت به اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة

١٤٩

لجنة التحقيق الخاصة ونعمة اليهود المشردين

١٥١

اللجنة تنهى عملها وتقدم تقريرها

١٥٣

رد الفعل العربي

١٥٤

رد الفعل الصهيوني

١٥٥

رد الفعل البريطاني

١٥٥

مشروع تقسيم فلسطين

١٥٥

اللجنة الخاصة

١٥٦

معارضة العرب

١٥٧

الوكالة اليهودية تتظاهر بالقبول

١٥٧

مناورات الدول الكبرى

صفحة	
١٥٨	اللجنة الخاصة والتيارات الدولية
١٦٢	الاقتراح على تقسيم فلسطين
١٦٢	المناورات وردود فعلها داخل الأمم المتحدة
١٦٤	الموقف الأمريكي أثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين
١٦٩	الموقف السوفيتي قبل وأثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين
١٧٦	تضارب الآراء حول الموقف السوفيتي
١٧٩	— قرار تقسيم فلسطين
١٨١	نتائج وردود فعل قرار التقسيم
	نتائج ورد الفعل الصهيوني (الفترة من صدور قرار التقسيم
١٨١	حتى ١٥ مايو ١٩٤٨)
	نتائج ورد فعل الرأي العام العربي (الفترة من صدور قرار
١٨٧	التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨)
١٩٠	الشعب الفلسطيني وجيش الإنقاذ
١٩٢	— الموقف العربي بعد قرار التقسيم وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨
١٩٢	١ — موقف مصر
١٩٥	٢ — موقف العراق
١٩٧	٣ — موقف سوريا
١٩٨	٤ — موقف لبنان
١٩٩	٥ — موقف الملك عبد الله
	— الأسباب التي حولت الدفعة ضد العرب في الفترة من صدور
٢٠٢	قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨
٢٠٢	أولاً : على الجانب العربي
٢٠٤	ثانياً : على الجانب الصهيوني
٢٠٨	٦ . موقف بريطانيا منذ صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨

٨٠٥

صفحة

موقف الولايات المتحدة منذ صدور قرار التقسيم

٢١٠

حتى ١٥ مايو ١٩٤٨

موقف الاتحاد السوفيتي منذ صدور قرار التقسيم

٢١٤

حتى ١٥ مايو ١٩٤٨

الفصل الثالث :

النكبة عام ١٩٤٨ ونتائجها

٢١٩

الوضع العربي في مطلع عام ١٩٤٨

٢٢٠

الوضع العام وتعيين الوسيط الدولي

٢٢٢

ردود فعل اقترحات الوسيط الدولي

٢٢٥

رد فعل العمليات العسكرية الأولى في الأمم المتحدة

٢٣٣

اغتيال الوسيط الدولي برنادوت (ظروف الاغتيال ورد فعله)

٢٣٨

ردود فعل العمليات العسكرية في العالم العربي

٢٤٢

موقف الملك عبد الله تجاه حكومة عموم فلسطين وردود فعله

٢٤٦

السياسية تجاه الفلسطينيين والقرار رقم ١٩٤

٢٥٠

القدس... فشل التدويل وردود الفعل

٢٥٨

اتفاقيات الهدنة

بعض الملاحظات على نكبة ١٩٤٨

٢٧٦

المراحل الزمنية لحرب ١٩٤٨... تسلسل تاريخي للأحداث

الباب الثاني

تطورات مشكلة فلسطين من اتفاقيات الهدنة ١٩٤٨

٢٧٩

إلى العدوان الثلاثي

الفصل الأول :

٢٨١

تطورات مشكلة فلسطين على الصعيدين الدولي والغربي

٢٨١

السياسة الإسرائيلية

(م ٥١ - فلسطين)

- ٢٨٤ الانكفاء الداخلي في العالم العربي نتيجة للنكبة
- ٢٩٣ أفول نجم النفوذ البريطاني وصعود نجم النفوذ الأمريكي
- ٢٩٨ تنذب الموقف السوفيتي
- ٣٠٥ عمل لجنة التوفيق الدولية وردود الفعل
- ٣٠٨ موقف الاتحاد السوفيتي من لجنة التوفيق
- ٣١١ المفاوضات السرية وردود فعلها
- ٣١٤ اغتيال الملك عبد الملك
- ٣١٥ هل حدثت مفاوضات بين مصر وإسرائيل ؟
- ٣١٧ التصريح الثلاثي ... ظروفه ... وردود فعله
- ٣٢٢ موقف الاتحاد السوفيتي من التصريح الثلاثي وإسرائيل عام ١٩٥٠
- الفصل الثاني :

قصور نظام الهدنة وحوادث الحدود

- ٣٢٥ هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة
- ٣٢٧ حوادث الحدود في القطاع الأردني
- ٣٣١ حوادث الحدود في القطاع السوري
- ٣٣٦ مصر وإسرائيل بعد اتفاقيات الهدنة
- ٣٤٣ من بروز عبد الناصر إلى حوادث الحدود
- ٣٤٩ سياسات الحكومات العربية
- ٣٥٦ سياسات الدول الغربية
- ٣٦١ سياسة الاتحاد السوفيتي

الفصل الثالث :

العدوان الثلاثي ونتائجه على الصراع العربي الإسرائيلي

- ٣٦٧ الغرب وتمويل السد العالي
- ٣٧٢ خلفية العدوان الثلاثي
- ٣٨٠ التوتر على الحدود وردود الفعل

صفحة

٣٨٥

العدوان الثلاثي

٣٨٨

قصة التواطؤ

٣٩٦

الآزمة في الأمم المتحدة وردود الفعل

٤٠٣

قوة الطوارئ الدولية ... (ظروف تكوينها وردود الفعل)

٤١٠

موقف بريطانيا وفرنسا

٤١٢

موقف الولايات المتحدة

٤١٨

الموقف السوفيتي

٤٢٣

اذعان إسرائيل النهائي للانسحاب

٤٣٠

النتائج المباشرة لعدوان ١٩٥٦ على الصراع العربي الإسرائيلي

٤٣٦

تسلسل تاريخي لأهم أحداث العدوان الثلاثي

الباب الثالث

٤٤١

من انسحاب قوات العدوان الثلاثي إلى حرب يونيو ١٩٦٧

الفصل الأول :

٤٤٣

تطورات مشكلة فلسطين وردود فعل المراه العام العالمي

٤٤٣

أساليب الحرب الباردة

٤٥٤

محاولات الوحدة بين العرب ودود فعلها

٤٧٤

إسرائيل في الداخل والخارج ١٩٤٧ - ١٩٦٣

الفصل الثاني :

٤٩١

النزاع حول مياه نهر الأردن وردود فعله

٤٩١

تعمير النقب كهدف قومي

٤٩٧

مؤتمر القمة العربي الأول وردود فعله

٥٠٥

مؤتمر القمة العربي الثاني وردود فعله

٥١٨

ألمانيا بين إسرائيل والعرب

صفحة

- ٥٢٢ مقترحات الرئيس بورقيبة وردود فعلها (قبلة السلام التونسية)
- ٥٣٦ مؤتمر القمة العربي الثالث وردود فعله
- حركة التحرير الفلسطينية (فتح)
- ٥٤٩ « ظروف تكوينها . . . نشاطها الفدائي وردود الفعل »
- ٥٥٥ منظمة التحرير الفلسطينية والاستقطاب العربي
- الباب الرابع
- ٥٦٣ حرب يونيو سنة ١٩٦٧

الفصل الأول :

- ٥٦٥ خلفية الحرب
- ٥٦٥ موقف الدول العربية تجاه العمل الفدائي الفلسطيني
- ٥٦٨ تصاعد الأخطار
- ٥٦٨ أولاً : على الجانب الإسرائيلي
- ٥٨١ ثانياً : على الجانب العربي
- ٥٩٥ المذكرة السوفيتية لإسرائيل
- ٥٩٨ إسرائيل والاندفاع نحو الحرب
- ٦١٥ ردود الفعل الإسرائيلي بعد إغلاق مضيق تيران
- ٦٢٦ رد الفعل العربي بعد إغلاق مضيق تيران
- ٦٥١ أبعاد الكارثة ومؤثرات التواطؤ

فصل ختامي

في

- ٦٦٧ نتائج الحرب على صعيد المشكلة الفلسطينية
- ٦٦٨ - نشاط مجلس الأمن
- ٦٧١ - الدورة الطارئة للجمعية العامة
- ٦٨٩ - ضم مدينة القدس وردود الفعل
- ٧٠٢ - الحوادث على جبهة القتال وردود فعلها

صفحة

- ٧٠٦ — اللاجئون الفلسطينيون بعد حرب يونيو
٧١١ — أطماع إسرائيل والصهيونية بعد الحرب
٧٢٣ المعتدلون والمتطرفون من العرب
— مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم (١٩٦٧/٩/٢-٦٧/٨/٢٩)
٧٢٩ ظروف انعقاده وردود فعله
— قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ - ظروف صدوره
٧٤٠ وردود فعله

المراجع :

- ٧٥٣ أولاً : الوثائق العربية
٧٥٣ أ - الوثائق غير المنشورة
٧٥٣ ب - الوثائق المنشورة
٧٥٧ ثانياً : وثائق باللغة الأجنبية
٧٥٩ ثالثاً : المراجع العربية
٧٧١ رابعاً : كتب وبحوث باللغة الأجنبية
٧٧٩ خامساً : الدوريات ووكالات الأنباء
٧٧٩ أ - الصحف والمجلات العربية
٧٨١ ب - الصحف والمجلات باللغة الأجنبية
٧٨٣ ج - الإذاعات ووكالات الأنباء العربية
٧٨٣ د - الإذاعات ووكالات الأنباء الأجنبية
٧٨٤ سادساً : أحاديث ومقابلات وندوات
٨٠٠-٧٨٩ الصراع العربي الاسرائيلي ، فترة الدراسة ، في خرائط

رقم الإيداع ٥٣٠٦ لسنة ١٩٧٩

مطابع سجل العرب
٩ مطابع عماد الدين / القاهرة ج ١ ٩٢٢٧٠٦

